



سلسلة مؤلفات
فضيلة الشيخ

١٢٦

الإيمان بعرض آيات الأحكام

تفسيرا وأستنباطا

بقلم
فضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَالْمُسْلِمِينَ

من إصدارات
مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

الإمام ابن بعث بن أبي أثير الأحمدي

تفسيراً وأستنباطاً

بقلم

فضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ح مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن عثيمين، محمد بن صالح

الإلام ببعض آيات الأحكام تفسيراً واستنباطاً. / محمد بن صالح بن عثيمين - ط ١ - \
الرياض، ١٤٣٦ هـ

٨٢٣ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم. - (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين؛ ١٢٦)

ردمك: ٥ - ٢٤ - ٨١٦٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - القرآن - أحكام ٢ - القرآن - تفسير أ - العنوان

١٤٣٦/١٦٠٣

ديوي ٢٢٦،٢

حقوق الطبع محفوظة

لمؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

إلا لمن أراد طبع الكتاب لتوزيعه خيراً بعد مراجعة المؤسسة

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ

يطلب الكتاب من:

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

المملكة العربية السعودية

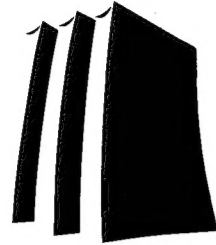
القصيم - عنيزة - ٥١٩١١ ص. ب: ١٩٢٩

هاتف: ٠١٦/٣٦٤٢١٠٧ - فاكس: ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩

جوال: ٠٥٥٣٦٤٢١٠٧

www.ibnothaimeen.com

info@binothaimeen.com



الموزع المعتمد والحصري في جمهورية مصر العربية

دار الدرّة للنشر والتوزيع - شارع محمد مقلد - متفرع من مصطفى النحاس

بجوار سويف ماركت أولاد رجب

هاتف وفاكس: ٢٢٢٧٠٥٥٢ - محمول: ٠١٠١٠٥٥٧٠٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ: «إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١)، وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٢)، وَهَذَا شَامِلٌ لِعِلْمِ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ.

وَإِذَا كَانَ خَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابَ اللَّهِ كَانَ جَدِيرًا بِالْمُؤْمِنِ الْإِعْتِنَاءِ بِهِ تِلَاوَةً وَفَهْمًا وَتَطْبِيقًا، وَبِذَلِكَ يَكُونُ خَيْرُ النَّاسِ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- لَا يَتَجَاوَرُونَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى يَتَعَلَّمُوهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، فَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا^(٣).

وَلَقَدْ كَانَ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى لِجَامِعَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ قَرَّرَتْ لِلْمَعَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ فِي التَّفْسِيرِ اخْتِيَارَ آيَاتِ تُسَايِرِ الْمُقَرَّرِ فِي الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ؛ لِيَجْمَعَ الطَّالِبُ بَيْنَ الْمَسَائِلِ الْفِقْهِيَّةِ وَأَدَلَّتْهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ مِنْ جِهَةٍ، وَلِيَكُونَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم (٥٠٢٧).

(٣) زاد المسير (٤ / ١)، وتفسير ابن كثير (١٣ / ١).

ذَلِكَ عَوْنًا عَلَىٰ فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَىٰ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ، حَيْثُ تَتَّجِدُ بُحُوثُ الْمَقْرَّرِ فِي هَذِهِ الْمَوَادِّ؛ فَيَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى التَّصَوُّرِ وَالْفَهْمِ، وَيَشْمَلُ الْمَقْرَّرُ نِطَاقًا أَوْسَعَ؛ حَيْثُ تَرَى الْآيَاتِ مِنَ أَوَّلِ الْقُرْآنِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ.

وَمَا نَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِمَا يَسَّرَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الْمَقْرَّرِ مِنَ التَّفْسِيرِ سَالِكِينَ مَا يَأْتِي:

أ- كِتَابَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

ب- ذِكْرُ سَبَبِ النُّزُولِ إِذَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ.

ج- تَفْسِيرَ الْمَفْرَدَاتِ وَالْجُمَلِ مَعَ إِعْرَابٍ مَا يَتَوَقَّفُ فَهْمُ الْمَعْنَى عَلَى إِعْرَابِهِ.

د- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّ.

ه- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ أَوْ الْآيَاتِ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْحِكَمِ وَالْأَحْكَامِ مِنْ غَيْرِ

اسْتِيعَابٍ لِذَلِكَ.

وَسَمَّيْتُهُ: (الإمام ببعض آيات الأحكام تفسيراً واستنباطاً)، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالِصًا لَهُ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَعَلَّمُوهُ وَتَلَّوْهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ لَفْظًا وَمَعْنَى وَعَقِيدَةً وَعَمَلًا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَسَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

محمد صالح العثيمين

في ١٣٩٨/٨/٨ هـ.



نبذة مختصرة عن فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

١٣٤٧ - ١٤٢١ هـ

نسبه ومولده:

هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسر، الورع الزاهد، محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم.

ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧ هـ في عنيزة - إحدى مدن القصيم - في المملكة العربية السعودية.

نشأته العلمية:

أحقه والده رحمه الله تعالى - ليتعلم القرآن الكريم عند جدّه من جهة أمه المعلّم عبد الرحمن بن سليمان الدامغ - رحمه الله -، ثمّ تعلّم الكتابة، وشيئاً من الحساب، والنصوص الأدبية في مدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الدامغ - رحمه الله -، وذلك قبل أن يلتحق بمدرسة المعلّم علي بن عبدالله الشحيتان - رحمه الله تعالى - حيث حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولمّا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره بعد.

وبتوجيه من والده - رحمه الله تعالى - أقبل على طلب العلم الشرعي، وكان فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - يدرّس العلوم

الشرعية والعربية في الجامع الكبير بعنيزة، وقد ربّ ابنين^(١) من طلبته الكبار؛ لتدريس المبتدئين من الطلبة، فانضم الشيخ إلى حلقة الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع - رحمه الله - حتى أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو ما أدرك.

ثم جلس في حلقة شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، فدرس عليه في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتوحيد، والفقه، والأصول، والفرائض، والنحو، وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم.

ويُعدّ فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - هو شيخه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم؛ معرفةً وطريقةً أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه وتأصيله، وطريقة تدريسه، وأتباعه للدليل.

وعندما كان الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان - رحمه الله - قاضيًا في عنيزة قرأ عليه في علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - في النحو والبلاغة أثناء وجوده مدرّسًا في تلك المدينة.

ولما فتح المعهد العلمي في الرياض أشار عليه بعض إخوانه^(٢) أن يلتحق به، فاستأذن شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - فأذن له، والتحق بالمعهد عامي ١٣٧٢-١٣٧٣ هـ.

ولقد انتفع - خلال السنتين اللتين انتظم فيهما في معهد الرياض العلمي - بالعلماء الذين كانوا يدرّسون فيه حينذاك ومنهم: العلامة المفسّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ المحدّث عبد الرحمن الإفريقي - رحمهم الله تعالى -.

(١) هما الشيخان محمد بن عبد العزيز المطوع، وعلي بن حمد الصالحي رحمهما الله تعالى.

(٢) هو الشيخ علي بن حمد الصالحي رحمه الله تعالى.

وفي أثناء ذلك اتصل بسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-، فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويُعدُّ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به.

ثم عاد إلى عنيزة عام ١٣٧٤هـ وصار يدرِّس على شيخه العلامة عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتساباً في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءاً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حتى نال الشهادة العالية.

تدريسه:

توسَّم فيه شيخه النّجابه وسرعة التحصيل العلمي فشجّعه على التدريس وهو ما زال طالباً في حلقتة، فبدأ التدريس عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة. ولما تخرّج من المعهد العلمي في الرياض عُيِّن مدرِّساً في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ.

وفي سنة ١٣٧٦هـ توفي شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى- فتولّى بعده إمامة الجامع الكبير في عنيزة، وإمامة العيدين فيها، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع؛ وهي التي أسسها شيخه -رحمه الله- عام ١٣٥٩هـ.

ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ فضيلة الشيخ -رحمه الله- يدرِّس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها حتى كانوا يبلغون المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة

تحصيل جاد، لا لمجرد الاستماع، وبقي على ذلك، إماماً وخطيباً ومدرّساً، حتى وفاته - رحمه الله تعالى -.

بقي الشيخ مدرّساً في المعهد العلمي من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٨هـ عندما انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذاً فيها حتى وفاته - رحمه الله تعالى - . وكان يدرّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج ورمضان والإجازات الصيفية منذ عام ١٤٠٢هـ، حتى وفاته - رحمه الله تعالى -.

وللشيخ - رحمه الله - أسلوب تعليمي فريد في جودته ونجاحه، فهو يناقش طلابه ويتقبل أسئلتهم، ويُلقي الدروس والمحاضرات بهمة عالية ونفسٍ مطمئنة واثقة، مبتهجاً بنشره للعلم وتقريبه إلى الناس.

آثاره العلمية:

ظهرت جهوده العظيمة - رحمه الله تعالى - خلال أكثر من خمسين عاماً من العطاء والبذل في نشر العلم والتدريس والوعظ والإرشاد والتوجيه وإلقاء المحاضرات والدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى -.

ولقد اهتم بالتأليف، وتحرير الفتاوى والأجوبة التي تميّزت بالتأصيل العلمي الرصين، وصدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى والخطب واللقاءات والمقالات، كما صدر له آلاف الساعات الصوتية التي سجلت محاضراته وخطبه ولقاءاته وبرامجه الإذاعية ودروسه العلمية في تفسير القرآن الكريم، والشروحات المتميزة للحديث الشريف والسيرة النبوية، والمتون والمنظومات في العلوم الشرعية والنحوية.

وإنفاذاً للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها فضيلته -رحمه الله تعالى- لنشر مؤلفاته، ورسائله، ودروسه، ومحاضراته، وخطبه، وفتاواه ولقاءاته، تقوم مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية -بعون الله وتوفيقه- بواجب وشرف المسؤولية لإخراج كافة آثاره العلمية والعناية بها.

وبناءً على توجيهاته -رحمه الله تعالى- أنشئ له موقع خاص على شبكة المعلومات الدولية^(١)، من أجل تعميم الفائدة المرجوة -بعون الله تعالى- وتقديم جميع آثاره العلمية من المؤلفات والتسجيلات الصوتية.

أعماله وجهوده الأخرى:

إلى جانب تلك الجهود المثمرة في مجالات التدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء والدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- كان لفضيلة الشيخ أعمال كثيرة موفقة منها:

- عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧هـ حتى وفاته.
- عضواً في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العامين الدراسيين ١٣٩٨-١٤٠٠هـ.
- عضواً في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم ورئيساً لقسم العقيدة فيها.
- وفي آخر فترة تدريسه بالمعهد العلمي شارك في عضوية لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وألف عدداً من الكتب المقررة فيها.

- عضواً في لجنة التوعية في موسم الحج من عام ١٣٩٢هـ حتى وفاته - رحمه الله تعالى - حيث كان يلقي دروساً ومحاضرات في مكة والمشاعر، ويفتي في المسائل والأحكام الشرعية.
- ترأس جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة منذ تأسيسها عام ١٤٠٥هـ حتى وفاته.
- ألقى محاضرات عديدة داخل المملكة العربية السعودية على فئات متنوعة من الناس، كما ألقى محاضرات عبر الهاتف على تجمعات ومراكز إسلامية في جهات مختلفة من العالم.
- من علماء المملكة الكبار الذين يجيبون على أسئلة المستفسرين حول أحكام الدين وأصوله عقيدة وشرعية، وذلك عبر البرامج الإذاعية من المملكة العربية السعودية وأشهرها برنامج (نور على الدرب).
- نذر نفسه للإجابة على أسئلة السائلين مهاتفة ومكاتبة ومشافهة.
- رتب لقاءات علمية مجدولة، أسبوعية وشهرية وسنوية.
- شارك في العديد من المؤتمرات التي عقدت في المملكة العربية السعودية.
- ولأنه يهتم بالسلوك التربوي والجانب الوعظي اعتنى بتوجيه الطلاب وإرشادهم إلى سلوك المنهج الجاد في طلب العلم وتحصيله، وعمل على استقطابهم والصبر على تعليمهم وتحمل أسئلتهم المتعددة، والاهتمام بأمورهم.
- وللشيخ - رحمه الله - أعمال عديدة في ميادين الخير وأبواب البرِّ ومجالات الإحسان إلى الناس، والسعي في حوائجهم وكتابة الوثائق والعقود بينهم، وإسداء النصيحة لهم بصدق وإخلاص.

مكانته العلمية :

يُعدُّ فضيلة الشيخ -رحمه الله تعالى- من الراسخين في العلم الذين وهبهم الله -بمنه وكرمه- تأصيلاً ومملكة عظيمة في معرفة الدليل واتباعه واستنباط الأحكام والفوائد من الكتاب والسنة، وسبر أغوار اللغة العربية معاني وإعراباً وبلاغة.

ولما تحلَّى به من صفات العلماء الجليلة وأخلاقهم الحميدة والجمع بين العلم والعمل أحبَّه الناس محبة عظيمة، وقدَّره الجميع كل التقدير، ورزقه الله القبول لديهم واطمأنوا لاختياراته الفقهية، وأقبلوا على دروسه وفتاواه وآثاره العلمية، ينهلون من معين علمه ويستفيدون من نصحه ومواعظه.

وقد مُنح جائزة الملك فيصل -رحمه الله تعالى- العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، وجاء في الحيثيات التي أبدتها لجنة الاختيار لمنحه الجائزة ما يأتي:

- أولاً: تحلُّيه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم وعامتهم.
- ثانياً: انتفاع الكثيرين بعلمه؛ تدريساً وإفتاءً وتأليفاً.
- ثالثاً: إلقاءه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة.
- رابعاً: مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كثيرة.
- خامساً: اتباعه أسلوباً متميزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حياً لمنهج السلف الصالح؛ فكراً وسلوكاً.

عقبه :

له خمسة من البنين، وثلاث من البنات، وبنوه هم: عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم.

وفاته:

تُوفي - رحمه الله - في مدينة جدة قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصُلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيعته تلك الآلاف من المصلين والحشود العظيمة في مشاهد مؤثرة، ودفن في مكة المكرمة.

وبعد صلاة الجمعة من اليوم التالي صُلي عليه صلاة الغائب في جميع مدن المملكة العربية السعودية.

رحم الله شيخنا رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، ومنَّ عليه بمغفرته ورضوانه، وجزاه عما قدّم للإسلام والمسلمين خيراً.

القِسْمُ الْعِلْمِيُّ

فِي مُؤَسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينَ الْخَيْرِيَّةِ

الإمام ببعض آيات الأملام
تفسير أو استنباط

تقدم
مداد الصالحين
غفر الله له ولوالديه
والسليمين

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ٧ الحمد لله رب العالمين ١ الرحمن الرحيم ٢ مالك يوم الدين ٣ إنا أنزلنا القرآن شريعين
٤ أفهنا القرآن المستقيم ٥ وربنا الذي أنزلنا القرآن ٦ ولا اله الا الله ٧ الفاتحة ٨/١

١- سورة الفاتحة

السورة : طائفة من القرآن الكريم سماه باسم خاص ذات أول وآخر . وعدد سور القرآن مائة وأربع مائة . أولها سورة الفاتحة وآخرها سورة الناس . والفاتحة هي الحمد لله رب العالمين في وسبب الفاتحة لأن القرآن افتتح بها كتابة ولأن قراءة الصلاة تفتتح بها فلا يقرأ الصلاة شيء من القرآن قبل الفاتحة .
وهي أعظم سورة في كتاب الله تعالى ولذا كانت قراءتها في الصلاة ركنا وعلى المرضى شفاه .

٢- بسم الله الرحمن الرحيم

هذه هي البسملة وهي آية من كتاب الله تعالى تفتتح بها كل سورة من القرآن وليست منها ولم تفتتح بسورة التوبة لأن عثمان رضي الله عنه لما جمع المصحف خشى أن يكون سورة التوبة من الأنفال فوضع بينها فاصلا دون بسملة توسط بين وصلها وصلها تماما بالأنفال وفصلا فصلا تاما .

تفسير البسملة

١- تفسير الكلمات :

بسم : جار ومجرور متعلق بمحذوف متبوعا بضمي
يقدر بما يناسب والتقديره : باسم الله أقرأ
والماء الاستغناء .
والمراد باسم الله : كل اسم سمي به الله .
والله : اسم الله الخاص به وسماه : التألوه أي المعبود محبة وتلقيا .
الرحمن : اسم من أسماء الله تعالى ومعناه : ذو الرحمة الواسعة
الرحيم : اسم من أسماء الله تعالى . ومعناه المرسل للرحمة من رسله

٢- المسمى التوحيدي :

تعلم استيادته أن يتدعى أثاره في قراءة سورة معينة بكل اسم من أسماء الله تعالى مشتبه عليه من عظمة الواسعة أن الله جل جلاله الواسعة لمن شاء من عباده فوساد إلى الله بهذا المشاء أن يرحمه بالعونة على أيها رده في قراءة أو غيرها مما سمى عليه .

٣- ما يستفاد من البسملة :

- ١- منه الله على عباده بتعليم ما ينفعهم .
- ٢- إثبات أسماء الرحمن والرحيم به تكا وملاكت عليه من الصفات .
- ٣) هذه الآية متقلة عابدها على قول الراجح أن البسملة ليست من الفاتحة .

- ١٤- إثبات البراءة على الأعمى
- ١٥- الرد على الشبهة والمعتق للفقهاء
- ١٦- أن الصبر والمغفرة من أمر الأمم

الآية الثالثة عشر

٥١- (قُلْ لَا يُسْئِرُ الْخَيْبُ وَالْخَيِّبُ وَالْظَّالِمُ وَلَا الْعَمَلُ كَثْرَةُ الْخَيْبِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْهَمُونَ) (المائدة: ٥١) ع ٧

تفسير الآية الثالثة عشر
أ- تفسير الكلمات

- | | |
|-------------------------|---|
| لا يسئير : لا يتسوى . | أكثر الخيب : زيادة كميته على الطيب . |
| الخبيب : الردي | اتقوا الله : اتقوا وقاتوا من عذابه بطاعته . |
| الطيب : الجيد الحسن . | أولي الألباب : أصحاب العقول . |
| أصحاب : يبلغ من الإحباب | لعلكم : لعل للتتمليل |
| | تفهمون : تدركون الملال وتسلمون من رهوب |

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٧- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣﴾
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
 عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ١-٧].

سورة الفاتحة:

السُّورَةُ: طائفةٌ من القرآن الكريم مُسَمَّاةٌ بِاسْمِ خَاصٍّ، ذَاتُ أَوَّلٍ وَآخِرٍ، وَعَدَدُ
 سُورِ الْقُرْآنِ مِئَةٌ وَأَرْبَعٌ عَشْرَةَ سُورَةً، أَوْهَا سُورَةُ الْفَاتِحَةِ، وَآخِرُهَا سُورَةُ النَّاسِ.

وَالْفَاتِحَةُ هِيَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾ الخ.

وَسُمِّيَتْ الْفَاتِحَةُ لِأَنَّ الْقُرْآنَ افْتُتِحَ بِهَا كِتَابَةً، وَلِأَنَّ قِرَاءَةَ الصَّلَاةِ تُفْتَحُ بِهَا،
 فَلَا يُقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ بِشَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ قَبْلَ الْفَاتِحَةِ.

وَهِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِذَا كَانَتْ قِرَاءَتُهَا فِي الصَّلَاةِ رُكْنًا
 وَعَلَى الْمَرْضَى شِفَاءً.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:

هَذِهِ هِيَ الْبَسْمَلَةُ، وَهِيَ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، تُفْتَحُ بِهَا كُلُّ سُورَةٍ مِنْ

(١) هذه الآية مستقلة عما بعدها على القول الراجح أن البسملة ليست من الفاتحة. [المؤلف]

القرآن وليست منها، ولم تُفْتَحْ بها سورة التَّوْبَةِ لأنَّ عثمانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لَمَّا جَمَعَ الْمُصْحَفَ خَشِيَ أَنْ تَكُونَ سُورَةُ التَّوْبَةِ مِنَ الْأَنْفَالِ، فَوَضَعَ بَيْنَهَا فَاصِلًا دُونَ بَسْمَلَةٍ؛ تَوْسُطًا بَيْنَ وَضَلِهَا وَصَلَّا تَامًا بِالْأَنْفَالِ وَفَضَلِهَا فَصَلَّا تَامًا.

تَفْسِيرُ الْبَسْمَلَةِ:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ مُتَأَخَّرٍ يُقَدَّرُ بِمَا يُنَاسِبُ، وَالتَّقْدِيرُ هُنَا: بِسْمِ اللَّهِ أَقْرَأُ، وَالبَاءُ لِلِاسْتِعَانَةِ، وَالمُرَادُ بِاسْمِ اللَّهِ: كُلُّ اسْمٍ سَمِيَ بِهِ نَفْسَهُ. وَ﴿اللَّهُ﴾: اسْمُ اللَّهِ الْخَاصُّ بِهِ، وَمَعْنَاهُ: المَالُوءُ، أَي: المَعْبُودُ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا.

﴿الرَّحْمَنُ﴾: اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى، وَمَعْنَاهُ: ذُو الرَّحْمَةِ الوَاسِعَةِ.

﴿الرَّحِيمُ﴾: اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى، وَمَعْنَاهُ: المُوَصَّلُ لِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ.

ب- المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُعَلِّمُ اللَّهُ عِبَادَهُ أَنْ يَبْتَدِئَ القَارِئُ قِرَاءَتَهُ مُسْتَعِينًا بِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى، مُثْنِيًا عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ الوَاسِعَةِ الشَّامِلَةِ لِجَمِيعِ الخَلْقِ، الوَاصِلَةَ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، تَوْسُلاً إِلَى اللَّهِ هَذَا الشَّيْءُ أَنْ يَرْحَمَهُ بِالمَعُونَةِ عَلَى مَا أَرَادَ مِنْ قِرَاءَةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِمَّا سَمِيَ عَلَيْهِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْبَسْمَلَةِ:

١- مِنْهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ بِتَعْلِيمِهِمْ مَا يَنْفَعُهُمْ.

٢- إِثْبَاتُ اسْمِ (اللَّهِ، وَالرَّحْمَنِ، وَالرَّحِيمِ) لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ الصِّفَاتِ.

تفسير الفاتحة:

أ- تفسير الكلمات:

﴿الْحَمْدُ﴾: الاعتراف للمحمود بصفات الكمال مع محبته وتعظيمه.

﴿اللَّهُ﴾: اللام للاستحقاق، وسبق تفسير كلمة (الله) في البسملة.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خالق العالمين، المدبر لشؤونهم، والمراد بالعالمين: كلُّ

مَنْ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: سبق تفسيرهما في البسملة.

﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: يوم الجزاء، وهو يوم القيامة، وخص ملكه ليوم

الدِّينِ لَأَنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي تَتَلَاشَى فِيهِ جَمِيعُ الْمَلَكِيَّاتِ، وَلَا يُنَازَعُ فِيهِ مُنَازَعٌ، ﴿لَمَنْ أَمْلَكَ أَيُّومٌ لِلَّهِ الْوَجْدِ الْفَهَارِ﴾ [غافر: ١٦].

﴿إِيَّاكَ﴾: الخطابُ لله تعالى، و(إِيَّا) مفعولٌ مُقَدَّمٌ لـ ﴿نَعْبُدُ﴾.

﴿نَعْبُدُ﴾: نَقِصِدُ بِعِبَادَتِنَا، والعبادة: التَّدَلُّلُ لِلْمَعْبُودِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا، بِفِعْلِ

أوامره واجتناب نواهيه.

﴿وإِيَّاكَ﴾: الخطابُ لله تعالى، و(إِيَّا) مفعولٌ مُقَدَّمٌ لـ ﴿نَسْتَعِينُ﴾.

﴿نَسْتَعِينُ﴾: نَطْلُبُ الْعَوْنَ، وهو: المساعدة على الأمور، وقَدَّمَ الْمَفْعُولَ

عَلَيْهَا وَعَلَى ﴿نَعْبُدُ﴾ لإفادة الحصر والتخصيص، كأنه قال: لا نعبد إلا إِيَّاكَ،

وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَّا إِيَّاكَ.

﴿أَهْدِنَا﴾: دُلَّنَا وَأَلْزَمْنَا، وَهُوَ فِعْلٌ دُعَاءٍ.

﴿الصِّرَاطُ﴾: الطَّرِيقَ وَالْمَسْلَكَ.

﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾: الْمُسْتَوَى مِنْ دُونِ عَوَجٍ، وَالْمُرَادُ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الصِّرَاطُ الْمَعْنَوِيُّ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ يُوصَلُ إِلَيْهِ وَإِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ.

﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمُ النُّعْمَةَ، وَهِيَ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ بِهَدَايَتِهِمُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَالْمُرَادُ بِهِمُ: النَّبِيُّونَ، وَالصَّادِقُونَ، وَالشَّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: الَّذِينَ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ أَوْلِيَائُكَ، وَهُمْ كُلُّ مَنْ عَلِمَ الْحَقَّ وَكَفَّرَ بِهِ كَالْيَهُودِ، وَكَذَلِكَ النَّصَارَى بَعْدَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: مَعْطُوفٌ عَلَى الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَزِيدَتْ فِيهَا (لَا) تَوْكِيدًا، وَالضَّالُّ كُلُّ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ جَاهِلًا بِهِ كَالنَّصَارَى قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُحَمَّدُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ، وَيُنْبِي عَلَيْهَا، وَيُمَجِّدُهَا بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ؛ تَعْلِيمًا لِعِبَادِهِ أَنْ يُحْمَدُوهُ وَيُسَبِّحُوا عَلَيْهِ وَيُمَجِّدُوهُ بِذَلِكَ، فَيَحْمَدُ نَفْسَهُ تَعَالَى بِرُبُوبِيَّتِهِ الْعَامَةِ الشَّامِلَةِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَيُنْبِي عَلَى نَفْسِهِ بِرَحْمَتِهِ الشَّامِلَةِ الْوَاسِعَةِ الْوَاصِلَةِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَيُمَجِّدُ نَفْسَهُ بِالْمُلْكِ التَّامِّ وَالْعِظَمَةِ فِي يَوْمٍ تَتَلَاشَى فِيهِ جَمِيعُ الْمَلَائِكَاتِ، وَتَضَعُرُّ فِيهِ جَمِيعُ الْعِظَمَاتِ سِوَى مُلْكِ اللَّهِ وَعِظَمَتِهِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمُ الدِّينِ وَالْمَجَازَاةِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الْحَمْدِ وَالشُّنَاءِ وَالتَّمَجِيدِ لِلَّهِ تَعَالَى يُخَاطَبُ الْعَبْدُ رَبَّهُ مُعَلِّناً إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ؛ طَالِباً الْعَوْنَ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى جَمِيعِ أُمُورِهِ، ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ أَنْ يَهْدِيَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، الَّذِي يَسْلُكُهُ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَيَتَجَنَّبُهُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ وَالضَّالُّونَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنْ آيَاتِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ:

- ١- أَنْ الْمُسْتَحِقَّ لِلْحَمْدِ حَقِيقَةٌ هُوَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ٢- إِثْبَاتُ عُمُومِ رُبُوبِيَّتِهِ تَعَالَى لِجَمِيعِ الْخَلْقِ.
- ٣- إِثْبَاتُ سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَشُمُولِهَا، وَوُضُوعِهَا لِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ.
- ٤- أَنْ رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْخَلْقِ رُبُوبِيَّةٌ رَحِيمَةٌ، لِأَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالرَّحْمَةِ بَعْدَ وَصْفِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ.
- ٥- إِثْبَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْجَزَاءِ فِيهِ عَلَى الْأَعْمَالِ.
- ٦- انْفِرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُلْكِ التَّامِّ وَالسُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، حَيْثُ تَتَلَاشَى الْمَلَائِكَةُ وَالسُّلْطَاتُ لغيره تَعَالَى.
- ٧- إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ.
- ٨- طَلْبُ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَهْدِيَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.
- ٩- أَنَّ النُّعْمَةَ الْحَقِيقِيَّةَ نِعْمَةُ الدِّينِ.
- ١٠- أَنَّ النَّاسَ يُنْقَسِمُونَ فِي سُلُوكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:
 ■ قِسْمٌ عِلْمُوهُ وَسَلَكُوهُ؛ وَهُمْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

■ وَقَسَمَ عِلْمُوهُ وَكَفَرُوا بِهِ؛ وَهُمْ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ.

■ وَقَسَمَ جَهْلُوهُ وَضَلُّوا عَنْهُ؛ وَهُمْ الضَّالُّونَ.

١١- نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِتَعْلِيمِهِمْ مَا تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْعَظِيمَةُ مِنْ حَمْدِهِ،
وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَتَمْجِيدِهِ، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَاسْتِعَانَتِهِ، وَطَلْبِ الْهُدَايَةِ مِنْهُ.

مِن آيَاتِ الطَّهَارَةِ

النوع الأول

الآية الأولى إلى الثالثة:

٨-١٠- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحَيِّيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ، مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأَنْاسِيَ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ [الفرقان: ٤٨-٥٠].

من آيات الطهارة

الطَّهَارَةُ فِي اللَّعَّةِ: النَّظَافَةُ.

وفي الشَّرْعِ: تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: طَهَارَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، وَهِيَ تَطْهِيرُ الْقَلْبِ مِنْ الشَّرْكَ وَالْإِرَادَاتِ السَّيِّئَةِ وَالْأَخْلَاقِ السَّافِلَةِ، وَطَهَارَةٌ حِسِّيَّةٌ، وَهِيَ تَطْهِيرُ الْبَدَنِ بِالْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ، وَإِزَالَةَ النَّجَاسَةِ.

النوع الأول: أي: من آيات الطهارة، وموضوعه: حُكْمُ الْمَاءِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ وَالتَّابِعِ مِنَ الْأَرْضِ.

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ رَقْمَ ٨ - ١٠:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿أَرْسَلَ﴾: أَطْلَقَ أَوْ وَجَّهَ.

﴿الرِّيحَ﴾: جَمْعُ رِيحٍ، وَهُوَ نَسِيمُ الْهَوَاءِ وَأُمَّهَاتُهَا أَرْبَعٌ:

- الصَّبَا: بِفَتْحِ الصَّادِ، وَهِيَ الشَّرْقِيَّةُ تَهْبُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ.

- الدَّبُورُ: بِفَتْحِ الدَّالِ، وَهِيَ الْغَرْبِيَّةُ تَهْبُ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ.

- الشَّالُ: بِفَتْحِ الشَّيْنِ، تَهْبُ مِنْ يَمِينِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ.

- الْجَنُوبُ: بِفَتْحِ الْجِيمِ، تَهْبُ مِنْ يَسَارِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ.

وَلِكُلِّ مِنْهَا خَصَائِصٌ وَمِيزَاتٌ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿بُشْرًا﴾: بَضْمُ الْبَاءِ وَسُكُونُ الشَّيْنِ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ ﴿الرِّيحِ﴾، جَمْعُ

بَشِيرٍ، وَهُوَ الْمَخْبِرُ بِمَا يَسُرُّ.

﴿بِتَ يَدَي رَحْمَتِهِ﴾: أَي أَمَامَ رَحْمَتِهِ.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: مِنَ السَّحَابِ، سُمِّيَ سَاءً لِعُلُوِّهِ وَارْتِفَاعِهِ، وَكُلُّ مَا عَلَاكَ

فَهُوَ سَاءٌ.

﴿مَاءً﴾: أَي مَطْرًا.

﴿طَهُورًا﴾: بِفَتْحِ الطَّاءِ، طَاهِرًا مُطَهَّرًا.

﴿لِتُخَيَّ بِهٖ بَلَدَةٌ مَيْتًا﴾: اللَّامُ لِلتَّغْلِيلِ، وَالْمُرَادُ بِإِحْيَاءِ الْبَلَدَةِ إِحْيَاءُ أَشْجَارِهَا

وَزُرُوعِهَا بَعْدَ أَنْ مَاتَتْ مِنْ قِلَّةِ الْمَطْرِ.

﴿أَنْعَمًا﴾: جَمْعُ نَعَمٍ، وَهِيَ الْإِبِلُ، أَوِ الْمُرَادُ هِيَ وَغَيْرُهَا.

﴿وَأَنَاسِيَّ﴾: جَمْعُ إِنْسِيٍّ، أَوْ جَمْعُ إِنْسَانٍ، وَهُوَ الْآدَمِيُّ.

﴿صَرَفْنَاهُ﴾: وَزَعْنَاهُ، أَي: المَاءَ الْمُنَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ.

﴿بَيْنَهُمْ﴾: بَيْنَ الْإِنْسَانِيِّ، فَهَذَا يُمَطَّرُ كَثِيرًا، وَهَذَا يُمَطَّرُ قَلِيلًا، وَهَذَا يُمَسَّكُ عَنْهُ الْمَطْرُ.

﴿يَذَكِّرُوا﴾: أَي لِيَتَذَكَّرُوا بِذَلِكَ حِكْمَةَ اللَّهِ، وَيَشْكُرُوهُ عِنْدَ نُزُولِهِ، وَيَتَصَرَّعُوا إِلَيْهِ عِنْدَ إِمْسَاكِهِ.

﴿فَأَبَى﴾: فَاغْتَنَعَ، وَالْمُرَادُ: لَمْ يَرْضَ.

﴿إِلَّا كُفْرًا﴾: أَي إِلَّا كُفْرًا.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِتَمَامِ قُدْرَتِهِ وَنِعْمَتِهِ، حَيْثُ يُطْلِقُ الرِّيَّاحَ مُقَدِّمَةً لِنُزُولِ الْغَيْثِ، فَيُنشِئُ اللَّهُ بِهَا السَّحَابَ، وَيُنزِلُ مِنْهُ مَطْرًا طَهُورًا، تَحْيَا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَتَنْبِتُ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ، وَيَشْرَبُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ مِنْهُ.

وَيُبَيِّنُ تَعَالَى حِكْمَتَهُ بِتَوْزِيعِ هَذَا الْمَطَرِ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى يَتَذَكَّرُوا فَيَشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ نُزُولِهِ، وَيَتُوبُوا إِلَيْهِ عِنْدَ حَبْسِهِ أَوْ قَلَّتِهِ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَرْضَى مُقَابِلَ ذَلِكَ إِلَّا الْكُفْرَ، فَلَا يَشْكُرُ اللَّهَ عِنْدَ نُزُولِهِ، وَلَا يَتُوبُ إِلَيْهِ عِنْدَ حَبْسِهِ أَوْ قَلَّتِهِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

١- بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِإِنزَالِ الْمَطَرِ مِنَ السَّحَابِ.

٢- أَنَّ كُلَّ مَاءٍ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَهُوَ طَهُورٌ، أَي: طَاهِرٌ بِنَفْسِهِ مُطَهَّرٌ لغيرِهِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْإِسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.

- ٣- بَيَانُ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى نُزُولِ الْمَطَرِ، وَهِيَ: إِحْيَاءُ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَسَقْيِ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ.
- ٤- بَيَانُ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِتَوْزِيعِ الْمَطَرِ بَيْنَ النَّاسِ، وَهِيَ أَنْ يَتَذَكَّرَ النَّاسُ بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ نُزُولِهِ، وَبِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ عِنْدَ حَبْسِهِ أَوْ قِلَّتِهِ.
- ٥- أَنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُقَابِلُونَ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِالْكَفْرِ.

الآية الرابعة:

١١- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٢١].

تفسير الآية رقم ١١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾: أَلَمْ تَعْلَمْ، أو: أَلَمْ تَنْظُر، والاستفهام للتقرير، والخطاب للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب.

﴿ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهُمَا فِي الْآيَةِ رَقْمَ (٨).

﴿ فَسَلَكَهُ ﴾: فَأَدْخَلَهُ.

﴿ يَنْبِيعَ ﴾: أَي فِي أَمْكِنَةٍ يَنْبُعُ مِنْهَا الْمَاءُ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ.

﴿ يُخْرِجُ بِهِ ﴾: يُنْبِتُ بِسَبَبِهِ.

﴿ زَرْعًا ﴾: نَبَاتًا نَامِيًا.

﴿ مُخْتَلِفًا ﴾: مُتَغَايِرًا.

﴿ أَلْوَانُهُ ﴾: أَي أَنْوَاعُهُ فِي الْمَنْظَرِ وَالطَّعْمِ وَالرَّيْحِ، وَغَيْرِهَا.

﴿ يَهِيجُ ﴾: يَبْسُ.

﴿ فَتَرَاهُ ﴾: فَتُبْصِرُهُ.

﴿مُصْفَرًا﴾: مُتَغَيَّرًا إِلَى صُفْرَةٍ لِيُبَوِّسَتْهُ.

﴿حُطَامًا﴾: فَتَاتًا مُتَكَسِّرًا.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: فِيمَا ذُكِرَ مِنْ أَنْزَالِ الْمَاءِ وَمَا ذُكِرَ بَعْدَهُ.

﴿لَذِكْرِي﴾: لَتَذْكَرَةَ وَمَوْعِظَةً.

﴿لِأُولَى﴾: لِأَصْحَابِ.

﴿الْأَلْبَابِ﴾: الْعُقُولِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُفَرِّقُ اللَّهُ تَعَالَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِمَّا يَرَوْنَهُ بِأَعْيُنِهِمْ مِنْ أَنْزَالِ الْمَطَرِ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ إِدْخَالِهِ فِي أُمُكِنَةٍ مَحْفُوظَةٍ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، يَنْبُعُ مِنْهَا الْمَاءُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَفْسُدُ فَيَفْسُدُ بِهِ الْهَوَاءُ، ثُمَّ نِعْمَةٌ ثَالِثَةٌ: إِخْرَاجُ مُخْتَلَفِ النَّبَاتِ بِهِ حَتَّى تَزْدَانَ الْأَرْضُ وَتَزْدَهْرَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَذْبُلُ هَذَا النَّبَاتُ فَيَبْسُ وَيَضْفَرُ وَيَتَحَوَّلُ إِلَى حُطَامٍ مُتَفَتَّتٍ، فِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْعُقُولِ، الَّذِينَ يُدْرِكُونَ تَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ، وَأَنْ مَالَ مَا كَمَلَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَنْ يَعُودَ إِلَى النَّقْصِ وَالِاضْمِحْلالِ، وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ:

إِذَا تَمَّ شَيْءٌ بَدَأَ نَقْصُهُ تَرَقَّبَ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ^(١)

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

١- تَمَامُ نِعْمَةِ اللَّهِ بِأَنْزَالِ الْمَطَرِ، وَإِدْخَالِهِ فِي أُمُكِنَةِ الْيُنَائِيْعِ مِنَ الْأَرْضِ.

(١) ذكره صاحب نفع الطيب غير منسوب (٢/٣٥٩).

- ٢- أن كل ماء نبع من الأرض فهو طهور، لأنه من ماء السماء، وهو طهور كما سبق في الآية رقم (٨)، وهذا محل الاستشهاد بالآية.
- ٣- تمام قدرة الله ونعمته بإخراج أنواع النبات المختلفة لعباده بهذا المطر.
- ٤- العبرة العظيمة بما تنتهي إليه هذه النباتات بعد كم إليها.
- ٥- فضل أصحاب العقول، حيث إنهم هم المتعظون بالآيات.

النوع الثاني

الآية الأولى:

١٢- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

النوع الثاني: أي: من آيات الطهارة، وموضوعه: حُكْمُ الأواني.

تفسير الآية رقم ١٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿هُوَ﴾: أي الله.

﴿خَلَقَ﴾: أوجد.

﴿لَكُمْ﴾: الخطاب للناس، واللأم للتعليل، أي: لأجلكم، أو للإباحة والتتمليك، أي: مباحًا وملكا لكم.

﴿أَسْتَوَىٰ﴾: قصد بإرادة كاملة.

﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾: أي: إلى السموات، فالسماء بمعنى الجمع.

﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾: أكمل خلقهن.

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾: أي مما كان وما يكون.

﴿عَلِيمٌ﴾: محيطٌ علماً بحاله وماله، لا يخفى عليه شيء.

ب- المعنى الإجمالي:

يَذْكُرُ اللهُ مِتَّةَهُ عَلَى عِبَادِهِ بِأَنَّهُ أَوْجَدَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ لِمَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَنْتَفِعُونَ بِهِ بِلا حَظْرٍ وَلَا مَنَعٍ إِلَّا مَا مَنَعَهُمُ اللهُ مِنْهُ، ثُمَّ يُبَيِّنُ أَنَّهُ بَعْدَ خَلْقِ ذَلِكَ لَهُمْ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَأَكْمَلَ خَلْقَهَا، وَجَعَلَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- تَمَامُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْنَا، حَيْثُ خَلَقَ لَنَا جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ.
- ٢- أَنَّ الْأَصْلَ فِي جَمِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ أَنَّهُ حَلَالٌ لَنَا، سِوَا مَا كَانَ حَيَوَانًا أَوْ نَبَاتًا أَوْ غَيْرَهُمَا، نَتَنَفَعُ بِهِ فِي جَمِيعِ وَجُوهِ الْإِنْتِفَاعِ، إِلَّا مَا مَنَعَ الشَّرْعُ مِنْهُ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْعَمُومِ الْأَوَّانِي، وَهَذَا مَحَلُّ الْإِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٣- أَنَّ خَلْقَ السَّمَوَاتِ بَعْدَ خَلْقِ الْأَرْضِ.
- ٤- أَنَّ السَّمَوَاتِ سَبْعٌ.
- ٥- عُمُومُ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى بِكُلِّ شَيْءٍ، حَاضِرٍ أَوْ مَاضٍ أَوْ مُسْتَقْبَلٍ.

الآية الثانية والثالثة:

١٣-١٤ ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوهاَ شَهْرٌ وَرَوَّاحُهاَ شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ
وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم عَن أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ
﴿١٣﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَحِفَانٍ كَلْجَوَابٍ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا
عَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٢-١٣].

تفسير الآيتين رقم ١٣-١٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾: هو ابن داود، أحد أنبياء بني إسرائيل، جمع الله له بين النبوة
والملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده، وسخر له الجن، وعلمه منطق الطير،
والجار والمجرور متعلق بمحذوف، وتقديره سخرنا.

﴿الرِّيحَ﴾: الهوَاء.

﴿غُدُوهاَ﴾: سيرها في الغداة من أول النهار إلى زوال الشمس.

﴿شَهْرٌ﴾: أي مسيرة شهر.

﴿وَرَوَّاحُهاَ﴾: بفتح الراء، سيرها في الرواح من الزوال إلى الغروب.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ﴾: أجرنا له، واللام للتعليل.

﴿عَيْنَ الْقَظْرِ﴾: عين النحاس الذائب.

﴿وَمِنَ الْجِنِّ﴾: من حرف جر ومعناها التبعض، والجن عالم غيبي أرضي،

خلقوا من نار، وكلّفوا بعبادة الله تعالى، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار.

﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: بَيْنَ يَدَيْ سَلِيحَانَ، أَي أَمَامَهُ.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: بِأَمْرِ رَبِّهِ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿زَيْغٌ﴾: مِنَ الزَّيْغِ، وَهُوَ الْمَيْلُ، أَي: مَنْ يَمِيلُ فَلَا يَمْتَثِلُ أَمْرَ اللَّهِ.

﴿السَّعِيرِ﴾: النَّارُ.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ﴾: أَي لِسَلِيحَانَ، وَالْجُمْلَةُ بَيَانٌ لـ ﴿يَعْمَلُ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ يَعْمَلُ

بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

﴿مِنْ تَحْرِيْبٍ﴾: مِنْ بَيَانٍ لـ ﴿مَا﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا يَشَاءُ﴾، وَالْمَحَارِبُ الْأَبْنِيَّةُ

الرَّفِيعَةُ، الْحَسَنَةُ الشَّكْلِ، الْمُحْكَمَةُ الْبِنَاءِ.

﴿وَتَمَثِيلِ﴾: جَمْعُ تَمَثَالٍ، وَهُوَ الصُّورَةُ، وَجُمِعَتْ لِأَنَّهَا أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ.

﴿وَجِفَانٍ﴾: جَمْعُ جَفْنَةٍ، وَهِيَ الصَّخْفَةُ الَّتِي يُوَضَعُ فِيهَا الطَّعَامُ لِلْأَكْلِ.

﴿كَالْجَوَابِ﴾: جَمْعُ جَابِيَةٍ، وَهِيَ بَرَكَةُ الْمَاءِ.

﴿وَقُدُورٍ﴾: جَمْعُ قَدْرٍ، وَهُوَ الْإِنَاءُ الَّذِي يُطْبَخُ فِيهِ.

﴿رَأْسِيْنَ﴾: ثَابِتَاتٌ لِكِبْرِيهَا وَكَثْرَةِ الطَّبْخِ فِيهَا فَلَا تُنْزَلُ.

﴿ءَالَ دَاوُدَ﴾: أَي: يَا آلَ دَاوُدَ، وَالْمُرَادُ بِهِمْ: دَاوُدُ وَذُرِّيَّتُهُ وَأَهْلُهُ.

﴿شُكْرًا﴾: مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، أَي: اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ عَمَلَ شُكْرٍ، أَوْ مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ،

أَي: اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ عَمَلًا صَالِحًا لِأَجْلِ الشُّكْرِ لِلَّهِ.

وَالشُّكْرُ: شُعُورُ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ بِفَضْلِ الْمُنْعَمِ، وَاعْتِرَافُهُ لَهُ بِذَلِكَ بِلِسَانِهِ، وَالْقِيَامُ

بِطَاعَتِهِ.

﴿الشَّكُورُ﴾: الْقَائِمُ بِشُكْرِ النَّعْمِ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَخَبْرُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَقَلِيلٌ﴾.

ب- المعنى الإجمالي:

يَقْضِي اللهُ تَعَالَى عَلَيْنَا مَا مَنَّ بِهِ عَلَيَّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ مِنَ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ؛ حَيْثُ سَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِهِ حَيْثُ أَرَادَ بِسُرْعَةٍ عَظِيمَةٍ، بِحَيْثُ تَقَطَّعُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ فِي نِصْفِ نَهَارٍ رُخَاءً مِنْ غَيْرِ إِزْعَاجٍ، ذَكَرُوا أَنَّ لَهُ سِطَاطًا مِنَ الْحَشَبِ يَضَعُ عَلَيْهِ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَى اضْطِحَابِهِ مَعَهُ، ثُمَّ يَرْكَبُهُ فَتَحْمِلُهُ الرِّيحُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

وَحَيْثُ أَذَابَ اللهُ تَعَالَى لَهُ النُّحَاسَ حَتَّى سَأَلَ لَيْسَهْلَ مَا يُرِيدُ صِنَاعَتَهُ مِنْهُ.

وَحَيْثُ سَخَّرَ لَهُ الْجِنَّ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ غَائِبًا عَنْهُ بِإِذْنِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الْمُحْكَمَةِ الشَّاهِقَةِ، وَالصُّورِ الْبَدِيعَةِ الْعَجِيبَةِ، وَالصِّحَافِ الْكَبِيرَةِ الْوَاسِعَةِ، وَالْقُدُورِ الْعَظِيمَةِ الثَّابِتَةِ.

ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى آلَ دَاوُدَ جَمِيعًا أَنْ يَشْكُرُوا اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ، وَيُبَيِّنُ أَنَّ الْقَائِمَ بِشُكْرِ اللهِ مِنْ عِبَادِهِ قَلِيلٌ، حَصًّا لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَلِيلِ، وَتَحْذِيرًا أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْكَثِيرِ الْكَافِرِ بِنِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

١- تَمَامُ نِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ سُلَيْمَانَ، بِمَا سَخَّرَ لَهُ مِنَ الرِّيحِ، وَالْجِنِّ، وَإِذَابَةِ النُّحَاسِ حَتَّى صَارَ عَيْنًا جَارِيَةً.

٢- الْآيَةُ الْعَظِيمَةُ لِسُلَيْمَانَ الدَّالَّةُ عَلَى كِمَالِ قُدْرَةِ اللهِ فِي تَسْخِيرِ الرِّيحِ، وَالْجِنِّ، وَإِذَابَةِ النُّحَاسِ.

- ٣- أن الجنَّ أجسادٌ لا أرواحٌ مُجَرَّدَةٌ، مُكَلَّفُونَ بطاعةِ الله تعالى، ومن زاعَ منهم عن أمرِهِ عَذَّبَهُ بالنار.
- ٤- جوازُ اتِّخَاذِ الأبنيةِ العَظيمةِ المُزخرفَةِ إذا لم يصلُ ذلك إلى حدِّ الإسرافِ.
- ٥- جوازُ اتِّخَاذِ الأوانيِ الكَبرى عِنْدَ الحاجةِ لِذَلِكَ، وهذا محلُّ الاستشهادِ بالآيتين.
- ٦- وَجُوبُ شُكْرِ اللهِ تعالى على نِعَمِهِ.
- تَنْبِيهُ: الصُّورُ التي يَعمَلُها الجنُّ لسليمانَ إن كانت لغيرِ الحيوانِ فَهي جائِزةٌ في شَرِيعَتِنَا، كما هي جائِزةٌ في شريعةِ سليمانَ، وإن كَانَتْ لِلحَيوانِ وَغَيرِهِ فَهي مَمْنُوعَةٌ في شَرِيعَتِنَا بالنسبةِ للحيوانِ، واللهُ - سبحانه وتعالى - يَشْرَعُ لِعِبَادِهِ ما شاء ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتِنَاكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨].

النوع الثالث

الآية الأولى والثانية:

١٥-١٦- ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالرِّسَالَةِ لِيُمَيِّنَ اللَّهُ مِثْقَالَهُمْ فِيهِمْ مِنَ قَبْلِ وَلِيحْلِفَنَّ إِنَّ أَرْدَنَّا إِلَّا الْحُسَيْنِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا نَقَمُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ
تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿التوبة: ١٠٧-١٠٨﴾

النوع الثالث: أي: من آيات الطهارة، وموضوعه: حكم الاستنجاء
والاستجمار.

تفسير الآيتين رقم ١٥ - ١٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو عاطفة للجمله على ما قبلها، و«الَّذِينَ» مبتدأ خبره
محدوف، والتقدير: ومنهم الذين، وهم جماعة من المنافقين.

﴿اتَّخَذُوا﴾: أسسوا أو بنوا.

﴿ضِرَارًا﴾: مفعول من أجله، أي: مضارة لأهل مسجد قباء القريب منه.

﴿وَكُفْرًا﴾: معطوف على ﴿ضِرَارًا﴾، أي: تقوية للكفر.

﴿وَتَفْرِيقًا﴾: معطوف على ﴿ضِرَارًا﴾، أي: تشييتا.

﴿بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : بَيْنَ الْمُخْلِصِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ لَا يَجْتَمِعُوا فِي مَسْجِدٍ وَاحِدٍ، فَتتَأَلَّفُ قُلُوبُهُمْ، وَتتَوَحَّدُ كَلِمَتُهُمْ، وَيَعَزُّ جَانِبُهُمْ.
﴿وَأَرْصَادًا﴾ : مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿ضَرَارًا﴾، أَي: انْتِظَارًا وَإِعْدَادًا.

﴿لَمَنْ حَارَبَ﴾ : عَادَى وَنَابَذَ، وَالْمُرَادُ بِهِ: أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ كَانَ قَدْ تَنَصَّرَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ عَادَاهُ، فَلَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ نَبِيَّهُ فِي بَدْرِ خَرَجَ أَبُو عَامِرٍ إِلَى قُرَيْشٍ فَالَبَّهُمْ عَلَى قِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَتْ غَزْوَةٌ أُحُدٍ، وَلَمَّا رَأَى أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَعْظُمُ وَدِينُهُ يَعْلو ذَهَبَ إِلَى هِرَقْلَ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَكَتَبَ إِلَى قَوْمِهِ مِنْ ذَوِي النَّفَاقِ فِي الْمَدِينَةِ أَنَّهُ قَادِمٌ عَلَيْهِمْ بِجَيْشٍ مِنَ الرُّومِ يقاتِلُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا لَهُ مَعْقَلًا لِمَنْ يَقْدَمُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِهِ وَمَرْصَدًا لَهُ إِذَا قَدِمَ، فَشَرَعُوا فِي بِنَاءِ هَذَا الْمَسْجِدِ، وَطَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَصلي فِيهِ، لِيَحْتَجُّوا بِصَلَاتِهِ فِيهِ عَلَى إِثْبَاتِهِ وَتَقْرِيرِهِ.

﴿مِنْ قَبْلِ﴾ : مُتَعَلِّقٌ بِ﴿حَارَبَ﴾، أَي: حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلِ اتِّخَاذِ الْمَسْجِدِ.

﴿وَلِيَحْلِفَنَّ﴾ : وَلِيُقْسِمَنَّ، أَي: مُتَّخِذُوا هَذَا الْمَسْجِدِ.

﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾ : مَا قَصَدْنَا بِنَاءِ الْمَسْجِدِ هَذَا.

﴿إِلَّا الْحُسْنَى﴾ : أَي: إِلَّا الْفِعْلَةَ الْحُسْنَى، وَهِيَ عَلَى زَعْمِهِمْ: الرِّفْقُ بِالضَّعِيفِ، وَالضَّرِيرِ، وَالْبَعِيدِ عَنِ مَسْجِدِ قُبَاءٍ.

﴿لَكِنْدُبُونَ﴾ : لَمْخَبِرُونَ بِخِلَافِ الْوَاقِعِ فِيْمَا أَقْسَمُوا عَلَيْهِ.

﴿لَا نَقَمُ﴾ : لَا نَاهِيَةٌ، وَالْحِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، أَي: لَا تَقَمُ لِلصَّلَاةِ فِيهِ.

﴿فِيهِ﴾: أَي: فِي هَذَا الْمَسْجِدِ الَّذِي بُنِيَ لِهَذِهِ الْأَغْرَاضِ السَّيِّئَةِ.

﴿أَبَدًا﴾: ظَرْفٌ يَفِيدُ الدَّوَامَ وَالِاسْتِمْرَارَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

﴿لَمَسْجِدٌ﴾: اللام للابتداء، وَمَسْجِدٌ مُبْتَدَأٌ خَبْرُهُ: ﴿أَحَقُّ﴾.

﴿أُسِّسَ﴾: أُرْسِيَتْ قَوَاعِدُ بُنْيَانِهِ.

﴿عَلَى التَّقْوَى﴾: أَي: تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِالْإِخْلَاصِ لَهُ وَنِيَّةِ جَمْعِ الْمُؤْمِنِينَ

فِيهِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ.

﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: أَي: مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ تَأْسِيسِهِ، وَهُوَ مَسْجِدٌ قِبَاءً.

﴿أَحَقُّ﴾: أَوْلَى وَأَثْبَتٌ.

﴿أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾: أَي: بِأَنْ تَقُومَ فِيهِ لِلصَّلَاةِ مِنْ مَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى الْأَغْرَاضِ

السَّيِّئَةِ.

﴿فِيهِ﴾: أَي: فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى.

﴿يُحِبُّونَ﴾: يَرِغَبُونَ بِصِدْقٍ، وَمَنْ رَغِبَ شَيْئًا سَعَى فِي تَحْصِيلِهِ.

﴿يَنْظَهُرُوا﴾: يَنْتَزِعُوا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَحْدَاثِ وَالْأَنْجَاسِ.

﴿الْمُطَهَّرِينَ﴾: بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ، وَهَاءِ الْمَكْسُورَةِ، أَي: الْمُتَطَهَّرِينَ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

لَمْ يَزَلِ الْمَنَافِقُونَ - وَهُمْ: الَّذِينَ كَفَرُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَأَظْهَرُوا أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ -

لَمْ يَزَالُوا يُضْمِرُونَ الْحَقْدَ وَالْكَرَاهَةَ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَيَسْعُونَ بِكُلِّ مَكْرٍ وَدَهَائٍ

للقضاء عليه، وتفریق أهله، وفي هاتين الآيتين ذكر الله تعالى أنموذجاً من مكرهم وخداعهم، وذلك أنهم بنوا مسجداً بقرب مسجد قباء المعروف شرقي المدينة، زعموا أنهم يريدون بذلك الخير والرفق بالضعفاء والبعيدین عن مسجد قباء، وهم كاذبون في ذلك، وإنما قصدوا به الضرار بأهل قباء، والتفریق بينهم، وتقوية الكفر والإزصاد لمن حارب الله ورسوله من قبل كابي عامر الراهب، وقد طلبوا من النبي ﷺ أن يصلي فيه لإضفاء الصبغة الشرعية عليه؛ ولكن الله تعالى نهاه أن يصلي فيه أبداً، ويبن أن المسجد الذي أسس على التقوى وهو مسجد قباء أولى وأجدر أن يصلي فيه، لكونه مبنياً على تقوى الله، وأن أهله قوم يتطهرون من الذنوب والأحداث والأنجاس - رضي الله عنهم -.

ج- ما يستفاد من الآيتين:

- ١- حُبُّ طَوِيَّةِ الْمُنَافِقِينَ، وَسَعِيهِمْ بِكُلِّ مَكْرٍ وَخِدَاعٍ لِلْقَضَاءِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.
- ٢- أَنَّ بِضَاعَةَ الْمُنَافِقِينَ فِي إِخْفَاءِ كَفْرِهِمُ الْحِلْفُ الْكَاذِبُ.
- ٣- تَحْرِيمُ مُسَانَدَةِ الْمُنَافِقِينَ فِي مَكْرِهِمْ وَخِدَاعِهِمْ.
- ٤- تَحْذِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَظَاهَرُوا بِالصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ.
- ٥- تَحْرِيمُ بِنَاءِ مَسْجِدٍ يَحْصُلُ بِهِ الْإِضْرَارُ عَلَى مَسْجِدِ بَقْرِيهِ، وَتَفْرِيقُ جَمَاعَتِهِ.
- ٦- اسْتِحْبَابُ اخْتِيَارِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ الْمَعْرُوفَةِ بِإِخْلَاصِ بَانِيهَا، وَتَأْسِيسِهَا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.
- ٧- اسْتِحْبَابُ الصَّلَاةِ مَعَ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالطَّهَارَةِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْأَنْجَاسِ.

٨- فَضِيلَةُ مَسْجِدِ قُبَاءٍ.

٩- الشَّاءُ عَلَى أَهْلِ قُبَاءٍ بِمَحَبَّتِهِمْ لِلطَّهَارَةِ وَتَطَهَّرِهِمْ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ اسْتِنْجَائِهِمْ مِنَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ بَعْدَ اسْتِجْمَارِهِمْ بِالْأَحْجَارِ^(١)، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِينَ.

١٠- إِثْبَاتُ الْمَحَبَّةِ مِنَ اللَّهِ.

١١- فَضِيلَةُ التَّطَهُّرِ لِكُونِ اللَّهِ تَعَالَى يُحِبُّ أَهْلَهُ.

(١) وهو حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءٍ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا﴾، قَالَ: «كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْمَاءِ، فَتَرَكْتُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ». أخرجه أبو داود: كتاب الطهارة، باب في الاستنجاء بالماء، رقم (٤٤)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، رقم (٣١٠٠)، وابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالماء، رقم (٣٥٧).

النوع الرابع

١٧- ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

النوع الرابع: أي: من آيات الطهارة، وموضوعه: الوضوء والغسل والتيمم.

تفسير الآية رقم ١٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾: صدَّقوا بما يجب الإيمان به مع القبول والإذعان.

﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾: إذا أردتم القيام.

﴿الصَّلَاةِ﴾: هي عبادة ذات أقوال وأفعال، مُفْتَحَةٌ بالتكبير، مُحْتَمَةٌ بالتسليم.

﴿فَاغْسِلُوا﴾: طهروا بالماء.

﴿وُجُوهَكُمْ﴾: جمع وجه، وهو معروف، وحده: من منابت شعر الرأس

المعتاد إلى ما نزل من اللحية والدفن طولاً، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾: جمع يد، وهي العضو المعروف.

﴿إِلَى﴾: قِيلَ: إِنَّهَا بِمَعْنَى مَعَ، وَقِيلَ: لِلغَايَةِ الَّتِي دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى دُخُولِ

مَا بَعْدَهَا.

﴿الْمَرَافِقِ﴾: جَمْعُ مَرْفِقٍ، وَهُوَ: مِفْصَلُ الْعَضِدِ مِنَ الذَّرَاعِ.

﴿وَأَمْسَحُوا﴾: أَمَرُوا أَيْدِيَكُمْ مَبْلُوءَةً بِالْمَاءِ.

﴿بِرءُوسِكُمْ﴾: الْبَاءُ حَرْفُ جَرٍّ، وَمَعْنَاهَا: الْإِلْصَاقُ، لِأَنَّ الْمَاسِحَ يُلْصِقُ يَدَهُ

بِالْمَسُوحِ.

وَالرُّؤُوسُ جَمْعُ رَأْسٍ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ، وَحَدُّهُ: مَنَابِتُ الشَّعْرِ مِنْ جَوَانِبِ الْوَجْهِ

إِلَى أَعْلَى الرَّقَبَةِ.

﴿وَأَرْجَلِكُمْ﴾: أَرْجُلٌ بِالنَّصْبِ مَعْطُوفَةٌ عَلَى وَجْهِكُمْ، أَي: وَاغْسِلُوا

أَرْجُلَكُمْ، وَالْأَرْجُلُ جَمْعُ رِجْلٍ، وَهِيَ الْعُضْوُ الْمَعْرُوفُ.

﴿إِلَى﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾.

﴿الْكَعْبَيْنِ﴾: ثَنِيَّةُ كَعْبٍ، وَهُوَ الْعَظْمُ النَّاتِيءُ فِي أَسْفَلِ السَّاقِ.

﴿جُنْبًا﴾: ذَوِي جَنَابَةٍ، وَالْجَنَابَةُ حَدَثٌ مِنْ إِنْزَالِ مَنِيٍّ أَوْ جَمَاعٍ.

﴿فَاطَّهَّرُوا﴾: اغْتَسَلُوا بِالْمَاءِ.

﴿مَرَضَى﴾: جَمْعُ مَرِيضٍ، وَالْمَرِيضُ: مَنْ خَرَجَتْ صِحَّتُهُ عَنِ الْإِعْتِدَالِ الطَّبِيعِيِّ.

وَالْمُرَادُ بِهِمْ هُنَا: الْمَرَضَى الَّذِينَ يُضَرُّهُمْ اسْتِعْمَالُ الْمَاءِ، أَوْ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ مَشَقَّةٌ فِيهَا

حَرَجٌ وَضِيقٌ.

﴿سَفَرٍ﴾: السَّفَرُ: مُفَارَقَةُ مَحَلِّ الْإِقَامَةِ عَلَى وَجْهِ يُسَمَّى سَفْرًا.

﴿الغَائِطُ﴾: المكانُ الْمُتَخَفِضُ مِنَ الْأَرْضِ، كَانُوا يَقْصِدُونَهُ قَبْلَ بِنَاءِ الْمَرَاحِضِ لِقَضَاءِ حَاجَةِ الْحَدَثِ، وَكُنُوا بِالْإِتْيَانِ مِنْهُ عَنِ الْحَدَثِ نَفْسِهِ، فَالْمَعْنَى: أَوْ أَحَدَثَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بَبُولٍ أَوْ غَائِطٍ.

﴿لَمَسْتُمْ﴾: جَامِعْتُمْ.

﴿تَجِدُوا﴾: تُدْرِكُوا بَعْدَ الْبَحْثِ وَالطَّلَبِ بِلَا مَشَقَّةٍ.

﴿مَاءٌ﴾: أَي: مَاءٌ طَهُورًا.

﴿فَتَيَمَّمُوا﴾: فاقْصِدُوا.

﴿صَعِيدًا﴾: أَي: وَجْهًا مِنَ الْأَرْضِ.

﴿طَيِّبًا﴾: طَهُورًا.

﴿فَأَمْسَحُوا﴾: فَأَمْرُوا أَيْدِيَكُمْ.

﴿بِوُجُوهِكُمْ﴾: الْبَاءُ لِلْإِلْصَاقِ، وَتَقَدَّمَ حَدُّ الْوَجْهِ.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾: جَمْعُ يَدٍ، وَهِيَ: الْكَفُّ مِنْ مِفْصَلِ الذَّرَاعِ إِلَى أَعْلَى الْأَصَابِعِ.

﴿مَا يُرِيدُ﴾: مَا يُحِبُّ.

﴿مَنْ حَرَجَ﴾: مِنْ شِدَّةٍ وَضِيقٍ، وَمِنْ زَائِدَةٍ لِلتَّوَكِيدِ.

﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: لِيَجْعَلَكُمْ طَاهِرِينَ مِنَ الْحَدَثِ، بِالْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ وَالتَّيَمُّمِ.

﴿وَلِيُكْمِلَ﴾: لِيُكْمِلَ.

﴿نِعْمَتَهُ﴾: فَضْلَهُ وَإِحْسَانَهُ بِالتَّيْسِيرِ عَلَيْكُمْ.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿تَشْكُرُونَ﴾: سَبَقَ مَعْنَى الشُّكْرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ رَقْم (١٤).

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يُنَادِي اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ الْمُقْتَضِي لِفِعْلِ أَوْامِرِ اللهِ تَعَالَى وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، فَيَأْمُرُهُمْ إِذَا أَرَادُوا الْقِيَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَهُمْ عَلَى حَدَثٍ أَصْغَرَ أَنْ يَغْسِلُوا وُجُوهَهُمْ جَمِيعًا، وَأَيْدِيَهُمْ إِلَى الْمِرْفَاقِ، وَأَنْ يَمَسَّحُوا بِرُؤُوسِهِمْ، وَأَنْ يَغْسِلُوا أَرْجُلَهُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِذَا كَانُوا عَلَى حَدَثٍ أَكْبَرَ أَنْ يَغْسِلُوا جَمِيعَ أَجْسَادِهِمْ بِالْمَاءِ، فَإِذَا تَصَرَّرُوا بِاسْتِعْمَالِ الْمَاءِ لِمَرَضٍ أَوْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ لِسَفَرٍ، أَوْ عُدْمُوهُ فِي حَضَرٍ أَوْ سَفَرٍ فَأَحْدَثُوا حَدَثًا أَصْغَرَ أَوْ أَكْبَرَ، فَلْيَتَيَمَّمُوا وَجْهَ الْأَرْضِ الطَّاهِرِ، وَلِيَضْرِبُوهُ فَيَمَسَّحُوا بِوُجُوهِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ مِنْهُ.

ثُمَّ بَيَّنَّ -سُبْحَانَهُ- أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِهَذَا الْعَمَلِ حَرَجًا وَتَضْيِيقًا عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ لِيُطَهَّرَهُمْ مِمَّا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْحَدَثِ بِالْوَضُوءِ وَالْغَسْلِ وَالتَّيْمُمِ، وَيُكْمِلَ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ بِكَمَالِ دِينِهِمْ وَتَيْسِيرِهِ حَتَّى يَقُومُوا بِشُكْرِهِ، فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ أَوْلًا وَآخِرًا.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- فَضِيلَةُ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَادَى الْمُؤْمِنِينَ بِهِ.
- ٢- أَنَّ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ الْإِيمَانِ الْقِيَامَ بِطَاعَةِ اللَّهِ بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ، وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ.
- ٣- وَجُوبُ الطَّهَارَةِ لِلصَّلَاةِ مِنَ الْحَدَثَيْنِ الْأَصْغَرِ وَالْأَكْبَرِ بِالْمَاءِ، أَوْ التَّيْمُمِ عِنْدَ تَعَدُّرِ الْمَاءِ.

- ٤- وجوبُ غَسْلِ الوَجْهِ، وَالْيَدَيْنِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ، وَمَسْحِ الرَّأْسِ، وَغَسْلِ الرَّجْلَيْنِ إِلَى الكَعْبَيْنِ فِي الطَّهَارَةِ مِنَ الحَدَثِ الأَصْغَرِ.
- ٥- وجوبُ التَّرْتِيبِ فِي تَطْهِيرِ هَذِهِ الأَعْضَاءِ، فَيَبْدَأُ بِالْوَجْهِ، ثُمَّ اليَدَيْنِ، ثُمَّ الرَّأْسِ، ثُمَّ الرَّجْلَيْنِ.
- ٦- وَجوبُ غَسْلِ جَمِيعِ البَدَنِ فِي الطَّهَارَةِ مِنَ الجَنَابَةِ.
- ٧- وَجوبُ التَّيْمُمِ عِنْدَ تَعَذُّرِ اسْتِعْمَالِ المَاءِ لِمَرَضٍ، أَوْ سَفَرٍ، أَوْ عَدَمِ.
- ٨- وَجوبُ مَسْحِ الوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ فِي التَّيْمُمِ عَنِ الحَدَثِ الأَصْغَرِ أَوْ الجَنَابَةِ.
- ٩- اشْتِرَاطُ طَهُورِيَّةِ المَاءِ وَالتُّرَابِ فِي التَّطَهُّرِ بِهِمَا.
- ١٠- أَنَّ التَّيْمُمَ مُطَهِّرٌ رَافِعٌ لِلحَدَثِ، حَتَّى يَقْدَرَ عَلَى اسْتِعْمَالِ المَاءِ بِوُجُودِهِ أَوْ زَوَالِ العُذْرِ المَانِعِ مِنْهُ، فَإِذَا أَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ وَليْسَ عِنْدَهُ مَاءٌ فَإِنَّهُ يَتَّيْمُمُ وَيُصَلِّي، فَإِذَا وَجَدَ المَاءَ اغْتَسَلَ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ وَهُوَ مَرِيضٌ يَضُرُّهُ العُسْلُ فَإِنَّهُ يَتَّيْمُمُ فَإِذَا بَرِيَ اغْتَسَلَ.
- ١١- أَنَّ البَوْلَ وَالعَائِطَ نَاقِضَانِ لِلوُضوءِ، قَلِيلُهُمَا وَكَثِيرُهُمَا، وَكَذَا كُلُّ خَارِجٍ مِنَ السَّبِيلَيْنِ.
- ١٢- أَنَّ التَّيْمُمَ لَا يُشْرَعُ فِي غَيْرِ طَهَارَةِ الحَدَثِ، فَلَا يَتَّيْمُمُ لِلنَّجَاسَةِ، سِوَاءَ كَانَتْ عَلَى بَدَنِهِ، أَوْ ثَوْبِهِ، أَوْ مَكَانِ صَلَاتِهِ.
- ١٣- أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُرِدْ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْنَا حَرَجًا فِيمَا أَمَرَنَا بِهِ مِنَ الطَّهَارَةِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُطَهِّرَنَا وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْنَا.

- ١٤- مَشْرُوعِيَّةُ شُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا أَمَرْنَا بِهِ مِنَ الْأَوْامِرِ الشَّرْعِيَّةِ، لِأَنَّهَا لِمَصْلَحَتِنَا، وَإِتْمَامِ النُّعْمَةِ عَلَيْنَا، وَلَيْسَتْ لِإِحْرَاجِنَا وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْنَا.
- ١٥- أَنَّ الدِّينَ لَيْسَ فِيهِ حَرْجٌ وَلَا مَشَقَّةٌ فِي أَوْامِرِهِ وَتَكْلِيفَاتِهِ.

النَّوعُ الْخَامِسُ

١٨ - ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

النَّوعُ الْخَامِسُ: أَي: مِنْ آيَاتِ الطَّهَارَةِ، وَمَوْضُوعُهُ: بَيَانُ بَعْضِ الْأَعْيَانِ النَّجِسَةِ.

تفسير الآية رقم ١٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿قُلْ﴾: أَمْرٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ هَذَا الْأَمْرُ بِمَكَّةَ.

﴿لَا أَجِدُ﴾: لَا أُدْرِكُ أَوْ لَا أَرَى.

﴿فِي مَا أُوحِيَ﴾: أَي: فِي الْقُرْآنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيَّ.

﴿مُحَرَّمًا﴾: أَي: شَيْئًا مُحَرَّمًا.

﴿عَلَى طَاعِمٍ﴾: عَلَى أَكِلٍ.

﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ﴾: أَي: الشَّيْءُ.

﴿مَيْتَةً﴾: وَهُوَ: مَا مَاتَ بِغَيْرِ فِعْلِ آدِمِيٍّ، أَوْ بِفِعْلِ آدِمِيٍّ عَلَى غَيْرِ الذَّكَاةِ

الشَّرْعِيَّةِ.

﴿مَسْفُوحًا﴾: مَضْبُوبًا أَوْ مُهْرَاقًا، وَهُوَ: مَا يُصَبُّ مِنَ الْحَيْوَانِ قَبْلَ خُرُوجِ

رُوحِهِ بِذَكَاةٍ شَرْعِيَّةِ.

﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾: اللَّحْمُ: كُلُّ أَجْزَاءِ الْجِسْمِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَلَاحُمِ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ، وَقَدْ يُسَمَّى بَعْضُهُ بِاسْمِ خَاصٍّ كَالشَّحْمِ وَالكَبِدِ، وَالخِنزِيرُ: حَيَوَانٌ مَعْرُوفٌ.

﴿فَإِنَّهُ﴾: أَي: لَحْمَ الخِنزِيرِ، أَوْ جَمِيعَ مَا ذَكَرَ.

﴿رِجْسٌ﴾: نَجِسٌ خَبِيثٌ.

﴿أَوْ فَسْقًا﴾: مَعْطُوفٌ عَلَى مَيْتَةٍ، وَالْفِسْقُ: الخُرُوجُ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ.

﴿أَهْلَ لِعَيْرِ اللَّهِ﴾: ذَكَرَ عَلَيْهِ اسْمٌ غَيْرُ اللَّهِ، وَالْجُمْلَةُ بَيَانٌ لـ ﴿فَسْقًا﴾.

﴿أَضْطَرَّ﴾: بِضَمِّ الطَّاءِ، أَلْجَأَتْهُ الضَّرُورَةُ لِأَكْلِ هَذَا الْمُحْرَمِ.

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: طَالِبٌ لِأَكْلِ ذَلِكَ، بَلْ يَطْلُبُ دَفْعَ الضَّرُورَةِ.

﴿وَلَا عَادٍ﴾: وَلَا مُتَجَاوِزٍ حَدَّ الضَّرُورَةِ بِالْأَكْلِ.

﴿عَفُورٌ﴾: سَتُورٌ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ، مُتَجَاوِزٌ عَنْهَا.

﴿رَحِيمٌ﴾: ذُو رَحْمَةٍ بِعِبَادِهِ، وَمِنْهَا: إِحْلَالُ مَا ذَكَرَ لِلضَّرُورَةِ.

ب- الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُولَ لِجَمِيعِ النَّاسِ، وَلَا سِيَّامَا قُرَيْشٍ الَّذِينَ كَانُوا يَعْيشُ بَيْنَهُمْ حِينَ نَزُولِ هَذَا الْأَمْرِ، وَالَّذِينَ كَانُوا يُحْرِمُونَ بَعْضَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ بِمَجْرَدِ آرَائِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَشَطَحَاتِهِمُ الْبَعِيدَةِ، أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَجِدُ فِيهَا أَوْحَى اللَّهِ إِلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا مُحْرَمًا عَلَى أَحَدٍ أَنْ يَأْكُلَهُ إِلَّا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْأَرْبَعَةَ:

أَحَدُهَا: الْمَيْتَةُ لِحْبِثِهَا، وَاحْتِقَانِ الدَّمِ الَّذِي تَلَوَّثَ بِالْجَرَائِمِ فِيهَا.

وَالثَّانِي: الدَّمُ الْمَسْفُوحُ الَّذِي يَنْصَبُ مِنَ الْبَهِيمَةِ قَبْلَ خُرُوجِ رُوحِهَا بِذَكَاءٍ شَرَعِيٍّ، لِحْبِثِهِ وَتَلَوُّثِهِ بِالْجَرَائِمِ الضَّارَّةِ.

وَالثَّلَاثُ: الْخِنْزِيرُ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ، لِحْبِثِهِ وَقَدَارَتِهِ، وَاحْتِوَاءِ لَحْمِهِ عَلَى دُودَةٍ قَتَالَةٍ.

الرَّابِعُ: مَا ذَكَرَ اسْمُ غَيْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ، لِحْبِثِهِ شَرْعًا حَيْثُ أَهْلٌ لغيرِ اللَّهِ بِهِ، فَكَانَ كُفْرًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَخُرُوجًا عَنِ تَوْحِيدِهِ إِلَى الْإِشْرَاكِ بِهِ.

ثُمَّ يَبَيِّنُ -سُبْحَانَهُ- مَنَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ أَحَلَّ لَكُمْ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ لِكُلِّ مَنْ اضْطُرَّ إِلَيْهَا إِذَا لَمْ يَبْغِ الْأَكْلَ مِنْهَا تَشْهِيًّا، وَإِنَّمَا يُرِيدُ دَفْعَ ضَرُورَتِهِ، وَلَمْ يَعْتَدِ فَيَأْكُلْ أَكْثَرَ مِمَّا اضْطُرَّ إِلَيْهِ، حَيْثُ خَتَمَ الْآيَةُ بِالْأَسْمِينِ (غَفُورٍ رَحِيمٍ) الْمُقْتَضِيْنَ لِحُلِّ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

١- عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِبَيَانِ حَضَرِ مُحَرَّمَ الْأَكْلِ بِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ، حَيْثُ أَمَرَ نَبِيُّهُ ﷺ أَمْرًا خَاصًّا بِإِبْلَاغِهِ.

٢- تَحْرِيمُ أَكْلِ الْمَيْتَةِ، وَيُسْتَنْبَى مِنْ ذَلِكَ مَيْتَةُ الْجَرَادِ وَالْحَوْتِ، لِأَدْلَةٍ وَرَدَتْ فِي حِلِّهَا.

٣- تَحْرِيمُ أَكْلِ الدَّمِ الْمَسْفُوحِ.

٤- تَحْرِيمُ أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ.

- ٥- نَجَاسَةُ الْخِنْزِيرِ، أَوْ كُلِّ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَهَذَا مُحَلُّ الْاِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٦- حِلُّ الدَّمِ غَيْرِ الْمَسْفُوحِ، وَهُوَ: مَا يَبْقَى بَعْدَ خُرُوجِ رُوحِ الْبَهِيمَةِ بِالذَّكَاةِ الشَّرْعِيَّةِ.
- ٧- تَحْرِيمُ أَكْلِ مَا ذُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٨- حِكْمَةُ اللَّهِ الْبَالِغَةُ فِي التَّشْرِيعِ، حَيْثُ حَرَّمَ أَكْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لِحُبِّهَا، إِمَّا حِسًّا كَالْمَيْتَةِ وَالدَّمِ الْمَسْفُوحِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَإِمَّا شَرْعًا كَالْمَذْبُوحِ عَلَى اسْمِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٩- اِسْتِمَالُ شَرِيعَةِ اللَّهِ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالتَّيْسِيرِ، حَيْثُ أَحَلَّ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ لِلضَّرُورَةِ لِمَنْ كَانَ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ.
- ١٠- إِبْطَاتُ مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ.

تَنْبِيهُ:

هذه الآية في سورة الأنعام، وهي مكيَّة، ولم يُحرِّم من الأَطْعَمَةِ حِينَ نَزُولِهَا سِوَى مَا ذُكِرَ، ثُمَّ بَعْدَ تَكَامُلِ الشَّرِيعَةِ حُرِّمَتْ أُشْيَاءٌ أُخْرَى كَالْحَمْرِ، وَالْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ، وَذِي النَّابِ مِنَ السَّبَاعِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ.

مِنْ آيَاتِ الصَّلَاةِ

النَّوْعُ الْأَوَّلُ

الآيَةُ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ:

١٩-٢٠- ﴿وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا
وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿﴾ [الأنعام: ٧١-٧٢].

مِنْ آيَاتِ الصَّلَاةِ

الصَّلَاةُ فِي اللُّغَةِ: الدُّعَاءُ.

وفي الشَّرْعِ: عِبَادَةٌ ذَاتُ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ مَعْلُومَةٍ، مُفْتَتِحَةٌ بِالتَّكْبِيرِ، مُخْتَمَةٌ
بِالتَّسْلِيمِ.

فَرَضَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَهِيَ أَفْضَلُ أَرْكَانِ
الإِسْلَامِ وَأَوْكَدَهَا بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَقَدْ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ فِي أَكْثَرِ مِنْ سِتِّينَ
مَرَّةً، مَا بَيْنَ مَقْرُونَةٍ بِالرَّكَاءِ وَمُنْفَرَدَةً عَنْهَا.

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: أَيُّ: مِنْ آيَاتِ الصَّلَاةِ، وَمَوْضُوعُهُ: بَيَانُ فَضْلِ الصَّلَاةِ، وَحُكْمِهَا،
وَالْعِنَايَةِ بِهَا، وَعُقُوبَةِ مَنْ تَهَاوَنَ بِهَا وَأَضَاعَهَا.

تفسير الآيتين رقم ١٩ - ٢٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَمْرَنَا﴾: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى، وَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾.

﴿لِنُسَلِّمَ﴾: لِنُنْقِذَ وَنَخْضَعَ، وَاللَّامُ بِمَعْنَى الْبَاءِ، أَي: بِأَنْ نُسَلِّمَ.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: سَبَقَ مَعْنَى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فِي تَفْسِيرِ الْفَاتِحَةِ.

﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أَفْعَلُوهَا مُسْتَقِيمَةً لَا عِوَجَ فِيهَا.

﴿وَاتَّقَوْهُ﴾: أَي: اتَّقُوا اللَّهَ فِي صَلَاتِكُمْ وَغَيْرِهَا، وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى: فِعْلٌ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ امْتِثَالًا لِحُكْمِهِ تَعَالَى.

﴿مُحْشَرُونَ﴾: يُجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُجَازِيَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَالغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ الْحَشْرِ إِلَيْهِ: التَّحْذِيرُ مِنْ مُحَالَفَتِهِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أَمَرُوا بِهِ، وَهُوَ: الْإِنْقِيَادُ وَالخُضُوعُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يَفْعَلُوا الصَّلَاةَ قَائِمَةً بِلَا عِوَجٍ، وَأَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ امْتِثَالًا لِحُكْمِهِ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ مَخَالَفَةِ ذَلِكَ بِأَنْ مَرَّجِعَهُمْ إِلَيْهِ مَهْمَا طَالَ بِهِمُ الْبَقَاءُ وَتَقَلَّبَتْ بِهِمُ الْأَحْوَالُ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

١- وَجُوبُ الْإِسْلَامِ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

- ٢- عُمُومُ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامُ لَهُ.
- ٣- وَجُوبُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَهَذِهِ الَّتِي تَلِيهَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَتِينَ.
- ٤- فَضِيلَةُ الصَّلَاةِ، حَيْثُ خَصَّهَا اللَّهُ بِالذِّكْرِ بَيْنَ تَعْمِيمَيْنِ.
- ٥- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.
- ٦- إِثْبَاتُ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الآية الثالثة:

٢١- ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ

لِلنَّاقِئِ﴾ [طه: ١٣٢].

تفسير الآية رقم ٢١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأْمُرْ﴾: اطلب منهم طلب ذي سلطان.

﴿أَهْلَكَ﴾: عشيرتك وذوي قرابتك.

﴿بِالصَّلَاةِ﴾: بإقامة الصلاة، وما يلزم لها من طهارة وغيرها.

﴿وَاصْطَبِرْ﴾: أي: اصبر، والطاء المبدلة من التاء للمبالغة في الصبر.

﴿لَا نَسْأَلُكَ﴾: لا نطلب منك بأمرنا إياك بذلك.

﴿رِزْقًا﴾: عطاء لنفسك أو لأهلك، ويحتمل: لا نسألك رزقاً لنا بأمرنا إياك،

كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا

أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ﴾ [الذريات ٥٦-٥٧].

﴿نَرْزُقُكَ﴾: نعطيك.

﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾: أي: النهاية المحمودة.

﴿لِلنَّاقِئِ﴾: أي: لأهل تقوى الله - عز وجل -.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ وَأُمَّتَهُ أُسْوَةً بِهِ أَنْ يَأْمَرَ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ، وَبِمَا يَلْزَمُ لَهَا مِنْ طَهَارَةٍ وَغَيْرِهَا، لِيُسَبُّوا عَلَيْهَا صِغَارًا، وَيَهْرَمُوا عَلَيْهَا كِبَارًا، لِمَا لَهَا مِنَ الْأَهْمِيَّةِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَيَأْمُرُهُ كَذَلِكَ أَنْ يَصْبِرَ عَلَيْهَا وَيُبَالِغَ فِي الصَّبْرِ، وَلَوْ تَحَمَّلَ فِي ذَلِكَ مَا تَحَمَّلَ مِنْ جِهَادِ نَفْسِهِ، وَيُخْبِرُ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ بِتَكْلِيفِ نَبِيِّهِ بِذَلِكَ لَا يَطْلُبُ مِنْهُ عَطَاءً؛ لِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- الْمُعْطِي الرَّازِقُ، وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَمِنْهُمْ الْمُصْطَبِرُونَ عَلَى الصَّلَاةِ الْأَمْرُونَ أَهْلَهُمْ بِهَا، وَقَدْ فَعَلَ ﷺ مَا أَمَرَ بِهِ حَتَّى كَانَ يَقُومُ فِي اللَّيْلِ حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ^(١).

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- أَهْمِيَّةُ الصَّلَاةِ.
- ٢- وَجُوبُ أَمْرِ الْأَهْلِ بِهَا، وَبِمَا يَلْزَمُ لَهَا.
- ٣- وَجُوبُ الصَّبْرِ عَلَيْهَا، وَلَوْ تَحَمَّلَ الْإِنْسَانُ مَا تَحَمَّلَ مِنْ جِهَادِ نَفْسِهِ.
- ٤- كَمَالُ غِنَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْ خَلْقِهِ، حَيْثُ لَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ رِزْقًا بِأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ.
- ٥- أَنَّ الْعِنَايَةَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّبْرَ عَلَيْهَا مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ.
- ٦- أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- سَبَبٌ لِلْعَاقِبَةِ الْحَمِيدَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ الليل، رقم (١١٣٠)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، رقم (٢٨١٩).

الآية الرابعة والخامسة:

٢٢-٢٣ - ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٤-٥٥].

تفسير الآيتين رقم ٢٢ - ٢٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأذْكَرُ﴾: فعل أمر، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم.

﴿الْكِتَابِ﴾: القرآن.

﴿إِسْمَاعِيلَ﴾: هو: ابن إبراهيم خليل الله - عز وجل -، وأمه هاجر، ولد لإبراهيم على كبر، فلما بلغ معه السعي أمره الله تعالى بذبحه ابتلاءً وامتحاناً، فرأى في المنام أنه يدبحه، ورؤيا الأنبياء وحي، فامثل أمر الله - عز وجل - على ما في قلبه من محبة لهذا الولد الوحيد الذي أتاه على كبر، ولما أخبر إسماعيل بذلك قال: ﴿يَأْتِيَتْ أَفْعَلَ مَا تُومَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢].

فلما أسلم وتلاه أبوه على جبينه ليذبحه، أتى الفرج من الله ينسخ تنفيذ الذبح، وإثبات ثوابه وطلب فداء الولد بذبح عظيم، وقد أسكنه أبوه إبراهيم مع أمه في مكة منذ صغره، وكانت قفراً ليس فيها أحد حتى قبض الله لهما قبيلة جرهم من أهل اليمن، فسكنوا عندهم، وتزوج إسماعيل منهم فاتاه أولاد تفرعت منهم قبائل العرب المستعربة، فهو أبو العرب، وشارك أباه في بناء الكعبة فجعلوا يرفعان القواعد وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿إِنَّهُ﴾: أَي: إِسْمَاعِيلُ، وَالْجُمْلَةُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ لِيَبَانَ صِفَاتِهِ الْحَمِيدَةَ، الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا اسْتَحَقَّ أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ لَهُ ذِكْرَهُ.

﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾: أَي: مُوفِّيًا بِمَا وَعَدَ بِهِ.

﴿رَسُولًا﴾: مُرْسَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

﴿نَبِيًّا﴾: مُنْبَأًا بِالْوَحْيِ، وَالْإِنْبَاءُ: الْإِخْبَارُ، وَوَصَفَهُ بِالْإِنْبَاءِ بَعْدَ وَصْفِهِ بِالرَّسَالَةِ لِيَبَانَ قِيَامِهِ بِالرَّسَالَةِ، حَيْثُ أَنْبَأَ بِهَا أُرْسَلَ بِهِ.

﴿يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾: يَطْلُبُ مِنْهُمْ طَلَبَ ذِي سُلْطَانٍ، وَالْأَهْلُ: الْعَشِيرَةُ وَذَوُو الْقَرَابَةِ.

﴿وَالزَّكَاةَ﴾: زَكَاةَ النَّفْسِ، وَهِيَ: تَطْهِيرُهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ، أَوْ زَكَاةَ الْمَالِ، وَهِيَ النَّصِيبُ الْمَخْرُجُ مِنَ الْمَالِ لِذَوِي الْحَاجَاتِ.

﴿مَرْضِيًّا﴾: مُصْطَفَى مُخْتَارًا.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُعْلِنَ ذِكْرَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، رَفْعًا لِذِكْرِهِ، وَاعْتِبَارًا بِحَالِهِ لِيُقْتَدَى بِهِ فِي مَنَاقِبِهِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي ذَكَرَ مِنْهَا خَمْسَ مَنَاقِبَ:

أَوَّلُهَا: أَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ مُوفِّيًا بِمَا وَعَدَ بِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ وَقَاؤُهُ بِمَا وَعَدَ بِهِ أَبَاهُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى ذَبْحِهِ.

ثَانِيهَا: أَنَّهُ كَانَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى قَوْمِهِ، وَلَا يَخْتَارُ اللَّهُ لِرِسَالَتِهِ إِلَّا مَنْ هُوَ جَدِيرٌ بِهَا.

ثالثها: أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا قَائِمًا بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ الَّتِي كُفِّلَ بِهَا.

رابعها: أَنَّهُ كَانَ مُصَلِّحًا لِأَهْلِهِ، يَأْمُرُهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.

خامسها: أَنَّهُ كَانَ مَرْضِيًّا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ

الَّتِي كَانَتْ سَبَبًا لِرِضَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَدْ فَعَلَ نَبِينًا ﷺ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، فَأَعْلَنَ ذِكْرَ إِسْمَاعِيلَ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي يُنْتَلَى

إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

١- ثَنَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، رَفَعًا لِذِكْرِهِ، وَحَثًّا لِغَيْرِهِ
أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ.

٢- فَضِيلَةُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنْ
الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ.

٣- فَضِيلَةُ الْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ.

٤- فَضِيلَةُ أَمْرِ الْأَهْلِ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.

الآية السادسة إلى العاشرة:

٢٤ - ٢٨ - ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ۝٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا بِكْرَةٌ وَعَاشِيًا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ [مريم: ٥٩-٦٣].

تفسير الآيات رقم ٢٤ - ٢٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿خَلَفَ﴾: فَحَدَّثَ مُتَأَخِّرًا عَنْهُمْ.

﴿مِنْ بَعدِهِمْ﴾: أَي: مِنْ بَعدِ النَّبِيِّينَ الْمَذْكُورِينَ، أَي: مِنْ بَعدِ كُلِّ وَاحِدٍ.

﴿خَلْفٌ﴾: بِفَتْحِ الْخَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ: جَمَاعَةٌ سُوءٌ.

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾: أَهْمَلُوهَا، إِذَا بَتَرَكَيْهَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِذَا بَتَرَكِ شَيْءٍ مِنْ وَاجِبَاتِهَا.

﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾: انْقَادُوا وَرَاءَهَا، وَالْمُرَادُ بِالشَّهْوَاتِ: رَغَبَاتُ النَّفُوسِ

الْمُحَرَّمَةِ.

﴿فَسَوْفَ﴾: حَرْفُ اسْتِقْبَالٍ مُخْتَصٌّ بِالْمُضَارِعِ، وَإِذَا دَخَلَ عَلَى وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ

أَفَادَ التَّوَكُّيدَ.

﴿يَلْقَوْنَ﴾: يَجِدُونَ.

﴿عَذَابًا﴾: زَيْغًا عَنِ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابًا فِي الْآخِرَةِ.

﴿تَابَ﴾: رَجَعَ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى طَاعَتِهِ.

﴿وَأَمَنَ﴾: صَدَّقَ بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانَ بِهِ مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: أَيْ عَمَلًا صَالِحًا: وَهُوَ: مَا جَمَعَ بَيْنَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالِاتِّبَاعِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الْمَشَارُ إِلَيْهِ، مَنْ تَابَ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى.

﴿الْجَنَّةِ﴾: الدَّارُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ فِي الْآخِرَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَشْجَارِ الْمُتَنَوِّعَةِ.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: لَا يُنْقُصُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ.

﴿جَنَّتِ﴾: بَدَلٌ مِنَ ﴿الْجَنَّةِ﴾ وَجَمَعَهَا بِاعْتِبَارِ أَنْوَاعِهَا.

﴿عَدِنِ﴾: أَيْ: إِقَامَةِ لَا تَحْوَلُ عَنْهَا بِخُرُوجِ مِنْهَا وَلَا مَوْتِ.

﴿وَعَدَّ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ﴾: التَّزَمَ لَهُمْ بِهَا تَفْضُلًا مِنْهُ، وَالْعِبَادُ: جَمْعُ عَبْدٍ، وَهُوَ: الْمُتَدَلَّلُ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ، حُبًّا لَهُ وَتَعْظِيمًا.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: بِالِاسْتِتَارِ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَعَدَّ﴾ أَيْ: أَنَّ اللَّهَ وَعَدَهُمْ بِهَا وَلَمْ يَرَوْهَا، وَمَعَ ذَلِكَ آمَنُوا بِهَا وَعَمِلُوا لَهَا.

﴿إِنَّهُ﴾: أَيْ: اللَّهُ تَعَالَى.

﴿وَعَدَّهُ﴾: أَيْ: مَوْعُودُهُ الَّذِي وَعَدَ بِهِ.

﴿مَأْنِيًّا﴾: مَوْصُولًا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُجْلِفُ الْمِعَادَ.

﴿فِيهَا﴾: فِي الْجَنَّتِ.

﴿لَغْوًا﴾: قَوْلًا لَا فَايْدَةَ فِيهِ.

﴿إِلَّا سَلَامًا﴾: أَي: لَكِنْ يَسْمَعُونَ قَوْلًا سَلَامًا، أَي: سَالِمًا مِنَ اللَّغْوِ وَالْإِثْمِ، وَمِنْهُ: سَلَامٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَسَلَامٌ اللَّهُ وَمَلَائِكَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَالْإِسْتِثْنَاءُ هُنَا مُنْقَطِعٌ لَا مُتَّصِلٌ.

﴿رِزْقُهُمْ﴾: عَطَاؤُهُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَاللَّذَاتِ.

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَالْمُرَادُ مِقْدَارُهُمَا، وَإِلَّا فَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَمْسٌ يَكُونُ بِهَا الصَّبَاحُ وَالْمَسَاءُ.

﴿نُورٌ﴾: نُعْطِي عَطَاءً ثَابِتًا كَالْمِيرَاثِ.

﴿كَانَ تَقِيًّا﴾: ذَا تَقْوَى لِّلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَتَقْوَى اللَّهِ: فِعْلٌ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، امْتِثَالًا لِحُكْمِهِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ اسْتَقَامُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، ذَكَرَ حَالَ مَنْ حَدَّثَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنَ الْخُلُوفِ الْمُضِيِّينَ لِلصَّلَاةِ الْمُتَّبِعِينَ لِلشَّهَوَاتِ، وَبَيَّنَّ مَا سَيَلْقَى هَؤُلَاءِ الْخُلُوفِ مِنَ الشَّرِّ الْعَظِيمِ وَالْعَذَابِ، إِلَّا مَنْ تَابَ مِنْهُمْ فَرَجَعَ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى طَاعَتِهِ، وَأَمَّنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا مَبْنِيًّا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، وَاتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، الَّتِي هِيَ دَارُ الْخُلُودِ وَالْإِقَامَةِ، وَالنَّعِيمِ الدَّائِمِ، وَالْقَوْلِ السَّالِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالتَّأْتِيمِ، الدَّارِ الَّتِي هِيَ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَسُيُورِهَا اللَّهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ كُلِّ مَنْ كَانَ تَقِيًّا قَائِمًا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ، وَاجْتِنَابًا لِنَهْيِهِ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- أَنْ سَبِيلَ الرُّسُلِ المَحَافِظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَالبُعْدُ عَنِ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ.
- ٢- ذَمٌّ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي هَذَا السَّبِيلِ، فَأَضَاعَ الصَّلَاةَ وَاتَّبَعَ الشَّهَوَاتِ.
- ٣- أَنَّ عُقُوبَتَهُ الزَّيْغُ عَنِ الحَقِّ فِي الدُّنْيَا، وَالعَذَابُ المِهِينُ فِي الآخِرَةِ.
- ٤- أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ كَافِرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ غَيْرٌ مَوْمِنٍ، وَهَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٥- التَّرْغِيبُ فِي التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ وَالإِيَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَمْحُو مَا سَبَقَ مِنَ السَّيِّئَاتِ.
- ٦- أَنَّ ثَوَابَ ذَلِكَ دُخُولَ الجَنَّةِ دَارِ الإِقَامَةِ، الَّتِي لَا مُفَارَقَةَ لَهَا بِمَوْتٍ وَلَا انْتِقَالَ.
- ٧- أَنَّ رِزْقَ الجَنَّةِ دَائِمٌ بُكْرَةً وَعَشِيًّا.
- ٨- أَنَّهُ لَا يُسْمَعُ فِيهَا إِلَّا كُلُّ قَوْلٍ طَيِّبٍ، سَالِمٍ مِنَ اللُّغُوِّ وَالتَّأْتِيمِ.
- ٩- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُورِثُ الجَنَّاتِ كُلَّ تَقِيٍّ قَائِمٍ بِطَاعَةِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ١٠- أَنَّ دُخُولَ الجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ﴾.

الآية الحادية عشر والثانية عشر:

٢٩-٣٠- ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾

[الماعون: ٤-٥].

تفسير الآيتين رقم ٢٩ - ٣٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿فَوَيْلٌ﴾: كَلِمَةٌ وَعَيْدٌ وَتَهْدِيدٌ، وَقِيلَ: بِمَعْنَى عَذَابٍ، وَقِيلَ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ.
﴿سَاهُونَ﴾: غَافِلُونَ مُعْرِضُونَ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ لَا يَهْتَمُّونَ بِصَلَاتِهِمْ، وَلَا يُقِيمُونَ لَهَا وَزْنَ، فَهُمْ غَافِلُونَ عَنْهَا، لَا يَأْتُونَ بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا، يُصَلُّونَهَا بَعْدَ الْوَقْتِ، أَوْ يُصَلُّونَ بِغَيْرِ طَهَارَةٍ، أَوْ بِغَيْرِ طَمَئِينَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، يَتَوَعَّدُهُمْ تَعَالَى بِالْوَيْلِ الَّذِي سَيَقَعُ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ إِذَا هُمْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَيَعْتَنُوا بِصَلَاتِهِمْ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

- ١- تَعْظِيمُ شَأْنِ الصَّلَاةِ.
- ٢- وَجُوبُ الْعِنَايَةِ بِهَا.
- ٣- الْوَعِيدُ عَلَى مَنْ صَلَّى وَلَمْ يَعْتَنِ بِصَلَاتِهِ وَلَمْ يَقُمْ بِوَاجِبَاتِهَا.

النوع الثاني

الآية الأولى:

٣١- ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا

مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

النوع الثاني: أي: من آيات الصلاة، وموضوعه: شروط الصلاة.

تفسير الآية رقم ٣١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾: أي: اطمأنت قلوبكم، أي: سكنت من الخوف.

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أكملوها كعادتكم في صلاة الأيمن.

﴿كِتَابًا﴾: فرضاً.

﴿مَوْقُوتًا﴾: مؤقتاً.

ب- المعنى الإجمالي:

لما بين الله تعالى كيفية صلاة الخوف وما يلزم فيها، أمر عباده إذا زال عنهم الخوف أن يكملوا الصلاة على ما كانوا يصلونها قبل الخوف، بشروطها، وأركانها، وواجباتها، ومكملاتها، وبين أن الصلاة كانت فرضاً مؤقتاً محدداً، فلا يجوز تقديمها عليه، ولا تأخيرها عنه.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- أَنَّ الصَّلَاةَ فَرِيضَةٌ مُؤَقَّتَةٌ بِوَقْتٍ مُحَدَّدٍ، لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُهَا عَلَيْهِ وَلَا تَأْخِيرُهَا عَنْهُ، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٢- أَنَّ الْحُكْمَ يَتَّبَعُ أَسْبَابَهُ، فَإِذَا وُجِدَ الْخَوْفُ صَلَّى النَّاسُ صَلَاةَ خَوْفٍ، وَإِذَا زَالَ صَلَّوْا صَلَاةَ أَمْنٍ.
- ٣- الْحِكْمَةُ فِي تَشْرِيعِ اللَّهِ وَبَيَانِ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ.

الآية الثانية:

٣٢- ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ

الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

تفسير الآية رقم ٣٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: صَلِّ الصَّلَاةَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَالْخَطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأُمَّتُهُ تَبِعَ لَهُ.

﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: لِرُزْوَالِهَا، وَهُوَ: مَيْلُهَا عَنِ وَسْطِ السَّمَاءِ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهُ، وَاللَّامُ لِلتَّوْقِيتِ، أَي: أَقِمِ الصَّلَاةَ وَقْتَ دُلُوكِ الشَّمْسِ.

﴿غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: اسْتِدَادِ ظُلْمَتِهِ.

﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾: أَي: وَأَقِمِ قُرْآنَ الْفَجْرِ، أَي: صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْقُرْآنِ لِمَزِيدِ الْإِعْتِنَاءِ بِهِ فِيهَا وَإِطَالَتِهِ.

﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ...﴾: إِخ: الْجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِمَا قَبْلَهَا.

﴿مَشْهُودًا﴾: مَحْضُورًا مَحْضُرُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ، وَأَمْرُهُ لَهُ وَلَاؤُمَّتِهِ، يَأْمُرُهُ أَنْ يُقِيمَ الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْوَقْتِ الْمُتَمَدِّدٍ مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى اسْتِدَادِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، فَيَدْخُلُ فِيهِ صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، ثُمَّ فَصَلَ صَلَاةَ الْفَجْرِ عَنْ هَذَا الْوَقْتِ لِعَدَمِ اتِّصَالِ

وقتها به، لأنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعِشَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ الثَّانِي، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الظَّهْرِ نِصْفَ النَّهَارِ الْأَوَّلِ، وَعَبَّرَ اللهُ تَعَالَى عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِالْقُرْآنِ لِمَزِيدِ الْعِنَايَةِ بِهِ فِيهَا وَإِطَالَتِهِ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّ قِرْآنَ الْفَجْرِ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ الَّذِينَ يُنَزِّلُهُمُ اللهُ تَعَالَى لِحِفْظِ بَنِي آدَمَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا الْمُحَدَّدَةِ.
- ٢- أَنَّ أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ -الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ وَالْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ- مُتَّصِلٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَأَمَّا وَقْتُ الْفَجْرِ فَمُنْفَصِلٌ عَنْهَا.
- ٣- طَلَبُ الْعِنَايَةِ بِقِرَاءَةِ صَلَاةِ الْفَجْرِ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْضُرُهُ.
- ٤- حِكْمَةُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ حَيْثُ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ إِلَّا لِسَبَبٍ يَقْتَضِي ذَلِكَ.

الآية الثالثة والرابعة:

٣٣-٣٤ ﴿ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: ١٧-١٨].

تفسير الآيتين رقم ٣٣ - ٣٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ ﴾: فتزيتها لله عن كل نقص، وهو بمعنى الأمر، أي: فسبحوا الله. والمراد بالتسبيح: الصلاة، أو هي وغيرها من أنواع التسبيح.

﴿ تُمْسُونَ ﴾: تدخلون في المساء، والمراد به هنا: ما بعد غروب الشمس فيدخل فيه صلاة المغرب والعشاء.

﴿ تُصْبِحُونَ ﴾: تدخلون في الصباح، وهو أول النهار، فيدخل فيه صلاة الفجر.

﴿ وَلَهُ ﴾: أي: لله، وهو خبر مقدم لإفادة الحصر والتخصيص.

﴿ الْحَمْدُ ﴾: الاعتراف بصفات الكمال محبةً وتعظيماً بمن حمده.

﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: أي: كل من في السموات والأرض يحمده على كماله وأفعاله.

﴿ وَعَشِيًّا ﴾: آخر النهار، فيدخل فيه صلاة العصر، وهو معطوف على ﴿ حِينَ ﴾

﴿ تُمْسُونَ ﴾.

﴿ تُظْهِرُونَ ﴾: تدخلون في الظهيرة، وهي نصف النهار فيدخل فيه صلاة

الظهر.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنْ يُسَبِّحُوهُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ، بِالصَّلَاةِ فِيهَا وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ التَّسْبِيحِ وَهِيَ: الْمَسَاءُ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ اللَّيْلِ وَيَشْمَلُ صَلَاتِي الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَالصَّبَاحُ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ وَيَشْمَلُ صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَالْعِشِيُّ الَّذِي هُوَ آخِرُ النَّهَارِ وَيَشْمَلُ صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَالظُّهْرُ الَّذِي هُوَ وَسْطُ النَّهَارِ وَيَشْمَلُ صَلَاةَ الظُّهْرِ، وَبَيِّنُ -سُبْحَانَهُ- أَنْ لَهُ الْحَمْدَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى كَمَالِ صِفَاتِهِ، وَتَمَامِ إِنْعَامِهِ، فَكُلُّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَهُوَ مِنْ آثَارِ صِفَاتِهِ الْكَامِلَةِ وَأَفْعَالِهِ الْحَمِيدَةِ، الَّتِي يَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

- ١- طَلَبُ تَسْبِيحِ اللهِ تَعَالَى فِي الْأَوْقَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَتَيْنِ، وَأَوَّلَى مَا يَدْخُلُ فِيهِ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، فَيَكُونُ فِيهِمَا الْإِشَارَةُ إِلَى أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.
- ٢- أَنَّ الصَّلَاةَ مِنْ تَسْبِيحِ اللهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهَا تَتَّصِفُ بِالتَّسْبِيحِ قَوْلًا وَفِعْلًا.
- ٣- وَجُوبُ تَسْبِيحِ اللهِ تَعَالَى فِي الصَّلَاةِ، وَمَحَلُّ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ.

الآية الخامسة:

٣٥- ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

تفسير الآية رقم ٣٥:

أ- تفسير الكلمات:

﴿إِنِّي﴾: الضمير يعود إلى الله تعالى.

﴿أَنَا﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر.

﴿اللَّهُ﴾: اسم الله تعالى المختص به فلا يسمى به غيره، ومعناه: المألوه، أي:

المعبود بحبة وتعظيمًا.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾: أي: لا يوجد إله في السموات والأرض إلا أنا-يعني

نفسه تعالى، والإله: المألوه بحبة وتعظيمًا.

﴿فَاعْبُدْنِي﴾: فتدلل لي بالطاعة بحبة وتعظيمًا، والخطاب لموسى -عليه السلام-

والفاء للسببية أي: فسبب تفردني بالألوهية أفردني بالعبادة.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: أفلها على وجه الكمال.

﴿لِذِكْرِي﴾: لتذكرني بها، واللام للتعليل، أي: لأجل، ويحتمل أن تكون

للتوقيت، أي: أقم الصلاة حين تقبل على ذكري.

ب- المعنى الإجمالي:

يخاطب الله تعالى موسى مخبراً له على وجه التأكيد بأن الذي يخاطبه هو الله تعالى،

المنفرد بالألوهية، فلا إله إلا هو، وأما تسمية المشركين أصنامهم آلهة فما هي إلا دعوى

مَجْرَدَةٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ، لَا تَكُونُ بِهَا الْأَصْنَامُ أَهْلَةً، وَإِنْ سُمِّيَتْ بِهَا كَمَا لَوْ سَمَّيْتَ الطَّيْنَ ذَهَبًا فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ ذَهَبًا بِتِلْكَ التَّسْمِيَةِ، ثُمَّ رَتَّبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى انْفِرَادِهِ بِالْأَلُوْهِيَّةِ الْأَمْرَ بِعِبَادَتِهِ وَخَدَهُ، وَخَصَّ الصَّلَاةَ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ لِمَا لَهَا مِنَ الْأَهْمِيَةِ وَالْفَضْلِ، وَاشْتِمَالِهَا عَلَى ذِكْرِهِ الْقَلْبِيِّ وَالْقَوْلِيِّ وَالْفِعْلِيِّ، وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ الَّذِي بِهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ مَسْمُوعٍ.
- ٢- انْفِرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَلُوْهِيَّةِ.
- ٣- وُجُوبُ عِبَادَتِهِ وَإِفْرَادِهِ بِهَا، كَمَا انْفَرَدَ بِالْأَلُوْهِيَّةِ.
- ٤- وُجُوبُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَأَنَّهَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٥- فَضْلُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَصَّهَا بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ.
- ٦- أَنَّ مَنْ نَسِيَ صَلَاةً حَتَّى خَرَجَ وَقْتُهَا صَلَّاهَا عِنْدَ تَذَكُّرِهِ، لِأَنَّهُ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى بِذَلِكَ، وَهَذَا مَحَلُّ اسْتِشْهَادٍ بِالْآيَةِ.

الآية السادسة والسابعة:

٣٦-٣٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا نَخْذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا^(١) وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُم إِلَى الصَّلَاةِ
 اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿المائدة: ٥٧-٥٨﴾.

تفسير الآيتين رقم ٣٦ - ٣٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾: سبق تفسيره في الآية رقم (١٧).

﴿لَا نَخْذُوا﴾: لا تجعلوا.

﴿دِينَكُمْ﴾: إسلامكم أو عبادتكم.

﴿هُزُوعًا﴾: سُخْرِيَّةً يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ.

﴿وَلَعِبًا﴾: عِبْتًا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ.

﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: أُعْطُوا الْكِتَابَ، وَهُمْ الْيَهُودُ، وَكِتَابُهُمُ التَّوْرَةُ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَى
 مُوسَى، وَالنَّصَارَى وَكِتَابُهُمُ الْإِنْجِيلُ الَّذِي نَزَلَ عَلَى عِيسَى -صلى الله عليهما وسلم-.

﴿وَالْكَفَّارَ﴾: بِالنَّصَبِ مَعْطُوفًا عَلَى الَّذِينَ اتَّخَذُوا.

﴿أَوْلِيَاءَ﴾: جَمْعٌ وَوَلِيٌّ، وَهُوَ: مَنْ تُقَرَّبُهُ إِلَى نَفْسِكَ بِالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: اتَّخَذُوا مَا يَقِيكُمْ مِنْ عَذَابِهِ، وَذَلِكَ بِطَاعَتِهِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ

وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ.

(١) وفي قراءة: هُزُوعًا وفي أخرى: هُزَاءًا. [المؤلف]

﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي إِيمَانِكُمْ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَتَّخِذُوا هَوْلَاءَ أَوْلِيَاءَ.

﴿نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾: دَعَوْتُمْ إِلَيْهَا بِرَفْعِ أَصْوَاتِكُمْ بِالْأَذَانِ.

﴿اتَّخِذُواهَا﴾: أَي: الصَّلَاةَ أَوْ الْمُنَادَاةَ إِلَيْهَا.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي: اتَّخِذْتُمْ مَا ذُكِرَ هُزُؤًا وَلَعِبًا.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بِسَبَبِ أَنَّهُمْ ﴿لَا يَقُولُونَ﴾: لَيْسَ لَهُمْ عُقُولٌ يُدْرِكُونَ بِهَا مَا يَنْفَعُهُمْ، وَتَحْجِزُهُمْ عَمَّا يَضُرُّهُمْ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَدْعُو اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلإِدْعَانِ وَالْقَبُولِ لِمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ أَوْ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ، فَيَنْهَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ جَعَلُوا دِينَهُمْ سُخْرِيَةً وَلَعِبًا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ مَعَ أَنَّهُ دِينُ الْجِدِّ وَالْحَقِّ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، سِوَاءِ أَكْثَرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَمْ مِنْ سَائِرِ الْكُفَّارِ، أَنْ يَتَّخِذُوا هَوْلَاءَ أَوْلِيَاءَ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ، وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ، وَيَحْذَرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ بِأَمْرِهِمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمِنْهَا: عَدَمُ اتَّخِذِ هَوْلَاءَ أَوْلِيَاءَ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ حَقًّا، وَيَذَكِّرُ -سُبْحَانَهُ- مَثَلًا عَلَى اتَّخِذِ هَوْلَاءَ دِينًا هُزُؤًا وَلَعِبًا بِأَنَّنا إِذَا نَادَيْنا إِلَى الصَّلَاةِ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَجْلِ الطَّاعَاتِ وَأَعْظَمِهَا نَفْعًا بِذَلِكَ النَّدَاءِ الْمُتَضَمِّنِ لِتَعْظِيمِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَإِثْبَاتِ رِسَالَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالِدَّعْوَةِ إِلَى الصَّلَاةِ وَالْفَلَاحِ، إِذَا نَادَيْنا إِلَى الصَّلَاةِ بِتِلْكَ الْمُنَادَاةِ اتَّخِذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا، وَذَلِكَ لِسَفَاهَتِهِمْ وَفُقْدَانِهِمْ لِلْعُقُولِ الَّتِي يُدْرِكُونَ بِهَا مَا يَنْفَعُهُمْ وَتَحْجِزُهُمْ عَمَّا يَضُرُّهُمْ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

- ١- تَحْرِيمُ اتِّخَاذِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْكَفَّارِ أَوْلِيَاءَ.
- ٢- أَنَّ اتِّخَاذَهُمْ أَوْلِيَاءَ يُنَافِي الْإِيمَانَ وَمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ، إِذْ كَيْفَ تَتَّخِذُ وَلِيًّا مَنْ يَتَّخِذُ دِينَكَ هُزُؤًا وَلَعِبًا.
- ٣- بَيَانُ مَوْقِفِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْكَفَّارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ.
- ٤- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَنَّهَا عُنْوَانُ الْإِيمَانِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ وَهُوَ لَا يَتَّقِي اللَّهَ فَقَدْ كَذَبَ.
- ٥- ثُبُوتُ النَّدَاءِ إِلَى الصَّلَاةِ بِالْأَذَانِ بِهَا، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.
- ٦- شِدَّةُ وَقَعِ الصَّلَاةِ وَالْمُنَادَاةِ لَهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْكَفَّارِ، حَيْثُ رَكَزُوا عَلَيْهَا بِالتَّنْفِيرِ مِنْهَا.
- ٧- انْتِفَاءُ الْعَقْلِ عَمَّنِ اتَّخَذَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَالصَّلَاةِ وَالْمُنَادَاةِ لَهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا إِذْ لَوْ عَقَلَ لَعَرَفَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ الْمَوْصَلُ إِلَى سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الآية الثامنة والتاسعة:

٣٨-٣٩ ﴿يَنْبِيءَ آدَمَ حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْمُونَ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: ٣١-٣٢].

تفسير الآيتين ٣٨ - ٣٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿يَنْبِيءَ آدَمَ﴾: ذرية آدم، وهو الأب الأول للبشر، خلقه الله تعالى بيده من تراب الأرض، فسواه بشراً سويّاً، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له الملائكة، وأسكنه وزوجه حواء الجنة، ثم أهبطهما إلى الأرض بما جرى منهما لحكمة بالغة، فبث الله منهما ذريتهما في الأرض من ذكور وإناث، وجعل منهم الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين.

﴿حُدُوا﴾: تناولوا، والمراد: البسوا.

﴿زِينَتَكُمْ﴾: ثيابكم التي هي زينة أبدانكم، حيث تسترون بها عوراتكم.

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: أي: صلاة، عبّر بالمسجد عن الصلاة لأنه مكائنها، أو ليشمّل كل عبادة تفعل في المسجد من صلاة وطواف.

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾: لا تتجاوزوا الحد في اللباس والأكل والشرب، إمّا بالإفراط فيها وإمّا بأخذها من غير حلّها.

﴿إِنَّهُ﴾: أي: الله - سبحانه -.

﴿لَا يُحِبُّ﴾: المراد: أنه يكرهه.

﴿الْمُسْرِفِينَ﴾: المتجاوزين للحدِّ في أمورهم.

﴿قُلْ﴾: الخطابُ للنبي ﷺ، أو لكلِّ مَنْ يَصِحُّ خطابُهُ.

﴿مَنْ﴾: اسمُ استفهامٍ للتَّوْبِيخِ.

﴿حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾: منعٌ منها، وأضافَ الزَّيْنَةَ إلى الله لأنَّهُ خالقُهَا، فحَكَمُهَا

إليه لا إلى غيره.

﴿أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾: أظهرَها لَهُمْ مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وغيره.

﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾: معطوفٌ على: ﴿زِينَةَ اللَّهِ﴾ أي: ومَنْ حَرَّمَ الطَّيِّبَاتِ، وهي:

ما طَابَ في ذاتِهِ وكَسْبِهِ.

﴿مِنَ الرِّزْقِ﴾: مِنَ العَطَاءِ من مَأْكُولٍ ومَشْرُوبٍ.

﴿هِيَ﴾: أي: زِينَةُ اللهِ، والطَّيِّبَاتِ من الرِّزْقِ.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: أي: حَلَالٌ لَهُمْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

﴿خَالِصَةً﴾: مَنْصُوبَةٌ على الحَالِ، أي: سَالِمَةٌ من التَّبِعَاتِ والإِثْمِ.

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: مِثْلُ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ.

﴿نُفِصِلُ﴾: نُبَيِّنُ ونُوضِّحُ.

﴿الآيَاتِ﴾: الأحكام، سُمِّيَتْ آيَاتٍ لِدَلَالَتِهَا على كَمَالِ مَنْ شَرَعَهَا.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: يَسْتَعِدُّونَ لِلْعِلْمِ وَيَطْلُبُونَهُ حَتَّى يَبْلُغُوهُ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُنَادِي اللهُ تَعَالَى بَنِي آدَمَ بِهَذَا الْوَصْفِ لِقُرْبِ التَّحَدُّثِ عَنْ أَبِيهِمْ آدَمَ، فَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا نِيَابَهُمُ الَّتِي هِيَ زِينَةُ أَبْدَانِهِمْ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، لِيُؤَاوُوا بِهَا عَوْرَاتِهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ كَذَلِكَ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ حِفَاطًا عَلَى قَوَاهِمِهِمْ، وَاسْتِعَانَةً بِهِ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ -سُبْحَانَهُ- عَنْ مُجَاوَزَةِ الْحَدِّ الطَّبِيعِيِّ وَالشَّرْعِيِّ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُ إِسْرَافٌ، وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، ثُمَّ يَأْمُرُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُنْكِرَ بِصُورَةِ بَالِغَةٍ عَلَى مَنْ تَجَرَّأَ عَلَى اللَّهِ فَحَرَّمَ زِينَتَهُ الَّتِي أَخْرَجَهَا لِعِبَادِهِ وَحَرَّمَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، لِأَنَّ ذَلِكَ عُدْوَانٌ عَلَى اللَّهِ وَتَضْيِيقٌ عَلَى عِبَادِهِ، وَبَيِّنُ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ تِلْكَ الزَّيْنَةَ وَالطَّيِّبَاتِ حَلَالٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الدُّنْيَا، سَالِمَةٌ مِنَ التَّبِعَاتِ وَالْإِثْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يُخَيِّرُ أَنَّ هَذَا الْبَيَانَ وَالتَّفْصِيلَ إِنَّمَا يَكُونُ لِقَوْمٍ مُسْتَعِدِّينَ لِلْعِلْمِ رَاغِبِينَ فِي الْحَصُولِ عَلَيْهِ حَتَّى يُدْرِكُوهُ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

- ١- وَجُوبُ لُبْسِ الثِّيَابِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، فَيَكُونُ شَرْطًا لِصِحَّتِهَا، وَهَذَا مُحَلٌّ لِالاسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.
- ٢- أَنَّ الثِّيَابَ مِنَ الزَّيْنَةِ الَّتِي مَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ لِمَا فِيهَا مِنْ سِتْرِ الْعَوْرَاتِ.
- ٣- الْأَمْرُ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَهُمَا وَاجِبَانِ إِنْ تَوَقَّفَ عَلَيْهِمَا حِفْظُ الْبَدَنِ مِنَ الضَّرَرِ وَالتَّلَفِ، وَمُسْتَحَبَّانِ لِقَصْدِ التَّبَسُّطِ بِرِزْقِ اللَّهِ وَالتَّقَبُّلِ لِنِعْمَتِهِ.
- ٤- تَحْرِيمُ الْإِسْرَافِ فِي اللَّبَاسِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ.
- ٥- إِثْبَاتُ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ.

- ٦- الإِنْكَارُ الْبَالِغُ عَلَى مَنْ حَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الزَّيْنَةِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ.
- ٧- أَنَّ تَحْرِيمَ ذَلِكَ جَرَاءَةٌ عَلَى اللَّهِ وَعُدْوَانٌ، فَإِنَّ الَّذِي أَخْرَجَ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ، فَحُكْمُهُ إِلَيْهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ.
- ٨- أَنَّ هَذِهِ الزَّيْنَةَ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ حَلَالٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، سَأَلَتْهُ مِنَ التَّبَعَاتِ وَالْإِثْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ٩- أَنَّ هَذِهِ الزَّيْنَةَ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ غَيْرُ حَلَالٍ لِلْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا سَأَلَتْهُ مِنَ التَّبَعَاتِ وَالْإِثْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ١٠- امْتِنَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِتَفْصِيلِ الْآيَاتِ وَبَيَانِهَا.
- ١١- أَنَّ ذَلِكَ التَّفْصِيلَ وَالْبَيَانَ لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْعَالِمُونَ، الْمُسْتَعِدُّونَ لِلْعِلْمِ، الطَّالِبُونَ لَهُ حَتَّى يُدْرِكُوهُ.

الآية العاشرة:

٤٠- ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ

فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

تفسير الآية رقم ٤٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾: لَا تُثْمَلُ، وَلَا: نَاهِيَةٌ.

﴿خَدَّكَ﴾: جَانِبَ وَجْهِكَ.

﴿لِلنَّاسِ﴾: أَي: عَنِ النَّاسِ احْتِقَارًا لَهُمْ.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أَي: عَلَى الْأَرْضِ.

﴿مَرَحًا﴾: بَطْرًا وَتَعَاظِمًا.

﴿لَا يُحِبُّ﴾: الْمُرَادُ: أَنَّهُ يَكْرَهُ.

﴿مُخَالٍ﴾: مُتَرَفِّعٍ مُتَعَاظِمٍ فِي نَفْسِهِ.

﴿فَخُورٍ﴾: مَادِحٍ نَفْسَهُ بِمَا يَقُولُهُ أَوْ يَفْعَلُهُ.

ب- المعنى الإجمالي:

أخبر الله تعالى قبل هذه الآية أنه أتى لقمان الحكمة، فأوصى ابنه بوصايا نافعة، وكان من جملة ما أوصاه به ما ذكره الله في هذه الآية أنه نهى ابنه أن يصعّر خده للناس، أي: يميله عن النظر إليهم ترفعاً عنهم واحتقاراً لهم، ونهاه كذلك

أَنْ يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ مِشْيَةَ الْمَرْحِ بَطْرًا وَتَعَاظًا، فَإِنْ ذَلِكَ مِنَ الْخِيَلَاءِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُحْتَمَلٍ فَخُورٍ.

ج - مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١ - وَجُوبُ التَّوَاضُّعِ لِلْحَقِّ وَلِلخَلْقِ.
- ٢ - تَحْرِيمُ الْخِيَلَاءِ وَالْفَخْرِ، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ الْخِيَلَاءَ فِي اللَّبَاسِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْاِسْتِشْهَادِ
بِالْآيَةِ.
- ٣ - تَحْرِيمُ التَّبَخُّرِ فِي الْمَشْيِ مَرَحًا.
- ٤ - إِثْبَاتُ الْمَحَبَّةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ الْفِعْلِيَّةِ.

الآية الحادية عشر:

٤١- ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

تفسير الآية رقم ٤١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَإِذْ﴾: مفعول لفعل محذوف، والتقدير: اذكر إذ.

﴿بَوَّأْنَا﴾: هيأناه ليكون مَبَوَّأً، أي: مسكنًا.

﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾: هو: ابنُ أزر، وأحدُ أولي العزم من الرُّسلِ وأفضلهم بعد مُحَمَّد - صلى الله عليهم وسلم -، تزوج سارةَ وولدَ له منها إسحاقُ أبو يعقوبَ الذي هو إسرائيلُ أبو بني إسرائيل، وتسرى هاجرَ فولدَ له منها ولدُه الأكبرُ إسماعيلُ أبو العربِ، فأسكنه هو وأمه أرضَ مكة، ولما بلغ معه السَّعي ابتلاه اللهُ تعالى فيه ببلاءٍ عظيمٍ حيثُ أمره بذبحه، فامتثلَ أمرَ الله مُقدِّمًا طاعةَ ربِّه على ما تهوَّاهُ نفسه قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَتَمَّأْنَا وَتَلَّهٗ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَبَّنَا أَنْ يَتَّبِرْهُمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقَتِ الرَّبُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهٗو الْبَلْتَا الْمُئِينُ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٦]، اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا، وهو: البالغُ في المحبة غايتها، أرسله اللهُ إلى أهلِ بابل، وكانوا يعبدون الأصنامَ، فكسرها وجعلهم جذاذًا إلا كبيرًا لهم، فأصرُّموا له النارَ ليحرِّقوه انتصارًا لأهلهم، فألقوه فيها فقال اللهُ لها: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبراهيمَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، فأنجاه منها وأبطلَ كيدَ الخاسرينَ فكانوا همُ الأسفلينَ، وهاجرَ إلى الشام، وأرسله اللهُ تعالى إلى أهلِ حرَّانَ، وكانوا يعبدون

الكواكب، فَبَيَّنَ لَهُمْ بَطْلَانَ عِبَادَتِهَا بِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ، وكانت له الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، وأعلن أنه لا يَخَافُ تِلْكَ الْآلِهَةَ وَلَا يَعْبُأُ بِهَا، مات ﷺ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فِي فَلَسْطِينَ فِي الْخَلِيلِ، لكن لا يُعْلَمُ مَكَانَ قَبْرِهِ فِيهَا بِالْتَّعْيِينِ.

﴿الْبَيْتِ﴾: الْكَعْبَةُ.

﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ﴾: أَنْ: تَفْسِيرِيَّةٌ، وَلَا: نَاهِيَّةٌ، وَالْمُفَسَّرُ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: قَاتِلِينَ لَهُ: لَا تُشْرِكُ.

﴿وَطَهَّرَ﴾: نَزَّهُ مِنَ الْقَدْرِ وَالشُّرْكِ.

﴿بَيْتِي﴾: أَي: الْكَعْبَةُ، أَضَافَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ تَشْرِيفًا لَهُ، وَلَائِنَّهُ مَكَانُ عِبَادَتِهِ.

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: لِلدَّائِرِينَ عَلَيْهِ مُتَوَدِّدِينَ تَعَبُّدًا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَاللَّامُ

لِلتَّغْلِيلِ.

﴿وَالْقَائِمِينَ﴾: الْمَاكِمِينَ لِلتَّعَبُّدِ بِالْاِعْتِكَافِ وَغَيْرِهِ.

﴿وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾: أَي: الْمُصَلِّينَ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُنَوِّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - حَيْثُ هَيَأُ لَهُ مَكَانَ الْبَيْتِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْكَنًا وَمَقَرًّا لِعِبَادَتِهِ وَحَدَهُ، وَعَهْدًا إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ - بِالْإِخْلَاصِ لَهُ وَنَفْيِ الشُّرَيْكِ عَنْهُ، وَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُطَهَّرَ هَذَا الْبَيْتَ لِكُلِّ مَنْ تَعَبَّدَ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِ، سِوَاءَ كَانَتْ تِلْكَ الْعِبَادَةُ مِمَّا تَخْتَصُّ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَالطَّوَافِ، أَمْ مِمَّا تَكُونُ فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ كَالْاِعْتِكَافِ وَالصَّلَاةِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- بيانُ مَنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى بِتَهْيِئَةِ مَكَانِ الْبَيْتِ لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ - عليه الصلاة والسلام-.
- ٢- فَضِيلَةُ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ.
- ٣- وَجُوبُ تَطْهِيرِ الْبُقْعَةِ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهَا، وَهَذَا مَحَلُّ الْاِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٤- وَجُوبُ تَطْهِيرِ لِبَاسِ الْمُصَلِّي وَبَدَنِهِ، لِأَنَّهُ أَوْلَى مِنْ تَطْهِيرِ الْبُقْعَةِ الَّتِي يُصَلِّي عَلَيْهَا.
- ٥- فَضِيلَةُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَمَكَانَتُهُمَا فِي الصَّلَاةِ.

الآية الثانية عشر:

٤٢- ﴿قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

تفسير الآية رقم ٤٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿قَدْ﴾: حَرْفٌ تَحْقِيقِيٌّ وَتَأْكِيدِيٌّ.

﴿زَرَى﴾: نُبِصِرُ.

﴿تَقَلَّبَ وَجْهَكَ﴾: تَحَوَّلَهُ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ.

﴿فِي السَّمَاءِ﴾: فِي جِهَةِ السَّمَاءِ انْتِظَارًا لِلنُّزُولِ الْوَحْيِيِّ.

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: فَلَنَجْعَلَنَّكَ مُتَوَلِّيًا، أَي: قاصِدًا.

﴿قِبْلَةً﴾: جِهَةً تُصَلِّي إِلَيْهَا.

﴿تَرْضَاهَا﴾: تُحِبُّهَا.

﴿فَوَلِّ﴾: فَوَجِّهْ.

﴿شَطْرَ﴾: جِهَةً.

﴿الْحَرَامِ﴾: ذِي الْحُرْمَةِ وَالتَّعْظِيمِ الَّذِي يَحْرُمُ انْتِهَاكُهُ، وَالْمُرَادُ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ:

الكَعْبَةُ.

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾: في أيِّ مكانٍ كنتم، والجُمْلَةُ شَرْطِيَّةٌ جَوَابُهَا: قوله ﴿فَوَلُّوا﴾.

﴿أَوْتُوا أَلْكِتَابَ﴾: أُعْطُوا الْكِتَابَ بِأَنْ نَزَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ عَلَى أَيْدِي رُسُلِهِمْ

وهم اليهود، أُعْطُوا التَّوْرَةَ عَلَى يَدِ مُوسَى، وَالنَّصَارَى أُعْطُوا الْإِنْجِيلَ عَلَى يَدِ عِيسَى

-عليها الصلاة والسلام-

﴿يَعْلَمُونَ﴾: اللَّامُ لِلتَّوَكِيدِ.

﴿أَنَّهُ﴾: أَي: اسْتِقْبَالَكَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

﴿الْحَقُّ﴾: الصِّدْقُ الْمَطَابِقُ لِلشَّرْعِ وَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ كُتُبُهُمْ.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ﴾: بِسَاءِهِ أَوْ مُنْشَغِلٍ، وَالغَرَضُ مِنَ الْجُمْلَةِ تَهْدِيدُ أَهْلِ الْكِتَابِ

الْمُنْكَرِينَ لِاسْتِقْبَالِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُشْتَقًّا إِلَى اسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ فِي الصَّلَاةِ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ،

وَكَانَ مُتَشَوِّقًا إِلَى نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ بِالْأَمْرِ بِذَلِكَ بَدَلًا عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الَّذِي كَانَ

يَسْتَقْبِلُهُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ لِمُدَّةِ سِتَّةِ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا؛ فَكَانَ ﷺ يَقْلُبُ

وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ انْتِظَارًا لِنُزُولِ الْوَحْيِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ وَمَا بَعْدَهَا بِالْأَمْرِ

بِاسْتِقْبَالِ جِهَةِ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَسْتَقْبِلَهَا النَّاسُ فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانُوا مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وَالجَوْ مَتَى قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ.

وَأَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ- أَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ يَعْلَمُونَ أَنَّ اسْتِقْبَالَ النَّبِيِّ ﷺ لِلْكَعْبَةِ

حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، حَيْثُ أَخْبَرَتْ بِذَلِكَ كُتُبُهُمْ وَلَكِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ حَسَدًا

وَاسْتِكْبَارًا، وَلَنْ يَخْفَى عَمَلُهُمْ عَلَى عَالِمِ الْغَيْبِ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، فَلَيْسَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- إِبْتَاتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَى.
- ٢- شِدَّةُ اشْتِيَاقِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى اسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ فِي الصَّلَاةِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ وَأَفْضَلُهُ.
- ٣- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ.
- ٤- وُجُوبُ اسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ فِي الصَّلَاةِ، فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ الْمُصَلِّي فَمَنْ أَمَكَّنَهُ مُشَاهَدَتِهَا اسْتَقْبَلَ عَيْنَهَا وَإِلَّا فَجَهَّتْهَا، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٥- أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَعْلَمُونَ أَنَّ اسْتِقْبَالَ الْكَعْبَةِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، حَيْثُ أَخْبَرَتْ بِذَلِكَ كُتُبُهُمْ، لَكِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِذَلِكَ عِنَادًا.
- ٦- سِعَةُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَمُرَاقَبَتُهُ لِأَعْمَالِ عِبَادِهِ.

الآية الثالثة عشر:

٤٣- ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ

عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

تفسير الآية رقم ٤٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَلِلَّهِ﴾: اللأم للملك، والجار والمجرور خبر مقدم، وتقديم الخبر يفيد الحصر والاختصاص.

﴿الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: مكان شروق الشمس والكواكب وغروبها، أو جهة الشروق والغروب، والمراد عموم ملكه تعالى لكل أقطار الدنيا وجهاتها.

﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾: في أي مكان تتجهوا، والجُملة شرطية، جوابها قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

﴿فَثَمَّ﴾: بفتح الثاء، أي: فهناك.

﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾: يعني: أن أمامكم وجه الله، لأن الله قبل وجه المصلي، وهو

على عرشه - تبارك وتعالى -.

﴿وَاسِعٌ﴾: محيط بكل شيء.

﴿عَلَيْهِ﴾: مدرك للأمر على ما هي عليه.

ب- المعنى الإجمالي:

يُخبرُ اللهُ تعالى بتفردِه بِمَلِكِ أَقْطَارِ الدُّنْيَا وَجِهَاتِهَا، بِمَلِكِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ،

وَمَا مِنْ مَكَانٍ إِلَّا وَلَهُ مَشْرِقٌ وَمَغْرِبٌ، فَمَهْمَا تَوَجَّهَ الْإِنْسَانُ فِي صَلَاتِهِ إِلَى جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ حَسَبًا شَرَعَ اللَّهُ لَهُ فَوْجَهُ اللَّهُ تَعَالَى قِبَلَهُ، كَمَا ثَبَتَ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى». رواه البخاري^(١)، ثُمَّ حَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ بَيَانِ إِحَاطَتِهِ وَعِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- انْفِرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِمِلْكِ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ وَالْجِهَاتِ.
- ٢- جَوَازُ اسْتِقْبَالِ الْمُصَلِّيِّ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ حَيْثُمَا شُرِعَتْ لَهُ، وَلَوْ كَانَ إِلَى غَيْرِ الْكَعْبَةِ عِنْدَ تَعَدُّرِهَا لَعَجَزَ أَوْ اسْتَبَاهُ، أَوْ فِي النَّافِلَةِ فِي السَّفَرِ، وَهَذَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٣- أَنَّ اللَّهَ يَكُونُ قِبَلَ وَجْهِ الْمُصَلِّيِّ حِينَ صَلَاتِهِ.
- ٤- فَضْلُ الصَّلَاةِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكُونُ فِيهَا قِبَلَ وَجْهِ الْمُصَلِّيِّ.
- ٥- إِبْتِاطُ الْوَجْهِ لِلَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ.
- ٦- إِحَاطَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَعِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

فَائِدَةٌ:

خُلَاصَةٌ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ الثَّلَاثُ عَشْرَةَ السَّابِقَةُ مِنْ شُرُوطِ الصَّلَاةِ مَا يَلِي:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد، رقم (٤٠٦)؛ ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، رقم (٥٤٧).

أ- الوَقْتُ في الآياتِ رقم (٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥)، وَيَلْحَقُ به الأَذَانِ في الآية رقم (٣٧).

ب- سَتْرُ العَوْرَةِ في الآياتِ رقم (٣٨، ٣٩، ٤٠).

ج- طَهَارَةُ مَكَانِ المُصَلِّي وَلِبَاسِهِ وَبَدَنِهِ في الآية رقم (٤١).

د- اسْتِقْبَالُ القِبْلَةِ في الآيتين رقم (٤٢، ٤٣).

النَّوعُ الثَّالِثُ

الآيَةُ الْأُولَى:

٤٤ - ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾

[البقرة: ٢٣٨].

النَّوعُ الثَّالِثُ: أَي: مِنْ آيَاتِ الصَّلَاةِ، وَمَوْضُوعُهُ: أَرْكَانُ الصَّلَاةِ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْم ٤٤:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿حَفِظُوا﴾: دَاوِمُوا وَوَاطِبُوا مَعَ الْإِثْقَانِ.

﴿الْوَسْطَى﴾: الْفُضْلَى، وَالْمُرَادُ بِهَا صَلَاةُ الْعَصْرِ.

﴿وَقُومُوا﴾: قِفُوا فِي صَلَاتِكُمْ.

﴿لِلَّهِ﴾: اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ، أَي: إِخْلَاصًا وَتَعْظِيمًا لِلَّهِ.

﴿قَانِتِينَ﴾: خَاشِعِينَ بِقُلُوبِكُمْ وَجَوَارِحِكُمْ، لَا تَشْتَغِلُونَ بِشَيْءٍ سِوَى

الْمَشْرُوعِ فِي صَلَاتِكُمْ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

لَمَّا كَانَتِ الصَّلَوَاتُ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَحَبِّهَا إِلَى الرَّبِّ وَأَنْفَعَهَا لِلْعَبْدِ

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا عُمُومًا، ثُمَّ خَصَّ صَلَاةَ الْعَصْرِ لِشَرَفِهَا وَفُضْلِهَا،

وَأَمَرَ -سُبْحَانَهُ- عِبَادَهُ أَنْ يَقُومُوا فِيهَا مُخْلِصِينَ لِلَّهِ مُعَظِّمِينَ لِقَائِهِ لِيَذُوقُوا حَلَاوَةَ
الصَّلَاةِ وَيَجْنُوا ثَمَرَتَهَا، فَتَنَّهُاهُمْ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ الْمَحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَخُصُوصًا صَلَاةِ الْعَصْرِ.
- ٢- فَضِيلَةُ الصَّلَوَاتِ، وَخُصُوصًا صَلَاةِ الْعَصْرِ.
- ٣- وَجُوبُ الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْأَسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ، وَيَسْقُطُ وَجُوبُ
الْقِيَامِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنْهُ، أَوْ الْخَوْفِ بِهِ، وَفِي النَّافِلَةِ، وَإِذَا صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ
عَاجِزٍ عَنْهُ.
- ٤- وَجُوبُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ بِالسُّكُوتِ عَنِ كَلَامِ الْأَدْمِيَّةِ فِيهَا.

الآية الثانية:

٤٥- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْتَسِبَهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ وَءآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وءآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

تفسير الآية رقم ٤٥:

أ- تفسير الكلمات:

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: الخطابُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿تَقُومُ﴾: تُصَلِّي لَيْلًا.

﴿أَدْنَىٰ﴾: أَقَلُّ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ.

﴿وَنِصْفَهُ﴾: أَي: نِصْفَ اللَّيْلِ.

﴿وَتُلُثَهُ﴾: أَي: ثُلُثَ اللَّيْلِ.

﴿وَطَائِفَةٌ﴾: جَمَاعَةٌ، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى فَاعِلِ تَقُومُ الْمُسْتَتِرِ.

﴿مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾: أَي: مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ يَقُومُونَ مَعَكَ.

﴿يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: يَجْعَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ، يَزِيدُ أَحَدَهُمَا

عَلَى الْآخَرِ تَارَةً، وَيَتَسَاوَيَانِ أُخْرَى عَلَى أَدَقِّ انْتِظَامٍ.

﴿تُحْصَوُهُ﴾: تَضْبِطُوهُ، أَي: اللَّيْلُ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ سَاعَاتُ آيَةٍ فِي ذَلِكَ

العصر.

﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾: أَي: فَسَهَّلَ عَلَيْكُمْ بِأَنْ تَقْرَؤُوا مَا تَيْسَّرَ دُونَ التَّقْيِيدِ بِالْجُزْءِ

المُقَدَّرِ مِنَ اللَّيْلِ.

﴿فَأَقْرَءُوا﴾: فَاتْلُوا فِي صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ.

﴿تَيْسَّرَ﴾: تَسَهَّلَ، وَالْأَمْرُ بِقِرَاءَةِ مَا تَيْسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ يَفْتَضِي الْأَمْرَ بِصَلَاةِ

مَا تَيْسَّرَ مِنَ الصَّلَاةِ، لِأَنَّهُ لَا صَلَاةَ إِلَّا بِقِرَاءَةٍ.

﴿عَلِمَ﴾: أَي: اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَالْجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿مَرَضِيٌّ﴾: جَمْعُ مَرِيضٍ، وَهُوَ مَنْ اِعْتَلَّتْ صِحَّتُهُ.

﴿يَصْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: يُسَافِرُونَ فِيهَا لِلتَّجَارَةِ وَغَيْرِهَا.

﴿يَبْتَغُونَ﴾: يَطْلُبُونَ.

﴿فَضَّلِ اللَّهُ﴾: رَزَقِ اللَّهُ.

﴿يُقْنِلُونَ﴾: يَتَقَاتَلُونَ مَعَ الْكُفَّارِ.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فِي دِينِ اللَّهِ لِإِعْلَائِهِ.

﴿مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ﴾: أَي: مِنَ الْقُرْآنِ، وَكُرِّرَتْ مَعَ الْأُولَى تَقْرِيرًا لِلْحُكْمِ.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: صَلُّوْهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ.

﴿وَمَا آتَا الزَّكَاةَ﴾: أَعْطَوْهَا مُسْتَحِقَّهَا، وَالزَّكَاةُ قَدْرٌ مُعَيَّنٌ فِي مَالٍ خَاصٍّ يُدْفَعُ

كُلَّ عَامٍ.

﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ : أَنْفَقُوا أَمْوَالَكُمْ مِنْ أَجَلِهِ، يُشْكُرْكُمْ عَلَيْهِ، وَسَّأَهُ قَرْضًا لِاتِّزَامِهِ
-سُبْحَانَهُ- بِالْجَزَاءِ عَلَيْهِ تَفْضُلًا مِنْهُ.

﴿حَسَنًا﴾ : أَيُّ : مُوَافِقًا لَشَرْعِهِ، لَا إِسْرَافَ فِيهِ وَلَا تَقْتِيرَ.

﴿وَمَا نُقَدِّمُوا﴾ : أَيُّ : فِي حَيَاتِكُمْ.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ : مِنْ مَالٍ تُنْفِقُونَهُ.

﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ : أَيُّ : مِمَّا أَبْقَيْتُمُوهُ وَلَمْ تَقْدِّمُوهُ، أَوْ مِمَّا أَنْفَقْتُمْ لِأَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ
خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

﴿وَأَعْظَمَ﴾ : أَبْلَغَ كِمِّيَّةً وَكَيْفِيَّةً لِأَنَّ الْحَسَنَةَ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ
إِلَى أضعاف كثيرة.

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ : اطلبوا منه المغفرة، وهي : سَتْرُ الذَّنْبِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ : ذُو مَغْفِرَةٍ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِلأَمْرِ
بِالاستِغْفَارِ.

﴿رَحِيمٌ﴾ : ذُو رَحْمَةٍ يَرْحَمُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ فِي هَذِهِ السُّورَةِ فِي أَوَّلِهَا أَنْ يَقُومَ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا،
نِصْفَهُ أَوْ يُنْقِصُ مِنْهُ قَلِيلًا، أَوْ يَزِيدَ عَلَيْهِ، فَفَعَلَ ﷺ وَفَعَلَ مَعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ،
وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِلْمِهِ بِمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فَعَلَهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ
عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- وَحْدَهُ الَّذِي يُقَدَّرُ

الليل والنهار وساعاتهما على أدق انتظام، وأئتم لا يستطيعون ضبط الليل على وجه الدقة، فمن فضله ورحمته تاب عليهم وعفا عنهم وسهل لهم أن يقوموا من الليل ما تيسر؛ وأخبر - سبحانه - عن علمه بأنه سيكون من المؤمنين من لا يستطيع القيام لمرض أو سفر أو قتال في سبيل الله، فأمرهم أن يقوموا بما تيسر من القرآن، وأن يقيموا الصلاة المفروضة، ويؤتوا الزكاة الواجبة، ويزيدوا من إنفاق المال تطوعاً مخلصين لله على الوجه الموافق لشريعته، ويطلبوا المغفرة من الله تعالى حيث لا يخلو العبد من تقصير فيما قام به فإن الله غفورٌ رحيمٌ.

ج- ما يُستفاد من الآية:

- ١- إثبات علم الله تعالى بما كان وما يكون جملةً وتفصيلاً.
- ٢- قيام النبي ﷺ بالعبادة على الوجه الأكمل.
- ٣- تمام قدرة الله تعالى بتقدير الليل والنهار وحكمته في ذلك.
- ٤- قُصور علم الإنسان وقدرته.
- ٥- سعة رحمة الله بعباده، حيث سهل عليهم القيام بما تيسر لمشقة التقدير الأول عليهم.
- ٦- وجوب القراءة بما تيسر من القرآن في الصلاة، وقد دلت السنة على تعيين قراءة الفاتحة، وهذا محل الاستشهاد بالآية.
- ٧- أن المشقة تجلب التيسير، إما بنسخ الحكم من أصله فيسقط عن جميع الناس، وإما بسقوطه ممن حصلت المشقة عليه.
- ٨- أن المرض والسفر والجهاد أسباب موجبة للتخفيف حسبما جاءت به الشريعة.

- ٩- وَجُوبُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ.
- ١٠- وَجُوبُ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِهِ ﷺ فِيمَا أُنْفِقُ اللَّهُ مِنَ الْمَالِ.
- ١١- أَنَّ مَا قَدَّمَهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْمَالِ لِلَّهِ تَعَالَى خَيْرٌ لَهُ مِمَّا أَبْقَاهُ.
- ١٢- أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِدُ ثَوَابَ مَا أُنْفَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُدْخَرًا عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرًا.
- ١٣- وَجُوبُ اسْتِغْفَارِ الْإِنْسَانِ مِنَ الذَّنْبِ.
- ١٤- إِثْبَاتُ اسْمِ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ، وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنْ صِفَتِي الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

الآية الثالثة:

٤٦- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اِرْكَعُوا وَاَسْجُدُوا وَاَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَاَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

تفسير الآية رقم ٤٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾: سبق تفسيرها في الآية رقم (١٧).

﴿اِرْكَعُوا﴾: احنوا ظهوركم في الصلاة تعظيماً لله - عز وجل - على صفة مخصوصة.

﴿وَاَسْجُدُوا﴾: ضعوا في الصلاة جباهكم وبقية أعضاء السجود على الأرض بصفة مخصوصة.

﴿وَاَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: تذللوا له بالطاعة بفعل أوامره وترك نواهيه.

﴿وَاَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: أي: كلما كان خيراً من عبادة وغيرها.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل فهي بمعنى: من أجل.

﴿تُفْلِحُونَ﴾: تدركون مطلوبكم وتنجون من مرهوبكم.

ب- المعنى الإجمالي:

يُنَادِي اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِصِفَةِ الْإِيمَانِ تَمَيِّزًا لَهُمْ عَلَى قَبُولِ مَا يُحَاطِطُهُمْ بِهِ، لَأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى فِعْلِ أَوْامِرِ اللهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، فَيَأْمُرُهُمْ تَعَالَى

بالرُّكُوعِ والسُّجُودِ فِي الصَّلَاةِ لِمَا فِيهِمَا مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ثُمَّ يَعْطِفُ عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ بِعِبَادَتِهِ الشَّامِلَةَ لِلرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَغَيْرِهِمَا، وَيَفْعَلُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةٍ وَغَيْرِهَا لِنَّالَ بِذَلِكَ الْفَلَاحَ بِحُصُولِ الْمَطْلُوبِ وَالنَّجَاةَ مِنَ الْمَرْهُوبِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ فِي الصَّلَاةِ، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٢- فَضْلُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ لِأَنَّ اللَّهَ خَصَّهُمَا بِالْأَمْرِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ.
- ٣- وَجُوبُ عِبَادَةِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ٤- الْأَمْرُ بِفَعْلِ الْخَيْرِ وَجُوبًا فِيمَا يَجِبُ وَاسْتِحْبَابًا فِيمَا يُسْتَحَبُّ.
- ٥- أَنَّ الْقِيَامَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ سَبَبٌ لِلْفَلَاحِ.

الآية الرابعة:

٤٧- ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ
وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

تفسير الآية رقم ٤٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ﴾: فاتخذوا وقاية من عذابه، بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.
﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: ما قدرتم على ذلك، وما شرطية وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما سبقه.

﴿وَأَسْمِعُوا﴾: أصغوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ أَوْ تُنْهَوْنَ عَنْهُ.

﴿وَأَطِيعُوا﴾: امتثلوا.

﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا﴾: ابذلوا مالا.

﴿لِّأَنْفُسِكُمْ﴾: اللام للتعليل، أي: من أجل أنفسكم.

﴿يُوقِ﴾: يجعل له وقاية فيصان.

﴿شَحَّ نَفْسِهِ﴾: بخل نفسه مع الطمع والحرص.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: المدركون لمطلوبهم، الناجون من مرهوبهم.

ب- المعنى الإجمالي:

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى عباده أن يتقوا الله تعالى غاية جهدهم

ومدى استطاعتهم، فما اسْتَطَاعُوهُ مِنْ تَقْوَاهُ فليس لَهُمْ عُدْرٌ فِي تَرْكِهِ، وما لَمْ يَسْتَطِيعُوهُ فَهُمْ فِي عَافِيَةٍ مِنْهُ، فِيهِ الْآيَةُ عَزِيمَةٌ وَتَسْهِيلٌ مَعًا، ثُمَّ يُؤَكِّدُ الْأَمْرَ بِتَقْوَاهُ ضِمْنًا فَيَأْمُرُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْفَاقِ الْخَيْرِ، وَأَنْ نَفَعَ ذَلِكَ لَا يَعُودُ لِأَحَدٍ سِوَانَا، وَيُبَيِّنُ -سُبْحَانَهُ- أَنْ مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَحَّ نَفْسِهِ وَصَانَهُ مِنْهُ فَقَدْ أَفْلَحَ فَأَدْرَكَ مَطْلُوبَهُ وَنَجَا مِنْ مَرْهُوبِهِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ.
- ٢- أَنْ مَنْ عَجَزَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ سَقَطَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ لَهُ بَدَلٌ فَعَلَّ بَدَلَهُ وَإِلَّا فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، فَمَنْ عَجَزَ عَنِ الْقِيَامِ صَلَّى قَاعِدًا، وَعَنِ الرُّكُوعِ أَوْ السُّجُودِ أَوْ مَا بِهِمَا، وَإِنْ عَجَزَ عَنِ السُّجُودِ عَلَى الْأَعْضَاءِ كُلِّهَا سَجَدَ عَلَى مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْهَا، وَهَذَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٣- وَجُوبُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَوَامِرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٤- الْأَمْرُ بِإِنْفَاقِ الْخَيْرِ، وَهُوَ لِلْوَجُوبِ فِيمَا يَجِبُ إِنْفَاقُهُ، وَلِلِاسْتِحْبَابِ فِيمَا يُسْتَحَبُّ.
- ٥- أَنَّ مَنَفَعَةَ عَمَلِ الْإِنْسَانِ الْخَيْرِ تَعُودُ لِنَفْسِهِ، وَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ- فِي غِنَى عَنْهَا.
- ٦- أَنْ مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَحَّ نَفْسِهِ فَقَدْ أَفْلَحَ.
- ٧- الْحُثُّ عَلَى الْكَرَمِ وَالْإِنْفَاقِ.

فائدة:

خُلاصَةً ما دَلَّتْ عليه هذه الآيات الكريمة الأربع من أركان الصلاة ما يلي:

أ- القِيَامُ في الآية رقم (٤٤).

ب- قِرَاءَةُ الفَاتِحَةِ في الآية رقم (٤٥).

ج- الرُّكُوعُ والسُّجُودُ في الآية رقم (٤٦).

د- سُقُوطُ هَذِهِ الأركانِ بالعَجْزِ عَنْهَا في الآية رقم (٤٧).

النَّوعُ الرَّابِعُ

الآيَةُ الْأُولَى إِلَى التَّاسِعَةِ:

٤٨-٥٦ - ﴿وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

[الحاققة: ٤٤-٥٢].

النَّوعُ الرَّابِعُ: أَي: مِنْ آيَاتِ الصَّلَاةِ، وَمَوْضُوعُهُ: وَاجِبَاتُ الصَّلَاةِ.

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ رَقْم ٤٨ - ٥٦:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿نَقَوْلَ﴾: قَالَ عَلَيْنَا مَا لَمْ نَقُلْ، وَالضَّمِيرُ يَرْجِعُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿عَلَيْنَا﴾: الضَّمِيرُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَتَى بِصِيغَةِ الْجَمْعِ لِلتَّعْظِيمِ.

﴿الْأَقَاوِيلِ﴾: أَي: الْأَحَادِيثُ الْمُفْتَعَلَةُ الَّتِي لَا صِحَّةَ لَهَا.

﴿لَأَخَذْنَا﴾: جَوَابُ (لَوْ).

﴿مِنْهُ﴾: أَي: النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿بِالْيَمِينِ﴾: أَي: بِيَمِينِهِ لِعُقُوبَتِهِ، وَقِيلَ: بِيَمِينِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿لَقَطَعْنَا﴾: كَبَّرْنَا.

﴿الْوَتِينَ﴾: عِرْقُ الْقَلْبِ الَّذِي يَكُونُ الْمَوْتُ بِقَطْعِهِ.

﴿فَمَا مِنْكُمْ﴾: مَا نَافِيَةٌ، وَالخِطَابُ لِلنَّاسِ عُمُومًا، أَوْ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُ تَقَوَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- .

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: مِنْ زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ .

﴿عَنْهُ﴾: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

﴿حَاجِرِينَ﴾: مَا نَعِينَ مِنْ عُقُوبَتِهِ بِهَا ذَكَرَ .

﴿وَأِنَّهُ﴾: أَيُّ: الْقُرْآنُ .

﴿لَذِكْرُهُ﴾: لِمَوْعِظَةٍ يَتَذَكَّرُ بِهَا، وَاللَّامُ لِلتَّوَكُّيدِ .

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: لِلْمُتَّخِذِينَ وَقَايَةَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ .

﴿مِنْكُمْ﴾: الخِطَابُ لِلنَّاسِ عُمُومًا، وَمِنْ لِلتَّبَعِيضِ .

﴿مُكَذِّبِينَ﴾: مُنْكَرِينَ لِصِدْقِهِ، وَجُمْلَةٌ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ﴾ لِلتَّهْدِيدِ .

﴿وَأِنَّهُ﴾: أَيُّ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمِ .

﴿لِحَسْرَةٍ﴾: أَيُّ: نَدَمٌ وَتَلَهُّفٌ .

﴿الْكَافِرِينَ﴾: الْجَاهِلِينَ لِصِحَّتِهِ إِذَا رَأَوْا عَاقِبَةَ مَنْ آمَنَ بِهِ، بِأَنْتِصَارِهِمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَثَوَابِهِمْ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ .

﴿لِحَقِّ الْيَقِينِ﴾: أَيُّ: لِلثَّابِتِ يَقِينًا، وَالْيَقِينُ مُحَقَّقُ الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ .

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾: نَزَّهُ اللَّهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ تَنْزِيهًا مَقْرُونًا بِاسْمِهِ .

﴿الْعَظِيمِ﴾: ذُو الْعَظَمَةِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

ب- المعنى الإجمالي:

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ فِي النَّبِيِّ ﷺ الْأَقْوَالِ الْمُنَوَّعَةَ فِي تَكْذِيبِهِ. وَمِنْ جُمْلَةِ قَوْلِهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَقَوْلَ الْقُرْآنِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ، فَيِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ كَذِبُهُمْ بِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ وَالْأَمْرِ الْوَاقِعِ، وَهُوَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا زَالَ يَأْتِي بِالْقُرْآنِ وَيَقُولُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَهِّلُهُ، بَلْ يُلْقَى قَبُولُهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، فَيَزِدَادُ أَتْبَاعُهُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ لَوْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَقَوِّلاً عَلَيْهِ، بَلْ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْهِ وَلَوْ بَعْضًا مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي يَزْعُمُونَهُ أَقَاوِيلَ لِأَهْلِكَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَأَخَذَ مِنْهُ بِالْيَمِينِ وَقَطَعَ مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَحْجِزَ عَنْهُ عِقَابَ اللَّهِ، ثُمَّ أَكَّدَ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ الْقُرْآنَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ، لَا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُمْ، وَأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُكَذِّبُ بِهِ وَلَكِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يَعْلَمُهُمْ وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، وَأَكَّدَ أَيْضًا أَنَّ الْقُرْآنَ حَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ حِينَ يُشَاهِدُونَ عَاقِبَةَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ النَّصْرَةِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، فَيَنْدَمُونَ عَلَيْهِ أَشَدَّ النَّدَمِ، وَيَتَلَهَّفُونَ أَشَدَّ التَّلَهُّفِ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَكَّدَ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ ثَابِتٌ يَقِينًا لَا مَرِيَةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ، وَأَمَرَ بِتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ تَنْزِيهَاً مَقْرُونًا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، وَمِنْ ذَلِكَ تَنْزِيهِهُ أَنْ يُمَكَّنَ لِأَحَدٍ فِي الْأَرْضِ مَعَ تَقْوِيلِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَحْوُلُ دُونَ مُرَادِهِ شَيْءٌ.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»، فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ (١).

(١) أخرجه أحمد برقم (١٦٩٦١)؛ وأبو داود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- صَدُقَ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ.
- ٢- أَنَّ الْبُرْهَانَ عَلَى ذَلِكَ تَمَكِينُ اللَّهِ لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَلَوْ كَانَ كَاذِبًا عَلَى اللَّهِ لَأَهْلَكَهُ.
- ٣- تَمَامُ سُلْطَانِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ مُرَادَهُ.
- ٤- أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَتَذَكَّرُ بِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -.
- ٥- تَحْرِيمُ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِإِلْمٍ.
- ٦- أَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِهَلَاكِ الْقَائِلِ، وَظُهُورِ خِزْيِهِ بَيْنَ النَّاسِ.
- ٧- أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَسْبَابِ فَهْمِ الْقُرْآنِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ.
- ٨- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ تَكْذِيبُ الْمَكْذِبِينَ بِالْقُرْآنِ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ.
- ٩- أَنَّ الْكَافِرِينَ بِالْقُرْآنِ سَيَذُوقُونَ أَلَمَ الْحُسْرَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ.
- ١٠- أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ يَقِينٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُبَارِي فِيهِ إِلَّا مُكَابِرٌ.
- ١١- وَجُوبُ تَسْبِيحِ اللَّهِ تَعَالَى بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَجْعَلَهَا فِي الرُّكُوعِ، وَهَذَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ١٢- إِبْتِثَاتُ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ.

الآية العاشرة إلى الرابعة عشرة:

٥٧-٦١ - ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝﴾ [الأعلى: ١-٥].

تفسير الآيات رقم ٥٧ - ٦١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿سَبَّحَ﴾: نَزَّهَ عَمَّا لَا يَلِيقُ.

﴿اسْمَ رَبِّكَ﴾: أَي: جَمِيعُ اسْمَائِهِ فَلَا تُثَبِّتُ لَهَا مَعْنَى لَا يَلِيقُ بِمُسَاهَا، فَتَنْزِيهِهِ
الاسم تنزيهه للمسمى.

﴿الْأَعْلَى﴾: صِفَةٌ لِرَبِّ، أَي: ذُو الْعُلُوِّ الْمَطْلُوقِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.

﴿خَلَقَ﴾: أَوْجَدَ الْحَلِيقَةَ بِتَقْدِيرِ مُحْكَمٍ.

﴿فَسَوَّى﴾: فَأَكْمَلَ خَلْقَهُ.

﴿قَدَّرَ﴾: جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَقْدِيرًا مُنَاسِبًا، أَوْ قَضَى بِمَا أَرَادَ فِي الْأَزَلِ.

﴿فَهَدَى﴾: دَلَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ لِمَا يُصْلِحُهُ أَوْ لِمَا قُدِّرَ لَهُ.

﴿أَخْرَجَ﴾: أَبْرَزَ مِنَ الْأَرْضِ.

﴿الْمَرْعَى﴾: أَي: نَبَاتُ الْمَرْعَى، وَالْمَرْعَى: مَكَانٌ رَعِيَ الْبَهَائِمِ.

﴿فَجَعَلَهُ﴾: فَصَبَّرَهُ، أَي: النَّبَاتَ بَعْدَ خُضْرَتِهِ.

﴿أَحْوَى﴾: أَسْوَدٌ.

﴿غُثَاءً﴾: هَشِيمًا بَالِيًا

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُسَبِّحَ أَسْمَاءَ رَبِّهِ الْأَعْلَى عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَيَصِفُ نَفْسَهُ تَعَالَى بِالْعُلُوِّ الْمَطْلُوقِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَبِأَنَّهُ الْخَالِقُ الَّذِي أَكْمَلَ خَلْقَهُ وَأَتَقَنَهُ، وَالْمُقَدِّرُ نُظْمَ مَا خَلَقَ فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَقْدِيرًا مُنَاسِبًا، وَقَضَى بِذَلِكَ فِي الْأَزَلِ، وَهَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ لِمَا يُصْلِحُهُ وَمَا قُدِّرَ لَهُ، وَبِأَنَّهُ الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى الَّذِي تَعِيْشُ بِهِ الْبَهَائِمُ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُحْضَرٌ نَضْرٌ جَعَلَهُ هَشِيمًا بَالِيًا أَسْوَدَ كَمَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَيْنَمَا هِيَ زَاهِيَةٌ نَضْرَةٌ إِذَا بِهَا زَائِلَةٌ مُدْبِرَةٌ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- وَجُوبُ تَسْبِيْحِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى الْأَعْلَى، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي السُّجُودِ. وَهَذَا مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٢- إِبْتِثَاتُ عُلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.
- ٣- انْفِرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ، وَإِتْقَانُهُ لِمَا خَلَقَ.
- ٤- إِبْتِثَاتُ عِلْمِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ إِذْ لَا يَتِمُّ الْخَلْقُ وَالْإِتْقَانُ إِلَّا بِذَلِكَ.
- ٥- إِبْتِثَاتُ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ.
- ٦- إِبْتِثَاتُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِدَايَتِهِ كُلَّ مَخْلُوقٍ لِمَا يُصْلِحُهُ.
- ٧- إِبْتِثَاتُ قُدْرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِإِخْرَاجِ الْمَرْعَى لِلْبَهَائِمِ، وَإِخْرَاجِهِ لَطَعَامِ الْآدَمِيِّينَ أَبْلَغُ رَحْمَةٍ.
- ٨- أَنَّ مَالَ الدُّنْيَا إِلَى الزَّوَالِ وَالْإِضْمِحَالِ.

فائدة:

خُلاصَةٌ ما دَلَّتْ عليه هذه الآياتُ الكريمةُ الأربعَ عشرةَ من واجبات

الصلاة ما يلي:

أ- قَوْلُ سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ فِي الرُّكُوعِ فِي الآيَةِ رَقْمَ (٥٦).

ب- قَوْلُ سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى فِي السُّجُودِ فِي الآيَةِ رَقْمَ (٥٧).

النَّوعُ الْخَامِسُ

الآية الأولى إلى العادية عشرة:

٦٢-٧٢- ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون: ١-١١].

النَّوعُ الْخَامِسُ: أَيُّ: من آيات الصلاة. ومَوْضُوعُهُ: سُنُّنُ الصَّلَاةِ.

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ رَقْمَ ٦٢ - ٧٢:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿قَدْ﴾: حَرْفٌ تَحْقِيقِيٌّ وَتَوْكِيدِيٌّ.

﴿أَفْلَحَ﴾: سَبَقَ مَعْنَى الْفَلَاحِ.

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: سَبَقَ مَعْنَى الْإِيمَانِ.

﴿الَّذِينَ هُمْ﴾: صِفَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَذَلِكَ مَا بَعْدَهَا صِفَاتٌ مَعْطُوفَةٌ بِالْوَاوِ.

﴿خَاشِعُونَ﴾: خَاضِعُونَ بِقُلُوبِهِمْ سَاكِنُونَ بِجَوَارِحِهِمْ.

﴿اللَّغْوِ﴾: مَا لَا فَايِدَةَ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ.

﴿مُعْرُضُونَ﴾: صَادُونَ فَلَا يُقْبَلُونَ إِلَيْهِ وَلَا يُلْتَفَتُونَ.
 ﴿لِلزَّكَاةِ﴾: لِمَا تَزَكُّو بِهِ نُفُوسُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ، وَمِنْهُ زَكَاةُ الْمَالِ.
 ﴿فَنَعِلُونَ﴾: مُوقِعُونَ.
 ﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾: جَمْعُ فَرْجٍ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ مِنَ الْعَوْرَةِ.
 ﴿حَافِظُونَ﴾: حَارِسُونَ حَامُونَ أَنْ تُبَاشِرَ أَوْ تَنْظُرَ.
 ﴿أَزْوَاجِهِمْ﴾: جَمْعُ زَوْجٍ، وَهِيَ مَا تَمَّ عَقْدُ النِّكَاحِ عَلَيْهَا عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ.
 ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: مَا مَلَكَوهُ مِنَ الْإِمَاءِ، وَعَبَّرَ بِالْيَمِينِ لِأَنَّهَا آلَةُ الْأَخْذِ
 وَالْإِعْطَاءِ.

﴿غَيْرُ مُلْومِينَ﴾: غَيْرُ مَعْتُوبٍ عَلَيْهِمْ لِجَلِّ ذَلِكَ لَهُمْ.
 ﴿فَمَنْ أَبْتَغَى﴾: فَمَنْ طَلَبَ، وَمَنْ شَرَطِيَةً.
 ﴿وَرَأَى ذَلِكَ﴾: خِلَافَ ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَمِلْكِ الْيَمِينِ.
 ﴿هُمْ﴾: ضَمِيرٌ فَضَّلِ يُفِيدُ الْإِخْتِصَاصَ.
 ﴿الْعَادُونَ﴾: الْمَتَجَاوِزُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ.
 ﴿لِأَمْنَتِهِمْ﴾: جَمْعُ أَمَانَةٍ، وَهِيَ: مَا أَوْثَقْنَا عَلَيْهِ مِنْ نَفْسٍ أَوْ مَالٍ أَوْ حَقٍّ.
 ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: التَّزَامِيهِمْ لِغَيْرِهِمْ.
 ﴿رَاعُونَ﴾: مُهْتَمُونَ مُرَاقِبُونَ حَافِظُونَ.
 ﴿بِحَافِظُونَ﴾: يُوَاطِبُونَ مَعَ الْإِتْقَانِ.

﴿أُولَئِكَ هُمْ﴾: الْمَشَارُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّصِفُونَ بِمَا ذُكِرَ، وَهُمْ: ضَمِيرٌ فَصْلٍ يُفِيدُ الْاِخْتِصَاصَ.

﴿الْوَارِثُونَ﴾: الْآخِذُونَ لِمَا يَنْعَمُونَ بِهِ أَخْذًا مُسْتَقِرًّا، كَأَخْذِ الْوَارِثِ لِلْمِيرَاثِ.

﴿الْفَرْدَوْسَ﴾: أَي: أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «أَنَّه أَعْلَى الْجَنَّةِ وَوَسَطَ الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»^(١).

﴿خَالِدُونَ﴾: مَا كَثُرَ لَمْ يَخْرُجُونَ أَبَدًا.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى فَلَاحَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّصِفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَهِيَ: الْإِيمَانُ، وَالْحُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ، وَحِفْظُ أَوْقَاتِهِمْ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ كُلِّ مَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَتَرْكِيَّةُ نَفْسِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَحِفْظُ فُرُوجِهِمْ مِنْ سِوَى الزَّوْجَةِ وَالْمَمْلُوكَةِ، وَمُرَاعَاةُ الْأَمَانَاتِ وَالْعُهُودِ، وَالْمَحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ الْفَلَاحَ بِأَنَّهُ إِرْثُ الْفَرْدَوْسِ وَالْخُلُودِ فِيهَا، وَيُبَيِّنُ فِي غَضُونِ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ ابْتَغَى قَرَجًا سِوَى فَرْجِ زَوْجِهِ وَمَمْلُوكَتِهِ فَهُوَ مُعْتَدٍ ظَالِمٌ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

١- فَضِيلَةُ الْإِيمَانِ وَالْإِتِّصَافِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ لِكَوْنِ ذَلِكَ وَسِيلَةً لِلْفَلَاحِ.

٢- فَضْلُ الْحُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ. حَيْثُ إِنَّهُ مِنْ سِنَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ جَمْهُورِ الْعُلَمَاءِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم (٢٧٩٠).

- ٣- فَضْلُ حِفْظِ الْوَقْتِ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ كُلِّ مَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ.
- ٤- فَضْلُ تَرْكِيَةِ النَّفْسِ وَالْأَعْمَالِ.
- ٥- فَضْلُ حِفْظِ الْفُرُوجِ.
- ٦- أَنَّ الْمَرْءَ لَا يُلَامُ عَلَى تَنَاوُلِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ.
- ٧- أَنَّ مَنْ طَلَبَ الشَّهْوَةَ بِفَرْجِ سِوَى زَوْجَتِهِ وَمَمْلُوكَتِهِ فَهُوَ عَادٍ ظَالِمٌ.
- ٨- فَضْلُ رِعَايَةِ الْأَمَانَاتِ وَالْعَهْدِ.
- ٩- فَضْلُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ.
- ١٠- أَنَّ جَزَاءَ الْمُتَّصِفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ إِزْثُ الْفِرْدَوْسِ وَالْخُلُودِ فِيهَا، جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بَمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

النُّوعُ السَّادِسُ

٧٣- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾

[النساء: ١٠٣].

النُّوعُ السَّادِسُ: أي: مِنْ آيَاتِ الصَّلَاةِ، مَوْضُوعُهُ: الذِّكْرُ بَعْدَ الصَّلَاةِ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ٧٣:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾: فَرَعْتُمْ مِنْهَا، وَإِذَا شَرْطِيَّةٌ، وَفَعَلَ الشَّرْطُ ﴿قَضَيْتُمْ﴾، وَجَوَابُهُ ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾، وَالْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ: صَلَاةُ الْفَرِيضَةِ، لِأَنَّ السِّيَاقَ فِيهَا.

﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾: الْفَاءُ رَابِطَةٌ لِلجَوَابِ، وَقَدْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ كَيْفِيَةَ هَذَا الذِّكْرِ.

﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: هَذِهِ أَحْوَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ فِي قَوْلِهِ:

﴿فَادْكُرُوا﴾.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ إِذَا فَرَعُوا مِنَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ أَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَىٰ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُ هَذَا الذِّكْرُ عَوْدًا عَلَىٰ بَدْءٍ لثَلَا يَكُونُ ذِكْرُهُمْ لِلَّهِ تَعَالَىٰ حَالَ الصَّلَاةِ فَقَطْ، وَقَدْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً مِنَ الذِّكْرِ عَقِبَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ وَهِيَ مَعْلُومَةٌ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- الأَمْرُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ سَوَاءٌ كَانَ الْإِنْسَانُ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا أَوْ عَلَى جَنْبِهِ.
- ٢- أَنَّ الْأَوَّلَى الْمُبَادَرَةَ بِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ بِدُونِ فَضْلِ بَرَاتِبَةٍ أَوْ غَيْرِهَا.
- ٣- فَضِيلَةُ ذِكْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

النَّوعُ السَّابِعُ

٧٤- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرَامًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

النَّوعُ السَّابِعُ: أَي: مِنْ آيَاتِ الصَّلَاةِ، وَمَوْضُوعُهُ: حُكْمُ السَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ٧٤:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿لَا يُكَلِّفُ﴾: لَا يُحْمِلُ وَلَا يُلْزِمُ.

﴿وُسْعَهَا﴾: طَاقَتَهَا.

﴿كَسَبَتْ﴾: حَصَلَتْ مِنْ خَيْرٍ^(١).

﴿اِكْتَسَبَتْ﴾: اِحْتَمَلَتْ مِنْ شَرٍّ^(١).

﴿رَبَّنَا﴾: أَي: يَا رَبَّنَا، وَالرَّبُّ: الْحَالِقُ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ.

﴿لَا تُؤَاخِذْنَا﴾: لَا تُعَاقِبْنَا، وَالْجُمْلَةُ دُعَائِيَّةٌ.

(١) عَبَّرَ عَنْ تَحْصِيلِ الْخَيْرِ بِالْكَسْبِ، وَعَنْ اِحْتِمَالِ الشَّرِّ بِالْاِكْتِسَابِ، لِأَنَّ طَرِيقَ تَحْصِيلِ الْخَيْرِ أَشْمَلُ حَيْثُ يَحْصُلُ بِأَهْمٍ بِهِ وَيَعْمَلُ الْغَيْرُ عَنْهُ، كَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي الصَّدَقَةِ وَنَحْوِهَا، بِخِلَافِ اِحْتِمَالِ الشَّرِّ فَلَا يَحْصُلُ بِأَهْمٍ بِهِ إِذَا لَمْ يَفْعَلْهُ وَلَا يَعْمَلُ الْغَيْرُ عَنْهُ. [المؤلف]

﴿نَسِينَا﴾: ذُهَلْنَا فترَكْنَا شَيْئًا مِنَ الْوَاجِبِ، أَوْ فَعَلْنَا شَيْئًا مِنَ الْمَحْرَمِ، وَيُقَابِلُ النَّسْيَانَ: الذُّكْرُ.

﴿أَخْطَأْنَا﴾: اِرْتَكَبْنَا الْخَطَأَ عَنْ جَهْلٍ مِنَّا بِهِ، أَوْ بِحُكْمِهِ، وَيُقَابِلُ الْإِخْطَاءَ الْعِلْمَ.

﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا﴾: لَا تُكَلِّفْنَا أَنْ نَحْمِلَ، وَالْجُمْلَةُ دُعَائِيَّةٌ، وَهِيَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا﴾.

﴿إِضْرًا﴾: حَمَلًا ثَقِيلًا فِي التَّشْرِيعِ.

﴿كَمَا حَمَلْتَهُ﴾: أَي: الْإِضْرُ، وَفَائِدَةُ التَّشْبِيهِ بَيَانُ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لِحَمَلَةٍ عَلَيْنَا كَمَا حَمَلَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّا نَدْعُوهُ تَعَالَى أَنْ لَا يَفْعَلَ ذَلِكَ.

﴿عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾: أَي: الْأُمَّمِ السَّابِقِينَ، وَمِنْهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَمِمَّا حَمَلَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُصَلُّوا إِلَّا بِالْمَاءِ، وَأَنْ لَا يُصَلُّوا إِلَّا فِي أَمَاكِنَ مَخْصُوصَةٍ.

﴿وَلَا تُحْمِلْنَا﴾: وَلَا تُكَلِّفْنَا حِمْلًا، وَالْجُمْلَةُ دُعَائِيَّةٌ مَعْطُوفَةٌ عَلَى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا﴾.

﴿لَا طَاقَةَ﴾: لَا قُدْرَةَ.

﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾: سَامِحْنَا عَنِ التَّقْصِيرِ فِيمَا أَمَرْنَا بِهِ.

﴿وَأَعْفِرْ لَنَا﴾: تَجَاوَزْ عَنَّا، وَاسْتُرْ مَا وَقَعْنَا فِيهِ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿وَأَرْحَمْنَا﴾: اعْطِفْ عَلَيْنَا بِرَحْمَتِكَ؛ حَتَّى نَسْتَقِيمَ عَلَى طَاعَتِكَ، وَنَحُلَّ دَارَ

كَرَامَتِكَ.

﴿مَوْلَانَا﴾: مُتَوَلَّى أُمُورِنَا وَنَاصِرَهَا.

﴿فَانصُرْنَا﴾: فَأَعِنَّا؛ حَتَّى تَكُونَ لَنَا الْغَلْبَةُ بِالْبُرْهَانِ وَالسَّنَانِ، وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ مُتَضَمِّنَةٌ مَعْنَى السَّبِيَّةِ.

﴿الْقَوْمِ﴾: الْجَمَاعَةِ.

﴿الْكَافِرِينَ﴾: الْجَاهِلِينَ لَوْحَدَانِيَّتِكَ وَشَرِّكَكَ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى بِمِثَّتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلُطْفِهِ بِهِمْ، حَيْثُ لَا يُلْزِمُ كُلَّ نَفْسٍ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا تُطِيقُ تَسْهِيلًا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ رَغَبَ -سُبْحَانَهُ- بِعَمَلِ الْخَيْرِ وَحَدَّرَ مِنْ عَمَلِ الشَّرِّ، حَيْثُ بَيَّنَّ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ مِنَ الْخَيْرِ، وَعَلَيْهَا مَا اقْتَرَفَتْ مِنَ الْإِثْمِ، ثُمَّ عَلَّمَ عِبَادَهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ عَدَمَ الْمُعَاقَبَةِ فِيمَا لَا يَكُونُ لَهُمْ بِهِ اخْتِيَارٌ مِنَ النَّسِيَانِ وَالْخَطَأِ، وَأَنْ لَا يُكَلِّفُهُمْ فِي الْعِبَادَاتِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَطَاقُوهُ، كَمَا كَلَّفَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَّمِ، وَأَنْ لَا يُحْمَلُهُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ مِنَ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، كَالْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، وَأَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ مَا قَصَّرُوا فِيهِ مِنَ الْأَوْامِرِ، وَيَتَجَاوَزَ وَيَسْتُرَ مَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ النَّوَاهِي، وَأَنْ يَرْحَمَهُمْ فِي مُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِمْ فَيُبْتِغِيَهُمْ عَلَى دِينِهِ وَيُوَصِّلَهُمْ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ، وَأَنْ يُفَرِّقُوا لَهُ بِالْوِلَايَةِ لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ انْفِتَارَهُمْ إِلَيْهِ، فَيَسْأَلُوهُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِهِ وَبَشَرَاتِهِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ^(١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ».

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يُطاق، رقم (١٢٦).

فَأَجَابَ -سُبْحَانَهُ- جَمِيعَ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ الَّتِي أَلْهَمَ عِبَادَهُ أَنْ يَدْعُوهُ بِهَا، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ أَوْلَا وَآخِرًا، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- بَيَانُ سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ، حَيْثُ لَمْ يُكَلِّفِ الْعِبَادَ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ.
- ٢- التَّرغِيبُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ عَمَلِ الشَّرِّ.
- ٣- أَنَّ مَا عَمَلَهُ الْإِنْسَانُ مِنْ خَيْرٍ فَثَوَابُهُ لَهُ، لَا يَسْتَحِقُّه أَحَدٌ غَيْرُهُ.
- ٤- أَنَّ مَا عَمَلَهُ مِنْ شَرٍّ فَعِقَابُهُ عَلَيْهِ، لَا يَتَحَمَّلُهُ عَنْهُ أَحَدٌ.
- ٥- تَمَامُ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِتَعْلِيمِهِمْ مَا يَنْفَعُهُمْ مِنَ الدَّعَاءِ، وَإِجَابَتِهِ إِيَّاهُمْ.
- ٦- أَنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الْمَأْمُورَاتِ نَاسِيًا أَوْ جَاهِلًا فَلَا عُقُوبَةَ عَلَيْهِ، لَكِنْ عَلَيْهِ فِعْلُهُ إِذَا ذَكَرَ أَوْ عَلِمَ إِنْ أَمَكَّنَ تَدَارُكُهُ، أَوْ فِعْلُ بَدَلِهِ إِنْ كَانَ لَهُ بَدَلٌ وَإِلَّا سَقَطَ.
- ٧- أَنَّ مَنْ تَرَكَ رُكْنًا أَوْ وَاجِبًا مِنَ الصَّلَاةِ نَاسِيًا فَلَا عُقُوبَةَ عَلَيْهِ، لَكِنَّ الرُّكْنَ يَأْتِي بِهِ وَبِمَا بَعْدَهُ إِنْ أَمَكَّنَ، وَالْوَاجِبُ يَسْقُطُ، وَعَلَيْهِ سُجُودُ السَّهْوِ فِي الْحَالِينِ، وَإِنْ لَمْ يُمَكِّنِ الْإِتْيَانَ بِالرُّكْنِ أَعَادَ الصَّلَاةَ، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٨- نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِوَضْعِ الْإِضْرِ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ.
- ٩- نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِرَفْعِ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ.
- ١٠- اِفْتِقَارُ الْعَبْدِ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

١١- تَوَسَّلُ الدَّاعِي بِمَا يُنَاسِبُ حَاجَتَهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا﴾.

١٢- اِفْتَقَارُ الْعَبْدِ إِلَى نُصْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَهْمَا كَانَتْ مَنَزِلَتُهُ مِنَ اللَّهِ، وَمَهْمَا كَانَ لَدَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ.

١٣- مَشْرُوعِيَّةُ اسْتِنصَارِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ كَافِرٍ مَهْمَا كَانَتْ مِلَّتُهُ.

١٤- أَنْ كُلَّ كَافِرٍ عَدُوٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ.

النوع الثامن

الآية الأولى إلى السابعة عشرة:

٧٥-٩١- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١١ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝١٢ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝١٣ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝١٤ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝١٥ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝١٦ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝١٧ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝١٨ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ۝١٩ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٠ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢١ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٢٢ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٢٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٢٤ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۝٢٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٢٦﴾ [المعارج: ١٩-٣٥].

النوع الثامن: أي: من آيات الصلاة، وموضوعه: صلاة التطوع.

تفسير الآيات رقم ٧٥ - ٩١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿الإنسن﴾: أي: كل إنسان، من ذكرٍ أو أنثى من بني آدم، ف(أل) فيه لاستغراق الجنس.

﴿خلق﴾: أي: خلقه الله، أي: أوجده.

﴿هلوعاً﴾: كثير الهلع، وهو قلة الصبر، ومنع البذل.

﴿مسه الشراً﴾: أصابه البلاء.

﴿جَزُوعًا﴾: كَثِيرَ الْجَزَعِ، وَهُوَ قِلَّةُ الصَّبْرِ.

﴿الْحَيْرُ﴾: الرَّخَاءُ وَالغِنَى.

﴿مَنُوعًا﴾: كَثِيرُ الْمَنَعِ، وَهُوَ الْبُخْلُ بِمَا أُعْطِيَ.

﴿إِلَّا الْمُسْلِمِينَ﴾: إِلَّا الْقَائِمِينَ بِالصَّلَاةِ، وَلَا يَقُومُ بِهَا إِلَّا مُؤْمِنٌ.

﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾: عَلَى فِعْلِ الصَّلَاةِ.

﴿دَائِمُونَ﴾: مُسْتَمِرُّونَ.

﴿حَقٌّ﴾: شَيْءٌ ثَابِتٌ.

﴿مَعْلُومٌ﴾: مُقَدَّرٌ أَفْرَزُوهُ وَعَيَّنُوهُ.

﴿لِلسَّائِلِ﴾: لِطَالِبِ الْمَالِ الْمُسْتَجِدِّي.

﴿وَالْمَحْرُومِ﴾: الْفَقِيرِ الْمَحْرُومِ مِنَ الْمَالِ وَلَمْ يَسْأَلِ.

﴿يَصَدِّقُونَ﴾: يَعْتَرِفُونَ.

﴿يَوْمِ الْبَيْنِ﴾: يَوْمِ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿عَذَابٍ﴾: عُقُوبَةٍ وَنَكَالٍ.

﴿مُشْفِقُونَ﴾: خَائِفُونَ.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾: أَيُّ: لَا يُؤْمَنُ وَقُوعُهُ فِي أَيِّ وَقْتٍ، وَالْجُمْلَةُ

تَعْلِيلٌ لِمَا قَبْلَهَا.

﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾: جَمْعُ فَرْجٍ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ مِنَ الْعَوْرَةِ.

- ﴿حَفِظُونَ﴾: حَارِسُونَ حَامُونَ مِنْ أَنْ تُبَاشِرَ أَوْ تَنْظُرَ.
- ﴿أَزْوَاجَهُمْ﴾: جَمْعُ زَوْجٍ وَهِيَ: مَنْ تَمَّ عَقْدُ النِّكَاحِ عَلَيْهَا عَلَى وَجْهِ صَحِيحٍ.
- ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانَهُمْ﴾: مَا مَلَكَوهُ مِنَ الْإِمَاءِ، وَعَبَّرَ بِالْيَمِينِ لِأَنَّهَا آلَةُ الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ.
- ﴿غَيْرُ مُلْمِئِينَ﴾: غَيْرُ مَعْتُوبٍ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ لِحِلِّهِ لَهُمْ.
- ﴿فَمَنْ أَبْغَى﴾: فَمَنْ طَلَبَ، وَمَنْ شَرَطِيَّةً.
- ﴿وَرَأَى ذَلِكَ﴾: خِلَافَ ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَمِلْكِ الْيَمِينِ.
- ﴿هُمُ﴾: ضَمِيرٌ فَضْلٌ يُفِيدُ التَّوَكِيدَ وَالِاخْتِصَاصَ.
- ﴿الْعَادُونَ﴾: الْمُتَجَاوِزُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ.
- ﴿لِأَمْنَتِهِمْ﴾: جَمْعُ أَمَانَةٍ، وَهِيَ: مَا أَوْثَقْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسٍ، أَوْ عَرِضٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ حَقٍّ.
- ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: التَّرَامِيهِمْ لِغَيْرِهِمْ سِوَاءِ كَانِ اللَّهُ تَعَالَى أَمَ لِلْمَخْلُوقِ.
- ﴿رِعُونَ﴾: مُرَاقِبُونَ حَافِظُونَ.
- ﴿بَشَادَتِهِمْ﴾: جَمْعُ شَهَادَةٍ، وَهِيَ: الْإِحْبَارُ عَمَّا عَمِلَهُ مِنْ مَرْتَبِي أَوْ مَسْمُوعٍ أَوْ غَيْرِهِمَا.
- ﴿قَائِمُونَ﴾: فَاعِلُونَ عَلَى وَجْهِ التَّمَامِ فَلَا يَشْهَدُونَ بِهَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ مَا شَهِدُوا بِهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَوْ الْأَقْرَبِينَ، وَلَا يَزِيدُونَ فِيهَا وَلَا يُنْقِصُونَ.
- ﴿صَلَاتِهِمْ﴾: أَيُّ: جَمِيعِ صَلَوَاتِهِمْ، لِأَنَّ الْمَفْرَدَ إِذَا أُضِيفَ صَارَ لِلْعُمُومِ.
- ﴿يُحَافِظُونَ﴾: يُوَاطِبُونَ مَعَ الْإِتْقَانِ.

﴿جَنَّتِ﴾: جَمُعُ جَنَّةٍ، وَهِيَ: دَارُ كَرَامَةِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَجُمِعَتْ بِاعْتِبَارِ أَنْوَاعِهَا، وَسُمِّيَتْ جَنَّةً لِكثْرَةِ أَشْجَارِهَا وَارْتِفَاعِ قُصُورِهَا.

﴿مُكْرَمُونَ﴾: مُعْظَمُونَ وَمُتَحَفُّونَ بِالْكَرَامَةِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى مَا جَبَلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانَ مِنَ الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ إِذَا أَصَابَهُ الْبَلَاءُ، وَمَنَعَ الْبَدَلَ وَالْعَطَاءَ إِذَا أَصَابَهُ الْخَيْرُ، وَيُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ الْمُصَلِّينَ لِأَنَّ صَلَاتِهِمْ تَنْهَاهُمْ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَا يَقُومُ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ التَّالِيَةِ إِلَّا مُؤْمِنٌ، فَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ مُسْتَمِرُّونَ، لَيْسُوا بِمَنْ يَرْغَبُ فِيهَا فِي وَقْتٍ وَيَدَعُهَا فِي وَقْتٍ، وَهُمْ كُرْمَاءٌ فَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ ثَابِتٌ مَعْلُومٌ بِعَيْنِهِ أَوْ مِقْدَارِهِ لِلْسَّائِلِينَ وَذَوِي الْحَاجَةِ الْمُتَعَفِّينَ، وَهُمْ مُوقِنُونَ مُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَمَا فِيهِ مِنْ جَزَاءٍ عَلَى الْأَعْمَالِ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، وَمُسْتَعِدُّونَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ، وَمَعَ اسْتِعْدَادِهِمْ لَهُ فَهُمْ خَائِفُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ لِأَنَّ عَذَابَهُ لَا يُؤْمَنُ، وَهُمْ فِي غَايَةِ الْعِفَّةِ حَافِظُونَ لِفُرُوجِهِمْ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَهُ لَهُمْ، وَعِنْدَ هَذِهِ الصِّفَةِ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ مَنْ طَلَبَ سِوَى زَوْجَتِهِ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، فَهُوَ عَادٍ ظَالِمٌ مُتَجَاوِزٌ لِحُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَهُمْ فِي غَايَةِ الثِّقَةِ يُرَاعُونَ الْأَمَانَةَ وَالْعَهْدَ، وَيَقُومُونَ بِالشَّهَادَةِ، وَهُمْ مُهْتَمُّونَ بِصَلَاتِهِمْ، يُحَافِظُونَ عَلَيْهَا، وَيَعْتَنُونَ بِهَا لَمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ لَهَا، وَأَثَارِهَا الْحَمِيدَةِ عَلَى الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ فِي الْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ خَرَجُوا عَنِ الْوَصْفِ بِالْهَلَعِ، وَاسْتَحَقُّوا دَارَ كَرَامَةِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، فَهُمْ فِي

جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ، يُكْرِمُهُمُ اللَّهُ -عزَّ وجلَّ-، وَيُكْرِمُهُم مِّن سَخَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَكْرَامِهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْوِلْدَانِ وَالْحُورِ وَإِخْوَانِهِمُ السَّاكِنِينَ مَعَهُمْ فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- أَنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبُولٌ عَلَى الْهَلَعِ إِلَّا مَنِ اسْتَشَى اللَّهَ تَعَالَى.
- ٢- فَضِيلَةُ الصَّلَاةِ وَبَيَانُ أَثَارِهَا الْحَمِيدَةِ.
- ٣- فَضِيلَةُ الْاسْتِمْرَارِ عَلَى الصَّلَاةِ كُلِّ وَقْتٍ، وَيُسْتَشَى مِنْ ذَلِكَ التَّطَوُّعُ فِي أَوْقَاتِ النَّهْيِ بِغَيْرِ ذَوَاتِ الْأَسْبَابِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٤- فَضِيلَةُ الْجُودِ بِالْمَالِ عَلَى السَّائِلِ وَالْمُحْتَاجِ.
- ٥- الْإِشَارَةُ إِلَى الْإِخْلَاصِ فِي الْجُودِ، وَقَصْدِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ بِهِ لِقَوْلِهِ عَقِبَهُ: ﴿وَالَّذِينَ يَصَّدِقُونَ يَوْمَ الْدِينِ﴾.
- ٦- فَضِيلَةُ التَّصَدِيقِ بِيَوْمِ الدِّينِ، لِأَنَّهُ مِمَّا يَحْمِلُ الْمَرْءَ عَلَى الْعَمَلِ وَالْإِخْلَاصِ فِيهِ.
- ٧- فَضِيلَةُ الْخَوْفِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٨- أَنَّ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ مَأْمُونٍ، إِذْ لَا يَسْلَمُ الْعِبَادُ مِنْ تَقْصِيرٍ يَسْتَحِقُّونَ بِهِ الْعَذَابَ.
- ٩- وَجُوبُ حِفْظِ الْفَرْجِ إِلَّا مِنَ الْأَزْوَاجِ وَمِلْكِ الْيَمِينِ.
- ١٠- أَنَّ الْمَرْءَ لَا يُلَامُ عَلَى تَنَاوُلِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ.

- ١١ - تَحْرِيمُ الاسْتِمْنَاءِ - الْعَادَةِ السَّرِيَّةِ - وَهُوَ مُعَالَجَةُ إِخْرَاجِ الْمَنِيِّ بِالْيَدِ أَوْ غَيْرِهَا.
- ١٢ - فَضِيلَةُ مُرَاعَاةِ الْأَمَانَاتِ وَالْعُهُودِ.
- ١٣ - فَضِيلَةُ الْقِيَامِ بِالشَّهَادَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ.
- ١٤ - فَضِيلَةُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ بِالْمُؤَاطَبَةِ عَلَيْهَا وَإِتْقَانِهَا.
- ١٥ - أَنَّ ثَوَابَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ إِكْرَامٌ فَاعْلَمِهَا بَدَارِ كَرَامَةِ اللَّهِ جَنَّاتُ النَّعِيمِ.

تَنْبِيْهُ:

إِثْبَاتُ الْفَضِيلَةِ لِبَعْضِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ لَا يَعْنِي أَنَّهَا غَيْرٌ وَاجِبَةٌ، بَلْ هِيَ وَاجِبَةٌ وَذَاتُ فَضِيلَةٍ أَيْضًا، كَالْتَّصَدِيقِ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَالْخَوْفِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَمُرَاعَاةِ الْأَمَانَاتِ وَالْعُهُودِ، وَالْقِيَامِ بِالشَّهَادَاتِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ.

الآية الثامنة عشرة:

٩٢- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ﴾ [الزمر: ٩].

تفسير الآية رقم ٩٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿أَمَّنْ﴾: أصلهما: أم من، فأدغمت الميم في الميم، وأم بمعنى: بل، وهمزة الاستفهام الذي بمعنى النفي، ومن: اسم موصول مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: أم من هو قانت كمن ليس كذلك.

﴿قَنْتٌ﴾: عابد خاشع.

﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾: ساعاته، وخص الليل لأن التطوع فيه بالصلاة أفضل من النهار.

﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾: حالان من فاعل ﴿قَنْتٌ﴾، أي: في حال سجوده وقيامه.

﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾: يخاف عذابها ويحترز منه.

﴿وَيَرْجُوا﴾: يؤمل أملاً قريباً.

﴿رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾: رحمة ربه إياه لقيامه بطاعته.

﴿قُلْ﴾: الخطاب للنبي - عليه الصلاة والسلام -، أو لكل من يصح خطابه.

﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾: هل يتساوى، والاستفهام للنفي.

﴿يَعْمُونَ﴾: يدركون العلم ويتفعلون به.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: أَي: إِنَّمَا يَتَعِظُ، وَإِنَّمَا أَدَاةُ حَضْرٍ.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْعُقُولِ﴾.

ب- المعنى الإجمالي:

يُثْنِي اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى مَنْ كَانَ قَانِتًا لِلَّهِ تَعَالَى، مُتَعَبِّدًا لَهُ بِالصَّلَاةِ سَاجِدًا وَقَانِتًا فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، يَنْظُرُ فِي ذُنُوبِهِ فَيَخَافُ عَذَابَ الْآخِرَةِ، وَيَحْتَرِزُ مِنْهُ بِالِاسْتِغْفَارِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي، وَيَنْظُرُ فِيمَا مَنَّ اللهُ تَعَالَى بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ فَيَرْجُو رَحْمَةَ اللهِ تَعَالَى، فَهُوَ خَائِفٌ مِنْ ذُنُوبِهِ، رَاجٍ لِرَحْمَةِ رَبِّهِ، وَهَذِهِ ثَمَرَةُ عِلْمِ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ وَبِرَبِّهِ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. أَي: لَا يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَيَتَنَفَّعُونَ بِعِلْمِهِمْ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ وَلَا يَتَنَفَّعُونَ بِعِلْمِهِمْ؛ ثُمَّ بَيَّنَّ -سُبْحَانَهُ- أَنَّهُ لَا يَتَعِظُ سِوَى أَصْحَابِ الْعُقُولِ الرَّاشِدِينَ، الَّذِينَ انْتَفَعُوا بِعُقُولِهِمْ وَاسْتَعْمَلُوهَا فِيمَا يَنْفَعُهُمْ، فَهَلْ تَكُونُ حَالُ هَذَا الْقَانِتِ الْعَالِمِ الْمُتَعِظِ كَحَالِ الْعَاصِي الْجَاهِلِ الْمُسْتَكْبِرِ؟.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

١- فَضِيلَةُ قِيَامِ اللَّيْلِ وَالْحُشُوعِ فِيهِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْإِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.

٢- فَضِيلَةُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ عِنْدَ فِعْلِ الطَّاعَاتِ.

٣- فَضْلُ الْعِلْمِ النَّافِعِ.

٤- أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي عَالِمٌ انْتَفَعَ بِعِلْمِهِ وَجَاهِلٌ أَوْ عَالِمٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ.

٥- أَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِالذِّكْرِ وَيَتَعِظُ سِوَى أَصْحَابِ الْعُقُولِ الرَّاشِدِينَ.

٦- أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْقَانِتُ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْمُعْرِضُ عَنْهُ.

الآية التاسعة عشرة إلى الحادية والعشرين:

٩٣-٩٥- ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

تفسير الآيات رقم ٩٣ - ٩٥:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ إِنَّمَا ﴾ : أداؤه حصر، وهو إثبات الحكم للمحضور فيه دون غيره.
 ﴿ يُؤْمِنُ ﴾ : يُصَدِّقُ بِقَبُولٍ وَإِذْعَانٍ، والمراد بالإيمان هنا: الإيمان الكامل.
 ﴿ بِآيَاتِنَا ﴾ : أي: وَحِينَا الَّذِي آتَتْ بِهِ الرُّسُلُ كَالْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ، وَسُمِّيَ آيَاتٍ لِتَضَمُّنِهِ الدَّلَالَاتِ الْمُتَنَوِّعَةَ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَمَالِهِ وَكَمَالِ شَرَائِعِهِ.
 ﴿ الَّذِينَ ﴾ : فِي مَحَلِّ رَفْعٍ فَاعِلٌ ﴿ يُؤْمِنُ ﴾ .
 ﴿ ذُكِرُوا بِهَا ﴾ : وَوُضِعُوا بِهَا.
 ﴿ خَرُّوا سُجَّدًا ﴾ : انْحَدَرُوا مِنَ الْقِيَامِ سَاجِدِينَ حِينَ يُؤْمَرُونَ بِذَلِكَ.
 ﴿ وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ : نَزَّهُوا اللَّهَ تَعَالَى عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، تَنْزِيهَا مَضْحُوبًا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ، أَي: بِوَصْفِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا.
 ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ : لَا يَتَرَفَّعُونَ عَنِ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ.
 ﴿ نَتَجَافَى ﴾ : تَتَبَاعَدُ.

- ﴿الْمَضَاجِعِ﴾: جَمْعُ مَضْجَعٍ، وَهُوَ الْفِرَاشُ الْمَعْدُّ لِلنَّوْمِ.
- ﴿يَدْعُونَ﴾: يَسْأَلُونَ وَيَعْبُدُونَ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ الْهَاءِ فِي ﴿جُنُوبِهِمْ﴾.
- ﴿خَوْفًا﴾: أَي: لِأَجْلِ الْخَوْفِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ﴿وَطَمَعًا﴾: أَي: لِأَجْلِ الطَّمَعِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: مِمَّا أَعْطَيْنَاهُمْ، وَمِنْ اللَّتَبْعِيضِ.
- ﴿يُنْفِقُونَ﴾: يَبْذُلُونَ وَيُعْطُونَ.
- ﴿مَا أَخْفَى﴾: مَا سَتَرَ وَحُجِبَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَكُنْهِهِ.
- ﴿قَرَارَةً أَعْيُنٍ﴾: قَرَارُهَا وَسُرُورُهَا بِمَا رَأَتْ فَلَا تَنْظُرُ إِلَى غَيْرِهِ.
- ﴿جَزَاءً﴾: مُكَافَأَةً.
- ﴿بِمَا كَانُوا﴾: بِسَبَبِ مَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا.
- ﴿يَعْمَلُونَ﴾: يَقُومُونَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

ب- المعنى الإجمالي:

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْإِيمَانَ الْكَامِلَ الْحَقِيقِيَّ إِلَّا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا لَانَتْ قُلُوبُهُمْ، وَانْقَادَتْ نَفْسُهُمْ وَجَوَارِحُهُمْ، فَخَرُّوا لِلَّهِ تَعَالَى سُجَّدًا يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِهِ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، تَتَبَاعَدُ جُنُوبُهُمْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ فَيَسْهَرُونَ اللَّيْلَ فِي حُدُودِ مَا شَرَعَ لَهُمْ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَائِفِينَ مِنْ عِقَابِهِ لِمُشَاهَدَتِهِمْ ذُنُوبَهُمْ وَتَقْصِيرَهُمْ، طَامِعِينَ فِي رَحْمَتِهِ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ سَعَةِ عَفْوِهِ وَكَرَمِهِ، يُنْفِقُونَ مَا أَمَرُوا بِإِنْفَاقِهِ لَا يُسْرِفُونَ وَلَا يَقْتَرُونَ، وَمِنْ أَجْلِ

هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ
وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- أَنْ الْإِيمَانَ الْحَقِيقِيَّ لَهُ عِلَامَاتٌ تَدُلُّ عَلَيْهِ.
- ٢- أَنَّ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِيمَانِ تَعْظِيمَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ إِذَا ذُكِرَ بِآيَاتِهِ، وَالتَّزَامِهِ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ.
- ٣- فَضِيلَةُ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٤- فَضِيلَةُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ عِنْدَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَسُؤَالِهِ.
- ٥- فَضِيلَةُ الْإِنْفَاقِ مِنَ الْمَالِ.
- ٦- أَنَّ جَزَاءَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْفَوْزُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْقَائِمِينَ بِهَا مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- .

النوع التاسع

الآية الأولى إلى الرابعة:

٩٦-٩٩- ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ﴿٤٠﴾ وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِثْمِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُوزِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَآذِكُوا مَعَ الزَّكَاةِ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٠-٤٣].

النوع التاسع: أي: من آيات الصلاة، وموضوعه: صلاة الجماعة.

تفسير الآيات رقم ٩٦ - ٩٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ﴾: يا ذرية إسرائيل، والمراد بهم: من كانوا بعد نزول القرآن. وإسرائيل: لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل - عليهم الصلاة والسلام-، وإثماً نسبوا إليه دون أبيه إسحاق وجدّه إبراهيم، لأن بني إسرائيل تفرّعت قبائلهم من أبنائه، وقد نزل في قصته مع أبنائه يوسف وإخوته سورة كاملة من القرآن.

﴿أذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾: تذكروها بقلوبكم، واذكروها بألسنتكم.

﴿نِعْمَتِيَ﴾: أي: نعمي، لأن المفرد إذا أضيف صار للعموم.

﴿أَنْتُمْ عَلَيْنَا﴾: أَي: أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُخَاطَبِينَ وَعَلَى أَسْلَافِكُمْ، وَنِعْمَتُهُ عَلَى أَسْلَافِهِمْ نِعْمَةٌ عَلَيْهِمْ أَيْضًا لِأَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ.

﴿وَأَوْفُوا﴾: قَوْمُوا عَلَى وَجْهِ التَّامِ.

﴿بِعَهْدِي﴾: مِيثَاقِي، وَهُوَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَهُ وَلِرُسُلِهِ.

﴿بِعَهْدِكُمْ﴾: بِمَا عَاهَدْتُمْ بِهِ لَكُمْ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ.

﴿وَإِنِّي﴾: مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مَحْدُوفٍ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ.

﴿فَأَرْهَبُونَ﴾: فَخَافُونَ بِالْهَرَبِ مِنْ نَقْضِ عَهْدِي.

﴿وَأَمِنُوا﴾: صَدَّقُوا مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ.

﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾: أَي: عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ الْقُرْآنُ.

﴿مُصَدِّقًا﴾: حَالٌ مِنْ مَا فِي قَوْلِهِ بِمَا أَنْزَلْتُ، أَي: مُظْهِرًا لِصِدْقِ مَا مَعَكُمْ.

﴿لَمَّا مَعَكُمْ﴾: أَي: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ حَيْثُ شَهِدَ لَهُ بِالصِّدْقِ، وَجَاءَ مُطَابِقًا

لَمَّا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الرَّسُولِ وَالْإِسْلَامِ.

﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾: أَي: أَوَّلَ فَرِيقٍ كَافِرٍ بِهِ، أَي: الْقُرْآنُ، وَتَقْيِيدُهُ بِالْأَوْلِيَّةِ لِلْمُبَالَغَةِ

فِي تَوْبِيخِهِمْ حَيْثُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا أَوَّلَ مُؤْمِنٍ بِهِ لِأَنَّهُ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ.

﴿تَشْتَرُوا بِآبَتِي﴾: تَأْخُذُوا بَدَلًا عَنْهَا، وَالْمُرَادُ بِالْآيَاتِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ

الهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عِوَضًا قَلِيلًا، وَهُوَ مَا يَنَالُونَهُ مِنْ مَالٍ وَرِئَاسَةٍ فِي الدُّنْيَا.

﴿فَأَنْتَقُونَ﴾: أَحْذَرُونَ بِفِعْلِ أَوْامِرِي وَاجْتِنَابِ نَوَاهِي.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ : لَا تَخْلَطُوا، وَلَا نَاهِيَةً.

﴿الْحَقَّ﴾ : أَي: الثَّابِتِ الْمُتَضَمِّنِ لِلصِّدْقِ وَالْعَدْلِ.

﴿بِالْبَاطِلِ﴾ : أَي: الزَّائِلِ الْمُتَضَمِّنِ لِلْكَذْبِ وَالظُّلْمِ.

﴿وَتَكْتُمُوا﴾ : تُخْفُوا، وَهُوَ مَجْزُومٌ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾.

﴿تَعْلَمُونَ﴾ : أَي: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ حَقٌّ وَأَنْكُمْ كَاتِمُوهُ وَلَا يَسُوءُهُ بِالْبَاطِلِ.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ : افْعَلُوهَا قَائِمِينَ بِمَا يَجِبُ لَهَا وَيُكْمِلُهَا.

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ : أَعْطُوهَا مُسْتَحَقَّهَا، وَالزَّكَاةُ مَا يَجِبُ دَفْعُهُ مِنَ الْأَمْوَالِ كُلِّ سَنَةٍ.

﴿وَأَزْكُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ : صَلُّوا مَعَ الْمُصَلِّينَ فِي الْمَسَاجِدِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يَذْكُرُوا بِقُلُوبِهِمْ وَالسِّتَةِ نِعْمَهُ الْكَثِيرَةَ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَسْلَافِهِمْ، لِيَقُومُوا بِشُكْرِهِ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُوفُوا بِعَهْدِهِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُ وَلِرُسُلِهِ، وَمِنْهُمْ: خَاتَمُهُمْ وَإِمَامُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَيَضْمَنُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ إِذَا أَوْفُوا لَهُ بِعَهْدِهِ؛ أَوْفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَرْهَبُوهُ فَلَا يَنْقُضُوا عَهْدَهُ، وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، حَيْثُ شَهِدَ لَهُمْ بِالصِّدْقِ وَأَتَى بِمَا يُطَابِقُ مَا أَخْبَرَا بِهِ عَنْهُ، وَيَنْهَاهُمْ أَنْ يَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ مِمَّنْ عَلِمَ أَنَّهُ حَقٌّ، فَإِنَّ الْجَدِيرَ بِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَوَّلَ مُؤْمِنٍ بِهِ، وَأَنْ لَا يَسْتَبَدِّلُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ أَوْ رِئَاسَةٍ، فَإِنَّ مَتَاعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ مَهْمَا عَظُمَ، ثُمَّ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَتَّقُوهُ وَيَنْهَاهُمْ أَنْ يَخْلَطُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، فَيَلْبَسُوا عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ، أَوْ يَكْتُمُوا الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

أنه الحق، ويعلمون ما وقَعُوا فيه من اللبسِ والكِثانِ، ثمَّ يأمرُهُم أن يأتوا بالصلاة كاملة، ويُعطُوا الزكاةَ مُستَحِقَّهَا بدونِ نَقْصٍ، وأن يُصلُّوا مع المصلين في المساجد.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- وَجُوبُ ذِكْرِ الْإِنْسَانِ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى لِيُقَوِّمَ بِشُكْرِهَا.
- ٢- وَجُوبُ الْوَفَاءِ بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُ وَلِرُسُلِهِ.
- ٣- أَنَّ مَنْ وَفَّى لِلَّهِ تَعَالَى بِعَهْدِهِ وَفَى لِلَّهِ لَهُ بِعَهْدِهِ ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].
- ٤- وَجُوبُ خَوْفِ اللَّهِ تَعَالَى وَالرَّهْبَةِ مِنْهُ، وَإِخْلَاصِ ذَلِكَ لَهُ.
- ٥- أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقُرْآنِ وَاجِبٌ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، كَمَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِمْ.
- ٦- أَنَّ الْجَدِيرَ بِمَنْ عِلِمَ الْحَقَّ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَنْقَادُ لَهُ.
- ٧- تَحْرِيمُ إِثَارِ الدُّنْيَا عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ وَالْإِدْعَانِ لَهُ.
- ٨- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَالْإِخْلَاصِ لَهُ فِيهَا.
- ٩- تَحْرِيمُ خَلْطِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ لِمَا فِيهِ مِنْ إِضْلَالِ النَّاسِ وَاسْتِثْبَاهِ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ.
- ١٠- تَحْرِيمُ كِتْمَانِ الْحَقِّ.
- ١١- زِيَادَةُ اللَّوْمِ عَلَى مَنْ لَبَسَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، أَوْ كَتَمَ الْحَقَّ وَهُوَ يَعْلَمُ.
- ١٢- وَجُوبُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ.
- ١٣- وَجُوبُ الصَّلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.

الآية الخامسة إلى السابعة:

١٠٠-١٠٢- ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْأَغْدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا نُلَيْهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣٧) لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ [النور: ٣٦-٣٨].

تفسير الآيات رقم ١٠٠ - ١٠٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾: جَمْعُ بَيْتٍ، وهو: المَقَرُّ والمَأْوَى، والمرادُ بها هُنَا: المَسَاجِدُ، والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْدُوفٍ، والتقديرُ: اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَسَبِّحُوهُ فِي بُيُوتٍ. ﴿أُذِنَ﴾: أَمَرَ.

﴿ تَرْفَعَ ﴾: أَي: رَفَعًا حَسِيًّا بِالْبِنَاءِ وَالتَّطَهِيرِ مِنَ الْأَذَى والقَدَرِ، وَرَفَعًا مَعْنَوِيًّا بِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ وَالاِتِّعَادِ عَن مَعْصِيَتِهِ.

﴿ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾: أَي: مَا يَتَضَمَّنُ اسْمَهُ مِنْ قِرَاءَةِ وَتَسْبِيحِ وَصَلَاةٍ وَغَيْرِهَا.

﴿ يُسَبِّحُ لَهُ ﴾: أَي: يُصَلِّي لَهُ، لِأَنَّ التَّسْبِيحَ جُزْءٌ مِنَ الصَّلَاةِ فَسُمِّيَتْ بِهِ.

﴿ بِالْأَغْدُوِّ ﴾: جَمْعُ غَدْوَةٍ، وَهِيَ: أَوَّلُ النَّهَارِ، وَيَدْخُلُ فِيهَا صَلَاةُ الْفَجْرِ.

﴿ وَالْأَصَالِ ﴾: جَمْعُ أَصِيلٍ، وَهُوَ: آخِرُ النَّهَارِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، قِيلَ: وَالْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ.

﴿رَجَالٌ﴾: بالرفعِ فاعِلٌ ﴿يُسَيِّحُ﴾، وهو: جَمْعُ رَجُلٍ، وهو البَالِغُ مِنَ الذُّكُورِ.
 ﴿لَا تَلِيهِمْ﴾: لَا تَشْغَلُهُمْ.

﴿بِحِرَّةٍ﴾: طَلَبُ تَكْسِبٍ بِالْبَيْعِ وَغَيْرِهِ.

﴿وَلَا بَيْعٌ﴾: لِلتَّجَارَةِ أَوْ لِغَيْرِ التَّجَارَةِ.

﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾: أَي: تُذَكِّرُهُ بِقُلُوبِهِمْ وَالشَّيْءَ عَلَيْهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ بِالتَّسْيِيحِ وَالتَّهْلِيلِ
 وَالتَّكْبِيرِ وَغَيْرِهَا، وَالتَّعَبُّدُ لَهُ بِجَوَارِحِهِمْ.

﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾: فِعْلُهَا قَائِمِينَ بِمَا يَجِبُ لَهَا أَوْ يُكْمَلُهَا.

﴿وَإِنَاءِ الزَّكَاةِ﴾: إِعْطَائُهَا مُسْتَحِقَّيْهَا، وَالزَّكَاةُ مَا يَجِبُ دَفْعُهُ مِنَ الْأَمْوَالِ كُلِّ

سَنَةٍ.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾: أَي: يَخَافُونَ عَذَابَ يَوْمٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَجَمَلَةٌ

﴿يَخَافُونَ﴾ حَالٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿رَجَالٌ﴾.

﴿وَنَقَلَبُ﴾: تَتَغَيَّرُ وَتَتَلَوَّنُ مِنْ شِدَّةِ الْأَهْوَالِ.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾: لِيُسَبِّبَهُمُ، وَاللَّامُ الْعَاقِبَةُ.

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾: أَي: أَحْسَنَ جَزَاءٍ لِمَا عَمِلُوا، الْحَسَنَةُ بَعْشَرُ أَمْثَالِهَا.

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: يُعْطِيهِمْ زِيَادَةً عَلَى جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ تَفَضُّلاً مِنْهُ.

﴿يَرْزُقُهُ﴾: يُعْطِيهِ.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُثْنِي اللهُ تَعَالَى عَلَى رِجَالٍ أَقَامُوا فِي الْمَسَاجِدِ الَّتِي أَدْنَى اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ بِكُلِّ قَوْلٍ يُقَرَّبُ إِلَيْهِ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ اسْمِهِ تَعَالَى؛ أَقَامُوا فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ يُسَبِّحُونَ اللهُ تَعَالَى فِي الْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا مِنْ ذِكْرِهِ، فَلَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، يَفْعَلُونَ ذَلِكَ عَنْ إِيْمَانٍ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا فِيهِ مِنْ حِسَابٍ وَجَزَاءٍ، فَهُمْ يَخَافُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي تَتَغَيَّرُ فِيهِ الْأَحْوَالُ وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَتَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ، وَعَاقِبَةُ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ أَنْ يَجْزِيَهُمْ أَحْسَنَ جِزَاءٍ لِعَمَلِهِمْ، وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ وَالْجُودِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- مَشْرُوعِيَّةُ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَرَفْعِهَا رَفْعًا حَسِيًّا بِتَطْهِيرِهَا وَصِيَانَتِهَا عَنِ الْقَدَرِ وَالْأَذَى، وَرَفْعًا مَعْنَوِيًّا بِصِيَانَتِهَا عَنِ اللَّغْوِ وَقَوْلِ الزُّورِ، أَوْ فِعْلٍ مَا يُحِلُّ بِتَشْرِيفِهَا.
- ٢- أَنَّ الْمَسَاجِدَ إِنَّمَا تُبْنَى لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى.
- ٣- مَشْرُوعِيَّةُ إِقَامَةِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ.
- ٤- أَنَّ تِلْكَ الْمَشْرُوعِيَّةَ خَاصَّةٌ بِالرِّجَالِ، أَمَا النِّسَاءُ فَيُؤْتَيْنَ خَيْرَ هُنَّ، وَهَذِهِ وَمَا قَبْلَهَا مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٥- أَنَّ كَمَالَ الرَّجُولَةِ الْحَقِيقِيَّةِ أَنْ لَا يَشْتَغَلَ الرَّجُلُ بِطَلَبِ الدُّنْيَا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ.

- ٦- جَوَّازُ الْأَتِّجَارِ وَالْبَيْعِ إِذَا لَمْ يُلْهِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.
- ٧- أَنَّ الْإِيْمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْخَوْفَ مِنْهُ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ الْقِيَامِ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٨- شِدَّةُ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِكُونَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ تَتَقَلَّبُ فِيهِ.
- ٩- بَيَانُ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ لِمَنْ قَامَ بِالْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ الْمَذْكُورَةِ.
- ١٠- سِعَةُ فَضْلِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

الآية الثامنة:

١٠٣ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

تفسير الآية رقم ١٠٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: أوجدناكم، والخالق واحد وهو الله تعالى، وأتى بضمير الجمع للتعظيم.

﴿مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾: هما آدم وحواء.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ﴾: صيرناكم بعد هذا النطاق الضيق.

﴿شُعُوبًا﴾: جمع شعب، وهو أصل القبائل الجامع لها، سمي به لأن القبائل تتشعب منه مثل: مضر.

﴿وَقَبَائِلَ﴾: جمع قبيلة، وهي ما تفرع عن الشعوب، سميته به لأن كل واحدة تقابل الأخرى في تفرعها عن الشعب، مثل: تميم قبيلة من مضر.

﴿لِتَعَارَفُوا﴾: ليعرف بعضكم بعضاً بقبيلته، واللام للتعليل، أي: لبيان الحكمة في جعلهم شعوباً وقبائل.

﴿أَكْرَمَكُمْ﴾: أعظمكم كرامةً وقدرًا.

﴿أَنْفُسُكُمْ﴾: أبلغكم تقوى الله - عز وجل -.

وَالْتَقْوَى: فِعْلٌ مَا يَقِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ بِأَمْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ تَهْيِهِ طَاعَةً لَهُ.

﴿خَيْرٌ﴾: ذُو خِبْرَةٍ، وَهِيَ: الْعِلْمُ بِبَوَاطِنِ الْأُمُورِ وَخَفِيِّهَا.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ أَسْلِ وَاحِدٍ هُوَ: آدَمُ وَحَوَاءُ، وَجَعَلَهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَفَاخَرُوا بِتِلْكَ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ كَمَا يَصْنَعُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَعَارَفُوا فَيَقَالَ: هَذَا فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ مِنْ قَبِيلَةِ فَلَانٍ، فَيَتَمَيَّزُ بِذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِ، وَيُبَيِّنُ أَنْ أَكْرَمَ النَّاسِ عِنْدَهُ أَتْقَاهُمْ لَهُ، لِيَتَسَابَقَ النَّاسُ إِلَى تَقْوَاهُ لِيُنَالُوا بِذَلِكَ كَرَامَتَهُ، وَخَتَمَ الْآيَةَ بِيَانِ عِلْمِهِ التَّامِّ وَخِبْرَتِهِ إِشَارَةً إِلَى عِلْمِهِ بِمَنْ كَانَ مُتَّقِيًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي سِرِّهِ وَعَلْنِهِ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- بَيَانُ أَنَّ أَسْلَ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ.
- ٢- بَيَانُ الْحِكْمَةِ فِي تَفَرُّعِ النَّاسِ إِلَى شُعُوبٍ وَقَبَائِلَ.
- ٣- أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ ذَلِكَ التَّعَارُفِ لَا التَّفَاخُرِ.
- ٤- أَنَّ أَكْرَمَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ، فَيُقْتَضَى أَنْ يُقَدَّمَ فِي الْوِظَائِفِ الدِّينِيَّةِ عِنْدَ التَّسَاوِي فِي بَقِيَّةِ الْأَوْصَافِ الْمَطْلُوبَةِ لِتِلْكَ الْوِظِيفَةِ لِأَنَّهُ أَكْرَمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

- ٥- أَنَّ الْأَتْقَى أَوْلَى بِالْإِمَامَةِ إِذَا تَسَاوَى مَعَ غَيْرِهِ فِي الْأَوْصَافِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي التَّقْدِيمِ،
وَهَذَا مَحَلُّ الْأَسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٦- كَمَا لَعَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَخَبَّرْتَهُ بِبَوَاطِنِ الْأُمُورِ وَظَوَاهِرِهَا.

النَّوعُ العَاشِرُ

الآية الأولى والثانية:

١٠٤-١٠٥ - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ
وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ
أَحَبُّبِكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا أَيُّكُمْ إِتْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ قَبْلَ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَانَكُمْ فَنِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٧٧-٧٨﴾.

النَّوعُ العَاشِرُ: أَي: مِنْ آيَاتِ الصَّلَاةِ، وَمَوْضُوعُهُ: صَلَاةُ أَهْلِ الْأَعْدَارِ.

تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ رَقْمَ ١٠٤ - ١٠٥:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿ءَامَنُوا﴾: صَدَّقُوا بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ.

﴿أَرْكَعُوا﴾: أَحْنُوا ظُهُورَكُمْ فِي الصَّلَاةِ، تَعْظِيمًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الصِّفَةِ

الْمَعْهُودَةِ شَرْعًا.

﴿وَاسْجُدُوا﴾: ضَعُوا فِي الصَّلَاةِ جِبَاهَكُمْ وَبَقِيَّةَ أَعْضَاءِ السُّجُودِ عَلَى الْأَرْضِ،

عَلَى الصِّفَةِ الْمَعْهُودَةِ شَرْعًا.

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: تَذَلَّلُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ وَتَرَكِ مَا نَهَى عَنْهُ،

وَالرَّبُّ: هُوَ الْحَاقُّ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ.

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: أي: كُلُّ مَا كَانَ خَيْرًا مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ، أَي: لِأَجْلِ.

﴿تُقَلِّحُونَ﴾: تَتَأَلَوْنَ الْفَلَاحَ، وَهُوَ: الْفَوْزُ بِالْمَطْلُوبِ وَالسَّلَامَةُ مِنَ الْمَرْهُوبِ.

﴿وَجَاهِدُوا﴾: ابْذُلُوا الْجُهْدَ وَهُوَ الطَّاقَةُ.

﴿فِي اللَّهِ﴾: فِي دِينِ اللَّهِ وَالْوُصُولُ إِلَيْهِ.

﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾: أَثْبِتَ جِهَادِهِ وَأَصْدَقَهُ.

﴿أُحِبِّبْنَاكُمْ﴾: اخْتَارَكُمْ وَاصْطَفَاكُمْ.

﴿وَمَا جَعَلْ﴾: مَا صَيَّرَ.

﴿فِي الدِّينِ﴾: فِي الْعَمَلِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِالتَّعَبُّدِ لَهُ بِهِ.

﴿مِنْ حَرْجٍ﴾: مِنْ ضَيْقٍ وَمَشَقَّةٍ، وَمِنْ زَائِدَةٍ إِعْرَابًا، وَفَائِدَتُهَا: تَوْكِيدُ شُمُولِ

الْعُمُومِ.

﴿مِلَّةَ﴾: شَرِيْعَةً، وَهُوَ مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مَحْدُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: الزَّمُوا مِلَّةَ أَبِيكُمْ.

﴿أَبِيكُمْ﴾: أَي: فِي النَّسَبِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ، لِأَنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ

لَيْسَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ.

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: هُوَ: ابْنُ آزَرَ، وَأَحَدُ أَوْلِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ مُحَمَّدٍ

-صلى الله عليهم وسلم-، تَزَوَّجَ سَارَةَ وَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا إِسْحَاقُ أَبُو يَعْقُوبَ، الَّذِي

هُوَ إِسْرَائِيلُ أَبُو بَنِي إِسْرَائِيلَ -عليه الصلاة والسلام-، وَتَسَرَّى إِبْرَاهِيمُ هَاجَرَ

فَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا وَلَدُهُ الْأَكْبَرُ إِسْمَاعِيلُ أَبُو الْعَرَبِ، وَأَسْكَنَهُ هُوَ وَأُمُّهُ أَرْضَ مَكَّةَ، وَلَمَّا بَلَغَ
 مَعَهُ السَّعْيُ ابْتَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِبِلَاءٍ مُبِينٍ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَبْحِهِ، فَاثْتَمَلَّ
 أَمْرَ رَبِّهِ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةٍ هَذَا ابْنُ الْوَحِيدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ
 لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقَتِ الرَّبِّيَّةُ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾
 إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتَوُ الْمُئِينُ ﴿[الصفات: ١٠٣-١٠٦]، اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا، وَهُوَ: الْبَالِغُ فِي
 الْمَحَبَّةِ غَايَتُهَا، أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ بَابِلَ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَكَسَرَهَا وَجَعَلَهَا
 جُذَاذَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ، فَأَضْرَمُوا لَهُ النَّارَ لِيَحْرِقُوهُ فِيهَا انتصارًا لآلهتهم فَأَلْقَوْهُ فِيهَا،
 فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بِنَارِ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿[الأنبياء: ٦٩]، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ
 النَّارِ وَأَبْطَلَ كَيْدَ الْخَاسِرِينَ، فَكَانُوا هُمُ الْأَسْفَلِينَ، وَهَاجَرَ إِلَى الشَّامِ، وَأَرْسَلَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى إِلَى أَهْلِ حَرَّانَ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ فَبَيَّنَ لَهُمْ بَطْلَانَ
 عِبَادَتِهَا بِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ، فَكَانَتْ لَهُ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، وَأَعْلَنَ أَنَّهُ لَا يَخَافُ تِلْكَ الْأَلْهَةَ
 وَلَا يَعْبَأُ بِهَا، تُوْفِّي ﷺ فِي فَلَسْطِينَ فِي بَلَدِ الْخَلِيلِ، لَكِنْ لَا يُعْلَمُ مَكَانُ قَبْرِهِ فِيهَا.

﴿هُوَ﴾: أَيُّ: اللَّهُ تَعَالَى.

﴿سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾: وَصَفَكُم بِهَذَا الْوَصْفِ، وَقَدْ عُرِفَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى
 الْيَوْمِ يُقَالُ: الْمُسْلِمُونَ، الْيَهُودُ، النَّصَارَى فَلَمْ يُوصَفْ بِالْإِسْلَامِ غَيْرُهُمْ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.
 وَالْإِسْلَامُ: الْإِنْقِيَادُ لِشَرَعِ اللَّهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ.

﴿وَفِي هَذَا﴾: أَيُّ: فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

﴿يَكُونُ الرَّسُولُ﴾: اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ، وَالرَّسُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: شَاهِدًا عَلَيْكُمْ بِإِبْلَاجِهِ الرَّسَالَةَ وَالتَّزَامِكُمْ بِالْإِسْلَامِ الَّذِي سُمِّيَتْ بِهِ.

﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: شَاهِدِينَ عَلَيْهِمْ بِإِبْلَاجِ رُسُلِهِمُ الرَّسَالَةَ إِلَيْهِمْ، وَمَا قَابَلُوهَا بِهِ مِنْ إِيْمَانٍ أَوْ كُفْرٍ.

﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: سَبَقَ مَعْنَاهُمَا فِي الْآيَةِ (٩٩).

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾: احْتَمُوا بِهِ وَتَأَيَّدُوا بِهِ.

﴿مَوْلَانَكُمْ﴾: نَاصِرُكُمْ وَمُتَوَلِّي أُمُورِكُمْ.

﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾: ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِحُسْنِ وِلَايَتِهِ وَكَمَالِ نَصْرِهِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَاةِ، مُعَبِّرًا عَنْهَا بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ لِأَنَّهَا مِنْ أَرْكَانِهَا، ثُمَّ يَعْطِفُ عَلَى ذَلِكَ بِالْأَمْرِ بِعِبَادَتِهِ عَمُومًا فِي جَمِيعِ مَا تَعَبَّدْنَا بِهِ، وَيَفْعَلُ الْخَيْرَ لِنَصْلِ إِلَى الْغَايَةِ الْمَنْشُودَةِ وَهِيَ الْفَلَاحُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَأْمُرُ -سُبْحَانَهُ- كَذَلِكَ بِالْجِهَادِ فِيهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ الْجِهَادِ الْحَقَّ لَا مُحَابَاةَ فِيهِ وَلَا كَسَلَ، وَيُبَيِّنُ تَعَالَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْنَا مِنَ الْإِضْطِفَاءِ وَالِاخْتِيَارِ وَتَسْهِيلِ الشَّرِيعَةِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ الْجَلِيلَةَ الَّتِي أَمَرْنَا بِهَا هِيَ مِلَّةٌ أَيْنَا الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ نَقْتَدِيَ بِهَا فِيهَا، وَيُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ نُوَّهَ بِفَضْلِنَا فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ حَيْثُ سَمَّانَا الْمُسْلِمِينَ، لِيَكُونَ نَبِيُّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ شَاهِدًا عَلَيْنَا وَنَكُونَ شَاهِدِينَ عَلَى النَّاسِ، لَوْصَفِنَا لَدَيْهِمْ بِالْإِسْلَامِ الْمُقْتَضِي لِلْعَدَالَةِ وَقَبُولِ الشَّهَادَةِ، ثُمَّ يَأْمُرْنَا تَعَالَى بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ وَالِاعْتِصَامِ بِهِ، وَيُثْنِي عَلَى نَفْسِهِ بِحُسْنِ الْوِلَايَةِ وَكَمَالِ النَّصْرِ،

تَرْغِيبًا لِلْعِبَادِ بِالِاعْتِصَامِ بِهِ وَاللُّجُوءِ إِلَيْهِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

- ١- وَجُوبُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ فِي الصَّلَاةِ، وَهُمَا مِنَ الْأَرْكَانِ فِيهَا.
- ٢- وَجُوبُ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ رَبُّنَا فَوَجِبَ أَنْ نَعْبُدَهُ.
- ٣- الْأَمْرُ بِفِعْلِ الْحَيْرِ.
- ٤- أَنَّ الْقِيَامَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ مُوَصَّلٌ لِلْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- ٥- وَجُوبُ الْجِهَادِ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ.
- ٦- بَيَانُ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا بِالِاصْطِفَاءِ وَالِاخْتِيَارِ، وَالتَّنْوِيهِ بِفَضْلِنَا فِي الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ وَفِي الْقُرْآنِ.
- ٧- تَيْسِيرُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ بِنَفْيِ الْحَرَجِ فِي عِبَادَاتِهَا وَهَذَا شَامِلٌ لِتَيْسِيرِ الصَّلَاةِ، فَيُصَلِّي الْمَرْءُ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبِهِ، وَيَرْكَعُ وَيَسْجُدُ إِنْ تَيْسَّرَ لَهُ، وَإِلَّا أَوْمَأَ إِيَّاهُ، وَهَذَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.
- ٨- أَنَّ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ الْجَلِيلَةَ مَلَّةٌ أَيْنَا إِبْرَاهِيمَ فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَأَسَّى بِهِ فِيهَا.
- ٩- أَنَّ تَسْمِيَتَنَا بِالْمُسْلِمِينَ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ شَاهِدًا عَلَيْنَا، وَأَنْ نَكُونَ شَاهِدِينَ عَلَى النَّاسِ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَقْتَضِي الْعَدَالََةَ وَقَبُولَ الشَّهَادَةِ.
- ١٠- وَجُوبُ الْقِيَامِ بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِقَامِ الصَّلَاةِ لَهُ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالِاعْتِصَامِ بِهِ.
- ١١- أَنَّ وِلَايَةَ اللَّهِ وَنَصْرَهُ حَيْرٌ وَوِلَايَةُ وَنَصْرُهُ.

الآية الثالثة:

١٠٦ - ﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٠١].

تفسير الآية رقم ١٠٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سافرتُم فيها للجهادِ أو غيره.

﴿جُنَاحٌ﴾: إثمٌ^(١).

﴿أَنْ تَقْصُرُوا﴾: أي: في أن تقصروا، أي: في قصرِكُم.

﴿مِنَ الصَّلَاةِ﴾: من للتبعية، أي: بعض الصلاة، وهي الرباعية تُقصرُ إلى

رَكَعَتَيْنِ.

﴿أَنْ يَفْتِنَكُمُ﴾: يُوقع بِكُمْ ما تَكْرَهُونَ مِنَ الهجومِ عَلَيْكُمْ أو القتلِ.

﴿عَدُوًّا﴾: مُعَادِيًا، والعَدُوُّ ضِدُّ الصَّدِيقِ وَالْوَلِيِّ.

﴿مُبِينًا﴾: مُظْهِرًا لِلْعَدَاوَةِ، وَالْجُمْلَةُ تَعْلِيلِيَّةٌ، وَالغَرَضُ مِنْهَا أَخْذُ الْحَذَرِ مِنَ

الكفار والإغراء ببغضهم.

(١) التعبير بنفي الجُنَاحِ في قِصْرِ الصلاة لِنَفْيِ ما يُتَوَهَّمُ مِنْ حُصُولِ الإِثْمِ بِهِ وَالتَّحَرُّجِ فَلَا يُنَافِي مَشْرُوعِيتهِ بِالسُّنَّةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي السَّعْيِ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرُوءَةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ. [المؤلف]

ب- المعنى الإجمالي:

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِنَفْيِ الْإِثْمِ عَنْهُمْ فِي قَصْرِ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ إِذَا سَافَرُوا وَهِيَ الصَّلَاةُ الرَّبَاعِيَّةُ - الظُّهْرُ، وَالْعَصْرُ، وَالْعِشَاءُ الْآخِرَةُ - إِلَى رَكْعَتَيْنِ، تَخْفِيفًا عَلَى الْعِبَادِ، أَوْ اتِّقَاءً لِمَا يَخَافُ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ مِنْ أَنْ يُوقَعَ الْكُفَّارُ فِي الْمُسْلِمِينَ مَا يَكْرَهُونَ مِنَ الْهُجُومِ عَلَيْهِمْ وَالْقَتْلِ، ثُمَّ يُبَيِّنُ تَعَالَى أَنَّ الْكَافِرِينَ أَعْدَاءَ مُظْهِرُونَ لِلْعِدَاوَةِ، لِلْإِعْرَاءِ بِبُغْضِهِمْ وَأَخْذِ الْحَذَرِ مِنْهُمْ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- جَوَازُ قَصْرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ وَقَدْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ أَنَّهُ مَشْرُوعٌ، إِمَّا وَاجِبٌ كَمَا هُوَ الْأَرْجَحُ، أَوْ مُسْتَحَبٌّ كَمَا هُوَ رَأْيُ الْجُمْهُورِ، وَهَذَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٢- أَنَّ جَوَازَ الْقَصْرِ مَشْرُوطٌ بِخَوْفِ الْفِتْنَةِ مِنَ الْكُفَّارِ، وَهَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى جَوَازِهِ بِلِ مَشْرُوعِيَّتِهِ فِي حَالِ الْأَمْنِ أَيْضًا.
- ٣- أَنَّ الْكُفَّارَ يَنْتَهِزُونَ الْفُرْصَ لِإِحْدَاثِ الْفِتَنِ فِي الْمُسْلِمِينَ.
- ٤- أَنَّ الْكُفَّارَ أَعْدَاءٌ لَنَا مُظْهِرُونَ لِلْعِدَاوَةِ، وَرُبَّمَا يَتَسَرَّوْنَ بِهَا أحيانًا مراعاةً لمصالحهم أو خوفًا.
- ٥- التَّحْذِيرُ مِنْ صِدَاقَةِ الْكُفَّارِ وَمُؤَالَاتِهِمْ.

الآية الرابعة:

١٠٧- ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتَقِمَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَعْلَمُونَ عَنِ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢].

تفسير الآية رقم ١٠٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿كُنْتَ فِيهِمْ﴾: الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿فِيهِمْ﴾: الضمير للصحابة - رضي الله عنهم -، والمراد: في حال مواجهتهم

للكفار في القتال.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾: أردت أن تُصلي بهم إمامًا.

﴿فَلَنْتَقِمَ﴾: أي: فلتنقم للصلاة، والفاء رابطة لجواب الشرط، واللام للأمر.

﴿طَائِفَةٌ﴾: جماعة.

﴿مَعَكَ﴾: أي: مؤتمن بك.

﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾: وليحملوا معهم في الصلاة.

﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾: جمع سلاح، وهو ما يُعده المقاتل من آلة الحرب للهجوم أو الدفاع.

﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾: أي: صَلُّوا، وَعَبَّرَ بِالسُّجُودِ عَنِ الصَّلَاةِ لِأَنَّهُ رُكْنٌ فِيهَا،
وَبِهِ تَنْتَهِي الرُّكْعَةُ، وَالضَّمِيرُ يَرْجِعُ لِلطَّائِفَةِ الْأُولَى الَّذِينَ صَلُّوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿مِنْ وَرَائِكُمْ﴾: مِنْ خَلْفِكُمْ تَجَاهَ الْعَدُوِّ.

﴿لَمْ يُصَلُّوا﴾: أَي: لَمْ يَدْخُلُوا مَعَكَ فِي الصَّلَاةِ أَوْلًا.

﴿حِذْرَهُمْ﴾: تَيْقُظُهُمْ وَاحْتِرَازَهُمْ.

﴿وَدَّ﴾: أَحَبَّ.

﴿تَعْفُلُونَ﴾: تَلْهُونَ بِالصَّلَاةِ أَوْ غَيْرِهَا.

﴿وَأَمْتَعِكُمْ﴾: جَمْعُ مَتَاعٍ، وَهُوَ: مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ مِنَ الرَّحْلِ وَالْأَوَانِي وَغَيْرِهَا.

﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ﴾: فَيَحْمِلُونَ عَلَيْكُمْ بِالْمُجُومِ.

﴿مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾: حَمَلَةً وَاحِدَةً قَاضِيَةً لَا تَحْتَاجُ لِأُخْرَى.

﴿وَلَا جُنَاحَ﴾: وَلَا إِثْمَ.

﴿أَذَى مِّنْ مَّطَرٍ﴾: أَي: تَأَذُّ بِالْبَلَلِ أَوْ الْوَحْلِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِمَّا يَحْصُلُ بِسَبَبِ الْمَطَرِ.

﴿مَرَضَى﴾: جَمْعُ مَرِيضٍ، وَهُوَ: مَنِ اعْتَلَّتْ صِحَّتُهُ.

﴿تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾: تَتْرَكُوا حَمْلَهَا عِنْدَ الصَّلَاةِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ﴾: الْجُمْلَةَ تَعْلِيلٌ لِّمَا سَبَقَهَا. ﴿أَعَدَّ﴾: هَيَّأَ.

﴿عَذَابًا﴾: نَكَالًا وَعُقُوبَةً.

﴿مُهِينًا﴾: ذَا إِهَانَةٍ، وَالْإِهَانَةُ ضِدُّ الْإِكْرَامِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُرْشِدُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ إِذَا كَانَ فِي أَصْحَابِهِ حَالِ الْقِتَالِ فَأَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ
 إِمَامًا أَنْ يَكُونُوا طَائِفَتَيْنِ: طَائِفَةٌ تُصَلِّيُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَامِلِينَ أَسْلِحَتَهُمْ لِيُدَافِعُوا بِهَا
 إِنْ هَجَمَ الْعَدُوُّ عَلَيْهِمْ، وَطَائِفَةٌ أَمَامَ الْعَدُوِّ تَحْرُسُ، فَإِذَا أَمَّتِ الطَّائِفَةُ الْأُولَى صَلَاتَهَا
 انْصَرَفُوا إِلَى مَكَانِ الطَّائِفَةِ الْأُولَى لِلْحِرَاسَةِ، ثُمَّ تَأْتِي الطَّائِفَةُ الْأُولَى لِتُصَلِّيَ مَعَ النَّبِيِّ
 ﷺ مَا بَقِيَ مِنْ صَلَاتِهِ، ثُمَّ تُتِمُّ صَلَاتَهَا آخِذِينَ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ، لِأَنَّ الْعَدُوَّ
 أَقْرَبُ احْتِمَالًا لِلْهَجُومِ عَلَيْهِمْ حِينَئِذٍ، فَأَمُرُوا بِزِيَادَةِ اخْتِذِ الْحَذَرِ، وَيَبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى
 مَا يُكِنُّهُ الْكُفَّارُ لَنَا مِنْ مَحَبَّةِ الْغَفْلَةِ عَنْ أَمْتِعَتِنَا وَأَسْلِحَتِنَا حَتَّى يَمِيلُوا عَلَيْنَا مِيلَةً
 وَاحِدَةً يَقْضُونَ بِهَا عَلَيْنَا؛ ثُمَّ رَخَّصَ اللهُ تَعَالَى لَنَا حَالَ الْعُذْرِ بِالْمَرَضِ أَوْ التَّأْدِي مِنْ
 مَطَرٍ أَنْ نَضَعُ أَسْلِحَتَنَا حَالَ الصَّلَاةِ مَعَ اخْتِذِ الْحَذَرِ؛ ثُمَّ بَيَّنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ تَشْرِيعِ هَذِهِ
 الْأَحْكَامِ، وَهِيَ: الْعَذَابُ الْمُهِينُ لِلْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- تَمَامُ مَنَّةِ اللهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِإِرْشَادِهِمْ إِلَى مَا فِيهِ حِمَايَتُهُمْ مَعَ اسْتِقَامَةِ دِينِهِمْ.
- ٢- مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ الْخَوْفِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ^(١)، وَهَذَا مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.

(١) وذلك بأن يُقَسِّمَ الْجَيْشُ إِلَى طَائِفَتَيْنِ: طَائِفَةٌ يَدْخُلُونَ مَعَهُ فِي الصَّلَاةِ، وَطَائِفَةٌ تَقِفُ أَمَامَ الْعَدُوِّ
 تَحْرُسُ، فَإِذَا قَامَ إِلَى الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فَارْقُوهُ وَأَمِّتُوا صَلَاتَهُمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا نَحْوَ الْعَدُوِّ فَوْقُوا مَكَانَ
 الطَّائِفَةِ الَّتِي تَحْرُسُ، ثُمَّ تَأْتِي الطَّائِفَةُ الَّتِي تَحْرُسُ إِلَى الْإِمَامِ وَهُوَ عَلَى قِيَامِهِ فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فَتُصَلِّيُ
 مَعَهُ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ، فَإِذَا جَلَسَ لِلتَّشْهَدِ قَامَتْ فَأَتَتْ بِالرُّكْعَةِ الَّتِي بَقِيَتْ عَلَيْهَا وَجَلَسَتْ مَعَهُ
 لِلتَّشْهَدِ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهَا، هَذَا تَفْصِيلُ هَذَا الْوَجْهِ كَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ. [المؤلف]

- ٣- وَجُوبُ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ حَضْرًا وَسَفَرًا فِي حَالِ الْخَوْفِ وَالْأَمْنِ.
- ٤- وَجُوبُ حَمْلِ السَّلَاحِ حَالِ صَلَاةِ الْخَوْفِ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ.
- ٥- وَجُوبُ أَخْذِ الْحَذَرِ أَيْضًا عَلَى الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ.
- ٦- جَوَازُ وَضْعِ السَّلَاحِ لِلْعُذْرِ أَوْ التَّأْذِي مَعَ وَجُوبِ أَخْذِ الْحَذَرِ حَيْثُ بُدِيَ.
- ٧- بَيَانُ مَا يُكِنُّهُ الْكُفَّارُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَحَبَّةٍ غَفَلْتِهِمْ عَنْ مَصَالِحِهِمْ حَتَّى يَقْضُوا عَلَيْهِمْ.
- ٨- شِدَّةُ حُنْقِ الْكُفَّارِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَعَدَاوَتِهِمْ لَهُمْ.
- ٩- أَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْتَبِرُوا بِمَا يُكِنُّهُ أَعْدَاؤُهُمُ الْكُفَّارُ مِنْ مَوَدَّةِ الْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ فَلَا يَغْتَرُّوا بِهِمْ.
- ١٠- وَعَيْدُ الْكُفَّارِ بِمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

النُّوعُ الحَادِي عَشَرَ

الآيَةُ الأُولَى إِلَى الخَامِسَةِ:

١٠٨-١١٢- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ آجِبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ وَعَاطَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٤].

النُّوعُ الحَادِي عَشَرَ: أي: من آيات الصلاة، ومَوْضُوعُهُ: صَلَاةُ الجُمُعَةِ.

تَفْسِيرُ الآيَاتِ رِقْم ١٠٨ - ١١٢:

أ- تَفْسِيرُ الكَلِمَاتِ:

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: هُوَ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ رِقْم (١٠٥).

﴿أُمَّةً﴾: إِمَامًا وَقُدْوَةً.

﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾: مُدْبِيًا لَطَاعَتِهِ مَعَ التَّعْظِيمِ وَالخُشُوعِ.

﴿حَنِيفًا﴾: مَائِلًا عَنِ الشَّرْكِ إِلَى الإِخْلَاصِ.

﴿وَلَمْ يَكُ﴾: أَي: لَمْ يَكُنْ، فَحُذِفَتِ النُّونُ تَخْفِيفًا.

﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: مِنَ الْمُتَّخِذِينَ لِلَّهِ شَرِيكًا فِي العِبَادَةِ أَوْ غَيْرِهَا.

﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ ﴾: مُعْتَرِفًا مُثْنِيًا عَلَى اللَّهِ بِهَا.

وَالْأَنْعَمُ: جَمْعُ نِعْمَةٍ، وَهِيَ: مَا يَتَنَعَّمُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ.

﴿ آخِذْهُ ﴾: اخْتَارَهُ وَاصْطَفَاهُ.

﴿ وَهَدَيْتُهُ ﴾: دَلَّهُ وَأَرْشَدَهُ بِهَا أَوْ حَاهُ إِلَيْهِ.

﴿ صِرَاطٍ ﴾: طَرِيقٍ.

﴿ مُسْتَقِيمٍ ﴾: مُعْتَدِلٍ لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ وَالْقِيَامُ بِطَاعَتِهِ.

﴿ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾: مَا تَحَسَّنُ بِهِ أُمُورُهُ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا وَالدُّكْرِ الْحَسَنِ.

﴿ لِمَنْ الصَّالِحِينَ ﴾: لِمَنْ فَرِيقِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ، وَالصَّالِحُ:

مَنْ قَامَ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَحَقُوقِ الْعِبَادِ.

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾: أَعْلَمْنَاكَ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، وَالْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾: شَرِيعَتُهُ، وَهِيَ: تَوْحِيدُ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ.

﴿ حَنِيفًا ﴾: حَالٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَسَبَقَ مَعْنَاهَا.

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ﴾: أَيْ: صُيِّرَ مُعْظَمًا، وَإِنَّمَا أَدَاءُ حَضْرٍ.

﴿ السَّبْتِ ﴾: أَيْ: يَوْمِ السَّبْتِ بَدَلًا عَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا شَرَعَ تَعْظِيمَ

يَوْمِ السَّبْتِ.

﴿ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾: أَيْ: الْيَهُودُ اخْتَلَفُوا فِيهِ عَلَى نَبِيِّهِمْ حَيْثُ اخْتَارُوهُ

بَدَلًا عَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَأَلْزَمُوا بِهِ.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ بَيَانَ الْمَحَقِّ مِنْهُمْ، وَمُجَازَاةَ كُلِّ بِمَا يَسْتَحِقُّ.

واللام المفتوحة للتوكيد.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: قِيَامُ السَّاعَةِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقِيَامِ النَّاسِ فِيهِ مِنْ قُبُورِهِمْ

وقيام الأشهاد وإقامة العدل.

ب- المعنى الإجمالي:

يُثْنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ وَخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ إِمَامٌ وَقُدْوَةٌ فِي الْخَيْرِ، مُدِيمٌ لِبَطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ التَّعْظِيمِ وَالْخُشُوعِ، مُخْلِصٌ فِي عِبَادَتِهِ غَيْرَ مُشْرِكٍ، مُعْتَرِفٌ بِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرَ مُنْكَرٍ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَاخْتَارَهُ، وَفَتَحَ لَهُ بَابَ الْهُدَايَةِ إِلَى دِينِهِ، وَأَثَابَهُ عَلَى ذَلِكَ بِمَا آتَاهُ مِنْ حَسَنَةِ الدُّنْيَا، وَكَوْنُهُ مِنَ الصَّالِحِينَ فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ بِمَا أَوْحَاهُ إِلَى رَسُولِهِ وَخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذِي الرِّسَالَةِ الْخَالِدَةِ أَنْ يَتَّبِعَ شَرِيعَةَ إِبْرَاهِيمَ فِي كَوْنِهِ مُخْلِصًا لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكٍ بِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-؛ ثُمَّ بَيْنَ تَعَالَى أَنَّهُ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ بَدَلًا عَنِ الْجُمُعَةِ عَلَى مَنْ اخْتَارُوهُ وَاخْتَلَفُوا فِيهِ عَلَى نَبِيِّهِمْ وَهُمْ الْيَهُودُ، فَحَرَّمُوا بِذَلِكَ فَضِيلَةَ الْجُمُعَةِ، وَسَيَّرَجِعُونَ إِلَى اللَّهِ فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- فَضِيلَةُ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.
- ٢- أَنَّهُ كَانَ إِمَامًا وَقُدْوَةً فِي الْخَيْرِ.
- ٣- أَنَّهُ كَانَ مُدِيمًا لِبَطَاعَةِ اللَّهِ بِخُشُوعٍ وَتَعْظِيمٍ.
- ٤- أَنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا لِلَّهِ تَعَالَى غَيْرَ مُشْرِكٍ.

- ٥- أَنَّهُ قَائِمٌ بِشُكْرِ أَنْعَمِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٦- فَضِيلَةُ الْقِيَامِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَلِيلَةِ.
- ٧- نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِاصْطِفَائِهِ وَهِدَايَتِهِ.
- ٨- إِثَابَةُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ بِمَا أَعْطَاهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْهُ أَمْرُ اللَّهِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ مِلَّتَهُ.
- ٩- كَمَالُ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْمُبِينَةِ عَلَى الْإِخْلَاصِ حَيْثُ أُوحِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِاتِّبَاعِهَا.
- ١٠- فَضِيلَةُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَأَنَّ تَفْضِيلَهُ مِنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ١١- أَنَّ تَفْضِيلَ يَوْمِ السَّبْتِ بَدَلًا عَنِ الْجُمُعَةِ كَانَ بِسَبَبِ الْاِخْتِلَافِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لَا لِأَفْضَلِيَّتِهِ عَلَى الْجُمُعَةِ.
- ١٢- إِثْبَاتُ الْجَزَاءِ وَالْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ.

الآية السادسة إلى الثامنة:

١١٣-١١٥- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: ٩-١١].

تفسير الآيات رقم ١١٣ - ١١٥:

أ- تفسير الكلمات:

﴿نُودِيَ﴾: نَادَى الْمُؤَدِّنُ، وَالنِّدَاءُ: رَفَعِ الصَّوْتِ.

﴿لِلصَّلَاةِ﴾: أَي: صَلَاةِ الْجُمُعَةِ.

﴿يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾: يَوْمٌ مَعْرُوفٌ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ

وَتَقْدِيرَاتِ اللَّهِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي غَيْرِهِ.

﴿فَاسْعَوْا﴾: بَادِرُوا بِالْمُضِيِّ.

﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾: أَي: الْخُطْبَةَ وَالصَّلَاةَ.

﴿وَذَرُوا﴾: اتْرُكُوا.

﴿الْبَيْعَ﴾: أَي: عَقَدَ الْمُبَايَعَاتِ.

﴿ذَلِكُمْ﴾: أَي: سَعْيِكُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَتَرْكِكُمْ الْبَيْعَ.

﴿خَيْرٌ﴾: أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: إن كنتم ذوي علمٍ فلن يخفى عليكم ذلك.

﴿قَضَيْتِ الصَّلَاةَ﴾: فرغ منها.

﴿فَانتَشِرُوا﴾: تفرقوا في مصالحكم بعد اجتماعكم.

﴿وَابْتَغُوا﴾: اطلبوا.

﴿فَضَلَ اللَّهُ﴾: من رزقه بالكسبِ الحلالِ.

﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ﴾: كونوا على ذكرٍ له بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ولا يلهينكم

طلبُ الرزقِ عن ذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾: لعلَّ للتعليل، أي: لأجلِ.

﴿تُفْلِحُونَ﴾: تفوزون بالمطلوبِ وتسلمون من المكروهِ.

﴿رَأَوْا﴾: أبصروا، والضميرُ للصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ في صلاةِ

الجمعة.

﴿بِجَرَّةٍ﴾: سلعةٌ يتجر فيها.

﴿أَوْهَوَا﴾: عملاً يلهي من التصفيقِ ودقِّ الطُّبُولِ عندِ قدومِ غيرِ التجارةِ.

﴿أَنْفَضُوا﴾: تفرقوا ذاهبين.

﴿إِلَيْهَا﴾: أي: إلى التجارةِ.

﴿فَأَيْمًا﴾: واقفاً تحطُّبُ.

﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: الذي عند الله تعالى من الثوابِ والأجرِ.

﴿خَيْرٌ﴾: أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً.

﴿خَيْرُ الرَّزْقَيْنِ﴾: أَفْضَلُ الْمُعْطِينَ عَطَاءً لِكثْرَةِ عَطَائِهِ وَدَوَامِهِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَدَّانَ الْمُؤَذِّنُ لصلَاةِ الْجُمُعَةِ أَنْ يُبَادِرُوا بِالْمُضِيِّ إِلَى الْحُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ، لِمَا فِيهِمَا مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَالتَّذْكِيرِ بِآيَاتِهِ، وَأَنْ يَتْرُكُوا الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ لِمَا فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَمَا يُرِيدُونَهُ مِنَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ يُدْرِكُ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَإِذَا قُضِيَتْ فَلْيَتَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ وَيَطْلُبُوا رِزْقَ اللهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ لَا يُلْهِهِمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ -عزَّ وجلَّ-، فَلْيَذْكُرُوا اللهُ كَثِيرًا لِيَفُوزُوا بِمَطْلُوبِهِمْ وَيَنْجُوا مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى حَالًا وَقَعَتْ لِلصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- حِينَ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُحْطَبُ لصلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَكَانُوا فِي حَاجَةٍ وَضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ فَقَدِمَتْ عَيْرٌ مِنَ الشَّامِ وَضَرِبَتْ لَهَا الطُّبُولُ فَخَرَجُوا إِلَيْهَا، لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْحَاجَةِ وَضِيقِ الْعَيْشِ لِيَنَالُوا مِنْهَا، وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْجَنَّةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّزْقَيْنِ﴾.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

١- مَشْرُوعِيَّةُ الْأَذَانِ لصلَاةِ الْجُمُعَةِ^(١).

٢- وَجُوبُ الْمُضِيِّ إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ حِينَ الْأَذَانِ لَهَا.

(١) فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ النَّدَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوَّلَهُ إِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعَمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَلَمَّا كَانَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَثُرَ النَّاسُ زَادَ النَّدَاءُ الثَّلَاثَ عَلَى الزُّورَاءِ. الزُّورَاءُ: مَوْضِعٌ فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ.

- ٣- وَجُوبُ تَرْكِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ حَيْثُ تَبَيَّنَ، وَيَلْحَقُ بِهِمَا كُلُّ مَا يُلْهِى عَنِ الْمَضِيِّ إِلَيْهَا.
- ٤- مَشْرُوعِيَّةُ الْخُطْبَةِ لصلَاةِ الْجُمُعَةِ وَالْقِيَامِ فِيهَا، وَهَذِهِ الْأَرْبَعُ^(١) مَحَلُّ الْاِسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٥- حُسْنُ تَعْلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ حَيْثُ قَرَنَ الْحُكْمَ ببيانِ حِكْمَتِهِ ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.
- ٦- طَلَبُ الْاِنْتِشَارِ فِي الْأَرْضِ لِاِبْتِغَاءِ الرِّزْقِ.
- ٧- الْأَمْرُ بِالْاِكْتِثَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى حِينَ طَلَبِ الرِّزْقِ لِيَمْنَعَهُ ذَلِكَ مِنَ التَّكْسِبِ الْحَرَامِ.
- ٨- أَنْ كَثُرَ ذِكْرُ اللَّهِ مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ.
- ٩- الْعِتَابُ اللَّيِّنُ لِلصَّحَابَةِ الَّذِينَ انْفَضُّوا إِلَى التَّجَارَةِ وَتَرَكُوا النَّبِيَّ ﷺ قَائِمًا.
- ١٠- أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ.
- ١١- كَمَا لَفَضَلَ اللَّهُ تَعَالَى وُجُودَهُ.

النوع الثاني عشر

الآية الأولى والثانية:

١١٦-١١٧- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿[الأعلى: ١٤-١٥].

النوع الثاني عشر: أي: من آيات الصلاة، وموضوعه: صلاة العيدين.

تفسير الآيتين رقم ١١٦ - ١١٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتأکید.

﴿أَفْلَحَ﴾: فاز بمطلوبه، ونجا مما يكره.

﴿تَزَكَّى﴾: تطهر من الشرك والمعصية والأخلاق الرذيلة، ومن ذلك أن يتزكى

بدفع صدقة الفطر.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾: ذكر الله تعالى باسمه، ومن ذلك التكبير قبل صلاة العيد.

﴿فَصَلَّى﴾: أي: فأقام الصلاة، ومن ذلك إقامة صلاة العيد.

ب- المعنى الإجمالي:

يؤكدُ اللهُ تعالى الفلاح لكل من زكى نفسه بالتطهر من الشرك والمعصية والأخلاق الرذيلة، وذكر الله تعالى بقلبه ولسانه وأقام الصلاة، وكان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية ﴿قَدْ أَفْلَحَ

مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

- ١- تَحْقِيقُ الْفَلَاحِ لِمَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثِ: التَّزَكِّي، وَذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةِ.
- ٢- أَنَّ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ صَدَقَةَ الْفِطْرِ وَالتَّكْبِيرَ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ وَصَلَاةِ الْعِيدِ، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.

الآية الثالثة إلى الخامسة:

١١٨-١٢٠- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ [الكوثر: ١-٣].

تفسير البسملة والآيات رقم ١١٨ - ١٢٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: أي: بِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْبَاءُ لِلِاسْتِعَانَةِ، وَالجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: بِسْمِ اللَّهِ أَقْرَأُ.

﴿اللَّهُ﴾: أي: الْمَعْبُودُ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا.

﴿الرَّحْمَنِ﴾: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، وَالرَّحْمَةُ صِفَةٌ تَقْتَضِي الْعَطْفَ وَالْإِحْسَانَ.

﴿الرَّحِيمِ﴾: الرَّاحِمِ لِمَنْ شَاءَ.

﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾: الْفَاعِلُ اللَّهُ تَعَالَى وَالْمُخَاطَبُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿الْكَوْثَرَ﴾: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ.

﴿فَصَلِّ﴾: الْفَاءُ عَاطِفَةٌ وَفِيهَا مَعْنَى السَّبِيَّةِ، وَالصَّلَاةُ مَعْرُوفَةٌ، وَتَشْمَلُ

صَلَاةَ الْعِيدِ.

﴿لِرَبِّكَ﴾: لِخَالِقِكَ، الْمَالِكِ لَكَ، الْمُدَبِّرِ لِأُمُورِكَ.

﴿وَأَنْحَرْ﴾: عَظَّمَ لِرَبِّكَ بِالنَّحْرِ لَهُ وَالذَّبْحِ.

﴿شَانِئَكَ﴾: مُبْغَضَكَ.

﴿هُوَ﴾: ضَمِيرٌ فَصْلٌ يُفِيدُ التَّوَكِيدَ وَالْحَضَرَ.

﴿الْأَبْتَرُ﴾: الْأَذَلُّ الْمُنْقَطِعُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

ب- المعنى الإجمالي:

مَعْنَى الْبَسْمَلَةِ: أَبْتَدَيْ قِرَاءَتِي مُسْتَعِينًا بِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مُثْنِيًا عَلَيْهِ بِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنْ رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ شَامِلَةٍ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ وَاصِلَةٍ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ مُتَوَسِّلًا إِلَيْهِ بِهَذَا الشَّاءِ أَنْ يَرْحَمَنِي بِالْمَعُونَةِ عَلَى مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ.

مَعْنَى السُّورَةِ: يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ خَبْرًا مُؤَكَّدًا بِأَنَّهُ أَعْطَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ الْكَوْثَرَ، وَهُوَ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، عَلَيْهِ خِيَامُ اللَّوْلُؤِ، حَصْبَاوُهُ اللَّوْلُؤُ، وَتُرَابُهُ الْمِسْكُ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ أَنْ يُصَلِّيَ لَهُ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالنَّحْرِ شُكْرًا لَهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي أَعْطَاهُ، وَيُؤَكِّدُ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ الْأَبْتَرَ الْأَذَلُّ هُوَ مَنْ أَبْغَضَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ج- ما يُسْتَفَادُ مِنَ الْبَسْمَلَةِ وَالسُّورَةِ:

- ١- إِبْتَاتٌ مَا تَضَمَّتْهُ الْبَسْمَلَةُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَهِيَ: الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ.
- ٢- بَيَانٌ مِنْ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِإِعْطَائِهِ الْكَوْثَرَ.
- ٣- وَجُوبُ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ.
- ٤- أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ مِنْ صَلَاةٍ وَنَحْرِ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ ذَلِكَ صَلَاةُ الْعِيدِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْأَسْتِشْهَادِ بِالسُّورَةِ.
- ٥- وَجُوبُ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٦- مُعَاقَبَةُ مَنْ أَبْغَضَهُ بِالذُّلِّ وَالْإِنْقِطَاعِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

النَّوعُ الثَّلَاثُ عَشَرَ

الآية الأولى والثانية:

١٢١-١٢٢ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا

لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾

فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٨﴾

[فصلت: ٣٧-٣٨].

النَّوعُ الثَّلَاثُ عَشَرَ: أَي: مِنْ آيَاتِ الصَّلَاةِ، وَمَوْضُوعُهُ: صَلَاةُ الْكُسُوفِ.

تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ رَقْمَ ١٢١ - ١٢٢:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: مِنْ اللَّتَّبَعِيضِ.

﴿آيَاتِهِ﴾: عَلَامَاتُ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

﴿لَا سَجْدُوا﴾: لَا نَاهِيَةٌ.

﴿سَجْدُوا﴾: تَخَرُّوا سَاجِدِينَ، وَالسُّجُودُ مَعْرُوفٌ.

﴿خَلَقَهُنَّ﴾: أَوْجَدَهُنَّ، أَي: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.

﴿إِيَّاهُ﴾: أَي: اللَّهُ، وَهُوَ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ لـ ﴿تَعْبُدُونَ﴾ قَدَّمَ عَلَيْهِ لِإِفَادَةِ

الِاخْتِصَاصِ.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: تَذَلَّلُونَ حُبًّا وَتَعْظِيمًا.

﴿اسْتَكْبَرُوا﴾: تَكَبَّرُوا عَنِ السُّجُودِ لِلَّهِ وَتَعَاظَمُوا، وَاهْمَزَةُ وَالسَّيْنُ لِلْمَبَالِغَةِ.

﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: أَي: الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ.

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ﴾: يُقَدِّسُونَهُ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي تَعْبُدُهُمْ بِهَا.

﴿لَا يَسْمُونَ﴾: لَا يَمْلُونَ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ تِلْكَ الْآيَاتُ الْأَرْبَعُ: اللَّيْلُ بِظُلَامِهِ وَهُدُوئِهِ، وَالنَّهَارُ بِضِيائِهِ وَحَرَكَتِهِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ تَعَاقُبِ وَاخْتِلَافِ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، وَالشَّمْسُ بِضِيائِهَا وَحَرَارَتِهَا، وَالْقَمَرُ بِنُورِهِ وَبُرُودِيَّتِهِ وَمَا فِي سَيْرِهِمَا مِنْ انْتِظَامٍ وَتَعَاقُبٍ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، وَيُنْهِى عِبَادَهُ أَنْ يَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ أَوْ الْقَمَرِ، وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَهُنَّ، فَهُوَ أَحَقُّ بِالْعِبَادَةِ مِنْ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَعَبَّدَ حَقًّا، ثُمَّ يَبَيِّنُ تَعَالَى أَنَّ النَّاسَ إِنْ اسْتَكْبَرُوا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ عِبَادٌ يَتَعَبَّدُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، الَّذِينَ لَا يَمْلُونَ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

١- أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

٢- تَحْرِيمُ السُّجُودِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَهُوَ مِنَ الشَّرْكِ الْأَكْبَرِ.

٣- وَجُوبُ إِفْرَادِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ بِالسُّجُودِ، لِأَنَّهُ الْخَالِقُ وَحْدَهُ فَلَا يَكُونُ السُّجُودُ لِغَيْرِ الْخَالِقِ.

٤- أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مَخْلُوقَانِ لِلَّهِ تَعَالَى فَمَا يَحْدُثُ فِيهِمَا مِنْ كُسُوفٍ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ السَّجُودُ عِنْدَ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى لَا لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَهَذَا حَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالآيَتَيْنِ.

٥- أَنَّ تَحْقِيقَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى لَا يَكُونُ مَعَ الْإِشْرَاقِ بِهِ.

٦- أَنَّ مَنْ تَكَبَّرَ عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَنْ يُضِرَّ اللَّهُ شَيْئًا.

٧- أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادًا مُقَرَّبِينَ لَا يَمَلُّونَ عِبَادَتَهُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا.

الآية الثالثة:

١٢٣- ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاثِنَا نُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

تفسير الآية رقم ١٢٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿مَنَعَنَا﴾: جعلنا نترك.

﴿أَنْ نُرْسِلَ﴾: أن تأتي.

﴿بِالْآيَاتِ﴾: بالمعجزات التي افترحتها كفار قريش على النبي ﷺ لتأييد نبوته.

﴿كَذَّبَ بِهَا﴾: أنكرها، أي: الآيات المقترحة.

﴿الْأَوَّلُونَ﴾: أي: الأمم السابقة.

﴿وَأَثِنَا﴾: أعطينا.

﴿نُمُودَ﴾: قبيلة قديمة تسكن الحجر شمالي الجزيرة العربية، وكانوا قبل زمن

إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - بعث الله إليهم صالحاً فدعاهم إلى عبادة الله

فطلبوا منه آية فقال: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَا شَرِبْ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ (١٥٥) وَلَا تَسُوهَا

بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥-١٥٦].

﴿النَّاقَةَ﴾: الأنثى من الإبل.

﴿مُبْصِرَةً﴾: ظاهرة واضحة يبصرها من رآها.

﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾: كفروا بها واعتدوا عليها فَعَقَرُوهَا.

﴿بِالآيَاتِ﴾: بِالْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِنَا الحَارِقَةِ للْعَادَةِ، وَمِنْهَا كُسُوفُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.

﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾: أَيْ: لِتَخْوِيفِ الْعِبَادِ مِنَ الْمَعَاصِي وَعُقُوبَاتِهَا.

ب- المعنى الإجمالي:

كَانَ مِنْ جُمْلَةِ عِنَادِ قُرَيْشٍ وَتَعَتَّتِهِمْ أَنْ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بآيَةٍ وَقَالُوا كَمَا قَصَّ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۚ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩١]، إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ مِنَ الْآيَةِ رَقْمَ (٩٠) إِلَى رَقْمِ (٩٤)، فَانزَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ حِكْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى تَأْتِي أَنْ يَأْتِي بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْمُقْتَرَحَةِ، لِأَنَّ مَنْ قَبْلَهُمْ سَأَلُوهَا فَلَمَّا أَتَوْا بِهَا كَذَّبُوا بِهَا فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَسُنَّهَ اللَّهُ فِي خَلْقِهِ وَاحِدَةً، فَلَوْ أَتَى بِالْآيَاتِ الَّتِي اقْتَرَحُوهَا لَكَذَّبُوا بِهَا كَمَا كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ثُمَّ لَعَاجَلَهُمُ بِالْعُقُوبَةِ كَمَا عَاقَبَ مَنْ قَبْلَهُمْ، وَأَظْهَرَ مِثَالِ لِدَلِكِ قِصَّةَ ثَمُودَ قَوْمِ صَالِحٍ حِينَ طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً فَأَرَاهُمُ النَّاقَةَ فَكَفَرُوا بِهَا وَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ، ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يُرْسِلُ بِالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ الحَارِقَةِ لِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ كَالْكَسُوفِ، وَالتَّرَلَاذِلِ، وَالفِيضَانَاتِ، وَالصَّوَاعِقِ وَغَيْرِهَا، إِلَّا لِتَخْوِيفِ الْعِبَادِ مِنْ مَعَاصِيهِمْ وَعُقُوبَاتِهَا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

١- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِهَا اقْتِرَاحَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ آيَاتِ.

- ٢- أَنَّ حِكْمَتَهُ أَبَتْ ذَلِكَ لِأَنَّ مُقْتَرِحِيهَا سَيُكذَّبُونَ بِهَا كَمَا كَذَّبَ بِهَا مَنْ قَبْلِهِمْ.
- ٣- أَنَّهُمْ لَوْ أُتُوا بِهَا ثُمَّ كَذَّبُوا لَعُوجِلُوا بِالْعَذَابِ كَمَا جَرَى لثَمُودَ.
- ٤- كَمَا أَلِ الْبَيَانَ فِي كَلَامِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ الْقَرِيبَةِ الْمَعْلُومَةِ.
- ٥- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرْسِلُ بِالْآيَاتِ الْحَارِقَةِ لِلْعَادَةِ لِتَخْوِيفِ الْعِبَادِ، وَمِنْ ذَلِكَ كُسُوفُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ»^(١)، وَهَذَا مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، رقم (٩٠١).

الآية الرابعة إلى السادسة:

١٢٤-١٢٦- ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَّهُمْ

حَتَّىٰ يَلْقَؤُا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾

[الطور: ٤٤-٤٦].

تفسير الآيات رقم ١٢٤ - ١٢٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَإِنْ يَرَوْا﴾: يُبْصِرُوا، وَالضَّمِيرُ لِلْكَفَّارِ.

﴿كِسْفًا﴾: قِطْعًا.

﴿سَاقِطًا﴾: نَازِلًا إِلَى الْأَرْضِ.

﴿سَحَابٌ﴾: أَي: هَذَا سَحَابٌ، فَهُوَ مَرْفُوعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبْرٌ مُّبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ.

﴿مَّرْكُومٌ﴾: مَجْمُوعٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ لِكثَافَتِهِ وَسَوَادِهِ.

﴿فَذَرَّهُمْ﴾: فَاتْرَكْتَهُمْ، وَهُوَ أَمْرٌ تَهْدِيدٌ.

﴿يَلْقَؤُا﴾: يُعَايِنُوا.

﴿يُصْعَقُونَ﴾: يَهْلِكُونَ.

﴿لَا يُغْنِي﴾: لَا يَدْفَعُ.

﴿كَيْدُهُمْ﴾: مَكْرُهُمْ وَخِدَاعُهُمْ.

﴿يُنصَرُونَ﴾: يُمْنَعُونَ مِنَ الْعَذَابِ.

ب- المعنى الإجمالي:

لَمَّا أَقَامَ اللَّهُ الْحُجَّةَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى مَنْ كَذَّبُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَبْطَلَ جَمِيعَ مَا شَبَّهُوا بِهِ بَيْنَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِنَادِ، وَأَتَمَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مَهْمَا رَأَوْا مِنَ الْآيَاتِ حَتَّىٰ إِتَمَّهُمْ لَوْ رَأَوْا الْقِطْعَ تَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، مَا رَأَوْا بِذَلِكَ بَأْسًا وَلَا رَفَعُوا لَهُ رَأْسًا، بَلْ قَالُوا: هَذَا سَحَابٌ مَرْكُومٌ جَرَّتْ بِهِ الْعَادَةُ وَلَيْسَ إِنْذَارًا وَلَا عَذَابًا، ثُمَّ هَدَّاهُمْ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُهُ أَنْ يَدَعَهُمْ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ حَتَّىٰ يَأْتِيَ يَوْمٌ هَلَاكِهِمْ فَيُعَايِنُوا الْعَذَابَ وَلَا يُمْكِنُهُمُ الْخِلَاصُ مِنْهُ بِكَيْدٍ وَلَا اسْتِنصَارٍ، وَمَا أَشَدَّ التَّفَارُبِ بَيْنَ حَالِ هَؤُلَاءِ وَحَالِ مَنْ لَا يَرْفَعُونَ بِالْكَسُوفِ رَأْسًا وَلَا يُجْرِكُونَ بِهِ نَفْسًا، وَيَقُولُونَ: هُوَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ عَادِيٌّ مَعْلُومٌ بِالْحِسَابِ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِنْذَارًا وَتَخْوِيفًا؟ أَفَنَسِيَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْكَسُوفَ وَإِنْ عَلِمَ بِالْحِسَابِ فَإِنَّ الَّذِي قَدَّرَهُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَىٰ لِيُخَوِّفَ بِهِ عِبَادَهُ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- بُلُوغُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقْصَىٰ غَايَةِ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ.
- ٢- أَتَمَّهُمْ لَوْ رَأَوْا الْآيَاتِ بِأَعْيُنِهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَا آمَنُوا بِهَا وَلَا تَحَرَّكَتْ لَهَا نُفُوسُهُمْ.
- ٣- أَتَمَّهُمْ يَحْمِلُونَ هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى الْأُمُورِ الْمُعْتَادَةِ الَّتِي لَمْ يُقْصِدْ بِهَا الْإِنْذَارُ وَالتَّخْوِيفُ.
- ٤- أَنَّ مَنْ حَمَلَ كُسُوفَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ عَلَى الْأَمْرِ الْمُعْتَادِ الَّذِي لَا يُقْصَدُ بِهِ التَّخْوِيفُ فَهُوَ مُشَابَهُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٥- تَهْدِيدُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الْمُعَانِدِينَ بِمَا يُلَاقُونَهُ عِنْدَ هَلَاكِهِمْ.
- ٦- أَتَمَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ كَيْدًا وَلَا يَجِدُونَ نَاصِرًا حِينَ يَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ.

النَّوعُ الرَّابِعُ عَشَرَ

الآية الأولى إلى الثالثة:

١٢٧-١٢٩ - ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿﴾ [الروم: ٤٨-٥٠].

النَّوعُ الرَّابِعُ عَشَرَ: أَي: مِنْ آيَاتِ الصَّلَاةِ، وَمَوْضُوعُهُ: صَلَاةُ الاسْتِسْقَاءِ.

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ رَقْمَ ١٢٧ - ١٢٩:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾: يَأْمُرُهَا فَتَهْبُ، وَالرِّيحُ: جَمْعُ رِيحٍ، وَهُوَ نَسِيمُ الْهَوَاءِ.

﴿فَتُثِيرُ﴾: فَتُهَيِّجُ وَتَرْفَعُ.

﴿فَيَبْسُطُهُ﴾: فَيَمُدُّهُ وَيَنْشُرُهُ كَالْبَسَاطِ.

﴿فِي السَّمَاءِ﴾: فِي الْعُلُوِّ.

﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾: أَي: عَلَى الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي شَاءَهَا.

﴿كِسْفًا﴾: قِطْعًا مُتْرَاكِمَةً.

﴿فَتَرَى﴾: فَتُبْصِرُ، وَالخِطَابُ عَامٌّ لِكُلِّ مَنْ يَصْحُحُ خِطَابُهُ.

﴿الْوَدَقَ﴾: الْمَطَرُ.

﴿مِنْ خَلِيلِهِ﴾: مِنْ شُقُوقِهِ أَوْ مِنْ بَيْنِهِ.

﴿إِذَا هُمْ﴾: إِذَا فُجَائِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَوْرِيَّةِ وَالْمِبَادَرَةِ.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يُسْرُونَ وَيُسِّرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِنُزُولِهِ.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ﴾: أَيُّ: الْمَطَرُ:

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: أَيُّ: مِنْ قَبْلِ الْاسْتِبْشَارِ.

﴿لِلْمُبَلِّسِينَ﴾: لِأَيِّسِينَ مِنْ نُزُولِهِ.

﴿فَأَنْظُرْ﴾: أَيُّ: نَظَرَ اعْتِبَارٍ.

﴿ءَأَثَرٍ﴾: عَوَاقِبِ.

﴿رَحْمَتِ اللَّهِ﴾: أَيُّ: الْمَطَرُ النَّازِلُ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿يُحْيِي الْأَرْضَ﴾: يَجْعَلُ فِيهَا الْحَيَاةَ فَتَنْبُتُ.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: أَيُّ: اللَّهُ الَّذِي أَحْيَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا.

﴿لَمْحَى الْمَوْتِ﴾: أَيُّ: الْأَمْوَاتِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَغَيْرِهِمْ.

﴿قَدِيرٌ﴾: ذُو قُدْرَةٍ، وَهِيَ: إِيجَادُ الشَّيْءِ بِدُونِ عَجْزٍ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَمَامِ قُدْرَتِهِ بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ حَيْثُ يَأْمُرُ الرِّيَّاحَ فَتَهْبُ، فَتُشِيرُ

السَّحَابَ مِنَ الْبِحَارِ أَوْ مِنْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَيَنْشُرُهُ فِي السَّمَاءِ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى

وَيَجْعَلُهُ قِطْعًا مُتَرَكَمَةً، فَيَسْوُدُّ وَيَدْهَمُ وَيَنْزِلُ الْمَطْرُ، فَتَرَاهُ يُخْرَجُ مِنْ خِلَالِهِ، فَيَسْتَبْشِرُ مَنْ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا آيسِينَ مِنْهُ لِتَأْخِرِهِ عَنْ عَادَةِ نُزُولِهِ، فَمَا أَعْظَمَ مَوْقِعِهِ مِنْ نُفُوسِهِمْ حِينَئِذٍ، فَيَنْتُجُّ مِنْ ذَلِكَ الْمَطْرِ مِنَ الْآثَارِ مَا يَكُونُ عِبْرَةً لِمَنْ اعْتَبَرَ فَتُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا وَتَنْبُتُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ، وَيَسْتَدِلُّ الْعَاقِلُ بِذَلِكَ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِنزَالِ الْمَطْرِ.
- ٢- بَيَانُ كَيْفِيَّةِ إِنْشَاءِ السَّحَابِ.
- ٣- أَنَّ الرِّيحَ تُبْرِئُ السَّحَابَ، فَيَرْتَفِعُ فِي السَّمَاءِ وَيَنْبَسِطُ وَيَتَرَكَمُ بِأَمْرِ اللَّهِ -عزَّ وجلَّ-.
- ٤- أَنَّ الْمَطْرَ يَنْزِلُ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ.
- ٥- شِدَّةُ حَاجَةِ الْعِبَادِ إِلَى الْمَطْرِ وَاسْتِبْشَارُهُمْ بِنُزُولِهِ.
- ٦- أَنَّ الْمَطْرَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ.
- ٧- أَنَّ لَهُ أَعْظَمَ الْأَثْرِ عَلَى الْعِبَادِ، وَهَذِهِ الثَّلَاثُ ^(١) الْفَوَائِدُ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ ^(٢).

(١) هي رقم: ٥، ٦، ٧. [المؤلف]

(٢) وجه الاستشهاد بها أنه إذا كان المطر بهذه المثابة؛ علم بذلك الحكمة من عناية الشرع بفعل وسائل نزوله، ومنها: صلاة الاستسقاء، كما يتبين أهمية صلاة الاستسقاء لأن وسائل طلب المهِّمِّ مُهْمَةٌ. [المؤلف]

٨- أَنَّ إِحْيَاءَ اللَّهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ.

٩- عُمُومُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

الآية الرابعة والخامسة:

١٣٠-١٣١- ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ أَلْبَرًا وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿النمل: ٦٢-٦٣﴾.

تفسير الآيتين رقم ١٣٠ - ١٣١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿أَمَّنْ﴾: «أَمٌّ» بمعنى بل. «مَنْ»: اسم استفهام.

﴿الْمُضْطَرَّ﴾: النَّازِلُ بِهِ ضَرُورَةٌ.

﴿دَعَاهُ﴾: طَلَبَهُ وَسَأَلَهُ إِزَالَةَ ضَرِّهِ.

﴿وَيَكْشِفُ﴾: يُزِيلُ.

﴿السُّوءَ﴾: مَا يَسُوءُ الْإِنْسَانَ مِنْ مَرَضٍ وَضِيْقٍ.

﴿خُلَفَاءَ﴾: جَمْعُ خَلِيفَةٍ، وَهُوَ الَّذِي يَخْلِفُ مَنْ سَبَقَهُ.

﴿إِنَّهُ﴾: أَخَالِقُ وَمَعْبُودٌ، وَاهْمَزَةٌ لِلِاسْتِفْهَامِ الْمُرَادِ بِهِ النَّفْيُ الْمُتَضَمِّنُ لِلتَّحْدِي.

﴿قَلِيلًا مَا﴾: صِفَةٌ لِمُصَدِّرِ مُحذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: تَذَكَّرُونَ تَذَكَّرًا قَلِيلًا، وَمَا زَائِدَةٌ

لِتَأْكِيدِ الْقَلَّةِ.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: أَي: تَتَعَطَّوْنَ.

﴿يَهْدِيكُمْ﴾: يَدُلُّكُمْ.

﴿ظَلَمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: جَمْعُ ظَلَمَةٍ، مِثْلُ ظَلَمَةِ اللَّيْلِ وَالسَّحَابِ، وَالْبَرُّ: الْجُزْءُ الْيَابِسُ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْبَحْرُ: الْمَاءُ الَّذِي يَغْمُرُهَا.

﴿بُشْرًا﴾: جَمْعُ بَشِيرٍ، وَهُوَ: الْمُخْبِرُ بِمَا يَسُرُّ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تُبَشِّرُ السَّحَابَ الَّذِي يَنْزِلُ مِنْهُ الْمَطَرُ.

﴿بِنَيْدِي رَحْمَتِهِ﴾: أَي: أَمَامَ رَحْمَتِهِ.

﴿تَعَالَى﴾: عَلَا وَتَنَزَّهَ.

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عَمَّا يَجْعَلُونَهُ شَرِيكًا مَعَهُ، أَوْ عَنِ شُرَكَائِهِمْ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَتَحَدَّى اللَّهُ تَعَالَى مَنْ جَعَلَ مَعَهُ شُرَكَاءَ بِيَضَاحٍ أَنَّ هَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يُجِيبُوا الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُمْ أَوْ يَكْشِفُوا الشُّوْءَ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَا يَتَذَكَّرُونَ إِلَّا قَلِيلًا، وَيَتَحَدَّى كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُثْبِتُوا مَنْ يَهْدِيهِمْ فِي ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا وَضَعَ مِنْ عِلَامَاتِ سَمَاوِيَّةٍ كَالنُّجُومِ وَأَرْضِيَّةٍ كَالْجِبَالِ، وَكَذَلِكَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ مُقَدِّمَةً لِرَحْمَتِهِ بِانْزَالِ الْمَطَرِ، فَهَلْ يَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُثْبِتُوا أَحَدًا يَفْعَلُ ذَلِكَ سِوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- الْمُنَزَّهِ الْمُتَعَالِي عَنِ كُلِّ شَرِيكٍ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

١- سَعَةُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِجَابَةِ الْمُضْطَرِّينَ إِذَا دَعَوْهُ، وَكَشْفِ الشُّوْءِ لِمَنْ أَصَابَهُ.

- ٢- تَمَامُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِاسْتِخْلَافِ بَعْضِ النَّاسِ لِبَعْضٍ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ.
- ٣- أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي جَعَلَهَا الْمُشْرِكُونَ آلِهَةً مَعَ اللَّهِ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ.
- ٤- عِنَادُ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ لَمْ يَتَّعِظُوا مَعَ وُضُوحِ الْحَقِّ.
- ٥- تَوَجُّهُ الْمُضْطَّرِّينَ إِلَى دُعَاءِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَمِنْهُ الدُّعَاءُ بِنُزُولِ الْغَيْثِ، وَهَذَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٦- تَمَامُ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِدَايَةِ الْخَلْقِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَإِرْسَالِ الرِّيَّاحِ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ.
- ٧- أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ.
- ٨- تَعَالَى اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَنِ الشُّرْكِ وَالْأَصْنَامِ.

النوع الخامس عشر

الآية الأولى إلى الخامسة:

١٣٢-١٣٦- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٧﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦].

النوع الخامس عشر: أي: من آيات الصلاة، وموضوعه: الجنائز.

تفسير الآيات رقم ١٣٢ - ١٣٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ وَلَقَدْ ﴾: اللام موطئة للقسم، وقد للتحقيق، والتقدير: والله لقد.

﴿ الْإِنْسَانَ ﴾: أي: جنس الإنسان باعتبار أصله آدم.

﴿ سُلَالَةٍ ﴾: خلاصة.

﴿ مِّنْ طِينٍ ﴾: صفة لسلالة، والطين: التراب المبلول بالماء.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ ﴾: أي: الإنسان باعتبار فرعه بني آدم.

﴿ نُطْفَةً ﴾: أي: منياً، وأصل النطفة: الماء الصافي القليل.

﴿ قَرَارٍ ﴾: مستقر، وهو الرحم.

﴿مَكِينٌ﴾: حَرِيْزٌ لَا يَصِلُهُ تَغْيِيرٌ وَلَا فَسَادٌ.

﴿عَلَقَةٌ﴾: قِطْعَةٌ مِنْ دَمٍ.

﴿مُضْغَةٌ﴾: قِطْعَةٌ مِنْ لَحْمٍ بِقَدْرِ مَا يُمَضَّغُ.

﴿عِظْمًا﴾: جَمْعُ عَظْمٍ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ.

﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾: غَطَّيْنَاهُ بِهِ.

﴿أَنْشَأْنَاهُ﴾: طَوَّرْنَاهُ طَوْرًا جَدِيدًا.

﴿خَلَقْنَا آخَرَ﴾: خَلَقْنَا مُغَايِرًا لِلأَوَّلِ حَيْثُ نُفِخَتْ فِيهِ الرُّوحُ فَصَارَ حَيًّا بَعْدَ

أَنْ كَانَ جَمَادًا.

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾: تَعَالَى وَكَثُرَ خَيْرُهُ.

﴿الْخَالِقِينَ﴾: الْمُقَدِّرِينَ الصَّانِعِينَ.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: أَيُّ: الْمَذْكُورُ مِنَ الْأَطْوَارِ.

﴿تَبَعَثُوا﴾: تُخْرِجُونَ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِكُمْ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى خَبْرًا مُؤَكَّدًا، يُبَيِّنُ فِيهِ كَمَالَ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي تَطْوِيرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ ابْتِدَاءِ أَصْلِهِ إِلَى غَايَتِهِ، فَذَكَرَ -سُبْحَانَهُ- أَنَّهُ ابْتَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ خُلَاصَةِ الطِّينِ، خَلَقَ مِنْهُ آدَمَ أَبَا الْإِنْسَانِ، ثُمَّ خَلَقَ نَسْلَهُ مِنْ مَنِيِّ الرَّجَالِ يَسْتَقَرُّ فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً قِطْعَةً مِنَ الدَّمِ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً قِطْعَةً مِنَ اللَّحْمِ بِقَدْرِ مَا يَمَضَّغُهُ الْإِنْسَانُ فِي فَمِهِ عِنْدَ الْأَكْلِ، ثُمَّ يَكُونُ

عِظَامًا تُكْسَى لَحْمًا، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ كَامِلَ الْخَلْقَةِ مُتَهَيِّئًا لِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ فَيَتَطَوَّرُ إِلَى خَلْقٍ جَدِيدٍ فَيَلْتَحِقُ بِالْأَحْيَاءِ بَعْدَ أَنْ كَانَ جَمَادًا، فَهَذِهِ أَطْوَارُ سَبْعَةٍ: الطِّينُ، وَالنُّطْفَةُ، وَالْعَلَقَةُ، وَالْمُضْغَةُ، وَالْعِظَامُ وَكِسْوَتُهَا بِاللَّحْمِ، وَإِنْشَاؤُهُ خَلْقًا آخَرَ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، وَقَدْ أَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ بَعْدَ اسْتِكْمَالِ هَذِهِ الْأَطْوَارِ السَّبْعَةِ بَأَنَّهُ تَعَالَى أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، ثُمَّ ذَكَرَ الطَّوْرَ الثَّامِنَ وَهُوَ: الْمَوْتُ، ثُمَّ التَّاسِعُ وَهُوَ: الْبَعْثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَوَصُولِ كُلِّ إِنْسَانٍ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ فِي الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ.

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكِتَابِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»^(١).

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

١- بَيَانُ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَطْوِيرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، رَقْمُ (٣٢٠٨)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْقَدْرِ، بَابُ كَيْفِيَةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، رَقْمُ (٢٦٤٣).

- ٢- بَيَانُ كَمَالِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ التَّطْوِيرِ.
- ٣- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.
- ٤- أَنَّ الْمَوْتَ مَا لَمْ كُلِّ حَيٍّ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَالْلاَّتِقُ بِهِ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهَذَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٥- إِنْبَاتُ الْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُجَازِيَ الْإِنْسَانَ بِعَمَلِهِ.

الآية السادسة إلى السادسة عشرة:

١٣٧-١٤٧- ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ أَتَقَدَّمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٥].

تفسير الآيات رقم ١٣٧ - ١٤٧:

أ- تفسير الكلمات:

- ﴿ قَالَ ﴾: أي: إبراهيم الخليل يخاطب قومه.
 ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ ﴾: أي: أخبروني، والهمزة للاستفهام والفاء عاطفة.
 ﴿ مَا كُنتُمْ ﴾: أي: الذي كنتم.
 ﴿ تَعْبُدُونَ ﴾: تدللون لهم بالعبادة حباً وتعظيماً من دون الله تعالى.
 ﴿ أَتَقَدَّمُونَ ﴾: الأوتون الأسبقون عهداً.
 ﴿ فَإِنَّهُمْ ﴾: أي: ما تعبّدون.
 ﴿ عَدُوٌّ لِي ﴾: أي: أعداء لي.
 ﴿ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾: خالق العالمين المالك لهم المدبر لأموورهم.
 ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾: أي: كل من سوى الله تعالى.

- ﴿خَلَقَنِي﴾: أَوْجَدَنِي مِنَ الْعَدَمِ.
- ﴿يَهْدِينِ﴾: يَدُلُّنِي وَيُوقِّفُنِي لِمَا فِيهِ صَلاَحِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- ﴿يُطْعِمُنِي﴾: يَهَيِّئُ لِي الطَّعَامَ فَأَطْعَمُهُ.
- ﴿وَيَسْقِينِي﴾: يَهَيِّئُ لِي الشَّرَابَ فَأَشْرَبُهُ.
- ﴿مَرَضْتُ﴾: اعْتَلَّتْ صِحَّتِي.
- ﴿يَشْفِينِي﴾: يُزِيلُ مَرَضِي.
- ﴿يُحْيِينِي﴾: يَبْعَثُنِي حَيًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ﴿أَطْمَعُ﴾: أَرْجُو بِحِرْصٍ.
- ﴿يَغْفِرَ﴾: يَتَجَاوَزَ وَيَسْتُرَ.
- ﴿خَطِيئَتِي﴾: أَيُّ: ذَنْبِي.
- ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: يَوْمَ الْجَزَاءِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.
- ﴿هَبْ لِي﴾: أَعْطِنِي.
- ﴿حُكْمًا﴾: أَيُّ: عَلِمًا أَعْرِفُ بِهِ الْحُكْمَ وَأَقْدِرُ عَلَيْهِ.
- ﴿بِالصَّالِحِينَ﴾: بِالْقَائِمِينَ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ.
- ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾: أَيُّ: قَوْلًا صَادِقًا أُذَكِّرُ بِهِ بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ.
- ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾: فِي الْأُمَّمِ الْبَاقِينَ.
- ﴿وَرَثَةً﴾: سَاكِنِي سُكُونًا تَامًا كَسَكَّنِي الْوَارِثَ لِمَا مَلَكَهُ بِالْإِزْثِ.

﴿جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾: جَنَّةِ سُرُورِ الْقُلُوبِ وَتَرَفِ الْأَبْدَانِ، وَسُمِّيَتْ جَنَّةً لِكَثْرَةِ أَشْجَارِهَا وَعُلُوِّ قُصُورِهَا وَخِيَامِهَا.

ب- المعنى الإجمالي:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ -عليه السلام- أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ وَهُوَ يُحَاجُّهُمْ مَتَهَكِّمًا بِأَصْنَامِهِمْ: أَخْبِرُونِي عَنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنِهَا لَا تَنْفَعُ مَنْ تَوَلَّاهَا وَلَا تَضُرُّ مَنْ كَانَ لَهَا عَدُوًّا، فَهَا أَنَا قَدِ اتَّخَذْتُهَا عَدُوًّا وَلَنْ تَضُرَّنِي، أَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي بِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ فَإِنَّهُ وَلِيِّي، لِأَنَّهُ الَّذِي أَوْجَدَنِي بَعْدَ الْعَدَمِ وَلَمْ يَتْرُكْنِي، بَلْ هُوَ الَّذِي يَهْدِينِ لِمَا فِيهِ مَصَالِحُ دِينِي وَدُنْيَايَ، وَيَجْلِبُ لِي مَا تَبَقِيَ بِه حَيَاتِي مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالشِّفَاءِ مِنَ الْأَمْرَاضِ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلِكُ أَمْرِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَيُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي، وَهُوَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَشْمَلَنِي بِرَحْمَتِهِ بَعْدَ وَفَاتِي فَيَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي يَوْمَ الْجَزَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِالْعِلْمِ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ يُلْحِقَهُ بِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ عَمَلًا وَجَزَاءً، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهُ ثَنَاءً حَسَنًا صَادِقًا فِي الْأُمَّمِ الْآخِرِينَ، وَأَنْ يَجْعَلَ لِي مَن يَسْكُنُونَ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- فَضِيلَةُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَقُوَّتُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٢- تَبَرُّؤُهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَمُعَادَاتُهُ لَهَا.
- ٣- كَمَالُ وَلَايَتِهِ لِلَّهِ -عزَّ وجلَّ-.
- ٤- ثَنَاؤُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالشِّفَاءِ مِنَ الْأَمْرَاضِ.

- ٥- أَنَّ الشُّفَاءَ مِنَ الْأَمْرَاضِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَجِبُ الْاِعْتِمَادُ عَلَيْهِ وَاللُّجُوءُ إِلَيْهِ بِطَلَبِ الشُّفَاءِ، وَفِعْلِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى سَبَبًا لِلشُّفَاءِ، وَهَذَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالآيَاتِ.
- ٦- أَنَّ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ بِيَدِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ٧- قُوَّةُ رَجَاءِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ لِمَغْفِرَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٨- سُؤَالُهُ رَبَّهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ الْأَحْكَامَ لِيَعْبُدَ اللَّهَ بِهَا وَيُحْكَمَ بِهَا.
- ٩- سُؤَالُهُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُلْحِقَهُ بِالصَّالِحِينَ، وَأَنْ يُجْعَلَهُ مَحَلًّا ثَنَاءٍ فِي الْأُمَّمِ وَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.
- ١٠- أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ غَايَةُ كُلِّ مَطْلُوبٍ.

الآية السابعة عشرة:

١٤٨- ﴿ وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا

خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

تفسير الآية رقم ١٤٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾: من لبيان الجنس.

﴿ الْقُرْآنِ ﴾: كلام الله تعالى المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿ شِفَاءٌ ﴾: براءة من سقم.

﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾: خير ومصالحة.

﴿ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾: للمصدقين العاملين به.

﴿ الظَّالِمِينَ ﴾: أي: الكافرين تكديبا أو استكبارا.

﴿ خَسَارًا ﴾: نقصا.

ب- المعنى الإجمالي:

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ يُنَزِّلُ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ مَا هُوَ شِفَاءٌ لَأَمْرَاضِ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ وَالْأَنْحِرَافِ، وَلَأَمْرَاضِ الْأَبْدَانِ مِنَ الْحُمَّى وَالْأَوْجَاعِ، وَلَأَمْرَاضِ النَّفُوسِ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْوَسَاوِسِ، وَمَا هُوَ رَحْمَةٌ وَخَيْرٌ وَمُصْلِحَةٌ، لَكِنَّ ذَلِكَ الشِّفَاءَ وَالرَّحْمَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهَ خَاصَّةً أَمَّا الْكَافِرُونَ بِهَ فَلَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نَقْصًا وَوَبَالًا لِكُفْرِهِمْ بِهَ وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَنْهُ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- عَظَمَةُ هَذَا الْقُرْآنِ وَتَأْثِيرُهُ.
- ٢- أَنَّهُ بُرْءٌ مِنَ الْأَسْقَامِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْأَسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٣- أَنَّ الْكَافِرِينَ بِهِ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا خَسَارًا.
- ٤- بَرَكَةُ الْإِيمَانِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

الآية الثامنة عشرة والتاسعة عشرة:

١٤٩-١٥٠- ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ [النحل: ٦٨-٦٩].

تفسير الآيتين رقم ١٤٩ - ١٥٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ وَأَوْحَىٰ ﴾ : أي: ألهم.

﴿ النَّحْلِ ﴾ : حشرات طائرة معروفة.

﴿ اتَّخِذِي ﴾ : اجعلي، وهو أمر إلهام.

﴿ مِنَ الْجِبَالِ ﴾ : من للتبعيض، والجبال معروفة.

﴿ بُيُوتًا ﴾ : جمع بيت، وهو: المسكن.

﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ : يبثون من العرش للنحل.

﴿ الثَّمَرَاتِ ﴾ : أي: ثمرات الشجر.

﴿ فَاسْلُكِي ﴾ : فادخلي واطرفي.

﴿ سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ : طرق ربك التي هيأها لك.

﴿ ذُلَالًا ﴾ : جمع ذلول، أي: مذلة لك لا تضيعين فيها، وهي منصوبة على

الحال من ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾.

﴿ مِنْ بُطُونِهَا ﴾: أَي: النَّحْلُ.

﴿ شَرَابٌ ﴾: أَي: مَشْرُوبٌ وَهُوَ الْعَسَلُ.

﴿ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ ﴾: مَا بَيْنَ أبيضَ وَأَحْمَرَ وَأَصْفَرَ.

﴿ شِفَاءً ﴾: بُرءٌ مِنَ الْأَسْقَامِ.

﴿ لآيَةٍ ﴾: لَعَلَّمَهُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

﴿ يَنْفَكُونَ ﴾: يَتَدَبَّرُونَ بِأَفْكَارِهِمْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ -.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يُخْرِئُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِهِ أَوْدَعَهَا فِي النَّحْلِ ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ الضَّعِيفِ،
 حَيْثُ أَلْهَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تَجْعَلَ لَهَا بُيُوتًا مِنَ الْجِبَالِ وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا بَيْنِي النَّاسِ لَهَا،
 وَأَنْ تَسِيرَ مِنْ تِلْكَ الْبُيُوتِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، فَتَأْكُلَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ لَا مِنْ ثَمَرَةٍ
 مُعَيَّنَةٍ، وَتَسْلُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي هَيَّأَهَا اللَّهُ لَهَا مُذَلَّلَةً مُسَخَّرَةً لَا تَضِيعُ فِيهَا مَهْمًا
 بَعْدَتْ، ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ بِهَا عَلَى الْعِبَادِ حَيْثُ يُخْرِجُ مِنْ بُطُونِهَا ذَلِكَ الْعَسَلُ
 اللَّذِيذُ الطَّعْمِ الْحَلْوُ الْمَذَاقِ، الْمُخْتَلَفُ الْأَلْوَانِ بِحَسَبِ أَلْوَانِ النَّحْلِ وَغِذَائِهَا
 الْمُسْتَمِيلِ عَلَى شِفَاءٍ كَثِيرٍ وَعَظِيمٍ مِنَ الْمَرَضِ، وَيُرْشِدُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى التَّفَكِيرِ فِي ذَلِكَ
 حَتَّى تَتَبَيَّنَ آيَةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةُ فِيهِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

١- بَيَانُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْهَامِ النَّحْلِ مَا فِيهِ مَصَالِحُهَا، وَتَسْهِيلِ الطَّرِيقِ وَالْغِذَاءِ
 لَهَا.

- ٢- أَنْ فِي الْعَسَلِ شِفَاءً مِنَ الْمَرَضِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْاِسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.
- ٣- بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ يُخْرِجُ مِنْ بُطُونِ هَذَا الْمَخْلُوقِ الضَّعِيفِ ذَلِكَ الشَّرَابَ الْعَظِيمَ النَّافِعَ.
- ٤- دَعْوَةُ الْإِنْسَانِ لِلتَّفَكِيرِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ لِيَعْرِفَ مَا فِيهَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

الآية العِشْرُونَ:

١٥١- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ

رُحِّحَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿

[آل عمران: ١٨٥].

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ١٥١:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾: كُلُّ جَسَدٍ ذِي رُوحٍ.

﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: مُدْرِكَةُ طَعْمِهِ، وَالْمَوْتُ: مُفَارَقَةُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ.

﴿وَإِنَّمَا﴾: أَدَاةُ حَصْرِ.

﴿تُوَفَّقُونَ﴾: تُعْطَوْنَ عَلَى وَجْهِ التَّمَامِ.

﴿أُجُورَكُمْ﴾: جَزَاءُ أَعْمَالِكُمْ.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: سَبَقَ مَعْنَاهُ فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١١٢).

﴿رُحِّحَ﴾: نُحِّيَ وَأُبْعِدَ.

﴿الْجَنَّةَ﴾: دَارُ النَّعِيمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ أَشْجَارِهَا

وَعُلُوِّ قُصُورِهَا وَخِيَامِهَا.

﴿فَازَ﴾: ظَفَرَ بِالْمَطْلُوبِ وَنَجَا مِنَ الْمَرْهُوبِ.

﴿مَتَاعُ﴾: أَيُّ: بِلُغَةٍ يَتَبَلَّغُ بِهَا.

﴿الْعُرُورِ﴾: الخِدَاعُ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى مَالَ كُلِّ حَيٍّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَنَّهُ الْمَوْتُ، وَمُفَارَقَتُهَا إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ الَّتِي يُؤْتَى فِيهَا كُلُّ عَامِلٍ أَجْرَهُ، وَأَنَّ الظَّافِرَ بِمَطْلُوبِهِ هُوَ مَنْ نَجَا مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ، أَمَا مَنْ تَمَتَّعَ بِالدُّنْيَا وَأَخْدَعَ بِهَا فَلَيْسَ هُوَ الظَّافِرُ، فَإِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ يَنْخَدِعُ بِهِ مَنْ يَنْخَدِعُ ثُمَّ يَزُولُ إِلَى غَيْرِ طَائِلٍ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- أَنَّ الْمَوْتَ شَامِلٌ لِكُلِّ حَيٍّ فَجَدِيرٌ بِالْحَيِّ أَنْ يَسْتَعِدَّ لَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالتَّطَهُّرِ مِنَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ، وَهَذَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٢- التَّرْغِيبُ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي بِهِ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ.
- ٣- أَنَّ الْعَامِلَ قَدْ يُقَدِّمَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ جَزَاءِ عَمَلِهِ، لَكِنَّ تَمَامَ الْجَزَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ٤- إِبْتِاطُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.
- ٥- أَنَّ الْفَوْزَ كُلُّ الْفَوْزِ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ.
- ٦- التَّرْغِيبُ فِي الْآخِرَةِ وَالتَّرْهِيدُ فِي الدُّنْيَا.
- ٧- التَّحْذِيرُ مِنَ الْاِعْتِرَارِ فِي الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا.

الآية الحادية والعشرون:

١٥٢ - ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَّاسًا يُورِي سَوَاءَ تِكُمْ وَرَيْشًا وَّلِيَّاسَ النَّقْوَى ذَلِكُمْ خَيْرٌ ذَلِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

تفسير الآية رقم ١٥٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿يَبْنِيْ عَادَمَ﴾: أي: ذريته من ذكور وإناث.

﴿عَادَمَ﴾: أبو البشر خلقه الله تعالى بيده من تراب الأرض فسواه بشراً سويًا، وعلمه أسماء كل شيء، وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه وزوجه حواء الجنة، ثم أهبطهما منها إلى الأرض بما جرى منهما لحكمة بالغة، فبث الله سبحانه ذريتهما في الأرض، وجعل منهم النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

﴿اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾: خلقنا لكم، وعبر بالإنزال عن الخلق، لأن اللباس من الرزق وهو في السماء، قال الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

﴿لِيَّاسًا﴾: أي: ملبوسًا.

﴿يُورِي﴾: يغطي.

﴿سَوَاءَ تِكُمْ﴾: عوراتكم.

﴿وَرَيْشًا﴾: معطوف على ﴿لِيَّاسًا﴾ أي: وأنزلنا عليكم ريشًا، وهي: ثياب

الجمال والزينة.

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾: أَي: التَّخَلُّقُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَهِيَ: طَاعَتُهُ بِفِعْلِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ. سُمِّيَ لِبَاسًا لِأَنَّهُ يَسْتُرُ عَوْرَاتِ الذُّنُوبِ.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي: لِبَاسُ التَّقْوَى.

﴿خَيْرٌ﴾: أَفْضَلُ وَأَنْفَعُ مِنْ لِبَاسِ الْبَدَنِ.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي: مَا ذُكِرَ مِنَ اللَّبَاسِ.

﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾: عِلَامَاتِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿يَذَكِّرُونَ﴾: أَي: يَتَّبِعُونَ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي آدَمَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّبَاسِ الْمُنْتَوِعِ، فَمِنْهُ: اللَّبَاسُ الْبَدَنِيُّ الصَّرُورِيُّ الَّذِي تُسْتَرُّ بِهِ الْعَوْرَةُ، وَمِنْهُ: اللَّبَاسُ الْبَدَنِيُّ الْكَمَالِيُّ لِبَاسِ الْجَمَالِ وَالزَّيْنَةِ، وَمِنْهُ: اللَّبَاسُ الْمَعْنَوِيُّ لِبَاسِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا خَيْرُ الْأَنْوَاعِ لِأَنَّهُ اللَّبَاسُ الْبَاقِي الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثُمَّ يُبَيِّنُ تَعَالَى أَنَّ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ وَتَنَوَّعَ النَّاسِ فِيهَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ لِيُذَكِّرَ النَّاسَ بِمَا فِيهَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَيَتَّعِظُوا بِهَا.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

١- تَذَكِيرُ بَنِي آدَمَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ اللَّبَاسِ.

٢- أَنَّ هَذَا اللَّبَاسَ سَتْرٌ لِلْعَوْرَاتِ، وَهُوَ شَامِلٌ لِحَالِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ حَيْثُ يَكْفَنُ

- بِهِ الْمَيْتُ، وَهَذَا مَحَلُّ الْأَسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٣- أَنْ كَشَفَ الْعَوْرَةَ مِمَّا يَسُوءُ وَيُنَافِي الْفِطْرَةَ.
- ٤- جَوَازُ لِبَاسِ ثِيَابِ الْجَمَالِ وَالزَّيْنَةِ، وَأَنَّهُ مِنْ إِظْهَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٥- أَنَّ التَّقْوَى لِبَاسٌ لِلْعَبْدِ يَسْتُرُ بِهَا عَوْرَاتِ الذُّنُوبِ.
- ٦- أَنَّ لِبَاسَهَا خَيْرٌ مِنَ اللَّبَاسِ الْبَدَنِيِّ لِأَنَّهُ أَصْلَحُ وَأَبْقَى.
- ٧- وَجُوبُ مُرَاعَاةِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي اللَّبَاسِ بِحَيْثُ لَا يَلْبَسُ ثَوْبًا مُحَرَّمًا عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ جَمِيلًا.
- ٨- أَنَّ هَذَا اللَّبَاسَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ وَتَنَوَّعَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٩- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ ذَلِكَ وَنَوَّعَهُ لِيَتَعَطَّ النَّاسُ بِذَلِكَ.

الآية الثانية والعشرون:

١٥٣ - ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ۖ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤].

تفسير الآية رقم ١٥٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ وَلَا تُصَلِّ ﴾: لا ناهية، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم.

﴿ مِّنْهُمْ ﴾: من المنافقين.

﴿ أَبَدًا ﴾: ظرف للدوام في المستقبل وهو متعلق بقوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ ﴾.

﴿ وَلَا تَقُمْ ﴾: لا تقف للدعاء أو غيره.

﴿ قَبْرِهِ ۗ ﴾: مكان دفنه بعد موته.

﴿ إِنَّهُمْ ﴾: أي: المنافقين، والجملة تعليل للنهي.

﴿ كَفَرُوا بِاللَّهِ ﴾: جحدوه، أو جحدوا دينه.

﴿ وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾: خارجون عن طاعة الله تعالى، والجملة في موضع نصب

على الحال من فاعل (ماتوا).

ب- المعنى الإجمالي:

كان من عادة النبي ﷺ الصلاة على من مات من المسلمين للدعاء له والشفاعة له عند الله بذلك، وكان يخرج في جنازتهم إلى المقبرة، ويقف على القبر

وَيَدْعُو لِلْمَيِّتِ وَيَقُولُ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَاسْأَلُوا لَهُ التَّشْيِيتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»^(١). وفي هذه الآية ينهاه الله تعالى أن يُصَلِّيَ على أحدٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، أو يَقِفُ على قَبْرِهِ للدُّعَاءِ أو المشاركة في الدَّفْنِ لِأَنَّهُمْ ليسوا أهلاً للشَّفَاعَةِ لهم والدُّعَاءِ، لِكُفْرِهِمْ بالله تعالى وموتهم على ذلك.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- مَشْرُوعِيَّةُ الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ مُؤْمِنًا وَالْوُقُوفُ عَلَى قَبْرِهِ لِلدُّعَاءِ لَهُ.
- ٢- تَحْرِيمُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَالْوُقُوفِ عَلَى قُبُورِهِمْ.
- ٣- أَنَّ عِلَّةَ تَحْرِيمِ ذَلِكَ كُفْرُهُمْ بِاللَّهِ وَمَوْتُهُمْ عَلَى الْفِسْقِ، فَيُلْحَقُ بِهِمْ كُلُّ كَافِرٍ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، وَهَذِهِ الثَّلَاثُ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٤- حُسْنُ تَعْلِيمِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- حَيْثُ يَقْرُنُ الْحُكْمَ بِالْعِلَّةِ لِيَطْمَئِنَّ الْمُكَلَّفُ وَيَعْرِفُ أَسْرَارَ الشَّرِيعَةِ.

فَائِدَةٌ: سَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولٍ أَتَى ابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ فَمِيصَهُ لِيُكْفَنَ فِيهِ أَبَاهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا نَفْسًا عَلَى قَبْرِهِ ﴾ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٠﴾.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف، رقم (٣٢٢١).

الآية الثالثة والعشرون إلى السابعة والعشرين:

١٥٤-١٥٨ - ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىٰ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطَ إِلَٰهُ يَدَكَ لَنُقَلِّبَنَّ مَا آنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ أَنَّهُ رَّبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوَآ بِأَيْمِي وَإِيْمَكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقِ بِأَعْجَزَتْ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ [المائدة: ٢٧-٣١].

تفسير الآيات رقم ١٥٤ - ١٥٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَاتْلُ﴾: اقرأ محبباً لهم، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: على الناس.

﴿نَبَأَ﴾: خبر.

﴿ابْنَىٰ آدَمَ﴾: ولديه لصلبه، وسبق ذكر آدم في تفسير الآية (١٥٢).

﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصدق.

﴿إِذْ قَرَّبَا﴾: فعلا ما يقصدان به التقرب إلى الله تعالى.

﴿قُرْبَانًا﴾: ما يتقرب به من صدقة أو غيرها.

﴿فَتُقْبِلَ﴾: أي: فتقبل الله، وقبول الشيء هو: الرضا به والإثابة عليه.

﴿أَحَدَهُمَا﴾: أَحَدُ الْإِبْنَيْنِ.

﴿قَالَ﴾: أَيُّ: الَّذِي لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُ.

﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾: الْخِطَابُ لِلَّذِي تُقْبَلُ مِنْهُ، وَاللَّامُ مُوَطَّئَةٌ لِلْقَسَمِ، وَالنُّونُ لِلتَّوَكِيدِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَاللَّهُ لَأَقْتُلَنَّكَ، أَيُّ: لَأَهْلِكَنَّكَ.

﴿قَالَ﴾: أَيُّ: الَّذِي تُقْبَلُ مِنْهُ.

﴿إِنَّمَا﴾: أَدَاةُ حَضْرٍ، وَالْحَضْرُ: إِثْبَاتُ الْحُكْمِ لِلْمَذْكُورِ دُونَ غَيْرِهِ.

﴿الْمُنْقِنِينَ﴾: الْمُتَّخِذِينَ وَقَايَةً مِنْ عَذَابِهِ بِالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ.

﴿لَيْنًا بَسَطْتَ﴾: لَيْنٌ مَدَدَتْ، وَاللَّامُ مُوَطَّئَةٌ لِلْقَسَمِ، وَإِنْ شَرَطِيَّةٌ، وَالتَّقْدِيرُ:

وَاللَّهُ لِن.

﴿لِنَقْلِنِي﴾: اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾: مَا نَافِيَةٌ، وَالْجُمْلَةُ جَوَابُ الْقَسَمِ.

﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾: أَخْشَى عِقَابَهُ، وَالْجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِمَا قَبْلَهَا.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: سَبَقَ مَعْنَاهَا فِي الْآيَةِ (١٣٩).

﴿أُرِيدُ﴾: أَقْصِدُ.

﴿تَبَوَّأُ﴾: تَرْجِعَ.

﴿بِإِثْمِي﴾: بِذَنْبِي لَوْ قَتَلْتُكَ لِثَلْثِ هَذَا السَّبَبِ، وَالْمَرَادُ بِرُجُوعِهِ بِإِثْمِهِ: خَلَاصُ

الْمَقْتُولِ مِنْهُ، أَيُّ: مِنْ ذَلِكَ الْإِثْمِ، وَإِثْمِكَ: ذَنْبِكَ بِقَتْلِكَ إِيَّاي.

﴿أَصْحَابِ النَّارِ﴾: أَهْلِهَا الْمُسْتَحِقِّينَ لَهَا.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: الْمُعْتَدِينَ.

﴿فَطَوَّعَتْ﴾: فَسَهَّلَتْ.

﴿فَأَصْبَحَ﴾: صَارَ.

﴿الْخَاسِرِينَ﴾: الْمَغْبُوبِينَ.

﴿فَبَعَثَ﴾: فَأَرْسَلَ.

﴿غُرَابًا﴾: طَائِرٌ مَعْرُوفٌ.

﴿يَبْحَثُ﴾: يَنْبَسُ.

﴿لِرِيئِهِ﴾: أَيُّ: يُرَى الْغُرَابُ الْقَاتِلُ، أَيُّ: يُجْعَلُهُ يَنْظُرُ بَعَيْنِهِ.

﴿يُورِي﴾: يُعْطِي، أَيُّ: الْقَاتِلُ.

﴿سَوْءَةً﴾: عَوْرَةً.

﴿أَخِيهِ﴾: وَهُوَ الْمَقْتُولُ.

﴿قَالَ﴾: أَيُّ: الْقَاتِلُ.

﴿يَنْوِيلَتِي﴾: «يَا» لِلتَّنْبِيهِ وَالتَّوَجُّعِ. «وَيْلَتَا»: هَلَكَ، أُبْدِلَتِ الْيَاءُ الْفَاءَ.

﴿أَعَجَزْتُ﴾: الْهَمَزَةُ لِلإِسْتِفْهَامِ الْمُرَادِ بِهِ النَّدَمُ. «عَجَزْتُ» عَدِمْتُ الْقُدْرَةَ.

﴿مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾: شَبَّهُهُ فِي الْإِهْتِدَاءِ لِلدَّفْنِ.

﴿النَّدِيمِينَ﴾: الْأَسْفِينِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقْضَى عَلَى النَّاسِ مَا جَرَى لِابْنَيْ آدَمَ لِيَعْتَبِرُوا بِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَذَلِكَ أَنْ اثْنَيْنِ مِنْ بَنِي آدَمَ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: هَابِيلُ، وَالثَّانِي: قَابِيلُ، قَرَّبَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَهُوَ هَابِيلُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسُرُونَ، لِأَنَّ قُرْبَانَهُ تَمَّتْ فِيهِ شُرُوطُ الْقَبُولِ، وَلَمْ يَتَقَبَّلِ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الثَّانِي لِعَدَمِ تَمَامِ شُرُوطِ الْقَبُولِ فِي قُرْبَانِهِ، وَعَلِمَا ذَلِكَ إِمَّا بِوَحْيٍ أَوْ حَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَبِيهِمَا آدَمَ، أَوْ بِتَأَمُّلِ شُرُوطِ الْقَبُولِ فِي قُرْبَانِ كُلِّ مِنْهُمَا، فَحَسَدَ الْمَرْدُودُ قُرْبَانَهُ أَخَاهُ وَتَوَعَّدَهُ بِالْقَتْلِ، فَنَبَهَهُ أَخُوهُ إِلَى شَرْطِ قَبُولِ الْعَمَلِ، وَهُوَ: تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فِعْلِهِ بِحَيْثُ يَعْمَلُهُ مُخْلِصًا لَهُ فِيهِ تَابِعًا لَشَرِيعَتِهِ، وَيَبَيِّنَ لَهُ أَنَّهُ لَوْ جَرَى ذَلِكَ لَهُ وَتُقْبَلَ مِنْهُ دُونَهُ لَمْ يَبْسُطْ إِلَيْهِ يَدَهُ لِيَقْتَلَهُ، لِأَنَّهُ يَخَافُ اللَّهُ تَعَالَى، يَبَيِّنُ لَهُ ذَلِكَ لَعَلَّهُ يَحْجَلُ وَيَخَافُ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ حَذَّرَهُ مِنْ عُقُوبَةِ الْآخِرَةِ بِأَنَّ قَتْلَهُ إِيَّاهُ يَكُونُ سَبَبًا لِرُجُوعِهِ بِالْإِثْمِ، وَكَوْنُهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ لظُلْمِهِ وَعُدْوَانِهِ وَلَمْ يَنْفَعْ فِيهِ هَذَا التَّحْذِيرُ، بَلْ مَا زَالَتْ نَفْسُهُ تُسَوِّلُ لَهُ وَتُسَهِّلُ لَهُ قَتْلَ أَخِيهِ لِتَمَكُّنِ الْحَسَدِ مِنْ قَلْبِهِ فَقَتَلَهُ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِمَطْلُوبِهِ، بَلْ صَارَ خَاسِرًا مَغْبُورًا لِاِكْتِسَابِهِ إِثْمًا عَلَى إِثْمٍ؛ قَالَ الْمَفْسُرُونَ: لَمَّا قَتَلَهُ تَحَيَّرَ كَيْفَ يَعْمَلُ بِهِ، لِأَنَّهُ أَوَّلَ مَيِّتٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَأَذْرَكَتْهُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتُهُ لِتَنْفِيذِ مَا أَرَادَهُ لِمَوْتَى بَنِي آدَمَ مِنَ الدَّفْنِ، فَأَرْسَلَ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ بِمِنْقَارِهِ أَوْ رِجْلَيْهِ. قَالَ الْمَفْسُرُونَ: وَكَانَ عِنْدَهُ غُرَابٌ مَيِّتٌ فَأَلْقَاهُ فِي الْحُفْرَةِ الَّتِي بَحَثَهَا وَدَفَنَتْهُ، وَالْقَاتِلُ لِأَخِيهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَحِينَئِذٍ دَعَا بِالْوَيْلِ وَنَدِمَ عَلَى قُصُورِهِ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ الْغُرَابِ فِي الْإِهْتِدَاءِ إِلَى دَفْنِ أَخِيهِ وَتَأَسَّفَ عَلَى حَالِهِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- اسْتَيْلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى الْقِصَصِ النَّافِعَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْعِبْرَةِ لِلْمُعْتَرِينَ.
- ٢- أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.
- ٣- أَنْ قَبُولَ الْعَمَلِ مَشْرُوطٌ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي آدَائِهِ بَحِيثٌ يَكُونُ خَالِصًا لِلَّهِ مُتَّبِعًا فِيهِ شَرِيعَتِهِ.
- ٤- أَنَّ الْحَسَدَ مَوْجُودٌ فِي بَنِي آدَمَ مُنْذُ الْبَطْنِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ.
- ٥- أَنَّ الْحَسَدَ يَجْرُ إِلَى عَوَاقِبِ وَخِيَمَةِ إِذَا لَمْ يَتَّعَهُ عَنِ الْحَاسِدِ.
- ٦- مِنَّةُ اللَّهِ عَلَى الْمَقْتُولِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ بِتَقْوِيَةِ قَلْبِهِ حَيْثُ لَمْ يَنْزَعِجْ بِتَهْدِيدِهِ بِالْقَتْلِ.
- ٧- فَضِيلَةُ الْمَقْتُولِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ حَيْثُ أَسَدَى النَّصِيحَةَ إِلَى قَاتِلِهِ فِي حِينِ أَنَّهُ يُهَدِّدُهُ بِالْقَتْلِ.
- ٨- أَنَّ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَمْنَعُ الْخَوْفَ مِنَ الْعُدْوَانِ.
- ٩- فَضِيلَةُ الْمَقْتُولِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ، حَيْثُ كَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يُقَابِلَ الْعُدْوَانَ بِمِثْلِهِ لَوْلَا خَوْفُ اللَّهِ تَعَالَى.
- ١٠- أَنَّ قَتْلَ الْمُؤْمِنِ سَبَبٌ لِدُخُولِ النَّارِ.
- ١١- أَنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ تُسَهِّلُ الْعُدْوَانَ لِصَاحِبِهَا.
- ١٢- وَجُوبُ الْحَذَرِ مِنْ تَسْهِيلِ النَّفْسِ الْعُدْوَانَ لِصَاحِبِهَا.
- ١٣- أَنَّ الْحَاسِدَ هُوَ الْمَغْبُونُ بِاعْتِدَائِهِ عَلَى الْمَحْسُودِ.

١٤- أَنْ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى سَبَقَتْ غَضَبُهُ، لِأَنَّهُ هَيَأُ لِلْقَاتِلِ مَا يُبَيِّنُ لَهُ مَا يَصْنَعُ بِالْقَتِيلِ.

١٥- صَعْفُ ابْنِ آدَمَ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ، لِأَنَّ الَّذِي دَلَّهُ عَلَى الدَّفْنِ حَيَوَانٌ طَائِرٌ.

١٦- مَشْرُوعِيَّةُ دَفْنِ الْمَيِّتِ.

١٧- أَنَّ بَدَنَ الْمَيِّتِ كُلُّهُ عَوْرَةٌ تَجِبُ مُوَارَاتُهُ، وَهَاتَانِ الْفَائِدَتَانِ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ

بِالْآيَاتِ.

١٨- أَنَّ الْقَتْلَ لَا يُخْرِجُ الْقَاتِلَ مِنَ الْإِيمَانِ.

١٩- أَنَّ عَاقِبَةَ الْعُدْوَانِ الْأَسْفُ وَالْأُخْزَانُ.

الآية الثامنة والعشرون إلى الحادية والثلاثين:

١٥٩-١٦٢- ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿١٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شِمِخْتٍ وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿١٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾﴾ [المرسلات: ٢٥-٢٨].

تفسير الآيات رقم ١٥٩ - ١٦٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿أَلَمْ تَجْعَلِ﴾: أَلَمْ نُصَيِّرْ، والاسْتَفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ.

﴿كِفَاتًا﴾: سِتْرًا.

﴿أَحْيَاءً﴾: جَمْعُ حَيٍّ، وهو: مَنْ فِيهِ الرُّوحُ.

﴿وَأَمْوَاتًا﴾: جَمْعُ مَيِّتٍ، وهو: مَنْ فَارَقَتْهُ الرُّوحُ، وهُمَا مَنْصُوبَانِ عَلَى الْحَالِ مِنْ

الضمير المحذوف، والتَّقْدِيرُ: كِفَاتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا.

﴿رَوَاسِيَ﴾: جَمْعُ رَاسٍ، أي: ثَابِتٍ، وهي الْجِبَالُ.

﴿شِمِخْتٍ﴾: عَالِيَاتٍ.

﴿فُرَاتًا﴾: عَذْبًا.

﴿وَيْلٌ﴾: هَلَاكٌ.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أَي: يَوْمَ إِذْ يَكُونُ الْفَصْلُ.

﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: لِلْمُنْكَرِينَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ يَوْمِ الْفَصْلِ وَغَيْرِهِ.

(١) تكررت هذه الآية في السورة عشر مرات زيادة في الترهيب، ولأن كل جملة قبلها إما خبر صادق أو محسوس واقع لا يتطرق إلى واحد منها تكذيب. [المؤلف]

ب- المعنى الإجمالي:

يُقَرِّرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ مَا أَمْتَنَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، حَيْثُ جَعَلَهَا سِتْرًا لَهُمْ فِي مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ، يَسْتَتِرُونَ بِهَا فِي الْحَيَاةِ فِي الدُّوْرِ وَالْقُصُورِ وَفِي الْمَوْتِ فِي الْقُبُورِ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ، فَلَا يُلْقَوْنَ عَلَى ظَهْرِهَا جُثًّا كَمَا تُلْقَى حَيْفُ الْبَهَائِمِ، وَجَعَلَ فِيهَا جِبَالًا ثَابِتَةً لَا تُزَعِزِعُهَا الرِّيحُ، عَالِيَةً تَحْجُبُ عَنْهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ مِنْ تَقَلُّبَاتِ الْجَوِّ، بَلْ وَمِنَ الْأَعْدَاءِ أَحْيَانًا، وَأَسْقَى عِبَادَهُ ذَلِكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِمَّا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ يَنْبُعُ مِنَ الْأَرْضِ، وَبَعْدَ تَقْرِيرِ هَذِهِ النَّعْمِ الْمَعْلُومَةِ بِالْحِسِّ وَالْمَشَاهِدَةِ يَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى الْمُكذِّبِينَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَغَيْرِهِ، الَّذِينَ مِنْ وَاجِبِهِمْ بَعْدَ أَنْ شَاهَدُوا نِعَمَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُصَدِّقُوا وَيُطِيعُوا.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- بَيَانُ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَنَافِعِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ.
- ٢- أَنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ جَعَلَ الْأَرْضَ سِتْرًا لِلْأَحْيَاءِ فِي الدُّوْرِ وَلِلْأَمْوَاتِ فِي الْقُبُورِ، وَهَذَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٣- بَيَانُ نِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى بِالْجِبَالِ وَرُسُومِهَا وَعُلُوقِهَا.
- ٤- بَيَانُ نِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى بِمَا يَسَّرَ لَنَا مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ الْعَذْبِ.
- ٥- أَنَّ مَا حَصَلَ لَنَا مِنْ نِعَمِ فَكُلُّهُ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ٦- وَعِيدُ الْمُكذِّبِينَ بِالْهَلَاكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الآية الثمانية والثلاثون إلى الثامنة والثلاثين:

١٦٣-١٦٩ - ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ۗ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ ۗ فَقَدَرَهُ ۗ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۗ (٢٠) ثُمَّ أَمَانَهُ ۗ فَأَقْبَرَهُ ۗ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۗ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ۗ﴾ (١) [عبس: ١٧-٢٣].

تفسير الآيات رقم ١٦٣ - ١٦٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿قُلِ﴾: أهلك أو لعن، والجُمْلَةُ خَبَرِيَّةٌ، وقيل: دُعَائِيَّةٌ بلفظ الخبر.

﴿الْإِنْسَانُ﴾: المراد به جنس الإنسان، وقيل: الكافر.

﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾: ما تعجبيته، أي: ما أعظم كفره، والكفر: إنكار الخبر أو الاستكبار

عن الطاعة.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ﴾: استفهامٌ بمعنى التحقير.

﴿خَلَقَهُ﴾: ابتدأ إيجاده.

﴿نُطْفَةٍ﴾: أي: مني، والنطفة في الأصل: الماء القليل الصافي.

﴿فَقَدَرَهُ﴾: جعله ذا تقدير في تكوينه ونموه الجسمي والعقلي.

﴿السَّبِيلَ﴾: الطريق، أي: طريق مصالحه الدينية والدنيوية.

﴿يَسَّرَهُ﴾: سهله له ببيان الطريق وإعداده لسلكها.

(١) وردت (كلا) في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة، كلها في النصف الأخير منه. [المؤلف]

﴿أَمَانَهُ﴾: صَيَّرَهُ إِلَى الْمَوْتِ.

﴿فَأَقْبَرَهُ﴾: صَيَّرَهُ إِلَى الْقَبْرِ، وَهُوَ: مَدْفَنُ الْأَمْوَاتِ، وَالْفَاءُ لِلتَّرْتِيبِ وَالتَّعْقِيبِ.

﴿أَنْشَرَهُ﴾: أَخْرَجَهُ حَيًّا مِنْ قَبْرِهِ.

﴿كَلَّا﴾: حَرْفُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ.

﴿لَمَّا يَقِضْ﴾: لَمْ يَفْعَلْ، أَي: الْإِنْسَانُ^(١).

﴿مَا أَمَرَهُ﴾: أَي: مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّصَدِيقِ وَالطَّاعَةِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَلَاكِ الْإِنْسَانِ بِمَا أَرْكَبَهُ مِنَ الْكُفْرِ الشَّدِيدِ، حَيْثُ كَذَّبَ رَبَّهُ بِالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبَيَّنَّ -سُبْحَانَهُ- عِظَمَ ذَلِكَ الْكُفْرِ لِكَوْنِهِ صَادِرًا عَنْ عِنَادٍ وَاسْتِكْبَارٍ مَعَ وَضُوحِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا كَذَّبَ بِهِ هَذَا الْكَافِرُ، فَإِنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَهُ مِنْ هَذِهِ التُّطْفَةِ الْحَقِيرَةِ الْمَهِينَةِ، وَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا بَاهِرًا فِي تَكْوِينِهِ وَنُمُوهِ الْجِسْمِيِّ وَالْعَقْلِيِّ، ثُمَّ يَسَّرَ لَهُ الطَّرِيقَ لِمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَأَعَدَّهُ لِسُلُوكِهَا بِمَا أَعْطَاهُ مِنْ عَقْلِ وَقُدْرَةٍ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرَائِعِ، ثُمَّ نَقَلَهُ مِنَ الْحَيَاةِ إِلَى الْمَوْتِ، ثُمَّ صَيَّرَهُ إِلَى الْقَبْرِ وَأَكْرَمَهُ بِالدَّفْنِ فِيهَا فَهُوَ -سُبْحَانَهُ- قَادِرٌ عَلَى إِحْيَائِهِ وَإِخْرَاجِهِ مِنْ قَبْرِهِ حَيًّا بِمَجْرَدِ مَشِيئَتِهِ؛ فَهَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ التَّصَدِيقِ وَالطَّاعَةِ.

(١) ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَنْشُرِ الْخَلْقَ الْآنَ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَقِضْ مَا أَمَرَ بِهِ كَوْنًا مِنْ جُودِ الْعَالَمِ الَّذِي قَدَّرَ وَجُودَهُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا قَضَاهُ وَانْتَهَى الْعَالَمُ الْمُقَدَّرُ وَجُودَهُ نَشَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ، وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ الضَّمِيرُ فِي ﴿يَقِضْ﴾ رَاجِعًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَهَذَا مَعْنَى جَيِّدٌ وَوَاضِحٌ جَدًّا، وَهُوَ أَنْسَبُ مِنْ جَعْلِ الضَّمِيرِ رَاجِعًا لِلْإِنْسَانِ، لِأَنَّهُ يَفِيدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَتْرِكْ نَشْرَ الْإِنْسَانِ عَجْزًا، وَلَكِنْ لِأَنَّهُ لَمْ يَقِضْ مَا أَمَرَهُ، فَإِذَا قَضَاهُ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ نَشَرَهُ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ التَّعْبِيرُ بِ﴿لَمَّا﴾ الْمَفِيدَةُ لِقُرْبِ حَصُولِ الْمُنْفِيِّ وَتَوَقُّعِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [المؤلف]

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- إِنَّ إِنْكَارَ الْبَعْثِ كُفْرٌ عَظِيمٌ لِأَنَّهُ تَكْذِيبٌ لِّلَّهِ تَعَالَى وَإِنْكَارٌ لِّقُدْرَتِهِ.
- ٢- أَنَّ مُنْكَرَ الْبَعْثِ هَالِكٌ مَلْعُونٌ.
- ٣- أَنَّ ابْتِدَاءَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ نُطْفَةٍ وَتَطْوِيرِهِ إِلَى الْكَمَالِ دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَعْثِ.
- ٤- بَيَانُ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ بِإِيْجَادِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَتَسْهِيلِ السَّبِيلِ لَهُ.
- ٥- أَنَّ دَفْنَ الْمَيِّتِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَضَائِهِ.
- ٦- مَسْرُوعِيَّةُ الْإِسْرَاعِ فِي دَفْنِ الْمَيِّتِ، وَهَاتَانِ الْفَائِدَتَانِ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٧- بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْبَعْثِ حَيْثُ يُكُونُ بِمُجَرَّدِ مَشِيئَتِهِ إِذَا اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ.
- ٨- أَنَّ الْكَافِرَ الْمُنْكَرَ لِلْبَعْثِ لَمْ يَقْضِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ لِكُفْرِهِ وَتَكْذِيبِهِ.

الآية التاسعة والثلاثون إلى الحادية والأربعين:

١٧٠-١٧٢ - ﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِيرِ الضَّالِّينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾
[البقرة: ١٥٥-١٥٧].

تفسير الآيات رقم ١٧٠ - ١٧٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ﴾: لنختبرنكم، واللام موطئة للقسم، والنون للتوكيد، والتقدير:
والله لنبلونكم.

﴿الْخَوْفِ﴾: الدُّعْر.

﴿وَالْجُوعِ﴾: خلو البطن من الطعام.

﴿الْأَمْوَالِ﴾: ما يمتوله الإنسان من نقودٍ ومَتَاعٍ وغيرها، ونقصها: إمَّا بتلفها
أو عيبها.

﴿وَالْأَنْفُسِ﴾: جمع نفس، وهي: ذات الإنسان، ونقصها إمَّا بالموت أو المرض
أو العاهات.

﴿وَالشَّمْرَاتِ﴾: جمع ثمرة، وهي: ما يُسْتَمَرُّ من الأشجار، النخيل أو غيرها،
ونقصها: إمَّا بعدم الثمر أو تلفه أو فساده.

﴿وَبَشِيرِ﴾: أخبر بما يسر، والخطاب للنبي ﷺ أو لكل من يتأتى خطابه.

﴿الصَّابِرِينَ﴾: الْحَاسِبِينَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ التَّسَخُّطِ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ.

﴿أَصَابَتْهُمْ﴾: وَقَعَتْ بِهِمْ.

﴿مُصِيبَةٌ﴾: نَائِبَةٌ مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ.

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: أَي: مِلْكٌ لِلَّهِ، فَلَا نَعْتَرِضُ عَلَيْهِ فِيمَا يَفْعَلُ بِمِلْكِهِ.

﴿إِلَيْهِ رَجِعُونَ﴾: عَائِدُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ.

﴿صَلَوَاتٌ﴾: ثَنَاءَاتٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى.

﴿هُمْ﴾: ضَمِيرٌ فَضْلٌ يُفِيدُ التَّوَكُّيدَ وَالْحَضَرَ.

﴿الْمُهْتَدُونَ﴾: السَّالِكُونَ لِطَرِيقِ الصَّوَابِ وَالنَّجَاةِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حِكْمَتِهِ فِيمَا يَبْتَلِي بِهِ عِبَادَهُ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي تُصِيبُهُمْ إِصَابَةً مُبَاشِرَةً مِنَ الْخَوْفِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ، وَفِيهِ نَكْدُ الْعَيْشِ مَهْمَا طَابَ، أَوْ الْجُوعِ بِقَلَّةِ الْغِذَاءِ أَوْ عَدَمِ الشَّبَعِ مِنْهُ، أَوْ إِصَابَةً غَيْرَ مُبَاشِرَةٍ بِنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَأَنْفُسِ الْأَحْبَابِ وَالْأَقَارِبِ وَالثَّمَرَاتِ، يَبْتَلِي عِبَادَهُ بِذَلِكَ لِيَخْتَبِرَ الصَّابِرِينَ مِنْهُمْ مِنَ السَّخِطِ الْجَازِعِ، وَيُبَيِّنُ الْبُشْرَى لِلصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ الْمَصَائِبُ رَضُوا بِقُلُوبِهِمْ عَنِ اللَّهِ وَقَالُوا بِالْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ مُعْتَرِفِينَ بِأَنَّ مِلْكُ اللَّهِ تَعَالَى يَفْعَلُ بِهِمْ مَا شَاءَ، وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ فِيمَا فَعَلَ بِمِلْكِهِ، وَأَنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَهْمَا طَالَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا أَمْ قَصُرَتْ، فَيَجَازِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا، وَهَذِهِ الْبُشْرَى أَنَّ عَلَيْهِمْ ثَنَاءً حَسَنًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَحْمَةً تَحْصُلُ بِهَا الْخَيْرَاتُ، وَتَنْدَفِعُ بِهَا الشُّرُورُ، وَاهْتِدَاءً فِي طَرِيقِ الصَّوَابِ وَالنَّجَاةِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- بَيَانُ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا يَبْتَلِي بِهِ عِبَادَهُ مِنَ الْمَصَائِبِ.
 - ٢- أَنَّ الْحِكْمَةَ فِي ذَلِكَ اخْتِيَارُ مَنْ يَصْبِرُ وَمَنْ لَا يَصْبِرُ.
 - ٣- أَنَّ الْمَصَائِبَ نَوْعَانِ: مُبَاشِرٌ كَالْخَوْفِ وَالْجُوعِ، وَغَيْرٌ مُبَاشِرٍ كَنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ.
 - ٤- فَضِيلَةُ الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ.
 - ٥- أَنَّهُ يَنْبَغِي الْأَسْتِرْجَاعُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ بِقَوْلِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، لِيُوَاطِئَ اللِّسَانُ الْقَلْبَ.
 - ٦- أَنَّهُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالْأَسْتِرْجَاعِ أُثِيبَ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ: ثَنَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَرَحْمَتِهِ إِيَّاهُ، وَاهْتِدَاؤُهُ، وَهَذِهِ الْفَوَائِدُ الثَّلَاثُ الْأَخِيرَةُ مَحَلُّ الْأَسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْبَلَاءِ الشَّاكِرِينَ لِلنِّعْمَاءِ، وَأَنْ لَا يَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ.

مِنْ آيَاتِ الزَّكَاةِ

النَّوْعُ الْأَوَّلُ

الآيَةُ الْأُولَى:

١٧٣ - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[النور: ٥٦].

مِنْ آيَاتِ الزَّكَاةِ

الزَّكَاةُ فِي اللُّغَةِ: النَّهْءُ وَالطَّهَارَةُ وَصَفْوَةُ الشَّيْءِ.

وَفِي الشَّرْعِ: جُزْءٌ وَاجِبٌ فِي مَالٍ مَخْصُوصٍ لَطَائِفَةٍ أَوْ جِهَةٍ مَخْصُوصَةٍ.

وَالْحِكْمَةُ مِنْ مَشْرُوعِيَّتِهَا: تَكْمِيلُ دِينِ الْمُرْكَبِ وَخُلُقِهِ، وَتَطْهِيرُ مَالِهِ، وَحُلُولُ الْبَرَكَةِ فِيهِ، ثُمَّ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ سَدِّ حَاجَةِ الْمُحْتَاجِينَ مِنْ أَشْخَاصٍ أَوْ جِهَاتٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ -عِزًّا وَجَلًّا-»^(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَالزَّكَاةُ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ مَنْ جَحَدَ فَرَضِيَّتِهَا فَهُوَ كَافِرٌ، لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلَّهِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ، رَقْمٌ (٢٥٨٨).

ورسوله، وَمَنْ أَقْرَبُ بِفَرْضِيَّتِهَا لِكُنْهَ مَنَعَهَا بُخْلًا وَشَحًّا فَلْيُسِّرْ بِعَدَابِ أَلِيمٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَفْرَعٌ -يَعْنِي: ذَكَرًا مِنَ الْحَيَاتِ لَيْسَ عَلَى رَأْسِهِ زَعْبٌ مِنْ طُولِ السِّنِينَ وَكَثْرَةِ السُّمِّ- لَهُ زَيْبَتَانِ -يَعْنِي: لِحْمَتَيْنِ فَوْقَ رَأْسِهِ فِي مَحَلِّ الْقَرْنَيْنِ كَالزَّيْبَتَيْنِ وَعَاءٌ لِلسُّمِّ- يُطَوِّفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -يَعْنِي: يُجْعَلُ كَالطَّوْقِ فِي عُنُقِهِ- ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْرِمَتَيْهِ -يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ- ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ»، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١) رواه البخاري.

النوع الأول: أي: من آيات الزكاة، وموضوعه: حكم الزكاة وما الذي يجب فيه.

تفسير الآية رقم ١٧٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: افعلوها على الوجه الأقوم، قائمين بما يجب لها ويكملها، والخطاب للمؤمنين.

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾: أعطوها مستحقيها بدون نقص، وسبق تعريف الزكاة قريبًا.

﴿وَأَطِيعُوا﴾: انقادوا فافعلوا الأوامر واتركوا النواهي.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (١٤٠٣).

﴿الرَّسُولَ﴾: الْمُرْسَلُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ، أَي: مِنْ أَجْلِ.

﴿تَرْحَمُونَ﴾: يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى، فَيَسِّرُكُمْ لِلْيُسْرَى وَيُجَنِّبُكُمْ الْعُسْرَى.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَكُونُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، يَأْمُرُهُمْ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ كَامِلَةً مُسْتَحِقِّهَا مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ، وَطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ، لَعَلَّهُمْ يَنَالُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى فَيَفُوزُوا بِالْمَطْلُوبِ وَيَنْجُوا مِنَ الْمَرْهُوبِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ.
- ٢- وَجُوبُ الزَّكَاةِ وَإِصَالِهَا مُسْتَحِقِّهَا، وَهَذَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٣- وَجُوبُ طَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٤- اِعْتِبَارُ مَا جَاءَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ.
- ٥- أَنَّ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَطَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ، سَبَبٌ لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

الآية الثانية والثالثة:

١٧٤-١٧٥ - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨].

تفسير الآيتين رقم ١٧٤ - ١٧٥:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾: صدقوا بما يجب التصديق به مع القبول والامتنان.

﴿أَنفِقُوا﴾: أعطوا وابدلوا.

﴿مِن﴾: إما للتبعيض وإما للبيان.

﴿طَيِّبَاتٍ﴾: جيدات.

﴿كَسَبْتُمْ﴾: حصلتم من المال.

﴿أَخْرَجْنَا﴾: أظهرنا من الثمار والمعادن.

﴿لَكُمْ﴾: لأجلكم فاللام للتعليل.

﴿تَيَمَّمُوا﴾: تقصدوا.

﴿الْخَبِيثَ﴾: الرديء.

﴿مِنْهُ﴾: أي: من الخبيث، وهو متعلق بـ ﴿تُنْفِقُونَ﴾.

- ﴿بِقَائِدِهِ﴾: بِقَائِدِهِ، أَي: الْحَبِيثَ لَوْ دُفِعَ إِلَيْكُمْ عَنْ حَقِّ وَاجِبٍ لَكُمْ.
 ﴿تُعْمَضُوا﴾: تَسَاهَلُوا فِيهِ وَتَأْخُذُوهُ عَلَى كُرْهِ.
 ﴿وَأَعْلَمُوا﴾: تَيَقَّنُوا، وَالغَرَضُ مِنْهُ: بَيَانُ أَهْمِيَّةِ الْعِلْمِ بِهَا ذِكْرًا.
 ﴿عَقِي﴾: كَثِيرُ الْخَيْرِ غَيْرُ مُحْتَجٍ لِمَا تُنْفِقُونَ.
 ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحْمُودٌ لِكثْرَةِ خَيْرِهِ وَسِعَةِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ.
 ﴿الشَّيْطَانُ﴾: أَي: إِبْلِيسُ، وَهُوَ: مَنْ شَطَنَ إِذَا بَعَدَ، لِبُعْدِهِ عَنِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

- ﴿يَعِدُّكُمْ﴾: أَي: يُخَوِّفُكُمْ.
 ﴿أَلْفَقَرَ﴾: خُلُوُّ الْيَدِ مِنَ الْمَالِ.
 ﴿وَيَأْمُرُكُمْ﴾: يَطْلُبُ مِنْكُمْ.
 ﴿بِالْفَحْشَاءِ﴾: كُلُّ مَا يَقْبَحُ مِنْ خُلُقٍ رَذِيلٍ، وَمِنْهُ الْبُخْلُ.
 ﴿يَعِدُّكُمْ﴾: يُخْبِرُكُمْ بِمَا التَزَمَ بِهِ لَكُمْ إِذَا أَنْفَقْتُمْ.
 ﴿مَغْفِرَةً﴾: سِتْرًا لِلذُّنُوبِكُمْ وَتَجَاوُزًا عَنْهَا.
 ﴿وَفَضْلًا﴾: زِيَادَةً فِي أَمْوَالِكُمْ وَحَسَنَاتِكُمْ.
 ﴿وَأَسْعَ﴾: كَثِيرُ الْعَطَاءِ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ.
 ﴿عَلِيمٌ﴾: ذُو عِلْمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْفِقُوا مِنَ الطَّيِّبِ مِمَّا حَصَلُوهُ مِنَ الْمَالِ، أَوْ أَخْرَجَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ ثَمَارٍ وَمَعَادِنَ، وَقَدْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ نَوْعَ مَا يُنْفَقُ مِنْهُ وَمِقْدَارُ الْإِنْفَاقِ، ثُمَّ يَنْهَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْصِدُوا الرَّدِيءَ فَيُنْفِقُوا مِنْهُ، وَيَضْرِبُ لَهُمْ مِثْلًا بِأَنَّهُمْ لَا يَرْضَوْنَهُ لِأَنفُسِهِمْ لَوْ دُفِعَ إِلَيْهِمْ عَنْ حَقٍّ وَاجِبٍ لَهُمْ، فَكَيْفَ يَرْضَوْنَهُ لِلَّهِ تَعَالَى؟ وَيَحْتَمُّ الْآيَةُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَطْلُبْ مِمَّا الْإِنْفَاقَ الْمَذْكُورَ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ -سُبْحَانَهُ- كَامِلُ الْغِنَى، مَحْمُودٌ عَلَى غِنَاهُ لِسَعَةِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ وَكَثْرَةِ خَيْرِهِ، ثُمَّ يَبَيِّنُ تَعَالَى مَا يُؤَسِّسُ بِهِ الشَّيْطَانُ لِلْمَرْءِ وَيُخَوِّفُهُ بِهِ مِنَ الْفَقْرِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُنْفِقَ، وَأَنَّهُ يَأْمُرُهُ بِكُلِّ خُلُقٍ قَبِيحٍ وَمِنْهُ: الْبُخْلُ بِالْإِنْفَاقِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعِدُّ الْمُنْفِقِينَ الَّذِينَ قَامُوا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِنْفَاقِ، يَعِدُّهُمْ مَغْفِرَةً ذُنُوبِهِمْ وَزِيَادَةَ أَمْوَالِهِمْ وَحَسَنَاتِهِمْ، وَيَحْتَمُّ الْآيَةُ بَيَانِ سَعَةِ خَيْرِهِ وَإِحَاطَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ وَعِلْمِهِ بِذَلِكَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

- ١- وَجُوبُ الْإِنْفَاقِ مِمَّا كَسَبَ مِنَ الْمَالِ، وَأَعْظَمُ الْإِنْفَاقِ وَأَوْجِبُهُ الزَّكَاةُ.
- ٢- وَجُوبُ الْإِنْفَاقِ مِمَّا خَرَجَ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ ثَمَرٍ وَمَعَادِنَ، وَأَعْظَمُ الْإِنْفَاقِ وَأَوْجِبُهُ الزَّكَاةُ.
- ٣- وَجُوبُ الزَّكَاةِ فِي عُرُوضِ التَّجَارَةِ، لِأَنَّهُ مِمَّا كَسَبَهُ الْإِنْسَانُ.
- ٤- وَجُوبُ الزَّكَاةِ فِي الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ.
- ٥- أَنَّ الزَّكَاةَ جُزْءٌ مِنَ الْمَالِ وَلَيْسَتْ جَمِيعُهُ، وَقَدْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ مِقْدَارَ ذَلِكَ الْجُزْءِ وَنَوْعَ مَا يَجِبُ فِيهِ وَمَتَى يَجِبُ.

- ٦- تَحْرِيمُ إِخْرَاجِ الرَّدِيِّ مِنَ الزَّكَاةِ، وَهَذِهِ وَمَا سَبَقَهَا مِنَ الْفَوَائِدِ مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.
- ٧- حُسْنُ تَعْلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ الْمُقْنِعَةِ لَهُمْ ﴿وَلَسْتُمْ بِعَاذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾.
- ٨- تَأْكِيدُ غِنَى اللَّهِ تَعَالَى وَحَمْدِهِ.
- ٩- بَيَانُ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لَنَا وَوَعْدُهُ بِالسَّرِّ.
- ١٠- حِرْصُ الشَّيْطَانِ عَلَى إِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ.
- ١١- أَنْ فَعَلَ الْقَبِيحَ مِنْ تَنْفِيدِ أَوْامِرِ الشَّيْطَانِ.
- ١٢- أَنْ تَنْفِيذَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِنْفَاقِ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَزِيَادَةِ الْمَالِ وَالْحَسَنَاتِ.
- ١٣- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَثِيرُ الْخَيْرِ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَرَحْمَةً.

الآية الرابعة:

١٧٦- ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

تفسير الآية رقم ١٧٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ وَهُوَ ﴾: ضمير يعود إلى الله تعالى.

﴿ أَنشَأَ ﴾: أوجد من عدم.

﴿ جَنَّاتٍ ﴾: جمع جنة، وهي البستان الكثير الشجر، لأن أرضه مستورة بأشجاره.

﴿ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾: مرفوعات على عرش، والعرش: جمع عريش، وهو ما يسقف من خشب لترتفع عليه أغصان الشجرة.

﴿ وَالنَّخْلَ ﴾: شجر معروف، وهو معطوف على ﴿ جَنَّاتٍ ﴾.

﴿ وَالزَّرْعَ ﴾: نبات البر والشعير ونحوهما من الحبوب.

﴿ أَكْلُهُمُ ﴾: بضم الهمزة والكاف، أي: مأكوله، وهو: الثمر يختلف في لونه وحجمه وطعمه.

﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ ﴾: نوعان معروفان من الشجر، وهما معطوفان على ﴿ جَنَّاتٍ ﴾.

﴿مُتَشَبِهًا﴾: مُشَبِّهًا بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْقَدْرِ وَاللَّوْنِ وَالطَّعْمِ.

﴿وَعَيْرٌ مُتَشَبِهٍ﴾: عَيْرٌ مُشَبِّهٍ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْقَدْرِ أَوِ اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ.

﴿كُلُوا﴾: فِعْلٌ أَمْرٌ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْإِبَاحَةُ.

﴿ثَمَرِهِ﴾: طَلَعِهِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ.

﴿وَأَتُوا﴾: بِمَدِّ الْهَمْزَةِ: أَعْطُوا.

﴿حَقَّهُ﴾: مَا وَجَبَ فِيهِ.

﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: وَقْتُ قَطْعِهِ.

﴿سُرْفُوا﴾: تَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي الْأَكْلِ وَالْإِبْتِءِ.

﴿إِنَّكَ﴾: أَيُّ: اللَّهُ تَعَالَى.

﴿لَا يُحِبُّ﴾: أَيُّ: أَنَّهُ يَكْرَهُ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُثْنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ بِكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَسَابِغِ نِعْمَتِهِ، حَيْثُ أَنْشَأَ لِعِبَادِهِ بَسَاتِينَ كَثِيرَةً الْأَشْجَارِ الْمُتَنَوِّعَةِ وَالزُّرُوعِ الْمُخْتَلِفَةِ، مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ، وَنَخِيلًا وَزُرُوعًا مُخْتَلِفَةً الْأَكْلِ، وَزَيْتُونًا وَرُمَّانًا، مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ، ثُمَّ أَمَّنَّ عَلَى عِبَادِهِ فَأَبَاحَ لَهُمُ الْأَكْلَ مِنْ ثَمَرِهَا مِنْ حِينَ إِثْمَارِهَا حَتَّى نُضْجِهَا، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُعْطُوا حَقَّهَا مُسْتَحَقَّهُ يَوْمَ الْحَصَادِ، حَيْثُ يَتَوَقَّرُ الشَّيْءُ فِي أَيْدِيهِمْ وَيُسَهَّلُ عَلَيْهِمْ إِخْرَاجَهُ قَبْلَ وَصُولِهِ الْمَخَازِنِ، ثُمَّ مَهَّاهُمْ عَنِ الْإِسْرَافِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِنشَاءِ هَذِهِ الْجَنَّاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ.
- ٢- تَمَامُ نِعْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ بِإِنشَاءِ هَذِهِ الْجَنَّاتِ وَإِبَاحَةِ أَكْلِهَا.
- ٣- جَوَازُ الْأَكْلِ مِنْ ثَمَرِهَا بِالْمَعْرُوفِ قَبْلَ وَقْتِ حَصَادِهَا وَدَفْعِ زَكَاتِهَا.
- ٤- أَنَّ وَقْتَ دَفْعِ زَكَاةِ الْحُبُوبِ وَالشَّمَارِ عِنْدَ اجْتِنَابِهَا: حَصَادُ الزَّرْعِ وَجَذَاذُ الثَّمَرِ، وَهَذِهِ الْفَائِدَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٥- مَحْرِمُ الْإِسْرَافِ فِي الْأَكْلِ وَغَيْرِهِ.
- ٦- إِثْبَاتُ الْمَحَبَّةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ الْفِعْلِيَّةِ.
- ٧- انْتِفَاءُ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُسْرِفِينَ.

الآية الخامسة والسادسة:

١٧٧-١٧٨ - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿[التوبة: ٣٤-٣٥].﴾

تفسير الآيتين رقم ١٧٧ - ١٧٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿الْأَحْبَارِ﴾: جمع حبر، وهو العالم، والمراد هنا: العلماء من اليهود والنصارى.

﴿وَالرُّهْبَانِ﴾: جمع راهب، وهو: العابد من النصارى.

﴿لِيَأْكُلُونَ﴾: «اللام» مفتوحة لام التوكيد، «يأكلون»: أي: يأخذون، وخص

الأكل لأنه أبلغ وجوه الانتفاع بالمال حيث يتغذى به الإنسان.

﴿بِالْبَاطِلِ﴾: بالطريق المحرم من رشوة وربا وغيرهما.

﴿وَيَصُدُّونَ﴾: يعرضون، أو يضرِفون الناس.

﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن طريقه الموصِّل إليه، وهو شريعته.

﴿وَالَّذِينَ﴾: «الواو» للاستئناف، و«الذين»: مبتدأ، وخبره ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾.

﴿يَكْتُمُونَ﴾: يجمعون ويدخرون.

﴿الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾: نوعان من المعادن معروفان.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾: لا يبدلونها، أي: المكنوزات من الذهب والفضة.

﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فيما شرع الله أن تُنفق فيه، ومن ذلك الزكاة.

﴿فَبَسَّرَهُمْ﴾: أخبرهم تبكيًا، والأمر لتهديدهم.

﴿بِعَذَابٍ﴾: بنكالٍ.

﴿اليسر﴾: مؤلمٌ موجهٌ.

﴿يُحَمِّي عَلَيْهَا﴾: يوقد عليها حتى تحمي، أي: تشتد حرارتها.

﴿جَهَنَّمَ﴾: هي النار العظيمة التي أعدّها الله للكافرين في الآخرة، سُميت

جَهَنَّمَ لسوادها وبعُدِ قعرها.

﴿فَتَكْوَى﴾: فتحرق.

﴿جِبَاهُهُمْ﴾: جمعُ جبهةٍ، وهي العظمُ المُستوي أعلى الوجه بين الحاجبين

والناصية، والمرادُ مُقدّمُ أجسامهم.

﴿وَجُوهَهُمْ﴾: جمعُ جنبٍ، وهو: ناحيةُ الجسم، ولكلِّ جسمٍ جنبانٍ شمالٍ

ويمينٍ.

﴿وُظُهُورُهُمْ﴾: جمعُ ظهرٍ، وهو ما يُقابلُ البطنَ من خلفِ الجسم.

﴿هَذَا﴾: أي: ما تُكوونَ به، وجمَلته وما عطفَ عليه مقولٌ لقولٍ محذوف،

والتقديرُ: يُقالُ لهم هذا ما كنزْتُم.

﴿فَذُوقُوا﴾: أذركوا طعمَ، والأمرُ للتوبيخ والإهانة.

﴿مَا كُنْتُمْ تَكْزُبُونَ﴾: أي: عذابَ ما كنتم تكذبون.

ب- المعنى الإجمالي:

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ حَالِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَحْذَرُواهُمْ وَيَحْذَرُوا طَرِيقَهُمْ، فَيُخْبِرُ أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالطَّرِيقِ الْمَحْرَمَةِ مِنَ الرَّشَاوِي وَالرَّبَا وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا يَنْصَرِفُونَ عَنْ شَرِيعَةِ اللهِ تَعَالَى وَيَصْرِفُونَ النَّاسَ عَنْهَا إِبْقَاءً عَلَى رِئَاسَتِهِمْ وَجَاهِهِمْ، ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وَيَدَّخِرُونَهَا وَلَا يُنْفِقُونَ هَذِهِ الْمُدَّخِرَاتِ فِي شَرِيعَةِ اللهِ تَعَالَى مِنْ زَكَاةٍ وَجِهَادٍ وَنَفَقَاتٍ، سَيَلَاقُونَ عَلَى ذَلِكَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِي فَضِّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا كُلِّهَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا، فَحَرَارَتُهَا كَحَرَارَةِ الدُّنْيَا كُلِّهَا سَبْعِينَ مَرَّةً، فَيَكْوَى بِهَا هَؤُلَاءِ الْمُدَّخِرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ جِبَاهِهِمْ وَجُنُوبِهِمْ وَظُهُورِهِمْ، ثُمَّ يُوَبَّخُونَ عَلَى ذَلِكَ فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ﴾، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَجْعَلُ صَفَائِحَ فَيَكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ، وَجَبِينَهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(١). الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي رِوَايَةٍ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ» وَذَكَرَهُ بِمَعْنَاهُ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

- ١- تَنْبِيهُ الْمُؤْمِنِينَ لِحَالِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَحْذَرُوا مِنْهُمْ وَمِنْ طَرِيقَتِهِمْ.
- ٢- أَنَّ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ مَا لَا يَحْجِزُ عَنْ أَكْلِ الْحَرَامِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (٩٨٧).

- ٣- أن من العلماء علماء سوء يصدون الناس عن سبيل الله تعالى.
- ٤- وجوب الزكاة في الذهب والفضة.
- ٥- الوعيد الشديد على من منع زكاتها.
- ٦- أن عقوبته أن يُجمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وهذه الثلاث محل الاستشهاد بالآيتين.
- ٧- إثبات اليوم الآخر والجزاء فيه.

النَّوعُ الثَّانِي

الآيَةُ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ:

١٧٩-١٨٠ - ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٢) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿[الأعلى: ١٤-١٥].

النَّوعُ الثَّانِي: أَي: مِنْ آيَاتِ الزَّكَاةِ، وَمَوْضُوعُهُ: زَكَاةُ الْفِطْرِ.

تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ رَقْمَ ١٧٩ - ١٨٠:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿قَدْ﴾: حَرْفٌ تَحْقِيقٌ وَتَوْكِيدٌ.

﴿أَفْلَحَ﴾: فَازَ بِمَا يَجِبُ، وَنَجَا مِمَّا يَكْرَهُ.

﴿تَزَكَّى﴾: تَطَهَّرَ مِنَ الشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتَطَهَّرَ
بِدَفْعِ زَكَاةِ الْفِطْرِ.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾: ذَكَرَ رَبَّهُ بِاسْمِهِ، وَالرَّبُّ هُوَ: الْخَالِقُ، الْمَالِكُ، الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ
أُمُورِ عِبَادِهِ.

﴿فَصَلَّى﴾: فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ وَتُقَيَّدُ مَعْنَى السَّبَبِيَّةِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْفَلَاحَ، وَهُوَ: الْفَوْزُ بِالْمَحْبُوبِ وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمَكْرُوهِ لِكُلِّ مَنْ
تَطَهَّرَ مِنَ الشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي، وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ مِنَ الْبُخْلِ وَغَيْرِهِ، وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى

بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِإِخْرَاجِ زَكَاةِ الْفِطْرِ وَيَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿(١).

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

- ١- تَحَقُّقُ الْفَلَاحِ لِمَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ: التَّزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالصَّلَاةَ.
- ٢- مَشْرُوعِيَّةُ زَكَاةِ الْفِطْرِ لِأَنَّهَا مِنَ التَّزَكَّى، وَقَدْ ثَبَتَ بِالسُّنَّةِ أَنَّهَا فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَهَذَا مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز (١/ ٦٤) دون تقييد الزكاة بالفطر. وكذلك في مصنف بن أبي شيبة (٢/ ٢٢٠).

النوع الثالث

الآية الأولى:

١٨١- ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

النوع الثالث: أي: من أنواع الزكاة، وموضوعه: إخراج الزكاة.

تفسير الآية رقم ١٨١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿حُذِّ﴾: اقْبِضْ، والخطابُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾: أي: أموال المسلمين الزكوية، ومن للتبعية.

﴿صَدَقَةٌ﴾: أي: زكاة.

﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾: أي: أنت تُنْقِيهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ والأخلاق الرذيلة.

﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾: تُنَمِّي إِيْمَانَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمُ الْفَاضِلَةَ.

﴿بِهَا﴾: بِسَبَبِهَا.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: ادْعُ لَهُمْ بِأَنْ يُصَلِّيَ اللهُ عَلَيْهِمْ، أي: يُثْنِي عَلَيْهِمْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى.

﴿إِنَّ صَلَاتَكَ﴾: أي: دُعَاؤُكَ لَهُمْ بِصَلَاةِ اللهِ عَلَيْهِمْ.

﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾: طَمَآنِينَةٌ لِنَفْسِهِمْ تُهَوِّنُ عَلَيْهِمْ بَدَلَ الْمَالِ.

﴿سَمِيعٌ﴾: مُدْرِكٌ لِّجَمِيعِ الْأَصْوَاتِ وَإِنْ خَفِيَتْ وَبَعُدَتْ.

﴿عَلِيمٌ﴾: ذُو عِلْمٍ شَامِلٍ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ جُزْءًا مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ الزَّكَوِيَّةِ، وَقَدْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ تِلْكَ الْأَمْوَالَ وَبَيَّنَّ مَا يُؤْخَذُ مِنْهَا، وَبَيَّنَّ فَائِدَةَ ذَلِكَ الْأَخْذِ بِأَنَّهُ مُطَهَّرٌ لَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَمِنْهُمْ لِإِيْمَانِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمُ الْفَاضِلَةِ.

وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ، وَيُبَيِّنُ أَنْ فَائِدَةَ ذَلِكَ تَسْكِينُ نُفُوسِهِمْ عِنْدَ بَدْلِ الْمَالِ الْمَحْبُوبِ إِلَيْهَا فَيَهُونَ عَلَيْهَا الْبَدْلُ، ثُمَّ يَحْتَمِ الْآيَةُ بِأَسْمَاءِ كَرِيمِينَ مِنْ أَسْمَاءِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَسْمَعُ دُعَاءَهُ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ بِمَنْ يُعْطِي الصَّدَقَةَ عَنِ طَيْبِ نَفْسٍ فَيَسْتَحِقُ ذَلِكَ الدُّعَاءَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- مَشْرُوعِيَّةُ قَبْضِ الْإِمَامِ أَوْ نَائِبِهِ لِلزَّكَاةِ مِنْ أَهْلِهَا.
- ٢- أَنَّ الزَّكَاةَ لَا تَحِبُّ فِي جَمِيعِ الْأَمْوَالِ، وَلَا بِجَمِيعِ الْمَالِ الَّذِي تَحِبُّ فِيهِ.
- ٣- أَنَّ دَفْعَ الزَّكَاةِ تَطْهِيرٌ لِصَاحِبِهَا وَتَنْمِيَّةٌ لِإِيْمَانِهِ وَأَخْلَاقِهِ الْفَاضِلَةِ.
- ٤- مَشْرُوعِيَّةُ الدُّعَاءِ بِصَلَاةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمُزَكِّيِّ عِنْدَ دَفْعِهِ الزَّكَاةَ.
- ٥- أَنَّ فَائِدَةَ الدُّعَاءِ لَهُ تَسْكِينُ نَفْسِهِ لِيَهُونَ عَلَيْهِ بَدْلُ الْمَالِ.
- ٦- جَوَازُ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ، لَكِنْ بِشَرَطِ أَلَّا تَكُونَ عَادَةً كَلَّمَا دُكِرَ اسْمُهُ.

- ٧- مَشْرُوعِيَّةُ كُلِّ مَا يَهْوَنُ الْعِبَادَةَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَيُشَجِّعُهُمْ عَلَيْهَا.
- ٨- إِبْتِثَاتُ اسْمِي السَّمِيعِ الْعَلِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى وَمَا دَلَّاهُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِي السَّمْعِ وَالْعِلْمِ.
- ٩- كَمَالُ تَعْلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ يَقْرَنُ الْحُكْمَ بِعِلَّتِهِ لِتَطْمَئِنَّ النُّفُوسَ وَتَعْرِفَ أَسْرَارَ الشَّرِيعَةِ.

الآية الثانية:

١٨٢ - ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

تفسير الآية رقم ١٨٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿تَابُوا﴾: أي: المشركون رجعوا عن الشرك.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: فعلوها قائمةً بأركانها وواجباتها وشروطها.

﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾: أعطوها مستحقها، وسبق تعريف الزكاة.

﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾: أي: كفوا عن قتالهم وغيره.

﴿غَفُورٌ﴾: ذو مغفرة، وهي: ستر الذنب والتجاوز عنه.

﴿رَحِيمٌ﴾: ذو رحمة، وهي صفة تقتضي الإحسان والإنعام، وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تعليل لقوله: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾.

ب- المعنى الإجمالي:

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقِتْلِ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وُجِدُوا وَأَخَذِهِمْ وَحَضْرِهِمْ وَأَنْ تَقْعَدَ لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ، أَمَرْنَا بِالْكَفِّ عَنْهُمْ إِذَا رَجَعُوا عَنِ الشَّرْكِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى وَهُمَا: الْغَفُورُ الرَّحِيمُ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الْكَفَّ عَنْهُمْ إِذَا فَعَلُوا مَا ذَكَرَ هُوَ مِنْ أَثَارِ مَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ تَعَالَى، وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى

يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى»^(١) رواه البخاريُّ ومُسْلِمٌ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ الْكُفِّ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ.
- ٢- أَنَّ الْإِسْلَامَ وَالتَّوْبَةَ يَهْدِمَانِ مَا سَبَقَهُمَا مِنَ الذُّنُوبِ.
- ٣- قِتَالُ مَنْ لَمْ يُقِمِ الصَّلَاةَ حَتَّى يُقِيمَهَا.
- ٤- قِتَالُ مَا نَعِيَ الزَّكَاةَ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٥- إِثْبَاتُ اسْمِي اللَّهِ تَعَالَى (الْغُفُورِ الرَّحِيمِ) وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِي الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، رقم (٢٥)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، رقم (٢١).

الآية الثالثة:

١٨٣ - ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوًا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوًا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

تفسير الآية رقم ١٨٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَمَا آتَيْتُمْ﴾: وَمَا أُعْطَيْتُمْ، وَمَا شَرْطِيَّةً، وَجَوَابُ الشَّرْطِ: ﴿فَلَا يَرْبُوًا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

﴿مِنْ رَبًّا﴾: مِنْ بِيَانٍ ل (مَا) الشَّرْطِيَّةِ، وَالرَّبِّيَا فِي اللِّغَةِ: الزِّيَادَةُ. وَفِي الشَّرْعِ: زِيَادَةٌ فِي تَبَادُلِ جِنْسٍ رَبَوِيٍّ بِمِثْلِهِ، مِثْلُ أَنْ يُبَادِلَهُ رِيَالًا بِرِيَالَيْنِ.

﴿لِيَرْبُوًا﴾: لِيَزِيدَ.

﴿فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾: أَي: أَمْوَالِ الَّذِينَ أَخَذُوهُ.

﴿زَكَاةٍ﴾: صَدَقَةٍ وَاجِبَةٍ.

﴿تُرِيدُونَ﴾: تَقْصِدُونَ.

﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾: أَي: النَّظَرَ إِلَيْهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ.

﴿هُمُ﴾: صَمِيرٌ فَضْلٌ يُفِيدُ التَّوَكِيدَ وَالْحَضَرَ.

﴿الْمُضْعِفُونَ﴾: الْحَائِزُونَ لِلإِضْعَافِ، أَي: الَّذِينَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الأَجْرُ

وَالثَّوَابُ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ مَا دَفَعَهُ الْإِنْسَانُ مِنْ رَبًّا لِيَزِيدَ فِي
أَمْوَالِ النَّاسِ الْمَدْفُوعِ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَزُبُّ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، لَا لِلْمُعْطِي وَلَا لِلْأَخِذِ
لَأَنَّهُ دَفَعَ عَلَى وَجْهِهِ لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ تَعَالَى بَلْ حَرَمَهُ، أَمَّا مَا أَعْطَاهُ الْمُعْطِي غَيْرَهُ مِنْ
زَكَاةٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ، فَإِنَّمَا هِيَ الَّتِي تُضَاعَفُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ
ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- أَنَّ الرَّبَّ لَا يَزُبُّ عِنْدَ اللهِ لَا لِلْمُعْطِي وَلَا لِلْأَخِذِ.
- ٢- أَنَّ مَنْ تَصَدَّقَ بِالرَّبِّ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَوْ قُبِلَ مِنْهُ لَرَبَّأَ عِنْدَ اللهِ.
- ٣- وَجُوبُ إِخْلَاصِ النِّيَّةِ لِهَيْئَةِ دَفْعِ الزَّكَاةِ.
- ٤- أَنَّ الزَّكَاةَ مُضَاعَفٌ أَجْرُهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى إِذَا قَصَدَ بِهَا وَجْهَهُ، وَهَاتَانِ
الْفَائِدَتَانِ مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.

الآية الرابعة:

١٨٤ - ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ

وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

تفسير الآية رقم ١٨٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾: ولا تعطوا، ولا تاهية، والخطاب للأولياء.

﴿السُّفَهَاءَ﴾: جمع سفية، وهو: من لا يحسن التصرف.

﴿أَمْوَالِكُمْ﴾: جمع مال، وهو: ما يتموله الإنسان من نقود ومتاع وغيرهما.

وأضيف للأولياء لأنه في ولايتهم وإغراء لهم على حفظها.

﴿جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: صيرها لكم.

﴿قِيَمًا﴾: أي: موضع قيام لمصالحكم.

﴿وَارْزُقُوهُمْ﴾: أعطوهم رزقا من طعام ونحوه.

﴿فِيهَا﴾: أي: بسببها مما حصل من كسب.

﴿وَاكْسُوهُمْ﴾: ألبسوهم كسوة من ثياب وغيرها.

﴿مَعْرُوفًا﴾: حسنا لينا.

ب- المعنى الإجمالي:

ينهى الله تعالى ذوي الرشيد من الناس أن يعطوا الأموال للسفهاء الذين

لا يُحْسِنُونَ التَّصَرُّفَ فِيهَا إِمَّا لِصِغَرِهِمْ أَوْ نَقْصٍ فِي عُقُولِهِمْ أَوْ جَهْلٍ بِطُرُقِ
التَّصَرُّفِ السَّلِيمَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ هَذِهِ الْأَمْوَالَ قِيَامًا لِلنَّاسِ تَقْوَمُ بِهَا
مَصَالِحُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَدَفَعَهَا إِلَى هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ عُرْضَةً لِإِتْلَافِهَا وَفَوَاتِ
الْمَقْصُودِ بِهَا، ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَوْلِيَاءَ عَلَى السُّفَهَاءِ أَنْ يَرْزُقُوهُمْ فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ،
وَيَكْسُوهُمْ، وَيَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا لَيْنًا حَسَنًا عِنْدَ رِزْقِهِمْ وَكُسْوَتِهِمْ، فَلَا يُغْلِظُوا عَلَيْهِمْ
الْقَوْلَ إِذَا طَلَبُوا رِزْقًا أَوْ كِسْوَةً، وَلَا يُظْهِرُوا الْمِنَّةَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- تَحْرِيمُ إِعْطَاءِ السُّفَهَاءِ الْأَمْوَالَ وَتَمَكِينِهِمْ مِنْهَا.
- ٢- الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ ذَلِكَ إِضَاعَةُ الْمَصْلَحَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمَالِ.
- ٣- وَجُوبُ الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ وَالْكِسْوَةَ فِي أَمْوَالِهِمْ.
- ٤- وَجُوبُ الْقَوْلِ الْمَعْرُوفِ لَهُمْ عِنْدَ الْإِنْفَاقِ وَالْكِسْوَةَ.
- ٥- تَوَلَّى الْوَالِيَّ لِذَفْعِ زَكَاةِ مَالِ السَّفِيهِ الَّذِي تَحْتِ وَلايَتِهِ، حَيْثُ إِنَّهُ صَاحِبُ
الْوَالِيَّةِ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.

النَّوعُ الرَّابِعُ

الآية الأولى:

١٨٥ - ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَةَ قُلُوبِهِمْ
وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

النَّوعُ الرَّابِعُ: أي: من آياتِ الزَّكَاةِ، ومَوْضُوعُهُ: أَهْلُ الزَّكَاةِ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ١٨٥:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿إِنَّمَا﴾: أَدَاةُ حَضْرٍ وَهُوَ إِثْبَاتُ الْحُكْمِ فِي الْمَذْكُورِ دُونَ غَيْرِهِ.

﴿الصَّدَقَتُ﴾: أي: الزَّكَوَاتُ.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: اللَّامُ لِلْمَلِكِ، وَالْفُقَرَاءُ: جَمْعُ فَقِيرٍ، وَهُوَ: مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى

نِصْفِ كِفَايَتِهِ وَعَائِلَتِهِ، لَا بِمَالِهِ وَلَا بِكَسْبِهِ.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: جَمْعُ مَسْكِينٍ، وَهُوَ: مَنْ يَقْدِرُ عَلَى نِصْفِ كِفَايَتِهِ وَلِعَائِلَتِهِ

دُونَ كَمَالِهَا.

﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾: أي: الْوَلَاةُ كَالسَّاعِي وَالْجَابِي وَالْحَافِظِ وَالْقَاسِمِ.

﴿وَالْمَوْلَةَ قُلُوبِهِمْ﴾: الْمُسْتَمَالَةُ قُلُوبِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَرُسُوحِهِ فِيهَا، أَوْ لِدَفْعِ

أَذَاهُمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: في للظرفية، والرَّقَابُ جَمْعُ رَقِيَّةٍ: وهي: العُنُقُ، والمراد هنا: فكُ الإنسانِ مِنَ الرَّقِّ أو الأَسْرِ.

﴿وَالْعَرَمِينَ﴾: المَدِينِينَ العَاجِزِينَ عَنِ الوَفَاءِ.

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ الْقِتَالُ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: السَّبِيلُ: الطَّرِيقُ، وَابْنُ السَّبِيلِ: المُسَافِرُ الَّذِي انْقَطَعَ بِهِ السَّفَرُ.

﴿فَرِيضَةً﴾: أَي: مَفْرُوضَةً، أَي: مُلْزَمًا بِهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿عَلِيمٌ﴾: ذُو عِلْمٍ، وَالْعِلْمُ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

﴿حَكِيمٌ﴾: ذُو حُكْمٍ وَحِكْمَةٍ، وَهِيَ: وَضْعُ الْأَشْيَاءِ مَوَاضِعَهَا اللَّائِقَةَ بِهَا.

ب- المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى المُسْتَحِقِّينَ لِلزَّكَاةِ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْهَا إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُ حَتَّى لَا تَكُونَ هَذِهِ الشَّعِيرَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي هِيَ ثَالِثُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ أَلْعُوبَةَ لِلْعَوَاطِفِ وَالْأَهْوَاءِ، فَحَصَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي ثِنَايَةِ أَصْنَافٍ لَا تُضَرَفُ فِي سِوَاهَا وَهُمْ:

(الْأَوَّلُ وَالثَّانِي): الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَيُعْطُونَ مِنْهَا مَا يَسُدُّ حَاجَتَهُمْ وَتَقُومُ بِهِ

كِفَايَتَهُمْ.

وَالثَّلَاثُ: الْعَامِلُونَ عَلَيْهَا، فَيُعْطُونَ مِنْهَا بِقَدْرِ عَمَلِهِمْ فِيهَا بِالْمَعْرُوفِ.

وَالرَّابِعُ: الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ، فَيُعْطُونَ مِنْهَا مَا يَحْصُلُ بِهِ التَّأْلِيفُ.

وَالْخَامِسُ: الرِّقَابُ، فَيُعْتَقُ مِنْهَا الْأَرْقَاءُ، وَيُفَكُّ مِنْهَا الْأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ.
وَالسَّادِسُ: الْغَارِمُونَ، فَتَوَفَّى عَنْهُمْ الدُّيُونَ إِذَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى وَفَائِهَا، أَوْ
تَحَمَّلُوهَا لِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ.

وَالسَّابِعُ: فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُعْطَى مِنْهَا الْمُجَاهِدُونَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ
هِيَ الْعُلْيَا، وَيُشْتَرَى لَهَا السِّلَاحُ وَمَا يَقُومُ بِهِ الْجِهَادُ دِفَاعًا أَوْ هُجُومًا.
وَالثَّامِنُ: ابْنُ السَّبِيلِ، فَيُعْطَى مِنْهَا مَا يُوصِّلُهُ إِلَى بَلَدِهِ.

ثُمَّ يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُجُوزُ تَعَدِّيهِ إِلَى غَيْرِهِ
وَلَا الْإِخْلَالَ بِهِ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى جَوَازِ الْاِقْتِصَارِ عَلَى صِنْفٍ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ
الْأَصْنَافِ، ثُمَّ خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَهُمَا: الْعَلِيمُ
وَالْحَكِيمُ، تَنْبِيْهُهَا عَلَى أَنَّ فَرِيضَةَ دَفْعِ الزَّكَاةِ فِي هَذِهِ الْأَصْنَافِ صَادِرٌ عَلَى عِلْمٍ بِمَنْ
يَسْتَحِقُّ وَحِكْمَةٍ فِي وَضْعِهَا مَوَاضِعَهَا، حَتَّى يَطْمَئِنَّ الْقُلُوبُ وَلَا يَبْقَى مَجَالٌ
لِاجْتِهَادٍ مُجْتَهَدٍ فِي دَفْعِهَا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ صَرْفِ الزَّكَاةِ فِي أَحَدِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ.
- ٢- مَنَعُ صَرْفِهَا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ مِنْ أَعْمَالِ الْحَيْرِ، كِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَإِصْلَاحِ
الطُّرُقِ وَنَحْوِهَا^(١).
- ٣- إِنَّ صَرْفَ الزَّكَاةِ فِي هَذِهِ الْأَصْنَافِ صَادِرٌ عَلَى عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ لِّلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

(١) وَجِهَ الدَّلَالَةُ مِنْهَا عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ ﴿إِنَّمَا﴾ تُفِيدُ الْحَضَرَ، فَلَوْ جَازَ صَرْفُ الزَّكَاةِ فِي غَيْرِ هَذِهِ
الْأَصْنَافِ مِنْ وَجْهِ الْحَيْرِ لَفَاتَتْ فَائِدَةُ الْحَضَرَ. [المؤلف]

- ٤- أن الحكمة من ذلك سد حاجة الإسلام، كالجهاد في سبيل الله أو حاجة المسلمين كالفقراء والغارمين.
- ٥- أنه لا بُدَّ من تمليك الأصناف الأربعة الأولين: الفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، بحيث تُسلم لهم الزكاة فيملكونها.
- ٦- أنه لا يجب تمليك الأربعة الآخرين: الرقاب، والغارمين، والمجاهدين، وابن السبيل، فلو دفع الزكاة عن الغارم إلى طالبه، أو اشترى سلاحا للجهاد أو زادًا لابن السبيل بقدر حاجته أجزأ ذلك.
- ٧- إثبات اسمي الله تعالى (العليم والحكيم)، وما دلَّ عليه من صفات.

الآية الثانية:

١٨٦ - ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

تفسير الآية رقم ١٨٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ ﴾: مَنْ يَطْلُبُ، وَمَنْ شَرْطِيَّةً وَجَوَابُ الشَّرْطِ: ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾.

﴿ الْإِسْلَامِ ﴾: الانقياد لله تعالى باتِّباعِ ما جاءت به رُسُلُهُ، والمُرَادُ هنا: ما جاء به مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿ دِينًا ﴾: عَمَلًا يَدِينُ اللهُ تَعَالَى بِهِ لِيُثَابَ عَلَيْهِ.

﴿ يُقْبَلَ ﴾: يُرَضَى.

﴿ فِي الْآخِرَةِ ﴾: أَي: الدَّارُ الْآخِرَةُ، سُمِّيَتْ بِهِ لِأَنَّهَا لَا دَارَ بَعْدَهَا.

﴿ الْخَاسِرِينَ ﴾: الضَّائِعِ سَعْيُهُمْ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُيَسِّرُ اللهُ تَعَالَى فَضِيلَةَ الْإِسْلَامِ لَهُ، وَأَنَّهُ هُوَ الدِّينُ الَّذِي يَرْضَاهُ وَيُقْبَلُهُ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَنْ مَنْ تَدَيَّنَ لِلَّهِ بِمَا سِوَاهُ فَلَنْ يُقْبَلَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَسَيَكُونُ سَعْيُهُ ضَائِعًا لَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَإِنْ قَدَّرَ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ فِي الدُّنْيَا لِجَاهِهِ أَوْ رِئَاسَةٍ تَبْقَى لَهُ فِي قَوْمِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- فَضِيلَةُ الْإِسْلَامِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَا إِسْلَامَ لِلَّهِ تَعَالَى بَعْدَ بَعْتِهِ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ.
- ٢- أَنْ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينُ الَّذِي يَرْضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَيُقْبَلُهُ مِنْ عِبَادِهِ.
- ٣- أَنَّ مَنْ دَانَ لِلَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَهَذَا شَامِلٌ لِأَصْلِ الدِّينِ وَشَرَائِعِهِ.
- ٤- أَنَّ مَنْ صَرَفَ الزَّكَاةَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ لَمْ تُحْزِنَهُ^(١) لَكِنْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الدَّافِعُ يَظُنُّ أَنَّ الْمَدْفُوعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الزَّكَاةِ أَجْرَاتُهُ وَإِنْ تَبَيَّنَ خِلَافُهُ، وَهَذَا مَحَلُّ الْأَسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٥- أَنَّهُ لَا نَصِيبَ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ.

(١) وَجْهٌ ذَلِكَ أَنَّ صَرْفَهَا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ لَيْسَ مِنْ شَرْعِ الْإِسْلَامِ، فَلَا يَكُونُ مَقْبُولًا. [المؤلف]

مِن آيَاتِ الصِّيَامِ

النَّوْعُ الْأَوَّلُ

الآيَةُ الْأُولَى:

١٨٧- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

الصَّيَامُ فِي اللَّغَةِ: الْإِمْسَاكُ عَنِ الشَّيْءِ.

وفي الشَّرْعِ: الْإِمْسَاكُ عَنِ الْمَفْطَرَاتِ تَعَبُّدًا لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

وَصَوْمُ رَمَضَانَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، مَنْ جَحَدَ وَجُوبَهُ كَفَرَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِمَنْ يُمْكِنُ جَهْلُهُ الْوُجُوبِ، وَمَنْ تَرَكَهُ تَهَاوُنًا فَهُوَ عَلَى خَطَرٍ.

وَفَرَضَ صَوْمُ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ فَصَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ رَمَضَانَاتٍ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا فَرَضَ أَنْ يُخَيَّرَ النَّاسُ بَيْنَ الصِّيَامِ وَالْإِطْعَامِ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا مَعَ تَرْجِيحِ الصَّوْمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا شَرَعَ لِعِبَادِهِ مَا يَشُقُّ عَلَى النَّفْسِ مَهْدَلَهُ

بِشْرَعٍ مَا يَهَيِّئُ النُّفُوسَ لِقَبُولِهِ وَيُهَوِّئُهُ عَلَيْهَا ثُمَّ أَحْكَمَهُ، فَإِنَّ النُّفُوسَ لَمَّا تَهَيَّأَتْ لِقَبُولِ الصَّوْمِ فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَيْنًا وَلَمْ يَجْعَلْ فِيهِ خِيَارًا، وَلِلصَّوْمِ حِكْمٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

- ١- التَّعَبُّدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِتَرْكِ مَا تُحِبُّهُ النَّفْسُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَنِكَاحٍ.
- ٢- تَذَكُّرُ الْإِنْسَانِ لِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ بِتَيْسِيرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّكَاحِ، فَإِنَّهُ إِذَا ذَاقَ أَلْمَ فَقَدَهَا حَالَ الصَّوْمِ ذَكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِوُجُودِهَا وَتَيْسِيرِهَا لَهُ حَالَ الْفِطْرِ.
- ٣- حُصُولُ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ بِذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَصَّ الصَّوْمَ لِنَفْسِهِ وَجَعَلَ جَزَاءَهُ إِلَيْهِ.
- ٤- تَذَكُّرُ الْغَنِيِّ حَالَ إِخْوَانِهِ الْفُقَرَاءِ الْمُعْدِمِينَ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْعَطْفِ وَالرَّحْمَةِ.
- ٥- صَقْلُ النُّفُوسِ وَتَهْدِيئُهَا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعْوِيدُهَا عَلَى الصَّبْرِ، وَالتَّحَمُّلِ فِيمَا يَعُودُ إِلَيْهَا بِالنَّفْعِ.
- ٦- الْفَوَائِدُ الصَّحِيَّةُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ.

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمِ الَّتِي يُظْهِرُهَا اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ بِالتَّأَمُّلِ أَوْ يُخْفِيهَا عَنْهُمْ.

النَّوعُ الْأَوَّلُ: أَيُّ: مِنْ آيَاتِ الصِّيَامِ، وَمَوْضُوعُهُ: فَرَضُ الصِّيَامِ، وَوَقْتُهُ، وَعَلَى مِنْ يَجِبُ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْم ١٨٧:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿سَأَلُونَكَ﴾: يَسْتَفْهِمُونَ مِنْكَ، وَالْحِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالسَّائِلُونَ: الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

﴿عَنِ الْأَهْلَةِ﴾: عَنِ الْحِكْمَةِ مِنْهَا وَمِنْ تَغْيِيرِهَا، وَهِيَ: جَمْعُ هِلَالٍ، وَهُوَ: الْقَمَرُ حِينَ يَبْدُو أَوَّلَ الشَّهْرِ إِلَى ثَلَاثِ لَيَالٍ مِنْهُ، سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يُسْتَهَلُّ بِهِ وَيُعْلَنُ.

﴿مَوَاقِيْتُ﴾: جَمْعُ مِيقَاتٍ، وَهُوَ: مَا يُعْرَفُ بِهِ الْوَقْتُ.

﴿لِلنَّاسِ﴾: لِعُمُومِ النَّاسِ فِي آجَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

﴿وَأَلْحَجَّ﴾: مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿لِلنَّاسِ﴾، أَي: وَمَوَاقِيْتُ لِلْحَجِّ (١)، وَالْحَجُّ: قَصْدُ مَكَّةَ لِعَمَلِ الْمَنَاسِكِ فِي زَمَنِ مَخْصُوصٍ.

﴿الْبُرِّ﴾: الْحَيْرُ أَوْ الْعَمَلُ الْمَرْضِيُّ.

﴿تَأْتُوا﴾: تَدْخُلُوا.

﴿مِنْ طُهْرِيهَا﴾: مِنْ جُذْرَانِهَا الْخَلْفِيَّةِ بِأَنْ تَسَوَّرُوهَا أَوْ تَنْقُبُوا فِيهَا.

﴿مَنْ أَتَقَى﴾: مَنْ اتَّخَذَ وَقَايَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَفَعَلَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَتَرَكَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَأْتُوا﴾: ادْخُلُوا.

(١) خصَّ الله الحج بالذكر لأنه لا يصح في غير أشهره على كل حال. قاله بعض العلماء. [المؤلف]

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾: اتَّخَذُوا وَقَايَةً مِنْ عَذَابِهِ، فافعلوا ما أمركم به واتركوا ما نهاكم

عنه.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ، أي: لأجل.

﴿تُفْلِحُونَ﴾: تَفُوزُونَ بِالْمَحْبُوبِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الْمَكْرُوهِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الصَّحَابَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ الْحِكْمَةِ مِنْ هَذِهِ الْأَهْلَةِ، وَلِمَاذَا يَتَغَيَّرُ الْقَمَرُ فَيَبْدُو صَغِيرًا ثُمَّ يَكْبُرُ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الصَّغَرِ؟ فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُجِيبَهُمْ بِأَنَّ هَذِهِ الْأَهْلَةَ عَلَامَةٌ عَلَى الْأَوْقَاتِ، يَعْرِفُ النَّاسُ بِهَا مَوَاقِيَتَهُمْ فِي عِبَادَاتِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ، فَيَعْرِفُونَ بِهَا أَشْهُرَ الْحَجِّ، وَشَهْرَ الصِّيَامِ، وَأَجَالَ عِدَدِ الْمُعْتَدَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَأَجَالَ الدُّيُونِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ الْأَهْلَةَ مَوَاقِيَتٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ»^(١).

ثُمَّ بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى أَنَّ تَسَلُّقَ جُدْرَانِ الْبُيُوتِ وَإِتْيَانَهَا مِنْ خَلْفِهَا لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَحْرَمُوا أَتَوْا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا تَعَبُّدًا وَتَبَرُّرًا، فَنَفَى اللهُ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنَ الْبِرِّ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْبِرَّ عَمَلٌ مِنَ اتَّقَى اللهُ تَعَالَى وَتَعَبَّدَ لَهُ بِمَا شَرَعَ، وَأَمَرَ بِإِتْيَانِ الْبُيُوتِ مِنْ أُبْوَابِهَا وَبِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى، فَذَلِكَ هُوَ الْبِرُّ وَطَرِيقُ الْفَلَاحِ.

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٨٤، رقم ١٥٣٩).

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- حِرْصُ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عَلَى الْعِلْمِ.
- ٢- عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ وَتَعْلِيمِهِمْ مَا يَنْفَعُهُمْ.
- ٣- إِحَاطَةُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَمْعِهِ لِكَلَامِ النَّاسِ.
- ٤- أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ هَذِهِ الْأَهْلَةِ وَتَقْدِيرِ مَنَازِلِ الْقَمَرِ حَتَّى يَكُونَ هِلَالًا مَعْرِفَةً النَّاسِ بِأَوْقَاتِهِمْ.
- ٥- أَنَّ الْأَشْهُرَ الْهِلَالِيَّةَ هِيَ الْمَوَاقِيتُ الْعَالَمِيَّةُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لِلنَّاسِ، لِأَنَّ كَلِمَةَ (النَّاسِ) عَامَّةٌ^(١).
- ٦- أَنَّهُ لَا يَجِبُ صَوْمُ رَمَضَانَ قَبْلَ رُؤْيَةِ هِلَالِهِ.
- ٧- أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْفِطْرُ مِنْ رَمَضَانَ قَبْلَ رُؤْيَةِ هِلَالِ شَوَّالٍ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى أَنَّ إِكْمَالَ الشَّهْرِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا كَرُؤْيَةِ الْهِلَالِ، وَهَاتَانِ الْفَائِدَتَانِ السَّادِسَةُ وَالسَّابِعَةُ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.

(١) إِنَّمَا لِنَاسِ الْدَوْلِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي حَادَثَتْ عَمَّا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ، وَسَارَ عَلَيْهِ نَبِيُّهَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَسَلَفُهَا الصَّالِحُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - مِنَ التَّوْقِيفِ بِالْأَشْهُرِ الْهِلَالِيَّةِ، وَأَتَبَعَتْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّوْقِيفِ بِأَشْهُرٍ اصْطِلَاحِيَّةٍ لَيْسَ لَهَا أَسَاسٌ مَشْرُوعٌ وَلَا مَعْقُولٌ وَلَا مَحْسُوسٌ يُعْلَمُ بِهِ ابْتِدَاءُ الشَّهْرِ وَإِنْتِهَاؤُهُ، وَهَذِهِ الْحَيْدَةُ - إِنْ عُدِرَتْ فِيهَا هَذِهِ الدَّوْلُ حِينَ كَانَتْ مُسْتَعْمِرَةً - فَلَنْ تُعْذَرَ فِيهَا بَعْدَ زَوَالِ الْاسْتِعْمَارِ، وَإِنْ وَاجِبَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ تَكُونَ لِنَفْسِهَا شَخْصِيَّةً فَدَّةً فَرِيدَةً مَقَوْمَاتُهَا كِتَابُ رَبِّهَا تَعَالَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَسُنَّةُ نَبِيِّهَا ﷺ الْمَبْعُوثُ إِلَى النَّاسِ كَافَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَبِيلُ سَلَفِهَا الصَّالِحِ الْمُؤْمِنِينَ، لَتَعُودَ لَهَا عِزَّتُهَا وَكِرَامَتُهَا وَهَيْبَتُهَا بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتَنْتَشِلَ نَفْسُهَا مِنَ التَّبَعِيَّةِ وَالذَّلِّ فِي خَلْقِيَّاتِ الْعَالَمِ، نَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحَقِّقَ لَهَا تَنْفِيزَ ذَلِكَ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ. [المؤلف]

- ٨- أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ يَتَعَبَّدَ الْمَرْءُ لِلَّهِ تَعَالَى بِمَا لَمْ يَشْرَعْهُ.
- ٩- أَنَّ الْبِرَّ حَقِيقَةٌ بِرٌّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ بِالتَّعَبُّدِ لَهُ بِمَا لَمْ يَشْرَعْهُ.
- ١٠- مَشْرُوعِيَّةُ إِتْيَانِ الْبُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ طَرِيقُ الْحِكْمَةِ وَالسَّلَامَةِ.
- ١١- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ١٢- أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبٌ لِلْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

تَنْبِيهِ:

ذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ الصَّحَابَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْأَهْلَةِ، أَي: عَنْ أَسْبَابِ اخْتِلَافِ نُورِ الْقَمَرِ الْحَسِّيَّةِ حَيْثُ يَصْغُرُ وَيَكْبُرُ، فَأَجِيبُوا بِغَيْرِ مَا سَأَلُوا عَنْهُ، أُجِيبُوا بِبَيَانِ الْحِكْمَةِ مِنْ ذَلِكَ دُونَ بَيَانِ الْأَسْبَابِ وَلَمْ يَذَكَرْ كِبَارُ الْمَفْسِّرِينَ هَذَا، وَقَدْ ضَعَّفَ الشُّوْكَانِيُّ^(١) سَنَدَ الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ فِي ذَلِكَ وَهُوَ كَمَا قَالَ، وَالَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَجَابَ الصَّحَابَةَ عَمَّا سَأَلُوا عَنْهُ جَوَابًا مُطَابِقًا.

الآية الثانية إلى الخامسة:

١٨٨-١٩١- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا
 أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ
 تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ
 الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ
 مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ
 اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى
 مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ
 أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

[البقرة: ١٨٣-١٨٦].

تفسير الآيات رقم ١٨٨ - ١٩١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾: سبق تفسيرها في الآية رقم (١٧٤).

﴿كُتِبَ﴾: فَرَضَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿الصِّيَامُ﴾: الإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّكَاحِ فِي زَمَنِ تَخْصُوصٍ.

﴿كَمَا كُتِبَ﴾: كَمَا فَرَضَ، وَالْكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ، أَي: كَكْتَبَهُ عَلَى

الذِينَ، وَالْمُرَادُ: تَشْبِيهُهُ الْفَرَضِ بِالْفَرَضِ لَا الْمَفْرُوضِ بِالْمَفْرُوضِ.

﴿ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ : أي: من الأمم السابقتين من اليهود وغيرهم.

﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ : لعل للتعليل، أي: لأجل.

﴿ تَتَّقُونَ ﴾ : تَتَّخِذُونَ وَقَايَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَتَرَكِ نَوَاهِيهِ.

﴿ آيَاتًا ﴾ : مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: صُومُوا أَيَّامًا.

﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾ : مَحْصُورَاتٍ بَعْدَدٍ، فَلَيْسَتْ طَوِيلَةً.

﴿ مَرِيضًا ﴾ : مُعْتَلَّةٌ صِحَّتُهُ عَلَى وَجْهِ يَشُقُّ بِهِ عَلَيْهِ الصُّومَ.

﴿ سَفَرٍ ﴾ : خُرُوجٍ مِنْ بَلَدِهِ مَسَافَرًا.

﴿ فَعِدَّةٌ ﴾ : أَي: فَعَلَيْهِ عِدَّةٌ بِقَدْرِ مَا أَفْطَرَ.

﴿ أُخْرَ ﴾ : أَي: غَيْرَ رَمَضَانَ بَعْدَ بُرْئِهِ أَوْ انْتِهَاءِ سَفَرِهِ.

﴿ يُطِيقُونَهُ ﴾ : يَسْتَطِيعُونَهُ، أَي: الصِّيَامَ.

﴿ فِدْيَةٌ ﴾ : جَزَاءٌ يُفْدَى بِهِ عَنِ الصِّيَامِ.

﴿ طَعَامٌ ﴾ : بِالرَّفْعِ بَيَانٌ لـ ﴿ فِدْيَةٌ ﴾ ، أَي: إِطْعَامٌ.

﴿ مَسْكِينٍ ﴾ : هُوَ مَنْ لَا يَجِدُ كِفَايَتَهُ وَعَائِلَتَهُ.

﴿ نَطَوَعَ خَيْرًا ﴾ : فَعَلَ طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى أَيَّ طَاعَةٍ كَانَتْ، وَسُمِّيَتْ الطَاعَةُ خَيْرًا

لَمَّا تَتَّصَمَنَهُ مِنَ الْخَيْرِ لِلْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ.

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا ﴾ : أَي: صِيَامَكُمْ.

﴿ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ : أَفْضَلُ وَأَوْلَى مِنَ الْفِدْيَةِ بِالْإِطْعَامِ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: الْجُمْلَةُ شَرْطِيَّةٌ جَوَابُهَا مَحذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: إِنْ كُنْتُمْ مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ فَسَتَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّوْمَ خَيْرٌ.

﴿شَهْرٌ﴾: أَي: مُدَّةٌ مِنَ الْهَلَالِ إِلَى الْهَلَالِ، أَوْ إِكْمَالِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا إِنْ لَمْ يَرَ الْهَلَالَ.

﴿رَمَضَانَ﴾: اسْمٌ لِلشَّهْرِ الَّذِي بَيْنَ شَعْبَانَ وَشَوَّالٍ، سُمِّيَ بِهِ لَوُقُوعِهِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ عِنْدَ تَسْمِيَّتِهِ بِهِ.

﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾: أَي: ابْتَدَأَ أَنْزَالُهُ فِيهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَالْقُرْآنُ: كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُنزَّلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَبْدُوءُ بِتِلَاوَةِ بِالْفَاتِحَةِ الْمُخْتَوِّمِ بِسُورَةِ النَّاسِ، وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنْهُ الْخَمْسُ الْآيَاتِ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ أَقْرَأَ.

﴿هُدًى﴾: هِدَايَةٌ وَدَلَالَةٌ، وَهِيَ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.

﴿لِلنَّاسِ﴾: جَمِيعِ بَنِي آدَمَ.

﴿وَبَيَّنَّتْ﴾: عَلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ، وَهِيَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿هُدًى﴾.

﴿مِنَ الْعِلْمِ﴾: مِنَ الْعِلْمِ.

﴿وَالْفُرْقَانِ﴾: التَّمْيِيزُ الْوَاضِحُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَأَصْحَابِهِمَا وَجَزَائِهِمَا.

﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾: فَمَنْ حَضَرَ، مَنْ شَرْطِيَّةٌ وَجَوَابُهَا ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾.

﴿فَلْيَصُمْهُ﴾: فَلْيَصُمْ الشَّهْرَ، وَالْفَاءُ رَابِطَةٌ لِجَوَابِ الشَّرْطِ، وَاللَّامُ لِلْأَمْرِ.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ﴾: يُحِبُّ لَكُمْ.

﴿الْيُسْرَ﴾: السُّهُولَةُ، وَجُمْلَةٌ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ اسْتِثْنَايَةً لِلتَّلْعِيلِ.

﴿الْمُسْرَ﴾: الْمَشَقَّةَ.

﴿وَلِتُكْمَلُوا﴾: وَلِتُتِمُّوا، وَالْوَاوُ حَرْفُ عَطْفٍ، وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ إِمَّا ﴿الْيُسْرَ﴾، وَإِمَّا مَحْدُوفٌ يُقَدَّرُ بِهَا يَنَاسِبُ الْمَقَامَ، وَاللَّامُ لِلتَّلْعِيلِ.

﴿الْعِدَّةَ﴾: عِدَّةُ أَيَّامِ الشَّهْرِ بِالصَّوْمِ.

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾: تُعَظِّمُوهُ بِقَوْلِ: اللَّهُ أَكْبَرُ.

﴿عَلَى مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾: عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ لَكُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَوَفَّقَكُمُ لَهُ مِنْ إِكْمَالِ الْعِدَّةِ، وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: لَعَلَّ لِلتَّلْعِيلِ، أَي: لِأَجْلِ.

﴿تَشْكُرُونَ﴾: تَقُومُونَ بِشُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ، بِالاعْتِرَافِ بِهَا فِي

الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ.

﴿عَنِّي﴾: عَنِ قُرْبِي أَوْ بُعْدِي.

﴿قَرِيبٌ﴾: ذَانِ، وَذَلِكَ لِإِحَاطَتِهِ تَعَالَى بِكُلِّ شَيْءٍ.

﴿أَجِيبُ﴾: أَقْبِلُ.

﴿دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾: سُؤَالَ السَّائِلِ.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾: فَلْيَقْبَلُوا شَرْعِيًّا وَلْيَنفَادُوا لِي، وَاللَّامُ لِلأَمْرِ.

﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾: وَلْيُصَدِّقُوا بِي وَبِوَحْيِي مَعَ الْقَبُولِ وَالْامْتِثَالِ.

﴿يُرْشِدُونَ﴾: يَسْتَقِيمُونَ عَلَى طَرِيقِ السَّدَادِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُنَادِي اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ، لِيُخْبِرَهُمْ بِمَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ فَرِيضَةِ الصِّيَامِ الَّذِي فُرِضَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقِينَ، لِئَلَّا يَتَخَلَّفُوا عَنْهُمْ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَأَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ- أَنَّهُ فَرَضَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَنَا لِنَعْرِفَ أَهْمِيَّةَ الصِّيَامِ فِي الشَّرَائِعِ، وَيَتَسَلَّى بِذَلِكَ مَنْ يَجِدُ مَشَقَّةَ الصِّيَامِ عَلَيْهِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ -سُبْحَانَهُ- أَعْظَمَ حِكْمَةٍ فِي الصِّيَامِ وَهِيَ: تَقْوَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، فَإِنَّ الصَّائِمَ تَنْكَسِرُ نَفْسُهُ وَيَنْفِطِمُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنِّكَاحِ، فَإِنَّ هَذِهِ رُبَّمَا تَكُونُ سَبَبًا لِلْأَشْرِ وَالْبَطْرِ، وَهَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ الْعَظِيمَةُ الْمُقْصُودَةُ، وَلِذَلِكَ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ اللهُ حَاجَةً أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(١). وَبَيَّنَّ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ هَذَا الصِّيَامَ الْمَفْرُوضَ لَيْسَ سِنِينَ وَلَا شُهُورًا وَإِنَّمَا هُوَ أَيَّامٌ قَلِيلٌ لَا تَحِبُّ إِلَّا عَلَى الصَّحِيحِ الْمُقِيمِ مِنَ الْمَكْلَفِينَ، أَمَّا الْمَرِيضُ وَالْمُسَافِرُ فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِمَا الصَّوْمُ حَالَ الْمَرَضِ وَالسَّفَرِ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِمَا عِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، ثُمَّ بَيَّنَّ -سُبْحَانَهُ- تَخْفِيفًا آخَرَ وَهُوَ: تَخْيِيرُ الْمُطِيقِينَ لِلصَّوْمِ بَيْنَ أَنْ يَفْتَدُوا عَنْهُ بِاطْعَامِ مَسْكِينٍ لِكُلِّ يَوْمٍ، أَوْ يَصُومُوا وَالصَّوْمُ خَيْرٌ، وَهَذَا فِي أَوَّلِ فَرَضِ الصِّيَامِ لِتَقْبِيلِهِ النُّفُوسَ شَيْئًا فَشَيْئًا فَيَسْهُلُ عَلَيْهِ تَطْبِيقُهُ.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللهُ وَقْتَ هَذَا الصِّيَامِ الْمَفْرُوضِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ أَعْظَمُ مُنَاسَبَةٍ، وَهُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ هَادِيًا لِلنَّاسِ وَمُبَيِّنًا مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْفُرْقَانِ الصَّحِيحِ مَا لَا نَظِيرَ لَهُ فِي أَيِّ كِتَابٍ أُخَرَ،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم

وَفَرَضَ الصِّيَامَ عَيْنًا عَلَى غَيْرِ الْمَرِيضِ وَالْمَسَافِرِ فِي هَذَا الشَّهْرِ، أَمَا الْمَرِيضُ وَالْمَسَافِرُ فَعَلَيْهِمَا عِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى، وَبَيَّنَّ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ هَذَا التَّخْفِيفَ صَادِرٌ عَنْ إِزَادَتِهِ تَعَالَى السُّهُولَةَ عَلَى الْعِبَادِ فِيمَا يُكَلِّفُهُمْ بِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُرِيدُ بِهِمُ الْمَشَقَّةَ وَالْإِجْهَادَ فِيمَا كَلَّفَهُمْ بِهِ وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُكْمِلُوا عِدَّةَ الشَّهْرِ كَمَا أُمِرُوا، وَأَنْ يُعَظِّمُوا اللَّهَ تَعَالَى بِالتَّكْبِيرِ عَلَى مَا أَرْشَدَهُمْ إِلَيْهِ وَوَفَّقَهُمْ مِنْ إِكْمَالِ الْعِدَّةِ وَأَنْ يَشْكُرُوا نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ.

ثم أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ إِذَا سَأَلَهُ الْعِبَادُ عَنْهُ أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - قَرِيبٌ مِنْهُمْ يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاهُ بِإِحْلَاصٍ وَافْتِقَارٍ وَحُسْنِ ظَنٍّ، وَلَا بَدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالِاسْتِجَابَةِ لَهُ لِيَحْصَلَ الرُّشْدُ وَالْفَلَاحُ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- فَرَضَ الصِّيَامَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ.
- ٢- أَنَّهُ فَرِيضَةٌ عَلَى مَنْ قَبْلَهَا مِنَ الْأُمَّمِ.
- ٣- أَهَمِّيَّةُ الصِّيَامِ حَيْثُ كَانَ مَفْرُوضًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّمِ.
- ٤- أَنَّ الْحِكْمَةَ الْعُظْمَى مِنْ فَرَضِ الصِّيَامِ تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.
- ٥- أَنَّ الصِّيَامَ فَرِيضَةٌ يَسِيرَةٌ، فَلَيْسَتْ سِنِينَ وَلَا شُهُورًا وَإِنَّمَا هُوَ أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ تَعَيَّنَتْ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.
- ٦- أَنَّهُ لَا يُجِبُ الصِّيَامَ أَدَاءً عَلَى الْمَرِيضِ الَّذِي يَشُقُّ عَلَيْهِ وَلَا الْمَسَافِرِ.
- ٧- وَجُوبُ الصِّيَامِ عَلَى التَّخْيِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِطْعَامِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لِتَوْطِينِ النُّفُوسِ عَلَيْهِ.

- ٨- الْحِكْمَةُ فِي التَّشْرِيعِ حَيْثُ كَانَ بِالتَّدْرُجِ فِيهَا يَشْتَقُّ عَلَى النُّفُوسِ .
- ٩- تَعْيِينُ شَهْرِ رَمَضَانَ لِفَرِيضَةِ الصِّيَامِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ .
- ١٠- أَنَّ الْحِكْمَةَ فِي تَعْيِينِهِ نُزُولُ الْقُرْآنِ فِيهِ .
- ١١- فَضْلُ الْقُرْآنِ بِمَا ذَكَرَ لَهُ مِنَ الْأَوْصَافِ الْعَظِيمَةِ ﴿هُدًى لِلنَّكَاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ .
- ١٢- التَّرغِيبُ فِي الرُّجُوعِ إِلَى الْقُرْآنِ لَمَنْ أَرَادَ الْهُدَايَةَ وَالْعِلْمَ النَّافِعَ .
- ١٣- بَيَانُ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ تَيْسِيرِ الدِّينِ .
- ١٤- إِثْبَاتُ الْإِرَادَةِ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- .
- ١٥- أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنَّا إِكْمَالَ الْعِدَّةِ وَتَكْبِيرَهُ عَلَى مَا هَدَانَا .
- ١٦- أَنَّ الْوَاجِبَ قِضَاءُ عِدَّةٍ مَا أَفْطَرَ مِنَ الشَّهْرِ، وَلَوْ كَانَ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا .
- ١٧- أَنَّ الْقِيَامَ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .
- ١٨- نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بَيِّنَاتٍ مَا سَأَلُوا عَنْهُ .
- ١٩- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ لِإِحَاطَتِهِ بِهِمْ .
- ٢٠- أَنَّهُ تَعَالَى يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاهُ بِإِخْلَاصٍ وَصِدْقٍ .
- ٢١- وَجُوبُ الِاسْتِجَابَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالِإِيْمَانَ بِهِ .
- ٢٢- أَنَّ الِاسْتِجَابَةَ لِلَّهِ وَالِإِيْمَانَ بِهِ رَشْدٌ، وَسَبَبٌ لِلرَّشْدِ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ .

النَّوعُ الثَّانِي

١٩٢- ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ فَأَلْتَنَ بِشُرُوهِنَّ وَأَبْتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

النَّوعُ الثَّانِي: أَي: مِنْ آيَاتِ الصِّيَامِ، وَمَوْضُوعُهُ: الْمَفْطَرَاتُ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْم ١٩٢:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿أَجَلٌ﴾: أَيَّحَ وَالْمُحَلَّلُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾: لَيْلَةُ الْيَوْمِ الَّذِي تَصُومُونَ فِيهِ.

﴿الرَّفْتُ﴾: أَي: الْإِفْضَاءُ بِالْجَمَاعِ وَالْمُبَاشَرَةُ لِشَهْوَةٍ.

﴿نِسَائِكُمْ﴾: زَوْجَاتِكُمْ.

﴿لِيَاسٌ﴾: أَي: كَاللِّبَاسِ فِي السِّرِّ وَالْحَاجَةِ وَجُمْلَةً ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ﴾ وَمَا عَطَفَ

عَلَيْهَا تَعْلِيلٌ لِلْإِحْلَالِ.

﴿كُنْتُمْ﴾: أَي قَبْلَ هَذَا الْإِحْلَالِ.

﴿مَخْتَانُونَ﴾ : تَخُونُونَ وَتَظْلِمُونَ.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ : أَي: قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ أَوْ سَهَّلَ عَلَيْكُمْ.

﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ : سَامَحَكُمْ.

﴿فَالْتَنَّ﴾ : ظَرَفَ لِلزَّمَنِ الحَاضِرِ، مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ.

﴿بَشَرُوهُمْ﴾ : لَامِسُوهُمْ بِالِجَمَاعِ وَغَيْرِهِ، وَالْأَمْرُ فِيهِ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾

لِلإِبَاحَةِ.

﴿وَأَتَعُوا﴾ : اظْلَبُوا.

﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ﴾ : مَا قَدَّرَ اللَّهُ وَكَتَبَهُ فِي اللُّوحِ المَحْفُوظِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْأَوْلَادِ.

﴿حَتَّى﴾ : حَرْفُ غَايَةٍ وَمَا بَعْدَهَا غَيْرٌ دَاخِلٍ.

﴿يَتَبَيَّنَ﴾ : يَظْهَرُ جَلِيًّا.

﴿الْخَيْطُ الأَبْيَضُ﴾ : أَي: بِيَاضِ النَّهَارِ المُمْتَدِّ فِي الأَفْقِ كَالْخَيْطِ.

﴿الْخَيْطُ الأَسْوَدُ﴾ : أَي: سَوَادُ اللَّيْلِ المُمْتَدِّ بِجَانِبِ بِيَاضِ النَّهَارِ.

﴿الصِّيَامُ﴾ : الإِمْسَاكُ عَنِ الأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالمُبَاشَرَةِ.

﴿إِلَى الأَيْلِ﴾ : أَي: إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

ب- المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى رَحْمَتَهُ بِعِبَادِهِ حَيْثُ أَحَلَّ لَهُمُ الرَّفْتَ إِلَى نِسَائِهِمْ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي يَصُومُونَ مِنْ صَبَاحِهَا، وَأَشَارَ اللهُ تَعَالَى إِلَى الحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ بِكَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الزَّوْجَيْنِ لِبَاسًا لِلآخَرِ يَسْتُرُهُ وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ، وَكَانَ الرَّفْتُ قَبْلَ هَذَا الإِحْلَالِ

حَرَامًا عَلَى الصَّائِمِ لَيْلَةَ الصِّيَامِ إِذَا نَامَ أَوْ صَلَّى الْعِشَاءَ، وَلِعَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَحُونُ نَفْسَهُ الَّتِي جَعَلَهُ اللَّهُ أَمِينًا عَلَيْهَا لِغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ فَيُجَامِعُ امْرَأَتَهُ، حِينَئِذٍ خَفَّفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ وَيَسَّرَ لَهُمْ فَأَبَاحَ لَهُمْ مُبَاشَرَةَ النِّسَاءِ وَالْأَكْلَ وَالشُّرْبَ طُولَ اللَّيْلِ وَإِنْ نَامُوا أَوْ صَلَّى الْعِشَاءَ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ طُلُوعُ الْفَجْرِ، ثُمَّ يُمْسِكُونَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَأَمْرُهُمْ أَنْ لَا يَشْغَلَهُمُ التَّلَذُّذُ بِذَلِكَ عَنْ طَلَبِ الطَّاعَاتِ وَقَصْدِ الْأَوْلَادِ بِالْجَمَاعِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- بَيَانُ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَنِعْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ بِإِحْلَالِ الْجَمَاعِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ لَيْلَةَ الصِّيَامِ.
- ٢- أَنَّ الرَّجُلَ سِتْرٌ لِرَوْجَتِهِ وَهِيَ سِتْرٌ لَهُ، وَكِلَاهُمَا مُحْتَاجٌ لِصَاحِبِهِ.
- ٣- أَنَّ الْإِنْسَانَ أَمِينٌ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَسْئُولٌ عَنْ أَمَانَتِهِ.
- ٤- أَنَّ وَقُوعَهُ فِي الْمَعْصِيَةِ خِيَانَةٌ لِنَفْسِهِ الَّتِي جُعِلَ أَمِينًا عَلَيْهَا.
- ٥- أَنَّ الْمَشَقَّةَ تَجْلِبُ التَّيْسِيرَ.
- ٦- جَوَازُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجَمَاعِ لِلصَّائِمِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْفَجْرُ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى الْعَمَلِ بِأَذَانِ الْمُؤَذِّنِ إِذَا كَانَ ثِقَةً عَارِفًا بِالْوَقْتِ وَأَذَّنَ بَعْدَ تَبَيُّنِ الْفَجْرِ^(١).
- ٧- أَنَّهُ لَوْ أَكَلَ شَاكًا فِي طُلُوعِ الْفَجْرِ فَيَتَبَيَّنُ أَنَّهُ بَعْدَ طُلُوعِهِ فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَكْلَهُ مَأْذُونٌ فِيهِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الأذان قبل الفجر، رقم (٦٢٣)، ومسلم: كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، رقم (١٠٩٢).

- ٨- جَوَازُ الصِّيَامِ وَالْإِنْسَانَ جُنِبَ.
- ٩- أَنَّ الصِّيَامَ يَنْتَهِي بِغُرُوبِ الشَّمْسِ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْمُبَادَرَةِ بِالْفِطْرِ^(١).
- ١٠- أَنَّ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَالْجِمَاعَ مِنْ مُفْطَرَاتِ الصَّائِمِ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى وُجُودِ مُفْطَرَاتٍ أُخْرَى.
- ١١- أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ تَمَتَّعَ بِالْجِمَاعِ أَنْ لَا يُلْهِئَهُ ذَلِكَ عَنْ طَلَبِ الطَّاعَاتِ وَالْأَوْلَادِ الصَّالِحِينَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب تعجيل الإفطار، رقم (١٩٥٧)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأکید استحبابه، رقم (١٠٩٨).

مِنْ آيَاتِ الْاِعْتِكَافِ

الآيَةُ الْأُولَى:

١٩٣- ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَانْتَحَدُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهْدِنَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

مِنْ آيَاتِ الْاِعْتِكَافِ

الاعْتِكَافُ فِي اللَّغَةِ: الْمَكْتُ عَلَى الشَّيْءِ وَمُلَازِمَتُهُ.

وَفِي الشَّرْعِ: لُزُومُ الْمَسْجِدِ وَالانْقِطَاعُ فِيهِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَهُوَ مِنَ السُّنَنِ الثَّابِتَةِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَالغَرَضُ مِنْهُ: تَهْدِيبُ النَّفْسِ وَانْقِطَاعُهَا عَنْ مَلَاذُ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِلتَّعَبُّدِ لَهُ فِي بَيْتِ مَنْ يُبَوِّتُهُ، وَلَمْ يَزَلِ الْاِعْتِكَافُ مَشْرُوعًا مُتَّعَبَدًا لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِ حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامَ فَأَقْرَهُ، فَاعْتَكَفَ النَّبِيُّ ﷺ وَاعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لَا أَعْلَمُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ خِلَافًا أَنَّ الْاِعْتِكَافَ مَسْنُونٌ»^(١).

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ١٩٣:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿وَإِذْ﴾: إِذْ ظَرَفٌ لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمَنِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَطْفًا عَلَى ﴿وَإِذْ﴾ فِي

(١) ذكره الصنعاني في سبل السلام (١٧٤/٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ﴾.

﴿جَعَلْنَا﴾: صَيَّرْنَا.

﴿الْبَيْتَ﴾: أَي: الْكَعْبَةَ.

﴿مَثَابَةً﴾: مَرْجِعًا كُلَّمَا انْتَهَى مِنْهُ بِنُسْكَ رَجَعَ إِلَيْهِ بِنُسْكَ آخَرَ.

﴿وَأَمْنَا﴾: مَكَانٌ أَمِنٌ، وَهُوَ: الْاسْتِقْرَارُ وَالطُّمَأْنِينَةُ.

﴿وَأَتَّخِذُوا﴾: اجْعَلُوا، وَالْخِطَابُ لِلأُمَّةِ كُلِّهَا.

﴿مِنْ مَقَامٍ﴾: أَي: عِنْدَ مَقَامٍ، وَالْمَقَامُ: مَكَانُ الْقِيَامِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: الْحِجْرُ

الذي قام عليه إبراهيم لِيَتِمَّ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ حِينَ ازْتَفَعَ الْبِنَاءَ وَلَا يَزَالُ مَعْرُوفًا إِلَى الْآنَ.

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: هُوَ: الْحَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ آزَرَ، وَأَحَدُ أَوْلِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَأَفْضَلِهِمْ

بعد محمد - صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين -.

تَزَوَّجَ سَارَةَ فَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا إِسْحَاقُ أَبُو يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبُ هُوَ: إِسْرَائِيلُ أَبُو بَنِي

إسرائيل - عليه الصلاة والسلام -.

وَسَرَّى إِبْرَاهِيمُ هَاجِرَ فَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا وَلَدُهُ الْأَوَّلُ إِسْمَاعِيلُ أَبُو الْعَرَبِ

فَأَسْكَنَهُ هُوَ وَأُمُّهُ أَرْضَ مَكَّةَ، فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ ابْتَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِبِلَاءٍ مُبِينٍ حَيْثُ

أَمَرَهُ بِذَبْحِهِ، فَامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ مَعَ مَا قَامَ فِي قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ هَذَا الْابْنِ الْوَحِيدِ، تَقْدِيمًا

لِطَاعَةِ مَوْلَاهُ عَلَى مَا تُحِبُّهُ نَفْسُهُ وَتَهْوَاهُ وَقَالَ لِابْنِهِ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ

فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَأْتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿

[الصافات: ١٠٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمْنَا وَتَلَّهِ لِلْجِبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَّيَّرَهُمْ

﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّبِيَّ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾

[الصفات: ١٠٣-١٠٦].

وقد اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً، وهو: البالغ في المحبة غايتها، وأرسله إلى أهل بابل -مدينة في العراق-، وكانوا يعبدون الأصنام فكسرها وجعلها جذاذاً إلا كبيراً لهم، فأجمعوا على إحراره بالنار انتصاراً لأهليهم، فلما ألقوه فيها أمرها الله تعالى أن تكون برداً وسلاماً عليه وأنجاه الله منها، وأرسله الله كذلك إلى أهل حران -بلد في أطراف الشام- وكانوا يعبدون الكواكب والشمس والقمر فين لهم بطلان عبادتها بالبرهان القاطع، وأعلن أنه لا يعبأ بها ولا يحافها فكانت له الحجة عليهم، توفي ﷺ في الأرض المقدسة في فلسطين في الخليل، لكن لا يعلم مكان قبره فيها.

﴿مُصَلَّى﴾: مكاناً للصلاة.

﴿وَعَهْدَنَا﴾: أوصينا وصية مؤكدة.

﴿وإسماعيل﴾: هو: ابن إبراهيم الخليل، ولد له من سريته هاجر على كبر، فلما بلغ معه السعي أمره الله تعالى بذبحه ابتلاءً وامتحاناً فقال له: ﴿بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ﴾ فقال له إسماعيل: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، فكان نعم العون لأبيه على تنفيذ أمر الله تعالى ولو كان في ذلك مفارقة الحياة، فلما أسلم الأب وابنه لله -عز وجل- وتلَّهُ على جبينه ليذبحه فرج الله عنهما بنسخ تنفيذ الذبح وإثبات ثوابه وفداء الولد بذبح عظيم.

أسكنه أبوه إبراهيم مع أمه مكة منذ صغره، وكانت قفراً ليس فيها ساكن حتى قبض الله تعالى لهما قبيلة جرهم من أهل اليمن فسكنوا عندهما، وتزوج

إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ فَاتَاهُ أَوْلَادٌ تَفَرَّعَتْ مِنْهُمْ قِبَائِلُ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْرَبَةِ الَّذِينَ فِيهِمْ خَاتَمُ
الْأَنْبِيَاءِ وَأَفْضَلُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، شَارَكَ إِسْمَاعِيلُ أَبَاهُ فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فَجَعَلَا يَرْفَعَانِ
الْقَوَاعِدَ وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿أَنْ﴾ : مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ.

﴿أَنْ طَهَّرَا﴾ : نَزَّهَا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالشَّرِكِ.

﴿بَيْتِي﴾ : أَي: الْكَعْبَةَ وَأَضَافَهَا اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ لِلتَّشْرِيفِ، وَلَائِذَا حُلَّ عِبَادَتِهِ.

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ : لِلدَّائِرِينَ عَلَيْهِ مُتَرَدِّدِينَ تَعْبُدًا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَاللَّامُ لِلتَّلْغِيلِ.

﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ : الْمَاكِثِينَ فِيهِ لَطَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ : أَي: الْمُصَلِّينَ.

ب - الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ هَذَا الْبَيْتِ، حَيْثُ جَعَلَهُ
مَثَابَةً لِلنَّاسِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ كُلَّمَا انْتَهَوْا مِنْ نُسُكٍ عَادُوا فِي نُسُكٍ آخَرَ، وَجَعَلَهُ أَمْنًا
لِلنَّاسِ يَأْمَنُونَ فِيهِ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، ثُمَّ يَأْمُرُ تَعَالَى النَّاسَ أَنْ يَجْعَلُوا عِنْدَ مَقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مَكَانًا لِلصَّلَاةِ، وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ تَقَدَّمَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ
فَرَّغَ مِنْ طَوَافِهِ فَقَرَأَ ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقَامِ،
ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَوْصَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ أَنْ يُنَزَّهَا الْبَيْتَ مِنَ الشَّرِكِ
وَالْأَقْدَارِ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالْمُصَلِّينَ، وَإِنَّا قَدَّمْنَا الطَّائِفِينَ لِأَنَّ الطَّوَافَ خَاصٌّ
بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، ثُمَّ الْعَاكِفِينَ لِأَنَّ الْعِتْكَافَ خَاصٌّ بِالْمَسَاجِدِ، وَأَخَّرَ الْمُصَلِّينَ لِأَنَّ
الصَّلَاةَ لَا تَخْتَصُّ بِمَكَانٍ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِجَعْلِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا.
- ٢- أَنْ مِنْ دَخَلَ الْحَرَمَ فَهُوَ آمِنٌ.
- ٣- مَشْرُوعِيَّةُ الصَّلَاةِ عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَدْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ أَنَّ ذَلِكَ خَلْفَهُ بَعْدَ الطَّوَافِ^(١).
- ٤- عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِبَيْتِهِ حَيْثُ عَاهَدَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ بِتَطْهِيرِهِ.
- ٥- وَجُوبُ تَطْهِيرِ الْبَيْتِ مِنَ الشُّرْكِ وَالْأَقْدَارِ.
- ٦- وَجُوبُ طَهَارَةِ مَكَانِ الطَّائِفِ وَالْمُعْتَكِفِ وَالْمُصَلِّيِّ.
- ٧- أَنَّ مَحَلَّ الْأَعْتِكَافِ الْمَسَاجِدُ، وَهَذَا مَحَلُّ الْأَسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمِّنُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾، رقم (٣٩٦)، ومسلم: كتاب الحج، باب ما يلزم من أحرم بالحج ثم قدم مكة، رقم (١٢٣٤).

الآية الثانية:

١٩٤ - ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

تفسير الآية رقم ١٩٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ﴾: لا تلامسوهن، أي: النساء بجماع أو تقييل أو نحوه.
 ﴿عَاكِفُونَ﴾: ماكثون للعبادة.

﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾: أماكن الصلاة المعدة لها، وجملة ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ في موضع نصب على الحال من الواو في ﴿تُبَشِّرُوهُنَّ﴾، و﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ متعلق بـ ﴿عَاكِفُونَ﴾.

﴿تِلْكَ﴾: أي: ما سبق من أحكام الصوم والاعتكاف.

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: موانعه التي منعتكم منها.

﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾: فلا تدنوا منها.

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: مثل ذلك البيان.

﴿يُبَيِّنُ﴾: يوضح بالتفصيل.

﴿آيَاتِهِ﴾: علاماته الدالة عليه من تشريع أو تكوين.

﴿يَتَّقُونَ﴾: يفعلون ما يقيهم من عذاب الله تعالى.

ب- المعنى الإجمالي:

يَنْهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَةَ الْعَاكِفِينَ فِي الْمَسَاجِدِ أَنْ يُبَاشِرُوا النِّسَاءَ بِجَمَاعٍ أَوْ تَقْبِيلٍ أَوْ نَحْوِهِ مِنَ الْمَلَامَسَةِ، وَذَلِكَ لِأَتَمِّمْ مُنْقَطِعُونَ لِعِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى فِي بُيُوتِهِ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْمُبَاشَرَةِ تَحْوُلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْقِطَاعِ، ثُمَّ يُبَيِّنُ تَعَالَى أَنْ مَا سَبَقَ مِنْ الْأَحْكَامِ حُدُودٌ وَمَوَانِعُ شَرَعَهَا اللهُ تَعَالَى لِتَمْنَعَ مِنْ وَقُوعِ النَّاسِ فِي الْإِثْمِ وَنَهَى عَنْ قُرْبَانِهَا، لِأَنَّ الْقُرْبَ مِنْهَا ذَرِيعَةٌ لِلْوُقُوعِ فِيهَا كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ- أَنْ مِثْلَ هَذَا الْبَيَانِ هُوَ دَأْبُ اللهِ تَعَالَى فِي آيَاتِهِ يُوضِّحُهَا لِلنَّاسِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ، لِأَجْلِ أَنْ تَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ فَيَفْعَلُوا مَا يَقِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- تَحْرِيمُ مُبَاشَرَةِ النِّسَاءِ لَشَهْوَةٍ عَلَى الْمُعْتَكِفِ.
- ٢- أَنْ مَحَلَّ الْأَعْتِكَافِ الْمَسَاجِدُ فَلَا يَصِحُّ فِي غَيْرِهَا، وَهَاتَانِ الْفَائِدَتَانِ مَحَلُّ الْإِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٣- أَنْ نَوَاهِي اللهِ تَعَالَى حُدُودٌ تَحْجِزُ النَّاسَ عَنِ الْوُقُوعِ فِيهَا يَضُرُّهُمْ.
- ٤- تَحْرِيمُ الْوَسَائِلِ الْمَوْصَلَةِ إِلَى الْمَحْرَمَاتِ.
- ٥- كَمَا لِبَيَانِ اللهِ تَعَالَى آيَاتِهِ لِلنَّاسِ سِوَاءٍ كَانَتْ شَرْعِيَةً أَمْ كُونِيَّةً.
- ٦- قِيَامُ الْحُجَّةِ عَلَى النَّاسِ بِبَيَانِ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي تُوجِبُ التَّقْوَى.

مِن آيَاتِ الْحَجِّ

النَّوْعُ الْأَوَّلُ

الآيَةُ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ:

١٩٥-١٩٦- ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَقَّامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

مِن آيَاتِ الْحَجِّ

الْحَجُّ فِي اللَّغَةِ: الْقَصْدُ.

وفي الشَّرْع: قَصْدُ مَكَّةَ لِأَدَاءِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ.

والْحَجُّ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ فَرَضَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْكَارُ فَرَضِيَّتِهِ كُفْرٌ، فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَلَمْ يُحَجَّ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا لِأَسْتِغَالِهِ بِتَلْقَى الْوَافِدِينَ عَلَيْهِ مِمَّنْ أَسْلَمُوا وَقَدِمُوا عَلَيْهِ لِإِعْلَانِ إِسْلَامِهِمُ وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، وَلِأَنَّ بَعْضَ الْمُشْرِكِينَ حَجَّ ذَلِكَ الْعَامَ فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ أَنْ يَكُونَ حَجُّهُ فِي عَامِ طَهَّرَ اللَّهُ فِيهِ الْبَيْتَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَدْ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَهُوَ أَمِيرُ الْحَجِّ سَنَةَ تَسْعَ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ يُنَادِي بِمَنْى: «أَنْ لَا يُحَجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ»^(١).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب ما يستر من العورة، رقم (٣٦٩)، ومسلم: كتاب الحج،

وَأَمَّا تَأَخَّرَ فَرَضُ الْحَجِّ إِلَى السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِأَنَّ مَكَةَ كَانَتْ تَحْتَ وَلايَةِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى فَتَحَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ، فَلَمَّا خَلَصَتْ لِلْمُسْلِمِينَ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْحَجَّ إِلَيْهَا، هَذَا مَا ظَهَرَ لِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالْحَجُّ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ دِينِيَّةٌ واجتماعية ومادية، فإن الحج عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ يتحمل فيها الْحَاجُّ نَفَقَاتٍ مَالِيَّةً وَأَتْعَابًا بَدْنِيَّةً وَأَلَمَ فِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَصْحَابِ وَالْوَطَنِ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهِ تَعَالَى وَالِدَارِ الْآخِرَةِ، وَيَكْتَسِبُ الْحَاجُّ بِحَجِّهِ الْاِعْتِيَادُ عَلَى الْكَرَمِ وَبَذْلِ النَّفْسِ وَالنَّفِيسِ فِيمَا يَرْجُو عُقْبَاهُ الْحَمِيدَةَ، وَيَكْتَسِبُ الْاِتِّصَالَ بِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ فَيُرْشِدُهُمْ وَيَسْتَرِشِدُ بِهِمْ، وَيَكْتَسِبُ مَنْ يَحْتَرِفُ التَّجَارَةَ مَا يَكْتَسِبُ فِي تِجَارَةٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي عَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨].

النَّوعُ الْأَوَّلُ: أَي: مِنْ آيَاتِ الْحَجِّ، وَمَوْضُوعُهُ: فَرَضُ الْحَجِّ وَعَلَى مَنْ يَجِبُ.

تفسير الآيتين رقم ١٩٥ - ١٩٦:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿أَوَّلَ﴾: أَقْدَمَ.

﴿بَيْتٍ﴾: أَي: بِنَاءٌ يُؤْوِي إِلَيْهِ لِلْعِبَادَةِ.

﴿وُضِعَ﴾: جُعِلَ.

﴿لِلنَّاسِ﴾: أَي: لِيَتَعَبَّدَ النَّاسُ فِيهِ وَحَوْلَهُ.

﴿لَلَّذِي بِيَكَّةَ﴾ : وَهُوَ الْكَعْبَةُ وَاللَّامُ لِلتَّوَكِيدِ. وَبَكَّةُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ مَكَّةَ مِنْ الْبَكِّ وَهُوَ مِنَ الْإِزْدِحَامِ وَالتَّجْمُعِ، لِأَنَّ النَّاسَ يَزْدَحِمُونَ فِيهَا وَيَجْتَمِعُونَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

﴿مُبَارَكًا﴾ : مَوْضُوعًا فِيهِ الْبَرَكَةُ، وَهِيَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ.

﴿وَهَدَى﴾ : أَي: مَوْضِعُ دَلَالَةٍ وَرُشْدٍ.

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ : أَي: النَّاسِ.

﴿ءَايَاتُ﴾ : عَلَامَاتٌ عَلَى قَدَمِهِ وَفَضْلِهِ.

﴿بَيْنَتُ﴾ : ظَاهِرَاتٌ وَاضِحَاتٌ.

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ : مَكَانُ قِيَامِهِ. وَهُوَ بِالرَّفْعِ بَدَلٌ مِنْ ﴿ءَايَاتُ﴾، أَوْ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ

الْحَبْرِ وَالتَّقْدِيرُ: مِنْهَا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَسَبَقَ ذِكْرُ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ رَقْمَ (١٩٣).

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ : أَي: الْبَيْتِ. وَهِيَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ فَتَكُونُ مِنْ

الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ.

﴿ءَامِنًا﴾ : مُسْتَقِرًّا وَمُطْمَئِنًّا مِنَ الْخَوْفِ.

﴿وَلِلَّهِ﴾ : اللَّامُ لِلتَّسْتِحْقَاقِ، وَاللَّهُ: اسْمٌ مُخْتَصٌّ بِالْخَالِقِ، وَمَعْنَاهُ: الْمَالُوءُ،

أَي: الْمَعْبُودُ حُبًّا وَتَعْظِيمًا.

﴿عَلَى النَّاسِ﴾ : عَلَى لِلْوَجُوبِ، وَالنَّاسُ: بَنُو آدَمَ.

﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾ : قَصْدُ الْكَعْبَةِ لِأَدَاءِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ.

﴿مَنْ أَسْطَاعَ﴾ : مِنْ أَطَاقٍ، وَهُوَ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بَدَلٌ مِنْ ﴿النَّاسِ﴾.

﴿سَبِيلًا﴾: طريقًا يَصِلُ بِهِ إِلَيْهِ.

﴿كَفَرًا﴾: أَنْكَرَ وَجُوبَ حُجَّةٍ فَلَمْ يَلْتَزِمْ بِهِ.

﴿غَنِيًّا﴾: كَثِيرُ الْخَيْرِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ.

﴿الْعَالَمِينَ﴾: جَمِيعِ الْخَلْقِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى مُتَوَهِّجًا بِفَضْلِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِأَنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وَضَعَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ لِعِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى وَوَضَعَ فِيهِ الْبَرَكَةَ وَالهُدَى لِلنَّاسِ، وَأَنَّ فِيهِ عِلَامَاتٍ وَاضِحَةً عَلَى قَدَمِهِ وَفَضْلِهِ، وَمَنْ بَيَّنَّ تِلْكَ الْعِلَامَاتِ: مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ هُنَا إِمَّا الصَّخْرَةُ الَّتِي قَامَ عَلَيْهَا لِبِنَاءِ الْبَيْتِ حِينَ ارْتَفَعَ، أَوْ مَكَانُ قِيَامِهِ فِي الْمَشَاعِرِ كُلِّهَا حَيْثُ لَمْ تَزَلْ تِلْكَ الْمَقَامَاتُ بَاقِيَةً حَتَّى الْآنَ، وَمَنْ بَيْنَهَا أَيْضًا: أَمَّنْ دَاخِلِهِ حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لَيَرَى قَاتِلَ أَبِيهِ فِي الْحَرَمِ فَمَا يَقْتُلُهُ؛ وَلَمَّا أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْبَيْتِ بِذَلِكَ الشَّنَاءِ بَيْنَ وَجُوبِ حُجَّتِهِ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ يُطِيقُونَ الْوَصُولَ إِلَيْهِ فَمَنْ التَزَمَ بِذَلِكَ وَانْقَادَ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ، وَمَنْ كَفَرَ فَلَمْ يَلْتَزِمْ بِهِ وَلَمْ يَنْقُدْ فَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، فَإِنَّ اللهُ غَنِيٌّ عَنِ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلَا إِلَى غَيْرِهِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتَيْنِ:

- ١- فَضْلُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.
- ٢- أَنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وَضَعَهُ اللهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ لِعِبَادَةِ اللهِ.
- ٣- أَنَّهُ مُبَارَكٌ، وَمِنْ بَرَكَتِهِ مُضَاعَفَةُ الْأَجْرِ فِيهِ.

- ٤- أَنَّهُ مَوْضِعُ هُدًى لِلْعَالَمِينَ، لِأَنَّهُ قَبِلَتْهُمْ وَمَهَبْتُ الْوَحْيَ إِلَيْهِمْ وَحَلَّ شَعَائِرِهِمْ.
- ٥- وَضُوحُ الْآيَاتِ عَلَى قَدَمِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفَضْلِهِ.
- ٦- أَنَّ مِنْهَا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَأَمَّنْ دَاخِلِهِ.
- ٧- تَأْمِينُ مَنْ دَخَلَ إِلَى الْحَرَمِ، وَأَمَا مَنْ جَنَى فِيهِ فَيُعَاقَبُ بِمُقْتَضَى جُنَايَتِهِ.
- ٨- وَجُوبُ حَجِّ الْبَيْتِ عَلَى مَنْ قَدَرَ عَلَى الْوَصُولِ إِلَيْهِ.
- ٩- وَجُوبُ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِ.
- ١٠- أَنَّ تَرْكَ الْحَجِّ يَمْنٌ يَجِبُ عَلَيْهِ كُفْرٌ، فَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا لَوْجُوبِهِ فَهُوَ كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَإِلَّا فَهُوَ كُفْرٌ أَصْغَرُ، وَهَذِهِ الْفَوَائِدُ الثَّلَاثُ^(١) مَحَلُّ الْاِسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.
- ١١- أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- لَمْ يُوجِبْ الْعِبَادَاتِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهَا وَلَكِنْ لِحَاجَةِ النَّاسِ.
- ١٢- كَمَا لَغْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ.

الآية الثالثة:

١٩٧- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

تفسير الآية رقم ١٩٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾: سبق تفسيرها في الآية رقم (٢).

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر.

﴿الْمُشْرِكُونَ﴾: المتخذون شريكاً مع الله تعالى.

﴿نَجَسٌ﴾: قدر لسوء عقيدتهم، فالنجاسة معنوية.

﴿فَلَا يَقْرَبُوا﴾: فلا يدنووا، والفاء للتفريع^(١)، ولا ناهية، والمراد: نهى المؤمنين

عن تمكينهم من القرب منه.

﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾: أي: الكعبة، سُميت مسجداً للصلاة حولها. والحرام:

ذو الحرمة التي لا يحل انتهاكها.

﴿عَامِهِمْ هَذَا﴾: أي: عام تسع من الهجرة.

﴿عَيْلَةً﴾: فقراً.

(١) التفريع: أن يكون ما بعد الفاء مفرعاً على ما قبلها، إما لكون العلاقة بينهما السببية أو غير ذلك، والتفريع هنا أن يقال: فبناء على أنهم نجس لا يقربوا المسجد الحرام. [المؤلف]

﴿يَعْنِيكُمْ﴾: يُوسَّعُ عَلَيْكُمْ الْخَيْرَ.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: مِنْ تَفَضُّلِهِ أَوْ مِنْ عَطَائِهِ.

﴿إِنْ شَاءَ﴾: إِنْ أَرَادَ.

﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهُمَا فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٨٥).

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْوَصْفِ اللَّازِمِ لِلْمُشْرِكِينَ حَالَ شُرُكِهِمْ أَنَّهُمْ نَجَسٌ قَدَرٌ يَجِبُ أَنْ يُنَزَّهُ بَيْتُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ دُنُوهِمْ مِنْهُ بَعْدَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، حَيْثُ لَمْ يَزَلْ فِيهَا مِنْ يَحُجُّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَمَّا كَانَ الْمَوْسِمُ يَزْدَادُ نَشَاطًا فِي التَّجَارَةِ مَعَ وُجُودِ الْمُشْرِكِينَ، وَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُخْلَفَ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ فَيُعْنِيهِمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَقَدْ أَنْجَزَ وَعْدَهُ -سُبْحَانَهُ- فَأَغْنَاهُمْ بِالْفَتْوحَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالسُّلْطَانَ الْقَوِي، وَإِنَّمَا قَيَّدَ -سُبْحَانَهُ- وَعْدَهُ بِمَشِيئَتِهِ لِئَلَّا يَتَّكِلُوا فَلَا يَقُومُوا بِفِعْلِ أَسْبَابِ الْإِغْنَاءِ الْمَذْكُورِ، ثُمَّ خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ بِأَسْمَيْنِ كَرِيمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى هُمَا (عَلِيمٌ حَكِيمٌ) لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ مَا سَبَقَ صَادِرٌ عَنْ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ فَيُطْمِئِنُّ الْعَبْدُ وَلَا يَبْقَى فِي ذَهْنِهِ مَكَانٌ لِلتَّسَاوُلِ وَالتَّشْكِيكِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

١- أَنَّ الْكَافِرَ نَجَسٌ لِحُبِّ عَقِيدَتِهِ فَنَجَّاسَتُهُ مَعْنَوِيَّةٌ لَا حَسِيَّةٌ.

٢- وَجُوبُ حِمَايَةِ الْحَرَمِ كُلِّهِ، وَهُوَ مَا كَانَ دَاخِلَ الْأَمْيَالِ مِنْ دُخُولِ الْكُفَّارِ

إِلَيْهِ.

- ٣- أَنَّ الْحَجَّ لَا يَصِحُّ مِنَ الْكَافِرِ لِأَنَّهُ نَجِسٌ لَا يُمَكِّنُهُ قَرِيبَانِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْأُسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٤- أَنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ.
- ٥- أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُرَاعِيَ الْأُمُورَ الْأَقْتِصَادِيَّةَ عَلَى حَسَابِ الشَّرْعِ.
- ٦- إِبْتِاطُ الْعَلِيمِ وَالْحَكِيمِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنْ صِفَاتٍ.

الآية الرابعة إلى السابعة:

١٩٨-٢٠١- ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا
 وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٣٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ
 يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٣٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ
 وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكُلُوا
 مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٣٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ
 وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿﴾ [الحج: ٢٦-٢٩].

تفسير الآيات رقم ١٩٨ - ٢٠١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَإِذْ﴾: مفعول به لعامل محذوف، والتقدير: اذكر إذ.

﴿بَوَّأْنَا﴾: هيئناه ليكون مباءة، أي: مستقرًا يئوئ إليه.

﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾: سبق ذكره.

﴿مَكَاتِ﴾: موضع.

﴿الْبَيْتِ﴾: أي: الكعبة.

﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ﴾: أن لا تجعل معي شريكًا، وأن مصدرية على تقدير على،

أي: على أن لا تشرك بي.

﴿وَطَهِّرْ﴾: نزه من الأقدار والشرك.

﴿بَيْتِي﴾ ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: سبقت في الآية (١٩٣).

﴿وَأَلْقَايَمِينَ﴾: أي: الواقفين في الصلاة.

﴿وَأَذْنَ﴾: أعلم بِنَدَاءٍ، وَالْحَطَابُ لِإِبْرَاهِيمَ.

﴿يَا الْحَجَّ﴾: أي: بأن يَحْجُوا، أَوْ بِلِزُومِ الْحَجِّ.

﴿يَأْتُوكَ﴾: أي: الناس.

﴿رِجَالًا﴾: جَمْعُ رَاجِلٍ، أي: مَاشٍ عَلَى رِجْلَيْهِ، وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْحَالِ

مِنَ الْوَاوِ فِي: ﴿يَأْتُوكَ﴾.

﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾: مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿رِجَالًا﴾ أَي: وَيَأْتُوكَ عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ

وَالضَّامِرُ: الْبَعِيرُ الْمَهْزُولُ مِنَ التَّعَبِ.

﴿يَأْنِيكَ﴾: صِفَةٌ لـ ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى.

﴿فَجَّ﴾: طَرِيقٌ وَاسِعٌ، أَوْ مَا كَانَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ.

﴿عَمِيقٍ﴾: بَعِيدٍ.

﴿لِيَشْهَدُوا﴾: لِيَحْضُرُوا، وَاللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿مَنْفَعٍ﴾: مَصَالِحَ دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾: يَذْكُرُوا اللَّهَ بِاسْمِهِ بِالتَّكْبِيرِ وَغَيْرِهِ.

﴿أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾: أَي: مَشْهُورَاتٍ، وَهِيَ: عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ

التَّشْرِيقِ.

﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ﴾: عَلَى مَا أَعْطَاهُمْ، وَعَلَى لِلتَّعْلِيلِ.

﴿بِهَيْمَةَ﴾: هَلْ كُلُّ ذِي رُوحٍ لَيْسَ مِنْ ذَوِي التَّمْيِيزِ.

﴿الْأَنْعَامِ﴾: جَمْعُ نَعَمٍ، وَهِيَ: الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ.

﴿مِنْهَا﴾: أَي: بِهَيْمَةِ الْأَنْعَامِ بَعْدَ ذَبْحِهَا.

﴿الْبَاسِيسِ﴾: شَدِيدِ الْحَاجَةِ.

﴿الْفَقِيرِ﴾: الْمُعْدَمُ مِنَ الْمَالِ.

﴿لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: لِيَنْتَهُوا وَيَتَخَلَّصُوا مِنْهُ بِإِزَالَتِهِ، وَاللَّامُ لِلْأَمْرِ، الْمُرَادُ بِهِ الْإِبَاحَةُ، وَسُكِّنَتْ لَوْقُوعِهَا بَعْدَ ﴿ثُمَّ﴾، وَالتَّفَثُ: الْوَسْخُ الْحَاصِلُ بِطُولِ الْأَظْفَارِ وَوَفْرَةِ الشَّعْرِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ شَعَثِ الْمَحْرَمِ.

﴿وَلِيُوفُوا﴾: وَلِيَتِمُّوا، وَاللَّامُ لِلْأَمْرِ، وَسُكِّنَتْ لَوْقُوعِهَا بَعْدَ وَاوِ الْعَطْفِ.

﴿نُذُورَهُمْ﴾: أَي: أَعْمَالُ حَجِّهِمْ وَسُمِّيَتْ نُذُورًا لِأَنَّ مِنْ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ فَقَدْ

أَلْزَمَ نَفْسَهُ إِتْمَامَهُ.

﴿وَلِيَطُوفُوا﴾: سَبَقَ مَعْنَى الطَّوْفِ فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٩٣).

﴿بِالْبَيْتِ﴾: أَي: الْكَعْبَةِ، وَالْبَاءُ لِلْإِلْصَاقِ^(١).

﴿الْعَتِيقِ﴾: الْقَدِيمُ الْأَشْرَفُ الْمُحَرَّرُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ، حَيْثُ هِيَ لَهُ مَكَانَ الْبَيْتِ لِيَكُونَ لَهُ مُسْتَقَرًّا مَبْنِيًّا عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، مُنْزَّهًا عَنِ الْأَفْذَارِ وَالْأَوْثَانِ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَعَبَّدَ لِلَّهِ فِيهِ بِطَوَافٍ أَوْ قِيَامٍ أَوْ رُكُوعٍ أَوْ سُجُودٍ فِي الصَّلَاةِ،

(١) الْإِلْصَاقُ حَقِيقِيٌّ وَهُوَ: مَبَاشَرَةُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، وَجَارِيٌّ وَهُوَ: تَقْرِيبُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ. [المؤلف]

ثم يبينُ تعالى أنه أمر نبيَّه إبراهيم أن يُعلِّمَ الناسَ بفرضِ الحجِّ ويأمرهمُ به، وحينئذٍ يجدُ القَبُولَ من الناسِ يأتون إليه من كلِّ جِهَةٍ، مُشاةً ورُكبانًا على كلِّ ضامِرٍ ضَمَرَتْ من التَّعبِ للسفر من تلك الفِجَاجِ، يأتون إلى هذا البيتِ ليحْضُرُوا المصالحَ التي كتبها اللهُ لهم مَصَالِحَ الدِّينِ والدُّنْيَا، ويذُكُّرُوا اسمَ اللهُ تعالى بالتَّكْبِيرِ والتَّليَّةِ والتَّسْمِيَةِ وغيرها، شُكْرًا له على ما أعطاهمُ وذلكلهم من بَهيمَةِ الأَنْعَامِ، التي أذنَ لهمُ بِذَبْحِهَا لمَصَالِحِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ بالأكلِ منها، والدِّينِيَّةِ بإطعامِ المُحْتَاجِينَ الفقراءِ، وبعَدَ ذَبْحِ القُرْبَانِ والأكلِ منه والإطعامِ، لِيُنْهَوْا تَفْثَهُمْ، وَيُرْبِلُوا أَوْسَاحَهُمْ الحاصلة لهم بطولِ الأظْفَارِ ووفرةِ الشُّعُورِ حين الإحرامِ، فَيَتَحَلَّلُوا التَّحَلُّلَ الأوَّلِ، ولم يظنوا أنهم بذلك فرَغُوا من أعمالِ الحجِّ، فليُوفُوا نُدُورَهُمْ وليطَوَّفُوا بالبيتِ العتيقِ المُستَحَقِّ للطواف به طواف الإفاضة وطواف الوداع.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

- ١- سَبَقُ تَهْيِئَةِ اللهُ تعالى مكانَ البيتِ لإبراهيم.
- ٢- أن هذا البيتَ مَبْنِيٌّ على توحيدِ اللهُ -عزَّ وجلَّ-، وَمِنْ أَجْلِ ذلكَ وَجَبَ تَطْهِيرُهُ والحجُّ إليه.
- ٣- وجوبُ تَطْهِيرِ البيتِ من الشُّرْكِ والأفْذَارِ.
- ٤- وجوبُ طَهَارَةِ مَكَانِ الطَّائِفِ والمُصَلِّيِّ.
- ٥- وجوبُ إعلامِ الناسِ بِفَرِيضَةِ الحجِّ ودعوتهم له.
- ٦- جَوَازُ الحجِّ ماشيًا وراكبًا.
- ٧- أن الحِكْمَةَ مِنْ فَرَضِ الحجِّ ما يَشْتَمِلُ عليه من المصالحِ وذكر اللهُ تعالى.

- ٨- مَشْرُوعِيَّةُ الْأَكْلِ وَإِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ مِنَ الْهَدْيِ.
- ٩- مَشْرُوعِيَّةُ تَقْدِيمِ ذَبْحِ الْهَدْيِ عَلَى التَّحَلُّلِ.
- ١٠- وَجُوبُ الْإِسْتِمْرَارِ فِي أَعْمَالِ الْحَجِّ حَتَّى تَنْتَهِيَ.
- ١١- وَجُوبُ إِتْمَامِ الْحَجِّ عَلَى مَنْ شَرَعَ فِيهِ وَلَوْ تَطَوُّعًا لِأَنَّهُ يُشْبِهُ النَّذْرَ.
- ١٢- مَشْرُوعِيَّةُ تَقْدِيمِ التَّحَلُّلِ عَلَى الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ.
- ١٣- عِنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِالنِّظَافَةِ.
- ١٤- وَجُوبُ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ.
- ١٥- وَجُوبُ الطَّوَافِ بِجَمِيعِ الْبَيْتِ، فَيَطُوفُ مِنْ خَارِجِ الْحِجْرِ، فَلَوْ طَافَ مِنْ دَاخِلِهِ لَمْ يَصَحَّ.
- ١٦- مَشْرُوعِيَّةُ الْقُرْبِ مِنَ الْبَيْتِ حِينَ الطَّوَافِ.
- ١٧- فَضْلُ الْبَيْتِ.
- ١٨- حِكْمَةُ اخْتِصَاصِ الطَّوَافِ بِهِ. (بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ).

الآية الثامنة والتاسعة:

٢٠٢-٢٠٣- ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿﴾ [البقرة: ١٩٥-١٩٦].

تفسير الآيتين رقم ٢٠٢ - ٢٠٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَنْفِقُوا﴾: ابذلوا المال.

﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: سبق تفسيرها في الآية رقم (١٧٧)، والمراد هنا: جهاد أعداء الله تعالى لتكون كلمة الله هي العليا.

﴿تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾: ترموا بها مستسلمين.

﴿التَّهْلُكَةِ﴾: أي: الهلاك الديني أو البدني.

﴿وَأَحْسِنُوا﴾: افعلوا الإحسان في العبادة والمعاملة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: الجملة تعليل للأمر بالإحسان.

﴿وَأَتِمُّوا﴾: أكملوا على الوجه المشروع.

﴿الْحَجَّ﴾: قصد مكة لأداء مناسك الحج.

﴿وَالْعُمْرَةَ﴾: زيارَةُ البيتِ لأداءِ مناسِكَ العُمْرَةِ.

﴿لِلَّهِ﴾: اللّامُ للاختِصاصِ.

﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾: فَإِنْ مُنِعْتُمْ عن إتمامِها، وإنْ شَرَطِيَّةٌ.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾: فَمَا تَيْسَرَ، والفَاءُ رابِطَةٌ لجوابِ الشرطِ، وما مُبْتَدَأُ خَبْرُهُ

مُحذوفٌ، والتَّقْدِيرُ: فَعَلَيْكُمْ ما اسْتَيْسَرَ.

﴿الْهَدْيِ﴾: هُوَ: ما ذُبِحَ مِنَ الأَنْعَامِ تَعْبُدًا لِلَّهِ تَعَالَى بِسَبَبِ إِحْرَامٍ أَوْ حَرَمٍ.

﴿وَلَا تَحْلِقُوا﴾: وَلَا تَزِيلُوا بِالْمُوسِ، وهو مَعْطُوفٌ على قوله: ﴿وَأَتَمُّوا﴾.

﴿رءُ وَسْكُرٌ﴾: شَعْرُ رُؤُوسِكُمْ.

﴿يَبْلُغُ﴾: يَصِلُ.

﴿مَحَلَّهُ﴾: زَمَنُ حُلُولِهِ ومكانه.

﴿أَدَى﴾: شيءٌ يَتَكَرَّهُه.

﴿فَفِدْيَةٌ﴾: أَي: فَعَلَيْهِ فِدْيَةٌ، فهي مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ مُحذوفٌ، والفِدْيَةُ: ما يُدْفَعُ

لِلتَّخْلِصِ من مَكْرُوهٍ.

﴿أَوْ سُكٍّ﴾: ذَبِيحَةٌ مِنَ الأَنْعَامِ، وَأَوْ لِلتَّخْيِيرِ.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾: زَالَ عَنكُمْ الخَوْفُ والحَضْرُ، والجُمْلَةُ شَرَطِيَّةٌ جَوَابُهَا الجُمْلَةُ

الشرطية بعدها.

﴿تَمَنَعَ﴾: تَلَذَّذَ وَاثْتَفَعَ بِتَنَاوُلِ ما مُنِعَ مِنْهُ في الإِحْرَامِ.

﴿بِالْعُمْرَةِ﴾: أي: بسبب العُمْرَةِ حَيْثُ تَحَلَّلَ مِنْهَا.

﴿إِلَى الْحَجِّ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿تَمَنَّعَ﴾.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾: فَمَنْ لَمْ يُدْرِكْ بَعْدَ الطَّلَبِ، وَمَنْ شَرْطِيَّةً.

﴿فَصِيَامٌ﴾: أَي: فَعَلَيْهِ صِيَامٌ، فَهُوَ مُبْتَدَأٌ خَبْرُهُ مَحذُوفٌ، وَجُمَلَتُهُ جَوَابُ الشَّرْطِ.

﴿فِي الْحَجِّ﴾: أَي: فِي أَيَّامِ الْحَجِّ، ابْتَدَأُوهَا مِنَ الْإِحْرَامِ بِالْعُمْرَةِ، وَانْتَهَاؤَهَا

بِأَخْرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.

﴿رَجَعْتُمْ﴾: عُدْتُمْ إِلَى أَهْلِكُمْ.

﴿تِلْكَ﴾: أَي: الثَّلَاثَةُ وَالسَّبْعَةُ.

﴿كَامِلَةٌ﴾: لَيْسَ فِيهَا نَقْصٌ بِسَبَبِ تَفْرِقِهَا.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي: وَجُوبُ الْهَدْيِ، أَوْ بَدَلُهُ بِالتَّمَنَّعِ.

﴿أَهْلُهُ﴾: أَي: مُسْتَوِطِنَةٌ.

﴿حَاضِرِي﴾: سَاكِنِي.

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أَي: الْحَرَمُ، وَهُوَ مَا كَانَ دَاخِلَ الْأَمْيَالِ.

﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٨٧).

﴿وَأَعْلَمُوا﴾: تَيَقَّنُوا، وَالغَرَضُ مِنْهُ بَيَانُ أَهْمِيَّةِ الْعِلْمِ بِهَا ذَكَرَ.

﴿شَدِيدٌ﴾: قَوِيٌّ.

﴿الْعِقَابِ﴾: الْعُقُوبَةُ، وَهِيَ: مُؤَاخَذَةُ الْمُجْرِمِ بِجُرْمِهِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنْ يُنْفِقُوا أَمْوَالَهُمْ فِي طَاعَتِهِ وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ مِنْ جِهَادٍ وَغَيْرِهِ، وَأَنْ لَا يُعَرِّضُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَى الْهَلَاكِ بِالْبُخْلِ عَنِ الْإِنْفَاقِ أَوْ غَيْرِهِ مِمَّا يَكُونُ سَبَبًا لِهَلَاكِهِمُ الدِّينِيِّ أَوْ الْبَدَنِيِّ، ثُمَّ يَعْطِفُ بِالْأَمْرِ بِالْإِحْسَانِ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ مِنْ عِبَادَةٍ وَغَيْرِهَا، وَيُبَيِّنُ التَّيَجَّةَ الْكَبِيرَةَ لِذَلِكَ وَهِيَ: حُبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُحْسِنِينَ.

ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى مَنْ شَرَعَ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ أَنْ يَتَمَّهَهَا، وَأَنْ تَكُونَ نِيَّتُهُ خَالِصَةً لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ مَنَعَهُ مَانِعٌ عَنِ إِمْتَامِهَا مِنْ عَدُوٍّ أَوْ غَيْرِهِ فَلْيَذْبَحْ مَا تيسَّرَ لَهُ مِنَ الْهَدْيِ مِنْ شَاةٍ أَوْ سُبُعٍ بَدَنَةٍ أَوْ سُبُعٍ بَقَرَةٍ، وَنَهَى أَنْ يَخْلُقَ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، وَرَخَّصَ لِمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذَىٌّ مِنْ رَأْسِهِ وَاحْتِجَاجَ لِحْلَقِهِ أَنْ يَحْلِقَهُ وَيَفْدِي عَنْ ذَلِكَ بِصِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ ذَبِيحَةٍ، ثُمَّ أَوْجَبَ عَلَى مَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ أَنْ يَذْبَحَ مَا تيسَّرَ لَهُ مِنَ الْهَدْيِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ أَوْ ثَمَنَهُ فَعَلَيْهِ صِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَأَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَالسَّبْعَةُ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ لَا يُنْقِصُهَا التَّفْرِيقُ أَوْ وَقُوعُ بَعْضِهَا بَعْدَ الْحَجِّ، وَيَبَيِّنُ أَنَّ ذَلِكَ الْحُكْمَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُسْتَوْطِنِي الْحَرَمِ.

ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ بِالْأَمْرِ بِتَقْوَاهُ وَحَذَرَ مِنْ عُقُوبَتِهِ الشَّدِيدَةِ، مُبَيِّنًا أَهْمِيَّةَ هَذَا التَّحْذِيرِ بِأَمْرِنَا بِعِلْمِ ذَلِكَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ:

١- الْأَمْرُ بِبَدْلِ الْمَالِ فِي مَرَضَةِ اللَّهِ، وَهُوَ لِلْوُجُوبِ فِيهَا يَجِبُ، وَلِلنَّذْبِ فِيهَا يُسْتَحَبُّ.

- ٢- تَحْرِيمُ التَّعَرُّضِ لِمَا فِيهِ الْهَلَاكُ الدِّينِيُّ أَوْ الْبَدَنِيُّ.
- ٣- مَشْرُوعِيَّةُ الْإِحْسَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.
- ٤- أَنْ الْإِحْسَانَ مُوَصَّلٌ لِلْعَبْدِ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٥- وَجُوبُ إِتْمَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ لِمَنْ شَرَعَ فِيهِمَا.
- ٦- وَجُوبُ الْإِخْلَاصِ فِي ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى.
- ٧- أَنْ مَنْ مَنَعَهُ مَانِعٌ عَنْ إِتْمَامِهَا وَجَبَ عَلَيْهِ الْهَدْيُ إِنْ تَيَسَّرَ ثُمَّ يَحِلُّ.
- ٨- أَنْ الْمُحْضَرَ إِذَا تَحَلَّلَ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْحَجُّ الَّذِي أُحْضِرَ عَنْهُ وَاجِبًا.
- ٩- تَحْرِيمُ حَلْقِ الْمُحْرِمِ رَأْسَهُ قَبْلَ نَحْرِ الْهَدْيِ فِي وَقْتِهِ وَمَكَانِهِ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى جَوَازِ حَلْقِهِ لِلنُّسْكِ قَبْلَ نَحْرِ الْهَدْيِ.
- ١٠- جَوَازُ حَلْقِ الْمُحْرِمِ رَأْسَهُ لِلْمَرَضِ أَوْ لِلتَّأْدِي بِهِ.
- ١١- أَنْ فِي حَلْقِهِ فِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ عَلَى التَّخْيِيرِ، وَقَدْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ أَنَّ الصِّيَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَنَّ الْإِطْعَامَ ثَلَاثَةَ أَصْوَاعٍ لِكُلِّ مَسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ^(١) وَأَنَّ النُّسْكَ شَاةٌ.
- ١٢- جَوَازُ التَّمَتُّعِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ^(٢).
- ١٣- وَجُوبُ الْهَدْيِ عَلَى الْمُتَمَتِّعِ إِنْ تَيَسَّرَ لَهُ.

(١) المراد الصاع النبوي الذي قدره كيلوان وأربعون جرامًا من البرّ الرزين. [المؤلف]

(٢) التمتع في النُّسْكِ: أَنْ يُحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، وَيَفْرَغَ مِنْهَا فَيَحِلَّ ثُمَّ يُحْرَمُ بِالْحَجِّ فِي عَامِهِ.

- ١٤- وَجُوبُ بَدَلِ الْهَدْيِ عَلَى الْمُتَمَتِّعِ إِذَا لَمْ يَتَيَسَّرْ، وَهُوَ: صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ.
- ١٥- أَنَّ هَذِهِ الْعَشْرَةَ لَا تُنْقَضُ بِتَفْرِيقِهَا.
- ١٦- أَنَّ الْهَدْيَ أَوْ بَدْلَهُ لَا يَجِبُ عَلَى الْمُتَمَتِّعِ إِذَا كَانَ مِنْ سَاكِنِي الْحَرَمِ.
- ١٧- تَيْسِيرُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، حَيْثُ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْهَدْيَ فِي مَحَلِّهِ عِنْدَ التَّيَسَّرِ فَقَطْ .
- ١٨- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- .
- ١٩- تَحْذِيرُ مَنْ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ تَعَالَى بِالْعِقَابِ الشَّدِيدِ.
- ٢٠- وَجُوبُ الْيَقِينِ بِشِدَّةِ عِقَابِ اللَّهِ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ.

النُّوعُ الثَّانِي

الآيَةُ الْأُولَى:

٢٠٤- ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۗ وَتَكْزُودُوا فَإِنَّ حَيْرَ الزَّادِ الْفُقُؤَى ۗ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

النُّوعُ الثَّانِي: أَي: مِنْ آيَاتِ الْحَجِّ، وَمَوْضُوعُهُ: مَحْظُورَاتُ الْإِحْرَامِ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ٢٠٤:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿الْحَجُّ﴾: أَي: وَقْتُ الْحَجِّ.

﴿أَشْهُرٌ﴾: جَمْعُ شَهْرٍ، وَسَبَقَ تَعْرِيفَ الشَّهْرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ رَقْمَ (١٩٠).

﴿مَّعْلُومَةٌ﴾: مَشْهُورَاتٌ بَيْنَ النَّاسِ، وَهِيَ: سُؤَالٌ، وَذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ.

﴿فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾: أَوْجَبَهُ فِيهِنَّ بِأَنْ أُحْرِمَ بِهِ.

﴿فَلَا رَفَثَ﴾: فَلَا إِفْضَاءَ إِلَى النِّسَاءِ بِجَمَاعٍ أَوْ مُبَاشَرَةً لَشَهْوَةٍ.

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: وَلَا خُرُوجَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَلَا جِدَالَ﴾: وَلَا مُخَاصَمَةً.

﴿فِي الْحَجِّ﴾: أَي: فِي حَالِ التَّلَبُّسِ بِالْحَجِّ، وَهُوَ خَيْرٌ لـ (لَا) النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ

فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا﴾: مَا شَرْطِيَّةٌ وَجَوَابُهَا ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾، وَالغَرَضُ مِنْهَا: الْحَثُّ

عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ.

﴿وَتَكَزَّوْذُوا﴾: اِحْمَلُوا مَعَكُمْ زَادًا، وَهُوَ: الطَّعَامُ.

﴿حَيْرَ الزَّادِ﴾: أَفْضَلُهُ وَأَبْقَاهُ.

﴿الْتَقَوَى﴾: أَي: تَقَوَى اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -.

﴿وَأَتَّقُونَ﴾: سَبَقَ مَعْنَى التَّقْوَى فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٨٩).

﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾: يَا أَصْحَابَ الْعُقُولِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ لِلْحَجِّ أَشْهُرًا مَعْلُومَاتٍ هِيَ: سُؤَالُ، وَذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، فَلَيْسَ فِي جَمِيعِ السَّنَةِ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي الْعُمْرَةِ، وَيُحْبِرُ تَعَالَى أَنَّ مِنْ أَحْرَمَ فِيهِنَّ بِالْحَجِّ فَأَلْزَمَهُ نَفْسَهُ بِهِ فَلْيُلْزِمَهَا بِلِوَاظِمِهِ أَيْضًا، فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَفْسُقُ وَلَا يُحَاصِمُ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُخْرِجُ الْحَجَّ عَنِ الْحِكْمَةِ مِنْهُ، وَهِيَ: الْخُشُوعُ لِلَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِغَالَ بِذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ، وَيَحْتُ تَعَالَى عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ مُبَيَّنًا أَنَّ مَا فَعَلَهُ الْعَبْدُ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُهُ وَسَيَجْزِيهِ عَلَيْهِ الْجِزَاءَ الْأَوْفَى، ثُمَّ يَأْمُرُ تَعَالَى بِالتَّزْوُدِ فِي الْحَجِّ لِثَلَا يَحْتَاجُ الْمَرْءُ فِيكَوْنُ كَلًّا عَلَى النَّاسِ وَعِبْنًا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يُوَكِّدُ تَعَالَى بِأَنَّ زَادَ الْآخِرَةِ وَهُوَ التَّقْوَى خَيْرٌ مِنْ زَادِ الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ تَسْتَقِيمُ بِهِ أُمُورُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَحْتَمُّ الْآيَةَ بِالْأَمْرِ بِتَقْوَاهُ مُوجِّهًا ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِ الْعُقُولِ، لِأَنَّهُمْ أَجْدَرُ بِالْخُطَابِ وَأُخْرَى بِالْإِجَابَةِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- أَنْ الْحَجَّ مُوقَّتٌ بِأَشْهُرٍ مَعْلُومَاتٍ لَا يَصِحُّ فِعْلُهُ فِي غَيْرِهَا.
- ٢- أَنْ الْإِحْرَامَ بِالْحَجِّ التِّزَامُ بِهِ، فَلَا يَتَحَلَّلُ مِنْهُ بَدُونِ سَبَبٍ شَرْعِيٍّ، سِوَا مَا كَانَ فَرَضًا أَوْ نَفْلًا.
- ٣- تَحْرِيمُ الْجَمَاعِ وَالْمُبَاشَرَةَ لَشَهْوَةٍ فِي الْإِحْرَامِ، وَجَاءَ فِي السُّنَّةِ النَّهْيُ عَنِ الْخُطْبَةِ وَعَقْدِ النِّكَاحِ أَيْضًا.
- ٤- تَحْرِيمُ الْفُسُوقِ حَالَ الْإِحْرَامِ، وَهُوَ تَحْرِيمٌ خَاصٌّ أَخْصَّ مِنَ التَّحْرِيمِ الْعَامِ.
- ٥- تَحْرِيمُ الْجِدَالِ حَالَ الْإِحْرَامِ، وَيُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ الْجِدَالُ لِلضَّرُورَةِ فِي إِثْبَاتِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ.
- ٦- الْحَثُّ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ حَالَ الْإِحْرَامِ.
- ٧- إِحَاطَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلِيمًا بِكُلِّ شَيْءٍ.
- ٨- وَجُوبُ حَمْلِ الزَّادِ الَّذِي يَسْتَعْنِي بِهِ عَنِ النَّاسِ فِي الْحَجِّ.
- ٩- أَنَّ أَفْضَلَ زَادٍ يَتَزَوَّدُ بِهِ الْإِنْسَانُ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ١٠- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ١١- أَنَّ أَصْحَابَ الْعُقُولِ هُمُ الْمُدْرِكُونَ لِفَائِدَةِ التَّقْوَى، الْجَدِيدُونَ بِتَوْجِيهِ الْأَمْرِ إِلَيْهِمْ بِهَا.

الآية الثانية إلى الرابعة:

٢٠٥-٢٠٧- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ
وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ
ذُو عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِّذَوْقٍ وَبِالْ
أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أَجَلٌ لَّكُمْ
صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿ [المائدة: ٩٤-٩٦].

تفسير الآيات رقم ٢٠٥ - ٢٠٧:

أ- تفسير الكلمات:

- ﴿ءَامَنُوا﴾: سبق تفسيرها في الآية رقم (١٧٤).
- ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾: ليختبرنكم، واللام موطئة للقسم، والنون للتوكيد.
- ﴿الصَّيْدِ﴾: أي: الحيوان البري المأكول وهو محرم في الحرم وحال الإحرام.
- ﴿تَنَالَهُ﴾: تصل إليه.
- ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾: جمع رُمح، وهو نوع من آلة الحرب يُصَادُ به.
- ﴿لِيَعْلَمَ﴾: ليُدْرِكَ بِعِلْمِهِ وقوع ذلك بالفعل، وأما علمه بأنه سيقع فهو سابق على وقوعه.
- ﴿بِالْغَيْبِ﴾: في حال غيبته عن الناس واستتاره عنهم.

﴿اعْتَدَى﴾: تَجَاوَزَ الْحَدَّ بِقَتْلِ الصَّيْدِ.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: أَي: ذَلِكَ الْإِنْذَارِ.

﴿عَذَابٌ﴾: عُقُوبَةٌ وَنَكَالٌ.

﴿الِيمٌ﴾: أَي: مُؤَلِّمٌ بِمَعْنَى مُوجِعٌ.

﴿لَا تَقْتُلُوا﴾: لَا تُتْلَفُوا، وَلَا نَاهِيَةٌ.

﴿وَأَسْمَ حَرْمٌ﴾: أَي: مُحْرِمُونَ أَوْ فِي حَرَمٍ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ ﴿نَقْتُلُوا﴾.

﴿وَمَنْ قَتَلَهُ﴾: مَنْ سَرَطِيَّةً، وَجَوَابُهَا جُمْلَةٌ قَوْلُهُ: ﴿فَجَزَاءٌ...﴾ الْآيَةَ.

﴿مُتَعَمِّدًا﴾: فَاصِدًا قَتَلَهُ، وَهِيَ حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ ﴿قَتَلَهُ﴾.

﴿فَجَزَاءٌ﴾: الْفَاءُ رَابِطَةٌ لْجَوَابِ الشَّرْطِ، وَجَزَاءٌ مُبْتَدَأٌ خَبْرُهُ مَحذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ:

فَعَلِيهِ جَزَاءٌ، وَالْجَزَاءُ: الْمُكَافَأَةُ عَلَى الشَّيْءِ بِمَا يَقُومُ مَقَامَهُ.

﴿مِثْلٌ﴾: شَبَّهُ، وَهُوَ مَرْفُوعٌ صِفَةً لِقَوْلِهِ: ﴿فَجَزَاءٌ﴾.

﴿مِنَ النَّعَمِ﴾: مِنَ الْإِبِلِ أَوْ الْبَقَرِ أَوْ الْغَنَمِ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ صِفَةً ثَانِيَةً

لِقَوْلِهِ: ﴿فَجَزَاءٌ﴾.

﴿يَحْكُمُ﴾: يَقْضِي.

﴿بِهِ﴾: أَي: بِالْمِثْلِ.

﴿ذَوَا﴾: صَاحِبَا.

﴿عَدْلٍ﴾: اسْتِقَامَةٌ وَخَيْرَةٌ.

﴿مِنْكُمْ﴾: أَي: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿هَدِيًّا﴾: حَالٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَجَزَاءٌ﴾، وَهُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَي: مُهْدَى.

﴿بَلِّغَ﴾: وَاصِلٌ.

﴿الْكَعْبَةَ﴾: بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَالْمَرَادُ هُنَا: الْحَرَمُ كُلُّهُ.

﴿أَوْ كَفَّرَةٌ﴾: مَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَجَزَاءٌ﴾ وَأَوْ هُنَا لِلتَّخْيِيرِ، وَالْكَفَّارَةُ: مَا يُفْعَلُ مِنْ صَدَقَةٍ وَنَحْوِهَا تَوْبَةً مِنَ الذَّنْبِ لِسْتِرِهِ.

﴿طَعَامٌ﴾: بَدَلٌ مِنْ كَفَّارَةٍ أَوْ عَطْفٌ بَيَانٍ.

﴿مَسْكِينٍ﴾: فَقَرَاءٌ.

﴿أَوْ عَدَلٌ ذَلِكَ﴾: أَي: مُعَادِلٌ طَعَامِ الْمَسَاكِينِ، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَجَزَاءٌ﴾، وَأَوْ هُنَا لِلتَّخْيِيرِ.

﴿صِيَامًا﴾: تَمَيِّزٌ لِقَوْلِهِ: ﴿عَدَلٌ﴾ أَي: صِيَامًا يَعْدِلُ الطَّعَامَ، فَيَصُومُ عَنْ طَعَامِ كُلِّ مَسْكِينٍ يَوْمًا.

﴿لِيَذُوقَ﴾: اللَّامُ لِلتَّلْعِيلِ وَمُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: وَجَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ لِيَذُوقَ، وَالذُّوقُ: إِذْرَاكُ طَعْمِ الشَّيْءِ.

﴿وَبَالَ﴾: ثَقُلَ وَشِدَّةً.

﴿أَمْرِهِ﴾: حَالِهِ حَيْثُ قَتَلَ الصَّيْدَ مُتَعَمِّدًا وَهُوَ مُحْرَمٌ أَوْ فِي حَرَمٍ.

﴿عَفَا اللَّهُ﴾: تَجَاوَزَ.

﴿سَلَفَ﴾: مَضَى وَسَبَقَ.

﴿عَادَ﴾: رَجَعَ إِلَى قَتْلِ الصَّيْدِ وَهُوَ مُحْرَمٌ أَوْ فِي حَرَمٍ.

﴿فَيَنْقِمُ اللَّهُ﴾: فَيَأْخُذُهُ بِالْعُقُوبَةِ.

﴿عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ لَا يُغْلَبُ لِأَنَّ الْعِزَّةَ صِفَةٌ لَازِمَةٌ لَهُ.

﴿ذُو أَنْقَامٍ﴾: صَاحِبٌ أَخَذَ بِالْعُقُوبَةِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا.

﴿أُحِلَّ﴾: أُبِيحَ، وَالْمُحِلُّ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾: الْمَأْخُودُ مِنْهُ حَيًّا، وَأُضِيفَ لِلْبَحْرِ لِأَنَّهُ لَا يَعِيشُ إِلَّا فِي الْمَاءِ.

﴿وَطَعَامُهُ﴾: الْمَأْخُودُ مِنْهُ مَيْتًا وَنَبَاتَهُ.

﴿مَتَاعًا﴾: أَي: تَمْتِيعًا وَهُوَ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، وَالْمَتَاعُ: مَا تَحْصُلُ بِهِ الْمَتْعَةُ، أَي:

الْمَنْفَعَةُ وَاللَّذَّةُ مِنْ طَعَامٍ وَغَيْرِهِ.

﴿وَاللِّسْيَارَةَ﴾: لِلسَّائِرِينَ، أَي: الْمُسَافِرِينَ.

﴿وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ﴾: حُظِرَ عَلَيْكُمْ، وَالْمَحْظُورُ: الْمَنْعُوعُ.

﴿صَيْدُ الْبَرِّ﴾: حَيَوَانَ الْبَرِّ الْمَأْكُولِ الْمَتَوَحَّشِ طَبْعًا، وَأُضِيفَ إِلَى الْبَرِّ لِأَنَّهُ

لَا يَعِيشُ إِلَّا فِيهِ.

﴿مَا دُمْتُمْ﴾: مُدَّةٌ دَوَامِكُمْ، فَمَا مَصْدَرِيَّةٌ ظَرْفِيَّةٌ.

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٨٧).

﴿تُجْمَعُونَ﴾: تُجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُحَيِّرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ سَيَخْتَبِرُهُمْ حَالَ إِحْرَامِهِمْ بِبَيْعِ الصَّيُودِ إِلَيْهِمْ صِغَارًا يُمَسْكُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ وَكِبَارًا يُمَسْكُونَهَا بِرِمَاحِهِمْ؛ لِيَعْلَمَ بِذَلِكَ مَنْ يَخَافُ اللهُ تَعَالَى فِي حَالِ السَّرِّ وَالْغَيْبَةِ عَنِ النَّاسِ مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ، ثُمَّ يَتَوَعَّدُ تَعَالَى مَنْ اعْتَدَى بَعْدَ هَذَا الْإِنْذَارِ فَاصْطَادَ شَيْئًا بِالْعَذَابِ الْمُؤْلِمِ الشَّدِيدِ. ثُمَّ يُنَادِي اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مَرَّةً أُخْرَى لِيُقَرَّرَ لَهُمْ حُكْمَ قَتْلِ الصَّيْدِ، فَيُنَاهَهُمُ اللهُ تَعَالَى عَنِ قَتْلِ الصَّيْدِ وَهُمْ حُرْمٌ، أَي: دَاخِلُونَ فِي حَرَمٍ أَوْ إِحْرَامٍ، وَيُبَيِّنُ أَنَّ مَنْ قَتَلَهُ مِنْهُمْ فَعَلِيهِ وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ يُحَيِّرُ فِيهَا:

- فَمَا أَنْ يَذْبَحَ مِثْلَهُ مِنَ الْإِبِلِ أَوِ الْبَقَرِ أَوِ الْغَنَمِ، وَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى فُقَرَاءِ الْحَرَمِ، وَيُحْكَمُ بِالْمِثْلِيَّةِ رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَوِي الْأَسْتِقَامَةِ وَالْخَبْرَةِ.
 - وَإِمَّا أَنْ يُكْفَرَ عَنِ ذَلِكَ بِطَعَامٍ بِقَدْرِ قِيمَتِهِ يُفَرِّقُهُ عَلَى مَسَاكِينِ الْحَرَمِ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ مُدٌّ بَرٌّ، أَوْ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ غَيْرِهِ.
 - وَإِمَّا أَنْ يَصُومَ بِقَدْرِ مَا يَعْدِلُ ذَلِكَ الطَّعَامَ عَنْ طَعَامِ كُلِّ مِسْكِينٍ يَوْمًا.
- ثُمَّ يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الْحِكْمَةَ فِي إِجَابِ ذَلِكَ عَلَى قَاتِلِ الصَّيْدِ ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ ﴿فَيَرْتَدِعَ عَنِ ذَلِكَ، وَأَمَّا مَا مَضَى وَسَلَفَ مِنْ قَتْلِ الصَّيْدِ قَبْلَ نُزُولِ الْحُكْمِ بِتَحْرِيمِهِ فَقَدْ عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، لَكِنْ مَنْ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ فَسَوْفَ يَنْتَقِمُ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ لَتَعْدِيهِ عَلَى حُرْمَاتِ اللهِ، وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى تَفْصِيلَ حُكْمِ الصَّيْدِ الْبَرِّيِّ وَالْبَحْرِيِّ فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَحَلَّ لِعِبَادِهِ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ تَحْلِيلًا عَامًّا لِلْمَسَافِرِينَ وَالْمُقِيمِينَ، لِيَتَمَتَّعَ كُلُّ مَنْهُمْ

بما أحلَّ اللهُ تعالى، أما صيد البرِّس فهو حرامٌ على من كانوا حُرماً من المسافِرين والمقيمِين، ويَحْتَمُّ اللهُ تعالى الآيات بالأمرِ بتقواه والتَّحذِيرِ من اليوم الذي يُحْشَرُ فيه الناس إلى ربهم، فيكونُ الحُكْمُ فيهم إليه لا إلى غيره ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- بَيَانُ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى فِيمَا يَبْتَلِي بِهِ عِبَادَهُ مِنْ تَيْسَرِ أَسْبَابِ الْمَعَاصِي عَلَيْهِمْ.
- ٢- وَجُوبُ تَيْقُظِ الْإِنْسَانِ وَحَذَرِهِ حِينَ تَيْسَرُ لَهُ أَسْبَابُ الْمَعَاصِي.
- ٣- أَنَّ الْخَوْفَ الْخَالِصُ لِلَّهِ تَعَالَى مَا كَانَ فِي حَالِ السَّرِّ.
- ٤- تَحْرِيمُ قَتْلِ الْوَيْدِ فِي الْحَرَمِ أَوْ حَالِ الْإِحْرَامِ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ^(١).
- ٥- أَنَّ مَنْ قَتَلَ الْوَيْدَ حِينَئِذٍ مُتَعَمِّدًا فَعَلِيهِ الْجَزَاءُ.
- ٦- أَنَّ الْجَزَاءَ فِيهِ التَّخْيِيرُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:
 - فَإِمَّا أَنْ يَذْبَحَ نَظِيرَهُ مِنَ الْإِبِلِ أَوْ الْبَقَرِ أَوْ الْغَنَمِ فِي الْحَرَمِ، وَيُفَرِّقُهُ فِي فُقَرَائِهِ.
 - وَإِمَّا أَنْ يُقَوِّمَهُ بِطَعَامٍ يُفَرِّقُهُ عَلَى فُقَرَاءِ الْحَرَمِ لِكُلِّ فَقِيرٍ مُدٌّ مِنَ الْبُرِّ.
 - وَإِمَّا أَنْ يَصُومَ عَنِ إِطْعَامِ كُلِّ مَسْكِينٍ يَوْمًا.
- ٧- أَنَّ الْحُكْمَ بِالْمِثْلِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ رَجُلَيْنِ مِنْ ذَوِي الْإِسْتِقَامَةِ وَالْحِبْرَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

(١) مِنَ الْحِكْمَةِ - وَاللهُ أَعْلَمُ - فِي تَحْرِيمِ قَتْلِ الْوَيْدِ فِي الْحَرَمِ: أَنَّ فِيهِ انْتِهَاكَ لِأَمْنِ الْحَرَمِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ آمِنًا. أَمَا تَحْرِيمُ قَتْلِهِ حَالِ الْإِحْرَامِ فَمِنْ الْحِكْمَةِ فِيهِ: أَنَّهُ يُلْهِي الْمَحْرَمَ عَمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَسَاخَلَ بِهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى. [المؤلف]

- ٨- أنه لا جزاء على مَنْ قَتَلَ الصَّيْدَ فِي الْحَرَمِ أَوْ حَالَ الْإِحْرَامِ نَاسِيًا أَوْ جَاهِلًا.
- ٩- أَنْ الْحِكْمَةَ مِنْ إِجْبَابِ الْجَزَاءِ فِي قَتْلِ الصَّيْدِ الرَّذْعُ وَالزَّجْرُ حِينَ يَذُوقُ الْقَاتِلُ وَبَالَ أَمْرِهِ.
- ١٠- سِعَةُ عَفْوِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ١١- الْوَعِيدُ عَلَى مَنْ انْتَهَكَ حُرْمَةَ الصَّيْدِ فِي الْحَرَمِ أَوْ حَالَ الْإِحْرَامِ بِنِقْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ١٢- كَمَالُ عِزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ١٣- شِدَّةُ انْتِقَامِهِ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّهُ.
- ١٤- أَنَّ جَمِيعَ نَبَاتِ الْبَحْرِ وَحَيَوَانِهِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ حَلَالٌ لِلْمُحِلِّينَ وَالْمُحْرِمِينَ.
- ١٥- أَنَّ صَيْدَ الْبَرِّ حَلَالٌ فِي الْحِلِّ لِلْمُحِلِّينَ حَرَامٌ فِي الْحَرَمِ أَوْ حَالَ الْإِحْرَامِ.
- ١٦- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ١٧- أَنَّ مَحْشَرَ الْخَلْقِ جَمِيعِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.
- تَنْبِيْهُ: مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ هِيَ الْفَوَائِدُ التَّالِيَةُ: ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١.

النوع الثالث

الآية الأولى إلى السادسة:

٢٠٨-٢١٣- ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ سَكَكِكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمَنْ الْنَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ * وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ [البقرة: ١٩٨-٢٠٣].

النوع الثالث: أي: من آيات الحج، وموضوعه: صفة الحج والعمرة.

تفسير الآيات رقم ٢٠٨ - ٢١٣:

أ- سبب نزول الآية رقم (٢٠٨):

في صحيح البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كَانَتْ عُكَاظٌ^(١)،

(١) موضع بين نخلة والطائف وراء قرن المنازل بمرحلة. [المؤلف]

وَمَجْنَّةٌ^(١)، وَذُو الْمَجَازِ^(٢)، أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ تَأْتَمُوا^(٣) مِنْ التَّجَارَةِ فِيهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ. قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ^(٤).

هذا وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ سَوْقَ عُكَاظٍ يُقَامُ مِنْ هِلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ إِلَى أَنْ يَمْضِيَ عَشْرُونَ يَوْمًا مِنْهُ، ثُمَّ يُقَامُ سَوْقُ مَجْنَّةٍ إِلَى هِلَالِ ذِي الْحِجَّةِ، ثُمَّ يُقَامُ سَوْقُ ذِي الْمَجَازِ إِلَى الثَّامِنِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، ثُمَّ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى مَنَى لِلْحَجِّ، وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْوَاقَ لَمْ تَزَلْ قَائِمَةً فِي الْإِسْلَامِ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَةً حَيْثُ بَدَأَ النَّاسُ يَتْرُكُونَهَا.

ب- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿جُنَاحٌ﴾: إِثْمٌ.

﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾: أَنْ تَطْلُبُوا، وَأَنْ وَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ، وَالتَّقْدِيرُ: فِي ابْتِغَائِكُمْ.

﴿فَضْلًا﴾: رِزْقًا فِي التَّجَارَةِ وَالْكَرَاءِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ.

﴿أَفْضَلُكُمْ﴾: دَفَعْتُمْ.

﴿عَرَفْتِ﴾: اسْمُ مَكَانِ الْوُقُوفِ فِي الْحَجِّ، وَيُقَالُ: عَرَفْتُ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَرْتَفَاعِهَا عَلَى مَا حَوْلَهَا.

(١) موضع بأسفل مكة على بريد منها. [المؤلف]

(٢) موضع بناحية عرفة على نحو فرسخ منها. [المؤلف]

(٣) خافوا من الوقوع في الإثم. [المؤلف]

(٤) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب الأسواق التي كانت في الجاهلية فتبايع بها الناس في الإسلام، رقم (٢٠٩٨).

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: أي: بِقُلُوبِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالدُّعَاءِ
وَالْعِبَادَةِ وَمِنْهَا: الصَّلَاةُ.

﴿عِنْدَ﴾: قُرْبَ.

﴿الْمَشْعَرِ﴾: مَكَانٌ فِعْلُ الشَّعِيرَةِ وَهِيَ مَا كَانَ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ.

﴿الْحَرَامِ﴾: ذِي الْحُرْمَةِ الَّتِي لَا يَحِلُّ انْتِهَاكُهَا، وَالْمُرَادُ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ: مَكَانٌ
أَوْ جَبِيلٌ فِي مُرْدَلَفَةٍ.

﴿كَمَا هَدَيْنَاكُمْ﴾: كَمَا عَلَّمْنَاكُمْ وَوَفَّقْنَاكُمْ لِلْعَمَلِ، وَالْكَافُ لِلتَّعْلِيلِ،
وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: وَادْكُرُوهُ هِدَايَتِهِ إِيَّاكُمْ، أَي: مِنْ أَجْلِ هِدَايَتِهِ إِيَّاكُمْ.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾: إِنْ مُحَقَّقَةٌ مِنْ إِنْ الثَّقِيلَةَ، وَهِيَ لِلتَّوَكِيدِ.

﴿مَنْ قَبْلِهِ﴾: مِنْ قَبْلِ أَنْ هَدَاكُمْ.

﴿الضَّالِّينَ﴾: التَّائِبِينَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾: ثُمَّ ادْفَعُوا، وَثُمَّ لِلتَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ، وَالْخِطَابُ لِقُرَيْشٍ^(١).

﴿مَنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾: أَي: مِنْ عَرَفَةَ، وَالْمُرَادُ بِالنَّاسِ: مَنْ سِوَى

قُرَيْشٍ.

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا﴾: اظْلُبُوا الْمَغْفِرَةَ، وَهِيَ: سَتْرُ الذَّنْبِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: جُمْلَةٌ تَعْلِيلِيَّةٌ الْغَرَضُ مِنْهَا الْحَثُّ عَلَى طَلْبِ
الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالرَّحْمَةُ: صِفَةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ

(١) وقيل: ثُمَّ لِلتَّرْتِيبِ الْمُعْتَوِيِّ، وَالْخِطَابُ لِجَمِيعِ النَّاسِ، وَالْمُرَادُ: الْإِفَاضَةُ مِنْ مُرْدَلَفَةٍ إِلَى مَنَى. [المؤلف]

تَقْتَضِي الْإِنْعَامَ وَالْإِحْسَانَ.

﴿قَضَيْتُمْ﴾: أَمَّمْتُمْ.

﴿مَنْسِكِكُمْ﴾: أَعْمَالُ حَجِّكُمْ يَوْمَ الْعِيدِ.

﴿كَذَكَرُوا آبَاءَكُمْ﴾: كَمَا تَذَكُرُونَ آبَاءَكُمْ بِالْمَدْحِ وَالشَّانِ فِي هَذِهِ الْمَوَاسِمِ.

﴿أَوْ أَشَدَّ﴾: أَوْ أَعْظَمُ وَأَكْثَرُ، وَأَوْ بِمَعْنَى بَلٍ، وَقِيلَ لِتَحْقِيقِ مَا سَبَقَ، أَي:

إِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ فَلَا يَنْقُصُ عَنْهُ.

﴿فَمِنْ النَّكَاسِ﴾: مِنَ اللَّتَّبَعِيضِ، وَالْمُرَادُ بِالنَّاسِ: الْحُجَّاجُ أَوْ جَمِيعُ النَّاسِ.

﴿مَنْ يَقُولُ﴾: أَي: حِينَ يَدْعُو.

﴿ءَايُنَا﴾: أَعْطَيْنَا، حُذِفَ مَفْعُولُهَا الشَّانِي لِلتَّحْقِيرِ، ﴿وَمَا لَهُ فِي

الْآخِرَةِ...﴾ الخ، أَي: لَيْسَ لَهُ. وَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى صِلَةِ ﴿مَنْ﴾، أَوْ حَالٌ مِنْ

فَاعِلٍ ﴿يَقُولُ﴾.

﴿مِنْ خَلْقِي﴾: مِنْ نَصِيبِي، وَ(مِنْ) زَائِدَةٌ إِعْرَابًا، وَفَائِدَتُهَا: تَأْكِيدُ الْعُمُومِ.

﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: مَا تُحَسِّنُ بِهِ أَحْوَالَهُمْ مِنْ صِحَّةٍ، وَسَلَامَةٍ، وَأَهْلِ،

وَمَالٍ، وَذِكْرٍ حَسَنٍ.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾: مَا تُحَسِّنُ بِهِ أَحْوَالَهُمْ مِنْ تَخْفِيفِ الْأَهْوَالِ، وَتَيْسِيرِ

الْحِسَابِ، وَدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾: اجْعَلْ لَنَا وَقَايَةً مِنْهُ وَمِنْ أَسْبَابِهِ. وَالْعَذَابُ: النَّكَالُ

وَالْعُقُوبَةُ. وَالنَّارُ: الدَّارُ الَّتِي أَعَدَّ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ يُعَذَّبُونَ بِهَا فِي الْآخِرَةِ.

﴿أُولَئِكَ﴾: أي: الذين يسألون حسنة الدنيا والآخرة.

﴿نَصِيبٌ﴾: حفظ، ومنه: نيلهم الحسنيين.

﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: مما عملوا، ومنه: سؤا لهم الحسنيين، ومن للتبويض أو للتعليل، وما مضدرية، والتقدير: من كسبهم.

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: مُنْجِزُهُ بِسُرْعَةٍ، وَالسَّرْعَةُ ضِدُّ الْبُطْءِ، وَالْحِسَابُ: إِحْصَاءُ الْعَمَلِ عَلَى الْعَامِلِينَ.

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾: أي: بِقُلُوبِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالْعِبَادَةِ، وَمِنْهَا: رَمَى الْجَمْرَاتِ.

﴿أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾: مُدْرَكَاتٌ بِالْعَدِّ لِقِلَّتِهِنَّ، وَهِيَ: أَيَّامُ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةِ: الْحَادِي عَشَرَ، وَالثَّانِي عَشَرَ، وَالثَّلَاثَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ.

﴿تَعْجَلْ﴾: بِأَدْرَ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَنَى وَإِنْمَاءِ حَجَّهِ.

﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: فِي جَمَلَتَهُمَا، وَالْمُرَادُ: الثَّانِي مِنْهُمَا، وَهُوَ الثَّانِي عَشَرَ، وَفِي اللَّظْفِ فِيَّةٌ.

﴿فَلَا إِثْمَ﴾: فَلَا ذَنْبَ.

﴿تَأَخَّرَ﴾: بَقِيَ فِي مَنَى إِلَى الْيَوْمِ الثَّلَاثَ عَشَرَ.

﴿لِمَنْ اتَّقَى﴾: أي: اتَّقَى اللَّهَ تَعَالَى بِفِعْلِ وَاجِبَاتِ النُّسُكِ وَتَرَكَ مُحْظُورَاتِهِ، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ خَبْرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: ذَلِكَ - أي: نَفَى الْإِثْمَ عَنِ الْمُتَعَجِّلِ وَالتَّأَخَّرِ - لِمَنْ اتَّقَى.

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي الْآيَةِ (١٨٧).

﴿وَأَعْلَمُوا﴾: تَيَقَّنُوا، وَالغَرَضُ مِنْهُ: بَيَانُ أَهْمِيَّةِ الْعِلْمِ بِمَا ذَكَرَ.
 ﴿إِلَيْهِ﴾: أَي: لَا إِلَى غَيْرِهِ فَتَقْدِيمُهَا عَلَى عَامِلِهَا يُفِيدُ الْحَضَرَ.
 ﴿تُحْشَرُونَ﴾: تُجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ج- المعنى الإجمالي:

كَانَ لِلنَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَسْوَاقٌ يَتَجَرَّوْنَ فِيهَا أَيَّامَ مَوْسِمِ الْحَجِّ، فَلَمَّا جَاءَ
 الْإِسْلَامُ تَحَرَّجَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَتَجَرَّوْا فِيهَا خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ نَقْصٌ فِي
 حَجِّهِمْ وَإِثْمٌ، فَيَبِيْنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ أَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ إِثْمٌ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَطْلُبُونَ
 الْفَضْلَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ثُمَّ أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا دَفَعُوا مِنْ عَرَافَاتٍ بَعْدَ الْوُقُوفِ بِهَا أَنْ يَذْكُرُوهُ
 -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي مُزْدَلِفَةَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، لِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ
 بِالْهُدَايَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ عُمُومًا وَإِلَى شَعَائِرِ الْحَجِّ خُصُوصًا، فَكَانَ -سُبْحَانَهُ- أَهْلًا
 لِأَنْ يُذَكَّرَ وَلَا يُنْسَى عِنْدَ تِلْكَ الْمَشَاعِرِ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَهُمْ قَبْلَ تِلْكَ الْهُدَايَةِ
 وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ لِتَبَيِّنِ لَهُمْ قَدْرَ نِعْمَتِهِ بِهَا فَإِنْ بَضِدَّهَا تَبَيَّنَ الْأَشْيَاءُ.

وَمَا كَانَتْ قَرِيشٌ لَا يَقْفُونَ يَوْمَ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ وَإِنَّمَا يَقْفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَيَقُولُونَ:
 نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ فَلَا نَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ، أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى عَرَفَةَ
 فَيَفِيضُوا مِنْهَا كَمَا يَفِيضُ النَّاسُ غَيْرَهُمْ^(١).

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِاسْتِعْفَارِهِ وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ بَيَانًا أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- غَفُورٌ
 رَحِيمٌ لِيَحْرِصَ الْعِبَادُ عَلَى طَلْبِ الْمَغْفَرَةِ وَالرَّحْمَةِ مِنْهُ.

(١) راجع التعليق على هذا في تفسير الكلمات. [المؤلف]

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَاجَّ بَعْدَ إِتْمَامِ نُسْكِهِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْتَعْظِيمِ
وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ مِثْلَمَا يَذْكُرُ أَبَاهُ أَوْ أَشَدَّ.

وبعد ذَا قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا،
فَيَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُؤْتِيَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْهَا
وَلَمْ يَسْأَلْهَا، وَقِسْمٌ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، وَيَسْعَى لَهَا سَعْيَهَا، وَيَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُؤْتِيَهُ
حَسَنَةَ الدُّنْيَا وَحَسَنَةَ الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَقِيَهُ عَذَابَ النَّارِ، وَهَذَا الْقِسْمُ هُوَ الَّذِي أَدْرَكَ
النَّصِيبِينَ وَفَازَ بِالْحَسَنَتَيْنِ وَنَجَا مِنَ النَّارِ.

ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ بَيَانِ أَنَّهُ تَعَالَى سَرِيعُ الْحِسَابِ، وَذَلِكَ لِقُرْبِ الْآخِرَةِ مِنَ
الدُّنْيَا، فَمَا أَسْرَعَ الْحِسَابِ وَأَقْرَبُهُ مِنَ الْغَافِلِينَ عَنْهُ، وَلِكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَتَنْجِيزِهِ حِسَابَ
عِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَا يَمْضِي نِصْفُ الْيَوْمِ إِلَّا وَقَدْ حَاسَبَ الْخَلَائِقَ وَعَرَفَ كُلُّ
مَنْزِلَتُهُ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ فِي الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا إِثْمَ عَلَى مَنْ تَعَجَّلَ
فَاقْتَصَرَ عَلَى الْيَوْمِينِ الْأُولَيْنِ، وَلَا عَلَى مَنْ تَأَخَّرَ فِي مَنْى إِلَى الْيَوْمِ الثَّلَاثِ فَأَكْمَلَ
الْأَيَّامَ الثَّلَاثَةَ، لَكِنَّ انْتِفَاءَ ذَلِكَ الْإِثْمِ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ تَعَالَى أَمَّا مَنْ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ تَعَالَى
فَعَلِيهِ مِنَ الْإِثْمِ بِقَدْرِ خُرُوجِهِ عَنِ التَّقْوَى .

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَقْوَاهُ مُشِيرًا إِلَى أَنَّ الرَّجُوعَ إِلَيْهِ وَحَدَهُ فَيُجَازِي كُلَّ
عَامِلٍ بِمَا عَمِلَ ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧]، ﴿فَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

د- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- جَوَازُ التَّجَارِ الْحَاجِّ أَيَّامَ حَجِّهِ.
- ٢- وَجُوبُ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ فِي وَقْتِهِ عَلَى الْحُجَّاجِ.
- ٣- أَنَّ الْوُقُوفَ فِيهَا وَاجِبٌ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْحُجَّاجِ.
- ٤- وَجُوبُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْحَاجِّ فِي مُزْدَلِفَةَ بَعْدَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، وَقَدْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ تَفْصِيلَ ذَلِكَ.
- ٥- أَنَّ الذِّكْرَ فِي مُزْدَلِفَةَ لَا يَصِحُّ قَبْلَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ.
- ٦- أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِهِ.
- ٧- أَنَّ الْهِدَايَةَ مِنْ أَكْبَرِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا أَنْ يُذَكَرَ وَيُشْكَرَ.
- ٨- بَيَانُ قَدْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْهِدَايَةِ بِذِكْرِ حَالِ الْعَبْدِ قَبْلَهَا.
- ٩- وَجُوبُ اسْتِغْفَارِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ١٠- إِثْبَاتُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى هُمَا: (الْغُفُورُ، الرَّحِيمُ)، وَمَا تَصَمَّنَاهُ مِنْ صِفَتِي الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.
- ١١- الْحُثُّ عَلَى الْاسْتِغْفَارِ وَطَلَبِ الرَّحْمَةِ.
- ١٢- مَشْرُوعِيَّةُ كَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ إِتْمَامِ الْحَجِّ.
- ١٣- أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَنْقَطِعُ طَلْبُهُ مِنَ الْعَبْدِ بِفَرَاغِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ.
- ١٤- أَنَّ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُ مِنْ حُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَكُلِّ خَلْقٍ.

١٥- انْقِسَامُ النَّاسِ إِلَى مُرِيدٍ لِلدُّنْيَا نَسِيٍّ نَصِيبُهُ مِنَ الْآخِرَةِ، وَإِلَى مُرِيدٍ لِلْآخِرَةِ لَمْ يَنْسَ نَصِيبَهُ مِنَ الدُّنْيَا، فَلِأَوَّلٍ يَقُولُ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ. وَالثَّانِي يَقُولُ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

١٦- أَنْ الْغَانِمَ مِنْ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ الْقِسْمِ الثَّانِي.

١٧- إِبْتِاطٌ مُحَاسِبَةِ الْعِبَادِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

١٨- أَنَّ هَذَا الْحِسَابَ سَرِيعٌ لِسُرْعَةِ زَوَالِ الدُّنْيَا، وَسَرِيعٌ لِيُسْرِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ - سُبْحَانَهُ -.

١٩- مَشْرُوعِيَّةُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَمِنْهُ: رَمَى الْجَمْرَاتِ.

٢٠- جَوَازُ تَعْجِيلِ الْحَاجِّ مِنْ مَنَى فِي ثَانِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَتَأْخُرِهِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّلَاثِ.

٢١- أَنَّهُ لَا إِثْمَ عَلَى الْحَاجِّ فِي ذَلِكَ إِنْ اتَّقَى اللَّهَ تَعَالَى، وَإِلَّا فَعَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ بِقَدْرِ مُحَالَفَتِهِ.

٢٢- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

٢٣- إِبْتِاطٌ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُجَازِيَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ.

٢٤- التَّحْذِيرُ مِنْ ذَلِكَ الْجَمْعِ الْعَظِيمِ، لِيَسْتَعِدَّ لَهُ الْمَرْءُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

تَنْبِيْهُ: مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ هِيَ الْفَوَائِدُ التَّالِيَةُ: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ١٢،

١٩، ٢٠، ٢١.

الآية السابعة:

٢١٤ - ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

تفسير الآية رقم ٢١٤:

أ- سَبَبُ النُّزُولِ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ لَهَا ثَلَاثَةَ أَسْبَابٍ^(١):

أَحَدُهَا: عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْأَنْصَارِ كَانُوا يُهْلُونَ، أَي: يُحْجُونَ لِمَنَاءِ الصَّنَمِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، وَكَانُوا لَا يَطُوفُونَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ تَعْظِيمًا لَهَا فَلَمَّا أَسْلَمُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(٢).

الثاني: عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمِعَ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّاسَ سِوَى مَنْ يُهْلُ لِمَنَاءِ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّوَّافَ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الطَّوَّافَ بِالْبَيْتِ فَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ، فَهَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ أَنْ نَطَّوَّفَ بِهِمَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(٣).

الثالث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ

(١) لا مانع من تعدد سبب النزول. [المؤلف]

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة، وجعل من شعائر الله، رقم

(١٦٤٣).

(٣) تقدم في الذي قبله.

فقال: كُنَّا نَرَى أُمَّهَما مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ أَمْسَكْنَا عَنْهُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾^(١).^(٢)

ب- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿الصَّفَا﴾: مُفْرَدَةٌ صَفَاةٍ، وَهِيَ: الصَّخْرَةُ الصَّلْبَةُ الْمُلَسَّاءُ، وَالْمُرَادُ هُنَا: أَسْفَلُ الْجَبَلِ الْمَعْرُوفِ فِي أَوَّلِ الْمَسْعَى.

﴿وَالْمَرْوَةَ﴾: الْحَجَرُ الْأَبْيَضُ الْبَرَّاقُ الَّذِي تُقَدِّحُ مِنْهُ النَّارُ، وَالْمُرَادُ هُنَا: أَسْفَلُ الْجَبَلِ الْمَعْرُوفِ فِي نَهَايَةِ الْمَسْعَى.

﴿وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ﴾: مِنْ أَعْلَامِ دِينِهِ وَأَمَاكِنِ عِبَادَتِهِ.

﴿حَجَّ الْبَيْتِ أَوْ اعْتَمَرَ﴾: سَبَقَ مَعْنَى الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ (٢٠٣)؛ وَ(أَوْ) هُنَا لِلتَّنْوِيعِ.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فَلَا إِثْمَ.

﴿يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾: يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا مُتَنَهِّياً إِلَيْهِمَا.

﴿نَطَّوَعَ خَيْرًا﴾: فَعَلَ طَاعَةَ اللَّهِ، أَيْ طَاعَةَ كَانَتْ، وَسُمِّيَتْ الطَّاعَةَ خَيْرًا لِمَا تَتَّصَمُنُهُ مِنَ الْخَيْرِ لِلْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ.

﴿شَاكِرًا﴾: مُثِيبٌ مَنْ قَامَ بِطَاعَتِهِ.

﴿عَلِيمًا﴾: ذُو عِلْمٍ بِمَنْ عَمِلَ لَهُ وَمِقْدَارُ ثَوَابِهِ.

(١) ذكر الأزرقى في أخبار مكة أن مسافة ما بين الصفا والمروة سبعمائة وستة وستون ذراعاً ونصف ذراعاً. [المؤلف]

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة، رقم (١٦٤٨).

ج- المعنى الإجمالي:

يُحِبُّ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ أَعْلَامِ دِينِهِ وَأَمَاكِنِ عِبَادَتِهِ، وَيَنْفِي الْحَرَجَ عَمَّنْ طَوَّفَ بِهِمَا فِي حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، دَفْعًا لِمَا وَقَعَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحَرُّجِ وَالطَّوَافِ بِهِمَا، وَيُبَيِّنُ تَعَالَى أَنَّ مَنْ تَطَوَّعَ لَهُ بِعِبَادَةٍ فَإِنَّهُ سَيَجْزِيهِ عَلَى ذَلِكَ أَكْمَلَ الْجُزَاءِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى شَاكِرٌ لِأَعْمَالِ عِبَادِهِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ.

د- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَقَدْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ كَيْفِيَّتَهُ وَعَدَدَهُ.
- ٢- أَنَّهُ مَشْرُوعٌ فِي الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ^(١).
- ٣- أَنَّهُ لَا يُشْرَعُ لِغَيْرِ الْمُحْرَمِ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ فَلَا يَتَطَوَّعُ بِهِ بَعْدَ الْحِلِّ مِنْهَا.
- ٤- أَنَّ طَاعَةَ اللهِ تَعَالَى كُلُّهَا خَيْرٌ.
- ٥- التَّرْغِيبُ مِنَ الزِّيَادَةِ فِيهَا.
- ٦- سِعَةُ كَرَمِ اللهِ تَعَالَى.
- ٧- إِثْبَاتُ صِفَتَيْ الشُّكْرِ وَالْعِلْمِ لِهَيْبَةِ اللهِ تَعَالَى.

(١) اختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- في السعي بين الصفا والمروة، هل هو ركن في الحج والعمرة لا يتيان إلا به، أو واجب ينقصان بتركه ويجبر بالدم -الفدية بذبح شاة أو ما يعادلها من الإبل والبقر تفرق على فقراء الحرم- أو سنة ينقص بتركه كماهها ولا دم فيه؟. [المؤلف]

من آيات الأضحية

الآية الأولى والثانية:

٢١٥-٢١٦- ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾
لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

من آيات الأضحية

الأضحية: ما يُذبح من بهيمة الأنعام - الإبل والبقر والغنم - أيام عيد الأضحي بسببه تقرباً إلى الله تعالى، سُميت بذلك لأن أفضل زمن لذبحها ضحى يوم العيد، وهي سنة مؤكدة مشروعة بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وذبحها أفضل من الصدقة بثمانها، لما فيها من تعظيم الله تعالى بذبحها تقرباً إليه، وإظهار شعائر دينه، وغير ذلك من المصالح التي تروبو على مصلحة الصدقة بثمانها.

تفسير الآيتين رقم ٢١٥ - ٢١٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿قُلْ﴾: الأمر للنبي ﷺ والمقول له: جميع الناس لا سيما المشركون.

﴿صَلَاتِي﴾: أي: جميع صلواتي والصلاة المعروفة.

﴿وَنُسُكِي﴾: أي: جميع أنساكي، وهي العبادات أو الذبائح التي يتقرب بها

إلى الله تعالى من الهدى والأضحية والعقيقة.

﴿وَحَيَايَ﴾: حَيَاتِي، أَي: أَمْرُ حَيَاتِي وَمَا أَعْمَلُهُ فِيهَا.

﴿وَمَمَاتِي﴾: مَوْتِي، أَي: أَمْرُ مَوْتِي وَمَا أَلْقَاهُ بَعْدَهُ.

﴿لِلَّهِ﴾: أَي: خَالِصٌ وَمُخْتَصِّصٌ بِاللَّهِ، فَلَا أُشْرِكُ مَعَهُ غَيْرَهُ فِي صَلَاتِي وَنُسُكِي،

وَلَا يُدَبِّرُ أَمْرَ حَيَاتِي وَمَوْتِي سِوَاهُ.

﴿رَبِّ﴾: خَالِقٌ وَمَالِكٌ وَمُدَبِّرٌ.

﴿الْعَالَمِينَ﴾: كُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾: لَا مُشَارِكَ لَهُ.

﴿وَبِذَلِكَ﴾: أَي: بِذَلِكَ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ.

﴿أُمِرْتُ﴾: أَي: أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى.

﴿أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾: أَسْبَقَهُمْ انْقِيَادًا إِلَى الْإِسْلَامِ لِكَمَالِ عِلْمِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى، أَوْ أَسْبَقَهُمْ

زَمَنًا، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْمُسْلِمِينَ ﴿مُسْلِمِي أُمَّتِهِ﴾.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُعْلِنَ عَلَى الْمَلَأِ إِخْلَاصَهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدَهُ إِيَّاهُ فِي الْعِبَادَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، فَيُعْلِنُ أَنَّ جَمِيعَ صَلَوَاتِهِ وَعِبَادَاتِهِ أَوْ ذَبَائِحِهِ خَاصَةٌ خَالِصَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى تَعَبُّدًا، وَأَنَّ أَمْرَ حَيَاتِهِ وَمَمَاتِهِ وَمَا يَكُونُ فِيهِمَا كُلُّهُ لِلَّهِ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَفِي هَذَا إِثْبَاتُ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ.

وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ كَذَلِكَ أَنْ يُعْلِنَ عَلَى الْمَلَأِ أَنَّ هَذَا التَّوْحِيدَ وَالْإِخْلَاصَ

هُوَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَأَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِنْ كَانَ الْمُرَادُ

بالأَوْلِيَّةِ أَوْلِيَّةِ الزَّمَنِ، أو أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَغَيْرِهَا إِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْأَوْلِيَّةِ أَوْلِيَّةِ الْإِنْقِيَادِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ فِي كِتَابِهِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- مَشْرُوعِيَّةُ الْأُضْحِيَّةِ لِأَنَّهَا مِنَ النَّسْكِ الَّذِي قَرَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ.
- ٢- وَجُوبُ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهَا وَفِي كُلِّ عِبَادَةٍ، وَهَذَا تَحْقِيقُ تَوْحِيدِ الْأَلُوْهِيَّةِ، وَهَاتَانِ الْفَائِدَتَانِ مَحَلُّ اسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.
- ٣- وَجُوبُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ أَمْرَ مَحْيَا الْإِنْسَانِ وَمَكَاتِبِهِ لِلَّهِ تَعَالَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهَذَا تَحْقِيقُ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ.
- ٤- أَنَّ هَذَا الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ تَعَالَى وَالتَّوْحِيدَ هُوَ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٥- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ إِسْلَامًا لِلَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ.

الآية الثالثة والرابعة:

٢١٧-٢١٨- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۚ فَإِنَّهُمْ كَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ اللَّهَ ۚ إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ۚ﴾
 وَإِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿الحج: ٣٤-٣٥﴾.

تفسير الآيتين ٢١٧ - ٢١٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿أُمَّةٍ﴾: جماعة من الناس أُرْسِلَ إليهم.

﴿جَعَلْنَا﴾: صَيَّرْنَا وَشَرَعْنَا.

﴿مَنْسَكًا﴾: ذَبْحًا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾: أَي: لِيَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ. وَاللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ﴾: عَلَىٰ ذَبْحِ مَا رَزَقَهُمْ، أَي: أَعْطَاهُمْ تَفَضُّلاً بِدُونِ عَوَاضٍ.

﴿بِهِيمَةِ﴾: الْبِهِيمَةُ: كُلُّ حَيٍّ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ التَّمْيِيزِ، وَصِفَ بِذَلِكَ لِإِهْمَامِهِ

بعدم تمييزه وعقله.

﴿الْأَنْعَامِ﴾ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالغَنَمُ، وَالْإِضَافَةُ هُنَا عَلَى تَقْدِيرٍ: مِنْ، أَي: الْبِهِيمَةُ

الأنعام.

﴿فَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ اللَّهَ﴾: فَمَعْبُودُكُمْ الْخَالِقُ لَكُمْ.

﴿وَجِدُوا﴾: أَي: لَا شَرِيكَ مَعَهُ.

﴿فَلَهُ﴾: أي: لذلك الإله الواحد، والفَاءُ لِلتَّفْرِيعِ، وَالجَارُّ وَالْمَجْرُورُ متعلق
بـ ﴿أَسْلِمُوا﴾ قَدَّمَ عَلَيْهِ لِيُفِيدَ الْحَضَرَ وَالِاخْتِصَاصَ.

﴿أَسْلِمُوا﴾: أَدْعِنُوا وَانْقَادُوا.

﴿وَبَشِّرِ﴾: أَخْبِرْ بِهَا يُسْرًا، وَالْأَمْرُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: الْحَاشِعِينَ لِلَّهِ، الْمُتَوَاضِعِينَ لِأَمْرِهِ.

﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾: أَي: ذَكَرَتْ عَظَمَتُهُ وَآيَاتِهِ.

﴿وَحِلَّتْ﴾: حَافَتْ وَفَزِعَتْ.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾: الْحَاسِبِينَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ التَّسَخُّطِ الْقَوْلِيِّ وَالْفِعْلِيِّ.

﴿أَصَابَهُمْ﴾: نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْبَلَايَا.

﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾: الْآتِينَ بِالصَّلَاةِ مُسْتَقِيمَةً.

﴿وَمِمَّا﴾: مِنْ الَّذِي، وَمِنْ اللَّتَّبَعِيضِ.

﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: أَعْطَيْنَاهُمْ تَفَضُّلاً مِنَّا بَدُونَ عَوَظٍ.

﴿يُنْفِقُونَ﴾: يُعْطُونَ وَيَبْدُلُونَ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ شَرَعَ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي بَعَثَتْ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ ذَبْحًا مِنْ
بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَيْهِ، وَيَذْكُرُونَ اسْمَهُ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الطَّاعَاتِ الَّتِي اقْتَضَتْ أَهْمِيَّتَهَا أَنْ تَكُونَ مَشْرُوعَةً فِي
كُلِّ مِلَّةٍ.

ثم يُخَاطَبُ -سُبْحَانَهُ- عِبَادَهُ مُبِينًا لَهُمْ انْفِرَادُهُ بِاللُّوْهِيَّةِ وَأَنَّهُ يَنْبِيُّ عَلَى ذَلِكَ أَنْ يُفْرِدُوهُ بِالِإِذْعَانِ وَالِانْقِيَادِ، وَيَأْمُرُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُبَشِّرَ الْخَاشِعِينَ لَهُ الْمُتَوَاضِعِينَ لِأَمْرِهِ، الَّذِينَ مِنْ أَبْرَزِ صِفَاتِهِمْ اسْتِيْلَاءُ الْخَوْفِ عَلَى قُلُوبِهِمْ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَصَبْرُهُمْ عَلَى الْمَصَائِبِ، وَإِقَامَتُهُمُ الصَّلَاةَ، وَإِنْفَاقَهُمْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شَرَعَهُ ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، يُبَشِّرُهُمْ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَالْأَجْرِ الْكَثِيرِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- أَهْمِيَّةُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِذَبْحِ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، حَيْثُ كَانَ مَشْرُوعًا فِي كُلِّ مِلَّةٍ.
- ٢- أَهْمِيَّةُ الْأُضْحِيَّةِ لِأَنَّهَا مِنْ ذَبْحِ الْقُرْبَانِ.
- ٣- أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ ذَبْحِ الْقُرْبَانِ تَعْظِيمُ اللَّهِ تَعَالَى بِذِكْرِ اسْمِهِ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ الْفَوَائِدُ الثَّلَاثُ^(١) مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَتِينَ.
- ٤- انْفِرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِاللُّوْهِيَّةِ وَالْحَلْقِ.
- ٥- وُجُوبُ الْإِذْعَانِ وَالِانْقِيَادِ لَهُ وَحْدَهُ.
- ٦- بَشَارَةُ الْمُخْتَبِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ.
- ٧- فَضْلُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ ذِكْرِهِ.
- ٨- فَضْلُ الصَّبْرِ عَلَى الْمَصَائِبِ.

- ٩- فَضْلُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ.
- ١٠- فَضْلُ الْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَ اللَّهُ تَعَالَى.
- ١١- أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الْأَرْبَعَةَ مِنَ الْإِخْبَاتِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

مِن آيَاتِ الْجِهَادِ

النَّوْعُ الْأَوَّلُ

الآية الأولى:

٢١٩- ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، [التحريم: ٩].

مِن آيَاتِ الْجِهَادِ

الجهاد في اللغة: بذل الجهد، وهو الوسع والطاقة لإدراك أمرٍ أو دفعه. وفي الشرع: بذل الجهد في قمع أعداء الإسلام بالقتال وغيره، لتكون كلمة الله هي العليا.

وهو من أفضل الأعمال قال الله تعالى: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكُفْرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْنِلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً قال للنبي ﷺ: **دُلّني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: «لا أجده»**. قال: **«هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجداك فتقوم ولا تنفر، وتصوم ولا تُفطر؟»**، قال: **«ومن يستطيع ذلك؟»**^(١).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يُخرجه إلا جهاداً في سبيلي، وإيماناً بي، وتصديقاً برسلي، فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلاً ما نال من أجر أو غنيمته، والذي نفس محمد بيده، ما من كلم يكلم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم، وريحه مسك، والذي نفس محمد بيده، لو لا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده، لو ددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»**^(٢).

وفي فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه آيات وأحاديث سوى هذه، وما ذاك إلا لما ينتج من إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض، ونصر دينه، وبذل النفس والنفس ابتغاء رضوان الله تعالى وثوابه والفوز بدار كرامته.

النوع الأول: أي: من آيات الجهاد، وموضوعه: **حُكْمُ الجِهَادِ والإِعدادِ له.**

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، رقم (٢٧٨٥)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم (١٨٧٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، رقم (١٨٧٦).

تفسير الآية رقم ٢١٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾: النداء للنبي محمد ﷺ، والنبي مشتق من الإنباء وهو الإخبار، فهو من أخبر بالشرع من قبل الله تعالى.

﴿جَهْدٍ﴾: ابذل الجهاد في قمع أعداء الإسلام.

﴿الْكُفَّارَ﴾: الجاحدين لشرع الله تعالى والمستكبرين عنه.

﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾: المفرّين بشرع الله تعالى ظاهراً لا باطناً.

﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾: أقس عليهم.

﴿وَمَا أَوْلَاهُمْ﴾: ومقرّهم في الآخرة، والواؤ للاستئناف.

﴿جَهَنَّمَ﴾: سبق تفسيرها في الآية رقم (١٧٨).

﴿وَيَسَّ﴾: فعل ماضٍ لإنشاء الذم.

﴿الْمَصِيرُ﴾: المرجع.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَمْرًا مُصَدَّرًا بِالنِّدَاءِ لِبَيَانِ الْاهْتِمَامِ أَنْ يُجَاهِدَ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ، الَّذِينَ يُجَاهِرُونَ بَعْدَاوَتِهِ وَالْكَفْرَ بِهِ مِنَ الْكُفَّارِ الْمَصْرِّحِينَ بِذَلِكَ، وَالَّذِينَ يُخْفُونَ الْعَدَاوَةَ فِي قُلُوبِهِمْ وَيُظْهِرُونَ خِدَاعًا وَمَكْرًا أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ مُوَالُونَ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ؛ فَيُجَاهِدُ كُلَّ صِنْفٍ بِمَا يَلِيقُ بِحَالِهِ، فَالْكَفَّارُ يُجَاهَدُونَ بِالسَّلَاحِ الْمَادِّيِّ وَالْمُنَافِقُونَ يُجَاهَدُونَ بِالسَّلَاحِ الْمَعْنَوِيِّ الْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ.

وَيَأْمُرُ اللَّهُ كَذَلِكَ نَبِيَّهُ أَنْ يُغْلِظَ عَلَيْهِمْ فَلَا يُلِينُ لَهُمْ بِالْقَوْلِ وَلَا بِالْفِعْلِ، وَهَذَا مَا يَسْتَحِقُّونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَمَقَرُّهُمْ جَهَنَّمَ وَمَا أَقْبَحَ ذَلِكَ الْمَأْوَى وَالْمَصِيرَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَكُلُّ صِنْفٍ يُجَاهَدُ بِمَا يَلِيقُ بِهِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْأَسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٢- وَجُوبُ الْعِظَةِ عَلَى كِلَا الصَّنْفَيْنِ، لِأَنَّ اللَّيْنَ لَهُمْ يَقْتَضِي عُلُوَّهُمْ وَتَطَاوُلَهُمْ.
- ٣- تَحْرِيمُ مَوَالَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ.
- ٤- أَنَّ النَّارَ مَأْوَى الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ جَمِيعًا.
- ٥- قُبْحُ النَّارِ مَأْوَى وَمَصِيرًا.
- ٦- إِبْتِثَاتُ الْجَزَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الآية الثانية:

٢٢٠- ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قَبْلُ مَا الَّذِي يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَّاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

تفسير الآية رقم ٢٢٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾: انظر تفسير الآية رقم (١٧٤).

﴿قَبْلُ مَا الَّذِي يَلُونَكُمْ﴾: حاربوا بالقتل.

﴿يَلُونَكُمْ﴾: يقربون منكم.

﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: وليدركوا، واللام لام الأمر وسكنت لوقوعها بعد واو العطف.

﴿غِلْظَةً﴾: قسوة وشدة.

﴿وَأَعْلَمُوا﴾: يتقنوا، والغرض منه بيان أهمية ما ذكر.

﴿مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: مصاحبهم على الوجه اللائق به ليثبتهم وينصرهم، وسبق

تفسير التقوى في الآية رقم (١٨٧).

ب- المعنى الإجمالي:

ينادي الله تعالى عباده المؤمنين بوصف الإيمان، إغراء لهم وبعثا لهممهم في تنفيذ ما سيأمرهم به ويرشدهم إليه في كيفية قتال أعدائهم من الكفار، حيث أمرهم أن يبدؤوا بالأقرب لينفذوا منه إلى الأبعد، وأن يكون فيهم غلظة عليهم

لِيَصُدُّقُوا الْعَزِيمَةَ فِي قَتْلِهِمْ، فَإِنَّ اللَّيْنَ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الْقِتَالِ، ثُمَّ يَرْغَبُهُمْ تَعَالَى بِالتَّقْوَى مُبِينًا لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكُونُ مَعَ الْمُتَّقِينَ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ نَاصِرًا وَمُؤَيِّدًا، وَسَبَقَ تَفْسِيرَ التَّقْوَى فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٨٧).

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ قِتَالِ الْكُفَّارِ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ غَايَةَ ذَلِكَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].
- ٢- الْبِدَاءُ بِقِتَالِ الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ.
- ٣- وَجُوبُ الْغِلْظَةِ حِينَ قِتَالِهِمْ، لِأَنَّهَا أَصْدَقُ فِي الْعَزِيمَةِ وَأَشَدُّ عَلَى الثَّبَاتِ، وَهَذِهِ الْفَوَائِدُ الثَّلَاثُ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٤- التَّرْغِيبُ فِي تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.
- ٥- فَضْلُ التَّقْوَى لِكَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ الْمُتَّقِينَ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ فَيَنْصُرُهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ.

الآية الثالثة:

٢٢١- ﴿وَلَا تَهْتُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

تفسير الآية رقم ٢٢١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَلَا تَهْتُوا﴾: لا تضعفوا وتوانوا، ولا ناهية.

﴿فِي ابْتِغَاءٍ﴾: في طلب.

﴿الْقَوْمِ﴾: الجماعة، والمراد هنا: جماعة الكفار.

﴿تَأْلَمُونَ﴾: توجعون وجعا بدنيا بالجراح، ونفسيا بقتل من يقتل.

﴿وَتَرْجُونَ﴾: تؤملون.

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾: أي: لم يزل الله.

﴿عَلِيمًا﴾: ذا علم كامل.

﴿حَكِيمًا﴾: ذا حكم وحكمة، فالحكم: القضاء بما يريد كونا وشرعا والحكمة:

وضع الشيء فيما يليق به.

ب- المعنى الإجمالي:

ينهى الله عباده المؤمنين أن يضعفوا أو يتوانوا في طلب أعدائهم من الكفار لقتالهم، ويبيّن تعالى أنه لا وجه لأن يهن المؤمن في طلب عدوه من الكفار، لأنه

إِنْ كَانَ يَأْلَمُ مِنْ ذَلِكَ فَأَعْدَاؤُهُ يَأْلَمُونَ مِنْهُ، وَلِأَنَّهُ يَزِيدُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ يَرْجُو مِنْ نَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ الشَّهَادَةِ مَا لَا يَرْجُوهُ الْكُفَّارُ ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا أَحَدَى الْحُسَيْنِيِّ وَنَحْنُ نَرْتَبِصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَارْتَبِصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُرْتَبِصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

ثُمَّ يَحْتِمُ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ بَيَانِ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ عَلِيمًا وَاسِعَ الْعِلْمِ، حَكِيمًا يَحْكُمُ بِمَا يَشَاءُ عَلَى الْوَجْهِ الْمُنَاطِقِ لِلْحِكْمَةِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ الْجَدِّ فِي طَلَبِ الْكُفَّارِ لِقَمْعِهِمْ بِالْقِتَالِ وَغَيْرِهِ وَإِذْلَالِهِمْ.
- ٢- أَنَّهُ لَا وَجْهَ لِلْفُتُورِ فِي طَلَبِهِمْ خَوْفًا مِنَ أَلْمِ الْجِرَاحِ وَالْقَتْلِ.
- ٣- أَنَّ مَا يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَلْمِ فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ يَحْصُلُ كَذَلِكَ لِعَدُوِّهِمْ.
- ٤- أَنَّ قِتَالَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْكُفَّارِ لَهُ هَدَفٌ سَامٍ وَغَايَةٌ حَمِيدَةٌ.
- ٥- إِثْبَاتُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى: الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ، وَمَا اشْتَمَلَا عَلَيْهِ مِنْ صِفَاتٍ.

الآية الرابعة:

٢٢٢- ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ
عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

تفسير الآية رقم ٢٢٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَعِدُّوا﴾: هيئوا.

﴿لَهُمْ﴾: للكفار، واللام للتعليل.

﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: الذي قدرتم عليه.

﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾: من شيء تقوون به على قمعهم وقتالهم.

﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾: أي: من مربوط الخيل، وهي المحبوسة للقتال،

المعدة له، والواو حرف عطف على قوله: ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ من عطف الخاص على العام.

﴿تُرْهَبُونَ﴾: تُخيفون.

﴿بِهِ﴾: أي: بما أعددتهم من قوة ورباط خيل.

﴿عَدُوَّ اللَّهِ﴾: أي: المعادي لله، والعدو: ضد الولي.

﴿وَأَخْرِينَ﴾: وغير هؤلاء.

﴿مِنْ دُونِهِمْ﴾: من ورأيهم، أو: من غيرهم، والمراد بهم: البعيد عن الكفار

الذي لم يظهر عداوته أو المنافقون.

﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾: لَا تَعْرِفُونَهُمْ، أَوْ: لَا تَعْرِفُونَ نِفَاقَهُمْ.

﴿تُنْفِقُوا﴾: تَبْدُلُوا وَتُعْطُوا.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٧٧)، وَالْآيَةِ رَقْمَ (٢٠٢).

﴿يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ﴾: يُوَصِّلُ إِلَيْكُمْ وَافِيًا بِالثَّوَابِ الْمُضَاعَفِ.

﴿لَا تُظْلَمُونَ﴾: لَا تُنْقَصُونَ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعُدُّوا لِلْكَفَّارِ مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ كَالرَّأْيِ وَالتَّنْظِيمِ، أَوْ مَادِيَّةٍ كَالْمُعَدَّاتِ الْقَازِفَةِ وَالْحَامِلَةِ وَالْمَرْكُوبَةِ، وَأَهْمُهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ: الْحَيْلُ، وَأَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْقُوَّةُ شَدِيدَةً لَهَا أَثْرُهَا فِي نَفُوسِ الْأَعْدَاءِ، بِحَيْثُ يُرْهَبُ بِهَا الْعَدُوُّ الْمُبَاشِرَ وَمَنْ وَرَاءَهُ مِمَّنْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْإِعْدَادُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْمَالِ حَثَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ حَيْثُ يَبَيِّنُ أَنَّ كُلَّ مَا يُنْفَقُ فِي سَبِيلِهِ فَسَيُوقَى إِلَى صَاحِبِهِ كَامِلًا مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ بَلْ مُضَاعَفًا ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ إِعْدَادِ الْقُوَّةِ لِقَمْعِ الْكَفَّارِ وَقِتَالِهِمْ بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ.
- ٢- أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِعْدَادُ مِنَ الْقُوَّةِ بِحَيْثُ يُرْهَبُ الْعَدُوُّ الْقَرِيبَ أَوْ الْمُظْهِرَ لِلْعَدَاوَةِ وَمِنْ سِوَاهُ.

- ٣- وَجُوبُ مَا يَحْصُلُ بِهِ هَذَا الإِعْدَادِ مِنْ بَدْلِ مَالٍ وَدِرَاسَةِ تَنْظِيمٍ وَتَعَلُّمِ صِنَاعَةٍ.
- ٤- أَنْ إِزْهَابَ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَحْبُوبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.
- ٥- الْحَثُّ عَلَى الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ.
- ٦- أَنَّ الْمُنْفِقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُؤَقَّى أَجْرَهُ كَامِلًا بَدُونِ نَقْصٍ.
- ٧- إِثْبَاتُ عَدْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَالِ.

الآية الخامسة إلى الثامنة:

٢٢٣-٢٢٦- ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَفَّوْا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٢٦﴾ إِنْ سَأَلْتُمْ لَهَا فَيُخَفِّضْكُمْ بَخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْعَافَكُمْ ﴿٢٧﴾ هَآءِذَ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِئَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿محمد: ٣٥-٣٨﴾.

تفسير الآيات رقم ٢٢٣ - ٢٢٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾: سبق تفسيرها في الآية رقم (٢٢١).

﴿وتدعوا﴾: تطلبوا، ومفعولها محذوف، والتقدير: وتدعوا الكفار.

﴿السلم﴾: الصلح وعدم الحرب.

﴿وأنتم الأعلىون﴾: أي: الأظهرون الأغلبون، والجملة حالية، أي: لا تهنوا

وتدعوا إلى السلم، والحال أنكم الأعلىون.

﴿معكم﴾: مصاحبكم على الوجه اللائق به ليثبتكم وينصركم.

﴿ولن يترككم﴾: لن ينقصكم الله.

﴿أعمالكم﴾: أي: جزاء أعمالكم.

﴿إنما﴾: أداة حصر. والحصر: إثبات الحكم في المحصور فيه دون غيره.

﴿الْحَيَوَةُ﴾: الْوُجُودُ أَوْ الْعَيْشُ.

﴿الدُّنْيَا﴾: مِنَ الدُّنُوِّ وَصِفَتْ بِذَلِكَ لِقُرْبِهَا بِسَبْقِهَا عَلَى الآخِرَةِ، أَوْ لِحَقَارَتِهَا
بالنسبة إليها.

﴿لَعَبٌ﴾: عَمَلٌ فِي الْأَبْدَانِ لَا مَنَفَعَةَ بَاقِيَةً فِيهِ.

﴿وَلَهْوٌ﴾: عَقْلَةٌ فِي الْقُلُوبِ بِهَا لَا مَنَفَعَةَ بَاقِيَةً فِيهِ.

﴿تُؤْمِنُوا﴾: تُصَدِّقُوا بِمَا يَجِبُ التَّصَدِيقُ بِهِ.

﴿وَتَتَّقُوا﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُ التَّقْوَى فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٨٧).

﴿تُؤْتِكُمْ﴾: يُعْطِيكُمْ.

﴿أُجْرَتِكُمْ﴾: جِزَاءُ أَعْمَالِكُمُ الدُّنْيَوِيِّ وَالْآخِرَوِيِّ.

﴿وَلَا يَسْأَلِكُمْ﴾: يَطْلُبُ مِنْكُمْ لِنَفْسِهِ.

﴿أَمْوَالِكُمْ﴾: مَا تَمْلِكُونَهُ مِنْ أَعْيَانٍ أَوْ مَنَافِعَ.

﴿فِيخْفِكُمْ﴾: يُبَالِغُ فِي سُؤَالِكُمْ.

﴿تَبَخَّلُوا﴾: تَمَسَّكُوا عَنْ إِعْطَائِهَا.

﴿وَيُخْرِجُ﴾: يُظْهِرُ.

﴿أَضْفَنَّاكُمْ﴾: مُيُولِكُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَرُكُونِكُمْ إِلَيْهَا.

﴿هَاتِنَاكُمْ﴾: هَا لِلتَّنْبِيهِ، وَأَنْتُمْ مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ ﴿تُدْعَوْنَ﴾.

﴿هَتُّؤَلَاءَ﴾: مُنَادَى حُذِفَتْ مِنْهُ الْيَاءُ، وَالتَّقْدِيرُ: يَا هَؤُلَاءِ.

﴿تُدْعُونَ﴾: تُطَلَّبُونَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿لِيُنْفِقُوا﴾: لِيَتَبَدَّلُوا وَتُعْطُوا، وَاللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ أَوْ لِلتَّعْدِيَةِ.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٧٤-٢٠٢).

﴿فَمِنْكُمْ﴾: الْفَاءُ لِلتَّفْرِيعِ، وَمِنْ لِلتَّبْعِيضِ.

﴿يَبْخُلُ﴾: يُمْسِكُ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾: عَنِ ذَاتِهِ.

﴿أَلْفَيْ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٧٤).

﴿أَلْفَقَرَاءَ﴾: الْمُعْدِمُونَ الْمُحْتَاجُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رِزْقِهِ.

﴿تَتَوَلَّوْا﴾: تُعْرِضُوا وَتَنْصَرِفُوا عَنِ طَاعَتِهِ.

﴿يَسْتَبَدِّلُ﴾: يَأْتِ بِبَدَلٍ.

﴿أَمْثَلَكُمْ﴾: أَشْبَاهَكُمْ فِي التَّوَلَّى وَالْإِنْصِرَافِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْوَهْنِ فِي قِتَالِ أَعْدَائِهِمْ وَعَنْ طَلَبِ الْمَصَالِحَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، كَيْفَ وَهُمْ يَتَمَيِّزُونَ عَنِ أَعْدَائِهِمْ بِأَتْمِهِمُ الْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَهُمْ، وَأَعْمَالُهُمْ سَتُوقَى لَهُمْ تَامَّةً مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ، فَإِنْ حَالَ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ تَوْجِبُ الْجَدِّ فِي قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ وَعَدَمِ الصُّلْحِ مَعَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ.

وَمَا كَانَ سَبَبُ الْوَهْنِ وَطَلَبِ الصُّلْحِ فِي الْغَالِبِ مَحَبَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبُخْلَ بِالْمَالِ، بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ حَالَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِأَنَّهَا سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ فِي الْقُلُوبِ وَلَعِبٌ

باطل في الأبدان، ثُمَّ تَمْضِي سَرِيعًا وَتَزُولُ جَمِيعًا، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَسْأَلْنَا بِذَلِكَ الْأَمْوَالِ فِي الْجِهَادِ لِنَفْسِهِ وَلَكِنْ لِمَصْلَحَتِنَا نَحْنُ، وَلَوْ سَأَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَحْفَى فِي الْمَسْأَلَةِ لَبَخَلْنَا بِذَلِكَ وَأَخْرَجَ بِذَلِكَ مَيْلَنَا إِلَى الدُّنْيَا وَرُكُونَنَا إِلَيْهَا بِيُخْلِنَا بِهَا سَأَلْنَا.

ثُمَّ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِذَلِكَ بِحَالِ الْبَعْضِ مِنَّا حِينَ يُطَلَّبُ مِنَّا الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَبْخُلُ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ، فَإِنَّ إِمْسَاكَهُ الْمَالِ مَنَعٌ لَانْتِفَاعِهِ بِهِ وَادِّخَارٌ لَهُ لغيرِهِ مِنَ الْوَرَاثِ وَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا، فَإِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- الْغَنِيُّ الْغِنَى الْمَطْلُوقُ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ وَإِلَى رِزْقِهِ.

ثُمَّ خَتَمَ اللَّهُ الْآيَاتِ بِتَهْدِيدٍ مَنْ تَوَلَّى عَنْ طَاعَتِهِ أَنْ يُهْلِكَهُ وَيَأْتِي بِقَوْمٍ آخَرِينَ يَقُومُونَ بِطَاعَتِهِ وَلَا يَكُونُونَ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ الْمَعْرِضِينَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- وَجُوبُ الْجِدِّ فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ.
- ٢- تَحْرِيمُ طَلَبِ الصُّلْحِ مِنَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَخَصَّتِ السُّنَّةُ مِنْ ذَلِكَ مَا دَعَتْ الضَّرُورَةَ إِلَيْهِ.
- ٣- أَنْ طَلَبَ الصُّلْحِ مِنَّا غَيْرُ لَائِقٍ، وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَنَا وَسَيَجْزِينَا أَعْمَالَنَا كَامِلَةً.
- ٤- حُسْنُ التَّعْلِيمِ الْقُرْآنِيِّ حَيْثُ يَقْرَنُ مَعَ الْحُكْمِ مَا يَحْمِلُ عَلَى امْتِثَالِهِ.
- ٥- إِثْبَاتُ مَعِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ، وَهِيَ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ نَقْتَضِي التَّأْيِيدَ وَالنَّصْرَ.

- ٦- أن المؤمنين همُّ العُلُوِّ والغَلْبَةِ على الكافرين حالًا أو مآلًا.
- ٧- أن الله تعالى عدلٌ لا يُنْقِصُ النَّاسَ شَيْئًا من أَعْمَالِهِمْ.
- ٨- أن حَقِيقَةَ الدُّنْيَا اللَّعِبُ واللَّهُوُ ثم تَرْوُلٌ إلى غيرِ فائِدَةٍ.
- ٩- أن الفَائِدَةَ والعُقْبَى الحَمِيدَةَ في الإيْمَانِ والتقْوَى.
- ١٠- أن الطَّبِيعَةَ البَشَرِيَّةَ تَقْتَضِي البُخْلَ بِالمَالِ ولو مع الإِحْتِافِ فِي طلبه.
- ١١- أَنَّ البَاخِلَ بِإِنْفَاقِ المَالِ فِي سَبِيلِ الله تَعَالَى بِإِحْلٍ عَلَى نَفْسِهِ فَوْبَالِ بُخْلِهِ عَلَيْهِ لا على غيره.
- ١٢- إثْبَاتُ اسْمٍ من أسماءِ الله الحُسْنَى ﴿الْعَنِيُّ﴾، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَةِ.
- ١٣- كَمَا لَغْنَى اللهُ تَعَالَى.
- ١٤- أن العِبَادَ مُفْتَقِرُونَ إِلَى الله -عَزَّ وَجَلَّ- وَإِلَى رِزْقِهِ.
- ١٥- تَهْدِيدُ مَنْ تَوَلَّى عَنْ طَاعَتِهِ بِإِهْلَاكِهِ وَإِبْدَالِهِ بِخَيْرٍ مِنْهُ.

النوع الثاني

الآية الأولى إلى الثالثة:

٢٢٧-٢٢٩- ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِيكُمْ فَانْتَبُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِيشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٧].

النوع الثاني: أي: من آيات الجهاد، وموضوعه: ما يلزم الجيش وحكم الغنيمه.

تفسير الآيات رقم ٢٢٧ - ٢٢٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿لَقِيْتُمْ﴾: قابلتكم في الحرب.

﴿فِيكُمْ﴾: طائفة مقاتلة.

﴿فَانْتَبُوا﴾: استقروا ولا تفرؤا.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: أي: بقلوبكم وألسنتكم بالتلهيل والتكبير والدعاء.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل، أي: من أجل.

﴿تُفْلِحُونَ﴾: تدركون مطلوبكم وتنجون من مرهوبكم.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾: انقادوا له بامثال أمره واجتنب منهيه.

﴿وَلَا تَنَزَعُوا﴾: لَا تَخَاصَمُوا.

﴿فَنَفْسِلُوا﴾: فَتَضَعُوا وَتَجْبِنُوا، وَالْفَاءُ لِلْسَّبِيَّةِ، وَالْفِعْلُ مَنْصُوبٌ بِأَنْ

مُضْمَرَةٌ بَعْدَهَا.

﴿وَتَذَهَبَ﴾: تَزُولُ.

﴿رِيحِكُمْ﴾: عَزِيمَتُكُمْ وَإِقْدَامُكُمْ.

﴿وَأَصِرُوا﴾: أَحْبِسُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَدَمِ التَّنَازُعِ.

﴿مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: مُصَاحِبُهُمْ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ فَيُسَبِّحُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ.

﴿كَالَّذِينَ﴾: الْكَافُ اسْمٌ بِمَعْنَى مِثْلٍ، فِي مَحَلِّ نَصْبٍ خَبْرًا لـ (تَكُونُ).

﴿خَرَجُوا﴾: ظَهَرُوا مُفَارِقِينَ.

﴿دِيَرِهِمْ﴾: مَنَازِلَهُمْ، وَالْمُرَادُ بِهِمْ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ خَرَجُوا بَطْرًا مِنْهَا لَمَنْعِ

غَيْرِهِمْ فَكَانَتْ غَزْوَةً بَدْرٍ.

﴿بَطْرًا﴾: طُعْيَانًا بِالنَّعْمَةِ، وَهُوَ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، أَوْ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ

الْحَالِ.

﴿وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾: يَرُونَ النَّاسَ مِنْ نُفُوسِهِمُ الْعَظَمَةَ، وَهُوَ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ

أَوْ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.

﴿وَيَصُدُونَ﴾: يُعْرِضُونَ أَوْ يَصْرِفُونَ.

﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٧٧).

﴿مُحِيطٌ﴾: حَافِظٌ لَهُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَسُلْطَانًا.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اتَّقَوْا بِأَعْدَائِهِمُ الْكُفَّارِ أَنْ يُثَبِّتُوا وَيُكَثِّرُوا
مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ وَتَنْفَرُجُ الْكُرُوبُ، وَيُبَيِّنُ تَعَالَى أَنْ
الثَّبَاتَ وَالْإِكْتِثَارَ مِنْ ذِكْرِهِ سَبَبُ الْفَلَاحِ.

ثم يَأْمُرُ تَعَالَى بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لِأَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ
النَّصْرِ، وَيُنْهَى عَنِ التَّنَازُعِ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ سَبَبٌ لِلْفَشْلِ وَذَهَابِ الرِّيحِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ
المَطْلُوبِ.

ويأمر بالصبر على طاعة الله ورسوله وعدم التنازع، ويرغب فيه ببيان أنه
-سبحانه- مع الصابرين على الوجه اللائق به يثبتهم وينصرهم.

ثم ينهى عباده أن يكون خروجهم للقتال كخروج من خرجوا بطراً ورياءً
الناس ويصدون عن سبيل الله، فيخلوا بركن عظيم وهو: الإخلاص لله تعالى
والتابعة لرسوله ﷺ، ثم يثبت الآية ببيان أنه محيط بأعمال هؤلاء الخارجين على
هذه الأوصاف الذميمة تهديداً لهم وتحذيراً لغيرهم أن يرتكبوا ما ارتكبهوه.

ج- ما يستفاد من الآية:

١- وجوب الثبات عند ملاقاة العدو، وخصت هذه الآية بمن انصرف متحرفاً
لقتال أو متحيزاً إلى فئة.

٢- مشروعية ذكر الله تعالى عند ملاقاة العدو.

٣- أن الثبات عند ملاقاة العدو وكثرة ذكر الله من أسباب الفلاح.

- ٤- وَجُوبُ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا سِيَّمَا حَالُ الْحَرْبِ وَالْجِهَادِ.
- ٥- وَجُوبُ طَاعَةِ الْقَائِدِ فِي تَصْرِيْفِ الْجَيْشِ وَشُؤُونِ الْحَرْبِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ لِأَنَّهَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.
- ٦- تَحْرِيمُ تَنَازُعِ الْجَيْشِ فِي أُمُورِهِمْ.
- ٧- أَنْ التَّنَازُعَ سَبَبٌ لِلْفَشْلِ وَذَهَابِ الرِّيحِ.
- ٨- وَجُوبُ الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَرْكِ التَّنَازُعِ.
- ٩- إِثْبَاتُ مَعِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلصَّابِرِينَ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ، وَهِيَ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ تَقْتَضِي التَّأْيِيدَ وَالنَّصْرَ.
- ١٠- وَجُوبُ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْمُتَابَعَةَ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْقِتَالِ.
- ١١- تَحْرِيمُ الْخُرُوجِ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَصَدًّا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ ذَلِكَ.
- ١٢- إِثْبَاتُ إِحَاطَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ.

الآية الرابعة والخامسة:

٢٣٠-٢٣١- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ
الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يُؤَمِّدْ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ
بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴿﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

تفسير الآيتين رقم ٢٣٠ - ٢٣١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿لَقِيتُمْ﴾: سبق تفسيرها في الآية (٢٢٧).

﴿كَفَرُوا﴾: جحدوا شريعة الله واستكبروا عنها.

﴿زَحَفًا﴾: أي: يذنوا بعضكم من بعض رويدًا رويدًا، كالزحف على الألية
لكثرة الجموع وتهب بعضها بعضًا، وهو مصدر عاملة محذوف، والتقدير:
يزحف بعضكم إلى بعض زحفًا.

﴿فَلَا تُولُوهُمْ﴾: فلا تجعلوا ما يليهم منكم.

﴿الْأَدْبَارَ﴾: جمع دبر، وهو مؤخر الجسم، والمراد بتوليهم الأدبار: الانصراف

عن قتالهم.

﴿يُؤَمِّدْ دُبُرَهُ﴾: يوم إذ يلقاهم زحفًا.

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾: إلا منحرفًا.

﴿لِقِتَالٍ﴾: اللام للتعليل، أي: من أجل قتال، مثل أن ينحرف استطرادًا

للعدو ليكر عليه.

﴿مُتَحَيِّرًا﴾: مُنْضَبًا.

﴿فِتْنَةٍ﴾: طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تُقَاتِلُ فِي جِهَةِ أُخْرَى.

﴿بَاءً﴾: رَجَعًا.

﴿بِغَضَبٍ﴾: مُتَلَبِّسًا بِغَضَبٍ، وَالغَضَبُ صِفَةٌ تَقْتَضِي الْعُقُوبَةَ وَالْإِنْتِقَامَ مِنَ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ.

﴿وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ﴾ وَبَلَّسَ الْمَصِيرُ: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي الْآيَةِ رَقْمَ (٢١٩).

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يُنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْصَرِفُوا عَنْ مُوَاجَهَةِ الْكُفَّارِ إِذَا قَابَلُوهُمْ فِي الْحَرْبِ وَأَقْبَلَتِ الْجُمُوعُ يَزْحَفُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الذُّلِّ وَكَسْرِ شَوْكَةِ الْإِسْلَامِ، وَيَتَوَعَّدُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ حِينَئِذٍ بِالْغَضَبِ وَدُخُولِ النَّارِ، وَيُسْتَنْبَى مِنْ ذَلِكَ مَنْ أَنْصَرَفَ لِيَعْمَلَ مِنْ أَجْلِ الْقِتَالِ كَأَنْ يَسْتَطِرِدَ لِعَدُوِّهِ فَإِذَا لَحِقَهُ كَرٌّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، أَوْ مَنْ أَنْصَرَفَ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ أُخْرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَدْعَمَهَا فِي الْقِتَالِ، لِأَنَّ الْإِنْصِرَافَ فِي هَاتَيْنِ الْحَالَيْنِ لَيْسَ انْهِزَامًا وَلَكِنَّهُ لِمَصْلَحَةِ الْحَرْبِ وَالْمُحَارِبِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

١- تَحْرِيمُ الْإِنْصِرَافِ عَنِ الْقِتَالِ عِنْدَ مُقَابَلَةِ الْكُفَّارِ، وَخُصِّتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِهَا إِذَا زَادَ الْكُفَّارُ عَنْ مِثْلِي الْمُقَاتِلِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَجُوزُ الْفِرَارُ حِينَئِذٍ، وَالثَّبَاتُ أَوْلَى مَا لَمْ تُتَيَّقَنَّ الْهَرِيمَةَ.

- ٢- تَغْلِيظُ الانْصِرَافِ حِينَئِذٍ وَكَوْنُهُ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ ^(١).
- ٣- أَنَّ عُقُوبَتَهُ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى وَدُخُولُ النَّارِ.
- ٤- جَوَازُ الانْصِرَافِ إِذَا كَانَ لِلتَّحَرُّفِ لِقِتَالٍ أَوْ التَّحْيِيزِ إِلَى فِتْنَةٍ.
- ٥- إِثْبَاتُ الغَضَبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ مِنَ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ لَهُ حَقِيقَةً عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ.
- ٦- إِثْبَاتُ الْجَزَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

(١) أحسن ما قيل في كِبَائِرِ الذُّنُوبِ: أَنَّهَا كُلُّ ذَنْبٍ رُتِبَ عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ خَاصَةٌ دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً أَوْ أُخْرَوِيَّةً، كَنَفْيِ الْإِيمَانِ، وَالْعُقُوبَةُ بِالْحَدِّ فِي الدُّنْيَا، وَالغَضَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. [المؤلف]

الآية السادسة إلى الثامنة:

٢٣٢-٢٣٤ - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ءَاضَلٌ ءَعْمَلُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ ءَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾
[محمد: ٧-٩].

تفسير الآيات رقم ٢٣٢ - ٢٣٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿إِن نَّصُرُوا اللَّهَ﴾: إن تقووا دينه.

﴿يَنْصُرْكُمْ﴾: يقوكم على أعدائكم.

﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: يجعلها ثابتة لا تزلزل، والأقدام جمع قدم، وهي: الرجل، سميت به لأنها تقدم حين المشي.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الواو للاستئناف، والذين مبتدأ، وسبق معنى ﴿كفروا﴾ في تفسير الآية رقم (٢٣٠).

﴿فَتَعَسَا﴾: فهلاكاً وخيبة، وهو منصوب بفعل محذوف، والتقدير: فتعسوا تعساً، والجملة خبراً لمبتدأ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ووقعت الفاء في خبره لشبهه بالشرط، أو على تقدير: أمّا، أي: وأمّا الذين كفروا.

﴿وَءَاضَلٌ﴾: أضاع مدى وأبطل.

﴿ءَعْمَلُهُمْ﴾: أي: ما يعملونه في حرب المؤمنين وغيرها مما يرجون نفعه.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: التّعس وإضلال الأعمال.

﴿يَأْتَهُمْ﴾: بِسَبَبِ أْتَهُمْ.

﴿كُرِهُوا﴾: أَبْغَضُوا.

﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: أَي: الْقُرْآنُ وَمَا فِيهِ مِنْ أَحْكَامٍ.

﴿فَأَبْطَلُ﴾: فَأَبْطَلَ.

﴿أَعْمَلَهُمْ﴾: أَي: مَا يَعْمَلُونَهُ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُيَسِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ إِذَا هُمْ نَصَرُوا اللَّهَ تَعَالَى بِتَقْوِيَةِ دِينِهِ، بِالْقِيَامِ بِهِ وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهِ وَالِدَّفَاعَ عَنْهُ، وَبَأَنْ يُثَبِّتَهُمْ فِي مَوَاقِفِ الْقِتَالِ وَغَيْرِهَا مِنْ مَوَاطِنِ الْخَوْفِ.

وَيُيَسِّرُ تَعَالَى بَأَنْ لِأَعْدَائِهِمُ الْكُفَّارِ الْهَلَاكَ وَالْحَيَبَةَ وَإِحْبَاطَ الْأَعْمَالِ، فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَرْجُونَ نَفْعَهُ، وَذَلِكَ لِأَتَهُمْ كُرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي تُخَالِفُ أَهْوَاءَهُمْ فَأَحْبَطَ مَا عَمِلُوهُ لِأَنَّهُ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- نَصَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَهُمْ إِذَا هُمْ نَصَرُوهُ.
- ٢- عَدَمُ نَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ إِذَا لَمْ يَنْصُرُوهُ.
- ٣- حَيَبَةُ الْكُفَّارِ وَهَلَاكُهُمْ.
- ٤- بَطْلَانُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَرْجُونَ نَفْعَهَا فِي حَرْبِ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهَا.
- ٥- أَنْ كَرَاهَةَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْأَحْكَامِ سَبَبٌ لِبَطْلَانِ الْأَعْمَالِ.

الآية التاسعة إلى الحادية عشر:

٢٣٥-٢٣٧- ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ
فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوَّارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَّيَبْلُؤُا
بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيِّدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾
وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿محمد: ٤-٦﴾.

تفسير الآيات رقم ٢٣٥ - ٢٣٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: سبق تفسيرها في الآية رقم (٢٢٧).

﴿فَضَرْبَ﴾: أي: فاضربوا، فهو مصدرٌ نائبٌ عن فعلِ الأمر، وهو أبلغُ منه.

﴿الرِّقَابِ﴾: جمعُ رَقَبَةٍ، وهي العُنُقُ، وعَبَّرَ عن القتلِ بِضَرْبِ العُنُقِ لأنه أدلُّ

على صِدْقِ إرادةِ القتلِ.

﴿أَثْخَمْتُمُوهُمْ﴾: أضعفتُمُوهمُ بكثرةِ القتلِ.

﴿فَشُدُّوا﴾: اربطوا بقوة.

﴿الْوَتَاقَ﴾: الحبل الذي يُربطُ به.

﴿فَإِمَّا﴾: الفاءُ حَرْفُ عطف، و(إمّا) حَرْفٌ مُخَيِّرٌ.

﴿مَنًّا﴾: إنعامًا بإطلاقِ سراحِهِمُ بدونِ فداءٍ.

﴿بَعْدُ﴾: بعدَ شدِّ الوتاقِ المُسْبوقِ بالإنخافِ بالقتلِ.

﴿فِدَاءً﴾: مُفَاداةً بإطلاقِهِمُ بِفِداءٍ يَبْدُلُونَهُ للمؤمنينِ.

﴿ حَتَّى تَضَعَ ﴾: حتى تُلقَى، وحتى حَرَفُ غَايَةٍ لما سَبَقَ من القَتْلِ وَشَدَّ الوَثَاقِ.

﴿ الحَرْبِ ﴾: القِتَالُ، والمرادُ: أهلُ الحَرْبِ.

﴿ أَوَزَارَهَا ﴾: أَثْقَالَهَا من السِّلَاحِ ونحوه.

﴿ ذَلِكَ ﴾: أي: المَذْكُورُ مِنْ ضَرْبِ رِقَابِ الكِفَارِ وَشَدَّ وَثَاقِهِمْ، وهو مَفْعُولٌ به

لِفِعْلِ مَحذُوفٍ، والتقديرُ: افْعَلُوا ذلك. أو: مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ مَحذُوفٌ، والتقديرُ: ذلك هو الحُكْمُ فيه.

﴿ وَلَوْ بِشَاءِ اللَّهِ ﴾: لو حَرَفُ شَرَطٍ وَجَوَابُهُ قَوْلُهُ: ﴿لَا نَنْصَرُ﴾ وَمَفْعُولٌ ﴿بِشَاءِ﴾

مَحذُوفٌ، والتقديرُ: ذلك لو يَشَاءُ اللهُ أَنْ يَنْتَصِرَ مِنْهُمْ.

﴿لَا نَنْصَرُ﴾: لَا نَنْتَقِمُ، واللامُ واقِعَةٌ في جَوَابِ لو.

﴿ لِيَبْلُؤَا ﴾: لِيَخْتَبِرَ، واللامُ لِلتَّعْلِيلِ، وهي مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحذُوفٍ، والتقديرُ:

أَمْرُكُمْ لِيَبْلُؤَا.

﴿ وَالَّذِينَ ﴾: الوَاوُ لِلإِسْتِنَافِ، والذِينَ: مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ ﴿فَلَنْ يُضِلَّ﴾.

﴿ يُبْلُؤَا ﴾: أَرْهَقَتْ أَرْوَأَحُهُمْ.

﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾: أي: في الجِهَادِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ.

﴿ فَلَنْ يُضِلَّ ﴾: فلن يُضَيِّعَ اللهُ.

﴿ أَعْمَلَهُمْ ﴾: مَا عَمِلُوهُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، ومنها: الجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ الذِينَ قَتَلُوا فِيهِ.

﴿ سَيَدِّبُهُمْ ﴾: سَيَدُلُّهُمْ فِي الآخِرَةِ طَرِيقَ الجَنَّةِ، والسَّيْنُ لِلتَّحْقِيقِ.

﴿ بِأَلْمِهِمْ ﴾: حَالَهُمْ.

﴿الْجَنَّةُ﴾: أي: دَارُ النَّعِيمِ التي أَعَدَّهَا اللهُ للمؤمنين في الآخرة، سُمِّيَتْ بذلك لكثرة ما فيها من الأشجار المتنوعة.

﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾: بَيَّنَّهَا لَهُمْ حتى عَرَفُوهَا.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المَجَاهِدِينَ في سَبِيلِهِ إِذَا قَابَلُوا الكُفَّارَ في الحَرْبِ أَنْ يَصُدُّوهُم بِالعَزِيمَةِ في إِبَادَتِهِمْ، لِأَنَّهم أَعْدَاءُ اللهُ تَعَالَى ورسوله وعبادته الصالحين، فيضربونهم حتى يضعفوهم بالقتل ويكسروا شوكتهم فيستأسروا أو يستسلموا. وحينئذ تصدق العزيمة في أسرهم، فشدد وثاق أسرهم إظهاراً لقوتنا وإحكاماً لأسرهم حتى لا يفلتوا، وبعد ذلك إما أن نمنَّ عليهم ونطلق سراحهم أحراراً بدون فداء، وإما أن نطلقهم بفداء من مال يبذلونه، أو أسيرٍ مسلمٍ يفكونه، أو غير ذلك.

ثم بيَّنَ اللهُ تَعَالَى أن غاية ذلك القتل والأسر انتهاء الحرب ووضع أوزارها، وأن هذا الحكم في الكفار اختبارٌ من الله تَعَالَى ليبلو بعضنا ببعض، ولو شاء لانتقم من هؤلاء الكفار فأهلكهم بدون قتال.

ثم رَغَبَ تَعَالَى في الجهادِ في سبيله بِذِكْرِ ثوابِ المجاهدين الذين قُتِلُوا في سبيلِ اللهِ أنه لن يُضَيَعَ أَعْمَالُهُمْ، بل سَيَجْزِيهِمْ عليها أحسنَ الجزاءِ فيهدِيهِمْ إلى سبيلِ الجنة، ويُصَلِّحَ أحوالَهُمْ، ويدخِلُهُم الجنة التي بيَّنَ لهم أوصافها في الدنيا حتى عَرَفُوهَا وَعَمِلُوهَا لها، وبيَّنَ منازلها لهم يومَ يَدْخُلُونَهَا حتى إن الواحدَ ليعرفُ مَنْزِلَهُ في الجنة إذا دَخَلَهَا كما يعرفُ مَنْزِلَهُ في الدنيا.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١- وَجُوبُ اتِّبَاعِ مَا يَلِي عِنْدَ مُلَاقَاةِ الْكُفَّارِ فِي الْحَرْبِ حَتَّى تَنْتَهِيَ:
أولاً: قَتْلُهُمْ حَتَّى يَضْعُفُوا وَتَنْكَسِرَ شَوْكَتُهُمْ.
ثانياً: ثُمَّ أَسْرُهُمْ أَسْرًا مُحْكَمًا.
- ٢- تَخْيِيرُ وِلِيِّ الْأَمْرِ فِي الْأَسْرَى بَيْنَ الْمَنْ عَلَيْهِمْ وَأَخْذِ الْفِدَاءِ مِنْهُمْ مَا لَا كَانَ أَمُّ
غَيْرِهِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي السُّنَّةِ جَوَازُ الْأَسْتِرْقَاقِ وَجَوَازُ الْقَتْلِ، وَعَلَيْهِ فَيُخَيَّرُ وِلِيُّ
الْأَمْرِ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ وَيَتَّبِعُ مَا هُوَ أَصْلَحُ لِلْإِسْلَامِ.
- ٣- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْتَقِمَ مِنَ الْكُفَّارِ وَيُهْلِكَهُمْ بَدُونَ إِجْبَابِ الْجِهَادِ.
- ٤- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَنْتَقِمْ مِنْهُمْ لِلْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ فِي إِجْبَابِ الْجِهَادِ.
- ٥- أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ إِجْبَابِ الْجِهَادِ اخْتِبَارُ النَّاسِ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ.
- ٦- عِظْمُ الثَّوَابِ لِمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٧- أَنَّ ثَوَابَهُمْ هُدَايَتُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِدْخَالُهُمْ إِيَّاهَا.
- ٨- عِظْمُ مَنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقُتِلَ شَهِيدًا.

الآية الثانية عشر:

٢٣٨- ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ
الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَاقُحِ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

تفسير الآية رقم ٢٣٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَعْلَمُوا﴾: تيقنوا، والغرض منه: بيان أهمية العلم بما ذكر.

﴿أَنَّمَا﴾^(١): مركبة من (أن) المصدرية و(ما) الموصولة، أي: أن الذي وصلتها
غنمتم، والعائد محذوف، والتقدير: غنمتموه.

﴿غَنِمْتُمْ﴾: أخذتم من مال الكفار بقتال أو ما أحق به.

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾: خبر أن، ووقعت الفاء فيه لشبه الاسم الموصول بالشرط
والخمس: جزء من خمسة أجزاء.

﴿وَالرَّسُولِ﴾: وللمرسَل من قبل الله تعالى إلى الناس، وهو: محمد صلى الله
عليه وسلم.

﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: ولصاحب القرابة من رسول الله ﷺ، وهم: بنو هاشم
ويلحق بهم بنو المطلب.

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: جمع يتيم، وهو: من مات أبوه قبل بلوغه من ذكر أو أنثى.

(١) قرنت (ما) مع (أن) أتباعا لرسم المصحف. [المؤلف]

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: جَمْعُ مَسْكِينٍ، وهو: مَنْ لَا يَجِدُ مَا يَكْفِيهِ وَعَائِلَتِهِ.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٨٥).

﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: إِنْ شَرْطِيَّةٌ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ، وَتَقْدِيرُهُ: فَاعْلَمُوا ذَلِكَ

وَأَمْتَلُوا.

﴿وَأَمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾: سَبَقَ مَعْنَى الْإِيْمَانِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ رَقْمَ (١٧٤).

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا﴾: مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿بِاللَّهِ﴾ أَي: وَبِمَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ.

﴿عَبْدَنَا﴾: الْمَتَدَلِّلُ لَنَا بِطَاعَةٍ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يَوْمَ الْفَرْقِ الْعَظِيمِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْمُرَادُ بِهِ: يَوْمٌ بَدُرَ.

﴿الْفَيْ﴾: تَقَابَلٌ وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ

الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ.

﴿الْجَمْعَانِ﴾: جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ وَجَمْعُ الْكُفَّارِ.

﴿قَدِيرٌ﴾: ذُو قُدْرَةٍ، وَهِيَ صِفَةٌ يَتِمَكَّنُ بِهَا مِنْ فِعْلِ الشَّيْءِ بِلا عَجْزٍ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ أَنْ يَعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا بِقِسْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْغَنَائِمِ فَيَنْقُذُوا تِلْكَ الْقِسْمَةَ وَيَرْضُوا بِهَا حَيْثُ قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى خَمْسَهَا إِلَى خَمْسَةِ أَسْهُمٍ: سَهْمٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ يُصْرَفُ فِيهَا فِيهِ نُصْرَةُ الْإِسْلَامِ، وَسَهْمٌ لِقَرَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِابْنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَلِّبِ، ذُكُورِهِمْ وَإِنَائِهِمْ، غَنِيَّتِهِمْ وَفَقِيرِهِمْ لِقَرَابَتِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَهْمٌ لِلْيَتَامَى ذُكُورِهِمْ وَإِنَائِهِمْ، مِنْ لَهُ مَالٌ وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ لَجَبْرِ قُلُوبِهِمُ الْمُنْكَسِرَةِ بِمَوْتِ

آبائهم، وسَهْمٌ لِلْمَسَاكِينِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَى ذَلِكَ، وَسَهْمٌ لِأَبْنَاءِ السَّبِيلِ إِذَا انْقَطَعَ بِهِمِ السَّفَرُ وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ فِي بِلَادِهِمْ، لِحَاجَتِهِمْ إِلَى مَوَاصِلَةِ سَفَرِهِمْ.

ثُمَّ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنَّ الْعِلْمَ بِذَلِكَ وَالرِّضَا بِهِ وَتَنْفِيذَهُ مِنْ مُقْتَضِيَّاتِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِمَا أُنزِلَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ، ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فُرْقَانًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ حَيْثُ نَصَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَذَلَّ بِهِ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ بِيَبَاقِ عُمُومِ قُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَمِنْهَا: نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَعَ قَلَّتِهِمْ وَعَدَمِ اسْتِعْدَادِهِمْ لِلْحَرْبِ عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَفَاقُوا الْمُؤْمِنِينَ عَدَدًا وَعِدَّةً.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- إِحْلَالُ الْغَنَائِمِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِهَا.
- ٢- وَجُوبُ قِسْمَةِ خُمْسِ الْغَنِيمَةِ عَلَى الْأَصْنَافِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ.
- ٣- أَنَّ الْأَخْمَاسَ الْأَرْبَعَةَ الْبَاقِيَةَ لِلْغَانِمِينَ، وَقَدْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ أَنَّ لِلْفَارِسِ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ ثَلَاثَةَ أَسْهُمٍ وَلِلرَّاجِلِ سَهْمًا وَاحِدًا، وَمَنْ لَيْسَ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ يُعْطَى مَا لَا يَبْلُغُ سَهْمَ الرَّاجِلِ.
- ٤- وَجُوبُ الْعِلْمِ بِحُدُودِ مَا أُنزِلَ اللَّهُ تَعَالَى.
- ٥- أَنَّ الْعِلْمَ بِذَلِكَ وَتَنْفِيذَهُ مِنْ مُقْتَضِيَّاتِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ٦- فَضْلُ النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ وَهِيَ ^(١) أَخْصَصَ أَنْوَاعَ الْعِبُودِيَّةِ.

(١) أي: العبودية التي وصف الله بها النبي ﷺ. [المؤلف]

- ٧- أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.
- ٨- الْأَثْرُ الْعَظِيمُ الْحَاصِلُ بِغَزْوَةِ بَدْرِ حَيْثُ فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.
- ٩- عُمُومُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

النَّوعُ الثَّالِثُ

الآية الأولى والثانية:

٢٣٩-٢٤٠- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّلِعْهُ مَأْمَنَةً، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة: ٦-٧].

النَّوعُ الثَّالِثُ: أي: مِنْ آيَاتِ الْجِهَادِ، وَمَوْضُوعُهُ: الْأَمَانُ وَالْعَهْدُ وَالذِّمَّةُ.

تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ رَقْمَ ٢٣٩ - ٢٤٠:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ﴾: إِنْ شَرَطِيَّةٌ، وَأَحَدٌ فَاعِلٌ لِفِعْلِ مَحْدُوفٍ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ، وَالتَّقْدِيرُ: وَإِنْ اسْتَجَارَكَ أَحَدٌ.

﴿اسْتَجَارَكَ﴾: طَلَبَ مِنْكَ الْجَوَارَ، وَهُوَ الْأَمَانُ.

﴿حَتَّى﴾: حَرْفُ غَايَةٍ أَوْ تَعْلِيلٍ.

﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾: أَي: الْقُرْآنُ مَنْ يَتْلُوهُ.

﴿اتَّلِعْهُ﴾: أَوْصَلَهُ.

﴿مَأْمَنَةً﴾: مَكَانٌ أَمْنِيهِ وَهُوَ بِلَادُهُ.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي: الْأَمْرُ بِإِجَارَةِ مَنْ طَلَبَ الْجَوَارَ لِيَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ.

﴿يَأْتَهُمْ﴾: بسبب آتتهم أي: المشركين.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يدرون شيئاً عن القرآن.

﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام يراد به النفي المشرب بتعجب.

﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾: أي: الذين اتخذوا لله شريكاً فيما هو له وحده من عبادة

أو غيرها.

﴿عَهْدٌ﴾: أي: أمان.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: من قبل الله تعالى.

﴿وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾: أي: من قبل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾: عقدتُم معهم العهد وهم قريش.

﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: قرب المسجد الحرام، وذلك في الحديبية سنة ست

من الهجرة، وسبق تفسير المسجد الحرام في الآية رقم (١٩٧).

﴿فَمَا اسْتَقَمُوا﴾: ما اسم شرط، وجوابه قوله: ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾.

﴿اسْتَقَمُوا﴾: اعتدلوا في العهد فلم ينقضوه.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾: الجملة تعليلية.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: سبق تفسير التقوى في الآية رقم (١٨٧). بفعل أوامره

واجتناب نواهيه.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ إِذَا اسْتَجَارَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُجِيرَهُ لِيَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَعَلَّهُ يَعْلَمُ مِنْهُ مَا لَمْ يَعْلَمُهُ مِنْ قَبْلُ فَيَتَأَثَّرُ بِهِ وَيَلِجُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ، ثُمَّ يُرَدُّهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بِلَادِهِ الَّتِي كَانَ آمِنًا فِيهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا عَنِ كَلَامِ اللَّهِ وَحُدُودِهِ.

ثم نفى الله تعالى أن يكون عنده وعند رسوله عهد للمشركين، وذلك لكفرهم وحرهم لله ورسوله، فكيف يكون لهم عهد وتلك حالهم إلا من جرى بينهم وبين النبي ﷺ عهد عند المسجد الحرام في الحديبية، وهم: قرئش حين صالحهم النبي ﷺ على وضع الحرب عشر سنين بينه وبينهم، فأمر الله تعالى أن نستقيم لهم على العهد ما داموا مستقيمين لنا عليه، فإن ذلك من التقوى والله يحب المتقين.

ج- ما يُستفاد من الآيتين:

- ١- جَوَازُ^(١) عَقْدِ الْأَمَانِ لِمَنْ طَلَبَهُ مِنَ الْكُفَّارِ لِيَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٢- وَجُوبُ رَدِّهِ إِلَى مَأْمَنِهِ إِذَا لَمْ يُسَلِّمْ.
- ٣- رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ فِي تَسْهِيلِ دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَفَتْحِ الْبَابِ لَهُمْ.
- ٤- تَعْظِيمُ حُرْمَةِ الْعَهْدِ.
- ٥- أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى.

(١) التعبير بالجواز لا ينافي الأمر به في الآية؛ لأن المراد من الجواز عدم المنع فلا ينافي وجوبه إذا دعت الحاجة إليه ولا تحريمه إذا خيف الضرر به. [المؤلف]

- ٦- حُسْنُ التَّعْلِيمِ الْقُرْآنِيِّ بِذِكْرِ عِلَّةِ الْحُكْمِ لِتَيِّينِ سُمُو الشَّرِيعَةِ، وَتَطْمَئِنُّ
النَّفْسُ إِلَيْهَا، وَيُثْبِتُ الْحُكْمُ لِلْمَسَائِلِ.
- ٧- أَنَّهُ لَا عَهْدَ لِلْكَفَّارِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ، فَلَا حُرْمَةَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي
الْآخِرَةِ.
- ٨- جَوَازُ عَقْدِ الصُّلْحِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَ الْحَاجَةِ.
- ٩- وَجُوبُ الْوَفَاءِ بِهِ إِذَا لَمْ يَنْقُضُوهُ.
- ١٠- أَنَّ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى.
- ١١- التَّرْغِيبُ فِي تَقْوَى اللَّهِ بِإِثْبَاتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ.
- ١٢- إِثْبَاتُ الْمَحَبَّةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لَهُ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ.

الآية الثالثة:

٢٤١- ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَاهِدَهُ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

تفسير الآية رقم ٢٤١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾: إلا أداة استثناءٍ مُتَّصِلٍ أو مُنْقَطِعٍ من قوله في أول السورة ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: سبق تفسيرهما في الآيتين (٢٣٩-٢٤٠).

﴿يَنْقُصُوكُمْ﴾: لم يُدْخِلُوا عليكم نقصاً من شروطِ العهدِ أو غيرها من مقتضياته.

﴿يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ﴾: يُعَاوِنُوا عَلَيْكُمْ.

﴿فَأَتُوا﴾: أَكْمَلُوا.

﴿عَاهَدَهُمْ﴾: عَقَدُوا أَمَانَهُمْ.

﴿إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ﴾: إِلَىٰ غَايَةِ عَهْدِهِمْ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾: سبق تفسيرها في الآية رقم (٢٤٠).

ب- المعنى الإجمالي:

ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ الْبَرَاءَةَ مِنْهُ وَمِنْ رَسُولِهِ إِلَى الْمُعَاهِدِينَ الَّذِينَ لَيْسَ لِعَهْدِهِمْ مُدَّةٌ أَنْ يَسِيرُوا آمِنِينَ لِمُدَّةِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَقَطْ ثُمَّ لَا عَهْدَ لَهُمْ، وَاسْتَسْنَى اللَّهُ تَعَالَى

في هذه الآية من له عهدٌ مُحدَّدٌ إلى مُدَّةٍ، فإنه يَجِبُ إتمامُ عَهْدِهِ إليه حتَّى تَنْتَهِيَ المُدَّةُ طالَتْ أم قَصُرَتْ إلا أن يَحْضُلَ منه نَقْضٌ لِلْعَهْدِ بِنَقْضِ المُسْلِمِينَ شَيْئاً، أو مُعَاوَنَةِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ فلا عَهْدَ لَهُ حِينَئِذٍ.

ثم حَتَمَ اللهُ تَعَالَى الآيَةَ بِبَيَانِ مَحَبَّتِهِ لِلْمُتَّقِينَ تَرْغِيباً فِي التَّقْوَى وَإِيَاءً إِلَى أن الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ مِنْهَا.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ الْوَفَاءِ لِلْمُعَاهِدِينَ بَعْدَهُمْ إِلَى انْتِهَاءِ مُدَّتِهِ وَلَوْ طَالَتْ.
- ٢- أَنَّ الْعَهْدَ يَنْتَقِضُ بِوَاحِدٍ مِنْ أَمْرَيْنِ:
أحدهما: أَنْ يَنْقُضُوا الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً مِنْ شُرُوطِ الْعَهْدِ أَوْ مُقْتَضِيَاتِهِ.
الثاني: أَنْ يُعَاوَنُوا أَحَدًا مِنْ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ.
- ٣- أَنَّ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ مِنْ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى.
- ٤- التَّرْغِيبُ فِي تَقْوَى اللهِ بِإِثْبَاتِ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ.
- ٥- إِثْبَاتُ الْمَحَبَّةِ مِنْ اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لَهُ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ.

الآية الرابعة:

٢٤٢- ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

تفسير الآية رقم ٢٤٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَإِمَّا﴾: الواو للاستئناف، وإما مُرَكَّبَةٌ من (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ وَمَا الْمُؤَكَّدَةِ، والأصل (وإن ما) فَأُدْغِمَتِ النُّونُ فِي الْمِيمِ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ ﴿فَأَنْذِرْ﴾.
 ﴿تَخَافَنَّ﴾: تَتَوَقَّعَنَّ.

﴿مِنْ قَوْمٍ﴾: أَي: قَوْمٍ مُعَاهِدِينَ.

﴿خِيَانَةً﴾: غَدْرًا يَنْقُضُ الْعَهْدَ.

﴿فَأَنْذِرْ﴾: فَاطْرَحْ وَمَفْعُوهُمَا مَحْدُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: فَانْذِرْ عَهْدَهُمْ.

﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾: عَلَىٰ اسْتِوَاءٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فِي الْعِلْمِ بِانْتِقَاضِ الْعَهْدِ، وَهُوَ فِي

مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ مِنَ النَّائِذِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾: أَي: إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ، وَالْجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِلأَمْرِ بِنَبْذِ الْعَهْدِ إِلَيْهِمْ

لَأَنَّهُمْ لَوْ فُوجِئُوا بِالهُجُومِ لَكَانَ خِيَانَةً.

ب- المعنى الإجمالي:

يقول الله تعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ إِذَا خِفْتَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ أَنْ يَجُؤُوا

بِنَقْضِ الْعَهْدِ لَوْ جُؤُوا بِالهُجُومِ لَكَانَ خِيَانَةً، فَالْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ

قَبْلَ الْهُجُومِ عَلَيْهِمْ لَتَكُونُوا عَلَى سِوَاءٍ فِي الْعِلْمِ بِنَقْضِ الْعَهْدِ، وَلَا تَفْجَأُهُمْ بِالْهُجُومِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ خِيَانَةٌ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١- جَوَازُ نَقْضِ الْعَهْدِ إِذَا خِيفَ مِنَ الْمُعَاهِدِينَ خِيَانَةً.
 - ٢- وَجُوبُ إِعْلَامِهِمْ بِذَلِكَ قَبْلَ مُفَاجَأَتِهِمْ بِالْهُجُومِ.
 - ٣- أَنَّ مُفَاجَأَتِهِمْ بِالْهُجُومِ قَبْلَ إِعْلَامِهِمْ خِيَانَةٌ.
 - ٤- التَّحْذِيرُ مِنَ الْخِيَانَةِ.
 - ٥- إِبْثَاتُ الْمُحِبَّةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ نَفْيَهَا عَنِ الْخَائِنِينَ يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ أَصْلِهَا.
- خُلَاصَةٌ: تَبَيَّنَ مِنَ الْآيَاتِ رَقْمَ (٢٤٠-٢٤٢) أَنَّ لِلْمُعَاهِدِينَ ثَلَاثَةَ حَالَاتٍ:
- الأولى: أَنْ يَسْتَقِيمُوا لَنَا عَلَى الْعَهْدِ فَيَجِبُ الْوَفَاءُ بَعَهْدِهِمْ وَالِاسْتِقَامَةُ فِيهِ لَهُمْ.
- الثانية: أَنْ يَنْقُضُونَا شَيْئًا مِنَ الْعَهْدِ أَوْ مُقْتَضِيَاتِهِ، أَوْ يُعَاوَنُوا عَلَيْنَا فَيَنْتَقِضُ عَهْدُهُمْ.

الثالثة: بَيْنَ الْحَالِينَ: أَنْ يَسْتَقِيمُوا لَنَا ظَاهِرًا وَنَخَافُ مِنْ غَدْرِهِمْ فَيَجُوزُ لَنَا نَقْضُ عَهْدِهِمْ لَكِنْ يَجِبُ إِخْبَارُهُمْ بِذَلِكَ قَبْلَ الْهُجُومِ عَلَيْهِمْ لِثَلَاثِ نَعَمٍ فِي الْخِيَانَةِ.

الآية الخامسة:

٢٤٣- ﴿ قَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

تفسير الآية رقم ٢٤٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ قَنِلُوا ﴾: سبق تفسيرها والخطاب للمؤمنين.

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾: لا يُصَدِّقُونَ بما يجب التصديق به نحوه مع القبول والامتنال.

﴿ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾: أي: ولا يؤمنون باليوم الآخر، وهو يوم القيامة، سُمِّيَ بذلك لتأخيره ولا يوم بعده، ونفى الإيمان عنهم بذلك لأنهم لم يطيعوا الله ويعملوا لليوم الآخر.

﴿ وَلَا يُحَرِّمُونَ ﴾: لا يقولون بتحريمه ولا يجتنبونه.

﴿ وَرَسُولُهُ ﴾: أي: محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿ وَلَا يَدِينُونَ ﴾: ولا يتعبدون.

﴿ دِينَ الْحَقِّ ﴾: تعبد الحق، وهو ما تعبد به محمد ﷺ، أو: لا يسلكون في تدينهم دين الحق وهو الإسلام.

﴿ مِنَ الَّذِينَ ﴾: بيان للذين في قوله: ﴿ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ الخ.

﴿أَوْثُوا الْكِتَابَ﴾: أَعْطَوْهُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى،
وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ: التَّوْرَةُ الْمُنَزَّلَةُ عَلَى مُوسَى، وَالْإِنْجِيلُ الْمُنَزَّلُ عَلَى عِيسَى -عَلَيْهِمَا
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

﴿حَتَّى﴾: حَرْفٌ غَايَةٌ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَنِلُّوْا﴾.

﴿يُعْطُوا﴾: يَبْدُلُوا إِلَيْكُمْ.

﴿الْحِزْبَةَ﴾: الْمَالُ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْهُمْ جَزَاءً عَلَى الْكُفِّ عَنْ قِتَالِهِمْ وَحِمَايَتِهِمْ
مِنَ الْأَدَى.

﴿عَنْ يَدٍ﴾: أَي: عَنْ قُوَّةٍ مِنَّا وَقَهْرٍ، أَوْ: عَنْ تَسْلِيمٍ لَهَا بِأَيْدِيهِمْ بَدُونِ أَنْ
يُرْسَلُوا بِهَا رَسُولًا.

﴿وَهُمْ صَغُرُونَ﴾: ذَلِيلُونَ عِنْدَ إِعْطَائِهَا لَا يَتَعَاطَمُونَ وَلَا يُعْظَمُونَ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُقَاتِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى الْمُتَّصِفِينَ
بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ؛ الَّتِي تَكْفِي وَاحِدَةً مِنْهَا لِلْحُكْمِ بِكُفْرِهِمْ وَالْإِقْدَامِ عَلَى
قِتَالِهِمْ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهَا جَمِيعًا لِلْحَثِّ عَلَى قِتَالِهِمْ وَالْإِغْرَاءِ بِهِ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ هِيَ:

١- أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.

٢- لَا يُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ^(١).

(١) قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ مِنْهُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ: إِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَالْجَوَابُ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّهُمْ
لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ حَقًّا لَآمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا إِلَيْهِمْ وَإِلَى النَّاسِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ كَذَلِكَ، وَلَأنَّهُمْ
يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَلَوْ آمَنُوا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ حَقًّا لَعَمِلُوا لَهُ وَذَانُوا دِينَهُ
الْحَقِّ فِي عِبَادَتِهِمْ، وَحَرَّمُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. [المؤلف]

٣- لا يُحْرَمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

٤- لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ.

وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِدَٰلِكَ الْقِتَالَ غَايَةً وَهِيَ: أَنْ يَبْذُلُوا لِلْمُسْلِمِينَ الْجِزْيَةَ عَنِ الْكُفِّ عَنِ قِتَالِهِمْ وَحِمَايَتِهِمْ عَلَى وَجْهِ يَشْعُرُونَ بِقُوَّتِنَا وَقَهْرِنَا لَهُمْ وَبِصَغَارِهِمْ وَذُهُمَّ أَمَانَنَا، فَلَا يُرْسَلُونَ بِهَا رَسُولًا، وَلَا يَتَعَاظَمُونَ أَوْ يُعَظَّمُونَ عِنْدَ تَسْلِيمِهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ أَدْعَى وَأَرْجَى لِإِسْلَامِهِمْ حَيْثُ يَجِدُونَ الْمُسْلِمِينَ بِتِلْكَ الْعِزَّةِ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عِلْمٍ فِي غَايَةِ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ.

ج- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

١- وَجُوبُ قِتَالِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ إِذَا لَمْ يُسَلِّمُوا.

٢- أَنَّ غَيْرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يُقَاتَلُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ إِذَا لَمْ يُسَلِّمُوا لِأَنَّ الْعِلَّةَ مَوْجُودَةً فِيهِمْ، وَكَمَا دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى ذَلِكَ^(١).

(١) ففي صحيح البخاري: كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، رقم (٣١٥٧) عن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ أَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ. وفيه أيضاً كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، رقم (٣١٥٩) عن المغيرة بن شعبة في قصة: أنه قال لعامل كسرى: «فَأَمَرْنَا نَبِيَّنَا رَسُولَ رَبِّنَا ﷺ أَنْ نَقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ». وفي صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، رقم (١٧٣١) عن بريدة رضي الله عنه قال: إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا إِلَى أَنْ قَالَ: «... وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَدْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيُّنَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ»، فَذَكَرَ الْإِسْلَامَ ثُمَّ التَّحَوَّلَ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ثُمَّ قَالَ: «فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّمُهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ»، وذكر تمام الحديث. وهذا نص في أخذ الجزية من المجوس والمشركين وليسوا من اليهود ولا النصراني. [المؤلف]

- ٣- وَجُوبُ بَدْلِ الْجِزْيَةِ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ.
- ٤- مَشْرُوعِيَّةُ إِظْهَارِ الْمُسْلِمِ لِلْعِزَّةِ وَالْقَهْرِ أَمَامَ الْكُفَّارِ.
- ٥- أَنْ الْمَقْصُودَ بِقِتَالِ الْكُفَّارِ: أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَدِينُهُ هُوَ الظَّاهِرُ لَا جَبْرَ النَّاسِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَإِلَّا لَمَا اكْتَفَى بِبَدْلِ الْجِزْيَةِ عَنْهُ.
- ٦- بَيَانُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِقْرَارِ الْكُفَّارِ بِالْجِزْيَةِ، لِمَا فِيهَا مِنْ حَفْزِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَانْتِفَاعِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا.

مِنْ آيَاتِ الْبَيْعِ

النَّوْعُ الْأَوَّلُ

الآيَةُ الْأُولَى:

٢٤٤- ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾ [البقرة: ٢٧٥].

مِنْ آيَاتِ الْبَيْعِ

الْبَيْعُ لُغَةً: الْمُبَادَلَةُ، مَاخُودٌ مِنَ الْبَاعِ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُبَادِلَيْنِ يَمُدُّ بَاعَهُ إِلَى الْآخَرِ.

وَشَرْعًا: مُبَادَلَةٌ مَالٍ مُعَيَّنٍ أَوْ فِي ذِمَّةٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ بِمِثْلِهَا عَلَى التَّأْيِيدِ.

وهو من الأمور التي تدعو الحاجة إليها، بل الضرورة أحياناً، فإنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ قَدْ يَحْتَاجُ أَوْ يَضْطَرُّ إِلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ، وَأَقْرَبُ وَسِيلَةٍ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ هُوَ الْبَيْعُ، وَمِنْ نَمَّ جَاءَتْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ الْكَامِلَةُ الشَّامِلَةُ بِإِبَاحَتِهِ وَتَنْظِيمِهِ، عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ الَّذِي يَكْفُلُ لِلنَّاسِ التَّعَامُلَ بِهِ عَلَى وَجْهِ سَلِيمٍ، بَعِيدٍ عَنِ الظُّلْمِ وَالْفَوْضَى وَبَذْرِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ.

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: أَي: مِنْ آيَاتِ الْبَيْعِ، وَيَتَضَمَّنُ: بَيَانَ حُكْمِ الْبَيْعِ وَشَيْءٍ مِنْ

شُرُوطِهِ.

تفسير الآية رقم ٢٤٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿يَأْكُلُونَ﴾: يأخذون الربا، وخص الأكل لأنه غاية ما يُتَمَعُ فيه بالمال.

﴿الرَبْوَا﴾: الزيادة الحاصلة بمبادلة الربوي بجنسه.

والربوي: الذهب والفضة وكل مكيل من المطعومات. وقيل: كل مكيل أو مؤزون.

﴿لَا يَقُومُونَ﴾: أي: من قبورهم يوم القيامة. والجملة في محل رفع خبر

لقوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾.

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ﴾: الكاف للتشبيه وما مصدرية أي: كقيام، ووجه المشابهة

أن كلا من المشبه والمشبه به لا يقوم قياما مستويا، بل كلما قام سقط.

﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾: أي: يضرعه، وأصل التخبط: الضرب على وجه غير منتظم.

﴿الشَّيْطَانُ﴾: واحد الشياطين، وهم عالم غيبي جسماني، قال الله تعالى:

﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَعَآخِرِينَ مُفْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٧-٣٨]، وقال

النبي ﷺ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ بِشَأْلِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشَأْلِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا». رواه مسلم^(١).

﴿مِنَ الْمَسِّ﴾: من الجنون، ومن بيانية تبين معنى التخبط.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: الجزاء الذي يلاقونه، وهو قيامهم من قبورهم يوم القيامة

على الصفة المذكورة.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم (٢٠٢٠).

﴿يَأْتَهُمُ﴾: الْبَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ.

﴿قَالُوا﴾: أَي: بِقُلُوبِهِمْ اعْتِقَادًا، أَوْ بِاللِّسَانِ نُطْقًا.

﴿إِنَّمَا﴾: أَدَاةُ حَضْرٍ، وَهُوَ تَخْصِيصُ الْحُكْمِ فِي الْمَحْضُورِ فِيهِ.

﴿مِثْلَ الرَّبَا﴾ مُمَاثِلٌ لَهُ فِي أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا مُبَادَلَةٌ.

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾: جَعَلَهُ حَلَالًا، وَالْحَلَالَ: الْمَأْذُونُ فِيهِ.

﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾: جَعَلَهُ حَرَامًا، وَالْحَرَامُ: الْمَمْنُوعُ مِنْهُ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ الرَّبَا بِيَانِ عُقُوبَةِ آكِلِيهِ، أَنَّهُمْ يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قِيَامَ الصَّرَعَى الَّذِينَ تَصَرَغُهُمُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُومُونَ قِيَامًا مُنْكَرًا غَيْرَ مُتَّزِنٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: «أَكَلَ الرَّبَا يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يُخْنَقُ»^(١). وَهَذَا غَايَةُ الْخِزْيِ وَالْعَارِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ، وَإِنَّمَا يُبْعَثُونَ هَذَا الْبَعْثَ الْمُنْكَرَ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا قَوْلًا مُنْكَرًا يَتَخَبَّطُونَ فِيهِ قَالُوا: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرَّبَا فَسَوَّوْا بَيْنَ مُعَامَلَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَمُعَامَلَةِ الْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ، وَهَذَا مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ، وَلِذَلِكَ أَبْطَلَّ اللَّهُ قَوْلَهُمْ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْبَيْعِ وَالرَّبَا فِي الْحُكْمِ، فَأَحَلَّ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرَّبَا، وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا فِي الْحُكْمِ دَلِيلٌ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

١- إِبْتِثَاتُ الْبَعْثِ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي التَّفْسِيرِ (٢/ ٥٤٤).

- ٢- إثباتُ الجزاءِ على الأعمالِ.
- ٣- أن الجزاءَ من جنسِ العملِ.
- ٤- إثباتُ عدلِ الله تعالى في جزائه.
- ٥- إثباتُ صرعِ الشياطينِ لبني آدم.
- ٦- حُسْنُ التَّعْلِيمِ الْقُرْآنِيِّ حَيْثُ يَقْرَنُ الْحُكْمَ بِعَلَّتِهِ لِيَبَانَ وَجْهَ الْحِكْمَةِ وَزِيَادَةَ الطَّمَأْنِينَةَ.
- ٧- أَنْ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.
- ٨- أَنْ مِنْ دَأْبِ الْمُبْطِلِينَ مَحَاوَلَةُ تَرْبِيرِ بَاطِلِهِمْ بِالْقِيَاسِ الْفَاسِدِ وَالشُّبْهِ الْبَاطِلَةِ ﴿إِنَّمَا أَلْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾.
- ٩- أَنَّ الْبَيْعَ حَلَالٌ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالآيَةِ.
- ١٠- أَنَّ الرِّبَا حَرَامٌ.
- ١١- أَنْ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ١٢- امْتِنَاعُ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ مَا فَرَّقَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمَا.

الآية الثانية والثالثة:

٢٤٥-٢٤٦- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا نَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٢٩-٣٠].

تفسير الآيتين رقم ٢٤٥ - ٢٤٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾: صدَّقوا بما يجبُ الإيَّانُ به مع القبول والإذعان.

﴿لَا تَأْكُلُوا﴾: لا تداولوا، وخصَّ الأكلُ لأنَّه غايةُ ما يتتبعُ فيه بالمال.

﴿أَمْوَالِكُمْ﴾: أموالُ بعضكم بعضًا.

﴿بِالْبَاطِلِ﴾: أي: بالطريقِ الباطلِ، وهو ما حرَّمه الشرعُ.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾: أي: الأموالِ، والاستثناءُ هنا مُنقطعُ فـ(إلا) بِمعنى

لكن.

﴿تِجَارَةً﴾: معاوضةً بالبيعِ والشراءِ. وخصَّ التجارةَ لأنَّ غالبَ تداولِ

الأموالِ بها.

﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾: أي: صادرةً عن تراضٍ، والتراضي: الرضا من الطرفين،

وهو: إقرارُ الشيءِ عن اقتناعٍ به.

﴿وَلَا نَقْتُلُوا﴾: لا تهلكوا.

﴿أَنْفُسِكُمْ﴾: أي: ذَوَاتِكُمْ أو إِخْوَانِكَ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَنْفُسِكُمْ.

﴿رَحِيمًا﴾: ذَا رَحْمَةٍ، وَالرَّحْمَةُ صِفَةٌ كَمَا لِ تَقْتَضِي الإِحْسَانَ إِلَى الْمَرْحُومِ، بِإِيصَالِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ وَدَفْعِ الشَّرِّ عَنْهُ.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: مَا سَبَقَ مِنْ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ وَقَتْلِ الْإِنْفُسِ.

﴿عُدْوَنًا﴾: تَجَاوُزًا لِلْحَدِّ، أَي: قَاصِدًا لِلْفِعْلِ.

﴿وظُلْمًا﴾: أَي: بِدُونِ حَقٍّ.

﴿نُضْلِيهِ نَارًا﴾: نُضِئُهُ إِيَّاهَا حَتَّى يَحْتَرِقَ.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي: إِضْلَاؤُهُ النَّارَ.

﴿يَسِيرًا﴾: سَهْلًا.

ب- الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يُنَادِي اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِصِفَةِ الإِيْمَانِ، تَنْشِيطًا لَهُمْ عَلَى قَبُولِ مَا يُحَاطَبُهُمْ بِهِ وَالتِّزَامِهِ، لِيُنْهَاهُمْ عَنِ الِاعْتِدَاءِ عَلَى الْأَمْوَالِ فَلَا يَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ بَيْنَهُمْ عَلَى وَجْهِ لَا يُبِيحُهُ الشَّرْعُ مِنَ الْغَضَبِ، وَالسَّرِقَةِ، وَالْقَمَارِ، وَالرِّبَا، وَالْحِيَانَةِ، وَالغِشِّ وَغَيْرِهَا، أَمَّا مَا يَأْخُذُهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ عَلَى سَبِيلِ الاتِّجَارِ وَالرِّضَا فَلَا حَرَجَ فِيهِ، لِضُرُورَةِ النَّاسِ لِذَلِكَ وَعَدَمِ الضَّرَرِ، وَيُنْهَاهُمْ أَنْ يَعْتَدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِمَا يَقْتَضِي هَلَاكَهَا سِوَاءُ كَانَتْ نَفْسَ الْقَاتِلِ ذَاتِهِ أَوْ نَفْسَ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، وَيُبَيِّنُ -سُبْحَانَهُ- أَنْ هَذَا النَّهْيُ مِنْ مُقْتَضَى رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، لِئَلَّا يَقَعَ بَيْنَهُمْ بِذَلِكَ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْفِتَنِ مَا يُكَدِّرُ عَلَيْهِمْ صَفْوَةَ حَيَاتِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ عَنِ الْقِيَامِ بِدِينِهِمْ وَمَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ.

وَمِنْ أَجْلِ خَطَرِ الْعِتْدَاءِ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالنُّفُوسِ خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى النَّهْيَ عَنْهُ
بِالْوَعِيدِ عَلَى مَنْ فَعَلَهُ قَاصِدًا لِفِعْلِهِ ظَالِمًا فِيهِ أَنْ يُصْلِيَهُ نَارًا، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُمْتَنِعٍ
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ هُوَ سَهْلٌ عَلَيْهِ لِتَمَامِ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَتَيْنِ:

- ١- تَحْرِيمُ أَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ.
- ٢- جَوَازُ الْأَتِّجَارِ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تُبِيحُهُ الشَّرِيعَةُ.
- ٣- اشْتِرَاطُ التَّرَاضِي بَيْنَ الْمُتَبَايِعِينَ.
- ٤- أَنْ يَبْعَ الْمُكْرَهُ وَشِرَاءَهُ بَاطِلٌ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُكْرَهًا بِحَقٍّ، كَالرَّاهِنِ
يُكْرَهُ عَلَى بَيْعِ الْمَرْهُونِ إِذَا امْتَنَعَ مِنْ وِفَاءِ الدَّيْنِ بَعْدَ حُلُولِهِ، وَهَذِهِ وَالتِّي
قَبْلَهَا مَحَلُّ الْأَسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.
- ٥- تَحْرِيمُ قَتْلِ النَّفُوسِ بغيرِ حَقٍّ.
- ٦- تَعْظِيمُ حُرْمَةِ الْأَمْوَالِ وَالنُّفُوسِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَدَرَ النَّهْيِ عَنِ الْعِتْدَاءِ عَلَيْهَا
بِالنَّدَاءِ لِتَنْبِيهِ الْمُخَاطَبِ.
- ٧- أَنَّ التَّزَامَ حُرْمَةِ الْأَمْوَالِ وَالنُّفُوسِ مِنْ مُقْتَضِيَّاتِ الْإِيمَانِ، لِأَنَّ اللَّهَ وَجَّهَ
النَّدَاءِ بِذَلِكَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ.
- ٨- إِبْتَاتُ صِفَةِ الرَّحْمَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ.
- ٩- أَنَّ تَحْرِيمَ الْعِتْدَاءِ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالنُّفُوسِ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ، لَمَا يُفْضَى إِلَيْهِ مِنْ
دَرَّةِ الْمَفَاسِدِ.

- ١٠- وَعِيدٌ مِّنْ اَنْتَهَكَ حُرْمَةَ الْاَمْوَالِ وَالنُّفُوسِ عُدْوَانًا وَظُلْمًا بِاِصْلَائِهِ نَارًا.
- ١١- اَنْ تَنْفِيذَ هَذِهِ الْعُقُوبَةَ يَسِيرٌ عَلَى اللّٰهِ تَعَالَى، لِاَنَّهُ تَامُّ الْقُدْرَةِ كَامِلُ السُّلْطَانِ.
- ١٢- اَنَّهُ لَا وَعِيدَ عَلَى مَنْ اَنْتَهَكَ هَذِهِ الْحُرْمَةَ بِغَيْرِ قَصْدٍ، لَكِنْ عَلَيْهِ الضَّمَانُ لِلْاَدَمِيِّ وَالْكَفَّارَةُ فِي قَتْلِ النَّفْسِ.
- ١٣- اَنَّهُ لَا وَعِيدَ عَلَى مَنْ اَنْتَهَكَ هَذِهِ الْحُرْمَةَ بِحَقٍّ وَلَا ضَمَانٍ اَيْضًا، لِاَنَّهُ لَيْسَ ظُلْمًا.
- فَائِدَةٌ: اِنْ قِيلَ مَا الْحِكْمَةُ اَنْ اللّٰهُ تَعَالَى بَدَأَ بِالنَّهْيِ عَنْ اَكْلِ الْاَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ
مَعَ اَنْ حُرْمَةَ النَّفُوسِ اَعْظَمُ؟
- فَالْجَوَابُ: اَنَّ وُقُوعَ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ فِي الْاَمْوَالِ اَكْثَرُ مِنْهُ فِي النَّفُوسِ فَبَدَأَ
بِالنَّهْيِ عَنْهُ تَقْوِيَةً لِدَاعِي تَرْكِهِ، وَاللّٰهُ اَعْلَمُ.

الآية الرابعة:

٢٤٧- ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ

وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

تفسير الآية رقم ٢٤٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾: لَا تُعْطُوا، وَ(لَا) نَاهِيَّةٌ، وَالْخَطَابُ لِلأَوْلِيَاءِ.

﴿السُّفَهَاءَ﴾: جَمْعُ سَفِيهِ، وَهُوَ مَنْ لَا يُحْسِنُ التَّصَرُّفَ.

﴿أَمْوَالِكُمْ﴾: جَمْعُ مَالٍ، وَهُوَ: مَا يَتَمَوَّلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ عَقَارٍ أَوْ مَنْقُولٍ.

وَأُضِيفَتْ فِي الْآيَةِ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ لِأَنَّهَا تَحْتَ تَصَرُّفِهِمْ، وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا مِثْلُ أَمْوَالِهِمْ فِي وَجوبِ الْعِنَايَةِ بِهَا.

﴿جَعَلَ﴾: صَيَّرَ.

﴿قِيَمًا﴾: أَي: مَحَلًّا لِقِيَامِ أُمُورِكُمُ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ.

﴿وَارْزُقُوهُمْ﴾: أَعْطُوهُمْ مَا تَقُومُ بِهِ حَيَاتِهِمْ مِنَ الطَّعَامِ وَغَيْرِهِ.

﴿فِيهَا﴾: قِيلَ (فِي) لِلظَّرْفِيَّةِ، أَي: رِزْقًا فِيهَا مِنْ مُكْسِبِهَا، وَقِيلَ (فِي) بِمَعْنَى

مِنْ أَي رِزْقًا مِنْهَا.

﴿وَاكْسُوهُمْ﴾: أَلْبَسُوهُمْ.

﴿مَعْرُوفًا﴾: لَيْتِنَا غَيْرَ مُنْكَرٍ. مِثْلُ أَنْ نَقُولَ: هَذَا مَالُكَ سَوْفَ نَحْفَظُهُ وَنُنَمِّيهِ

لَكَ حَتَّى تَكْبُرَ وَتَرْتُدَّ، وَأَنْتِ الْآنَ غَيْرُ مَحْرُومٍ فِيهَا نَحْنُ نُطْعِمُكَ وَنَكْسُوكَ.

ب- المعنى الإجمالي:

لما كانت الأموال قوام الحياة وسلم الوصول إلى الكمالات لمن وفقه الله تعالى، نهى الله تعالى أن نسلط عليها السفهاء الذين لا يحسنون التصرف فيها لصغر أو خلل في عقولهم أو سوء في تصرف أموالهم، لأنهم يضيعونها ويحرمون أنفسهم ومجتمعهم مصالحها، بل ربها جرؤوا أنفسهم ومجتمعهم إلى ما لا تحمد عقباه لسوء تصرفهم، ثم أمر - سبحانه - أن نبذل هؤلاء السفهاء ما تقوم به حياتهم من القوت والكسوة، وأن نقول لهم قولاً معروفاً لجبر قلوبهم وتهديتهم نفوسهم، حيث إن أموالهم في أيدينا وتحت تصرفنا.

ج- من فوائد الآية:

- ١- تحريم إعطاء السفية ماله.
- ٢- عناية الله تعالى بالأموال، لأنه نهى عن تسليط السفهاء عليها.
- ٣- أن الحكمة من الأموال قيام مصالح الدين والدنيا، لا أن تبذر فيما لا ينفع.
- ٤- اشتراط الرشد لصحة التصرف في المال.
- ٥- صحة تصرف الولي في مال السفية المولى عليه، وهاتان رقم (٤-٥) محل الاستشهاد بالآية.
- ٦- وجوب عناية الولي بمال المولى عليه كما يعتني بماله الخاص.
- ٧- وجوب الإنفاق على السفية من ماله طعاماً وكسوة وغيرهما.
- ٨- الإشارة إلى اتجار الولي به ليكون الإنفاق فيه لا منه.

١٤ - مَشْرُوعِيَّةُ قَوْلِ الْوَلِيِّ لِلسَّفِيهِ قَوْلًا مَعْرُوفًا يَنْجِرُ بِهِ قَلْبُهُ وَتَهْدَأُ بِهِ نَفْسُهُ.

١٥ - كَمَالُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

الآية الخامسة:

٢٤٨ - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

تفسير الآية رقم ٢٤٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ضَرَبَ﴾: جَعَلَ.

﴿مَثَلًا﴾: شَبَّهَا، وهو المفعول الثاني مُقَدَّمًا لـ (ضرب)، والمفعول الأول (عبدًا).

﴿لَا يَقْدِرُ﴾: الجُمْلَةُ صِفَةٌ كَاشِفَةٌ، أي: مُبَيِّنَةٌ لِلوَاقِعِ فَلَا تُفِيدُ تَقْيِيدًا. وَالقُدْرَةُ: صِفَةٌ يَتِمَكَّنُ بِهَا مِنْ فِعْلِ الْمُرَادِ عَلَى وَفْقِ الْإِرَادَةِ.

﴿وَمَنْ﴾: (مَنْ) اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ، مَعْطُوفٌ عَلَى (عَبْدًا).

﴿رَزَقْنَاهُ﴾: أَعْطَيْنَاهُ.

﴿حَسَنًا﴾: طَيِّبًا كَثِيرًا.

﴿يُنْفِقُ﴾: يَبْذُلُ.

﴿سِرًّا وَجَهْرًا﴾: خَفَاءً وَعَلَنًا.

﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾: يُمَاتِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالضَّمِيرُ لِلْعَبْدِ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ.

وَجُمِعَ بِاعْتِبَارِ الْجِنْسِ وَهُوَ مُتَعَدِّدُ الْأَفْرَادِ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلنَّفْيِ عَلَى صِيغَةِ التَّحْدِي.

﴿الْحَمْدُ﴾: الوَصْفُ بِالْكَمَالِ الذَّاتِي وَالْفِعْلِيّ.

﴿بَل﴾: لِلإِضْرَابِ الْإِنْتِقَالِي.

﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: أَكْثَرُ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ فَيَسْأَوُونَهُ بِهِ.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: لَيْسُوا مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ الْمُنْتَفِعِينَ بِهِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيّ:

الْأُمُورُ الْهَامَّةُ يُقَرَّرُهَا اللَّهُ تَعَالَى بِصُورٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الْبَيَانِ وَالإِيضَاحِ وَالتَّأْكِيدِ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَرَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بُطْلَانَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ الَّذِي سَاوَى الْمُشْرِكُونَ فِيهِ أَهْلَهُمْ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، فَضَرَبَ -سُبْحَانَهُ- مَثَلًا لَذَلِكَ بَعْدِ وَحُرِّ، عَبْدٌ مَمْلُوكٌ تَحْتَ ذُلِّ الْمِلْكِيَّةِ وَقَهْرِ الْمَالِكِ، فَهُوَ لَا يُسْتَطِيعُ التَّصَرُّفَ فِي شَيْءٍ، وَحُرٌّ وَسَعَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِالْمَالِ وَوَهَبَهُ صِفَةَ الْكَرَمِ، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَّةِ، فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَوِيَ هَؤُلَاءِ؟

إِنْ تَسَوَّيَةَ الْمُشْرِكِينَ لِأَهْلَتِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى كَتَسَوَّيَةَ مَنْ سَوَّى بَيْنَ هَؤُلَاءِ.

وَمَا كَانَ هَذَا الْمَثَلُ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ وَضَرْبِهِ فِي غَايَةِ الْبَيَانِ حَمْدَ اللَّهِ تَعَالَى نَفْسَهُ لِكَمَالِ بَيَانِهِ وَوُضُوحِ حُجَجِهِ الَّتِي لَا دَافِعَ لَهَا.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُسَوِّينَ بَيْنَ الرَّحْمَنِ وَالْأَوْثَانِ لَا يَعْلَمُونَ حَقَائِقَ الْأُمُورِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ مُنْغَمِرُونَ فِي ظِلْمَاتِ الشُّرْكِ مُعْرِضُونَ عَنِ طَلَبِ الْحَقِيقَةِ.

ج- من فوائد الآية:

- ١- كمال بيان القرآن بضرب الأمثال لتقريب المعقولات بتشبيهها بالمحسوسات.
- ٢- أن العبد المملوك لا يقدر على التصرف في نفسه ولا فيما بيده من المال.
- ٣- أن من شروط صحة البيع الحرية، لأن البيع نوع من التصرف، والعبد لا يقدر عليه، وهذه محل الاستشهاد بالآية.
- ٤- بيان فضل الله تعالى برزق عباده.
- ٥- أن ما بيد الإنسان من المال فهو من فضل الله تعالى عليه، وليس للإنسان فيه سوى ممارسة الأسباب.
- ٦- فضيلة الكرم وهو بذل المال فيما ينفع.
- ٧- تقرير انقضاء التساوي بين المتفاوتين ذاتاً أو صفةً.
- ٨- أن دعوى التساوي بينهما ضرب من ضروب الجهل.
- ٩- إثبات كمال الله تعالى وكمال بيانه لحقائق الأمور، ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حي عن بينة.
- ١٠- أن إيضاح الحق وبيانه من الصفات التي يُحمد عليها الفاعل.
- ١١- أن أكثر المشركين في جهل بحقائق الأمور، لأن ظلمات الشرك تحول بينهم وبين تمييز الحقائق.

تَنْبِيْهٌ:

هذه الآية الكريمة ضَرَبَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا الْمَثَلَ لِتَشْبِيهِهِ حَالِ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَيَسْأَوُونَ أَوْلِيَاءَهُمْ فِي الْعِبَادَةِ، بِحَالِ مَنْ يُسَاوِي بَيْنَ عَبْدٍ مَمْلُوكٍ لَا يَسْتَطِيعُ التَّصَرُّفَ وَحُرٍّ غَنِيٍّ يُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مَعَ ظُهُورِ الْفَرْقِ فِي ذَلِكَ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَشْبِيَهُ الْأَوْلِيَاءِ بِالْعَبِيدِ وَتَشْبِيَهُ اللهِ تَعَالَى بِالْحُرِّ، وَعَلَيْهِ فَلَا تُعَارِضُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

الآية السادسة:

٢٤٩- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ

إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

تفسير الآية رقم ٢٤٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ لا تدنوا، والمراد: لا تتصرفوا، والخطاب لأولياء اليتامى.

﴿الْيَتِيمِ﴾: من مات أبوه ولم يبلغ.

﴿إِلَّا بِالَّتِي﴾: أي: إلا بالحصله التي.

﴿أَحْسَنُ﴾: أحظ بكثرة الربح والاستثمار والحفظ.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ﴾: حتى يصل، والغاية لما بعد إلا كأنه قال: لا تقربوا مال اليتيم

إلا بالتي هي أحسن فاقربوه حتى يبلغ أشده.

﴿أَشُدَّهُ﴾: قوته الجسمية والعقلية، وهو هنا: البلوغ والرشد.

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾: أتموه من غير نقص ولا نقض، والعهد: الميثاق.

﴿مَسْئُولًا﴾: أي: مسؤولاً عنه المعاهد، هل وفى به أو لا.

ب- المعنى الإجمالي:

من رحمة الله تعالى بعباده عنايته بذوي النقص والقصور جبراً لنقصهم

وقصورهم، ومن ذلك عنايته تعالى باليتامى حيث فقدوا آباءهم القائمين عليهم

الكَاسِيْنَ لَهُمْ، فَهَيَّ أَوْلِيَاءَهُمْ أَنْ يَتَصَرَّفُوا بِأَمْوَالِهِمْ إِلَّا بِمَا يَرَوْنَهُ أَحْظَّ وَأَوْفَرَ، لِأَنَّهَا أَمَانَةٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى يَبْلُغَ هَوْلَاءِ الْيَتَامَى وَيَرْشُدُوا، ثُمَّ يُسَلِّمُوهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمَّا كَانَتْ الْوِلَايَةُ نَوْعًا مِنَ الْمَوَائِقِ لِالتَّزَامِ الْوَلِيِّ بِالْقِيَامِ بِمَا تَقْتَضِيهِ مِنَ الْأَمَانَةِ وَحُسْنِ التَّصَرُّفِ أَتَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾، أَي: مَسْئُولًا عَنْهُ الْمِعَاهِدُ مُطَالِبًا بِوَفَائِهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- كَمَالَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِعِنَايَتِهِ بِذَوِي الْقُصُورِ وَالنَّقْصِ.
- ٢- ثُبُوتُ الْوِلَايَةِ عَلَى أَمْوَالِ الْيَتَامَى حَتَّى يَبْلُغُوا وَيَرْشُدُوا.
- ٣- تَحْرِيمُ التَّصَرُّفِ فِي أَمْوَالِهِمْ بِغَيْرِ مَا هُوَ أَحْظُّ.
- ٤- نَفُوذُ التَّصَرُّفِ الْجَائِزِ فِي أَمْوَالِهِمْ مِنْ بَيْعٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ، حَيْثُ يَصِحُّ الْبَيْعُ مِنْ لَهُ وِلَايَةٌ شَرْعِيَّةٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَالِكًا، وَقَدْ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: يُشْتَرَطُ لَصِحَّةِ الْبَيْعِ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَالِكٍ أَوْ مِنْ يَقُومُ مَقَامَهُ.
- ٥- وَجُوبُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ سِوَاءَ كَانَ عَامًّا أَمْ خَاصًّا، وَسِوَاءَ كَانَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ.
- ٦- وَجُوبُ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ لِأَنَّهُ مِنَ الْعَهْدِ، لَكِنَّ السُّنَّةَ خَصَّتْ ذَلِكَ بِنَذْرِ الطَّاعَةِ فَقَطْ.
- ٧- التَّحْذِيرُ مِنْ تَرْكِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

الآية السابعة:

٢٥٠- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَفْزُوكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

تفسير الآية رقم ٢٥٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: يسألك الصحابة.

﴿عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾: أي: عن شأنيهما وحكميهما، والخمر: كلُّ مُسْكِرٍ، وهو ما غطى العقل على سبيل اللذة والطرب. والميسر: اكتساب المال بالمغالبة وما جرى مجراها.

﴿فِيهِمَا﴾: أي: في تناولهما.

﴿إِثْمٌ﴾: ذنب.

﴿كَبِيرٌ﴾: عظيم الكيفية، وفي قراءة: (كثير) كثير العدد.

﴿وَمَنْفَعٌ﴾: مصالح.

﴿أَكْبَرُ﴾: أعظم.

﴿مَاذَا﴾: اسم استفهام مركب في محل نصب مفعولاً مقدمًا لـ ﴿يُنْفِقُونَ﴾.

﴿يُنْفِقُونَ﴾: يبذلون من أموالهم.

﴿الْعَفْوُ﴾: الزائد عن حاجتكم، وهو منصوبٌ بمخذوفٍ، والتقدير: أنفقوا العفو.

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: مثل ذلك البيان، فالكاف اسمٌ بمعنى مثل، مفعولٌ مطلقٌ لـ ﴿بَيْنُ﴾.

﴿بَيْنُ﴾: يوضح.

﴿الآيَاتِ﴾: أي: الأحكام الشرعية والكونية، سميت آياتٍ لأنها علاماتٌ على الحاكم بها وعلمه ورحمته وحكمته.

﴿لَمَّا كُمُ﴾: لعل للتعليل.

﴿تَنْفَكْرُونَ﴾: تعملون أفكاركم للنظر والمقارنة بين المنافع والمضار.

ب- المعنى الإجمالي:

كان الحمرُ والميسرُ مما يتعاطاهُ الناس في الجاهلية، وحيث إن لكل منهما مفاسدٌ وأضرارًا، ففيهما: إيقاعُ العداوة والبغضاء بين الناس، وفيهما: الصدُّ عن ذكرِ الله وعن الصلاة، وفي الحمر: ذهابُ العقل والتحاقُ الشاربِ بالبهائم والمجانين، فربما فجرَ بأمه أو قتلَ ولده، قال القرطبي: «رئى بعضُ الشاربين يمسحُ وجهه ببوله، ويقول: اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين. ورئى بعضهم والكلبُ يلحسُ وجهه وهو يقول له: أكرمك الله»^(١). وفي الميسر: سلبُ الأموالِ حتى يضحى الميسورُ فقيرًا وأكلَ المالِ بالباطلِ حتى يضحى الميسرُ مُتخماً، وفيه: تعطيلُ الاكتسابِ النافعِ الطيبِ.

(١) تفسير القرطبي (٣/٥٧).

وإلى جانب هذه الأضرار يحصل بالحمر والميسر من اللذة بالخمر والاتجار به، والتوسع بأرباح الميسر، والإنفاق منه على الأهل والمُعوزين، فلما استقر الإيمان في نفوس الصحابة صاروا ينظرون إلى الأمور بعين البصيرة والعقل الموازنة بين الأمور وتقويمها، فاشتبه عليهم شأن الحمر والميسر وحكمهما فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى الجواب عن ذلك بيان أن فيهما منافع وإثمًا ورجحان الإثم على المنافع كيفية وكمية، كما يستفاد من القراءتين، والبصير لا يختار ما إثمُهُ أَرْجَحُ مِنْ مَنَافِعِهِ، فكان هذا البيان بمنزلة التمهيد لتحريمهما، حيث يأتي والنفوس قد تهيأت له فيكون أذعى لقبوله وأسهل في اجتنابه.

ولما كان في الميسر أكل المال بالباطل أعقب الله تعالى سؤالهم عنه بسؤالهم عما ينفقونه من أموالهم، وأمر نبيه ﷺ أن يجيبهم بأن ينفقوا الفاضل عن حاجاتهم الذي لا يسق عليهم إنفاقه.

ثم ذكر مته على عباده بيان آياته الشرعية والكونية ليتفكروا في هذه الآيات ويستدلوا بها على ما تتضمنه من عظمتها وحكمتها وعلمه ورحمته.

ج- من فوائد الآية:

- ١- حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على العلم بأحكام الشرع.
- ٢- ثبوت رسالة النبي ﷺ لأن الله تعالى تولى إجابة السؤال الموجه إليه.
- ٣- أن من الأسئلة الموجهة للرسول ﷺ ما ينفرد الله تعالى بالإجابة عنه.
- ٤- عناية الله تعالى بالمؤمنين.

- ٥- بُلُوغُ الشَّرِيعَةِ أَسْمَى غَايَاتِ الْحِكْمَةِ، حَيْثُ تُقَارَنُ بَيْنَ مَنَافِعِ الْأُمُورِ وَمَضَارِّهَا فَتَحْكُمُ عَلَيْهَا بِمَا تَقْتَضِيهِ الْحَالُ.
- ٦- اِعْتِبَارُ الْعَدْلِ وَالْمَوَازَنَةِ بَيْنَ الْأُمُورِ.
- ٧- رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ حَيْثُ يُخَاطِبُهُمْ بِكَشْفِ حَقَائِقِ الْأُمُورِ لِإِقْنَاعِهِمْ.
- ٨- التَّدَرُّجُ فِي التَّشْرِيعِ خُصُوصًا فِيمَا يَشُقُّ عَلَى النَّاسِ التِّزَامُهُ بِأَوَّلٍ وَهَلَّةِ كَالْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ.
- ٩- أَنْ مَا غَلَبَتْ مَضَرَّتُهُ عَلَى مَنَفَعَتِهِ فَالْحِكْمَةُ فِي تَحْرِيمِهِ، وَلِذَا حُرِّمَ الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ.
- ١٠- تَحْرِيمُ بَيْعِ الْحَمْرِ لِأَنَّ إِثْمَهُ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِ.
- ١١- تَحْرِيمُ بَيْعِ الْغَرَرِ لِأَنَّهُ يُشْبِهُ الْمَيْسِرَ.
- ١٢- أَنْ الْمَشْرُوعَ فِي الْإِنْفَاقِ أَنْ يُنْفَقَ مَا تَيْسَّرَ وَلَمْ يَشُقَّ عَلَيْهِ إِنْفَاقُهُ، وَهَاتَانِ رَقْمِ (١١-١٢) مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالآيَةِ.
- ١٣- كَمَا لِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بَيَانِ آيَاتِهِ.
- ١٤- أَنْ الْحِكْمَةَ مِنْ بَيَانِ الْآيَاتِ التَّفَكُّرُ فِيهَا لِيُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

الآية الثامنة إلى العاشرة:

٢٥١-٢٥٣- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٠-٩٢].

تفسير الآيات رقم ٢٥١ - ٢٥٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾، ﴿الْخَمْرُ﴾، ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾: سبق تفسيرها.

﴿وَالْأَنْصَابُ﴾: جمع نصب، وهي: الأصنام، سُميت به لأنها تُنصب لتُعبَد.

﴿وَالْأَزْلَمُ﴾: جمع زَلَمٌ، وهي: أقْداحٌ ثلاثة مكتوبٌ على واحدٍ منها: افْعَلْ، وعلى الثاني: لا تَفْعَلْ، والثالث لا كِتَابَةَ عليه، فإذا همَّ أَحَدٌ بِأَمْرٍ وَتَرَدَّدَ فِيهِ أَجَالَ هذه الأَقْدَاحَ فِي إِنَاءٍ أَوْ كَيْسٍ، ثُمَّ أَخَذَ وَاحِدًا مِنْهَا فَإِنْ أَصَابَ الْمَكْتُوبَ عَلَيْهِ: افْعَلْ، نَفَذَ أَمْرَهُ، وَإِنْ أَصَابَ الْمَكْتُوبَ عَلَيْهِ: لا تَفْعَلْ تَرَكَ مَا هَمَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَ مَا لا كِتَابَةَ عَلَيْهِ أَعَادَ الإِجَالَ مَرَّةً ثَانِيَةً.

﴿رِجْسٌ﴾: قَدْرٌ خَبِيثٌ.

﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾: من العمل الذي يَأْمُرُ بِهِ، وَسَبَقَ تَفْسِيرُ كَلِمَةِ ﴿الشَّيْطَانِ﴾.

﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾: أَي: الرَّجْسُ، ابْتَعِدُوا عَنْهُ كَأَنَّكُمْ فِي جَانِبٍ وَهُوَ فِي جَانِبٍ آخَرَ،

وَالْفَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿تُقْلِحُونَ﴾: تُدْرِكُونَ المَحْبُوبَ وَتُنَجُونَ مِنَ المَكْرُوهِ.

﴿إِنَّمَا﴾: أَدَاةُ حَضْرٍ، وَالحَضْرُ تَحْصِيسُ الحُكْمِ فِي المَحْصُورِ فِيهِ.

﴿يُرِيدُ﴾: يَقْصِدُ وَيُحِبُّ.

﴿يُوقِعَ﴾: يُلْقِي وَيُثَبِّتُ.

﴿أَعْدَاوَةٌ﴾: التَّبَاعُدُ وَعَدَمُ الاتِّتِلَافِ.

﴿وَأَبْغَضَاءٌ﴾: الكَرَاهَةُ.

﴿فِي الحَمْرِ وَالمَيْسِرِ﴾: بسببها ف(في) للَسَّبِيَّةِ.

﴿وَيَضُرُّكُمْ﴾: يَضُرُّ فِكْمَ.

﴿ذَكَرَ اللهُ﴾: طَاعَةَ اللهِ.

﴿الصَّلَوةُ﴾: العِبَادَةُ المَعْرُوفَةُ ذَاتُ الأَقْوَالِ والأَفْعَالِ المَفْتُحَةُ بِالتَّكْبِيرِ المَحْتَمَّةُ

بِالتَّسْلِيمِ.

﴿فَهَلْ﴾: الفَاءُ لِلتَّفْرِيعِ، وَ(هَلْ) لِلإِسْتِفْهَامِ الَّذِي بِمَعْنَى الإِغْرَاءِ، وَهُوَ أَبْلَغُ

مِنَ الأَمْرِ بِصِيغَتِهِ.

﴿مُنْهَوْنَ﴾: مُجْتَنِبُونَ.

﴿وَأَطِيعُوا﴾: وَافِقُوا الأَمْرَ بِالأَمْتِثَالِ وَالنَّهْيَ بِالأَجْتِنَابِ.

﴿الرَّسُولَ﴾: المُرْسَلُ إِلَيْكُمْ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَالِ لِلْعَهْدِ الذَّهْنِيِّ.

﴿وَأَحْذَرُوا﴾: احْتَرِزُوا مِنَ الْمَخَالَفَةِ.

﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: أَعْرَضْتُمْ عَنِ الطَّاعَةِ.

﴿الْبَلُغُ﴾: إِيصَالُ مَا أُرْسِلَ بِهِ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿الْمِينُ﴾: الْبَيِّنُ الْمِينُ لِلْأُمُورِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُنَادِي اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ تَنْشِيطًا لَهُمْ عَلَى قَبُولِ مَا يَخَاطَبُهُمْ بِهِ وَالتَّزَامِ الْعَمَلِ بِهِ، لَكِنَّهُ قَدَّمَ التَّحَدُّثَ عَنْهُ قَبْلَ الْحُكْمِ عَلَيْهِ لِيَكُونَ اسْتِعْدَادًا لِلنَّفُوسِ لِلتَّزَامِ الْحُكْمِ أَقْوَى، فَبَيَّنَ اللَّهُ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْأَرْبَعَةَ: الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالْأَنْصَابَ وَالْأَزْلَامَ حَبِيبَةٌ قَدِيرَةٌ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَأْمُرُ بِهَا الشَّيْطَانُ، وَلِهَا وَطَنَ النَّفُوسِ عَلَى كَرَاهَتِهَا أَمْرٌ بِاجْتِنَابِهَا، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ، ثُمَّ بَيَّنَّ -سُبْحَانَهُ- مَا يُرِيدُهُ الشَّيْطَانُ بِنَا فِي مُزَاوَلَةِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، وَهِيَ أُمُورٌ أَرْبَعَةٌ: إِيقَاعُ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَنَا، وَالصَّدُّ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَعَنِ الصَّلَاةِ، فَهَلْ يَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُزَاوِلَ الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ أَمْ أَنَّ اللَّاتِقَ بِهِ أَنْ يَنْتَهِيَ.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَعَظِيْرِهِ، وَحَدَّرَ مِنَ الْمَخَالَفَةِ وَهَدَّدَ الْمَخَالَفِينَ بِأَتْمَمِّهِمْ إِنْ أَعْرَضُوا فَلْيَعْلَمُوا أَنَّ الْحُجَّةَ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمْ، وَأَتْمَمُّ لَنْ يُضَرُّوا اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ شَيْئًا فَإِنَّمَا عَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ الْمَبِينُ، وَقَدْ قَامَ بِهِ عَلَى أَتْمَمِّ الْوُجُوهِ فَقَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- اسْتِعْمَالُ الْمُتَكَلِّمِ مَا يُنْشِطُ الْمُخَاطَبَ عَلَى الْقَبُولِ وَالتَّزَامِ الْحُكْمِ
- ٢- وَجُوبُ اجْتِنَابِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ.
- ٣- أَنْ اجْتِنَابَهَا سَبَبٌ لِلْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- ٤- أَنَّهَا رَجَسٌ عَمَلِيٌّ يُوحِي بِهِ الشَّيْطَانُ.
- ٥- تَحْرِيمُ بَيْعِ الْخَمْرِ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ، وَيُقَاسُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ مَا يُقْصَدُ بِهِ الْمُحَرَّمُ، وَهَذِهِ الْفَائِدَةُ مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ، وَيُؤْخَذُ مِنْهَا اشْتِرَاطُ كَوْنِ نَفْعِ الْعَيْنِ الْمَعْقُودِ عَلَيْهَا مُبَاحًا.
- ٦- أَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لِبَنِي آدَمَ.
- ٧- أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ تَقَعَ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّهَا سَبَبُ التَّفَكُّكِ وَالتَّفَرُّقِ.
- ٨- أَنَّ مُمَارَسَةَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ سَبَبٌ لِلْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، لِأَنَّ شَارِبَ الْخَمْرِ يَعْتَدِي كَثِيرًا عَلَى غَيْرِهِ بِالسَّبِّ وَالضَّرْبِ وَرَبْمَا بِالْقَتْلِ، وَالغَالِبُ فِي الْمَيْسِرِ أَنْ يَحْصُلَ مِنْهُ تَطَاوُلٌ عَلَى الْمَغْلُوبِ بِالِافْتِخَارِ، وَالْمَغْلُوبُ يَحْقِدُ عَلَيْهِ وَيَبْغِضُهُ.
- ٩- أَنَّ مُمَارَسَةَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ تَصُدُّ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنِ الصَّلَاةِ، لِأَنَّ مُمَارَسَتَهَا يَلْهُو بِهَا.
- ١٠- تَحْرِيمُ مَا يُوجِبُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.
- ١١- تَحْرِيمُ مَا يَصُدُّ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ.

- ١٢- فَضِيلَةُ الصَّلَاةِ.
- ١٣- وَجُوبُ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَّا فِيمَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الأَمْرَ فِيهِ لِغَيْرِ الوُجُوبِ.
- ١٤- التَّحْذِيرُ مِنْ مَخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.
- ١٥- وَجُوبُ البَلَاغِ المَبِينِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ١٦- صِدْقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَسُولِنَا﴾.
- ١٧- تَشْرِيفُ النَّبِيِّ ﷺ بِإِضَافَةِ رِسَالَتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.
- ١٨- أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ بِمُخَالَفَةِ العَاصِينَ.

النَّوعُ الثَّانِي

الآية الأولى إلى الثالثة:

٢٥٤-٢٥٦- ﴿ فِي بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا كِبَرٌ وَلَا يَفْتَرُونَ مَا لَمْ يَحْمِلُوا مِنْهُ وَالَّذِينَ يَبِغُونَ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْتُونَ بِمَا وَعَدُوا وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

النَّوعُ الثَّانِي: أَي: مِنْ آيَاتِ الْبَيْعِ، وَيَتَضَمَّنُ: بَيَانَ بَعْضِ مَوَانِعِ الْبَيْعِ.

هذا النوع يتعلّق بموانع البيع، وذلك أن الأمور الشرعية والكونية أيضاً لا تتم إلا إذا تمت أسبابها وشروطها وانتفت موانعها، والبيع داخل في هذه الكلية العامة لا يتم إلا بتمام شروطه وانتفاء موانعه.

وقد سبق ذكر شيء من شروطه في النوع الأول. وفي هذا النوع نذكر بعض الموانع في تفسير الآيات الآتية:

تفسير الآيات رقم ٢٥٤ - ٢٥٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ فِي بُيُوتِ ﴾: جمع بيت وهو المقر والمأوى. والمراد بها هنا: المساجد. والجار والمجرور متعلق بقوله: ﴿ أَدْنِ ﴾ أو بقوله: ﴿ يُسَبِّحُ ﴾.
﴿ أَدْنِ ﴾: أي: أمر.

﴿تُرْفَعُ﴾: يُعْلَى شَأْنُهَا حِسًّا وَمَعْنَى.

﴿يُسَيِّحُ﴾: يُنَزِّهُ بِالتَّسْيِيحِ، أَوْ يُصَلِّي لِأَنَّ التَّسْيِيحَ جُزْءٌ مِنَ الصَّلَاةِ.

﴿لَهُ﴾: لِلَّهِ، وَاللَّامُ بَيَانِيَّةٌ، أَي: مُبَيِّنَةٌ لِمَنْ لَهُ التَّسْيِيحُ.

﴿بِالْعُدُوِّ﴾: جَمْعُ عَدُوَّةٍ، وَهِيَ: أَوَّلُ النَّهَارِ.

﴿وَالْأَصَالِ﴾: جَمْعُ أَصِيلٍ، وَهِيَ: آخِرُ النَّهَارِ.

﴿رِبْعَالٍ﴾: فَاعِلٌ ﴿يُسَيِّحُ﴾، وَهُوَ جَمْعُ رَجُلٍ وَهُوَ الذَّكَرُ مِنْ بَنِي آدَمَ،

أَوْ بِشَرَطِ الْبُلُوغِ.

﴿لَا تُلْهِهِمْ﴾: لَا تَشْغَلُهُمْ.

﴿تَجَحَّرُ﴾: عَمَلٌ يُقْصَدُ بِهِ الرَّبْحُ الْمَالِي.

﴿بَيْعٌ﴾: مُبَادَلَةٌ مَالٍ بِمَالٍ، وَإِنْ لَمْ يُقْصَدْ بِهِ الرَّبْحُ.

﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾: تَذَكُّرٌ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ بِطَاعَتِهِ.

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾: فَعَلَ الصَّلَاةَ تَامَّةً مُسْتَقِيمَةً، وَالصَّلَاةُ: عِبَادَةٌ ذَاتُ أَقْوَالٍ

وَأَفْعَالٍ مَعْلُومَةٍ، مُفْتَتِحَةٌ بِالتَّكْبِيرِ مُحْتَمَةٌ بِالتَّسْلِيمِ.

﴿وَأَيَّاءَ الزَّكَاةِ﴾: إِعْطَائُهَا الْمُسْتَحَقَّهَا، وَالزَّكَاةُ: نَصِيبٌ مَفْرُوضٌ شَرْعًا فِي أَمْوَالٍ

مَخْصُوصَةٍ لِحُجَّتٍ مَخْصُوصَةٍ.

﴿يَخَافُونَ﴾: الْخَوْفُ: تَوَقُّعُ مَكْرُوهٍ أَنْعَقَدَ سَبَبُهُ.

﴿يَوْمًا﴾: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَتَنْكِيرُهُ لِلتَّعْظِيمِ.

﴿نَلْقَبُ﴾ : تَغَيَّرَ وَتَحَوَّلَ.

﴿الْقُلُوبُ﴾ : جَمْعُ قَلْبٍ، وَهُوَ الَّذِي فِي الصُّدُورِ.

﴿وَالْأَبْصَارُ﴾ : جَمْعُ بَصَرٍ، وَهُوَ الْعَيْنُ.

﴿لِيَجْزِيَهُمْ﴾ : لِيُعْطِيَهُمْ مُكَافَأَةً، وَاللَّامُ لِلْعَاقِبَةِ.

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ : أَتَمَّ جَزَاءَ مَا عَمِلُوا.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ : مِنْ عَطَائِهِ الْمُتَفَضَّلِ بِهِ فَوْقَ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ.

﴿نَزَقُ﴾ : يُعْطَى.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ : بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُنَوِّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِشَأْنِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، فَيُبَيِّنُ أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يَرْفَعُوهَا حَسَنًا بِالْبِنَاءِ وَمَعْنَى بِالْتَعْظِيمِ وَالصِّيَانَةِ وَالطَّهَارَةِ، وَأَنْ يَذْكُرُوهُ فِيهَا بِذِكْرِ اسْمِهِ لِيُطَابِقَ اللِّسَانُ الْقَلْبَ، وَيُنَوِّهُ تَعَالَى بِشَأْنِ عَامِرِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، وَهُمْ رِجَالٌ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ: لَا يَشْغَلُهُمْ مَا يَشْغَلُ النَّاسَ مِنَ التَّجَارَةِ وَالْبَيْعِ عَنْ ذِكْرِهِ تَعَالَى بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَمِنْ ذَلِكَ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَهُمَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، لَكِنْ خَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الصَّلَاةَ أَعْظَمَ الْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ وَالزَّكَاةَ أَعْظَمَ الْأَعْمَالِ الْمَالِيَّةِ فَكَانَ لَهَا مَزِيدُ عِنَايَةٍ.

وهؤلاء الرجال مع قيامهم بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة لم تعظم أعمالهم في أنفسهم فيروا أنهم آمنوا بها من العذاب يوم الحساب؛ بل كانوا يخافون

ذلك اليوم العَظِيمَ الذي تَقَلَّبُ فيه القُلُوبُ والأَبْصَارُ من سِدَّةِ الأَهْوَالِ والأَفْزَاحِ؛ لهذا كَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ أَنْ يُكَافِئَهُمُ اللهُ تَعَالَى على ما عَمِلُوا أَحْسَنَ الجَزَاءِ فَيُضَاعِفُ لَهُمُ الثَّوَابَ الحَسَنَةَ بَعِشْرَ أمثالها إلى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إلى أضعاف كثيرة، والله يَرْزُقُ من يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

ج- من فوائِدِ الآياتِ:

- ١- تَعْظِيمُ شأنِ المساجِدِ.
- ٢- مَشْرُوعِيَّةُ رَفْعِهَا رَفْعًا حَسِيًّا بِالبِنَاءِ وَمَعْنَوِيًّا بالتَّعْظِيمِ والصِّيَانَةِ والطَهَارَةِ.
- ٣- مَشْرُوعِيَّةُ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فيها بالقَلْبِ واللِّسَانِ والجَوَارِحِ، من صَلَاةٍ وَقِرَاءَةٍ قُرْآنٍ وتَعْلِيمِ عِلْمٍ وَنَحْوِهَا.
- ٤- الثَّنَاءُ على عَامِرِيهَا بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.
- ٥- أَنَّ عَامِرِيهَا هُمُ الحَائِزُونَ لوصفِ الرُّجُولَةِ.
- ٦- أَنَّ عِمَارَةَ المساجِدِ بالذِّكْرِ من شُؤونِ الرِّجالِ دُونَ النِّسَاءِ، فَصَلَاتُهُنَّ فِي بُيُوتِهِنَّ أَفْضَلُ سِوَى صَلَاةِ العِيدِينَ.
- ٧- أَنَّ التِّجَارَةَ والبَيْعَ لا يَمْنَعَانِ مَرْتَبَةَ الكَمالِ إِذَا لم يَشْغَلَا عن طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.
- ٨- فَضْلُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ.
- ٩- إِثْبَاتُ اليَوْمِ الآخِرِ وَشِدَّةُ أهْوَالِهِ.
- ١٠- تَقَلُّبُ القُلُوبِ والأَبْصَارِ من هَوْلِهِ وَفَزَعِهِ.
- ١١- فَضْلُ خَوْفِهِ والاسْتِعْدَادُ لَهُ.

١٢- كَمَالُ إِحْسَانِ اللَّهِ تَعَالَى بِمُضَاعَفَةِ جَزَاءِ الْعَامِلِينَ لَهُ.

١٣- أَنْ رَزَقَ اللَّهُ تَعَالَى لَا حَضَرَ لَهُ.

١٤- أَنْ الْبَيْعَ وَالشَّرَاءَ لَا يَصِحُّ فِي الْمَسْجِدِ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ»^(١). وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ هَذَا»^(٢). وَهَذِهِ الْفَائِدَةُ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب البيوع، باب النهي عن البيع في المسجد، رقم (١٣٢١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد، رقم (٥٦٨).

الآية الرابعة:

٢٥٧- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

تفسير الآية رقم ٢٥٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾، ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾، ﴿ذِكْرِ اللَّهِ﴾: سبق تفسيرها.
 ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾: جمع ولد بمعنى مؤلود، ويشمل الذكور والإناث، وكُرِّرَتْ (لا) مع المعطوف لئلا يتوهم أن النهي عن الإلهاء بمجموع الأموال والأولاد.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: الإلهاء، والمراد التلهي.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل، وفائدته: التوكيد والحصر وتعيين أن ما بعده خبر لا صفة.

﴿الْخَاسِرُونَ﴾: المتقصون فيما يرجون ربحه.

ب- المعنى الإجمالي:

يُنَادِي اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ تَنْشِيطًا لَهُمْ عَلَى قَبُولِ مَا يُحَاطَبُهُمْ بِهِ وَالتَّزَامِ الْعَمَلِ بِهِ لِيُنْهَاهُمْ عَنْ أَنْ تَشْغَلَهُمْ أَمْوَالُهُمْ أَوْ أَوْلَادُهُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُبَيِّنُ أَنَّ الْمَشْتَغَلِينَ بِذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ لِيُنَالُوا بِهِ رِبْحًا هُمُ الْخَاسِرُونَ لِدَنَاءَةِ مَا اشْتَغَلُوا بِهِ وَعُلُوِّ مَا اشْتَغَلُوا عَنْهُ، وَأَتَى بِضَمِيرِ الْفَصْلِ وَبِالْجُمْلَةِ الْاسْمِيَةِ لِتَأْكِيدِ خُسْرَانِهِمْ وَبَيَانِ أَنَّ الْخُسْرَانَ وَصَفٌ لَازِمٌ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

ج- من فوائد الآية:

- ١- تَنْبِيهُ الْمَخَاطَبِ بِتَصْدِيرِ مَخَاطَبَتِهِ بِالنِّدَاءِ.
- ٢- اسْتِعْمَالُ الْكَلِمَاتِ الْمُنشِطَةِ عَلَى الْقَبُولِ وَالْعَمَلِ.
- ٣- النَّهْيُ عَنِ التَّلَهِّيِّ بِالْأَمْوَالِ أَوْ الْأَوْلَادِ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَهُوَ لِلتَّحْرِيمِ إِنْ تَلَهَّى عَنْ وَاجِبٍ.
- ٤- أَنْ التَّلَهِّيِّ بِذَلِكَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ هُوَ الْحَسَارَةُ، وَإِنْ ظَنَّ الْفَاعِلُ رَبِيحًا.
- ٥- تَحْرِيمُ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ إِذَا شَغَلَ عَنِ وَاجِبٍ كحُضُورِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ لِمَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.

الآية الخامسة إلى السابعة:

٢٥٨-٢٦٠- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ [الجمعة: ٩-١١].

تفسير الآيات رقم ٢٥٨ - ٢٦٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾: سبق تفسيرها.

﴿نُودِيَ﴾: نادى المؤذن، والنداء رفع الصوت.

﴿للصَّلَاةِ﴾: صلاة الجمعة.

﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾: من بيانية، ويوم الجمعة معروف، سمي بذلك لجمعه

الناس في الصلاة، وجمع الله فيه من الأمور ما لم يجمعه في غيره.

﴿فَاسْعَوْا﴾: فبادرُوا بالمضي، والفاء رابطة للجواب.

﴿ذِكْرَ اللَّهِ﴾: ما يذكركم بالله من الخطبة والصلاة.

﴿وَذَرُوا﴾: انتركوا.

﴿الْبَيْعِ﴾: عقد المبيعات.

﴿ذَلِكُمْ﴾: أي: سعيكم إلى ذكر الله وترككم البيع.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةٌ مِنْ تَرْكِكُمْ السَّعْيَ وَبَقَائِكُمْ عَلَى الْبَيْعِ.
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أَي: إِنْ كُنْتُمْ ذَوِي عِلْمٍ فَلَنْ يُخْفَى عَلَيْكُمْ ذَلِكَ
 فَبَادِرُوهُ.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾: فُرِغَ مِنْهَا.

﴿فَأَنْتَشِرُوا﴾: فَتَفَرَّقُوا بَعْدَ اجْتِمَاعِكُمْ لِمَصَالِحِكُمْ.

﴿وَأَنْبَغُوا﴾: اطْلُبُوا.

﴿مَنْ فَضَّلَ اللَّهَ﴾: مِنْ رِزْقِهِ بِالْكَسْبِ الْحَلَالِ، وَمِنْ بَيَانِيَّةٍ أَوْ لِلتَّبَعِيضِ.

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾: تَذَكَّرُوهُ بِقُلُوبِكُمْ وَالسِّتِّكُمْ وَجَوَارِحِكُمْ بِطَاعَتِهِ.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿نُقْلِحُونَ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا.

﴿رَأَوْا﴾: أَبْصَرُوا، وَالضَّمِيرُ لِلصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَلَاةِ

جُمُعَةٍ أَحَدِ الْأَيَّامِ.

﴿بِجَارَةٍ﴾: سِلْعَةٌ يَتَجَرَّ فِيهَا.

﴿أَوْ لَهْوًا﴾: عَمَلًا يُلْهِي مِنَ التَّصْفِيْقِ وَضَرْبِ الطُّبُولِ الَّذِي يَكُونُ عَادَةً

عِنْدَ قُدُومِ عِيرِ التَّجَارَةِ.

﴿أَنْفُضُوا﴾: تَفَرَّقُوا ذَاهِبِينَ.

﴿لَيْتَهَا﴾: أَي: إِلَى التَّجَارَةِ، وَأَعَادَ الضَّمِيرَ إِلَى التَّجَارَةِ دُونَ اللَّهْوِ، لِأَنَّهَا الْأَصْلُ

وَالْمَقْصُودُ بِذَاهِبِهِمْ، وَاللَّهُوُ لِلْإِشْعَارِ بِقُدُومِهَا فَقَطْ وَلَيْسَ مَقْصُودًا لِدَاتِهِ.

﴿قَائِمًا﴾: واقفًا مَخْطُبٌ.

﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ فِي الْآخِرَةِ.

والاسم الموصول مبتدأ.

﴿خَيْرٌ﴾: أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً، وَهُوَ خَيْرُ الْمَبْتَدَأِ.

﴿خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾: أَفْضَلُ الْمُعْطِينَ عَطَاءً لِكَثْرَةِ عَطَائِهِ وَدَوَامِهِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُنَادِي اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ تَنْشِيطًا لَهُمْ عَلَى قَبُولِ مَا يُحَاطِبُهُمْ بِهِ وَالتَّزَامِ الْعَمَلِ بِهِ، فَيَأْمُرُهُمْ إِذَا أَدَّنَ الْمُؤَدَّنَ لصلَاةِ الْجُمُعَةِ أَنْ يُبَادِرُوا بِالْمُضِيِّ إِلَى الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ لِمَا فِيهَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّذْكِيرِ بِآيَاتِهِ وَآلِهِ وَيَتْرَكُوا الْبَيْعَ وَالشَّرَاءَ، وَيُبَيِّنُ تَعَالَى أَنْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ لِمَا فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ مَعَ إِدْرَاكِ الْمَقْصُودِ مِنْ بَيْعِهِمْ وَشِرَائِهِمْ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَلْيَتَفَرَّقُوا فِي أَرْضِ اللَّهِ وَيَطْلُبُوا مِنْ رِزْقِهِ الْحَلَالِ، عَلَى وَجْهِ لَا يُنْسِيهِمْ ذِكْرَ اللَّهِ لِيَتَأَلَّوْا الظَّفَرَ بِالْمَحْبُوبِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْمَكْرُوهِ.

ثم ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالًا وَقَعَتْ لِلصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- حِينَ قَدِمَتْ عِيرٌ مِنَ الشَّامِ وَالنَّبِيِّ ﷺ قَائِمٌ يُخْطَبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَانُوا فِي حَاجَةٍ وَضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ فَلَمَّا رَأَوْهَا خَرَجُوا إِلَيْهَا لِيَتَأَلَّوْا مِنْهَا لِشِدَّةِ حَاجَتِهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْخَارِجِينَ هَذِهِ الْآيَةَ عِتَابًا لَهُمْ وَأَمْرًا نَبِيَّهٖ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

ج- من فوائد الآيات:

- ١- مَشْرُوعِيَّةُ الْأَذَانِ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَوُجُوبُ الْمُضِيِّ إِلَيْهَا حِينَ الْأَذَانِ لَهَا.
- ٢- وَجُوبُ تَرْكِ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ بَعْدَ الْأَذَانِ لَهَا عَلَى مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْأَسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٣- مَشْرُوعِيَّةُ الْخُطْبَةِ لِلْجُمُعَةِ، وَوُجُوبُ الْإِنْصَاتِ لَهَا.
- ٤- مَشْرُوعِيَّةُ قِيَامِ الْخُطِيبِ فِي الْجُمُعَةِ.
- ٥- أَنْ قِيَامَ الْعَبْدِ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ التَّشَاغُلِ عَنْهُ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا.
- ٦- ذِكْرُ مَا يُثِيرُ الْمُخَاطَبَ وَيُشَجِّعُهُ عَلَى التَّزَامِ الْأَحْكَامِ ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.
- ٧- التَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْلَفِ بِتَحْدِيدِ مُدَّةِ التَّكْلِيفِ، وَذِكْرُ مَا يُبَاحُ لَهُ بَعْدَهَا ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾.
- ٨- مَشْرُوعِيَّةُ طَلَبِ الرِّزْقِ.
- ٩- مَشْرُوعِيَّةُ الْإِكْتَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ حِينَئِذٍ، لِيَكُونَ زَاجِرًا لَهُ عَنِ التَّكْسِبِ الْحَرَامِ.
- ١٠- أَنْ كَثْرَةَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ.
- ١١- عِتَابٌ مِنْ خَرَجَ عَنِ الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ لَطَلَبِ الدُّنْيَا.
- ١٢- أَنْ مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ خَيْرٌ مِنْ تِجَارَةِ الدُّنْيَا وَلَهُوَهَا.
- ١٣- كِهَالِ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَجُودِهِ.

الآية الثامنة:

٢٦١- ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ

إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ [المائدة: ٢].

تفسير الآية رقم ٢٦١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾: لِيُعِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَالْعَوْنُ: الْمُسَاعَدَةُ.

﴿الْبِرِّ﴾: فِعْلُ الطَّاعَاتِ.

﴿وَالتَّقْوَىٰ﴾: تَرْكُ الْمَعَاصِي.

﴿وَلَا نَعَاوَنُوا﴾: لَا تَتَسَاعَدُوا، وَأَصْلُهَا: تَتَعَاوَنُوا فَحُذِفَتْ إِحْدَى التَّائِيْنِ

تَخْفِيفًا، وَ(لَا) نَاهِيَةٌ.

﴿الْإِثْمِ﴾: أَي: تَرْكُ الطَّاعَاتِ.

﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: أَي: فِعْلُ الْمَعَاصِي، وَهَذَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالآيَاتِ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: اتَّخِذُوا وَقَايَةً مِنْ عَذَابِهِ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي.

﴿شَدِيدُ قَوِيٌّ.

﴿الْعِقَابِ﴾: الْمَعَابِقَةُ، وَهِيَ: الْمُجَازَاةُ عَلَى الذُّنُوبِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً فِي فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ

المعاصي، فيعاون بعضهم بعضا في تحقيق ذلك، لتكون الأمة أمة واحدة على ملة واحدة، وينهاهم - سبحانه - أن يتعاونوا على الإثم والعدوان، لأن ذلك سبب لظهورهما وانتشارهما، وهما أسباب الشقاء في الدنيا والآخرة، ويحتم الله تعالى الآية بالأمر بالتقوى التي تشمل فعل الطاعات وترك المعاصي محذرا عبادة من شدة عقوبته وعذابه.

ج- من فوائد الآية:

- ١- وجوب التعاون على البر والتقوى.
- ٢- تحريم التعاون على الإثم والعدوان.
- ٣- منع بيع الأشياء لمن يقصد بها فعل محرّم أو ترك واجب، لأنه من التعاون على الإثم والعدوان، وهذه محل الاستشهاد بالآية.
- ٤- وجوب تقوى الله - عز وجل -.
- ٥- تحذير من لا يتقي الله تعالى من عقوبته.

النوع الثالث

الآية الأولى:

٢٦٢- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْاِتِّعَانِ إِلَّا مَا يَتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

النوع الثالث: أي: من آيات البيع، ويتضمن: ذكر الآيات التي في الشروط في البيع.

العقود نوعان مطلق ومقيّد بشرط، فالمطلق: ما لم يضيف أحد من المتعاقدين إليه شيئاً فيبقى على إطلاقه ويلتزم فيه بما يقتضيه العقد في الشرع. والمقيّد: ما أضاف أحد المتعاقدين إليه شيئاً من الشروط الزائدة على ما يقتضيه مطلق العقد، فيتقيّد بما قيّد به على وفق الشرع.

والأصل في هذه الشروط المضافة الحل، كما أن الأصل في العقود الحل، فلا يمنع منها إلا ما ثبت منعه شرعاً.

والفرق بين شروط العقد والشروط فيه من وجهين:

الأول: أن شروط العقد تثبت بحكم الشرع، فلا يملك أحد إلغاءها، أما الشروط في العقد فقد ثبتت بحكم المشترط لها فيحل لمن هي له إلغائها.

الثاني: أن شروط العقد شروط لصحته فلا يصح بدونها، أما الشروط في العقد فهي شروط للزوميه فيصح العقد بدونها، لكن لمن فاتته فسوخ العقد.

تفسير الآية رقم ٢٦٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾: سبق تفسيرها.

﴿أَوْفُوا﴾: أتموا.

﴿بِالْعُقُودِ﴾: جمع عقد، وهو ما التزمه الإنسان على نفسه لله تعالى أو للناس، ودخلت الباء عليها لتضمين (أوفوا) معنى التزموا، كأنه قيل: التزموا بالعقود وافيةً. ﴿أُحِلَّتْ﴾: أحل الله لكم، والإحلال: جعل الشيء حلالاً، أي: مأذوناً فيه. ﴿بِهَيْمَةٍ﴾: كل حي ليس من ذوي التمييز والنطق، وصفت بذلك لإبهامها بعدم تمييزها ونطقها.

﴿الْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم، أو: كل بهيمة حلال.

﴿إِلَّا مَا يُتَى﴾: إلا الذي يُقرأ عليكم، يعني: قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾ الخ.

﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾: غير مُستحلي الصيد بقتل أو غيره، والصيد بمعنى: المصيد، وهو الحيوان البري المتوحش الحلال. و﴿غَيْرَ﴾ منصوب على أنه حال من الكاف في ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ﴾.

﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾: داخلون في حرم أو إحرام، والجُملة في محل نصب على أنه حال من الضمير في ﴿مُحِلِّي﴾.

﴿يَحْكُمُ﴾: يقضي. ﴿مَا يُرِيدُ﴾: ما يشاء.

ب- المعنى الإجمالي:

يُنَادِي اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ تَنْشِيطًا لَهُمْ عَلَى قَبُولِ مَا يُخَاطَبُهُمْ بِهِ وَالتَّزَامِهِ، فَيَأْمُرُهُمْ بِمَا فِيهِ اسْتِقَامَةٌ أُمُورِهِمْ وَطُمَأْنِينَتُهُمْ، وَهُوَ الْوَفَاءُ بِمَا التَّرَمُّوهَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَهُ أَوْ لِعِبَادِهِ مِنَ الْعُقُودِ أَصُولِهَا وَأَوْصَافِهَا الْمَشْرُوطَةِ فِيهَا، ثُمَّ يُعَقِّبُ ذَلِكَ بِيَانِ مَا أَحَلَّ لَهُمْ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ وَالصَّيْدِ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- لَهُ الْحُكْمُ فِيهَا يُرِيدُ حَلًّا وَحُرْمَةً لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

ج- من فوائد الآية:

- ١- اسْتِعْمَالُ الْمُتَكَلِّمِ مَا يَجْمَلُ الْمُخَاطَبَ عَلَى قَبُولِ مَا يُخَاطَبُ بِهِ وَالتَّزَامِهِ.
- ٢- وَجُوبُ الْوَفَاءِ بِالْعُقُودِ.
- ٣- وَجُوبُ الْوَفَاءِ بِالشَّرُوطِ فِي الْعُقُودِ، لِأَنَّهَا مِنَ الْعُقُودِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَفَاءُ بِالشَّرُوطِ فِي الْبَيْعِ.
- ٤- تَحْرِيمُ الْوَفَاءِ بِالشَّرُوطِ إِذَا كَانَتْ مُحَرَّمَةً فِي الشَّرْعِ، لِأَنَّ حُكْمَ اللَّهِ مُقَدَّمٌ عَلَى شَرْطِ غَيْرِهِ، وَهَذِهِ وَالتِّي قَبْلَهَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٥- أَنَّ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ حَلَالٌ إِلَّا مَا اسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمَيْتَةِ وَنَحْوِهَا.
- ٦- جَوَازُ اسْتِثْنَاءِ الْمُجْمَلِ إِذَا كَانَ مُبَيَّنًّا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.
- ٧- تَحْرِيمُ قَتْلِ الصَّيْدِ فِي الْحَرَمِ أَوْ حَالِ الْإِحْرَامِ.
- ٨- أَنَّ الْحُكْمَ فِي الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ.
- ٩- أَنَّ اللَّهَ يُحْكِمُ مَا يُرِيدُ فَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ.

الآيتان الثانية والثالثة:

٢٦٣-٢٦٤ - ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٣٤) ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ السِّتْقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٤-٣٥].

تفسير الآيتين رقم ٢٦٣ - ٢٦٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَوْفُوا﴾: سبق تفسيرها.

﴿بِالْعَهْدِ﴾: بالميثاق.

﴿مَسْئُولًا﴾: أي: مسؤولاً عنه، والغرض من جملة ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ التحذير.

﴿الْكَيْلِ﴾: التقدير بالصاع ونحوه.

﴿وَزَنُوا﴾: قَدَرُوا الْوَزْنَ.

﴿بِالْقِسْطِ السِّتْقِيمِ﴾: بالميزان، وهو روميٌّ مُعَرَّبٌ.

﴿السِّتْقِيمِ﴾: السليم المعتدل.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: إيفاء الكيل والوزن بالميزان المستقيم.

﴿خَيْرٌ﴾: أفضل وأطيب.

﴿تَأْوِيلًا﴾: عاقبةً.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنْ يُوفُوا بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنْ يَتَعَاهَدُوهُ بِالرَّعَايَةِ وَالْمَحَافَظَةِ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ التَّهَاوُنِ بِهِ بِتَأْكِيدِ أَنْ الْعَهْدَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، فَهُوَ مَسْئُولِيَّةٌ لَا يَتَخَلَّصُ الْمُعَاهِدُ مِنْهَا إِلَّا بِالْوَفَاءِ بِهَا، ثُمَّ يُعَقِّبُ ذَلِكَ بِالْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ عِنْدَ اسْتِيفَاءِ الْحَقُوقِ، بَحَيْثُ يُوفَى الْكَيْلَ فِيهَا يُكَالُ وَالْوَزْنَ فِيهَا يُوزَنُ، وَيَبَيِّنُ أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ فِي الْحَاضِرِ وَالْمَالِ.

ج- من فوائد الآيتين:

- ١- وَجُوبُ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ سِوَاءَ كَانَتْ فِيهَا بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَرَبِّهِ أَوْ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ.
- ٢- وَجُوبُ الْوَفَاءِ بِالشَّرْطِ فِي الْبَيْعِ وَغَيْرِهِ، لِأَنَّهَا مِنَ الْعُهُودِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالآيَتَيْنِ.
- ٣- عِظَمُ الْعُهُودِ وَخَطَرُ مَسْئُولِيَّتِهَا.
- ٤- إِثْبَاتُ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.
- ٥- التَّحْذِيرُ مِنَ التَّفْرِيطِ بِالْعُهُودِ بِتَرْكِ الْوَفَاءِ بِهَا.
- ٦- وَجُوبُ وَفَاءِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ فِيهَا يُكَالُ وَيُوزَنُ.
- ٧- أَنَّ الْوَفَاءَ بِذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَحُسْنِ الْعَوَاقِبِ.
- ٨- أَنَّ مَوْوَنَةَ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ عَلَى الْبَاذِلِ.

الآية الرابعة:

٢٦٥- ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

تفسير الآية رقم ٢٦٥:

أ- تفسير الكلمات:

﴿لَيْسَ﴾: فعل جامد يفيد النفي، يرفع المبتدأ وينصب الخبر.

﴿الْبِرِّ﴾: الطاعة أو التوسع فيها.

﴿تُولُوا﴾: توجهوا.

﴿قِبَلَ﴾: جهة.

﴿الْمَشْرِقِ﴾: مكان شروق الشمس.

﴿وَالْمَغْرِبِ﴾: مكان غروب الشمس.

﴿الْبِرِّ﴾: أي: المطيع أو المتوسع في الطاعة، فهو مصدر بمعنى اسم الفاعل،

كما يقال: فلان عدل. أي: عادل.

﴿ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾: أقر به وبما ثبت له من أسماء وصفات وأفعال وحقوق مع

القبول والانقياد.

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: يوم القيامة وما فيه من حسابٍ وثوابٍ وعقابٍ وغيرها،
وُصِفَ بِذَلِكَ لِتَأْخِرِهِ وَلَا يَوْمَ بَعْدَهُ.

﴿وَالْمَلَائِكَةَ﴾: جَمْعُ مَلَكٍ، وَهُمْ عَالَمٌ غَيْبِيٌّ خَلَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ نُورٍ،
وَسَخَّرَهُمْ لِعِبَادَتِهِ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ.

﴿وَالْكِتَابِ﴾: أَي: الْكِتَابُ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رُسُلِهِ، فَهُوَ مُفْرَدٌ بِمَعْنَى
الْجَمْعِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْجِنْسُ.

﴿وَالنَّبِيِّنَ﴾: الَّذِينَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ بَشْرِعًا، فَيَشْمَلُ الرُّسُلَ.

﴿وَأَعْتَى﴾: أَعْطَى، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى (أَمَنَ).

﴿أَمْالٍ﴾: مَا يَتَمَوَّلُ مِنْ عَقَارٍ أَوْ مَنْقُولٍ.

﴿عَلَى حِمِّهِ﴾: عَلَى مَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ أَوْ نَفَاسَتِهِ عِنْدَهُ، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ

فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ مِنْ فَاعِلٍ (أَتَى).

﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾: أَصْحَابُ الْقَرَابَةِ مِنْ جِهَةِ الْأُمِّ أَوْ الْأَبِ.

﴿وَالْيَتَامَى﴾: جَمْعُ يَتِيمٍ، وَهُوَ: مَنْ مَاتَ أَبُوهُ وَلَمْ يَبْلُغْ.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: جَمْعُ مَسْكِينٍ، وَهُوَ: مَنْ لَا يَجِدُ الْكِفَايَةَ.

﴿وَأَبْنَاءَ السَّبِيلِ﴾: صَاحِبِ الطَّرِيقِ، وَهُوَ الْمَسَافِرُ الْمُحْتَاجُ.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: الطَّالِبِينَ لِلْمَالِ.

﴿الرِّقَابِ﴾: جَمْعُ رَقَبَةٍ، وَالْمُرَادُ: تَخْلِيصُ الرِّقَابِ مِنَ الرِّقِّ أَوْ الْأَسْرِ.

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾: أَتَى بِهَا مُسْتَقِيمَةً بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَأَمَمَّهَا

بِمُكَمَّلَاتِهَا، وَ(أَقَامَ) مَعْطُوفَةٌ عَلَى (أَمَنَ).

﴿وَأَقِ الزَّكَاةَ﴾: أَعْطَاهَا مُسْتَحِقَّهَا.

﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾: الْمُتِمُّونَ.

﴿بِعَهْدِهِمْ﴾: بِمِيثَاقِهِمْ.

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾: الْحَاطِسِينَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ وَعَمَّا يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مَحذُوفٍ، وَإِنَّمَا قُطِعَ عَمَّا قَبْلَهُ لِتَنْبِيهِ الْمُخَاطَبِ وَإِحْصَارِ ذَهْنِهِ، وَلِأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ آخَرَ فَإِنَّ الْأَفْعَالَ الَّتِي قَبْلَهُ إِيجَادِيَّةٌ وَالصَّبْرُ أَمْرٌ عَدَمِيٌّ.

﴿الْبِأْسَاءَ﴾: الْفَقْرَ.

﴿وَالضَّرَّاءَ﴾: الْمَرِيضَ، أَوْ كُلَّ مَا بِهِ ضَرَرٌ.

﴿وَحِينَ الْبِأْسِ﴾: وَقَتَ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿أَوْلِيَّتِكَ﴾: أَي: الْمُتَصِفُونَ بِهَا ذَكَرَ.

﴿صَدَقُوا﴾: جَاءُوا بِالصِّدْقِ، وَالصِّدْقُ: مُطَابَقَةُ الْقَوْلِ لِلْوَاقِعِ وَالْفِعْلِ لِمَا فِي

الْقَلْبِ.

﴿هُمْ﴾: ضَمِيرٌ فَضْلٌ لَا مَحَلَّ لَهُ مِنَ الْإِعْرَابِ، وَفَائِدَتُهُ: الْحَضْرُ وَالتَّوَكُّيدُ وَبَيَانُ

أَن مَا بَعْدَهُ خَبَرٌ لَا صِفَةٌ.

﴿الْمُنْفُونَ﴾: الَّذِينَ اتَّخَذُوا وَقَايَةَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَتَرَكَ نَوَاهِيهِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ أَنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِأَنْ يَتَوَجَّهَ الْإِنْسَانُ نَحْوَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ حَتَّى يَكُونَ مَحَلًّا لِلْجِدَالِ وَالْإِعْتِرَاضِ، كَمَا حَصَلَ حِينَ حُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ مِنْ بَيْتِ

المقدس إلى الكعبة، ولكن البرَّ حقيقةً أن يتَّصفَ الإنسانُ بهذه الأوصافِ الجليَّةِ المتضمَّنة لأصحِّ العقائدِ وأسلمها وأزكى الأعمالِ وأطيبها وهي:

١- الإيمانُ بالله ويتضمَّنُ: الإيمانَ بوجُوده ورُبوبيَّته، وألوهيَّته، وأسمائه وصِفاته على ما جاء في الكتابِ والسُّنة.

٢- الإيمانُ باليومِ الآخرِ ويتضمَّنُ كلَّ ما جاء في الكتابِ والسُّنة مما يكونُ بعدَ الموتِ في البرزخِ وبعدَ البعثِ، وقَدَّمهُ اللهُ تعالى على الإيمانِ بالملائكةِ والكتبِ والرُّسلِ لأنه أشدُّ حملاً للمكلفِ على الامتثال.

٣- الإيمانُ بالملائكةِ ويتضمَّنُ الإيمانَ بأعيانهم وأوصافهم وأعمالهم على ما جاء في الكتابِ والسُّنة.

٤- الإيمانُ بالكتبِ التي أنزلها اللهُ على رُسُلِهِ بتَّصديقِ أخبارهم والعملِ بأحكامها غيرِ المنسوخة^(١).

٥- الإيمانُ بالنبيِّين، ويدخلُ فيهم عندَ الإطلاقِ الرُّسلُ لأنهم أنبياءُ، وذلك بتَّصديقهم والعملِ بشرائعهم غيرِ المنسوخة.

٦- إعطاءُ المالِ على حُبِّهِ في صِلَةِ قَرِيبٍ، أو دَفْعِ حَاجَةٍ، أو تَكْرَمِ بِإِجَابَةِ سَائِلٍ.

٧- إِقَامُ الصَّلَاةِ.

٨- إِيْتَاءُ الزَّكَاةِ مُسْتَحِقَّهَا.

(١) المنسوخة هي: التي رُفِعَتْ بِشَرِيعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فلا يجوزُ العملُ بها ولا اعتبارُها ديناً مقبولاً لقولِ اللهُ تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وكذلك في شَرِيعَتِنَا ما هو منسوخٌ سواء في القرآن أم في السُّنة فلا يجوزُ العملُ به. [المؤلف]

- ٩- الإيفاء بالعهد، سواء كان لله تعالى وهو التَّعَبُّدُ له، أو كان للناس.
- ١٠- الصَّبْرُ في مواطنِ الشَّدَّةِ كالْفَقْرِ والمَرَضِ والقِتَالِ.
- فهذه الصِّفَاتُ العَشْرُ مَنِ اتَّصَفَ بِهَا فَهُوَ صَاحِبُ البرِّ الصَّادِقِ الْمُتَّقِي لله تَعَالَى.
- ج- مِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ:

- ١- أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ البرِّ أَنْ يَتَعَبَّدَ المرءُ بِمَا يَعْتَقِدُهُ دِينًا وَهُوَ غَيْرُ مَشْرُوعٍ.
- ٢- أَنَّ البرَّ هُوَ الإِيْمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَمَا يَجِبُ الإِيْمَانُ بِهِ وَالتَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِمَا شَرَعَهُ.
- ٣- فَضِيلَةُ الإِيْمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالكُتُبِ وَالأَنْبِيَاءِ^(١).
- ٤- فَضِيلَةُ صَرْفِ المَالِ فِي حَالِ مَحَبَّتِهِ إِلَى وُجُوهِ الخَيْرِ.
- ٥- فَضِيلَةُ صَرْفِ المَالِ لِلقَرِيبِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجًا لِأَنَّهُ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ.
- ٦- فَضِيلَةُ صَرْفِ المَالِ لِلْيَتَامَى، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا فِي حَاجَةٍ لِأَنَّ فِيهِ جَبْرًا لِقُلُوبِهِمْ.
- ٧- فَضِيلَةُ صَرْفِ المَالِ لِلْمَسَاكِينِ لِأَنَّ فِيهِ سَدًّا لِحَاجَتِهِمْ.
- ٨- فَضِيلَةُ صَرْفِ المَالِ لِلْمُسَافِرِينَ، لِأَنَّ فِيهِ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى وَعَثَاءِ السَّفَرِ.
- ٩- فَضِيلَةُ صَرْفِ المَالِ لِلسَّائِلِينَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا فِي حَاجَةٍ لِأَنَّهُ مِنَ الكَرَمِ المَحْمُودِ^(٢).

(١) التَّعْبِيرُ بِالْفَضِيلَةِ لِإِنْفَائِي الوُجُوبِ فِيهَا ثَبَتَ وَجُوبُهُ لِأَنَّ فِي الوَاجِبِ مِنَ الفَضْلِ أَكْثَرَ مِنَ التَّطَوُّعِ.

[المؤلف]

(٢) مَحَلُّ ذَلِكَ مَا لَمْ يَسْتَعْنِ بِهِ الْمُعْطَى عَلَى مُحَرَّمٍ، فَإِنْ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَيْهِ لَمْ يُعْطَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢٤]. [المؤلف]

١٠- فَضِيلَةُ صَرْفِ الْمَالِ فِي الرَّقَابِ لِأَن فِيهِ فِكَا لَهَا وَتَحْرِيرًا.

١١- فَضِيلَةُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ.

١٢- فَضِيلَةُ إِبْتِئَاءِ الزَّكَاةِ.

١٣- فَضِيلَةُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَمِنْهُ: الشَّرْطُ فِي الْعُقُودِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْاِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.

١٤- فَضِيلَةُ الصَّبْرِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ.

١٥- الثَّنَاءُ عَلَى الْمُتَّصِفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

الآية الخامسة:

٢٦٦- ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

تفسير الآية رقم ٢٦٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَنَّ هَذَا﴾: أَنْ بفتح الهمزة عطفًا على (مَا حَرَّمَ)، أو: عَلَى تَقْدِيرِ اللَّامِ، أَي: وَلِأَنَّ هَذَا. وَفِي قِرَاءَةِ بَكْسِرِ الهمزة اسْتِثْنَاءً، وَالْمَشَارُ إِلَى مَا ذُكِرَ مِنَ الْوَصَايَا.
﴿صِرَاطِي﴾: طَرِيقِي، وَأَصَافُهُ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي شَرَعَهُ، وَلِأَنَّهُ يُوصَلُّ إِلَيْهِ، وَهُوَ خَبْرٌ (أَنَّ).

﴿مُسْتَقِيمًا﴾: مُعْتَدِلًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ
﴿صِرَاطِي﴾.

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: سِيرُوا حَيْثُ سَارَ.

﴿السُّبُلَ﴾: جَمْعُ سَبِيلٍ، وَهِيَ: طُرُقُ الضَّلَالِ وَالغَيِّ.

﴿فَتَفَرَّقَ﴾: فَتَشَتَّتَ.

﴿عَن سَبِيلِهِ﴾: أَي: مُبْعَدَةٌ لَكُمْ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ شَرُّعُهُ.

﴿وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ﴾: عَهَدَ بِهِ إِلَيْكُمْ عَهْدًا وَثِيقًا.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿تَتَّقُونَ﴾: تَتَّخِذُونَ وَقَايَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُبيِّنُ اللهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ أَنْ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْوَصَايَا فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ لِهَذِهِ الْآيَةِ، الَّتِي تَضَمَّنَتْ كَثِيرًا مِنَ الْأُصُولِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَامَّةِ مِنَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى وَعَدَمِ الْإِشْرَاقِ بِهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، وَتَرْكِ الْعِتْدَاءِ عَلَى الْأَوْلَادِ بِالْقَتْلِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَعَدَمِ الْعِتْدَاءِ بِقَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَالْبُعْدِ عَنِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى إِلَّا بِالنَّيِّبِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَإِيفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ حَسَبِ الطَّاقَةِ، وَالْعَدْلِ بِالْقَوْلِ وَلَوْ كَانَ عَلَى الْقَرِيبِ، وَإِيفَاءِ عَهْدِ اللهِ، فَيُبيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنْ مَا ذَكَرَهُ مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا الْعَظِيمَةِ هُوَ شَرْعُهُ الْمُسْتَقِيمُ الْمُوَصَّلُ إِلَيْهِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَهُ لَا نَمِيلُ عَنْهُ إِلَى اتِّبَاعِ طُرُقِ الضَّلَالِ وَالْهَوَى، الَّتِي تَبْتَعِدُ بِنَا عَنْ سَبِيلِهِ وَنُشِتَّتْ شَمْلَنَا، وَيُؤَكِّدُ تَعَالَى وَجُوبَ اتِّبَاعِ طَرِيقِهِ بِأَنَّ ذَلِكَ وَصِيَّتُهُ لَنَا لِتَتَّقِيهِ وَنَقُومَ بِهَا وَصَانًا بِهِ.

ج- من فوائد الآية:

- ١- أن ما ذكره الله تعالى من الوصايا هو صراطه الموصول إليه ومنها:
- ٢- الإيفاء بعهد الله تعالى المتضمن للوفاء بشروط العقود، وهذه محل الاستشهاد بالآية.
- ٣- أن صراط الله تعالى مستقيم لا اعوجاج فيه لكماله وشموله لمصالح الدين والدنيا.
- ٤- وجوب اتباع صراط الله تعالى.
- ٥- تحريم اتباع الطرق المخالفة له.

- ٦- أن أتباع الطُّرُقِ المَخَالِفَةِ له مُوجِبٌ لِلتَّفَرُّقِ وَتَشْتِ الشَّمْلِ.
- ٧- عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِلُزُومِ صِرَاطِهِ وَالبُعْدِ عَنِ السَّبْلِ المَخَالِفَةِ لَهُ، حَيْثُ وَصَّى بِذَلِكَ تَوْصِيَةً.
- ٨- رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ حَيْثُ وَصَّاهُمْ بِمَا يُوصِّلُهُمْ إِلَى تَقْوَاهُ.

النَّوعُ الرَّابِعُ

الآيَةُ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ:

٢٦٧-٢٦٨ - ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَعَلِمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨].

النَّوعُ الرَّابِعُ: أَي: مِنْ أَنْوَاعِ آيَاتِ الْبَيْعِ، وَيَتَضَمَّنُ بَعْضَ أَنْوَاعِ الْخِيَارِ.

تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ رَقْمَ ٢٦٧ - ٢٦٨:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿لَا تَخُونُوا﴾: لَا تُنْقِصُوا، وَالْخِيَانَةُ: انْتِقَاصُ الْحَقِّ فِي مَوْضِعِ الْإِثْمَانِ.

﴿أَمْنَتِكُمْ﴾: مَا أَتَمَّمْتُمْ عَلَيْهِ.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أَي: تَعْلَمُونَ أَنَّ مَا فَعَلْتُمْ خِيَانَةً، أَوْ تَعْلَمُونَ تَحْرِيمَ الْخِيَانَةِ

وَعُقُوبَتِهَا، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ مِنْ فَاعِلٍ ﴿تَخُونُوا﴾.

﴿وَعَلِمُوا﴾: أَي: عَلِمَ إِذْرَاكَ وَبَصِيرَةَ.

﴿أَنَّ﴾: أَدَاةُ حَضْرٍ.

﴿فِتْنَةٌ﴾: اخْتِبَارٌ يَخْتَبِرُكُمْ اللَّهُ بِهِ.

﴿أَجْرٌ﴾: ثَوَابٌ.

﴿عَظِيمٌ﴾: كَثِيرٌ دَائِمٌ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُنَادِي اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ تَنْبِيْهًا لَهُمْ عَلَى مَا يُوحِي بِهِ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ لِيُشَجِّعَهُمْ عَلَى الْقَبُولِ وَالانْقِيَادِ فَيَنْهَاهُمْ عَنْ خِيَانَتِهِمْ إِيَّاهُ بِالتَّقْصِيرِ فِيمَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِمْ، أَوْ خِيَانَتِهِمُ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ بِتَقْصِيرِهِمْ فِيمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ النُّصْحِ وَالْمَحَبَّةِ وَالِاتِّبَاعِ، ثُمَّ يَعْمَمُ هَذَا النَّهْيَ عَنِ الْخِيَانَةِ فِي كُلِّ مَا اتَّمَنُوا عَلَيْهِ، لَا سِيَّمَا وَالْأَمْرَ وَاصِحَّ لَهُمْ حَقِيقَةً وَحُكْمًا، فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا وَقَعُوا فِيهِ خِيَانَةً، وَيَعْلَمُونَ تَحْرِيمَ الْخِيَانَةِ، وَهَذَا غَايَةُ اللَّوْمِ وَاللُّومِ فَإِنَّ الْجَاهِلَ قَدْ يُعْذَرُ بِجَهْلِهِ.

ولما كانت الخيانة تقع في الغالب محاباةً للأولاد أو طمعاً في المال بين الله تعالى أن الأموال والأولاد فتننة يختبر الله بها عباده هل يتقونه فيها، فيقدمون تقواه أو تحملهم المحبة والطمع على مخالفتها وعصيانها، فيحرمهم ما عنده من الأجر العظيم.

ج- من فوائد الآيتين:

- ١- تحريم خيانة الله ورسوله.
- ٢- تحريم خيانة الأمانات، ومنها: كتمان العيب في العقود عليه أو التدليس في صفتها بأن يظهره بصفة مرغوبة وهو خال منها، أو دعوى زيادة أو نقص في كميتها أو كيفية بدون حق، وهذه محل الاستشهاد بالآيتين.
- ٣- أن الخيانة مع العلم أشدُّ قبحاً وأعظم إثماً.

- ٤- أن الحِيَانَةَ مَا يُتَابَى فِي الْإِيمَانِ.
- ٥- أن أَدَاءَ الْأَمَانَةِ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ الْإِيمَانِ.
- ٦- أن الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ فِتْنَةٌ يَخْتَبِرُ بِهَا الْعَبْدُ، وَرَبُّهَا يُحُونُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَأَمَانَتَهُ مِنْ أَجْلِهِمْ.
- ٧- أن مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْأَجْرِ وَالْثَوَابِ أَعْظَمُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.

الآية الثالثة:

٢٦٩- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

تفسير الآية رقم ٢٦٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: سبق تفسيرهما.

﴿الصَّادِقِينَ﴾: المخبرين بما يطابق الواقع.

ب- المعنى الإجمالي:

ينادي الله تعالى المؤمنين بوصف الإيمان تشجيعاً لهم على قبول ما يخاطبهم به والتزامه، فيأمرهم بتقوى الله تعالى والانتظام في سلك الصادقين المخبرين بحالهم وأقوالهم بما يطابق الواقع.

ج- من فوائد الآية:

- ١- وجوب تقوى الله تعالى.
- ٢- وجوب التزام الصديق، ومنه: بيان ما في المعقود عليه من العيوب وإظهاره بالمظهر المطابق لحاله.
- ٣- تحريم دعوى العاقد زيادة له في المعقود عليه كمية أو كيفية، وهذه والتي قبلها محل الاستشهاد بالآية.
- ٤- رفع شأن الصادقين.

النوع الخامس

الآية الأولى والثانية:

٢٧٠-٢٧١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِؕ وَإِن تَابْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

النوع الخامس: أي: من آيات البيع، ويتضمن أحكام الربا.

الربا في اللغة: الزيادة.

وفي الشرع: الزيادة الحاصلة بمبادلة الربويِّ بجنسه، أو: تأخير القبض فيما يجب في التقاض من الربويّات.

والأموال الربويّة ستة: الذهب، والفضة، والبر، والتمر، والشعير، والملح لما رواه مسلم عن عبادة بن الصّامت -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف، فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يداً بيد»^(١)، وروي نحوه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ وفيه: «فمن زاد، أو استزاد، فقد أربى، الأخذ والمعطي فيه سواء»، ويلحق بهذه الأصناف ما يشبهها فيلحق بالذهب والفضة كل ما كان ثمناً قيمةً للأشياء،

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً، رقم (١٥٨٧، ١٥٨٤).

وَيَلْحَقُ بِالْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ كُلُّ مَا كَانَ قُوْتًا مَكِيلًا، وَيَلْحَقُ بِالْمِلْحِ كُلُّ مَا كَانَ مصلحًا للطعام.

وَالرَّبَا نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: رَبَا الْفَضْلِ، وَهُوَ ثَابِتٌ فِي بَيْعِ الرَّبَوِيِّ بِجِنْسِهِ، كَالذَّهَبِ بِالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ بِالفِضَّةِ، وَالبُرِّ بِالْبُرِّ، وَالمِلْحُ بِالمِلْحِ.

الثاني: رَبَا النَّسِيئَةِ وَهُوَ ثَابِتٌ فِي بَيْعِ الرَّبَوِيِّ بِمَا يُوَافِقُهُ فِي وَسِيلَةِ التَّقْدِيرِ دُونَ الْجِنْسِ، كَالذَّهَبِ بِالفِضَّةِ، وَالبُرِّ بِالشَّعِيرِ.

فَإِذَا بَاعَ الرَّبَوِيُّ بِجِنْسِهِ اشْتَرَطَ لِصِحَّةِ الْبَيْعِ شَرْطَانِ: أَحَدُهُمَا: التَّقَابُضُ قَبْلَ التَّفَرُّقِ، وَالثَّانِي: التَّسَاوِي فِي الْمَقْدَارِ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَبِيعَ صَاعًا مِنَ الْبُرِّ بِصَاعَيْنِ، وَلَا أَنْ يَبِيعَ صَاعًا مِنْهُ بِكَوْمَةٍ مِنْهُ لَا يُعْلَمُ مَقْدَارُهَا لِعَدَمِ التَّسَاوِي، وَلَا أَنْ يَبِيعَ صَاعًا مِنْهُ بِصَاعٍ مِنْهُ إِذَا تَفَرَّقَا مِنْ قَبْلِ الْقَبْضِ لِعَدَمِ التَّقَابُضِ.

وَإِذَا بَاعَ الرَّبَوِيُّ بغيرِ جِنْسِهِ مِمَّا يُوَافِقُهُ فِي وَسِيلَةِ التَّقْدِيرِ، وَهِيَ الْكَيْلُ أَوْ الْوَزْنُ اشْتَرَطَ لِصِحَّةِ الْبَيْعِ شَرْطٌ وَاحِدٌ وَهُوَ: التَّقَابُضُ قَبْلَ التَّفَرُّقِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَبِيعَ صَاعًا مِنْ هَذَا بِصَاعٍ أَوْ صَاعَيْنِ ثُمَّ يَتَفَرَّقَا قَبْلَ التَّقَابُضِ، لِاشْتِرَاطِ التَّقَابُضِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ.

تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ رَقْمَ ٢٧٠ - ٢٧١:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿ءَامِنُوا﴾: صَدَقُوا بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِدْعَانِ.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: اتَّخَذُوا وَقَايَةً مِنْ عَذَابِهِ بِطَاعَتِهِ.

﴿وَذَرُوا﴾: اَتْرَكُوا.

﴿مَا بَقِيَ﴾: مَا تَخَلَّفَ فِي ذِمِّمِ النَّاسِ.

﴿مِنَ الرِّبَا﴾: مِنَ الزِّيَادَةِ الرَّبَوِيَّةِ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: صَادِقِينَ فِي إِيمَانِكُمْ، وَالْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ فِي مِثْلِ هَذَا التَّرْكِيبِ لَا تَحْتَاجُ لْجَوَابٍ، لَوْضُوحِ الْمَعْنَى بِدُونِهِ، وَقِيلَ: الْجَوَابُ مَحْدُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ، وَقِيلَ الْجَوَابُ مَا قَبْلَهُ.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾: أَي: تَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا.

﴿فَأَذِنُوا﴾: بِهَمْزَةٍ وَضَلِّ بِدُونِ مَدٍّ، أَي: فَاعْلَمُوا أَنْتُمْ، وَبِهَمْزَةٍ قَطَعَ مَعَ مَدٍّ، أَي: فَاعْلَمُوا غَيْرَكُمْ.

﴿يَحْرَبِ﴾: يَقْتَالِ.

﴿تُبْتَمُ﴾: رَجَعْتُمْ عَنِ الرِّبَا.

﴿رُءُوسِ﴾: جَمْعُ رَأْسٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا أَصْلُ الْمَالِ دُونَ رِبْحِهِ.

﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾: لَا تَنْقُصُونَ غَيْرَكُمْ بِأَخْذِ الرِّبَا مِنْهُ.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: لَا تُنْقُصُونَ شَيْئًا مِنْ رُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُنَادِي اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ تَشْجِيحًا لَهُمْ عَلَى قَبُولِ مَا يُوجِّهُهُ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يُوجِبُ إِيمَانُهُ أَنْ يَكُونَ قَابِلًا لِمَا جَاءَ عَنْ رَبِّهِ تَصَدِيقًا لِلْأَخْبَارِ

وَأَمْتِنَالًا لِلأَحْكَامِ، فَيَأْمُرُهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَيُحْصُ بِذَلِكَ تَرْكَ الرَّبَا اِعْتِنَاءً بِهِ، وَيَمْتَحِنُهُمْ فِي ذَلِكَ بِتَحَدِّيهِمْ فِي كَوْنِهِمْ صَادِقِي الإِيمَانِ أَمْ لَا، وَيَتَهَدَّدُهُمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَتْرَكُوا الرَّبَا فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي حَرْبٍ مَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا أَذَلَّ الْمُحَارِبَ لَلَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَخَذَلَّهُ وَأَعْظَمَ جُرْمَهُ.

ثُمَّ يُبَيِّنُ تَعَالَى أَنْ تَحْقِيقَ اجْتِنَابِ الرَّبَا وَالتَّوْبَةَ أَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ رَأْسَ مَالِهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ ﴿وَإِنْ تُبْتِمُ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَتَيْنِ:

- ١- أَنْ مِنَ الْحِكْمَةِ مُنَادَاةَ الشَّخْصِ بِالْوَصْفِ الَّذِي يَكُونُ أَدْعَى لِقَبُولِهِ.
- ٢- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ٣- وَجُوبُ تَرْكِ الرَّبَا، وَلَوْ كَانَ بَعْدَ الْعَقْدِ وَالِاتِّفَاقِ عَلَيْهِ^(١).

(١) وَهَذَا نَعْرِفُ صَعْفَ الْفَتَاوَى الَّتِي أَفْتَى بِهَا بَعْضُ النَّاسِ، فَأَجَازَ أَخَذَ الرَّبَا مِنَ الْبَنُوكِ الْأَجْنِبِيَّةِ لِلصَّدَقَةِ بِهِ أَوْ صَرْفِهِ فِي مَشَارِيعَ عَامَةً، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَدَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾، وَيَقُولُ: ﴿وَإِنْ تُبْتِمُ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾، وَمَنْ أَخَذَ هَذَا الرَّبَا لَمْ يَتْرِكْ مَا بَقِيَ مِنْهُ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى رَأْسِ مَالِهِ، فَيَكُونُ وَاقِعًا فِي الرَّبَا غَيْرَ تَائِبٍ مِنْهُ، وَمَعَارِضَةُ النُّصُوصِ بِمَجْرَدِ نَظَرِ اسْتِحْسَنِهِ رَأْيِهِ مَعَارِضَةُ بَاطِلَةٌ، فَإِنَّ الْحُسْنَ وَالْإِحْسَانَ اتَّبَاعٌ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ، ثُمَّ إِنْ الصَّدَقَةُ هَذَا الْكَسْبِ الرَّبَوِيِّ أَوْ صَرْفِهِ فِي مَشَارِيعَ عَامَةً إِنْ كَانَ لِلتَّقَرُّبِ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ صَاحِبُهُ، وَلَمْ يَقْرَبْهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَهَذَا الْكَسْبُ خَبِيثٌ حَتَّى عِنْدَ مَنْ قَالَ بِأَخْذِهِ لِهَذَا الْغَرَضِ، وَإِنْ كَانَ صَرْفَهُ فِي الْمَشَارِيعِ وَالصَّدَقَةَ لِلتَّخْلِصِ مِنْهُ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ بِمُحَارَسَةِ الْمُحَرَّمَ ثُمَّ مَحَاوَلَةِ التَّخْلِصِ مِنْهُ سِوَى التَّعَبِ وَالْعِنَاءِ وَاسْتِهْوَانِ النَّفْسِ بِمُحَارَسَةِ الْحَرَامِ وَالْمَخَاطَرَةِ فِي تَغْلِبِ الشُّحِّ وَإِمْسَاكِ هَذَا الْكَسْبِ؟ [المؤلف]

- ٤ - أنَّ تركَ الرِّبَا من مُقْتَضِيَاتِ الإِيْمَانِ.
- ٥ - أن من لم يُتْرِكِ الرِّبَا فَقَدْ أَعْلَنَ الحَرْبَ مع الله ورسوله.
- ٦ - أن الرِّبَا من أكبرِ الكبائرِ.
- ٧ - أن التَّوْبَةَ من الرِّبَا لا تَصِحُّ إلا بالاعتصام على رأس المالِ.
- ٨ - الإشارةُ إلى حِكْمَةِ تَحْرِيمِ الرِّبَا وهي: الظُّلْمُ أو وَسِيلَةُ الظُّلْمِ.

الآية الثالثة والرابعة والخامسة:

٢٧٢-٢٧٤ - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً
وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٠-١٣٢].

تفسير الآيات رقم ٢٧٢ - ٢٧٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿لَا تَأْكُلُوا﴾: لا تتناولوا، وخص الأكل لأنه غاية ما يُنتفع فيه بالمال.

﴿الرِّبَا﴾: الزيادة بسبب التأجيل في مبادلة الربويِّ بجنسه.

﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾: زيادة فوق زيادة، والقيد بذلك لبيان الواقع وزيادة التوبيخ، وكانوا في الجاهلية إذا حلَّ الدينُ قال طالِبُه للمدين: إما أن تُقضيَ وإما أن تُربي، فإن قضاؤه وإلا زاد في الدين ومدَّ في الأجل، فيزداد الدين كلَّ عام حتى يبلغَ قدرًا كبيرًا.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿تُفْلِحُونَ﴾: تفوزون بالمطلوب والنجاة من المهوب.

﴿وَأَتَّقُوا النَّارَ﴾: اتخذوا وقايةً منها باجتنب الأعمال الموجبة لدخولها.

﴿أُعِدَّتْ﴾: هيئت.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: للجاحدين ما يجب الإقرار به من حقوق الله تعالى.

﴿وَأَطِيعُوا﴾: انقادوا للأمر.

﴿وَالرَّسُولَ﴾: الْمُرْسَلُ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَ(ال) لِلْعَهْدِ الذَّهْنِيِّ.

﴿تَرْحُمُونَ﴾: يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُنَادِي اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ، تَشْجِيعًا لَهُمْ عَلَى قَبُولِ مَا يَوَجِّهُهُ إِلَيْهِمْ، لِيُنْهَاهُمْ عَمَّا كَانَ النَّاسُ يَفْعَلُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ أَكْلِ الرِّبَا الْمَضَاعَفِ، حَيْثُ يَقُولُ الطَّالِبُ لِلْمَدِينِ إِذَا حَلَّ دَيْنُهُ: اقْضِنِي دَيْنِي، أَوْ زِدْنِي فِي الْمَالِ وَأَزِيدْكَ فِي الْأَجْلِ. فَيَضْطَرُّ الْمَدِينُ غَالِبًا لِلزِّيَادَةِ فِي الْمَالِ فِي مُقَابَلَةِ زِيَادَةِ الْأَجْلِ، حَتَّى يَتَضَاعَفُ عَلَيْهِ الدَّيْنُ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ فَيَبْلُغُ حَدًّا كَبِيرًا، وَفِي هَذَا مِنَ الظُّلْمِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ، وَهَذَا حَدَّرَ الْمُؤْمِنِينَ نَفْسَهُ وَحَدَّرَهُمُ النَّارَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، وَأَمْرَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ تَأْكِيدًا، وَيَبَيِّنُ أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ، وَأَنَّ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ مِنْ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- أَنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ مَنَادَاةَ الشَّخْصِ بِالْوَصْفِ الَّذِي يَكُونُ أَدْعَى لِقَبُولِهِ.
- ٢- تَحْرِيمُ أَكْلِ الرِّبَا.
- ٣- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ٤- أَنَّ أَكْلَ الرِّبَا مُنَافٍ لِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى.
- ٥- أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ.

- ٦- وَجُوبُ اتِّقَاءِ النَّارِ.
- ٧- أَنْ أَكَلَ الرَّبَا مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ.
- ٨- أَنْ النَّارَ مَخْلُوقَةٌ الْآنَ.
- ٩- أَنْ أَصْحَابَهَا هُمُ الْكَافِرُونَ.
- ١٠- التَّحْذِيرُ مِنَ الْكُفْرِ.
- ١١- وَجُوبُ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.
- ١٢- أَنْ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ.

الآية السادسة والسابعة:

٢٧٥-٢٧٦- ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَاَ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى

فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾
يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَاَ وَيُرِي الضَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿[البقرة: ٢٧٥-٢٧٦].

تفسير الآيتين رقم ٢٧٥ - ٢٧٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾: جعله حلالاً، والحلال المأذون فيه.

﴿وَحَرَّمَ الرِّبَاَ﴾: جعله حراماً، والحرام المنوع منه.

﴿مَوْعِظَةٌ﴾: تذكير مقترن بزجر ونحويف.

﴿رَبِّهِ﴾: خالقه ومالكه، الحاكم عليه بما يشاء.

﴿فَانْتَهَى﴾: كف عن الربا.

﴿مَا سَلَفَ﴾: ما مضى من الربا فلا يلزمه رده.

﴿وَأَمْرُهُ﴾: أمر المنتهى، أي: شأنه فيما بينه وبين قبيله.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾: أي: راجع إلى الله تعالى.

﴿عَادَ﴾: رجع إلى الربا بعد مجيء الموعظة من ربه.

﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾: أهلها الملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه.

﴿خَالِدُونَ﴾: ماكثون.

﴿يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا﴾: يُذْهِبُهُ حِسًّا أَوْ مَعْنَى فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ.

﴿وَيُرِي﴾: يَزِيدُ.

﴿الصَّدَقَاتِ﴾: الْأَمْوَالُ الْمَدْفُوعَةُ لِلْمُحْتَاجِينَ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾: كُلُّ ذِي كُفْرٍ، فَالصِّيغَةُ لِلنَّسْبَةِ لَا لِلْمُبَالَغَةِ.

﴿أَثِيمٍ﴾: أَثِمٌ بِكُفْرِهِ وَعُدْوَانِهِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُحِبُّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَحَلَّ الْبَيْعَ لِعِبَادِهِ لِلْوَصُولِ إِلَى مَصَالِحِهِمْ وَدَفْعِ حَاجَاتِهِمْ وَضُرُورَاتِهِمْ، وَأَنَّهُ حَرَّمَ الرِّبَا لِمَا فِيهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَيُبَيِّنُ كَمَا لَفْظُهُ بِالْعَفْوِ عَمَّنْ أَخَذَ الرِّبَا قَبْلَ تَحْرِيمِهِ وَأَنَّهُ لَهُ حَلَالٌ إِذَا انْتَهَى عَنْهُ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ، مَعَ أَنَّ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَقْضِي عَنْهُ ظُلْمَهُ لِمَنْ أَخَذَ مِنْهُ الرِّبَا، أَمَا مَنْ عَادَ إِلَى الرِّبَا بَعْدَ مَا جَاءَهُ مِنَ الْمَوْعِظَةِ فَلَهُ الْوَعِيدُ بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى نَتِيجَةَ الرِّبَا وَأَنَّهَا الْمَحْقُوقُ وَالذَّهَابُ الْحِسِّيُّ أَوْ الْمَعْنَوِيُّ، فَمَنْ أَنْفَقَهُ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَمَنْ اسْتَبَقَاهُ هَلَكَ دُونَهُ.

وَلَمَّا كَانَ الرِّبَا مُشْتَمَلًا عَلَى الظُّلْمِ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى نَتِيجَتَهُ، وَبَيَّنَّ نَتِيجَةَ الصَّدَقَاتِ الَّتِي هِيَ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِحْسَانٌ إِلَى عِبَادِهِ، وَذَلِكَ بِمُضَاعَفَتِهَا وَزِيَادَةِ ثَوَابِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا يُعَادِلُ الثَّمَرَةَ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ.

ثُمَّ خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ بِنَفْيِ حَبَّتِهِ لِكُلِّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ تَحْذِيرًا مِنْ ذَلِكَ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتَيْنِ:

- ١- حُلُّ الْبَيْعِ.
- ٢- تَحْرِيمُ الرَّبَا.
- ٣- أَنَّ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ.
- ٤- فَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَحْلِيلِ الْبَيْعِ وَتَحْرِيمِ الرَّبَا.
- ٥- أَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ فِي غَايَةِ الْحِكْمَةِ وَالْمُنَاسَبَةِ.
- ٦- فَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَفْوِ عَنِ الرَّبَا الْمُقْبُوضِ قَبْلَ التَّحْرِيمِ.
- ٧- أَنَّ مَنْ ارْتَكَبَ مُحَرَّمًا لَمْ يَعْلَمْ بِهِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ.
- ٨- الْوَعِيدُ بِالنَّارِ لِمَنْ عَادَ إِلَى الرَّبَا بَعْدَ عِلْمِهِ بِالتَّحْرِيمِ.
- ٩- أَنَّ الرَّبَا نَقْضٌ عَلَى صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِأَنَّ مَأْكَلَهُ فِي الدُّنْيَا الذَّهَابُ وَفِي الْآخِرَةِ الْعِقَابُ.
- ١٠- أَنَّ ثَوَابَ الصَّدَقَاتِ مُضَاعَفٌ.
- ١١- إِثْبَاتُ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ١٢- انْتِفَاءُ مَحَبَّةِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ كَافِرٍ أَثِيمٍ.

الآية الثامنة:

٢٧٧- ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّرَبُّوًّا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

تفسير الآية رقم ٢٧٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَمَا آتَيْتُمْ﴾: ما أعطيتكم، وفي قراءة (آتيتكم) بقصر الهمزة، أي: جئتكم. والخطاب لعموم الناس، و(ما) موصولة أو شرطية.

﴿مِّن رَّبًّا﴾: (من) بيانية، وسبق تفسير الربا.

﴿لِّرَبُّوًّا﴾: ليزيد.

﴿فِي أَمْوَالٍ﴾: في للظرفية، أي: أن الأموال هي محل الربا.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: في ثواب الله.

﴿وَمَا آتَيْتُمْ﴾: ما أعطيتكم.

﴿مِّن زَكَاةٍ﴾: من صدقة.

﴿تُرِيدُونَ﴾: تقصدون.

﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾: لقاء الله أو ذاته، وعبر بالوجه لأنه صفة من صفات الله وبه

تمام اللقاء.

﴿هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾: الحاصلون على الضعف، وهو الزيادة، وعبر بضمير الغيبة

تفخياً لهم وتعظيماً لشأنهم.

ب- المعنى الإجمالي:

يُبينُ اللهُ تَعَالَى في هذه الآية الكَرِيمَةِ أن الذين يُعْطُونَ الأموالَ للاستِزَادَةِ

بهذا العطاءِ ينقسمون إلى قسمين:

أحدهما: مَنْ يُعْطُونَ المَالَ في معاملةٍ رَبَوِيَّةٍ لِتَزِيدَ في أموالِ الناسِ، فهو لاءٍ لا حَظَّ لهم في الآخِرَةِ ولا ثوابَ لهم عند الله تَعَالَى لو تَصَدَّقُوا بها، لأنها كَسْبٌ مُحَرَّمٌ خَبِيثٌ والله تَعَالَى طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا.

الثاني: مَنْ يُعْطُونَ المَالَ في صَدَقَاتٍ يُحْسِنُونَ بها إلى ذَوِي الحَاجَاتِ مُخْلِصِينَ اللهُ تَعَالَى فيها، فهو لاءٍ هم الكَاسِبُونَ الحَاصِلُونَ على الجزاءِ المِضَاعَفِ لهم عند الله تَعَالَى الحَسَنَةِ بِعُشْرِ أمثالها إلى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إلى أضعافٍ كثيرة.

ج- من فوائد الآية:

- ١- أن الكَسْبَ الرَّبَوِيَّ لا خَيْرَ فيه ولا بَرَكَه، وإن زاد به المَالُ.
- ٢- أن الصَّدَقَةَ به غَيْرُ مَقْبُولَةٍ، لأنَّها لو كَانَتْ مَقْبُولَةً لكانت زائدةً عند الله ومُضَاعَفَةً.
- ٣- فَضْلُ الصَّدَقَاتِ.
- ٤- أَنَّهُ يُشْتَرَطُ لِقَبُولِهَا أن تكون خَالِصَةً اللهُ تَعَالَى، وَمِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ.
- ٥- مُضَاعَفَةُ أَجْرِ الصَّدَقَةِ بالإِخْلَاصِ اللهُ تَعَالَى.
- ٦- حُسْنُ الأُسْلُوبِ القُرْآنِيِّ وبلاغته بالتَّقْسِيمِ وِذِكْرِ المَقَابِلَاتِ.

النَّوعُ السَّادِسُ

آيَةٌ وَاحِدَةٌ:

٢٧٨- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِ إِلَٰهٍ آجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْمَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلََّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَّهُ بِالْمَدْلِ ؕ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ؕ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَصَلَّ إِحْدَهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَىٰ ؕ وَلَا يَأْبُ الشَّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا سَمِعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَٰهَ آجَلٍ ؕ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ؕ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ ؕ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ؕ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٨٣].

النَّوعُ السَّادِسُ: أي: مِنْ آيَاتِ الْبَيْعِ وَيَتَّصَمَنُ السَّلَمَ وَهُوَ: بَيْعٌ مَوْصُوفٍ فِي الدِّمَّةِ بِشَمَنِ مَقْبُوضٍ فِي مَجْلِسِ الْعَقْدِ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ٢٧٨:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿ءَامَنُوا﴾: صَدَقُوا بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِدْعَانِ.

﴿تَدَايَنْتُمْ﴾: تَعَامَلْتُمْ.

﴿بَدَيْنَ﴾: بِمُعَامَلَةٍ فِي الذِّمَّةِ.

﴿أَجَلٍ﴾: مُدَّةً.

﴿مُسَعًى﴾: مُعَيَّنَ.

﴿فَأَكْتُبُوهُ﴾: أَي: الدَّيْنَ جَنْسًا وَوَصْفًا وَقَدْرًا وَأَجَلًا.

﴿كَاتِبٌ﴾: عَارِفٌ بِالْكِتَابَةِ.

﴿بِالْعَدْلِ﴾: بِالْقِسْطِ الْمَوَافِقِ لِلشَّرْعِ بِلا زِيَادَةٍ وَلا نَقْصٍ.

﴿وَلا يَأْبَ﴾: وَلا يَمْتَنِعُ.

﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾: الْكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، أَي: فَلْيَكْتُبْ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي عَلَّمَهُ اللَّهُ،

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْكَافَ لِلتَّعْلِيلِ، أَي: فَلْيَكْتُبْ لِأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ فَتَكُونُ كِتَابَتُهُ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ،

وَالْمَعْنَيَانِ صَحِيحَانِ لَا يَتَنَافَيَانِ.

﴿فَلْيَكْتُبْ﴾: أَي: الْكَاتِبُ، وَأَمَرَ بِهِ بَعْدَ النَّهْيِ عَنِ الْإِبَاءِ لِلتَّأْكِيدِ.

﴿وَلِيَمْلِلِ﴾: الْإِمْلَالُ وَالْإِمْلَاءُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

﴿وَلا يَبْخَسْ﴾: لا يَنْقُصْ.

﴿مِنْهُ﴾: مِنْ الْحَقِّ الَّذِي عَلَيْهِ.

﴿شَيْئًا﴾: أَيُّ شَيْءٍ كَانَ فِي جِنْسِهِ أَوْ وَصْفِهِ أَوْ قَدْرِهِ أَوْ أَجَلِهِ.

﴿سَفِيهَا﴾: غَيْرَ مُحْسِنٍ لِلتَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ فَحُجِرَ عَلَيْهِ.

﴿ضَعِيفًا﴾: أَي: صَغِيرًا أَوْ مَجْنُونًا.

﴿لَا يَسْتَطِيعُ﴾: لَا يَقْدِرُ لِعِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ.

﴿وَلِيَّتُهُ﴾: مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَهُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ.

﴿بِالْعَدْلِ﴾: بِالْقِسْطِ الْمَوَافِقِ لِلشَّرْعِ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ.

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا﴾: اَطْلُبُوا الشَّهَادَةَ.

﴿شَهِيدَيْنِ﴾: ذَوِي كِفَايَةٍ فِي الشَّهَادَةِ.

﴿رِجَالِكُمْ﴾: الْبَالِغِينَ مِنْكُمْ، وَالْخَطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ.

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾: أَي: الشَّهِيدَانِ.

﴿فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ﴾: أَي: بِالْعَتَانِ، وَالْجُمْلَةُ جَوَابُ الشَّرْطِ، وَخَبْرُ الْمَبْتَدَأِ
مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: يَشْهَدُونَ.

﴿مَمَّنَ تَرْضَوْنَ﴾: مِمَّنْ تَثِقُونَ بِهِمْ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا﴾.

﴿أَنْ تَضِلَّ﴾: أَي: تُخْطِئُ الصَّوَابَ بِسَبَبِ نِسْيَانِهَا أَوْ غَيْرِهِ، وَ(أَنْ) وَ(مَا)

دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ مَنْصُوبٍ بِنَزْعِ الْحَافِضِ، وَالتَّقْدِيرُ: مَنْ أَنْ تَضِلَّ أَوْ
لَأَنَّ تَضِلَّ، وَالْجَارُ لِلتَّلْعِيلِ دَخَلَ عَلَى سَبَبِ الْعِلَّةِ، وَالْمَعْنَى: أَنْ تُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا
الْأُخْرَى إِذَا ضَلَّتْ، فَعِلَّةٌ تَعَدُّ النِّسَاءِ التَّذْكِيرُ وَسَبَبُ النِّسْيَانِ أَوْ غَيْرِهِ.

﴿فَتُذَكَّرُ إِحْدَاهُمَا﴾: فَيُنَبِّهَهَا بِمَا نَسِيَتْ أَوْ تَعِظُهَا بِمَا تَعَمَّدَتْ.

﴿إِذَا مَا دُعُوا﴾: إِذَا طُلِبُوا لِتَحْمُلِ الشَّهَادَةَ أَوْ أَدَائِهَا، وَ(مَا) زَائِدَةٌ إِعْرَابًا

مُؤَكَّدَةٌ مَعْنَى فَهِيَ لِلتَّوَكِيدِ.

﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾: لَا تَمَلُّوا.

﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾: أي: الدَّيْنُ الْمُؤَجَّلُ.

﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾: حالانِ مِنَ الضَّمِيرِ الثَّانِي فِي ﴿تَكْتُبُوهُ﴾.

﴿ذَلِكَكُمْ﴾: أي: الْمَذْكُورُ مِنَ الْكِتَابَةِ وَالْإِشْهَادِ.

﴿أَقْسَطُ﴾: أَعْدَلُ.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: فِي شَرْعِهِ، وَجَمَلَةٌ ﴿ذَلِكَكُمْ...﴾ إِنْخِ، تَعْلِيلٌ لِمَا سَبَقَ.

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾: أَنْبَتُهَا وَأَسْلَمَ مِنَ التَّغْيِيرِ.

﴿وَأَدْنَى﴾: أَقْرَبُ.

﴿أَلَّا تَرْتَابُوا﴾: أَنْ لَا تَشْكُوا.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾: أي: الْمُعَامَلَةُ.

﴿تَجَرَّةً حَاضِرَةً﴾: تَصَرُّفًا فِي الْمَالِ بِغَيْرِ تَأْجِيلِ.

﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: يُنَاوِلُهَا بَعْضُكُمْ بَعْضًا عِنْدَ الْعَقْدِ.

﴿جُنَاحٌ﴾: إِثْمٌ.

﴿تَبَايَعْتُمْ﴾: بَاعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ.

﴿يُضَارُّ﴾: يُضَرُّ غَيْرَهُ قَاصِدًا ذَلِكَ، وَهَذَا الْفِعْلُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِكَسْرِ الرَّاءِ

الْأُولَى^(١) مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ وَ﴿كَاتَبَ﴾ فَاعِلٌ، وَأَنْ يَكُونَ بَفَتْحِ الرَّاءِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ

وَ﴿كَاتَبَ﴾ نَائِبٌ فَاعِلٌ.

(١) يضارر، أو يضارر بعد فك التضعيف. [المؤلف]

﴿فَإِنَّهُ﴾: أي: فِعْلُ الإِضْرَارِ.

﴿فُسُوقًا﴾: خُرُوجٌ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالْعَدْلِ.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾: جَمَلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ.

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ فِعْلِهِ أَوْ أَفْعَالِكُمْ.

ب- الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

هذه الآية تُسَمَّى آيَةُ الدِّينِ، وَهِيَ أَطْوَلُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ وَأَوْسَعُهَا بَسْطًا، وَفِيهَا يُنَادِي اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الإِيْمَانِ لِيُوجِّهَهُمْ إِلَى مَا فِيهِ اسْتِقَامَةٌ مُعَامَلَاتِهِمْ وَحِفْظُهَا وَطُمَأْنِينَةٌ قُلُوبِهِمْ، فَيُقَسِّمُ الْمَعَامَلَاتِ الَّتِي تَقَعُ بَيْنَهُمْ إِلَى قَسْمَيْنِ:

أحدهما: مُعَامَلَاتُ مُدَايِنَةٍ إِلَى أَجَلٍ مُعَيَّنٍ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا بِأَمْرَيْنِ: كِتَابَةِ الدِّينِ وَاسْتِشْهَادِ شَهِيدَيْنِ مِنَ الرِّجَالِ إِنْ كَانَا، وَإِلَّا فَرَجُلٍ وَامْرَأَتَانِ مَنْ يَثِقُ بِهِمُ الطَّرْفَانِ حِفْظًا وَعَدَالَةً، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْكَاتِبَ أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَ الْمُتَعَاقِدَيْنِ بِالْعَدْلِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي عَلَّمَهُ اللَّهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْكِتَابَةِ الَّتِي عَلَّمَهُ اللَّهُ فَيَكُونُ غَيْرَ قَائِمٍ بِشُكْرِ نِعْمَتِهِ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ أَنْ يُمِلِّي وَيَتَّقِي اللَّهَ رَبَّهُ فِي إِمْلَائِهِ، فَلَا يُنْقِصُ شَيْئًا مِنَ الْحَقِّ، لَا مِنْ جَنْسِهِ وَلَا مِنْ قَدْرِهِ وَلَا مِنْ وَصْفِهِ أَوْ أَجَلِهِ، فَإِنْ كَانَ مِنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ عَاجِزًا أَوْ غَيْرَ أَهْلِ قَامٍ وَلَيْتُهُ مَقَامَهُ فِي الإِمْلَاءِ، وَيُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى الْحِكْمَةَ مِنْ زِيَادَةِ الْعَدَدِ فِيهَا إِذَا كَانَ الشُّهَدَاءُ مِنَ النِّسَاءِ بِأَنَّ الْوَاحِدَةَ قَدْ تَضَلُّ لِنَقْصِهَا فَتَجْبُرُهَا الْآخَرَى بِالتَّذْكِيرِ، وَيُنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الشُّهَدَاءَ أَنْ يَمْتَنِعُوا إِذَا طَلِبُوا لِلشَّهَادَةِ لِتَحْمُلِهَا أَوْ أَدَائِهَا، وَيُبَيِّنُ الْحِكْمَةَ مِنَ الْكِتَابَةِ وَالشَّهَادَةِ بِأَنَّ ذَلِكَ أَقْسَطُ عِنْدَهُ وَأَبْلَغُ فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ وَأَبْعَدُ مِنَ الشُّكِّ الْحَاصِلِ بِنِسْيَانٍ أَوْ تَغْيِيرٍ.

ثم يذُكر الله تعالى القسم الثاني من المعاملات وهو المعاملات الحاضرة التي يتداولها الناس بينهم، فيأمر فيها بالإشهاد، أمّا الكتابة ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾.

ثم نهي الله تعالى عن المضارة من الكاتب والشهيد بزيادة أو نقص أو كتمان، وعن المضارة عليها بإزهاقهما وتعنيتهما، ويين أن ذلك موجب للفسق، وأمر بتقواه تعالى وذكر منته على عباده بتعليمه إياهم ما لا يعلمون، ويحثم الآية ببيان سعة علمه، لنعلم بذلك أن هذه التوجيهات صادرة عن علم منه تعالى بمصالح العباد ومدافع مضارهم.

ج- من فوائد الآية:

- ١- عناية الله تعالى بالأموال.
- ٢- جواز التعامل بالدين إذا لم يكن ذريعة إلى الربا.
- ٣- جواز السلم وهو: بيع موصوف في الذمة بثمن مقبوض بمجلس العقد.
- ٤- اشتراط كون الأجل معلوماً فيما كان بأجل.
- ٥- وجوب كتابة الدين المؤجل، لأن فيها حفظاً للمال وقطعاً للنزاع في المستقبل ودفعاً للشك.
- ٦- وجوب اختيار العارف بالكتابة عند الكتابة.
- ٧- أنه يجب على الكاتب العدل بين المتعاقدين.
- ٨- أنه يجب عليه أن يكتب حسب ما تقتضيه الشريعة.

- ٩- الإشارة إلى نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْكَاتِبِ بِالْكَتَابَةِ.
- ١٠- أَنْ الَّذِي يَتَوَلَّى الْإِمْلَاءَ مَنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ لَا مِنْ لَهُ الْحَقُّ.
- ١١- وَجُوبُ إِقْرَارِ مَنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ بِهِ كَامِلًا مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ.
- ١٢- أَنْ إِقْرَارَهُ بِهِ كَامِلًا مِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى.
- ١٣- قَبُولُ قَوْلٍ مِنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ فِي قَدْرِهِ وَجِنْسِهِ وَوَصْفِهِ وَأَجَلِهِ، إِلَّا أَنْ تُخَالَفَهُ بَيِّنَةٌ.
- ١٤- أَنْ الْوَلِيَّ يَقُومُ مَقَامَ مُوَلِيهِ فِي الْإِقْرَارِ بِالْحَقِّ.
- ١٥- وَجُوبُ الْعَدْلِ عَلَى الْوَلِيِّ فِيمَا يُمْلِيهِ مِنْ إِقْرَارِهِ عَلَى مُوَلِيهِ.
- ١٦- وَجُوبُ الْإِشْهَادِ فِي الدِّينِ الْمُؤَجَّلِ.
- ١٧- اِعْتِبَارُ كَوْنِ الشَّاهِدِ رَجُلِينَ أَوْ رَجُلًا وَامْرَأَتَيْنِ.
- ١٨- اشْتِرَاطُ كَوْنِ الشَّاهِدِ مَوْثُوقًا بِهِ فِي حِفْظِهِ وَعَدَالَتِهِ.
- ١٩- أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنَ التَّعَدُّدِ فِي شَهَادَةِ النِّسَاءِ تَذْكِيرٌ مِنْ ضَلِّ مِنْهَا.
- ٢٠- نَقْصُ عَقْلِ الْمَرْأَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلرَّجُلِ.
- ٢١- بَيَانُ الْحِكْمَةِ فِي التَّشْرِيعِ، وَأَنَّ الشَّرْعَ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي الْحُكْمِ إِلَّا لِسَبَبٍ يَقْتَضِيهِ.
- ٢٢- جَوَازُ شَهَادَةِ الشَّاهِدِ بِمَا نَسِيَهُ إِذَا ذُكِّرَ فَذَكَرَ.
- ٢٣- تَحْرِيمُ امْتِنَاعِ الشَّاهِدِ إِذَا وَعِيَ لِلشَّهَادَةِ تَحْمُلًا أَوْ أَدَاءً.
- ٢٤- النَّهْيُ عَنِ السَّامَةِ فِي كِتَابَةِ الدِّينِ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا.

- ٢٥- بيان الحكمة في الأمر بالكتابة، والنهي عن السامة فيها.
- ٢٦- جواز ترك الكتابة إذا كانت المعاملة تجارة حاضرة يدا بيد.
- ٢٧- تحريم مضارة الكاتب والشاهد، سواء كانت المضارة منهما أو عليهما.
- ٢٨- أن المضارة فسق.
- ٢٩- وجوب تقوى الله - عز وجل -.
- ٣٠- فضل الله تعالى على عباده بالتعليم.
- ٣١- قصور الإنسان في علمه وضرورته للتعليم.
- ٣٢- عموم علم الله تعالى بكل شيء.

مِن آيَاتِ الرَّهْنِ وَالضَّمَانِ وَالْكَفَالَةِ

الآيَةُ الْأُولَى:

٢٧٩- ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَتَى بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

مِن آيَاتِ الرَّهْنِ وَالضَّمَانِ وَالْكَفَالَةِ

هَذِهِ الْعُقُودُ الثَّلَاثَةُ عُقُودٌ تَوْثِقَةُ يَتَوَثَّقُ بِهَا صَاحِبُ الْحَقِّ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْهِ، وَجَوَازُهَا مِنْ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ وَتَسْهِيلِ الْمَعَامَلَاتِ.

فَالرَّهْنُ: تَوْثِقَةُ دَيْنٍ أَوْ عَيْنٍ مَضْمُونَةٍ بَعِينٍ أَوْ دَيْنٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ.

وَالضَّمَانُ: التَّرَامُ الْمَرْءِ مَا وَجَبَ أَوْ يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ حَقٍّ.

وَالْكَفَالَةُ: التَّرَامُ إِحْصَارِ بَدَنِ الْمَكْفُولِ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ٢٧٩:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾: الْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ ﴿فَأَكْتُمُوهُ﴾.

﴿عَلَى سَفَرٍ﴾: فِي سَفَرٍ.

﴿فَرِهْنَ﴾: جَمْعُ رَهْنٍ بِمَعْنَى: مَرْهُونٍ، وَهُوَ خَبْرٌ لِمَبْتَدَأِ مَحْدُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ:

فَالْوَيْقَةُ رَهَانٌ، وَالْجُمْلَةُ جَوَابُ الشَّرْطِ فِي ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾.

﴿مَقْبُوضَةٌ﴾: يَقْبِضُهَا مِنْ لَه الْحَقُّ لِيَسْتَوْثِقَ بِهَا.

﴿أَمِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾: اتَّخَذَهُ أَمِينًا لَا يَخَافُ غَدْرَهُ.

﴿فَلْيُؤْصَلْ﴾: فَلْيُؤْصَلْ.

﴿أَوْثَمِنَ﴾: اتَّخَذَ أَمِينًا.

﴿أَمَنْتَهُ﴾: أَي: مَا أَوْثَمِنَ عَلَيْهِ.

﴿وَلَا تَكْتُمُوا﴾: لَا تُخْفُوا سِوَاءَ أَصْلِ الشَّهَادَةِ أَوْ صِفَاتِهَا.

﴿فَاتَّهَ﴾: أَي: الْكَاتِمُ.

﴿ءَاتِمٌ﴾: كَاسِبٌ لِلْإِثْمِ، وَهُوَ الْوُزْرُ وَالذَّنْبُ.

﴿قَلْبُهُ﴾: فَاعِلٌ إِيْمٌ، وَخَصَّ الْقَلْبَ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الْعِلْمِ فِيهَا يَكْتُمُ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِكِتَابَةِ الدَّيْنِ الْمُؤَجَّلِ وَالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ تَوْثِيقِهِ وَحِفْظِهِ، ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالًا يُعَدُّ فِيهَا الْكَاتِبُ غَالِبًا، وَهِيَ: حَالُ السَّفَرِ، فَأَرْشَدَ إِلَى تَوْثِيقِ آخَرَ، وَهُوَ: الرَّهْنُ الْمَقْبُوضُ يَقْبِضُهُ مِنْ لَه الْحَقُّ لِيَكُونَ فِي يَدِهِ وَثِيقَةً بِحَقِّهِ، وَلَيْسَ هَذَا بِلَازِمٍ إِذَا حَصَلَ الْإِثْتِمَانُ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ يَجِبُ عَلَى الْأَمِينِ أَنْ يُؤَيِّ بِأَمَانَتِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ فَلَا يَخُونُ مِنْهَا شَيْئًا.

ثُمَّ يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ سِوَاءَ مَا كَانَ جَحْدًا لَهَا بِالْكَلِيَّةِ أَمْ جَحْدًا لَشَيْءٍ مِنْ أَوْصَافِهَا أَنْ يَسْتَشْهَدَ بِشَيْءٍ جَيِّدٍ أَوْ حَالٍ، فَيَشْهَدُ بِهِ رَدِيئًا أَوْ مُؤَجَّلًا،

وَبَيَّنُ تَعَالَى أَنَّ مِنْ يَكْتُمُ الشَّهَادَةَ فَإِنَّ قَلْبَهُ آثِمٌ بِذَلِكَ، وَمَتَى آثِمَ الْقَلْبُ آثِمَ صَاحِبُهُ، ثُمَّ يَحْتَمُ الْآيَةُ بِيَانِ عُمُومِ عِلْمِهِ تَحْذِيرًا وَإِنذَارًا.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- عناية الله تعالى بحفظ الأموال والتوثيق لها.
- ٢- توجيهُ الله تعالى إلى التوثيق بالرهن حيث لا يكون وثيقة سواه.
- ٣- أنه لا بُدَّ من قبض الرهن، فيما إذا كان في السفر ولم يوجد كاتب لأن التوثيق لا يتم إلا به.
- ٤- أنه إذا ائتمن المتعاقدان بعضهما بعضًا اكتفى به عن الرهن وقبضه.
- ٥- وجوب أداء الأمانة على من أوثمن.
- ٦- وجوب تقوى الله - عز وجل - ومنها أداء الأمانة.
- ٧- تحريم كتم الشهادة.
- ٨- أن كتمها من إثم القلب.
- ٩- عموم علم الله تعالى.
- ١٠- التحذير من كتم الشهادة.

تَنْبِيْهٌ:

استدل كثير من أهل العلم بهذه الآية على أن قبض المرهون شرط للزوم الرهن، وأنه إذا لم يقبضه المرتهن فللراهن التصرف فيه وإبطال الرهن، وليس في الآية دليل على ذلك لوجهين:

الأول: أن الله -تعالى- إنما ذَكَرَ الْقَبْضَ في هذه الحالِ لأنَّ التَّوْتُقَ لا يَحْصُلُ إلا بِهِ، لأنَّ الْمُتَعَاقِدَيْنِ في سَفَرٍ، وليسَ عِنْدَهُمَا كَاتِبٌ فلا يَكُونُ التَّوْتُقُ إلا بِالْقَبْضِ، وإذا اشْتَرَطَ الْقَبْضَ في حالةٍ مُعَيَّنَةٍ لم يَلْزَمُ أن يَكُونَ شَرْطًا في الأحوال الأخرى التي لا تُسَاوِيهَا.

الثاني: أن الله تَعَالَى قال: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْثَمَنَ أَمَانَتِهِ﴾، وهذا دَلِيلٌ على أَنَّهُ إذا حَصَلَ الاِئْتِمَانُ لم يَلْزَمِ الْقَبْضَ اكْتِفَاءً بِالِائْتِمَانِ عَنْهُ، ولهذا أَكَّدَ اللهُ تَعَالَى على الْمُؤْتَمِنِ أن يُؤَدِّيَ أَمَانَتَهُ بأمره بذلك ويتقوى اللهُ تَعَالَى.

وقد دَلَّتِ النُّصُوصُ على وُجُوبِ الوفاءِ بِالْعُقُودِ وَالْعُهُودِ.

وَالرَّهْنُ يَصِحُّ بِدُونِ قَبْضٍ، فَمَتَى صَحَّ بِدُونِ قَبْضٍ فَلْيَتَرْتَّبْ عَلَيْهِ مُقْتَضَاهُ وليؤدِّ الرَاهِنُ أَمَانَتَهُ فِيهِ.

الآية الثانية إلى الرابعة:

٢٨٠-٢٨٢- ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَرْقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا تَفْقَدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ [يوسف: ٧٠-٧٢].

تفسير الآيات رقم ٢٨٠ - ٢٨٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿جَهَّزَهُمْ﴾: زَوَّدَهُمْ، أي: زَوَّدَ يُوَسِّفُ إِخْوَتَهُ.

﴿بِجَهَّازِهِمْ﴾: مَتَاعُ سَفَرِهِمْ.

﴿السَّقَايَةَ﴾: الإِنَاءَ الَّذِي يَشْرَبُ بِهِ ثُمَّ اتَّخَذَ مِكْيَالًا.

﴿رِجْلِ﴾: الرَّحْلُ مَا يُوضَعُ عَلَى الْبَعِيرِ لِلرُّكُوبِ عَلَيْهِ.

﴿أَخِيهِ﴾: أي: شَقِيقُهُ، قيل: إِنَّ اسْمَهُ بِنْيَامِينَ.

﴿أَذَّنَ﴾: نَادَى بِصَوْتِ عَالٍ.

﴿أَيَّتُهَا﴾: أي: يَا أَيَّتُهَا، وَالتَّاءُ لِلتَّأْنِيثِ.

﴿الْعَيْرُ﴾: أَصْحَابُ الْإِبِلِ الْمُحْمَلَةِ بِالْمَتَاعِ وَالطَّعَامِ، وَالْمَرَادُ هُنَا: إِخْوَةُ يَوْسُفَ.

﴿لَسَرْقُونَ﴾: لَا خِذُونَ شَيْئًا لغيرِكُمْ عَلَى وَجْهِ الْخِيفَةِ.

﴿قَالُوا﴾: أي: الْعَيْرُ، وَهُمْ إِخْوَةُ يَوْسُفَ.

﴿وَأَقْبَلُوا﴾: اتَّجَهُوا، وَالْجُمْلَةُ عَلَى تَقْدِيرٍ: قَدْ أَدَّى وَقَدْ أَقْبَلُوا، وَهِيَ فِي مَوْضِعِ

نَضْبٍ عَلَى الْحَالِ.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: عَلَى الْمُؤَدَّنِ بِجَمَاعَتِهِ.

﴿مَاذَا﴾: مَا الَّذِي.

﴿تَفْقَدُونَ﴾: تُعَدُّمُونَ بَعْدَ الْوُجُودِ.

﴿صَوَاعَ﴾: أَي: صَاعًا، وَهُوَ مَا يُكَالُ بِهِ.

﴿الْمَلِكِ﴾: الْحَاكِمِ.

﴿جَمَلٌ بَعِيرٌ﴾: أَي: مَا يَحْمَلُهُ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْبَعِيرُ: الْوَاحِدُ مِنَ الْإِبِلِ يُطْلَقُ

عَلَى الذَّكْرِ وَالْأُنْثَى.

﴿وَأَنَا﴾: الضَّمِيرُ يُعَوِّدُ عَلَى الْمَنَادِي.

﴿بِهِ﴾: بِجَمَلِ الْبَعِيرِ.

﴿زَعِيمٌ﴾: كَفِيلٌ ضَامِنٌ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ يُوسُفَ أَنَّهُ كَادَ لِبَقَاءِ شَقِيقِهِ عِنْدَهُ كَيْدًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا جَهَّزَ إِخْوَتَهُ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ وَهِيَ صَوَاعُ الْمَلِكِ الَّذِي اخْتَصَّه لِنَفْسِهِ فِي رَحْلِ أَخِيهِ، فَلَمَّا فُقِدَ أَتَتْهُمُ حَاشِيَةُ الْمَلِكِ إِخْوَةَ يُوسُفَ بِسَرِقَتِهِ، فَنَادَى فِيهِمُ الْمَنَادِي إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ، وَحِينَئِذٍ اتَّجَهَ الْإِخْوَةُ إِلَى الْمَنَادِي مُقْبِلِينَ عَلَيْهِمْ بَدُونَ مُبَالَأَةٍ، لَعَلِّهِمْ بِبِرَاءَةِ أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: مَاذَا تَفْقَدُونَ؟ وَلَمْ يَقُولُوا: مَا الَّذِي سُرِقَ؟ لِأَنَّ الْاِتِّهَامَ وَجَّهَ

إليهم وهم لم يسرقوا، قال حاشية الملك: نَفَقْدُ صُوعِ الْمَلِكِ، ثُمَّ التَّرَمَ الْمَنَادِي بِجُعَلٍ لَمَنْ جَاءَ بِهِ وَهُوَ حَمْلٌ بِعَيْرٍ مِنَ الطَّعَامِ، وَأَنَّهُ كَفِيلٌ بِهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- جَوَازُ التَّحْيِيلِ لِلْوَصُولِ إِلَى مَقْصُودٍ مُبَاحٍ.
- ٢- قُوَّةُ إِخْوَةِ يُوسُفَ فِي الدَّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ.
- ٣- حُسْنُ رَدِّهِمْ عَلَى مَنْ اتَّهَمَهُمْ بِالسَّرِقَةِ حَيْثُ رَدُّوا بِلَفْظٍ عَامٍّ لَا يُوجِبُ إِقْرَارَهُمْ بِمَا اتَّهَمُوا بِهِ.
- ٤- جَوَازُ الْجُعَلِ عَلَى الْعَمَلِ الْمَجْهُولِ إِذَا عُلِمَتِ الْغَايَةُ.
- ٥- جَوَازُ الْجُعَلِ بِعَوَضٍ مَعْلُومٍ بِالْعُرْفِ.
- ٦- جَوَازُ الضَّمَانِ، وَهَذِهِ وَالَّتِي بَعْدَهَا مَحَلُّ الِاسْتِدْلَالِ بِالْآيَةِ.
- ٧- جَوَازُ ضَمَانِ مَا لَمْ يَجِبْ إِذَا كَانَ مَالُهُ الْوُجُوبُ.

الآية الخامسة:

٢٨٣- ﴿ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [يوسف: ٦٦].

تفسير الآية رقم ٢٨٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ قَالَ ﴾: أي: يعقوبُ لبيته حين قالوا: أرسل معنا أخانا.
 ﴿ لَنْ أَرْسِلَهُ ﴾: أي: أخاهم لأبيهم الذي طلب يوسف أن يأتوا به.
 ﴿ تُؤْتُونِ ﴾: تُعْطُونِ.
 ﴿ مَوْثِقًا ﴾: عهدًا أتوثق به.
 ﴿ مِنْ اللَّهِ ﴾: من عند الله بأن تحلفوا بالله.
 ﴿ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾: أي: يمنعكم مانع من الإتيان به.
 ﴿ وَكِيلٌ ﴾: مُشَاهِدٌ حَافِظٌ.

ب- المعنى الإجمالي:

لما جهز يوسف إخوته إلى أبيه طلب منهم أن يأتوه بأخيه الشقيق، وتوعدهم بأنهم إن لم يفعلوا فلا كيل لهم عنده ولا يقربوه، فطلبوا من أبيهم أن يرسله معهم، فذكرهم بقصة يوسف، ثم قال: لن أرسله معكم إلا أن تعطوني ميثاقاً مؤكداً باليمين بالله أن تأتوا به إليّ، إلا أن يمنعكم مانع لا يمكنكم التخلص منه. فأعطوه الميثاق فأشهد الله على ذلك وأرسله معهم.

ج- من فوائد الآية:

- ١- شِدَّةُ شَفَقَةِ يَعْقُوبَ عَلَى بَنِيهِ.
- ٢- جَوَازُ طَلَبِ الْعَهْدِ فِي الْأُمُورِ الْهَامَّةِ.
- ٣- بُعْدُ نَظَرِ يَعْقُوبَ وَتَوَقُّعُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حَيْثُ قَالَ: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾.
- ٤- جَوَازُ الْكِفَالَةِ بِإِحْضَارِ الْبَدَنِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْأَسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٥- جَوَازُ إِشْهَادِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَهْدِ لِتَأْكِيدِهِ.

مِن آيَاتِ الْقَرْضِ وَالْعَارِيَةِ

الآيَةُ الْأُولَى:

٢٨٤ - ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

مِن آيَاتِ الْقَرْضِ وَالْعَارِيَةِ

الْقَرْضُ فِي اللُّغَةِ: الْقَطْعُ. وَفِي الشَّرْعِ: دَفْعُ مَالٍ عَلَى سَبِيلِ التَّمْلِيكِ لِمَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ وَيُرَدُّ بَدَلَهُ. وَهُوَ مُبَاحٌ لِلْمُسْتَقْرِضِ مُسْتَحَبٌّ لِلْمُقْرِضِ لِأَنَّهُ مِنَ الْإِحْسَانِ الْمَحْبُوبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَالْعَارِيَةُ فِي اللُّغَةِ: مِنَ الْعُرَى، وَهُوَ: التَّجَرُّدُ وَالْحُلُوءُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِحُلُوءِهَا مِنَ الْعَوَاضِ.

وَفِي الشَّرْعِ: دَفْعُ عَيْنٍ لِمَنْ يَنْتَفِعُ بِهَا مَجَانًّا وَيُرَدُّهَا.

وَهِيَ مُبَاحَةٌ لِلْمُسْتَعِيرِ مُسْتَحَبَّةٌ لِلْمُعِيرِ، لِأَنَّهَا مِنَ الْإِحْسَانِ وَقَدْ تَجِبُ أحيانًا.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ٢٨٤:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿وَأَحْسِنُوا﴾: أَفْعَلُوا الْإِحْسَانَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمُعَامَلَةِ النَّاسِ.

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: الْفَاعِلِينَ لِلإِحْسَانِ، وَجُمْلَةٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ...﴾: إِخْبَارٌ، تَعْلِيلٌ

لِلأَمْرِ بِالإِحْسَانِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالْإِحْسَانِ، وَهُوَ شَامِلٌ لِلْإِحْسَانِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَعَامَلَةِ النَّاسِ، فَالْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى: إِتْقَانُهَا رَغْبَةً وَرَهْبَةً وَاتِّبَاعًا، وَهَذَا فَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١).

وَأَمَّا الْإِحْسَانُ فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ: فَأَنْ تَكُفَّ أَدَاكَ عَنْهُمْ، وَتَبْدُلَ لَهُمُ الْمَعْرُوفَ. وَيَحْتَمِ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ بَيَانِ مَحَبَّتِهِ لِلْمُحْسِنِينَ، تَرْغِيبًا فِي الْإِحْسَانِ وَتَشْجِيحًا عَلَيْهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- مَشْرُوعِيَّةُ الْإِحْسَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ.
- ٢- مَشْرُوعِيَّةُ الْإِقْرَاضِ وَالْإِعَارَةِ لِأَنَّهَا مِنَ الْإِحْسَانِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٣- إِثْبَاتُ الْمَحَبَّةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ لَهُ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ تَلِيْقُ بِهِ.
- ٤- أَنَّ الْإِحْسَانَ مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ سُؤْلِ جَبْرِيلَ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالْإِحْسَانِ، وَعِلْمُ السَّاعَةِ، رَقْمُ (٥٠)، مُسَلَّمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ رَقْمُ (٩).

الآية الثانية إلى الخامسة:

٢٨٥-٢٨٨ - ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾
 الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ [الماعون: ٤-٧].

تفسير الآيات رقم ٢٨٥ - ٢٨٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿فَوَيْلٌ﴾: كَلِمَةٌ وَعَيْدٌ، أَوْ اسْمٌ وَادٍ فِي النَّارِ.

﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾: لِلْفَاعِلِينَ لِلصَّلَاةِ عَلَى الْوَصْفِ التَّالِي:

﴿سَاهُونَ﴾: غَافِلُونَ لَا يُقِيمُونَهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُمْ فِي الْإِخْلَاصِ أَوْ الْمَتَابَعَةِ، وَأَتَى بِالْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ ﴿هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ لِأَنَّهَا تُفِيدُ الثُّبُوتَ وَالِاسْتِمْرَارَ.

﴿يُرَاءُونَ﴾: يَفْعَلُونَ الْعِبَادَةَ لِيَرَاهُمْ النَّاسُ فَيَمْدَحُوهُمْ عَلَيْهَا لَا لِلَّهِ تَعَالَى.

﴿الْمَاعُونَ﴾: مَا يُتَنَفَّعُ بِهِ مِنْ آلَاتِ الْبَيْتِ، كَالْإِنَاءِ وَالرِّشَاءِ وَالذَّلْوِ وَنَحْوِهَا.

ب- المعنى الإجمالي:

يَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُصَلِّينَ الْمُتَّصِفِينَ بِالْأَوْصَافِ الثَّلَاثَةِ التَّالِيَةِ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ غَافِلُونَ عَنْ صَلَاتِهِمْ لَا يُجْلِصُونَ لِلَّهِ فِيهَا، وَلَا يَتَّبِعُونَ رَسُولَهُ فَلَا يُقِيمُونَهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُمْ.

الثَّانِي: أَنَّهُمْ يُرَاءُونَ النَّاسَ فِي عِبَادَاتِهِمْ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ لَا يَبْذُلُونَ الْمَعْرُوفَ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا، فَإِذَا سُئِلُوا شَيْئًا وَإِنْ كَانَ زَهِيدًا كَالْمَاعُونِ مَنْعُوهُ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- الْوَعِيدُ عَلَى مَنْ غَفَلَ عَنْ صَلَاتِهِ وَأَضَاعَهَا.
- ٢- الْوَعِيدُ عَلَى الْمُرَائِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ.
- ٣- ذَمُّ مَنْ مَنَعَ إِعَارَةَ الْمَاعُونِ وَنَحْوِهِ إِذَا طُلِبَ مِنْهُ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.

من آيات الصلح والجوار

الآية الأولى:

٢٨٩- ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
[النساء: ١١٤].

من آيات الصلح والجوار

الصلح لغة: قطع المنازعة.

واصطلاحاً: عقد يتوصل به إلى توفيق بين مختلفين.

والجوار: المجاورة، وهي المقاربة في المسكن.

تفسير الآية رقم ٢٨٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿لَا خَيْرَ﴾: الخير: كل ما يرغب فيه ويختار.

﴿مَن نَّجْوَاهُمْ﴾: من نجوى الناس، والنجوى: اسم للمناجاة، وهي:

التحدث سراً، وتطلق على التحدث مطلقاً.

﴿إِلَّا مَن أَمَرَ﴾: أي: إلا نجوى من أمر، فالاستثناء من الضمير في

﴿نَجْوَاهُمْ﴾.

﴿بِصَدَقَةٍ﴾: بذل مالٍ لمُحتَاجٍ إليه تَقَرُّبًا إلى الله تعالى.

﴿مَعْرُوفٍ﴾: ما عُرِفَ حُسْنُهُ شَرْعًا أو عَقْلًا.

﴿إِصْلَاحٍ﴾: تَوْفِيقٌ بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينَ.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: المذكور، وهو: الإِصْلَاحُ وَالْمَعْرُوفُ وَالصَّدَقَةُ، أو الأمر به.

﴿أَبْتِغَاءً﴾: طَلَبًا.

﴿مَرْضَاتٍ﴾: رِضْوَانًا.

﴿تَوْفِيهِ﴾: نُعْطِيهِ.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: ثَوَابًا كَثِيرًا جَسِيمًا.

ب- المَعْنَى الإِجْمَالِي:

يَنْفِي اللهُ تَعَالَى الْخَيْرَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ وَمَنَاجَاتِهِمْ، لِأَنَّهُ: إِمَّا لَعُوٌّ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَإِمَّا مُحَرَّمٌ مُتَضَمِّنٌ لِلشَّرِّ، إِلا كَلَامٌ مِنْ أَمْرٍ غَيْرِهِ بِدَفْعِ حَاجَةٍ مُحْتَاجٍ، أو فِعْلٍ حَسَنٍ شَرْعًا أو عَقْلًا، أو إِصْلَاحٍ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْكَلَامَ خَيْرٌ، ثُمَّ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ طَلَبًا لِثَوَابِ اللهِ وَمَرْضَاتِهِ نَالَ بِذَلِكَ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ فِي كَيْفِيَّتِهِ وَكَمِّيَّتِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

١- تَنْبِيهُ النَّاسِ إِلَى الْعِنَايَةِ بِمَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ وَالتَّحَرُّزِ مِنْهُ.

٢- أَنَّ كَثِيرًا مِنْ كَلَامِ النَّاسِ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ خَيْرٌ كَانَ خُسْرَانًا لِأَنَّهُ تَعَبٌ وَمُضِيعَةٌ لِلوَقْتِ.

- ٣- فَضْلُ الْأَمْرِ بِفَعْلِ الْحَيْرِ كَالصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ.
- ٤- فَضْلُ الصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَهَذِهِ وَالَّتِي قَبْلَهَا مَحَلُّ
الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٥- أَنْ ثَوَابَ الْأَعْمَالِ يَتَفَاوَتُ بِحَسَبِ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى.
- ٦- ثُبُوتُ الْحَيْرِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ الْمَتَعَدِّي نَفْعُهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْلَاصِ.

الآية الثانية:

٢٩٠- ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

تفسير الآية رقم ٢٩٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَإِنْ أَمْرًا﴾: أي: زوجة. وهي فاعلٌ لفعلٍ محذوفٍ مُقدَّرٍ بعد إن الشرطية، مفسَّرٌ بما بعده، والتقدير: وإن خافت امرأة.

﴿خَافَتْ﴾: توقَّعت.

﴿بَعْلِهَا﴾: زوجها.

﴿نُشُوزًا﴾: ترفعا عن القيام بما يجب عليه لها.

﴿إِعْرَاضًا﴾: صدودا بحيث يتهاون به أو يطلقها.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فلا إثم.

﴿عَلَيْهِمَا﴾: على المرأة وبعليها.

﴿يُصْلِحَا﴾: يوقعا أو يتصالحا كما تُفسرُه القراءة الثانية: (بصالحا).

﴿صُلْحًا﴾: توفيقا يزول به ما تتوقَّعه من نُشُوزٍ أو إعراضٍ.

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾: أي: من البقاء على النزاع والنكد.

﴿وَأُحْضِرَتِ﴾: أُلْزِمَتْ.

﴿الْشَّحَّ﴾: الْبُخْلُ مَعَ الطَّمَعِ.

﴿تُحَسِّنُوا﴾: تَفَعَّلُوا الْإِحْسَانَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِي مَعَامَلَةِ النَّاسِ.

﴿وَتَتَّقُوا﴾: تَتَوَقَّوْا الْمَحَارِمَ بِتَجَنُّبِهَا.

﴿حَيْرًا﴾: عَلِيمًا بِبِوَاتِنِ أُمُورِكُمْ كَطَوَاهِرِهَا. وَجَمَلَةٌ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ...﴾

إلخ، جواب الشرط.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

لَمَّا كَانَ بَعْضُ الْأَزْوَاجِ تَعْرِضٌ لَهُ حَالَاتٌ مَعَ زَوْجَتِهِ، فَيَتَرَفَّعُ عَنْهَا وَيَمْنَعُهَا بَعْضُ مَا يَجِبُ أَوْ يُعْرِضُ عَنْهَا تَهَاوُنًا بِحُقُوقِهَا، لَا تَرَفُّعًا عَنْهَا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَلَيْهَا، أَبَاحَ اللَّهُ تَعَالَى لِلزَّوْجَةِ إِذَا تَوَقَّعَتْ ذَلِكَ أَنْ تُصَالِحَ مَعَ زَوْجِهَا عَلَى أَمْرٍ يَزُولُ بِهِ مَا تَوَقَّعَتْ مِنْ ذَلِكَ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الصَّلْحُ لَازِمًا بَيْنَهُمَا، ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الصَّلْحَ خَيْرٌ مِنَ الْمُنَازَعَةِ وَتَمَسَّكَ الْمَرْءُ بِمَا يُرِيدُهُ لِنَفْسِهِ، ثُمَّ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنَ الشُّحِّ، تَنْبِيْهُهَا لِلْمُنْتَازِعِينَ أَنْ لَا تَغْلِبُهُمَا هَذِهِ الْجِبِلَّةُ فِي تَرْكِ مَا هُوَ خَيْرٌ، وَهُوَ الصَّلْحُ، ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ بَبَيَانِ عِلْمِهِ تَعَالَى بِكُلِّ مَا نَعْمَلُهُ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالتَّقْوَى تَرْغِيْبًا فِيهَا وَحَثًّا عَلَيْهَا.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

١- جَوَازُ الْمَصَالِحَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ إِذَا خَافَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ زَوْجِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا.

٢- أَنَّ الصَّلْحَ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ خَيْرٌ مِنْ تَمَسُّكِ الْمَرْءِ بِمَا يُرِيدُ مَعَ بَقَاءِ النِّزَاعِ.

- ٣- أن النفوس مجبولة على الشحِّ.
- ٤- أنه ينبغي للعاقل أن يتبع ما فيه الخير دون ما تُريده نفسه.
- ٥- الحثُّ على الإحسانِ والتقوى.
- ٦- عُمومُ علمِ الله تعالى لكل ما نَعَمَلُهُ.

الآية الثالثة:

٢٩١- ﴿سَتَلُونَكُمْ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

تفسير الآية رقم ٢٩١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿سَتَلُونَكُمْ﴾: أي: الناس، والخطابُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
 ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾: عن الغنائمِ من يتولى قسَمَها وكيف تُقسَمُ.
 ﴿وَالرَّسُولِ﴾: أي: شأنُ الأنفالِ أو قسَمِها لله والرسول.
 ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ﴾: اتَّخَذُوا وَقَايَةً مِنْ عَذَابِهِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ.
 ﴿وَأَصْلِحُوا﴾: أزيلوا فساداً.
 ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: حالِ صلَتِكُمْ، أي: الأحوالِ التي تُوجِبُ التَّوَاصُلَ بَيْنَكُمْ.
 ﴿وَأَطِيعُوا﴾: انقادوا.
 ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: مُحَقِّقِينَ لِلإِيمَانِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ النَّاسَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْأَنْفَالِ لِمَنْ يَكُونُ أَمْرُهَا وَقَسَمُهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَأْمُرُ النَّاسَ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَيُزِيلُوا مَا بَيْنَهُمْ مِنَ النَّزَاعِ وَالْبَغْضَاءِ، وَيُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا يَكُونُ مِنَ الشَّرْعِ إِنْ كَانَ إِيْمَانُهُمْ حَقًّا كَامِلًا.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- حِرْصُ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عَلَى الْعِلْمِ.
- ٢- أَنَّ أَمْرَ الْغَنَائِمِ مَوْكُؤُلٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٣- أَنَّ مَا قَضَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أُمُورِ الشَّرِيعَةِ فَهُوَ كَمَا قَضَى بِهِ اللَّهُ.
- ٤- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.
- ٥- وَجُوبُ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْاِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٦- أَنَّ مِنْ تَحْقِيقِ الْإِيمَانِ تَقْوَى اللَّهِ وَإِصْلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ وَطَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

الآية الرابعة إلى السابعة:

٢٩٢-٢٩٥- ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
 الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
 بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا
 فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
 رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا قَرِينًا
 ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ
 عَلِيمًا ﴿النساء: ٣٦-٣٩﴾.

تفسير الآيات رقم ٢٩٢ - ٢٩٥:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: تَذَلُّوا لَهُ بِالطَّاعَةِ حُبًّا وَتَعْظِيمًا بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ.
 ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾: لَا تَجْعَلُوا مَعَهُ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي
 رُبُوبِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

﴿وَالْوَالِدَيْنِ﴾: الأُمُّ وَالْأَبُ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْدُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أَحْسِنُوا.

﴿إِحْسَانًا﴾: بِرًّا يَبْدُلُ الْمَالَ وَلِيْنَ الْجَانِبِ وَكَرَمِ الْقَوْلِ.

﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: بِصَاحِبِ الْقَرَابَةِ مِنْ قَبْلِ الأُمِّ أَوْ الأَبِ، وَهُوَ وَمَا بَعْدَهُ
 مَعْطُوفٌ عَلَى الْوَالِدَيْنِ، أَي: وَأَحْسِنُوا بِذِي الْقُرْبَى ... الخ.

﴿وَالْيَتَامَى﴾: جَمْعُ يَتِيمٍ، وَهُوَ: مَنْ مَاتَ أَبُوهُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: جَمْعُ مَسْكِينٍ، وَهُوَ: مَنْ لَا يَجِدُ كِفَايَةَ نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ.

﴿وَالْجَارِ﴾: الْقَرِيبُ مِنْكَ فِي الْمَسْكَنِ.

﴿ذِي الْقُرْبَى﴾: صَاحِبُ الْقَرَابَةِ مِنْ قِبَلِ الْأُمِّ أَوْ الْأَبِ.

﴿الْجُنْبِ﴾: الَّذِي لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ.

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾: الْمَصَاحِبِ الَّذِي يَكُونُ إِلَى جَنبِكَ كَالصَّدِيقِ وَالْمُرَافِقِ فِي السَّفَرِ وَنَحْوَهُمَا.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: ابْنِ الطَّرِيقِ، وَهُوَ الْمَسَافِرُ.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: مَا مَلَكَتُمُوهُ مِنْ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ، وَأَضَافَ الْمَلِكَ إِلَى الْيَمِينِ لِأَنَّهَا الْأَخْذُ وَالْإِعْطَاءُ غَالِبًا.

﴿مُحْتَالًا﴾: مُعْجَبًا فِي نَفْسِهِ مَتَعَاظِمًا.

﴿فَخُورًا﴾: مُعْلِنًا بِتَعَاظِمِهِ وَمُدْحٍ نَفْسِهِ تَرْفَعًا، فَالْاِخْتِيَالُ بِالنَّفْسِ وَالْفَخْرُ بِاللِّسَانِ.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾: يُمْسِكُونَ عَنِ بَدَلِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ بِدَلُّهُ مِنْ مَالٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ نَفْعٍ، وَالْمَوْصُولُ خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ: أَيُّ هُمُ الَّذِينَ.

﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ﴾: يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ.

﴿وَيَكْتُمُونَ﴾: يُخْفُونَ.

﴿ءَاتَهُمُ اللَّهُ﴾: أَعْطَاهُمْ اللَّهُ.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: من عَطَائِهِ الْمُتَفَضَّلِ بِهِ مِنْ مَالٍ أَوْ عِلْمٍ.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: هَيَّأْنَا.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: لِلجَّاحِدِينَ، وَهُوَ اسْمٌ ظَاهِرٌ فِي مَوْضِعِ الضَّمِيرِ.

﴿عَذَابًا﴾: عِقَابًا.

﴿مُهِينًا﴾: مَوْقِعًا فِي الْهَوَانِ وَالذُّلِّ.

﴿يُنْفِقُونَ﴾: يُنْفِقُونَ.

﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾: مَرَاءَاةَ لِلنَّاسِ لِيُرَوْهُمْ فَيَمْدَحُوهُمْ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ

مَفْعُولٌ لِأَجَلِهِ.

﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: لَا يُصَدِّقُونَ تَصَدِيقًا يَحْمِلُهُمْ عَلَى الْقَبُولِ وَالانْقِيَادِ.

﴿بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنْ حِسَابٍ وَثَوَابٍ وَعِقَابٍ

وغيرها، وَصِفَ بِذَلِكَ لِتَأْخِرِهِ وَلَا يَوْمَ بَعْدِهِ.

﴿الشَّيْطَانُ﴾: إِبْلِيسُ مُشْتَقٌّ مِنْ شَطَنَ إِذَا بَعُدَ لِبُعْدِهِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿قَرِينًا﴾: صَاحِبًا مُلَازِمًا.

﴿فَسَاءَ﴾: فِعْلٌ ذَمٌّ اقْتَرَنَتْ الْفَاءُ بِهِ فِي الْجَوَابِ، لِأَنَّهُ جَامِدٌ وَقَاعِلُهُ ضَمِيرٌ

مُسْتَتِرٌ مُفَسَّرٌ بِالتَّمْيِيزِ (قَرِينًا)، وَالْمَخْصُوصُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: هُوَ.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾: أَي: أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ عَلَيْهِمْ.

﴿لَوْءَاْمَنُوا﴾: لَوْ مَصْدَرِيَّةٌ فَيَحْوُلُ مَا بَعْدَهَا لِمَصْدَرٍ مُسْبِقٍ بـ(في)، وَالتَّقْدِيرُ:

مَاذَا عَلَيْهِمْ فِي إِيْمَانِهِمْ.

﴿رَزَقَهُمْ﴾: أَعْطَاهُمْ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا فِي عِبَادَتِهِ، أَيَا كَانَ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ مَلِكٍ أَوْ وَليٍّ، وَأَنْ يُحْسِنُوا إِلَى مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْهِمْ لِقَرَابَةٍ أَوْ صُحْبَةٍ أَوْ حَاجَةٍ، مِنْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْجِيرَانَ وَالْأَقْرَابِ وَالْأَجَانِبِ وَالْأَصْحَابِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ وَالْمَمْلُوكِينَ.

وَيُبَيِّنُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ مِنْ كَانَ مُتَعَاظِمًا فِي نَفْسِهِ، فَخُورًا فِي قَوْلِهِ، بِاخْتِلَافٍ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَمْرًا غَيْرَهُ بِالْبُخْلِ، فَهُوَ مُنْحَرِفٌ فِي نَفْسِهِ، مُحَاوِلٌ لِحَرْفِ غَيْرِهِ، وَهُوَ كَاتِمٌ لِمَا آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عِلْمٍ أَوْ مَالٍ لثَلَا يَتَعَلَّقُ النَّاسَ بِهِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَا أَعَدَّهُ لِهَذَا وَأَمْثَالِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَهُوَ الْعَذَابُ الْمُهِينُ.

ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى حَالَ قَوْمٍ آخَرِينَ يَنْفِقُونَ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ مَرَاءَةَ الْخَلْقِ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ وَقَارَبَهُمْ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا.

ثُمَّ يُوبِّخُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ السُّؤَالِ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ؟ إِنَّهُ لَا شَيْءَ عَلَيْهِمْ، بَلْ لَهُمْ بِذَلِكَ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ثُمَّ يَتَهَدَّدُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِبَيَانِ عِلْمِهِ تَعَالَى بِحَالِهِمُ الْمَسْتَلْزِمِ لِمَجَازَاتِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ.

ج- من فوائد الآيات:

- ١- وَجُوبُ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٢- تَحْرِيمُ الشُّرْكِ بِهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ.
- ٣- وَجُوبُ الْإِحْسَانِ بِالْوَالِدَيْنِ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِمْ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ فَهُوَ أَحَقُّ.
- ٤- وَجُوبُ الْإِحْسَانِ بِالْجِيرَانِ الْأَقْرَابِ وَغَيْرِهِمْ.
- ٥- تَحْرِيمُ الْإِسَاءَةِ إِلَى الْجِيرَانِ، وَهَذِهِ الَّتِي قَبْلَهَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٦- إِثْبَاتُ وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَحَبَّةِ.
- ٧- أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فِي نَفْسِهِ، فَخُورًا فِي قَوْلِهِ.
- ٨- جَوَازُ التَّحَدُّثِ بِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ فَخْرٍ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.
- ٩- ذَمُّ الْبُخْلِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْبَخِيلَ.
- ١٠- ذَمُّ أَمْرِ النَّاسِ بِالْبُخْلِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ذَلِكَ.
- ١١- ذَمُّ كَيْفَانِ الْعَبْدِ مَا أُوتِيَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ١٢- أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ -الْبُخْلَ، وَأَمْرَ النَّاسِ بِهِ، وَكَيْفَانَ فَضْلِ اللَّهِ- مِنْ أَعْمَالِ الْكَافِرِينَ.
- ١٣- إِثْبَاتُ الْجَزَاءِ وَالْعِقَابِ.
- ١٤- ذَمُّ الْإِنْفَاقِ رِيَاءً وَسُمْعَةً.

١٥- أن الإنفاق رياءً وسُمةٌ مُقارِنٌ لفقْدِ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ أو نقصِه.

١٦- أن الشيطانَ قد يُسلِّطُ على الإنسانِ فيكونُ قَرينًا له.

١٧- ذمُّ مُقارِنَةِ الشيطانِ لِلْعَبْدِ.

١٨- تَوْبِيخُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ باللهِ واليومِ الآخرِ وَيُنْفِقُ مِمَّا رَزَقَهُ اللهُ.

١٩- نَفْيُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَنْ آمَنَ وَأَنْفَقَ أَي ضَرَرَ.

٢٠- تَهْدِيدُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ وَيُنْفِقُ.

٢١- سِعَةُ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى.

٢٢- أنه لا وَجَهَ لِلْبُخْلِ فيما أَمَرَ اللهُ بِإِنْفَاقِهِ، لأنَّ اللهُ تَعَالَى هو الْمُتَفَضِّلُ به لقوله:

﴿مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾.

مِن آيَاتِ الْحَجَرِ

الآيَةُ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ:

٢٩٦-٢٩٧- ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿﴾ [البقرة: ٢٨٠-٢٨١].

مِن آيَاتِ الْحَجَرِ

الْحَجَرُ فِي اللَّغَةِ: الْمَنْعُ.

وفي الاصطلاح: مَنْعُ الْإِنْسَانِ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ.

وهم نَوْعَانِ: حَجَرٌ لِحِظِّ الْمَحْجُورِ عَلَيْهِ، كَالْحَجَرِ عَلَى الصَّغِيرِ وَالسَّفِيهِ.

وَحَجَرٌ لِحِظِّ غَيْرِهِ كَالْحَجَرِ عَلَى الْمُفْلِسِ لِحِظِّ الْغُرَمَاءِ، وَلَا يُحْجَرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِشُرُوطٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ الدَّيْنُ الَّذِي عَلَيْهِ حَآلًا.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مَالٌ لَا يَبْقَى بِكُلِّ مَا عَلَيْهِ.

الثَّلَاثُ: أَنْ يَطْلُبَ الْحَجَرَ غُرْمَاؤُهُ أَوْ بَعْضُهُمْ.

تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ رَقْمَ ٢٩٦ - ٢٩٧:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿كَانَ﴾: كَانَ فِعْلٌ مَاضٍ تَامٌّ بِمَعْنَى وَجَدَ.

﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾: صَاحِبُ عُسْرَةٍ، أَي: إِعْسَارٌ لَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ الْوَفَاءَ، وَذُو عُسْرَةٍ صِفَةٌ لِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: غَرِيمٌ.

﴿فَنَظَرُهُ﴾: الْفَاءُ رَابِطَةٌ لِلجَوَابِ، وَ(نَظَرَةٌ) مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: فَعَلَيْكُمْ نَظَرَةٌ، أَي: إِنْظَارٌ.

﴿مَيْسَرَةٍ﴾: إِيسَارٌ يَسْتَطِيعُ بِهِ الْوَفَاءَ.

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾: أَي: تُبْرِئُوا الْمُعْسِرَ مِنْ دِينِهِ.

﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾: أَي: أَفْضَلُ لَكُمْ مِنْ إِنْظَارِهِ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إِنْ كُنْتُمْ مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: فَافْعَلُوا ذَلِكَ.

﴿وَاتَّقُوا﴾: اتَّخَذُوا وِقَايَةً، أَوْ أَحْذَرُوا.

﴿يَوْمًا﴾: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَاءَ مُنْكَرًا لِلتَّعْظِيمِ.

﴿تُرْجَعُونَ﴾: تُرَدُّونَ.

﴿تُؤْتَى﴾: تُعْطَى وَافِيًا.

﴿مَا كَسَبَتْ﴾: مَا عَمِلَتْ.

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾: لَا يُنْقَصُونَ شَيْئًا فِي مَجَازَاتِهِمْ، فَلَا يَزَادُ فِي سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا يُيَخَسُّ

مِنْ حَسَنَاتِهِمْ.

ب- المعنى الإجمالي:

لَمَّا مَهَى اللهُ تَعَالَى عَنِ الرَّبَا الَّذِي كَانُوا يَتَعَاطَوْنَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا حَلَّ أَجَلُ الدِّينِ قَالَ لَغَرِيمِهِ: إِمَّا أَنْ تُؤَفِّقَنِي، أَوْ تُرْبِي فَتَزِيدَ فِي الدِّينِ الَّذِي عَلَيكَ. وَأَنْ مَنْ تَابَ فَلَهُ رَأْسُ مَالِهِ غَيْرُ مَظْلُومٍ وَلَا ظَالِمٍ.

بَيَّنَّ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى مَنْ لَهُ الدِّينُ إِذَا كَانَ غَرِيمُهُ مُعْسِرًا أَنْ يُمَهِّلَهُ وَلَا يَطْلُبَهُ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى يُوسِرَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَهَذِهِ إِحْدَى حَالَاتِ الْغَرِيمِ إِذَا حَلَّ عَلَيْهِ الدِّينُ.

الحال الثانية: أن يكون مُعْسِرًا ببعض الدِّينِ فَيُحْجَرُ عَلَيْهِ إِذَا طَلَبَ ذَلِكَ الْغُرْمَاءُ أَوْ بَعْضُهُمْ.

الحال الثالثة: أن يكون مُوسِرًا بِجَمِيعِ الدِّينِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ الْمِبَادَرَةُ بِوَفَائِهِ وَيَلْزَمُ بِذَلِكَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمُعْسِرِ بِالْدِّينِ بِإِبْرَائِهِ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ إِنْظَارِهِ لِمَا فِيهِ مِنْ إِبْرَاءٍ ذِمَّتِهِ وَفَكَ أَسْرِهِ، وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ثُمَّ حَدَّرَ اللهُ تَعَالَى مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَرْجِعُ فِيهِ الْخَلَائِقُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، لِيُجَازِيَهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَمِثْلُهُ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ.

ج- من فوائد الآيتين:

١- وَجُوبُ إِنْظَارِ الْغَرِيمِ الْمُعْسِرِ.

٢- إِنْ إِبْرَاءُهُ مِنَ الدِّينِ أَفْضَلُ مِنْ إِنْظَارِهِ لِأَنَّهُ إِنْظَارٌ وَإِبْرَاءٌ.

- ٣- الحثُّ على إِبْرَاءِ الْمُعْسِرِ، وَهَذِهِ وَاللَّتَانِ قَبْلَهَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالآيَتَيْنِ.
- ٤- التَّحْذِيرُ مِنَ الْيَوْمِ الْآخِرِ لِيَحْذَرَ الْمَرْءُ فَيَقُومَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ.
- ٥- إِثْبَاتُ الْمَعَادِ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ -.
- ٦- إِثْبَاتُ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.
- ٧- أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.
- ٨- كَمَالُ عَدْلِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٩- انْتِفَاءُ الظُّلْمِ عَنْهُ لِكَمَالِ عَدْلِهِ.

الآية الثالثة:

٢٩٨- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾^(١) وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ
ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿[الأنعام: ١٥٢].

تفسير الآية رقم ٢٩٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَوْفُوا﴾: أتموا.

﴿الْكَيْلَ﴾: التقدير بالمكيال.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾: أي: الوزن.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل.

﴿لَا تُكَلِّفُ﴾: لا نلزم.

﴿وُسْعَهَا﴾: طاقتها وقدرتها.

﴿فَاعْدِلُوا﴾: فقولوا بالعدل من غير ميل.

﴿وَلَوْ كَانَ﴾: أي: من قلتم له أو فيه.

﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾: صاحب قرابة.

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ﴾: بميثاقه.

(١) راجع تفسير ما سبق في الآية رقم ٢٤٩. [المؤلف]

﴿ذَلِكُمْ﴾: أي: ما ذَكَرَ من الأمور الثلاثة.

﴿وَصَّانِكُمْ بِهِ﴾: عَهَدَ بِهِ إِلَيْكُمْ.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: تَتَعَبَّوْنَ.

ب- المعنى الإجمالي:

لَمَّا كَانَ الْيَتَامَى قَاصِرِينَ فَاقِدِي مَنْ يُكْمَلُ قُصُورَهُمْ، جَاءَتْ النُّصُوصُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَعْنِيَّةً بِأَحْوَالِهِمِ الْمَالِيَةِ وَالْمُسْلِكِيَّةِ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُتَوَلِّينَ عَلَى أَمْوَالِ الْيَتَامَى أَنْ يَنْصَرَّفُوا فِيهَا إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ، فَمَا كَانَ أَسْوَأَ وَمَا لَيْسَ فِيهِ فَائِدَةٌ فَلَا يَنْصَرَّفُ بِهِ فِي مَالِ الْيَتِيمِ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِإِيْفَاءِ الْحَقُوقِ كَامِلَةً فِي الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ بِالْعَدْلِ حَسَبِ الْمُسْتَطَاعِ، فَلَا يَضُرُّ النِّقْصُ أَوْ الزِّيَادَةُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ خَارِجًا عَنْ طَاقَةِ الْعَبْدِ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا.

ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَدْلِ فِي الْقَوْلِ، كَمَا أَمَرَ بِالْعَدْلِ فِي الْفِعْلِ، فَإِذَا قُلْنَا بِشَيْءٍ حُكْمًا أَوْ خَبْرًا فَلْنَعْدِلْ فِيهِ وَلَوْ كَانَ مَعَ أَقْرَبِ قَرِيبٍ إِلَيْنَا.

ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَيُبَيِّنُ أَنَّ هَذِهِ التَّوْجِيهَاتِ مِنَ الْوَصَايَا الْعَظِيمَةِ الَّتِي وَصَّانَا بِهَا لِتَذَكَّرَ وَنَتَعَبَّ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

١- الْحَجْرُ عَلَى الصَّغِيرِ فِي مَالِهِ بِإِقَامَةِ وَلِيٍّ عَلَيْهِ يَنْصَرَّفُ فِيهِ بِالْأَحْسَنِ.

- ٢- وجوب التصرف في مال الصغير بما هو أحسن على من يتولاه.
- ٣- منع تسليم ماله لأن تسليمه له ليس بالأحسن، لأنه لا يحسن التصرف.
- ٤- زوال الحجر عنه ببلوغه ورشده، وهذه والتي قبلها محل الاستشهاد بالآية.
- ٥- وجوب الوفاء بالكيل والوزن بالعدل.
- ٦- أن ما يخرج عن طاقة العبد في ذلك لا يؤخذ به.
- ٧- سعة رحمة الله تعالى بعباده حيث لا يكلفهم ما لا يطيقون.
- ٨- وجوب القول بالعدل حتى على أقرب قريب، سواء في الحكم أو الشهادة أو غيرهما.
- ٩- وجوب الوفاء بعهد الله تعالى، سواء فيما بين العبد وربّه كالنذر أو فيما بينه وبين الناس.
- ١٠- أن هذه الأحكام من الوصايا التي وصانا الله تعالى بها.
- ١١- عناية الله تعالى بعباده حيث وصاهم بما فيه خير دينهم ودنياهم.
- ١٢- أن أحكام الله تعالى ووصاياه كلها حكمة بالغة تتضمن مصالح العباد.

الآية الرابعة:

٢٩٩- ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وِليُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

تفسير الآية رقم ٢٩٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾: عَلَيْهِ الدَّيْنُ أَوْ نَحْوَهُ.

﴿سَفِيهًا﴾: غَيْرَ مُحْسِنٍ لِلتَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ فَيُحْجَرُ عَلَيْهِ.

﴿ضَعِيفًا﴾: صَغِيرًا أَوْ مَجْنُونًا.

﴿لَا يَسْتَطِيعُ﴾: لَا يَقْدِرُ لِعِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ.

﴿أَنْ يُمِلَّ﴾: أَنْ يُمِلِّيَ.

﴿هُوَ﴾: تَوْكِيدٌ لِلضَّمِيرِ الْمُسْتَرِ فِي ﴿يُمِلَّ﴾.

﴿وِليُّهُ﴾: مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَهُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ.

﴿بِالْعَدْلِ﴾: بِالْقِسْطِ الْمَوَافِقِ لِلشَّرْعِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ.

ب- المعنى الإجمالي:

هذه الجملة جزء من آية الدين الطويلة التي بين الله فيها أحكام جزء من المعاملات سواء الدين أو الحاضرة، وفي هذا الجزء يبين الله تعالى أن من كان عليه الحق وهو مُتَّصِفٌ بواحدة من هذه الصفات الثلاث: السَّفَه، والضعف، والعجز

عن الإملاء، فإنَّ وِلِيَّهٗ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى الْإِمْلَاءَ عَنْهُ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُرَاعِيَ فِي إِمْلَائِهِ الْعَدْلَ بِحَيْثُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ فِي ذَلِكَ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِذَوِي الْقُصُورِ مِنَ السُّفَهَاءِ وَالزُّعْفَاءِ وَنَحْوِهِمْ.
- ٢- عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَالِ وَحِفْظُهُ بِحَيْثُ لَا يَتَوَلَّى التَّصَرُّفَ فِيهِ مِثْلُ هَؤُلَاءِ.
- ٣- الْحَجْرُ عَلَى مَنْ لَا يُحْسِنُ التَّصَرُّفَ مِنْ سَفِيهِهِ وَصَغِيرٍ وَمَجْنُونٍ وَعَاجِزٍ.
- ٤- ثُبُوتُ الْوِلَايَةِ عَلَى ذَوِي الْقُصُورِ فِي التَّصَرُّفِ.
- ٥- وَجُوبُ مَرَاعَاةِ الْعَدْلِ عَلَى الْوَلِيِّ.
- ٦- قَبُولُ قَوْلِ الْوَلِيِّ فِيمَا وُلِّيَ عَلَيْهِ.

الآية الخامسة:

٣٠٠- ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ط وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿

[النساء: ٦].

تفسير الآية رقم ٣٠٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَابْتَلُوا﴾: اختبروا، والخطاب لأولياء اليتامى.

﴿بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾: وصلوا النكاح بنزول المنى.

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ﴾: فإن علمتكم، وجواب الشرط ﴿فَادْفَعُوا﴾، وهو وجوبه جواب

﴿إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾.

﴿رُشْدًا﴾: إحساناً في التصرف.

﴿إِسْرَافًا﴾: مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَي: مُسْرِفِينَ، وَالْإِسْرَافُ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ.

﴿وَبِدَارًا﴾: مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْضًا، أَي: مُبَادِرِينَ، وَالْمُبَادَرَةُ: الْإِسْرَاعُ.

﴿أَن يَكْبُرُوا﴾: يَبْلُغُوا سِنَّ الرُّشْدِ.

﴿غَنِيًّا﴾: ذَا كِفَايَةِ مَالِيَّةٍ.

﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: فَلْيُكْفِفْ، أَي: عَنِ الْأَكْلِ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ، وَاللَّامُ لِلْأَمْرِ.

﴿فَقِيرًا﴾: مُعَدَّمًا مِنَ الْكِفَايَةِ.

﴿فَلْيَأْكُلْ﴾: اللَّامُ لِلْأَمْرِ الْمُرَادِ بِهِ الْإِبَاحَةُ.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بِمَا جَرَى بِهِ الْعُرْفُ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا تَقْتِيرٍ.

﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾: أَقِيمُوا مِنْ يَشْهَدُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ بِدَفْعِ الْمَالِ.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ﴾: مِنَ الْكِفَايَةِ، وَهِيَ الْاسْتِغْنَاءُ بِالشَّيْءِ، وَهُوَ فِعْلٌ مَاضٍ فَاعِلُهُ

الاسمُ الْمَجْرُورُ بِالْبَاءِ الدَّخِلَةِ عَلَيْهِ لِلتَّكْيِيدِ.

﴿حَسِبًا﴾: حَافِظًا لِأَعْمَالِ عِبَادِهِ مُحَاسِبًا عَلَيْهَا.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَوْلِيَاءَ الْيَتَامَى أَنْ يُحْتَبِرُواهُمْ فِي التَّصَرُّفِ بِأَهْلِهِمْ قَبْلَ الْبُلُوغِ، لِيَتَمَرَّنُوا عَلَى التَّصَرُّفِ وَيَتَهَيَّئُوا لِذَفْعِ الْأَمْوَالِ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا بَلَغُوا وَعُلِمَ الرُّشْدُ مِنْهُمْ وَجَبَ دَفْعُ أَمْوَالِهِمْ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّهَا أَمْوَالُهُمْ وَقَدْ زَالَ عَنْهُمْ مُقْتَضَى الْحَجْرِ، ثُمَّ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْأَوْلِيَاءَ أَنْ يَأْكُلُوا هَذِهِ الْأَمْوَالَ سِوَاءَ أَنْفُقِهَا عَنْ طَرِيقِ الْإِسْرَافِ أَمْ لِمَبَادَرَةِ كِبَرِ هَؤُلَاءِ الْيَتَامَى، وَأَمَرَ مَنْ كَانَ غَنِيًّا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ أَنْ يَكْفَى عَنِ الْأَكْلِ وَأَبَاحَ لِمَنْ كَانَ فَقِيرًا أَنْ يَأْكُلَ بِالْمَعْرُوفِ.

ثُمَّ أَرْشَدَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَوْلِيَاءَ إِذَا دَفَعُوا إِلَى الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ أَنْ يَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ لثَلَا يَحْتَاجُوا إِلَى الْبَيِّنَةِ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى كِمَالِ حِفْظِهِ لِأَعْمَالِ عِبَادِهِ وَحُاسِبِيَّتِهِ لَهُمْ عَلَيْهَا حَتَّى يَزْتَدِعَ مِنْ تُسْوُلٍ لَهُ نَفْسَهُ الْخُرُوجَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِرْشَادِهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- وجوبُ الحَجْرِ عَلَى الْيَتَامَى فِي أَمْوَالِهِمْ حَتَّى الْبُلُوغِ وَالرُّشْدِ.
- ٢- وجوبُ اخْتِبَارِهِمْ بِالتَّصَرُّفِ فِي الْمَالِ قَبْلَ بُلُوغِهِمْ لِيَتَهَيَّئُوا لِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِمْ فور بلوغهم.
- ٣- وجوبُ دَفْعِ أَمْوَالِهِمْ إِلَيْهِمْ إِذَا بَلَغُوا وَرَشَدُوا.
- ٤- أَنَّ الْحَكْمَ يَدُورُ مَعَ عِلَّتِهِ وَجُودًا وَعَدَمًا.
- ٥- تَحْرِيمُ أَكْلِ الْوَالِيِّ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ لغير حاجة.
- ٦- جَوَازُ أَكْلِ وَالِيِّ الْيَتِيمِ إِذَا كَانَ فَقِيرًا مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ.
- ٧- أَنَّ الْأَكْلَ الْجَائِزَ مُقَيَّدٌ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا تَقْتِيرٍ، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: وَالْمَعْرُوفُ هُوَ الْأَقْلُ مِنْ كِفَايَتِهِ أَوْ أُجْرَةِ مِثْلِهِ.
- ٨- وجوبُ إِشْهَادِ الْوَالِيِّ عَلَى دَفْعِ الْمَالِ لِلْيَتِيمِ.
- ٩- أَنَّ الْوَالِيَّ لَا يَقْبَلُ قَوْلَهُ فِي دَفْعِ الْمَالِ إِلَى الْيَتِيمِ إِلَّا بَيِّنَةً.
- ١٠- كِفَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ حِفْظًا وَحِسَابًا.

مِن آيَاتِ الْوَكَالَةِ

الآية الأولى والثانية:

٣٠١-٣٠٢- ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ١٩-٢٠].

مِن آيَاتِ الْوَكَالَةِ

الوكالة في اللغة: التفويض.

وفي الاصطلاح: استنابة جائر التصرف مثله فيما تدخله النيابة، وهي مباحة للموكل مستحبة للوكيل إن توكل بقصد الإحسان إلى الموكل وإعانتة في حاجته، وإباحتها من محاسن الإسلام، فإن الإنسان قد يتعذر عليه أو يشق قضاء حوائجه بنفسه، فكان من التيسير أن يباح له استنابة غيره في ذلك.

تفسير الآيتين رقم ٣٠١ - ٣٠٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾: أي: مثل ضربنا على آذانهم بالنوم في وقوع الآية.

- ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾: أَيْقَظْنَاهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ.
- ﴿لَيْسَاءَ لَوْ﴾: لَيْسَ أَلْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.
- ﴿كَمْ لَيْسَتْ﴾: كَمْ مَكْتُمٌ نَائِمِينَ.
- ﴿قَالُوا﴾: قَالَ بَعْضُهُمْ.
- ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: أَوْ لِلشَّكِّ.
- ﴿قَالُوا﴾: قَالَ بَعْضُهُمُ الْآخَرِ.
- ﴿فَاعْبَثُوا﴾: فَأَرْسَلُوا، وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ.
- ﴿بُورِقِكُمْ﴾: بِتُقُودِكُمْ مِنَ الْفِضَّةِ.
- ﴿الْمَدِينَةَ﴾: أَي: الَّتِي خَرَجُوا مِنْهَا.
- ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾: أَي: الْمَبْعُوثُ نَظَرَ عَيَانٍ، وَاللَّامُ لِلأَمْرِ.
- ﴿أَيَّهَا﴾: أَي: أَيُّ أَطْعَمَةِ الْمَدِينَةِ، أَوْ أَيِ أَسْوَاقِهَا.
- ﴿أَزْكَى﴾: أَحَلَّ وَأَجُودَ وَالذَّ.
- ﴿مِنْهُ﴾: أَي: مِنَ الْأَزْكَى.
- ﴿وَلِيَتَنَاطَفَ﴾: لِيَكُنْ لَطِيفًا فِي تَصَرُّفِهِ حَتَّى لَا يُفْطَنَ لَهُ، وَاللَّامُ لِلأَمْرِ.
- ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾: لَا يُجْبِرَنَّ تَصَرُّحًا وَلَا تَلْمِيحًا، وَلَا نَاهِيَةً.
- ﴿إِنَّهُمْ﴾: أَي: أَهْلُ الْمَدِينَةِ.
- ﴿يَطْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: يَطْلِعُوا عَلَيْكُمْ وَيَعْلَمُوا بِكُمْ.

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: يَفْذِفُوكُمْ بِالْحِجَارَةِ.

﴿يُعِيدُوكُمْ﴾: يُصَيِّرُوكُمْ أَوْ يَرُدُّوكُمْ.

﴿فِي مِلَّتِهِمْ﴾: فِي دِينِهِمْ، وَهُوَ الشَّرْكَ.

﴿وَلَنْ تَفْلِحُوا﴾: لَنْ تَنْجُوا مِنَ الْمَرْهُوبِ وَلَنْ تَحْصُلُوا عَلَى الْمَطْلُوبِ.

﴿إِذَا﴾: إِذَا صَرْتُمْ إِلَى دِينِهِمْ.

﴿أَبَدًا﴾: فِيهَا تَسْتَقْبِلُونَ مِنْ زَمَانِكُمْ.

ب- المعنى الإجمالي:

يخبرُ اللهُ تعالى عن أصحابِ الكهفِ والرقيمِ الذين جعل في قصصِهِمْ آياتٍ وعبرًا أَنَّهُ أَيْقَظَهُمْ مِنْ نَوْمِهِمُ الَّذِي اسْتَغْرَقَ سِنِينَ لِيَعْلَمُوا بِذَلِكَ آيَاتِ اللهِ وَيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ: كَمْ لَبِثُوا وَقَدْ انْقَسَمُوا فِي ذَلِكَ إِلَى قَسْمَيْنِ:

قِسْمٌ أَجَابَ بِأَنَّهُمْ لَبِثُوا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: وَإِنَّا تَرَدَّدُوا فِي كَوْنِهِ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، لِأَنَّهُمْ نَامُوا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَاسْتَيْقَظُوا قَبْلَ غُرُوبِهَا، فَلَا يَدْرُونَ أَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي نَامُوا فِيهِ أَمْ الَّذِي يَلِيهِ.

وَقِسْمٌ أَجَابَ بِتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَقَالُوا: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ وَهَؤُلَاءِ أَقَوْمٌ أَدْبًا وَأَشَدُّ حَزْمًا، وَلِهَذَا أَمَرُوهُمْ بِالانصِرَافِ إِلَى مَا هُوَ أَهَمُّ مِنْ هَذَا الْجَدَلِ، وَهُوَ: أَنْ يَبْعَثُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ بِشَيْءٍ مِنْ نُقُودِهِمْ لَا بِنُقُودِهِمْ كُلِّهَا كَمَا يَسْتَفَادُ مِنْ اسْمِ الْإِشَارَةِ (هَذِهِ)، لِيَنْتَقِيَ لَهُمْ أَرْكَى الْأَطْعِمَةِ، فَيَأْتِي مِنْهُ بِقُوَّةٍ لَهُمْ، وَلِيَكُنْ فِي ذَهَابِهِ وَحَيْثُهِ وَشِرَائِهِ مُتَلَطِّفًا حَتَّى لَا يُشْعَرَ بِهِ، وَتَلْتَفَّتْ إِلَيْهِ الْأَنْظَارُ وَلَا يُخْبِرَنَّ أَحَدًا بِكُمْ، ثُمَّ بَيَّنُّوا الْعِلَّةَ لِلْأَمْرِ بِتَلَطُّفِهِ وَعَدَمِ إِشْعَارِهِ بِهِمْ، بِأَنْ قَوْمَهُمْ

إِنْ عَلِمُوا بِهِمْ قَتَلُوهُمْ أَشْنَعَ قِتْلَةً، وَهِيَ الرَّجْمُ بِالْحِجَارَةِ أَوْ أَدَخَلُوهُمْ فِي دِينِهِمْ فَكَانُوا مُشْرِكِينَ لَا يَفْلَحُونَ أَبَدًا.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَتَيْنِ:

- ١- ظُهُورُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِنَامَةِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هَذِهِ السَّنِينَ ثُمَّ بَعَثَهُمْ.
- ٢- مَشْرُوعِيَّةُ الْمُنَاقَشَةِ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ.
- ٣- أَنْ مِنَ الْأَدَبِ فِيهَا لَا يَعْلَمُ أَنْ يُوكَّلَ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.
- ٤- جَوَازُ التَّوَكُّلِ فِي الشِّرَاءِ.
- ٥- أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْحَقُّ لِمَجْمَاعَةٍ فَلَا بُدَّ مِنْ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى التَّوَكُّلِ.
- ٦- جَوَازُ تَفْوِيضِ الْوَكِيلِ فِيهَا وَكَلَّ فِيهِ أَنْ يَرَى مَا هُوَ خَيْرٌ، وَهَذِهِ وَاللَّتَانِ قَبْلَهَا مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.
- ٧- جَوَازُ اشْتِرَاكِ الرَّفْقَةِ فِي نَفَقَاتِ سَفَرِهِمْ.
- ٨- جَوَازُ اخْتِيَارِ أَطْيَبِ الطَّعَامِ عَلَى رَدِيئِهِ، لَكِنَّهُ مُقَيَّدٌ بِهَا إِذَا لَمْ يَصِلْ إِلَى حَدِّ الْإِسْرَافِ.
- ٩- مَشْرُوعِيَّةُ التَّسْتَرِّ وَالْكَتْمَانِ لِمَنْ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ دِينِهِ.
- ١٠- أَنْ مِنْ كِمَالِ الْخِطَابِ فَصَاحَةٌ وَتَأْثِيرًا ذِكْرُ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ.
- ١١- عُنْفُ الْقَوْمِ الَّذِينَ اعْتَرَزَ لَهُمْ أَصْحَابُ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ.
- ١٢- انْتِفَاءُ الْفَلَاحِ عَمَّنْ خَالَفَ شَرِيعَةَ اللَّهِ تَعَالَى.

الآية الثالثة:

٣٠٣- ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

تفسير الآية رقم ٣٠٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿مُوسَى﴾: هو ابن عمران أفضل أنبياء بني إسرائيل، وأحد أولي العزم من المرسلين، نشأ في بني إسرائيل في مصر، وكان فرعون قد أهان بني إسرائيل واستدللهم بذبح أبنائهم ويستحبي نساءهم، كما أنه قد استعبد قومه الأقباط واستخفهم، وقال: أنا ربكم الأعلى. فأطاعوه، فبعث الله تعالى إليهم موسى بالآيات البيّنات والسلطان المبين، فاستكبروا وكانوا قوماً طاغين، فأغرقهم الله تعالى في البحر الأحمر أجمعين وأورث بني إسرائيل ما تركوه من جنّات، وعيون، وزروع، ومقام كريم، فبقى موسى في قومه بني إسرائيل، وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور، ثم توفاه الله تعالى قريباً من الأرض المقدسة رمية حجر ودفن هناك، وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ نَحْتِ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»^(١).

﴿هَارُونَ﴾: هو ابن عمران أرسله الله تعالى مع أخيه موسى رداً له يعينه

على رسالته ويشاركه في عبادته.

﴿أخلفني﴾: كن خليفة لي قائماً مقامي.

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب، رقم (٣٤٠٧).

﴿ فِي قَوْمِي ﴾: قَبِيلَتِي، وَهُمْ: بنو إسرائيل.

﴿ وَأَصْلِح ﴾: افْعَلِ الإِصْلَاح.

﴿ سَبِيل ﴾: طَرِيق.

﴿ الْمُفْسِدِينَ ﴾: السَّاعِينَ فِي الفَسَادِ.

ب- المَعْنَى الإِجْمَالِي:

لَمَّا وَعَدَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُكَلِّمَهُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَأَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ عِنْدَ تَمَامِ المَدَّةِ اسْتَخْلَفَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَاهُ هَارُونَ، وَأَمَرَهُ تَذْكِيرًا لَهُ أَنْ يُصْلِحَ أُمُورَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَأَنْ لَا يَتَّبِعَ سَبِيلَ المَفْسِدِينَ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ:

- ١- جَوَازُ الاسْتِخْلَافِ فِي شُؤُونِ الرَّعِيَّةِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّوَكُّلِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالآيَةِ.
- ٢- مَشْرُوعِيَّةُ تَوْصِيَةِ الخَلِيفَةِ بِمَا هُوَ خَيْرٌ.
- ٣- فَضِيلَةُ مُوسَى وَعِنَايَتُهُ بِأَتْبَاعِهِ.
- ٤- وَجُوبُ سُلُوكِ سَبِيلِ الإِصْلَاحِ فِي شُؤُونِ الرَّعِيَّةِ.
- ٥- أَنَّ النَّاسَ لَا يَصْلُحُونَ بِدُونِ رَاعٍ يَقُومُ عَلَيْهِمُ.

مِن آيَاتِ الشَّرِكَةِ

الآيَةُ الْأُولَى إِلَى الثَّامِنَةِ:

٣٠٤-٣١١- ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٣٥﴾ وَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٣٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ
مَنْ لِسَانِي ﴿٣٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٣٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٣٩﴾ هَدُونِ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى
﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿طه: ٢٥-٣٢﴾.]

مِن آيَاتِ الشَّرِكَةِ

الشَّرِكَةُ فِي اللُّغَةِ: اسْمٌ مِنَ الْاِشْتِرَاكِ، وَهُوَ اجْتِمَاعُ شَخْصَيْنِ فَأَكْثَرَ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ.
وَفِي الْاِصْطِلَاحِ: اجْتِمَاعٌ فِي اسْتِحْقَاقِ أَوْ تَصَرُّفٍ، فَالْأَوَّلُ: شَرِكَةُ الْأَمْلاكِ
مِثْلُ: أَنْ يَشْتَرِكَ اثْنَانِ فِي مَلِكِ شَيْءٍ مَلَكَاةً بِإِزْثٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَالثَّانِي: شَرِكَةُ الْعُقُودِ
مِثْلُ: أَنْ يَشْتَرِكَ اثْنَانِ فِي مَالِيَهُمَا بِالتَّصَرُّفِ فِيهِمَا وَالرِّبْحَ بَيْنَهُمَا.
وَإِبَاحَةُ الشَّرِكَةِ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّعَاوُنِ وَالْأُلْفَةِ وَالنُّصْحِ
وَكَثْرَةِ الْعَمَلِ الْمُثْمَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ رَقْمَ ٣٠٤ - ٣١١:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿ قَالَ ﴾: أَي: مُوسَى لِه - عَزَّ وَجَلَّ -.

﴿ رَبِّ ﴾: أَي: يَا رَبِّ، وَالرَّبُّ هُوَ الْخَالِقُ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ.

﴿أَشْرَحَ﴾: وَسَّعَ.

﴿وَيَسِّرَ﴾: سَهَّلَ.

﴿أَمْرِي﴾: شَأْنِي فِي الرِّسَالَةِ وَغَيْرِهَا.

﴿وَأَحْلَلَ﴾: فَكَّ.

﴿عُقْدَةً﴾: ثُقْلًا فِي الكَلَامِ وَعُسْرًا فِي النُّطْقِ.

﴿يَفْقَهُوْا﴾: يَفْهَمُوْا.

﴿وَأَجْعَلَ﴾: صَيَّرَ.

﴿وَزِيْرًا﴾: مُعِينًا.

﴿أَهْلِي﴾: قَرَابَتِي.

﴿أَخِي﴾: مُشَارِكِي فِي الأَبْوِينِ.

﴿أَشَدُّذَ﴾: قَوٌّ.

﴿أَزْرِي﴾: قُوَّتِي.

﴿وَأَشْرِكُهُ﴾: أَجْعَلُهُ شَرِيكًا.

﴿أَمْرِي﴾: شَأْنِي، وَهُوَ الرِّسَالَةُ.

ب- المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

لَمَّا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَةً، سَأَلَ اللهُ تَعَالَى حِينَ كَلَّفَهُ بِهَذَا الأَمْرِ العَظِيمِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى حِلْمٍ وَصَبْرٍ، أَنْ يُوسِّعَ لَهُ صَدْرَهُ فَلَا يَضِيقُ بِمَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ مِنَ الأَذَى، لِأَنَّ ضِيقَ الصَّدْرِ يَمْنَعُ مِنْ كِهَالِ الدَّعْوَةِ

وَحَمَلِ الْأَذَى، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُيسِّرَ لَهُ أَمْرَهُ، فَلَا يَجِدُ أَمْرًا عَسِيرًا يَحُولُ دُونَ مَهْمَتِهِ، وَلَمَّا كَانَ مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ الدَّعْوَةِ انْطِلاقُ اللِّسَانِ وَبَيَانُ الْكَلَامِ، وَكَانَ فِي لِسَانِ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - تُقْلٌ وَفِي كَلَامِهِ عُسْرٌ، سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُحِلَّ مِنْ عُقْدَةِ لِسَانِهِ مَا يَفْهَمُوا بِهِ قَوْلَهُ.

ثم سأل الله تعالى أن يجعل له مُعِينًا مِنْ أَهْلِهِ، لِأَتَمُّهُمُ الَّذِينَ يَغَارُونَ عَلَيْهِ وَيَحْرِضُونَ عَلَى حِمَايَتِهِ وَالذُّودِ عَنْهُ وَهُوَ هَارُونَ شَقِيقُهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَشَدِّدَ بِهِ أَرْزَهُ وَيُشْرِكُهُ فِي رِسَالَتِهِ، فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى سَوْءَ مُوسَى ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- فَضِيلَةُ مُوسَى ﷺ بِالرَّسَالَةِ وَسَوْأِ رَبِّهِ مَا يُحَقِّقُ بِهِ دَعْوَتَهُ إِلَى اللَّهِ.
- ٢- بَيَانُ اضْطِرَارِ الْخَلْقِ حَتَّى الرَّسُلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.
- ٣- أَنَّ مِنْ كَمَالِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا وَاسِعَ الصَّدْرِ.
- ٤- أَنَّ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مُحْتَاجٌ إِلَى تَيْسِيرِ اللَّهِ لَهُ أُمُورَهُ.
- ٥- أَنَّ مِنْ كَمَالِ الدَّاعِي أَنْ يَكُونَ طَلِيقَ اللِّسَانِ فَصِيحَ الْبَيَانِ.
- ٦- أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلدَّاعِي أَنْ يَدْعُو اللَّهَ بِذَلِكَ.
- ٧- أَنَّ الدَّاعِي فِي حَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُسَاعِدُهُ مِنَ النَّاسِ.
- ٨- أَنَّ الْمُعِينَ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الدَّاعِي وَذَوِيهِ فَهُوَ أَكْمَلُ.
- ٩- بَيَانُ فَضْلِ مُوسَى عَلَى هَارُونَ بِسَوْأِ اللَّهِ أَنْ يُشْرِكُهُ فِي الرِّسَالَةِ.
- ١٠- ثُبُوتُ الشَّرِكَةِ فِي الْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.

الآية التاسعة:

٣١٢- ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ إِخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصَّى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَاعَفٍ وَصِيَّتِهِ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾
[النساء: ١٢].

تفسير الآية رقم ٣١٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿كَانَ رَجُلٌ﴾: فعلٌ وفاعله لأن كان تامّةً.

﴿يُورِثُ﴾: ينتقل ماله بعد موته إلى غيره.

﴿كَلَلَةً﴾: مفعولٌ مطلق، أي: إرثٌ كلالية، وهي: الإخوة والأعمام

وفروعهم.

﴿إِخٌ أَوْ أُخْتُ﴾: أي: من الأم كما فسرها أبو بكر - رضي الله عنه - وأجمع

الناس عليه.

﴿السُّدُسُ﴾: واحدٌ من ستة أسهم.

﴿أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾: أي: من الأخ أو الأخت، وهم الاثنان فأكثر.

﴿شُرَكَاءُ﴾: مشتركون بالسوية.

﴿الثُّلُثِ﴾: واحدٌ من ثلاثة أسهم.

﴿وَصِيَّتِهِ﴾: عهدٌ من الميت بالتبرع به.

﴿دَيْنٍ﴾: مالٍ واجبٍ في ذمّة الميت.

﴿غَيْرِ مُضَاكَرٍ﴾: غيرٌ مُوجدٍ بالوصيّة الإضرارَ بالورثة.

﴿وَصِيَّةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: عهدًا منه إلى عباده، وهي منصوبةٌ بفعل محذوف

والتقدير: يُوصيكمُ الله وصيةً.

﴿عَلِيمٌ﴾: ذو علمٍ بمن يستحقُّ ما فرَضَ له من الإرث.

﴿حَلِيمٌ﴾: ذو حلمٍ، وهو التّأني في عقوبة من يستحق العقوبة.

ب- المعنى الإجماليُّ:

يُبيِّنُ اللهُ تَعَالَى في هذه الآيةِ إرثَ الإخوةِ من الأمِّ ممن ماتَ لهُ والدٌ ولا ولدٌ، أن إرثَهُمُ للواحدِ منهم السُّدُسُ ذَكَرًا كان أم أنثى، ولاثنين فأكثرَ الثُّلُثُ على وجهِ التَّساوي، سواء كانوا ذُكُورًا أم إِنَاثًا أم مُخْتَلِطِينَ لأن مقتضى الشركة المطلقة التساوي بين المشتركين.

ويُبيِّنُ اللهُ تَعَالَى أن هذا الميراثَ من بَعْدِ وصيةٍ يُوصى بها الميت غيرُ مُوجدٍ للإضرارِ، ومِن بَعْدِ دَيْنٍ واجبٍ عليه، وأنَّ اللهُ تَعَالَى عَهَدَ إلينا بهذا الحُكْمِ عهدًا من عِنْدِهِ يَجِبُ عَلَيْنَا تَنْفِيذُهُ، لأنه صَادِرٌ عن عِلْمٍ، وَأَنَّهُ تَعَالَى الحَلِيمُ الذي لا يُعَاجِلُ بالعُقُوبَةِ فيأمكن من حادِّ عن السَّبِيلِ أن يرجعَ قَبْلَ أن يؤخذ بالعقوبة.

ج- من فوائِدِ الآيةِ:

١- أن الإخوةَ من الأمِّ لا يرثونَ مع الفرعِ الوارثِ ولا مع الذَكَرِ الوارثِ من الأصول.

- ٢- أن ميراث الواحد مِنْهُمْ السدسُ والاثنين فأكثر الثلث بالسوية.
- ٣- ثبوتُ الشركة في الاستحقاق، وهذه محل الاستشهاد بالآية.
- ٤- أن الإخوةَ الأشقاءَ يَسْقُطُونَ في المسألة المعروفة باسم (المشركة)، لأن الله تعالى جعلَ الثلثَ للإخوة من الأم فقط.
- ٥- أن الوصيةَ والدينِ مقدمان على الإرث.
- ٦- أنه يُشترطُ في الوصية أن لا يكون فيها إضرارٌ بالقصدِ أو التضييق.
- ٧- عنايةُ الله تعالى بالمواريثِ حيث بيّن أنها من وصاياهِ لعباده.
- ٨- ثبوتُ العلمِ والحلمِ لله - عزَّ وجلَّ -.

الآية العاشرة:

٣١٣- ﴿...وَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
[البقرة: ٢٢٠].

تفسير الآية رقم ٣١٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾: عن شأن اليتامى في خلط طعامهم مع أهل البيت، واليتامى:
جمع يتيم، وهو من مات أبوه قبل أن يبلغ من ذكرٍ أو أنثى.
﴿إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾: فعل ما هو صلاح لهم في أحوالهم وأموالهم.
﴿تُخَالِطُوهُمْ﴾: تخلطوا طعامهم بطعامكم.
﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾: فمشاركونكم في الدين.
﴿الْمُفْسِدَ﴾: الساعي بالفساد نية أو فعلاً.
﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾: لشق عليكم في إلزامكم ما يشق عليكم نحوهم، واللام
واقعة في جواب (لو).
﴿عَزِيزٌ﴾: ذو عزة، وهي الغلبة والمنعة، فلا يتأله سوء ولا عيب.
﴿حَكِيمٌ﴾: ذو حكم وحكمة.
والحكمة: إتقان الأمور ووضعها في مواضعها.

ب- المعنى الإجمالي:

ذَكَرَ الْمَفْسَّرُونَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، عَزَلَ أَوْلِيَاءَ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَأَطْعَمْتَهُمْ، وَجَعَلُوا يُصْلِحُونَ طَعَامَ الْيَتِيمِ لَهُ وَخَدَهُ مِنْ مَالِهِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْإِصْلَاحَ لِلْيَتَامَى فِي أَيِّ تَصَرُّفٍ خَيْرٌ مِنْ عَدَمِهِ، وَأَنَّ مُحَالَطَتِهِمْ فِي طَعَامِهِمْ لَا حَرَجَ فِيهَا، لِأَنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ شَأْنِ الْأَخِ أَنْ لَا يَنْعَزَلَ عَنْ أَخِيهِ وَلَا يُضَارَّهُ بِهِ.

ثُمَّ هَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُفْسِدِينَ وَرَغَّبَ الْمُصْلِحِينَ بِإِخْبَارِهِ أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَشَرَعَ لِعِبَادِهِ مَا فِيهِ الْحَرَجُ وَالْمَشَقَّةُ بِمَا مَنَعَ يَمْنَعُهُ لِكَمَالِ عِزَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَلَكِنَّهُ مَعَ عِزَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ يُرِيدُ بِهِمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِهِمُ الْعُسْرَ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- حِرْصُ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- عَلَى الْعِلْمِ.
- ٢- عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْيَتَامَى وَحِمَايَتُهُمْ.
- ٣- ثُبُوتُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٤- بَلَاغَةُ الْقُرْآنِ فِيمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ: ﴿إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾.
- ٥- أَنَّ الْإِصْلَاحَ لِلْيَتَامَى خَيْرٌ بِأَيِّ تَصَرُّفٍ كَانَ.

- ٦- جَوَازُ الْمَشَارَكَةِ فِي النِّفْقَةِ، وَمِنَ النَّهْدَةِ وَهِيَ: مَا يُخْرِجُهُ الرَّفْقَةُ مِنَ النَّفْقَةِ بَيْنَهُمْ
بِالسَّوِيَّةِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٧- إِثْبَاتُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِجَزْئِيَّاتِ الْأُمُورِ وَمَا يَصْنَعُهُ الْعِبَادُ.
- ٨- التَّحْذِيرُ مِنَ الْإِفْسَادِ وَالتَّرْغِيبُ فِي الْإِصْلَاحِ.
- ٩- أَنَّ الْعَبْدَ فَاعِلٌ بِالْأَخْتِيَارِ.
- ١٠- إِثْبَاتُ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ١١- أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُلْزِمَ الْعِبَادَ بِمَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ.
- ١٢- ظُهُورُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِتَخْفِيفِ الشَّرِيعَةِ وَتَيْسِيرِهَا.
- ١٣- إِثْبَاتُ اسْمِ الْعَزِيزِ، الْحَكِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنَ الصِّفَاتِ.

الآية الحادية عشرة إلى الخامسة عشرة:

٣١٤-٣١٨ - ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْحَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٣١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ حَصَمَانِ بَعْنَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٣٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْمَةً وَاِلَى نَعْمَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٣٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَاطِئِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٣٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَآبٍ﴾: [ص: ٢١٠-٢٥].

تفسير الآيات رقم ٣١٤ - ٣١٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾: هل جاءك، والاستفهام للتشويق، والخطاب للنبي ﷺ أو لكل من يتوجه إليه.

﴿نَبُؤُا الْحَصَمِ﴾: خبره العجيب، والحصم: مفرد يراد به المتعدد إذ لا خصومة إلا بين اثنين فصاعداً.

﴿إِذْ﴾: حين، وهي متعلقة بمحذوف مفهوم من كلمة (الحصم)، والتقدير: تخاصموا إذ سؤروا.

﴿سَوَّرُوا﴾: تسلقوا السور، وهو: الحائط المرتفع.

﴿الْمِحْرَابِ﴾: صدر البيت المعد للعبادة، والمراد: المكان الذي أعده داود في

بيته للعبادة (ال) فيه للعهد.

﴿دَخَلُوا﴾: أي: الحِصْمُ، جاءَ بِضَمِّيرِ الجمعِ مُرَاعَاةً لِلْمَعْنَى، لأنَّ كُلَّ واحدٍ أتى مَعَهُ بجماعة.

﴿دَاوُدَ﴾: هو أَحَدُ أَنْبياءِ بني إِسرائيلِ من بَعْدِ مُوسَى كان نَبِيًّا مَلِكًا في فَلَسْطِينَ آتَاهُ اللهُ الزُّبُورَ، فكانَ يَتْلُوهُ بِأَحْسَنِ صَوْتٍ حتى إنَّ الجبالَ والطَّيْرَ تُرْجِعُ مَعَهُ، قَوَى اللهُ تَعَالَى مُلْكُهُ وآتَاهُ الحِكْمَةَ وفَصَلَ الحِطَّابِ، فكانَ يَحْكُمُ بَيْنَ الناسِ بِالْحَقِّ فاعْتَكَفَ يَوْمًا في مِحْرَابِهِ فَتَسَوَّرَهُ عَلَيْهِ خَصْمَانِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمَا، فَأَدْلَى أَحَدُهُمَا بِحُجَّتِهِ فَحَكَمَ لَهُ دَاوُدُ ثم ظَنَّ أَنَّ اللهُ اخْتَبَرَهُ بِهذهِ الحُصُومَةِ فاستغفرَ اللهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ.

﴿فَفَزَعَ﴾: فخافَ ودَعَرَ.

﴿لَا تَخَفْ﴾: لا، لِلنَّهْيِ والمرادِ بِهِ تَسْكِينِ فزَعِهِ.

﴿خَصْمَانِ﴾: أي: نحنِ خصمانِ فهو خَبْرٌ لِمَبْتَدَأِ مُحَدِّوْفٍ، وجاءَ بصيغةِ التثنيةِ

مُراعاةً لظرفِ النزاعِ وهما طائفتان.

﴿بَعَى﴾: اعتدى.

﴿فَأَحْكَمُ﴾: فأقضى.

﴿بِالْحَقِّ﴾: بِالْعَدْلِ وَالصَّوَابِ.

﴿وَلَا تُنْطِطُ﴾: لا تُثْمَلُ بِالْجَوْرِ عنه.

﴿وَأَهْدِنَا﴾: دُلَّنَا.

﴿سَوَاءٍ﴾: وَسَطٍ.

﴿الصِّرَاطِ﴾: الطَّرِيقِ.

﴿أَخِي﴾: أي: مُشَارِكِي، إما في الدِّينِ أو بخلطِ ماله مع مالي، أو بهما جميعًا.
﴿بَعَّةٌ﴾: شاةٌ.

﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾: أَعْطَيْهَا حَتَّى تَكُونَ مِنْ كِفْلِي، أي: نَصِيْبِي.

﴿وَعَزَّنِي﴾: عَلَّنِي لِقُوَّةَ مَا أَتَى بِهِ مِنَ الشُّبْهِهِ وَالْفِصَاحَةِ.

﴿فِي الْخُطَابِ﴾: فِي الْكَلَامِ وَمَخَاطَبَتِهِ إِيَّاي.

﴿لَقَدْ﴾: اللَّامُ مُوَطَّئَةٌ لِلْقِسْمِ، وَقَدْ لِلتَّحْقِيقِ، فَالْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ بِثَلَاثَةِ مُؤَكَّدَاتٍ:
الْقِسْمُ الْمَقْدَّرُ وَاللَّامُ وَقَدْ.

﴿ظَلَمَكَ﴾: انْتَقَصَكَ حَقَّكَ.

﴿سُؤَالٍ﴾: بَطْلٍ وَالْبَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ.

﴿إِلَى نِعَاجِهِ﴾: عَدَّى السُّؤَالَ بِ(إِلَى) لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الضَّمِّ.

﴿الْخَطَاءَ﴾: الشَّرْكَاءَ.

﴿ءَامَنُوا﴾: صَدَّقُوا مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ.

﴿الْمُخْلِصَةَ لِلَّهِ تَعَالَى الْمَتَّبِعَ فِيهَا شَرْعَهُ﴾.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ وَمُبْتَدَأُهُ، أَي: هُمْ قَلِيلٌ، وَ(مَا) لِتَأْكِيدِ الْقَلَّةِ.

﴿وَطَنًا﴾: أَيْقَنَ.

﴿فَنَنَّهُ﴾: اخْتَبَرَنَاهُ.

﴿فَأَسْتَعْفَرَ﴾: فَسَأَلَ الْمَغْفِرَةَ، وَهِيَ: سَتْرُ الذَّنْبِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُ.

﴿وَحَرَ﴾: هَوَى.

﴿رَاكِعًا﴾: حَانِيًا ظَهَرَهُ تَعْظِيمًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَقِيلَ: سَاجِدًا.

﴿وَأَنَابَ﴾: رَجَعَ.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي: مَا اسْتَغْفَرَ عَنْهُ مِنَ الذَّنْبِ.

﴿لِقُرْبَى﴾: لِقُرْبَى.

﴿وَحُسْنَ مَعَابٍ﴾: حُسْنٌ مَرْجِعٌ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَقُصُّ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ مَا يَكُونُ بِهِ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ يَقُصُّ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ دَاوُدَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الَّذِي آتَاهُ الثُّبُوءَ وَالْمُلْكَ وَالْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ، وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ اعْتَكَفَ فِي مِحْرَابِهِ لِلْعِبَادَةِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ، فِي حِينٍ أَنْ النَّاسَ مُحْتَاجُونَ لِلتَّحَاكُمِ عِنْدَهُ فَأَتَى إِلَيْهِ خَصْمَانِ بَعْجَاعَتِهِمْ، فَوَجَدُوا الْبَابَ مُغْلَقًا فَصَعِدُوا مِنَ الْجِدَارِ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا التَّسْوُرُ غَيْرَ عَادِي فَزِعَ مِنْهُمْ دَاوُدُ كَعَادَةِ الْبَشَرِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ، فَطَمَأَنَّهُ بِأَنَّهُمْ خَصْمَانِ لَا عَادِيَانِ، وَبَيَّنَّوْا أَنْ بَعْضُهُمْ بَعَى عَلَى بَعْضٍ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ غَيْرِ جَوْرِ، وَأَنْ يَدُلَّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَسْطِ الصَّوَابِ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا ذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ سَيَفْعَلُهُ بَدُونِ طَلِبِهِمْ تَأْكِيدًا وَتَطْمِينًا لَأَنْفُسِهِمْ.

ثُمَّ بَيَّنَّوْا قِصَّتَهُمْ فَأَدْلَى الْمُدَّعِي بِدَعْوَاهُ أَنْ لَهُ شَاةٌ خَلَطَهَا مَعَ غَنَمِ أَخِيهِ، وَأَنْ أَخَاهُ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَهَبَهَا لَهُ، وَالْحَقُّ عَلَيْهِ بَيَانٌ فَصِيحٌ وَشُبُهٌ مُؤَثِّرَةٌ حَتَّى غَلَبَهُ عَلَى أَمْرِهِ بِكَلَامِهِ هَذَا، وَقَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ خَصْمُهُ حَكَمَ دَاوُدُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

عليه بأنه ظالم حيث كان يملك تسعاً وتسعين شاة، ثم يحاول بالغلبة أن يضم شاتك إلى شياهم، مع أن مقتضى الأخوة أن يضم من شياهم إلى شاتك، ولعلَّ حُكْمَ داود - عليه الصلاة والسلام - على الخصم قبل أن يتكلم لما رأى من القرّائين الدّالة على صدق المدعي أو غير ذلك من الأمور المسوّغة، ثم ختم داود - عليه الصلاة والسلام - حُكْمَهُ بِتَسْلِيَةٍ لِلْمَظْلُومِ وَتَذَكِيرٍ لِلظالم، فبين أن كثيراً من الشركاء ينبغي على شريكه إلا أهل الإيمان والعمل الصالح فيمنعهم ذلك من البغي على غيرهم خصوصاً خلطاءه لكن هؤلاء قليلون.

ثم ذكر الله تعالى عن داود - عليه الصلاة والسلام - أنه تيقن أن الله اختبره بهذه القضية، وذلك والله أعلم من وجوه:

الأول: انقطاعه للعبادة الخاصة في حين أن الناس محتاجون للتحاكم عنده.

الثاني: إغلاقه الباب.

الثالث: حُكْمُهُ عَلَى الْخِصْمِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ.

وحينئذ سأل الله تعالى أن يغفر له، وسجد لله تعالى وأتاب إليه، فأدركته رحمة الله تعالى فغفر له ووعدّه برفع الدرجات وحسن المآب.

ج- من فوائد الآيات:

- ١- التّشويق لما يُذكر إذا كان من الأمور الهامة.
- ٢- أهميّة التأمّل لما في هذه القصة من العبر.
- ٣- أنه لا ينبغي للقاضي أن يشتغل في العبادة الخاصة في حين أن الناس محتاجون للتحاكم عنده.

- ٤- أن الحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ وَفَضَلَ خُصُومَاتِهِمْ أَفْضَلَ مِنَ الْعِبَادَةِ الْخَاصَّةِ.
- ٥- أنه لا لومَ على من حاول الوصولَ إلى حَقِّهِ بِطَرِيقٍ غَيْرِ مَأْلُوفٍ.
- ٦- جَوَازُ وَقُوعِ الْفِرْعِ الطَّبِيعِيِّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ.
- ٧- أنه يَنْبَغِي الْمَبَادَرَةَ بِتَطْمِينِ الْفَارِعِ وَإِزَالَةِ خَوْفِهِ.
- ٨- الْعَفْوُ عَمَّا يَقَعُ بَيْنَ الْخُصُومِ حِينَ الْمَحَاكِمَةِ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمَكْرُوهَةِ.
- ٩- جَوَازُ قَوْلِ الْخُصْمَيْنِ لِلْحَاكِمِ: أَحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَنَحْوَهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ.
- ١٠- تَلَطُّفُ الْخُصْمِ لَخُصْمِهِ بِالْقَوْلِ.
- ١١- تَأْثِيرُ الْإِلْحَاحِ وَالْفَصَاحَةِ فِي التَّغْلِبِ عَلَى الْأُمُورِ.
- ١٢- أن محاولة الاستيلاء على مال الغيرِ بغيرِ حَقِّ ظَلَمَ لَهُ.
- ١٣- التَّحْذِيرُ مِنْ بَغْيِ الشُّرَكَاءِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.
- ١٤- أن بَغْيَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ مُنَافٍ لِكِمَالِ الْإِيمَانِ.
- ١٥- أن النَّصْحَ فِي الشَّرِكَةِ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.
- ١٦- أنه يَنْبَغِي اخْتِيَارَ الشَّرِيكِ ذِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهَذِهِ الثَّلَاثُ قَبْلَهَا مَحَلُّ الْإِسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ١٧- أن أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَلِيلُونَ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَوْحِشَ الْمُؤْمِنُ لِقَلَّتِهِمْ.

١٨ - فَضِيلَةُ دَاوُدَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَقُوَّةُ فِرَاسَتِهِ.

١٩ - مُبَادَرَتُهُ إِلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

٢٠ - مَشْرُوعِيَّةُ الصَّلَاةِ لِلتَّوْبَةِ.

٢١ - فَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ دَاوُدَ وَذَلِكَ فِيهَا يَأْتِي:

أ- حُدُوثُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ لِتَكُونَ تَذَكِيرًا لَهُ.

ب- تَوْفِيقُهُ لِلِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ.

ج- مَغْفِرَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ وَرَفْعُ دَرَجَاتِهِ.

٢٢- إِبْتِثَاتُ الْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ.

تَنْبِيهُ هَام:

ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ عَنْ هَذِهِ الْخُصُومَةِ أَنَّهَا تَذَكِيرٌ لِدَاوُدَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِمَا زَعَمُوهُ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَةً، وَأَنَّ امْرَأَةً لِأَحَدِ جُنُودِهِ أَعْجَبَتْهُ فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَتَنَازَلَ لَهَا عَنْهَا، أَوْ أَرْسَلَهُ فِي جَيْشٍ لِيُقْتَلَ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا دَاوُدَ. هَذِهِ خُلَاصَةُ الْقِصَّةِ، وَهِيَ كَذِبٌ قَطْعًا لَا تَلِيْقُ بِذِي مَرْوَعَةٍ فَضْلًا عَنْ نَبِيٍِّّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مَا يَدُلُّ عَلَيْهَا، وَلَكِنَّهَا مِمَّا لَفَّقَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ، الَّذِي كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مَلِكٌ لَا نَبِيَّ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْحَذَرُ وَالتَّحْذِيرُ مِنْهَا وَمِنْ أَمْثَالِهَا، نَسَأُ اللَّهُ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

مِن آيَاتِ الْإِجَارَةِ

الآيَةُ الْأُولَى:

٣١٩- ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

[القصص: ٢٦].

مِن آيَاتِ الْإِجَارَةِ

الإجارة في اللغة: العوض عن العمل من الأجر وهو الثواب.

وفي الاصطلاح: عقدٌ على منفعة عينٍ أو عمل.

وهي من محاسن الشرائع لأن المصلحة والحاجة تدعوان إليها، فقد لا يستطيع المرء تملك العين لينتفع بها، فيحصل عليها بالإجارة، وربما يحتاج إلى عملٍ فلا يستطيعه فيستأجر من يعمل له، كما أن العامل قد يحتاج إلى المال فيحصل عليه بالإجارة.

تفسير الآية رقم ٣١٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿إِحْدَاهُمَا﴾: إحدى ابنتي صاحب مدين اللتين سقى لهما موسى ﷺ حين وجدتهما على ماء مدين.

﴿يَا أَبَتِ﴾: يا أبي، فالتاء عوض عن الياء.

﴿اسْتَجِرْهُ﴾: اعْفِدْ معه - أي: موسى - إِجَارَةً لِيَرْعَى غَنَمَنَا.

﴿خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَّ﴾: أَفْضَلُ من استأجرت من الناس.

﴿الْقَوِيُّ﴾: القائمُ بِعَمَلِهِ من غيرِ ضَعْفٍ.

﴿الْأَمِينُ﴾: القائمُ بِعَمَلِهِ من غيرِ خِيَانَةٍ.

ب- المعنى الإجمالي:

كان موسى ﷺ قد سقى لأمراأتين غنمهما حين وُرد ماء مدين، فأخبرتَا أباهما بذلك حين رجعتا إليه، فأرسل إحداهما إلى موسى فحضر إليه، فقالت إحداهما لأبيها: استأجره ليرعى غنمنا. وبيئت أنه من خير من يستأجر لقوته وأمانته، وقد علمت اتصافه بذلك حين سقى لهما بقوة ونشاط حتى رويت الغنم ولم يكتف بالسقي القليل.

ج- من فوائد الآية:

١- حِلُّ الإِجَارَةِ.

٢- جواز الإِجَارَةِ على عَمَلٍ معلوم بالعُرف.

٣- أن مما ينبغي مُراعاهُ في الأجير أن يكون قَوِيًّا في عَمَلِهِ أَمِينًا عليه، لأنَّ غيرَ القوي لا يَتِمُّ العَمَلُ لضعفه، وغيرَ الأمين لا يَتِمُّه لخيائته، ويقاس على الأجير كل من تولى عملاً.

الآية الثانية:

٣٢٠- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾
[الكهف: ٧٧].

تفسير الآية رقم ٣٢٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿فَانْطَلَقَا﴾: أي: موسى والحضر ذهاباً يمشيان.

﴿قَرْيَةٍ﴾: بلد، صغيراً كان أم كبيراً، سُمِّيَ بذلك لأنه يُقْرَى الناس، أي: يجمعهم.

﴿اسْتَطَعَمَا﴾: طلباً طعاماً.

﴿فَأَبَوْا﴾: فامتنعوا.

﴿يُضَيِّقُوهُمَا﴾: يعطوهُمَا ضيافتها.

﴿يُرِيدُ أَن يَنْقُضَ﴾: أي: أن يسقط، وإرادة كل شيء بحسبه، فللجدار إرادة تليق به، وهي هنا: ميلة للسقوط أو قرْبُهُ منه، وعلى هذا فالكلام حقيقة لا مجاز.

﴿فَأَقَامَهُ﴾: فبناه قائماً أو رفعه حتى قام.

﴿لَوْ﴾: لو شرطية، والمراد بها هنا: العرض.

﴿لَتَّخَذْتَ﴾: لأخذت.

﴿أَجْرًا﴾: عوضاً.

ب- المعنى الإجمالي:

يخبرُ اللهُ تعالى عن موسى والخضرِ أنهما انطلقا يمشيان، فمرا بقرية فاستصافا أهلها وطلبوا الطعام، ولكن أهلها كانوا بخلاء فامتنعوا أن يضيفوهما فوجد موسى والخضر في هذه القرية جدارًا مائلًا إلى السقوط فأقامه الخضر، فعرض عليه موسى بلطف أن يطلب أجرًا على بناء هذا الحائط، حيث لم يضيفهما أهل هذه القرية مع حاجتهما إلى الطعام وطلبهما إياه، ولكن الخضر بين له أن هذا الجدار كان لعلامين يتيمين في المدينة لم يجر منها إباء عن الضيافة، وكان تحته كنز لهما خلفه لهما أبوهما الصالح، فأقامه الخضر لأن الله تعالى قد أراد أن يبلغ اليتيمان أشدهما ويستخرجا كنزهما فرحمهما ببناء الجدار على يد الخضر.

ج- من فوائد الآية:

- ١- جواز طلب الضيف ما يستحقه من ضيافة.
- ٢- بيان لؤم أهل هذه القرية وبخلهم.
- ٣- جواز إظهار اللؤم للمصلحة.
- ٤- فضيلة الخضر.
- ٥- حسن أدب موسى في مخاطبة الخضر.
- ٦- جواز الأجرة في أعمال البناء، وهذه محل الاستشهاد بالآية.

الآية الثالثة:

٣٢١- ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِضَيْقِهِنَّ عَلَيْنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَنْتُمْ يُبَيِّنُكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ نَعَّسْتُمْ فَسَرِّضُوا لَهُنَّ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦].

تفسير الآية رقم ٣٢١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾: امنحوهنَّ السكنى، والضَّميرُ للمطلقاتِ البوائن، والخطابُ للأزواجِ المطلَّقين.

﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾: مِنْ مَكَانٍ سَكَنْتُمْ فِيهِ، وَ(مِنْ) تَبْعِيضِيَّةٌ أَوْ بَيَانِيَّةٌ.

﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾: مِنْ وَسْعِكُمْ.

﴿تُضَارُّوهُنَّ﴾: تَفْعَلُوا مَا بِهِ ضَرَرٌ عَلَيْهِنَّ قَضَاءً.

﴿لِضَيْقِهِنَّ عَلَيْهِنَّ﴾: لِتُخْرِجُوهُنَّ بِالتَّضْيِيقِ حَتَّى يُخْرُجْنَ.

﴿أُولَاتٍ حَمَلٍ﴾: صَاحِبَاتِ حَمَلٍ.

﴿فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾: فَاذْدُلُّوا لَهُنَّ الْقَوْتَ وَالْكِسْوَةَ.

﴿حَمَلَهُنَّ﴾: حَمَلُوهُنَّ وَاحِدًا أَوْ مُتَعَدِّدًا.

﴿أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾: أَرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ مِنْكُمْ، فَاللامُ لِلإِخْتِصَاصِ.

﴿فَاتَّوُّهُنَّ﴾: بِمَدِّ الهمزة فأعطوهن.

﴿أَجُورُهُنَّ﴾: عَوَضَ إِرْضَاعِيَهُنَّ.

﴿وَأْتَمِرُوا﴾: تَشَاوَرُوا.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بِاتِّهَامٍ مَعْرُوفٍ لَا حَيْفَ فِيهِ.

﴿تَعَاوَرْتُمْ﴾: عَاسَرَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلَمْ تَتَّفِقُوا.

﴿فَسَرِّضْهُ لَهَا﴾: لِلطِّفْلِ، وَالسَّيْنُ لِلتَّحْقِيقِ وَالتَّقْرِيبِ.

﴿أُخْرَى﴾: أَي: امْرَأَةٌ أُخْرَى.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَزْوَاجَ الْمُطَلَّعَاتِ طَلَاقًا بَائِنًا أَنْ يُسْكِنُوا الْمُطَلَّعَاتِ فِي أَمَاكِنِ سُكْنَاهُمْ لِحِفْظِهِنَّ مَا دُمْنَ فِي الْعِدَّةِ تَحْتَ رِعَايَةِ الْأَزْوَاجِ، حَيْثُ لَمْ تُنْقَطِعْ عُقُوبَةُ النِّكَاحِ بِالْكَلِيَّةِ، وَلَا يُكَلَّفُ الزَّوْجُ أَكْثَرَ مِنْ طَاقَتِهِ.

وَيَنْهَى هَؤُلَاءِ الْأَزْوَاجَ أَنْ يُضَارُوا أَوْلِيَّكَ الْمُطَلَّعَاتِ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ لِيَضِيقُوا عَلَيْهِنَّ فَيُخْرِجْنَ.

ثُمَّ يَأْمُرُ تَعَالَى الْأَزْوَاجَ أَنْ يُنْفِقُوا عَلَى أَوْلِيَّكَ الْمُطَلَّعَاتِ إِنْ كُنَّ حَوَامِلَ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ، وَالْحَمْلُ هُنَا مَفْرَدٌ مُضَافٌ فِيَعْمُ جَمِيعَ الْحَمْلِ، ثُمَّ يُبَيِّنُ أَنَّهُنَّ إِنْ أَرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ فَلَهُنَّ الْأُجْرَةُ عَلَى هَذَا الرِّضَاعِ مَقْدَرَةٌ بِمَا يَتَّفِقُونَ عَلَيْهِ بَعْدَ التَّشَاوُرِ فَإِنْ لَمْ يَتَّفِقُوا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَقِيضُ لِهَذَا الطِّفْلِ مَنْ يُرِضِعُهُ عَنْ قَرَبٍ بَدُونَ تَأْخِيرٍ.

ج- من فوائد الآية:

- ١- وجوب إسكان المطلقة البائن من مكان سكنى زوجها.
- ٢- مراعاة حال الزوج في هذا السكن.
- ٣- تحريم مضارتهن حتى يخرجن.
- ٤- وجوب النفقة لهن إذا كن حوامل حتى يضعن حملهن.
- ٥- أنه لا نفقة لهن إذا لم يكن حوامل.
- ٦- وجوب أجره إرضاعهن على أبي الولد.
- ٧- أن الرضاع وأجرته يكون بالتشاور بالمعروف.
- ٨- أن الأم المطلقة لا تُجبر على إرضاع طفلها إذا وجد من يرضعه.
- ٩- أنها إذا امتنعت من إرضاعه فسيسر الله له من يرضعه.
- ١٠- كمال عناية الله تعالى بعباده.
- ١١- جواز الاستئجار على الرضاع، ويرجع في تقديره إلى العرف.
- ١٢- جواز استئجار البهيمة لأخذ لبنها مدة معينة قياساً على استئجار الأم لإرضاع ولدها، وهذه والتي قبلها محل الاستشهاد بالآية.

الآية الرابعة والخامسة والسادسة:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٨٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿ص: ٨٦-٨٨﴾.

تفسير الآيات رقم ٣٢٢ - ٣٢٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿قُلْ﴾: أي: يا مُحَمَّد للنَّاس.

﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: أَطْلُبُ مِنْكُمْ.

﴿عَلَيْهِ﴾: على مَا جِئْتُ بِهِ.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: من عَوْضٍ، و(مِنْ) زَائِدَةٌ إِعْرَابًا لِلتَّوَكِيدِ.

﴿الْمُتَكَلِّفِينَ﴾: الْآتِينَ بِهِ تَصْنَعًا.

﴿إِنَّ هُوَ﴾: مَا هُوَ، أي: مَا جِئْتُ بِهِ.

﴿ذِكْرٌ﴾: تَذْكَيرٌ وَمَوْعِظَةٌ.

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: أي: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

﴿نَبَاهُ﴾: خَبْرُهُ، أي: مَا أَخْبَرَ بِهِ.

﴿بَعْدَ حِينٍ﴾: بَعْدَ زَمَنِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِمْ بِمَا أَنَاهُمْ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ عَوْضٍ يَأْخُذُهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمُتَصَنَّعٍ بِهَا جَاءَ مُتَقَوْلٌ بِهِ،

وإنّما هو تذكيرٌ للعالمين، ثم يَحْتَمُ ذلك بتهديد المخالفين بأنهم سيعلمون بعد زمانٍ صدق نبيّه بوقوع ما أخبر به.

ج- من فوائد الآيات:

- ١- بيان إخلاص النبي ﷺ في دعوته وتبليغه.
- ٢- نفي تقوُّله على الله تعالى وتصنُّعه فيما جاء به.
- ٣- عمومُ رسالة النبي ﷺ للجنِّ والإنس.
- ٤- أن القرآن ذكْرٌ ومَوْعِظَةٌ لجميع العالمين.
- ٥- أن ما أخبر به سيقع طال الزمن أم قصر.
- ٦- تحريم أخذ الأجرة على ما يجب تبليغه من الشرع، لأنه خلاف هدي النبي ﷺ، وهذه محلُّ الاستشهاد بالآيات.

مِنْ آيَاتِ الظُّلْمِ الشَّامِلِ لِعَصَبِ الْمَالِ

الآية الأولى والثانية:

٣٢٥-٣٢٦- ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿[الشورى: ٤١-٤٢].

مِنْ آيَاتِ الظُّلْمِ الشَّامِلِ لِعَصَبِ الْمَالِ

الظُّلْمُ فِي اللُّغَةِ: النِّقْصُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُنَّا الْجَنَّةَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٣٣].

وَفِي الْأَصْطِلَاحِ: نَقْصُ ذِي الْحَقِّ حَقَّهُ عُدْوَانًا، تَقْرِيطًا فِي وَاجِبٍ أَوْ أَنْتَهَاكًا مُحْرَمًا.

وَعَصَبُ الْمَالِ: الْاِسْتِيلَاءُ عَلَيْهِ فَهَرًا بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَالظُّلْمُ كُلُّهُ مُحْرَمٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِتْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وَقَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحْرَمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»^(١).
رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ ظَلَمَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(١). رواه البخاري. وقال النبي ﷺ: «وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ». رواه أبو داود^(٢).
وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثُمَّ قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]. متفق عليه^(٣).

وقال النبي ﷺ: «انصُرْ أَحَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انصُرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أفرأيت إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ انصُرْهُ؟ قَالَ: «تَحْجِرْهُ، أَوْ تَمْنَعْهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ». رواه البخاري^(٤).

وقال النبي ﷺ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، وَأَبْشَارَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» رواه البخاري^(٥). وفي رواية له: «إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»^(٦). قَالَ النبي ﷺ ذَلِكَ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنَى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

- (١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض، رقم (٢٤٥٢).
- (٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٣٢٦/٥)، رقم (٢٨٣٠)، أبو داود: كتاب الفرائض، باب في إحياء الموات، رقم (٣٠٧٣).
- (٣) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، رقم (٤٦٨٦)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨٣).
- (٤) أخرجه البخاري: كتاب الإكراه، باب، رقم (٦٩٥٢).
- (٥) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»، رقم (٧٠٧٨).
- (٦) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم (١٧٤١).

تفسير الآيتين رقم ٣٢٥ - ٣٢٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ﴾: لمن انتقم بأخذ حقه ممن ظلمه، واللام للابتداء، و(من) شرطية.

﴿ظَلَمِهِ﴾: ظلم الظالم إياه، فالمصدر مضاف إلى مفعوله.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، واسم الإشارة يرجع إلى من في قوله:

﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ﴾ باعتبار المعنى.

﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾: من طريق يلامون به ويؤخذون.

﴿يُظْلِمُونَ النَّاسَ﴾: ينقصونهم حقوقهم.

﴿وَيَبْغُونَ﴾: يطلبون بالعدوان ما ليس لهم.

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بيان للواقع.

﴿عَذَابٌ﴾: عقوبة.

﴿أَلِيمٌ﴾: مؤلم، أي: مؤجع.

ب- المعنى الإجمالي:

بيّن الله تعالى في هاتين الآيتين أن من ظلم فانتقم من ظالمه فليس عليه لوم ولا مؤاخذه، وإنما اللوم والمؤاخذه على الذين ينقصون الناس حقوقهم، أو يعتدون عليهم بطلب ما لا حق لهم فيه عدوانا، ويبيّن تعالى ما يستحقه هؤلاء الظالمون الباغون وهو العذاب الأليم.

ج- من فوائد الآيتين:

- ١- جواز انتصار المظلوم لنفسه من ظالمه.
- ٢- أنه لا يجوز لومه أو مؤاخذته على انتصاره.
- ٣- تحريم ظلم الناس والبغي عليهم، وهو شامل لغصب الأموال وغيره.
- ٤- أن على الظالمين الباعين اللوم والمعاقبة بما يردعهم عنه في الدنيا.
- ٥- أنهم مستحقون للعذاب الأليم في الآخرة، وهذه الثلاث محل الاستشهاد بالآيتين.

الآية الثالثة:

٣٢٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتِنَا ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

تفسير الآية رقم ٣٢٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿يَأْكُلُونَ﴾: يتلفون، وعبر بالأكَلِ عنه لأنه أَحْصَى وجوه الانتفاع بالمال.

﴿آلِيَتِنَا﴾: من مات أبواؤهم قبل أن يبلغوا.

﴿ظُلْمًا﴾: عدوانا بغير حق، وهو مفعول لأجله.

﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾: في للظرفية، لما كان البطن مقر الطعام جعل ظرفا له.

﴿نَارًا﴾: أي نارا من جهنم في الآخرة يجرعون بها.

﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾: سيدخلون، والسین للتحقيق والقرب.

﴿سَعِيرًا﴾: نارا تتلهب.

ب- المعنى الإجمالي:

يخبر الله تعالى عن الذين يجترئون على أموال اليتامى من أجل قصورهم وفقدتهم لأبائهم، فيأكلونها ظلما وعدوانا أنهم إنما يملأون بطونهم من النار يوم القيامة، جزاء لما تنعموا به من أموال هؤلاء اليتامى، وأنهم سيدخلون نارا يجترقون بها.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْيَتَامَى وَحِمَايَةُ أَمْوَالِهِمْ.
- ٢- تَحْرِيمُ الْاِعْتِدَاءِ عَلَى أَمْوَالِهِمْ.
- ٣- أَنْ الْاِعْتِدَاءَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ أَشَدُّ مِنَ الْاِعْتِدَاءِ عَلَى أَمْوَالِ غَيْرِهِمْ.
- ٤- أَنْ الْاِعْتِدَاءَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ لِتَوَعُّدِّ عَلَيْهِ بِالنَّارِ.
- ٥- إِثْبَاتُ الْجَزَاءِ، وَأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.
- ٦- كِمَالُ عَدْلِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

الآية الرابعة إلى التاسعة:

٣٢٨-٣٣٣ - ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾
 وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ
 يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[المطففين: ١-٦].

تفسير الآيات رقم ٣٢٨ - ٣٣٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَبَلِّغْ﴾: كَلِمَةٌ وَعِيدٌ، أَوْ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ.

﴿لِلْمُطَفِّينَ﴾: لِلْبَاخِسِينَ النَّاقِصِينَ.

﴿أَكَالُوا﴾: أَخَذُوا حَقَّهُمْ بِالْكَيْلِ.

﴿عَلَى النَّاسِ﴾: أَي: مِنَ النَّاسِ.

﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: يَأْخُذُونَ حَقَّهُمْ وَافِيًا.

﴿كَالُوهُمْ﴾: كَالُوا لَهُمْ، أَي: أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ بِالْكَيْلِ.

﴿وَزَنُوهُمْ﴾: وَزَنُوا لَهُمْ، أَي: أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ بِالْوَزْنِ.

﴿يُخْسِرُونَ﴾: يُنْقِصُونَ.

﴿أَلَا﴾: الهمزة للاستفهام التوبيخي، و(لا) نافية.

﴿يُظُنُّ﴾: يُوقِنُ.

﴿مَبْعُوثُونَ﴾: مُخْرَجُونَ.

﴿لَيَوْمٍ﴾: اللامُ للتعليل، أو بمعنى في.

﴿عَظِيمٍ﴾: ذو عَظَمَةٍ في طُولِهِ وَأَهْوَالِهِ.

﴿يَوْمٍ﴾: منصوبٌ بعاملٍ مَحذُوفٍ، والتقديرُ: مَبْعُوثُونَ يَوْمَ.

﴿يَقُومُ النَّاسُ﴾: يَقِفُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ.

﴿لَرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: لخالقِهِمْ وَمُدَبِّرِهِمْ، وَاللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ.

ب- المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى بِالْوَلِيلِ أَوْلِيكَ الْبَاخِسِينَ الْجَائِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَخَذُوا حُقُوقَهُمْ مِنْ النَّاسِ اسْتَوْفَوْهَا كَامِلَةً، وَإِذَا أَعْطَوْا النَّاسَ حُقُوقَهُمْ الَّتِي عَلَيْهِمْ أَعْطَوْهُمْ إِيَّاهَا نَاقِصَةً.

ثُمَّ يُوبِّخُهُمْ تَعَالَى عَلَى غَفْلَتِهِمْ عَمَّا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، حَيْثُ لَمْ يُوقِنُوا بِهِ وَلَمْ يَتَذَكَّرُوا قِيَامَ النَّاسِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْجَزَاءِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِينَ الْمُطْغَفِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

١- تَحْرِيمُ النَّقْصِ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ لِلنَّاسِ، لِأَنَّهُ مِنَ الظُّلْمِ وَيُقَاسُ عَلَيْهِمَا سَائِرُ الْحَقُوقِ.

٢- الْوَعِيدُ عَلَى ذَلِكَ.

٣- أَنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَنْ اخْتَلَّ يَقِينُهُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهَذِهِ الثَّلَاثُ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.

- ٤- إِبْثَاتُ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ.
- ٥- عِظْمُ الْيَوْمِ الْآخِرِ.
- ٦- وَقُوفُ النَّاسِ فِيهِ لِلرَّبِّ - جَلْ جَلَالِهِ -.
- ٧- عُمُومُ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِجَمِيعِ الْخَلْقِ.

مِنْ آيَاتِ حِفْظِ الْأَمَانَاتِ، وَمِنْهَا: الْوَدِيعَةُ

الآيَةُ الْأُولَى:

٣٣٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

مِنْ آيَاتِ حِفْظِ الْأَمَانَاتِ، وَمِنْهَا: الْوَدِيعَةُ

الْأَمَانَاتُ فِي اللُّغَةِ: جَمْعُ أَمَانَةٍ، وَهِيَ: الطَّمَأْنِينَةُ وَالِاسْتِقْرَارُ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْمُؤْتَمَنِ عَلَيْهِ، وَهِيَ الْمَرَادُ هُنَا.

فَالْأَمَانَةُ اصْطِلَاحًا: مَا أُؤْتِمِنَ عَلَيْهِ الْمَرْءُ مِنْ مَالٍ أَوْ حَقٍّ.

وَالْوَدِيعَةُ فِي اللُّغَةِ: فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ مِنَ الْوَدْعِ، وَهُوَ: التَّرْكُ.

وَفِي الْاصْطِلَاحِ: الْمَالُ الْمَتْرُوكُ عِنْدَ غَيْرِ صَاحِبِهِ لِيَحْفَظَهُ لِمَالِكِهِ بِلا عَوَضٍ.

وَهِيَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ بِالنُّسْبَةِ لِلْمُودِعِ مَالِكِ الْوَدِيعَةِ، وَالْأُمُورِ الْمُسْتَحَبَّةِ بِالنُّسْبَةِ لِلْوَدِيعِ الْحَافِظِ لِلْمَالِ، لِأَنَّهَا مِنَ الْإِحْسَانِ الْمَأْمُورِ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ٣٣٤:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿يَأْمُرُكُمْ﴾: يَطْلُبُ مِنْكُمْ.

﴿تُؤَدُّوْا﴾: تُوَصَّلُوا.

﴿الْأَمْنَتِ﴾: أي: ما اتُّمِنْتُمْ عليه من مالٍ أو حقٍّ.

﴿حَكَمْتُمْ﴾: قَضَيْتُمْ.

﴿بِالْعَدْلِ﴾: بإعطاء كلِّ ذي حقِّ حَقَّهُ من غيرِ مِيلٍ.

﴿نِعْمًا﴾: أَصْلُهُ: نِعْمَ مَا، فَأَدْغَمَتِ الميم في ما ثُمَّ كَسِرَتِ العَيْنُ لسكونِ ما يَلِيهَا،

وقيل: كَسِرَتِ على الأصلِ إذ أَصْلُهَا نِعَمَ، وما فاعل والمخصوص محذوف.

﴿يُعْظِرْكُمْ﴾: يُذَكِّرْكُمْ.

﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ صُورَةٌ لا مَعْنَى، لأنه مُجَرَّدٌ عن الزمان هنا.

﴿سَمِعًا﴾: ذُو سَمْعٍ، وَالسَّمْعُ: إدراكُ الأصواتِ بالسمعِ.

﴿بَصِيرًا﴾: ذُو بَصَرٍ، وَالْبَصَرُ: إدراكُ المرئياتِ بالبَصَرِ.

ب- المعنى الإجماليُّ:

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَأْمُرُ عِبَادَهُ بِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: فِي الْأَمَانَاتِ، وَالثَّانِي: فِي

الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ.

فَأَمَّا الْأَمَانَاتُ: فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى أَنْ تُؤَدَّى إِلَى أَهْلِهَا، وَهُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ مَا أُؤْتَمَنُ

عَلَيْهِ الْمَرْءُ مِنْ أَمْوَالٍ أَوْ حُقُوقٍ، فَيَدْخُلُ فِيهِ حِفْظُ الْوَدِيعِ لِمَا اسْتَوْدِعَ عَلَيْهِ، وَالْأَجِيرُ

لِلْعَيْنِ الْمُؤَجَّرَةِ، وَالْوَالِي لِلْوَالِيَةِ، وَنَصَبَ مِنْهُ هُوَ أَصْلَحُ، وَوَلِيُّ الْيَتِيمِ لِمَالِ الْيَتِيمِ

وغير ذلك.

وَأَمَّا الْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ: فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ: إِعْطَاءُ

كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ حَسْبَمَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم أثنى الله تعالى على ما أمر به مبيِّناً أنه من المواعظ التي يُتَذَكَّرُ بها أولو الألباب. ثم ختم الله تعالى الآية بما يُشعِّرُ بالتهديد لمن خالف بذكر اسمين من أسمائه، وهما السَّمِيعُ البَصِيرُ، يسمع من خان الأمانة بقوله، وَيَرَى مَنْ خَانَهُ بفعله.

ج- من فوائد الآية:

- ١- وجوب أداء الأمانات إلى أهلها.
- ٢- وجوب حفظ الأمانة فيما تحفظ فيه عادة.
- ٣- أن الأمين لا يبرأ بدفع الأمانة إلى غير أهلها إلا بإذنبهم، وهذه الثلاث محل للاستشهاد بالآية.
- ٤- وجوب اختيار الأصلح في التوظيف لأن ذلك من أداء الأمانات إلى أهلها.
- ٥- وجوب الحكم بين الناس بالعدل، وهو ما تقتضيه الشريعة الإسلامية.
- ٦- أن ما يأمرنا الله تعالى به من الأحكام مواعظ يُتَذَكَّرُ بها أولو الألباب.
- ٧- أنها أحق بالالتزام والتنفيذ من غيرها، لأنها محل الشئ من الله - سبحانه -.
- ٨- إثبات اسمي السميع والبصير، وما دلَّ عليه من صفتي السمع والبصر لله تعالى.

الآية الثانية:

٣٣٥- ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

تفسير الآية رقم ٣٣٥:

أ- تفسير الكلمات:

﴿الضُّعَفَاءُ﴾: جمع ضَعِيفٍ، وهم: مَنْ لَيْسَ بِهِمْ قُوَّةٌ عَلَى الْجِهَادِ لِكِبَرٍ أَوْ صِغَرٍ.

﴿الْمَرْضَى﴾: جمع مريضٍ، وهو مَنْ اعْتَلَتْ صِحَّتُهُ.

﴿يُنْفِقُونَ﴾: يُبْذِلُونَ مِنَ الْمَالِ.

﴿حَرَجٌ﴾: ضَيْقٌ بِالْإِثْمِ أَوْ الْإِزْرَامِ.

﴿نَصَحُوا﴾: أَخْلَصُوا وَأَصْلَحُوا.

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: فَاعِلِي الْإِحْسَانِ.

﴿سَبِيلٍ﴾: لَوْمٍ وَمُؤَاخَذَةٍ.

﴿عَفُورٌ﴾: ذُو مَغْفِرَةٍ، وَهِيَ: سِتْرُ الذَّنْبِ وَالتَّجَاوُزِ عَنْهُ.

﴿رَحِيمٌ﴾: ذُو رَحْمَةٍ، وَهِيَ صِفَةٌ تَقْتَضِي الْعَطْفَ وَالْإِحْسَانَ.

ب- المعنى الإجمالي:

لما كانت الأوامر الشرعية مشروطةً بالقُدرة بين الله تعالى في هذه الآية حُكْمَ العَاجِزِينَ بأنفسهم أو أموالهم عن الجهاد، وأنهم لا حرجَ عليهم في التَّخَلُّفِ عنه بشرطِ النَّصِيحَةِ لله ورسوله، فلا يكون في تَخَلُّفِهِمْ إرجافٌ أو تَخْذِيلٌ، وأن يَعْقِدُوا العِزْمَ على الجهاد عند زوالِ العُدْرِ.

ولما كانت النَّصِيحَةُ لله ورسوله إِحْسَانًا، وهي غَايَةُ مَا يَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ، ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى قَاعِدَةً عَامَّةً فِيهِمْ وفي غيرهم فقال: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾، ثُمَّ خَتَمَ الآيتين بِاسْمِينَ مِنْ أَسْمَائِهِ وَهُمَا: العَفُورُ الرَّحِيمُ، تَنْبِيهًُا عَلَى أَنْ رَفَعَ الحَرْجَ عَنِ هَؤُلَاءِ مِنْ آثَارِ مَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

ج- من فوائد الآية:

- ١- سُقُوطُ الجِهَادِ عَنِ الضُّعَفَاءِ وَالمَرَضَى وَالمُعْدَمِينَ.
- ٢- أَنْ سُقُوطُهُ عَنِ هَؤُلَاءِ مَشْرُوطٌ بِنَصِيحَتِهِمْ لله وَرَسُولِهِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا أَحَدُوا بِالتَّخَلُّفِ عَنِ الجِهَادِ وَتَرَكِ النَّصِيحَةَ جَمِيعًا.
- ٣- أَنَّ المَحْسِنَ لَا ضَمَانَ عَلَيْهِ فِيمَا نَتَجَّ عَنِ إِحْسَانِهِ.
- ٤- أَنَّ الوديعَ لَا ضَمَانَ عَلَيْهِ بِتَلْفِ الوديعَةِ عِنْدَهُ إِذَا لَمْ يَتَعَدَّ أَوْ يُفْرِطَ لِأَنَّهُ مُحْسِنٌ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الاستشهاد بالآية.
- ٥- إِبْثَاتُ اسْمَي العَفُورِ وَالرَّحِيمِ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ صِفَةِ اللهِ -عِزَّ وَجَلَّ-

مِن آيَاتِ الْجُعَالَةِ

آيَةٌ وَاحِدَةٌ:

٣٣٦- ﴿وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢].

مِن آيَاتِ الْجُعَالَةِ

الْجُعَالَةُ فِي اللُّغَةِ: اسْمُ جَعَلَ.

وَفِي الاضْطِلَاحِ: تَقْدِيرُ عِوَضٍ لِمَنْ يَعْْمَلُ عَمَلًا.

وَهِيَ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى عَمَلٍ لَا تُمَكِّنُهُ الْإِحَاطَةُ بِهِ كَرَدِّ الضَّالَّةِ فَيَتَوَصَّلُ إِلَى حِصُولِهِ بِالْجُعَالَةِ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْم ٣٣٦:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿بِهِ﴾: أَي: بِضَوْاعِ الْمَلِكِ الَّذِي قُدَّ.

﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: أَي: مَا يَحْمِلُهُ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْبَعِيرُ الْوَاحِدُ مِنَ الْإِبِلِ يُطَلَّقُ

عَلَى الذَّكْرِ وَالْأُنْثَى.

﴿وَأَنَا﴾: ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْمَنَادَى بِهَذَا الْقَوْلِ.

﴿بِهِ﴾: أَي: بِالْحِمْلِ.

﴿زَعِيمٌ﴾: كَفَيْلٌ ضَامِنٌ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْمُنَادِي الَّذِي نَادَى بِفَقْدِ صُوعِ الْمَلِكِ أَنَّهُ جَعَلَ لِمَنْ يَأْتِي بِهِ جُعَلًا، وَهُوَ حِمْلٌ بَعِيرٌ، وَأَنَّهُ وَثَّقَ ذَلِكَ بِكَوْنِهِ ضَمِنَهُ وَالتَّزَمَهُ عَلَى نَفْسِهِ.

ج- من فوائد الآية:

- ١- جَوَازُ الْجُعْلِ عَلَى رَدِّ الضَّالَّةِ، وَإِنْ لَمْ يُقَدَّرِ الْعَمَلُ.
- ٢- جَوَازُ الْجُعْلِ بِعَوَضٍ مَعْلُومٍ بِالْعُرْفِ.
- ٣- أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ تَعْيِينُ الْمَعْقُودِ مَعَهُ فِي الْجُعَالَةِ.
- ٤- جَوَازُ ضَمَانِ مَا لَمْ يَجِبُ إِذَا كَانَ مَالَهُ الْوُجُوبَ.

مِنْ آيَاتِ الْهِبَةِ

الآيَةُ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ:

٣٣٧-٣٣٨- ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ رَجْعِ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَتَمِدُّونَنِي بِمَالِي فَمَا آتَيْنِيهِ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ فَخْرُونَ ﴿٣٦﴾﴾
[النمل: ٣٥-٣٦].

مِنْ آيَاتِ الْهِبَةِ

الهِبَةُ فِي اللُّغَةِ: قِيلَ: إِنَّهَا مِنْ هُبُوبِ الرِّيحِ، أَي: مُرُورِهِ.

وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: تَمْلِيكَ الْمَالِ تَبَرُّعًا.

وَالتَّبَرُّعُ بِالْمَالِ إِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ فِيهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فَهُوَ صَدَقَةٌ.

وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ التَّوَدُّدَ وَالتَّقَرُّبَ مِنَ الْمَتَبَرِّعِ لَهُ فَهُوَ هَدِيَّةٌ.

وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ نَفْعَ الْمَتَبَرِّعِ لَهُ فَهُوَ هِبَةٌ.

تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ رَقْمَ ٣٣٧ - ٣٣٨:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿وَإِنِّي﴾: الضَّمِيرُ لِلْمَلِكَةِ سَبِيًّا.

﴿إِلَيْهِمْ﴾: إِلَى سُلَيْمَانَ وَاتَّبَاعِهِ.

﴿بِهَدِيَّةٍ﴾: بِهِبَةٍ أَتَوَدَّدُ بِهَا إِلَيْهِمْ.

﴿بِمَ يَرْجِعُ﴾: بَأَيِّ شَيْءٍ يَرْجِعُ بِقَبُولِ الْهَبَةِ أَمْ بِرَدِّهَا.

﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾: أَي: رَسُولَ الْمَلِكَةِ وَمِنْ مَعَهُ يَهْدِيَتَهُمْ.

﴿سُلَيْمَنَ﴾: هُوَ: ابْنُ دَاوُدَ أَحَدُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ، غُدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ، وَسَخَّرَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالطَّيْرَ، فَعَلَّمَهُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وَأَذَلَّ لَهُ الشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصِي، وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ، وَأَتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ يَقْضِي بِهَا بَيْنَ النَّاسِ بِفَهْمٍ وَفِرَاسَةٍ وَقُوَّةٍ، قَالَ لِرَسُولِ مَلِكَةِ سَبَأَ: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِيْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧]. جَدَّدَ بِنَاءَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَنَاهُ يَعْقُوبُ، خَلَا سُلَيْمَانُ يَتَعَبَّدُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَمَاتَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصَاهُ، وَكَانَ قَدْ كَلَّفَ الْجِنَّ بِالْأَعْمَالِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ، فَبَقُوا عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً لَا يَعْلَمُونَ بِمَوْتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

﴿أَتَمِدُونِنِ﴾: أَتَعِينُونِنِ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ وَالتَّرْفُعِ.

﴿فَمَاءَ آتِنَنَّهُ﴾: فَالَّذِي آتَانِي، أَي: أَعْطَانِي، وَ(مَا) اسْمٌ مَوْصُولٌ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ

(خير).

﴿بَلْ﴾: لِلْإِضْرَابِ الْإِنْتِقَالِيِّ.

﴿يَهْدِيَتَكُمْ﴾: بِهَا يُهْدَى إِلَيْكُمْ.

﴿فَفَرَحُونَ﴾: تُسْرُونَ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ مَلِكَةٍ سَبَأَ الَّتِي أَرْسَلَ إِلَيْهَا سُلَيْمَانُ بِكِتَابِهِ الْمُخْتَصَرَ الْمُؤَثَّرَ، وَقَدْ اهْتَمَّتْ بِهَذَا الْكِتَابِ وَجَمَعَتْ الْمُلَأَ مِنْ رَعِيَّتِهَا لِلتَّشَاوُرِ مَعَهُ فَأَسْنَدُوا الْأَمْرَ إِلَيْهَا لِعِلْمِهِمْ بِذَكَائِهَا وَمَهَارَتِهَا، فَأَخْبَرَ اللهُ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُمْ أَنَّهَا مُرْسَلَةٌ إِلَى سُلَيْمَانَ بِهَدِيَةٍ وَمُنْتَظَرَةٌ مَاذَا يَرْجِعُ بِهِ مِنْ أَرْسَلَتْهُمْ بِهَا، وَكُونِهَا أَرْسَلَتْ بِهَا جَمَاعَةٌ يَدُلُّ عَلَى عِظَمِهَا وَكَثْرَتِهَا، فَلَمَّا سَلَّمَ رَئِيسُ الْمُرْسَلِينَ الْهَدِيَةَ إِلَى سُلَيْمَانَ أَنْكَرَهَا عَلَيْهِمْ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّ مَا آتَاهُ اللهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالنُّبُوَّةِ خَيْرٌ مِمَّا آتَاهُمْ، فَلَنْ يَفْرَحَ بِمَا أَهْدَوْهُ إِلَيْهِ لِعَدَمِ اكْتِرَائِهِ بِهِ، وَإِنَّمَا الْفَرَحُ بِالْهَدَايَا لَهُمْ فَقَطْ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- ذَكَاءُ مَلِكَةٍ سَبَأَ، وَهَذَا مِنَ الْأُمُورِ النَّادِرَةِ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّ مِنْ طَبِيعَةِ الْمَرْأَةِ النَّقْصَ فِي عَقْلِهَا.
- ٢- جَوَازُ الْإِهْدَاءِ اخْتِيَارًا.
- ٣- جَوَازُ قُبُولِ الْهَدِيَّةِ مِنَ الْمُرْسَلِ بِهَا إِذَا دَلَّتِ الْقَرَائِنُ عَلَى صِدْقِهِ.
- ٤- أَنَّ الْهَدِيَّةَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِقُبُولِ الْمُهْدَى إِلَيْهِ.
- ٥- جَوَازُ رَدِّ الْهَدِيَّةِ لِلْمَصْلَحَةِ.
- ٦- جَوَازُ الْاِفْتِخَارِ عَلَى الْغَيْرِ بِنِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى لِمَصْلَحَةِ دِينِيَّةٍ.
- ٧- فَضِيلَةُ سُلَيْمَانَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- حَيْثُ أَضَافَ النِّعْمَةَ إِلَى مُوَلِيِّهَا وَهُوَ اللهُ تَعَالَى.

الآية الثالثة:

٣٣٩- ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِنَ نِحْلَةً فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ فَكُلُوهُ هَنِيئًا

مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

تفسير الآية رقم ٣٣٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَتُوا﴾: أعطوا، والخطاب للأزواج.

﴿النِّسَاءَ﴾: جمع امرأة على غير لفظه، والمراد اللاتي تزوجتم بهن.

﴿صَدَقَاتِنَ﴾: جمع صدقة وهي المهر.

﴿نِحْلَةً﴾: عطية عن طيب نفس، وهي مصدر مبین للنوع عاملة (أتوا).

﴿طَبَنَ﴾: رزين.

﴿مِّنْهُ﴾: أي: الصدقات، وأتى الضمير مفردًا مذكرًا باعتبار المعنى.

﴿فَكُلُوهُ﴾: تمييز محوّل عن الفاعل، أي: طابت أنفسهن.

﴿فَكُلُوهُ﴾: أي: خذوه وعبر بالاكل عنه لأنه أخص ما يؤخذ له.

﴿هَنِيئًا﴾: سائغ المذاق.

﴿مَرِيئًا﴾: سهل الهضم، والمراد: خذوه غير متكرهين له ولا خائفين من

عاقبته.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَزْوَاجَ أَنْ يُعْطُوا النِّسَاءَ مَهْرَهُنَّ طَيِّبَةً مِنْ نَفْسِهِنَّ بِدُونِ
تَأْخِيرٍ وَلَا تَكْرَهُ لِبَدَلٍ، وَيُبَيِّحُ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مَا تَنَازَلَتْ عَنْهُ الْمَرْأَةُ مِنَ الصَّدَاقِ إِذَا كَانَ
ذَلِكَ عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ مِنْهَا، وَأَنَّهُ سَائِعٌ مَحْمُودٌ الْعَاقِبَةَ.

ج- من فوائد الآية:

- ١- وَجُوبُ تَسْلِيمِ الزَّوْجِ مَهْرَ زَوْجَتِهِ إِلَيْهَا بِدُونِ تَأْخِيرٍ، إِنْ كَانَ حَالًا، وَفَوْرَ
انْتِهَاءِ أَجَلِهِ إِنْ كَانَ مَوْجَلًا.
- ٢- أَنْ يُسَلِّمَهُ بِطَيِّبِ نَفْسٍ لَا عَنْ تَكْرَهُ لِبَدَلِهِ أَوْ مِنْهُ بِهِ.
- ٣- أَنْ الْمَهْرَ مِلْكٌ لِلزَّوْجَةِ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْتَرِطَ شَيْئًا مِنْهُ لِنَفْسِهِ.
- ٤- جَوَازُ إِسْقَاطِ الزَّوْجَةِ مَهْرَهَا أَوْ بَعْضَهُ عَنِ الزَّوْجِ عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ.
- ٥- أَنَّهَا إِذَا أَسْقَطَتْهُ كَذَلِكَ كَانَ حَلَالًا لِلزَّوْجِ لَا تَبَعَةَ فِيهِ.
- ٦- جَوَازُ إِبْرَاءِ الْمَدِينِ مِنْ دِينِهِ حَالًا كَانَ أَمْ مَوْجَلًا.
- ٧- أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِبْرَاءُ إِلَّا عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ قَبْلَهَا مَحَلُّ الْإِسْتِشْهَادِ
بِالْآيَةِ.

مِن آيَاتِ الْوَصِيَّةِ

الآية الأولى:

٣٤٠- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثْرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢].

مِن آيَاتِ الْوَصِيَّةِ

الوصية في اللغة: العهد إلى غيره بأمر هام.

وفي الاصطلاح: الأمر بالتصرف بعد الموت أو التبرع بالمال بعده.
وإباحتها من محاسن الشريعة لدعاء الحاجة إليها في الأموال والرعاية والحقوق.

تفسير الآية رقم ٣٤٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ إِنَّا ﴾: الضمير يعود إلى الله تعالى بصيغة الجمع للتعظيم.

﴿ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾: نبعثهم أحياء يوم القيامة.

﴿ مَا قَدَّمُوا ﴾: ما أسلفوا من عمل صالح أو غير صالح.

﴿ وَءِثْرَهُمْ ﴾: ما نتج بعد موتهم مما عملوا.

﴿ أَحْصَيْنَاهُ ﴾: ضبطناه.

﴿إِمَامٍ﴾: كِتَابٍ، وَالْمُرَادُ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ وَصَحَائِفُ الْأَعْمَالِ.

﴿مُبِينٍ﴾: مُظْهِرٌ لِمَا كَتَبَ فِيهِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَبَالِغِ حِكْمَتِهِ، فَيَذْكُرُ الْغَايَةَ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا الْخَلْقُ، وَأَنَّهُ يُحْسِبُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ لِيُجَازِيَهُمْ بِمَا عَمَلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ حَيْثُ إِنَّهُ تَعَالَى يَكْتُبُ مَا قَدَّمُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ، وَمَا تَأَخَّرَ مِنْهَا بَعْدَ الْمَوْتِ نَتِيجَةً لِأَعْمَالِهِمْ قَبْلَهُ، وَمِنْهَا: أَنْ يُؤْصُوا بِأَعْمَالٍ خَيْرِيَّةٍ أَوْ يُحْلَفُوا عَلِمًا يُنْتَفَعُ بِهِ بَعْدَهُمْ، وَيُبَيِّنُ تَعَالَى أَنَّهُ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَفِي كِتَابٍ يَلْقَاهُ الْمَرْءُ مَنْشُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُبَيِّنُ لَهُ مَا قَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ مِنْ عَمَلِهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- ثُبُوتُ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى.
- ٢- تَمَامُ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى.
- ٣- كِتَابَةُ مَا يَعْمَلُهُ الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.
- ٤- كِتَابَةُ مَا يَكُونُ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنْ آثَارِ عَمَلِهِ فِي حَيَاتِهِ.
- ٥- مَشْرُوعِيَّةُ الْوَصِيَّةِ بِالْخَيْرِ، لِأَنَّهَا تُكْتُبُ لِصَاحِبِهَا، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْإِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٦- عُمُومُ إِحَاطَةِ اللهِ تَعَالَى بِكُلِّ شَيْءٍ.
- ٧- أَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى.

الآية الثانية والثالثة والرابعة:

٣٤١-٣٤٣ - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا
الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
فَأَنهَاءَ إِثْمِهِ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ [البقرة: ١٨٠-١٨٢].

تفسير الآيات رقم ٣٤١ - ٣٤٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿كُتِبَ﴾: فَرِضٌ، حُذِفَ الْفَاعِلُ لِلْعِلْمِ بِهِ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: قَرُبَ مِنْكُمْ بِحُضُورِ أَسْبَابِهِ.

﴿خَيْرًا﴾: مَا لَا كَثِيرًا.

﴿الْوَصِيَّةُ﴾: أَي: الْإِبْصَاءُ بِالْمَالِ، وَهِيَ بِالرَّفْعِ نَائِبُ فَاعِلٍ ﴿كُتِبَ﴾.

﴿لِلْوَالِدَيْنِ﴾: الْأُمُّ وَالْأَب.

﴿وَالْأَقْرَبِينَ﴾: الْأَدْنَى قَرَابَةً.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: مَا جَرَى بِهِ الْعُرْفُ وَأَقْرَهُ الشَّرْع.

﴿حَقًّا﴾: فَرَضًا ثَابِتًا، وَهُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ وَعَامِلُهُ ﴿كُتِبَ﴾.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: الْمُتَّخِذِينَ وَقَايَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ

نَوَاهِيهِ.

﴿بَدَلَهُ﴾: غَيْرُهُ بِالزِّيَادَةِ، أَوِ النَّقْصِ، أَوِ الْكِتْمَانِ، أَوْ نَقْلٍ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى،
وَالضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى الْإِيصَاءِ الْمَفْهُومِ مِنَ الْوَصِيَّةِ .

﴿إِثْمُهُ﴾: ذَنْبُهُ، وَالضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى التَّبْدِيلِ .

﴿الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾: أَظْهَرَ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ بَيَانًا لِلْعَلَّةِ وَزِيَادَةً فِي التَّشْنِيعِ
عَلَيْهِ، وَجَمَعَ فِي مَوْضِعِ الْإِفْرَادِ مُرَاعَاةً لِلْمَعْنَى وَلَيْشَمَلَ الْبَادِيَّ بِالتَّبْدِيلِ وَالتَّابِعِ .
﴿خَافَ﴾: تَوَقَّعَ .

﴿جَنَفًا﴾: مَالَ عَنِ الْحَقِّ بغيرِ قَصْدٍ .

﴿إِثْمًا﴾: ذَنْبًا بِوُقُوعِ الْمَيْلِ مِنْهُ عَنِ الْقَصْدِ .

﴿فَأَصْلَحَ﴾: فَعَلَ مَا بِهِ الصَّلَاحُ مِنْ ذَاتِ الْجَنَفِ أَوْ الْإِثْمِ .

﴿بَيْنَهُمْ﴾: بَيْنَ الْمُوصِي هُمْ .

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إِخْرَجَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ اسْتِثْنَائِيَّةً لِبَيَانِ مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، أَوْ تَعْلِيلِيَّةً

لَهَا قَبْلُهَا .

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ وَتَرَكَوْا مَا لَا كَثِيرًا
أَنْ يُوصُوا لَوَالِدِيهِمْ وَأَقْرَبِيهِمْ حَسَبًا جَرَى بِهِ الْعُرْفُ وَقَرَّرْتُهُ الشَّرِيعَةُ، وَيُوكَدُ
هَذِهِ الْقَرِيبَةَ بِكُونِهَا حَقًّا ثَابِتًا عَلَى كُلِّ مُتَّقِي اللَّهِ تَعَالَى خَائِفٍ مِنْ عِقَابِهِ وَيَتَوَعَّدُ
-سُبْحَانَهُ- مَنْ غَيَّرَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ بِالْإِثْمِ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا يُخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا
التَّغْيِيرِ لِعُمُومِ سَمْعِهِ وَعِلْمِهِ وَكَمَاهُمَا، ثُمَّ يَسْتَشْنِي مِنَ التَّبْدِيلِ مَنْ خَافَ مِنَ الْمُوصِي

جَنَفًا أَوْ إِثْمًا أَوْ تَحَقُّقَ وَقُوعِ ذَلِكَ مِنْهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَبَدَّلَ عَلَى سَبِيلِ الْإِصْلَاحِ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ إِثْمٌ فِي ذَلِكَ، بَلْ هَذَا مِنْ أَسْبَابِ مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- وَجُوبُ الْوَصِيَّةِ بِالْمَالِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ عَلَى مَنْ تَرَكَ مَا لَا كَثِيرًا (انظر التنبيه الآتي).
- ٢- أَنْ الْوَصِيَّةَ تَكُونُ بِالْمَعْرُوفِ بَيْنَ النَّاسِ الَّذِي يُقَرُّهُ الشَّرْعُ.
- ٣- عَتَبَارُ أَقْوَالِ الْمَرِيضِ، وَإِنْ كَانَ مُدَنَّفًا إِذَا كَانَ يَعْقِلُ مَا يَقُولُ.
- ٤- أَنَّ الْإِيصَاءَ لِمَنْ ذَكَرَ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ٥- تَحْرِيمُ تَغْيِيرِ الْوَصِيَّةِ عَمَّا أَوْصَى بِهِ مُوصِي مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا.
- ٦- أَنَّ الْمَوْصِي لَا يَلْحَقُهُ شَيْءٌ مِنْ إِثْمِ تَغْيِيرِ الْوَصِيَّةِ.
- ٧- إِثْبَاتُ اسْمِي السَّمِيعِ الْعَلِيمِ وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ صِفَةٍ وَحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٨- أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِتَغْيِيرِ الْوَصِيَّةِ إِذَا تَصَمَّنَتْ إِثْمًا إِلَى مَا فِيهِ السَّلَامَةُ مِنْهُ، وَقَوَاعِدُ الشَّرْعِ تَقْضِي بوجوبه.
- ٩- فَضْلُ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ.
- ١٠- إِثْبَاتُ اسْمِي الْغَفُورِ الرَّحِيمِ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ صِفَةٍ وَحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى.

تَنْبِيهٌ:

اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي فَرَضِ الْوَصِيَّةِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ الثَّابِتِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: هُوَ بَاقٍ لَكِنْ كَانَ مُوَكُّوْلًا إِلَى الْمَوْصِي

ثُمَّ بَيَّنَّتْ آيَاتُ الْمَوَارِيثِ ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ مَنْسُوخٌ بِآيَاتِ الْمَوَارِيثِ فَلَا وَصِيَّةَ لِمَوَارِيثٍ وَلَا تَحِبُّ الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَابِ غَيْرِ الْوَرَثَةِ وَإِنَّمَا تُسْتَحَبُّ لَهُمُ الْوَصِيَّةُ بِأَدْلَةٍ صِلَةِ الرَّحِمِ لَا بِهَذِهِ الْآيَةِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ مَخْصُوصٌ بِآيَاتِ الْمَوَارِيثِ فَلَا وَصِيَّةَ لِمَوَارِيثٍ، وَتَحِبُّ الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَابِ غَيْرِ الْوَارِثِينَ مِنَ الْوَالِدَيْنِ وَغَيْرِهِمَا. وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّوَابُ لِأَنَّهُ بِهِ جَمْعًا بَيْنَ الْأَدْلَةِ وَمَتَى أَمْكَنَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَدْلَةِ تَعَيَّنَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ.

مِن آيَاتِ الْمَوَارِيثِ

النَّوْعُ الْأَوَّلُ

الآيَةُ الْأُولَى:

٣٤٤- ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَعَاثُوهُمْ ۚ نَصِيْبُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾

[النساء: ٣٣].

مِن آيَاتِ الْمَوَارِيثِ

الموارث: جمع ميراث، وهو: ما يَخْلُفُهُ الميِّتُ من مالٍ أو حقٍّ أو اختِصاصٍ.

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: فِي أَسْبَابِ الميراثِ.

الأسباب: جمع سبب، وهو في الاصطلاح: ما يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِ الوجودُ وَمِنْ عَدَمِهِ العَدَمُ. وأسبابُ الميراثِ المتَّفَقُ عليها ثلاثة:

أ- النِّكَاحُ، وهو: عَقْدُ الزَّوْجِيَّةِ الصَّحِيحِ، فيورَثُ به مِنَ الجَانِبَيْنِ لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ۖ﴾، ﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ ۖ﴾

[النساء: ١٢].

ب- النَّسَبُ، وهو القَرَابَةُ: أي: الاتِّصَالُ بين شَخْصَيْنِ بسببِ الولادةِ قَرِيبًا كان أم بعيدًا، وهُمُ أَصُولٌ وفُرُوعٌ وحواشي.

فالأصول: مَنْ تَفَرَّعَ الشَّخْصُ مِنْهُمْ، وهم: الآباءُ والأُمَّهَاتُ وَإِنْ عَلَوْا.
والفُرُوعُ: مَنْ تَفَرَّعُوا مِنَ الشَّخْصِ، وهم: الأبناءُ والبَنَاتُ وَإِنْ نَزَلُوا.
والحَوَاشِي: مَنْ تَفَرَّعُوا مِنْ أَصُولِ الشَّخْصِ، كالأخوةِ والأعمامِ والأخوالِ
وَإِنْ نَزَلُوا.

لقوله تعالى: ﴿وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاٰحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء: ١١]،
﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، ﴿وَإِنْ كَانُوا
إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١٧٦]، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ
أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

ج- الولاءُ، وهي عَصْبَةٌ تُثَبَّتُ بِسَبَبِ الْعِتْقِ لِلْمُعْتَقِ وَعَصَبَتِهِ الْمُتَعَصِّبِينَ
بأنفسِهِمْ، لقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ»^(١).

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْم ٣٤٤:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿وَلِكُلِّ﴾: أَي: لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.
﴿مَوَالِي﴾: جَمَاعَةٌ يَتَوَلَّوْنَ مَالَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَهُمْ الْوَرَثَةُ.
﴿مِمَّا تَرَكَ﴾: مِمَّا خَلَفَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: يَرِثُونَ.
﴿الْوَالِدَانِ﴾: الْأَبُ وَالْأُمُّ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المكاتب، ما يجوز من شروط المكاتب، رقم (٢٥٦٢)، ومسلم: كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق، رقم (١٥٠٤).

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ﴾: أي: وَصَلَتْ وَشَدَّتْ، والموصول مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ: فَاتَوْهُمْ.

﴿أَيَّمَنُكُمْ﴾: جمع يَمِينٍ، وهو القَسَمُ، فاعِلُ عَقَدَتْ، والمفعول مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: عُهُودُهُمْ.

﴿فَاتَوْهُمْ﴾: فَأَعْطَوْهُمْ.

﴿نَصِيْبُهُمْ﴾: حَظُّهُمْ من هذا العَهْدِ بالنُّصْرَةِ والوَلَاءِ.

﴿شَهِيدًا﴾: عَالِمًا رَقِيبًا.

ب- المعنى الإجمالي:

يُخْبِرُ اللهُ -جل ذكره- أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ أَحَدٍ وَرَثَةً يَرِثُونَ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ، لِأَنَّهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ، فَأَمَّا الَّذِينَ بَيْنَهُمْ مُعَاهِدٌ فَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ المُعَاهِدُونَ، وَلَكِنْ يُعْطَوْنَ نَصِيبَهُمْ مِنَ النُّصْرَةِ والوَلَاءِ، فَكَأَنَّ الآيَةَ قَسَمَتِ النَّاسَ إِلَى قِسْمَيْنِ: مَوَالِي يَرِثُونَ مِمَّا تَرَكَ آبَاؤُهُمْ وَأُمَّهَاتُهُمْ وَأَقَارِبُهُمْ، والقسم الثاني: حُلَفَاءُ لَهُمْ عُهُودُهُمْ وما يَفْتَضِيهِ مِنَ النُّصْرَةِ والوَلَاءِ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ السِّرُّ فِي دُخُولِ الفَاءِ فِي الحَبْرِ كَأَنَّ التَّقْدِيرَ: وَأَمَّا الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانَكُمْ فَاتَوْهُمْ.

ويختتم اللهُ تَعَالَى الآيَةَ بِبَيَانِ عُمُومِ شَهَادَتِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ تَحْذِيرًا من مَخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَخِيَانَةِ عَهْدِهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ:

١- أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الإِرْثِ القَرَابَةَ.

٢- أَنَّ لا تَوَارِثَ بالأَخْلَافِ.

- ٣- وَجُوبُ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ.
- ٤- عُمُومُ شَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.
- ٥- التَّحْذِيرُ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَخِيَانَةِ الْعُهُودِ.

تَنْبِيْهٌ:

ذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ فِي الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى الْإِرْثِ بِالتَّحَالُفِ، وَأَنَّهَا نُسِخَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتِ أَيْمَنُكُمْ﴾ مَعْطُوفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿الْوَالِدَانَ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، وَكَانَ نَصِيبُ الْحَلِيفِ السُّدُسَ فَنُسِخَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَا ذَكَرْنَاهُ هُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ وَهُوَ الصَّوَابُ، لِأَنَّهُ مَتَى أَمَكَّنَ إِبْقَاءُ الْآيَةِ مُحْكَمَةً فَهُوَ أَوْلَىٰ.

الآية الثانية:

٣٤٥- ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أُولِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿[الأحزاب: ٦].

تفسير الآية رقم ٣٤٥:

أ- تفسير الكلمات:

﴿النَّبِيُّ﴾: أصله: النبيء من النبيا، وهو: الخبر، أي: الذي أنبأه الله بالوحي، والمراد به هنا: محمدٌ صلى الله عليه وسلم.

﴿أَوْلَىٰ﴾: أقوم وولاية وأحسن رعاية.

﴿أُمَّهَاتُهُمْ﴾: كأمهاتهم في الشفقة عليهم، وفي احترامهم منهم.

﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ أصحاب القرابات.

﴿أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: أحق ببعض من غيرهم.

﴿كِتَابِ اللَّهِ﴾: مكتوب الله، أي: حكمه.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾: متعلق بأولي، وهذا هو المفضل عليه، أي:

أن أولي الأرحام بعضهم ببعض أولى من المؤمنين والمهاجرين، والمراد بالمهاجرين هنا: المهاجرون من مكة الذين آخى النبي ﷺ بينهم وبين الأنصار.

﴿تَفْعَلُوا﴾: تصنعوا وتوصلوا.

﴿مَعْرُوفًا﴾: براء وإحساناً.

﴿ذَلِكَ﴾ : أي: الحُكْمُ بأَوْلِيَّةِ أُولَى الْأَرْحَامِ.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ : أي: اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ.

﴿مَسْطُورًا﴾ : مَكْتُوبًا.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَنَّ أَرْوَاجَهُ الطَّاهِرَاتِ بِمَنْزِلَةِ أُمَّهَاتِهِمْ فِي الشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ، وَوُجُوبِ احْتِرَامِهِنَّ وَتَعْظِيمِهِنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

ثم يُخْبِرُ تَعَالَى بِأَنَّ الْقَرَابَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ، الَّذِينَ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ وَلايَةٌ فِي أَوَّلِ الْهِجْرَةِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى رَغَبَ فِي إِسْدَاءِ الْمَعْرُوفِ إِلَى أَوْلِيَّكَ الْأَوْلِيَاءِ.

ثم يَبَيِّنُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ كَانَ ثَابِتًا مُسْتَقَرًّا فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، الَّذِي كَتَبَ اللهُ فِيهِ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

١- عِظَمُ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

٢- وَجُوبُ تَقْدِيمِ مَحَبَّتِهِ ﷺ عَلَى النَّفْسِ.

٣- وَجُوبُ تَقْدِيمِ طَاعَتِهِ عَلَى هَوَى النَّفْسِ.

٤- عِظَمُ حَقِّهِ ﷺ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْ حَقِّهِ عَلَيْهِمْ سُلُوكُ التَّأَدُّبِ مَعَهُ، بِحَيْثُ

لَا يَقَعُونَ فِيهَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الْغُلُوفِ فِيهِ وَفِي شَرِيعَتِهِ، وَأَنْ لَا يُدْخِلُوا فِي دِينِهِ

مَا لَيْسَ مِنْهُ مِنَ الْإِبْتِدَاعِ.

- ٥- شَفَقَةُ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.
- ٦- وَجُوبُ احْتِرَامِهِنَّ وَتَعْظِيمِهِنَّ بِمَا يَلِيْقُ بِهِنَّ.
- ٧- أَنَّ الْقَرَابَةَ مِنْ أَسْبَابِ الْإِرْثِ.
- ٨- أَنَّ لَا تَوَارِثَ بِالْأَخْلَافِ وَالْمُؤَاخَاةِ، وَهَذِهِ وَالَّتِي قَبْلَهَا مَحَلُّ الْأُسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٩- التَّرْغِيبُ فِي صِلَةِ مَنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَآيَةٌ.
- ١٠- إِثْبَاتُ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَالكِتَابَةِ فِيهِ.
- ١١- أَنَّ الْمَكْتُوبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لَا يَتَغَيَّرُ.

الآية الثالثة:

٣٤٦- ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: [النساء: ٧].

تفسير الآية الثالثة:

أ- تفسير الكلمات:

﴿لِّلرِّجَالِ﴾: للذكور البالغين أو البالغين وغيرهم.

﴿نَصِيبٌ﴾: قِسْطٌ.

﴿مِّمَّا تَرَكَ﴾: مما خَلَفَ بَعْدَ الموت.

﴿الْوَالِدَانِ﴾: الأبُّ والأمُّ.

﴿وَالْأَقْرَبُونَ﴾: القرابة الأَدْنَوْنَ.

﴿وَلِلنِّسَاءِ﴾: للإناث، وهو جمعٌ لا مُفْرَدَ له من لَفْظِهِ.

﴿مِّمَّا قَلَّ﴾: بَدَلٌ من قَوْلِهِ: مِمَّا تَرَكَ.

﴿مِنْهُ﴾: أَي: مِنَ الْمَتْرُوكِ.

﴿نَصِيبًا﴾: حَالٌ مِنَ (نَصِيبٍ) مَوْطِئَةٌ لما بَعْدَهَا.

﴿مَّفْرُوضًا﴾: مَقْطُوعًا بِهِ، وَالْمَفْرُوضُ ما تَحْتَمَّ فَعْلُهُ.

ب- المعنى الإجمالي:

ذَكَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُورَثُونَ إِلَّا الرِّجَالَ الْبَالِغِينَ يَقُولُونَ: لَا يَرِثُ إِلَّا مَنْ يَرْكَبُ الْفَرَسَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيَنْكأُ الْعَدُوَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ مُبَيِّنًا وَمُثَبِّتًا

أَنْ لِكُلِّ مِنَ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ نَصِيبًا مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، سِوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْمَتْرُوكُ قَلِيلًا أَمْ كَثِيرًا، وَأَنْ هَذَا النَّصِيبَ نَصِيبٌ مَفْرُوضٌ، الْعَمَلُ بِهِ لَا مَحِيدَ عَنْهُ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- أَنَّ الْقَرَابَةَ مِنْ أَسْبَابِ الْإِرْثِ.
- ٢- أَنَّ لِلنِّسَاءِ حَقًّا فِي الْمِيرَاثِ كَمَا لِلرِّجَالِ.
- ٣- أَنَّ حَقَّ الْوَارِثِ ثَابِتٌ فِي الْمَالِ قَلَّ أَمْ كَثُرَ.
- ٤- وَجُوبُ إِصَالِ الْمَوَارِيثِ إِلَى أَهْلِهَا.
- ٥- أَنَّ تَعَلُّمَ الْفَرَائِضِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ، لِأَنَّهُ وَسِيلَةٌ إِصَالِ الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ إِلَى مُسْتَحِقِّيهَا.

النوع الثاني

الآية الأولى إلى الخامسة:

٣٤٧-٣٥٠- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بُوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَاللَّاءِ أَوْ أَمْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٣﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٥﴾ [النساء: ١١-١٤].

النوع الثاني: في ميراث ذوي الفروض والعصبة.

تفسير الآيات رقم ٣٤٧ - ٣٥٠ :

أ- تفسيرُ الكلماتِ :

﴿يُوصِيكُمُ﴾ : يَعْهَدُ إِلَيْكُمْ .

﴿أَوْلَادِكُمْ﴾ : بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ .

﴿لِلذَّكَرِ﴾ : لِلرِّجَالِ .

﴿حَظًّا﴾ : نَصِيبًا .

﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ : أَي : الْإِنَاثُ الْوَارِثَاتُ .

﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ : أَي : زَائِدَاتٍ عَلَى اثْنَتَيْنِ .

﴿مَا تَرَكَ﴾ : مَا خَلَّفَ بَعْدَ مَوْتِهِ .

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ : أَي : الْإِنَاثُ الْوَارِثَةُ .

﴿وَلِأَبْوَيْهِ﴾ : أَي : أَبِيهِ وَوَالِدَتِهِ .

لجانِبِ الذَّكَورَةِ .

﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ : بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ : لِأَبْوَيْهِ بِإِعَادَةِ حَرْفِ الْجَرِّ ، وَهُوَ تَفْصِيلٌ

بَعْدَ إِجْمَالٍ .

﴿السُّدُسِ﴾ : وَاحِدٌ مِنْ سِتَّةٍ .

﴿وَلَدًا﴾ : ابْنٌ أَوْ بِنْتٌ .

﴿وَوَارِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ : الْجُمْلَةُ حَالِيَةً تُفِيدُ تَقْيِيدَ الْحُكْمِ بِهَا .

﴿إِخْوَةٌ﴾: نَكَرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ فَتَعْمُّ الْأَشْقَاءَ وَالْأَبَّ الْأُمَّ وَالْوَارِثِينَ
وغيرهم، والمراد بالجمع هنا: ما فوق الواحد، لأن تلك طريقة الفرائض.

﴿وَصِيَّةٍ يُوصَى﴾: عَهْدٌ يَعْهَدُ بِهِ الْمَيِّتُ بِالتَّبَرُّعِ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

﴿دَيْنٍ﴾: حَقٌّ مَالِيٌّ فِي الذَّمَّةِ.

﴿لَا تَدْرُونَ﴾: لَا تَعْلَمُونَ.

﴿فَرِيضَةً﴾: أَي: مَفْرُوضَةً، وَالْمَفْرُوضُ مَا تَحْتَمُّ فِعْلُهُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: جَمَلَةٌ اسْتِنَافِيَّةٌ لِتَعْلِيلِ مَا سَبَقَ وَقَطْعِ كُلِّ إِيرَادٍ.
العليمُ: الْمُحِيطُ بِالشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ. الْحَكِيمُ: ذُو الْحُكْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَهِيَ: وَضْعُ
الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ.

﴿وَلَكُمْ﴾: أَي: أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ الذُّكُورُ.

﴿وَلَهُنَّ﴾: أَي: الزَّوْجَاتُ.

﴿يُورَثُ﴾: يُخْلَفُ فِي مَالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

﴿كَلَالَةٌ﴾: حَالٌ مِنْ نَائِبِ الْفَاعِلِ فِي قَوْلِهِ: يورث، وَالْكَالَةُ: مَا أَحَاطَ

بِالشَّيْءِ مِنْ جَوَانِبِهِ. وَالمراد هنا: حَوَاشِي الْمَيِّتِ مِنْ إِخْوَةٍ وَأَعْمَامٍ وَإِنْ نَزَلُوا.

﴿أَوْ أَمْرَأَةً﴾: بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: رَجُلٌ.

﴿وَلَهُنَّ﴾: أَي: لِلْمُورِثِ كَلَالَةٌ.

﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾: أَي: مِنْ أُمَّ.

﴿ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ﴾ : أي: مِنْ أَخٍ أَوْ أُخْتٍ، وهما: الاثنانِ فَمَا فَوْقَ ذُكُورًا أَمْ إِنَاثًا
من الصَّنْفَيْنِ.

﴿ يُوَصِّي بِهَا ﴾ : يَعْهَدُ بِهَا مِنَ الْمَيْتِ عَلَى قِرَاءَةِ فَتْحِ الصَّادِ، أَوْ يَعْهَدُ بِهَا مِنَ الْمَيْتِ
عَلَى قِرَاءَةِ كَسْرِهَا، وَهِيَ أَنْسَبُ بِهَا بَعْدَهَا.

﴿ غَيْرَ مُضَاكِرٍ ﴾ : غَيْرَ مُوقِعِ الضَّرَرَ عَلَى الْوَرَثَةِ بِمَا أَوْصَى بِهِ، أَوْ تَحَمَّلَهُ مِنْ
دَيْنٍ، وَهِيَ حَالٌ مِنَ فَاعِلٍ: يُوَصِّي.

﴿ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ ﴾ : عَهْدًا مِنْهُ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ عَامِلُهُ مَحذُوفٌ،
والتَّقْدِيرُ: نُوصِيكُمْ وَصِيَّةً.

﴿ حَلِيمٌ ﴾ : ذُو حِلْمٍ، وَالْحِلْمُ: الْفُسْحَةُ فِي الْعُقُوبَةِ.

﴿ تِلْكَ ﴾ : أَي: الْقِسْمَةُ الْمَذْكُورَةَ لِلْوَارِثِينَ.

﴿ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ : شَرَائِعُ اللَّهِ الَّتِي حَدَّدَهَا، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقُصُ.

﴿ يُطِيعُ اللَّهَ ﴾ : يَنْقُدُ لَشَرْعِهِ بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿ جَنَّاتٍ ﴾ : جَمْعُ جَنَّةٍ، وَهِيَ دَارُ النَّعِيمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
سُمِّيَتْ بِهِ لِكثْرَةِ أَشْجَارِهَا.

﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ : أَي: مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَخِيَامِهَا وَأَشْجَارِهَا.

﴿ الْأَنْهَارُ ﴾ : جَمْعُ نَهْرٍ، وَهُوَ الْمَاءُ الْكَثِيرُ الْجَارِي، وَأَنْهَارُ الْجَنَّةِ أَرْبَعَةٌ أَنْوَاعٍ:
مَاءٌ، وَلَبَنٌ، وَخَمْرٌ، وَعَسَلٌ كَامِلَةٌ لَا عَيْبَ فِيهَا.

﴿ خَالِدِينَ ﴾ : مَا كَثِيرِينَ.

﴿الْفَوْزُ﴾: إِذْرَاكَ الْمَطْلُوبِ.

﴿يَعْصِ اللَّهَ﴾: يَخَالِفُهُ فَلَا يَنْقَادُ لَشَرْعِهِ.

﴿وَيَتَعَدَّ﴾: يَتَجَاوِزُ.

﴿عَذَابٌ﴾: عُقُوبَةٌ.

﴿مُهِيتٌ﴾: ذُو إِهَانَةٍ وَإِذْلَالٍ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مِيرَاثَ أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنَ الْوَرَثَةِ:

الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْإِخْوَةَ مِنَ الْأُمِّ:

أَمَّا الْفُرُوعُ فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ حَالِينَ:

الْأَوْلَى: أَنْ يَكُونُوا ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَلَمْ يُقَدَّرْ لَهُمْ مِيرَاثًا إِلَّا أَنْ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ

الْإُنثِيِّينَ.

الثَّانِيَّةُ: أَنْ يَكُونُوا إِنَاثًا فَقَطْ، فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مِيرَاثَ الْوَاحِدَةِ بِالنِّصْفِ وَمَا زَادَ عَلَى الثَّانِيَةِ بِالثُّلُثَيْنِ، وَلَمْ يُقَدَّرْ لِلثَّانِيَةِ شَيْئًا، لَكِنْ جَاءَتِ السُّنَّةُ بِإِزْهِمِ الثُّلُثَيْنِ، وَهُوَ مُقْتَضَى قَاعِدَةِ الْفَرَائِضِ كَمَا فِي مِيرَاثِ الْأَخْوَاتِ لِغَيْرِ أُمَّ وَالْأَخْوَةَ مِنَ الْأُمِّ، فَإِنْ مِيرَاثَ الْعَدَدِ مِنْ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا عَلَى حَدِّ سِوَاءِ.

وَتَمَّتْ حَالٌ ثَالِثَةٌ لِلْفُرُوعِ، وَهِيَ: أَنْ يَكُونُوا ذُكُورًا فَقَطْ، وَلَمْ يَذْكَرْهَا اللَّهُ

تَعَالَى صَرِيحًا فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يَرِثُونَ بِالسُّوِيَّةِ بَدُونَ تَقْدِيرِ.

وَأَمَّا الْأُصُولُ فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَبْوَيْنِ فِيهَا ثَلَاثَ حَالَاتٍ:

الأولى: أن يكونَ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى، فَمِيرَاثُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَبْوَانِ السَّدُسُ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ إِنْ بَقِيَ شَيْءٌ بَعْدَ الْفُرُوضِ أَخَذَهُ الْأَبُّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْأَوْلَادِ ذَكَرٌ.

الحال الثانية: أَنْ يَنْفَرِدَ الْأَبْوَانُ بِمِيرَاثِ الْمَيِّتِ وَلَيْسَ لَهُ إِخْوَةٌ، فَمِيرَاثُ الْأُمِّ الثُّلُثُ وَالْبَاقِي لِلْأَبِّ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ مِيرَاثَ الْأُمِّ فِي هَذِهِ الْحَالِ بِالثُّلُثِ، وَلَمْ يُقَدِّرْ لِلْأَبِّ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لَهُ الْبَاقِي.

الحال الثالثة: أَنْ يَنْفَرِدَ الْأَبْوَانُ بِمِيرَاثِ الْمَيِّتِ وَلَهُ إِخْوَةٌ اثْنَانِ فَصَاعِدًا، فَلِلْأُمِّ السَّدُسُ وَالْبَاقِي لِلْأَبِّ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَطَفَ وَجُودَ الْإِخْوَةِ بِالْفَاءِ، فَدَلَّ عَلَى بِنَائِهِ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْ انْفِرَادِ الْأَبْوَانِ بِالْمِيرَاثِ.

وَأَمَّا الْأَزْوَاجُ فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ لِلزَّوْجِ حَالَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنْ يَرِثَ نِصْفَ مَا خَلَفَتْهُ زَوْجَتُهُ، وَذَلِكَ فِيهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى مِنْهُ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يَرِثَ رُبْعَ مَا خَلَفَتْهُ، وَذَلِكَ فِيهَا إِذَا كَانَ لَهَا وَلَدٌ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى مِنْهُ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ.

وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِلزَّوْجَةِ (١) حَالَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنْ تَرِثَ رُبْعَ مَا خَلَفَهُ زَوْجُهَا، وَذَلِكَ فِيهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى مِنْهَا أَوْ مِنْ غَيْرِهَا.

(١) الْأَفْصَحُ أَنْ يُقَالَ فِي الْمَرْأَةِ أَيْضًا: الزَّوْجُ بِدُونِ تَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَاةٌ مِمَّا أَتَى عَلَيْكَ وَأَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةُ﴾ [الأعراف: ١٩]، لَكِنِ الْعُلَمَاءُ اسْتَعْمَلُوهَا فِي الْفَرَائِضِ بِالتَّاءِ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ لِلتَّصَوُّرِ، لِأَنَّ خُلُوقَهَا مِنَ التَّاءِ لَا يَعْرِفُ بِهِ الْمُرَادَ إِلَّا بِقَرِينَةٍ. [المؤلف]

الثانية: أن تَرِثَ تُمَنَ ما خَلَفَهُ، وذلك فِيما إذا كان له وَلَدٌ ذَكَرٌ أو أنثى منها أو من غيرها.

وأما الإخوة من الأُمَّ فذكر الله تعالى أنهم إنما يَرِثُونَ في الكِلالةِ، وهي: أن لا يَكُونَ لِلْمَيِّتِ أَوْلَادٌ^(١) لا ذكور ولا إناث ولا آباء وأن لهم حالين:

الأولى: أن يكونَ واحداً فَقَطْ فَميراثُهُ السُّدُسُ سواء كان ذَكَرًا أم أنثى.

الثانية: أن يَكُونُوا اثْنين فأكثر فَميراثُهُمُ الثُّلُثُ، الذكر والأنثى فيه سواء لا يُفْضَلُ الذَّكَرُ على الأنثى.

ثم بيّن الله تعالى أن الميراث لا يكون إلا من بَعْدِ الوَصِيَّةِ والذَّيْنِ، وبدأ بالوصية وإن كان الذَّيْنُ مُقَدِّمًا عليها لِيَهْتَمَّ بها الميِّتُ والورثةُ من بَعْدِهِ حيث لا مُطالِبَ بها، وأما الذَّيْنُ فهم وإن قَصَّروا فيه فَلَهُ مُطالِبٌ بِهِ، ثُمَّ اشترط الله تعالى في الذَّيْنِ والوصية أن يكون الميِّتُ غَيْرَ مُضارٍّ، وذلك بأن لا يَقْصِدَ بهما إِضْرارَ الورثةِ، وذكر الله تعالى هذا الشَّرْطَ في إِرْثِ قرابة الإخوة من الأم دون إِرْثِ الأصول والفروع، لأن الغالب أن الميِّتَ لا يَقْصِدُ الإضْرارَ بأصوله وفُرُوعِهِ.

وبيّن الله تعالى أن هذه الموارِثُ فَرِيضَةٌ وَوَصِيَّةٌ مِنْهُ، صادرةٌ عَنِ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ، وأن المرءَ لا يَدْرِي أي أَقارِبِهِ أَقْرَبُ له نَفْعًا أبائِهِ أو أَبنائِهِ.

وبيّن الله تعالى أن هَذِهِ القِسْمَةَ بَيْنَ الوارِثِينَ حُدُودُهُ، وأن من أَطاعَ اللهَ ورَسولَهُ والتَزَمَ تلكَ الحُدُودِ فَارَ بِجَناتٍ تَجْرِي من تحتها الأنهار خالداً فيها، وأن

(١) المراد بالأولاد هنا وفي كل موضع ذَكَرَتْ: الذكور والإناث من أولاد الصُّلبِ، وأولاد الأبناء، وأن نزلوا دون أولاد البنات. [المؤلف]

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَعْدِلُهُ أَي فَوْزٍ فِي الدُّنْيَا، أَمَّا مَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ وَتَعَدَّى حُدُودَهُ فَقَدْ تَوَعَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُدْخِلَهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا فِي عَذَابٍ وَذُلٍّ وَهَوَانٍ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- أَنْ اللَّهَ تَعَالَى أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنْ أَبِيهِ لِقَوْلِهِ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ .
- ٢- أَنْ مِيرَاثَ الْأَوْلَادِ إِذَا كَانُوا ذُكُورًا وَإِنَاثًا بِالتَّعْصِيبِ، لِلذَّكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ.
- ٣- أَنْ مِيرَاثَ الْبَنَاتِ الْوَاحِدَةِ النِّصْفُ، وَالثَّانِيَيْنِ فَأَكْثَرُ الثَّلَاثَانِ^(١) .
- ٤- أَنْ مِيرَاثَ الْأُمِّ السُّدُسَ، إِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ وَكَوْنُهُ أَوْ عَدَدُ مِنَ الْإِخْوَةِ ذُكُورًا كَانُوا أُمَّ إِنْثَاءً.
- ٥- أَنْ مِيرَاثَهَا الثُّلُثُ إِذَا انْفَرَدَتْ بِالْمِيرَاثِ مَعَ الْأَبِّ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ عَدَدٌ مِنَ الْإِخْوَةِ.
- ٦- أَنْ مِيرَاثَ الْأَبِّ السُّدُسَ إِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ وَكَوْنُهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، وَيَرِثُ بِالتَّعْصِيبِ أَيْضًا إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ وَكَوْنُهُ ذَكَرًا.
- ٧- أَنْ الْأَبَّ يَرِثُ بِالتَّعْصِيبِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ.

(١) وَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ لِلثَّانِيَيْنِ الثَّلَاثِينَ: أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فَرَضَ لِلوَاحِدَةِ النِّصْفَ، وَلِلزَّوْجَيْنِ عَلَى الثَّانِيَيْنِ الثَّلَاثِينَ، وَلَيْسَ بَيْنَ النِّصْفِ وَالثَّلَاثِينَ فَرْصٌ فَجَعَلَهُ لِلثَّانِيَيْنِ، وَإِلْحَاقَ الثَّانِيَيْنِ بِمَا زَادَ عَلَيْهِمَا أَوْلَى مِنْ إِلْحَاقِهِمَا بِالوَاحِدَةِ، لِأَنَّهُ نَصَّ الْقُرْآنُ فِي الْأَخْتَيْنِ لِعَمِّ أُمَّ وَابْنَتَانِ أَوْلَى بِالْمَيِّتِ. [المؤلف]

وبهذا استكمل الأب الأحوال الثلاث حيث يرث بالفرض فقط حيث يكون للميت ولد ذكراً، وبالتعصيب فقط حيث لا يكون للميت ولد، وبالفرض والتعصيب حيث يكون ولد الميت إنثاء فقط.

٨- أن الزوج يرث من زوجته النصف إذا لم يكن لها ولد، والرُّبع إن كان لها ولد.

٩- أن الزوجة ترث من زوجها الربع إذا لم يكن له ولد، والثلث إن كان له ولد.

١٠- أن التوارث بين الزوجين يثبت بمجرد العقد الصحيح، وإن لم يحصل لقاء لأن الزوجية تحصل بدونه.

١١- أن التوارث بين الزوجين ينقطع بالبينونة، إما بتام العدة إن كان الفراق بطلاق رجعي، وإما بمجرد الفراق إن كان بغير طلاق رجعي.

١٢- أنه لا ميراث للإخوة من الأم مع وجود أحد من الأولاد ذكورا أو إنثاء، ولا مع وجود أحد من الآباء.

١٣- أن ميراث الواحد من الإخوة لأم السُدس، والاثنتين فأكثر الثلث، والذكور والإناث سواء.

١٤- أنه لا ميراث بالتعصيب للإخوة من الأم.

١٥- أن الوصية والدين مقدَّمان على الإرث، ويُقدَّم الدين على الوصية بإجماع أهل العلم.

١٦- بطلان الوصية والإقرار المتضمنين للمضارة بالوارث، وهما ما زاد على الثلث إذا اتهم الميت بما أقر به.

- ١٧- تحريم الوصية للوارث، لأنها من تعدّي حدود الله تعالى.
- ١٨- قُصُورُ عِلْمِ الْإِنْسَانِ بَحَيْثُ لَا يَدْرِي مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ نَفْعًا حَتَّى فِي آبَائِهِ وَأَبْنَائِهِ.
- ١٩- إِبْثَاتُ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْحُكْمِ لِلَّهِ تَعَالَى.
- ٢٠- أَنْ قِسْمَةَ الْمَوَارِيثِ بَيْنَ أَهْلِهَا صَادِرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ كِمَالِ الْعِلْمِ وَالْحُكْمِ وَالْحِكْمَةِ، فَلَا قِسْمَ أَعْدَلُ مِنْهُ وَأَوْجِبُ.
- ٢١- أَنْ قِسْمَةَ الْمَوَارِيثِ بَيْنَ أَهْلِهَا مِنْ شَرَائِعِ اللَّهِ الَّتِي حَدَدَهَا لِعِبَادِهِ، فَلَا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ فِيهَا وَلَا النِّقْصُ.
- ٢٢- التَّرْغِيبُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.
- ٢٣- أَنْ ثَوَابَ الطَّائِعِينَ الْخُلُودُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.
- ٢٤- التَّرْهيبُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَعْدِي حُدُودِهِ.
- ٢٥- أَنْ جَزَاءَ ذَلِكَ دُخُولُ النَّارِ وَالْخُلُودُ فِيهَا وَالْعَذَابُ الْمُهِينُ.

تَمَّةٌ:

ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ وَانْفَرَدَ أَبَوَاهُ بِإِرْثِهِ كَانَ لِأُمِّهِ الثَّلْثُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ إِخْوَةٌ فَيَكُونُ لَهَا السُّدُسُ، وَظَاهِرُهُ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَنْفَرِدْ أَبَوَاهُ بِإِرْثِهِ تَغَيَّرَ الْحُكْمُ، وَهُوَ كَذَلِكَ وَلَهُ صَوْرَتَانِ:

١- هَلَكَ رَجُلٌ عَنْ زَوْجَةٍ وَأُمٍّ وَأَبٍ.

٢- هَلَكْتَ امْرَأَةٌ عَنْ زَوْجٍ وَأُمٍّ وَأَبٍ.

وَتُسَمَّى هَاتَانِ: الْعُمَرَيَّتَيْنِ، وَالرَّاجِحُ فِي قِسْمَتَيْهِمَا كَمَا يَلِي:

١- الصُّورَةُ الْأُولَى مِنْ أَرْبَعَةٍ: لِلزَّوْجَةِ الرَّبْعُ: وَاحِدٌ، وَلِلْأُمِّ ثُلُثُ الْبَاقِي:

وَاحِدٌ، وَلِلْأَبِ الْبَاقِي.

٢- الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ سِتَّةٍ: لِلزَّوْجِ النِّصْفُ: ثَلَاثَةٌ، وَلِلْأُمِّ ثُلُثُ الْبَاقِي:

وَاحِدٌ، وَلِلْأَبِ الْبَاقِي.

وَهَذِهِ الْقِسْمَةُ لَا تُنَافِي الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا جَعَلَ لِلْأُمِّ الثَّلْثَ فِيهَا إِذَا انْفَرَدَ الْأَبْوَانِ بِالْمِيرَاثِ وَلَمْ يَكُنْ لِلْمَيْتِ إِخْوَةٌ، وَفِي هَاتَيْنِ الصُّورَتَيْنِ لَمْ يَنْفَرِدَا بِالْإِرْثِ بَلْ شَارَكَهُمَا أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ، وَانْفَرَدَا بِمَا بَقِيَ بَعْدَ فَرَضِهِ، فَيَكُونُ لِلْأُمِّ ثُلُثُهُ كَمَا لَوْ انْفَرَدَا بِجَمِيعِ الْمَالِ فَإِنَّ لَهُ ثُلُثَهُ.

الآية الخامسة:

٣٥١- ﴿سَتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ* بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

تفسير الآية رقم ٣٥١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿سَتَفْتُونَكَ﴾: يَطْلُبُونَ مِنْكَ الْفَتْوَى وهي: الإخبارُ عن الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، والخطابُ للنَّبِيِّ ﷺ من الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -.

﴿فِي الْكَلَالَةِ﴾: مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿يُفْتِيكُمْ﴾، وَحُذِفَتْ مِنَ الْأَوَّلِ لِدَلَالَةِ الثَّانِيَةِ عَلَيْهَا، وَسَبَقَ مَعْنَى الْكَلَالَةِ.

﴿إِنْ أَمْرًا﴾: إِنْ رَجُلٌ، وَهُوَ فَاعِلٌ بِفِعْلِ مَحذُوفٍ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ، وَإِنْ شَرْطِيَّةٌ. ﴿هَلَكَ﴾: مَاتَ.

﴿وَلَدٌ﴾: ابْنٌ أَوْ بِنْتُ.

﴿أُخْتٌ﴾: الْمَرَادُ: أُخْتُ شَقِيْقَةٍ أَوْ لِأَبٍ.

﴿يَرِثُهَا﴾: يَخْلُفُهَا فِيمَا تَرَكَتْ فِيرِثُ جَمِيعَ مَا لَهَا.

﴿رِجَالًا وَنِسَاءً﴾: مَنْصُوبَانِ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ: إِخْوَةٌ.

﴿بَيْنَ اللَّهِ﴾: يُظْهِرُ وَيُوضِّحُ، وَمَنْعُوعُلُهُ مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: الْحُكْمُ.

﴿أَنْ تَضَلُّوا﴾: مَفْعُولٌ لَهُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَالتَّقْدِيرُ: كَرَاهَةٌ أَنْ تَضَلُّوا،
أَي: كَرَاهَةٌ ضَلَالِكُمْ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِيرَاثَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخْوَاتِ لِغَيْرِ أُمَّ، وَقَدْ
كَانَ الصَّحَابَةُ اسْتَفْتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا مِيرَاثَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخْوَاتِ
مِنَ الْأُمِّ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِفَتْوَى اللهِ فِيهَا عَلَى
وَجْهِ الْبَيَانِ التَّامِّ بِمَا ذَكَرَ فِي صُورَتَيْهَا وَهِيَ:

أ- أَنْ يَمُوتَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ عَنْ أُخْتٍ شَقِيقَةٍ أَوْ لِأَبٍ، فَتَرِثُ نِصْفَ
مَا تَرَكَ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ وَالِدٌ أَيْضًا، إِذْ لَوْ كَانَ لَهُ وَالِدٌ^(١) مَا وَرِثَتْ أُخْتُهُ
النِّصْفَ.

ب- أَنْ تَمُوتَ امْرَأَةٌ لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ عَنْ أُخِيهَا الشَّقِيقِ أَوْ لِأَبٍ، فَيَرِثُهَا جَمِيعُ
مَا خَلَّفَتْ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهَا لَا وَالِدَ لَهَا، إِذْ لَوْ كَانَ لَهَا وَالِدٌ لَمْ يَرِثُهَا أَحْوَاهَا.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْوَارِثُ أُخْتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثَانُ، وَأَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ
إِخْوَةٌ وَأَخْوَاتٌ وَرِثُوا بِالتَّعْصِيبِ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حِظِّ الْأُنثِيَّيْنِ.

وَبِهَذَا تَبَيَّنَ أَنَّ مِيرَاثَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخْوَاتِ لِغَيْرِ أُمَّ يَكُونُ بِالْفَرَضِ وَيَكُونُ
بِالتَّعْصِيبِ.

فَيَكُونُ بِالْفَرَضِ إِذَا كُنَّ إِنَاثًا خُلَصًّا لَيْسَ مَعَهُنَّ أُخٌ، لِلْوَاحِدَةِ النِّصْفِ وَلِلثَّانِيَّتَيْنِ
الثَّلَاثَانَ، وَلَا يَزِيدُ الْفَرَضُ عَنِ الثَّلَاثَيْنِ بِزِيَادَتِهِنَّ.

(١) المراد بالوالد الأب وأبوه وإن علا بمخصص الذكور. [المؤلف]

ويكون بالتعصيب إذا كانوا ذكورا خُلصًا أو ذكورا وإناثًا، وللذكر مثل حظ الأنثيين.

ثم بين الله تعالى رحمته بعباده بيان أحكامهم لهم ليكونوا على بصيرة في دينه ولا يضلوا عنه، ثم ختم الآية بيان علمه الشامل لكل شيء والمبني عليه أحكامه.

ج- من فوائد الآية:

- ١- حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على العلم.
- ٢- إثبات وصف الله تعالى بالإفتاء، وهي من الصفات الفعلية.
- ٣- أهمية المواريث، حيث كان الاستفتاء عنها للنبي ﷺ والفتوى من الله تعالى.
- ٤- أن ميراث الأخت الشقيقة أو التي لأب النصف إذا لم يكن للميت ولد ولا والد، وميراث الشتين الثلثان.
- ٥- أن الذكور من الإخوة لغير أم عصبية يرثون بالسوية إن كانوا ذكورا، وللذكر مثل حظ الأنثيين إن كان معهم إناث.
- ٦- أن العاصب إذا انفرد يرث المال كله.
- ٧- حكمه الله تعالى في تفضيل الذكر على الأنثى في التعصيب.
- ٨- أن الأصل في الإنسان الجهل في أحكام الله تعالى حتى يبينها له.
- ٩- نعمة الله تعالى على عباده ببيان أحكامهم لهم.
- ١٠- عموم علم الله تعالى بكل شيء.
- ١١- أن قسمة الله تعالى في المواريث صادرة عن علم تام.

تَمَّةٌ:

ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْأَخْوَاتِ لِغَيْرِ أُمَّ يَرْتُنَّ بِالْفَرَضِ حَيْثُ لَا يَكُونُ
 لِلْمَيِّتِ وَكَذَلِكَ وَالِدٌ، وَلَيْسَ مَعَهُنَّ مُعَصَّبٌ مِنْ إِخْوَتِهِنَّ، وَأَنْهَنَ مَعَ إِخْوَتِهِنَّ
 الْمَاهِلِينَ لَهِنَّ يَرْتُنَّ بِالتَّعْصِيبِ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حِظِّ الْأُنثِيَيْنِ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ أَنَّهِنَّ يَرْتُنَّ
 بِالتَّعْصِيبِ مَعَ ذَوَاتِ الْفَرَضِ مِنَ الْأَوْلَادِ وَأَوْلَادِ الْأَبْنَاءِ، فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
 عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ قَضَى فِي بِنْتِ وَبْنَتِ ابْنِ وَأَخْتِ: أَنَّ
 لِلْبِنْتِ النِّصْفَ وَلِبْنَتِ الْابْنِ السُّدُسُ تَكْمَلَةُ الثَّلَاثِينَ، وَمَا بَقِيَ فَلِأَخْتِ.

الآية السادسة إلى الحادية عشرة:

٣٥٦-٣٥٢ - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

[المؤمنون: ١٢-١٦].

تفسير الآيات رقم ٣٥٢ - ٣٥٦:

أ- تفسير الكلمات:

- ﴿وَلَقَدْ﴾: اللام مؤطّئة للقسم، وقد للتّحقيق، وعلى هذا فالجملة بعدها مؤكّدة بثلاثة مؤكّدات: القسم المقدر، واللام، وقد.
- ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجدنا على وجه التقدير والإبداع.
- ﴿الْإِنْسَانَ﴾: أي: جنس الإنسان، والمراد هنا آدم أبو البشر.
- ﴿سُلَالَةٍ﴾: شئءٌ مُسْلُولٌ.
- ﴿طِينٍ﴾: التُّرابُ المَبْلُولُ بالماء.
- ﴿جَعَلْنَاهُ﴾: صَيَّرْنَاهُ، والصَّيْرُ يُعَوِّدُ لِلْإِنْسَانِ بِاعْتِبَارِ الْجِنْسِ لَا الشَّخْصِ، لَأنَّهُ غَيْرُ الْمَخْلُوقِ مِنَ السُّلَالَةِ، والمراد: به بنو آدم.
- ﴿نُطْفَةً﴾: مَاءٌ صَافِيًا، والمُرَادُ: مَنِيُّ الرَّجُلِ.
- ﴿قَرَارٍ﴾: مُسْتَقَرٌّ، والمراد به: رَحِمُ الْمَرْأَةِ.

﴿مَكِينٍ﴾: حَرِيْزٍ، لَا يَصِلُ الْأَدَى إِلَى مَا فِيهِ.

﴿خَلَقْنَا النَّطْفَةَ﴾: صَيَّرْنَا بِخَلْقِنَا، وَالنَّطْفَةُ مَفْعُولٌ أَوَّلٌ لِقَوْلِهِ: خَلَقْنَا.

﴿عَلَقَةً﴾: دَمًا غَلِيظًا كَالْعَلَقَةِ يَعْلُقُ فِي جِدَارِ الرَّحْمِ.

﴿مُضْغَةً﴾: قِطْعَةً لَحْمٍ بِقَدْرِ مَا يُمَضَّغُ، أَي: يِعْلَقُ.

﴿عِظْمًا﴾: جَمْعُ عَظْمٍ، لِأَن فِي كُلِّ مِفْصَلٍ عِظْمًا.

﴿فَكَسَوْنَا﴾: أَلْبَسْنَا.

﴿أَنشَأْنَاهُ﴾: أَبْدَعْنَاهُ، أَي: الْإِنْسَانَ.

﴿ءَاخِرَ﴾: مُعَايِرٌ لِلخَلْقِ الْأَوَّلِ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ.

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾: كَثُرَتْ خَيْرَاتُهُ.

﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾: أَكْمَلَهُمْ، وَأَحْسَنُ مَرْفُوعٌ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الْفَاعِلِ أَوْ خَبَرٍ

مبتدأ محذوف.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: أَي: ذَلِكَ الْإِنشَاءِ وَالتَّطْوِيرِ.

﴿لَمَيِّتُونَ﴾: لِمَفَارَقَةِ أَرْوَاحِكُمْ لِأَبْدَانِكُمْ.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أَي: الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَسُمِّيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقيامِ النَّاسِ فِيهِ مِنْ

قُبُورِهِمْ وَقيامِ الْأَشْهَادِ وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ.

﴿تُبْعَثُونَ﴾: تُخْرَجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ أَحْيَاءً.

ب- المعنى الإجمالي:

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ ابْتِدَائِهِ إِلَى نِهَائِهِ حِينَ بَعَثَهُ، فَيُخْبِرُ -سُبْحَانَهُ- خَبْرًا مُؤَكَّدًا بِأَنَّهُ ابْتَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ خُلَاصَةِ الطِّينِ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ نُطْفَةً أَوْ دَعَا فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمُحَرَّزِ الْأَمِينِ، ثُمَّ طَوَّرَ -سُبْحَانَهُ- هَذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى عَلَقَةٍ، ثُمَّ مُضْغَةٍ، ثُمَّ عِظَامٍ، ثُمَّ كَسَا الْعِظَامَ لَحْمًا، فَلَمَّا تَكَامَلَ خَلْقُهُ وَكَانَ قَابِلًا لِحُلُولِ الرُّوحِ فِيهِ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، فَأَنْشَأَهُ إِنْشَاءً جَدِيدًا حَيْثُ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ جَمَادًا، ثُمَّ كَانَ إِنْسَانًا حَيًّا بِخَلْقِ اللهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.

ثم ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مَالَ الْإِنْسَانِ بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَهُوَ الْمَوْتُ، ثُمَّ الْبَعْثَ لِلْجِزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- أَنَّ ابْتِدَاءَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ.
- ٢- كُفْرٌ مِنْ قَالِ بِالْتَّطَوُّرِ وَالنُّشُوءِ النَّوْعِيِّ وَأَنَّ الْإِنْسَانَ أَصْلُهُ قِرْدٌ ثُمَّ تَطَوَّرَ، لِأَنَّ ذَلِكَ تَكْذِيبٌ لِحَبْرِ اللهِ الْمُؤَكَّدِ.
- ٣- كُفْرٌ مِنْ صَدَقَ بِهَذَا الْقَوْلِ أَوْ تَرَدَّدَ فِي تَكْذِيبِهِ، لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ تَكْذِيبُ حَبْرِ اللهِ تَعَالَى بِخَبْرِ غَيْرِهِ، أَوْ التَّرَدُّدُ فِي قَبُولِ خَبْرِ اللهِ تَعَالَى.
- ٤- بَيَانُ تَطَوُّرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ.
- ٥- حِكْمَةُ اللهِ تَعَالَى فِي التَّدْرِجِ فِي الْخَلْقِ، وَلَوْ شَاءَ لَأَتَمَّهُ بِلِحْظَةٍ.
- ٦- عِنَايَةُ اللهِ تَعَالَى بِالْإِنْسَانِ حَيْثُ حَفِظَهُ جَنِينًا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، ثُمَّ يَحْفَظُهُ حَالَ

حياته بعد خروجه بالملائكة ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، ثم يَحْفَظُهُ بعد موته: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

- ٧- أن الإنسان بعد نَفْخِ الرُّوحِ يَنْتَقِلُ إلى حال جَدِيدَةٍ مُّغَايِرَةٍ لِلْحَالِ الْأُولَى.
- ٨- أن الحَمَلَ يَرِثُ وَيُورِثُ إِذَا كَانَ موجودًا حين موت مُورِثِهِ، لأنَّ الله سَمَّاهُ إنسانًا، وَهَذِهِ مَحَلُّ الاستشهاد بالآيات.
- ٩- الثَّنَاءُ على الله تَعَالَى بِكَمَالِ خَلْقِهِ وَحُسْنِهِ.
- ١٠- أن الموت مَأَلُ الْإِنْسَانِ ثُمَّ الْبَعْثُ.
- ١١- إثباتُ الْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ١٢- كفر من أَنْكَرَ الْبَعْثَ، لأنَّ إنكَارَهُ تَكْذِيبٌ لِحَبْرِ الله تَعَالَى الْمُؤَكَّدِ.

الآية الثانية عشرة:

٣٥٧ - ﴿وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا...﴾ [البقرة: ٢٢٨].

تفسير الآية رقم ٣٥٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَيُعَوِّلُهُنَّ﴾: أزواجهن، والضمير يعود إلى الزوجات المطلقات.

﴿أَحَقُّ﴾: أولى وأثبت حقا.

﴿بِرَدِّهِنَّ﴾: بإرجاعهن إلى عصمة نكاحهن.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: أي: في زمن التربص المفهوم من أول الآية.

﴿إِنْ أَرَادُوا﴾: قصدوا بردهن.

﴿إِصْلَاحًا﴾: توفيقا بينهم وبينهن بإقامة الود والعشرة.

ب- المعنى الإجمالي:

ذكر الله تعالى أول الآية أن المطلقات يربصن بأنفسهن ثلاثة قروء، ثم بين هنا أن أزواجهن لهم الحق من غير معارض في ردهن إلى عصمة نكاحهن بشرط أن يريدوا بذلك الإصلاح، وهو التوفيق بينهم وبينهن، وهذا ما لم يكن الطلاق على عوض، أو آخر ثلاث تطليقات.

ج- من فوائد الآية:

١- أن المطلقة الرجعية زوجة ما دامت في العدة.

٢- أنها تَرِثُ مِنْ زَوْجِهَا وَيَرِثُهَا مَا دَامَتْ فِي الْعِدَّةِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْاِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.

٣- أَنْ لِزَوْجِهَا أَنْ يُرَاجِعَهَا، وَلَوْ كَرِهَتْ ذَلِكَ، أَوْ كَرِهَ أَوْلِيَاؤُهَا.

٤- أَنَّهُ لَا حَقَّ لَهُ فِي الْمُرَاجَعَةِ إِلَّا بِقَصْدِ الْإِصْلَاحِ.

مِنْ آيَاتِ الْعِتْقِ

من الآية الأولى إلى الحادية عشرة:

٣٥٨-٣٦٧- ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكَ رَقَبَةً ۝١٣﴾ أَوْ
 إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ ۝١٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُنَا هُمْ
 أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿[البلد: ١١-٢٠].

مِنْ آيَاتِ الْعِتْقِ

العتق: مَحْرُرُ الرَّقَبَةِ مِنَ الرَّقِّ وَمِلْكِيَّةِ الْغَيْرِ.

وهو من أَفْضَلِ الْقُرْبِ، وفي الصَّحِيحَيْنِ عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن
 النبي ﷺ قال: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ
 النَّارِ»^(١).

وفيها عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ
 أَشْيَاءَ كُنْتُ أَتَحَنَّنُ -أَتَعَبَّدُ- بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عِتَاقَةٍ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، فَهَلْ
 فِيهَا مِنْ أَجْرٍ؟ قَالَ: «أَسَلِمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري: كتاب كفارات الأيمان، باب قول الله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ وأي الرقاب

أزكى، رقم (٦٧١٥)، ومسلم: كتاب العتق، باب فضل العتق، رقم (١٥٠٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم، رقم (١٤٣٦)، ومسلم:

كتاب الإيثار، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده، رقم (١٢٣).

وَقَدْ حَتَّ الشَّرْعُ عَلَى الْعِتْقِ، وَجَعَلَ لَهُ أَسْبَابًا كَثِيرَةً شَرَعِيَّةً وَكُونِيَّةً؛ اخْتِيَارِيَّةً وَغَيْرِ اخْتِيَارِيَّةٍ.

فَجَعَلَهُ أَوَّلَ مَرْتَبَةٍ فِي كَفَّارَةِ قَتْلِ النَّفْسِ، وَالظَّهَارِ، وَالْجَمَاعِ فِي رَمَضَانَ.

وَإِذَا آتَتْ الْأُمَّةَ بَوْلِدٍ مِنْ سَيِّدِهَا عَتَقَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ.

وَإِذَا أَعْتَقَ نَصِيبُهُ مِنْ عَبْدٍ مُشْتَرَكٍ سَرَى الْعِتْقُ إِلَى بَاقِيَةٍ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ الشَّرَكَاءُ بِذَلِكَ، وَعَلَى الْمُعْتَقِ ضَمَانٌ حِصَصِ شُرَكَائِهِ فَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَمِنْ كَسْبِ الْعَتِيقِ.

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ رَقْم ٣٥٨ - ٣٦٧ :

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ :

﴿فَلَا﴾ : الْفَاءُ : عَاطِفَةٌ، وَلَا : نَافِيَةٌ.

﴿أَفْنَحَمَ﴾ : دَخَلَ فِي أَمْرٍ شَاقٍّ غَيْرٍ مُبَالٍ بِصُعُوبَتِهِ.

﴿الْعَقَبَةُ﴾ : الطَّرِيقُ الشَّاقُّ صُعُودُهُ فِي الْجَبَلِ.

﴿وَمَا﴾ : اسْمٌ اسْتِفْهَامٍ لِلتَّعْظِيمِ.

﴿أَدْرَبْنَاكَ﴾ : أَعْلَمْنَاكَ، وَالْخِطَابُ إِمَّا لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْ لِكُلِّ مَنْ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْخِطَابُ.

﴿فَكَ﴾ : إِطْلَاقٌ، وَهِيَ بِالرَّفْعِ خَبْرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ : هِيَ فَكَ رَقَبَةٌ.

وَالْمُرَادُ بِهِ : إِعْتَاقُهَا مِنَ الرَّقِّ أَوْ تَخْلِيصُهَا مِنَ الْمَلَكَةِ.

﴿ذِي مَسْعَبَةٍ﴾ : ذِي مَجَاعَةٍ.

﴿يَتِيمًا﴾ : مَفْعُولٌ بِهِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ قَوْلُهُ : إِطْعَامٌ، وَالْيَتِيمُ : مَنْ مَاتَ أَبُوهُ

وَهُوَ لَمْ يَبْلُغْ.

﴿ذَا مَرَبَةٍ﴾: صَاحِبَ قَرَابَةٍ.

﴿مَسْكِينًا﴾: فَقِيرًا.

﴿ذَا مَرَبَةٍ﴾: صَاحِبَ تُرَابٍ لَا يَجِدُ سِوَاهُ.

﴿ثُمَّ كَانَ﴾: أَي: الْفَاكُ وَالْمُطْعِمُ حِينَ فَكَّهِ وَإِطْعَامِهِ، وَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى

قوله: اقْتَحَمَ. وَالتَّرْتِيبُ ذِكْرِيٌّ لَا بِاعْتِبَارِ الْوَاقِعِ لَشَرْطِ سَبْقِ الْإِيمَانِ لَمَا ذَكَرَ قَبْلَهُ.

﴿ءَأْمَنُوا﴾: صَدَّقُوا بِمَا يَجِبُ تَصَدِيقُهُ مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِنْقِيَادِ.

﴿وَوَاصُوا﴾: أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

﴿بِالضَّرَبِ﴾: حَبَسَ النَّفْسَ بِتَحْمُلِ مَا يَجْرِي عَلَيْهَا مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ

وَالشَّرْعِيَّةِ.

﴿بِالرَّحْمَةِ﴾: رَحْمَةِ الْخَلْقِ.

﴿أَتَحَبُّ﴾: أَهْلٍ.

﴿أَلَيْمَنَةً﴾: مِنَ الْيَمِينِ لِأَنَّهُمْ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَيْمَانِهِمْ، أَوْ: مِنَ الْيَمِينِ

وَهُوَ الْبَرَكَةُ لِيُؤْتِيَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾: جَحَدُوا بِهَا تَكْذِيبًا، وَالْآيَاتُ: الْعَلَامَاتُ الدَّالَّةُ، شَرْعِيَّةٌ

كَانَتْ كَالْكَتُبِ الْمُنزَلَةِ، أَمْ كُونِيَّةٌ كَالْمَخْلُوقَاتِ.

﴿أَلَشَّمَمَةَ﴾: مِنَ الشَّمَالِ، لِأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ كُتُبَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشِمَائِلِهِمْ، أَوْ:

مِنَ الشُّؤْمِ، وَهُوَ: الْحَيِيَّةُ وَالْحُسْرَانُ لِشُّؤْمِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي.

﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾: مُطَبَّقَةٌ مُغْلَقَةٌ الْأَبْوَابِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُخْرِ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يُنْفِقُ الْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ، بِأَنَّهُ مَعَ إِتْفَاقِهِ هَذِهِ الْأَمْوَالَ لَمْ يَقْتَحِمِ الْعَقَبَةَ، أَي: لَمْ يَسْلُكْ ذَلِكَ الطَّرِيقَ الشَّاقَّ عَلَى النَّفْسِ، أَلَا وَهُوَ فَكُّ الرَّقَابِ بِتَخْلِيصِهَا مِنَ الرَّقِّ وَالْهَلَاكِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ فِي أَوْقَاتِ الْحَاجَاتِ لِلْيَتَامَى الْأَقْرَبِينَ وَالْفُقَرَاءِ التَّرِبِينَ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَاصِينَ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَالصَّبْرِ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِهِ الْمُؤَلَّةِ، وَالْمُتَوَاصِينَ بِرَحْمَةٍ مِنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ مِنَ الْخَلْقِ عَمُومًا مِنْ أَنْاسِيٍّ وَغَيْرِهِمْ.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى أَنَّ أَوْلِيَّكَ الْمُتَّصِفِينَ بِمَا ذَكَرَهُمْ ذُووُ الْيَمِينِ وَالْيَمْنِ لِبِرِّكَتِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ، فَهُمْ أَهْلُ خَيْرٍ وَمَوْصُونَ بِالْخَيْرِ، وَاسْتَعْنَى بِهَذَا الْوَصْفِ الْجَمِيلِ عَنِ ذِكْرِ ثَوَابِهِمْ، لِأَنَّهُ لَازِمٌ لَهُ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ.

أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ تَعَالَى الْكُونِيَّةِ فَسَبَّوْهَا لِغَيْرِهِ، أَوْ اتَّخَذُوا مَعَهُ شَرِيكًا فِيهَا، وَبِآيَاتِ اللهِ الشَّرْعِيَّةِ فَكَذَّبُوا بِهَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الْعَمَلِ بِهَا فَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشَامَةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ، وَجَزَاؤُهُمْ دُخُولُ النَّارِ الَّتِي إِذَا دَخَلُوهَا أَوْصِدَتْ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَجِدُونَ فِيهَا سَعَةً وَلَا مَنَفَذًا لِلْخُرُوجِ، نَعُودُ بِاللَّهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- لَوْمُ الْإِنْسَانِ الَّذِي يُنْفِقُ الْمَالَ الْكَثِيرَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ، وَيُمْسِكُهُ عَنِ طَاعَةِ اللهِ.
- ٢- أَنَّ الْإِنْفَاقَ فِي الْخَيْرِ شَاقٌّ عَلَى النَّفْسِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ اقْتِحَامِ الْعَقَبَاتِ.
- ٣- فَضْلُ عِتْقِ الرَّقَابِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٤- فَضْلُ تَخْلِيصِ الرَّقَابِ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمِنْهُ: دَعْوَةُ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ.

- ٥- فَضْلُ إِطْعَامِ الطَّعَامِ فِي أَيَّامِ الْمَجَاعَةِ.
- ٦- فَضْلُ إِطْعَامِ الْيَتَامَى وَلَا سِيَّمَا ذَوُو الْقَرَابَةِ.
- ٧- فَضْلُ إِطْعَامِ الْمَسَاكِينِ وَلَا سِيَّمَا الْأَشَدُّ حَاجَةً.
- ٨- فَضْلُ الْإِيمَانِ.
- ٩- فَضْلُ الصَّبْرِ وَالرَّحْمَةِ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ مِنَ الْخَلْقِ.
- ١٠- فَضْلُ التَّوَاصِي بِهِمَا.
- ١١- أَنْ الْمُتَّصِفِينَ بِالْإِيمَانِ وَفَكَ الرِّقَابِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ لِمَنْ ذُكِرَ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ وَالرَّحْمَةِ هُمْ أَصْحَابُ الْمِيْمَةِ.
- ١٢- أَنْ فِي الْمُتَّصِفِينَ بِمَا ذُكِرَ بَرَكَةٌ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ.
- ١٣- قُبْحُ الْكُفْرِ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ١٤- أَنْ الْكَافِرَ مَشُورٌ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].
- ١٥- أَنْ جَزَاءَ الْكَافِرِينَ النَّارَ.
- ١٦- أَنْ النَّارَ تُوصَدُّ عَلَيْهِمْ فَلَا يَجِدُونَ فَرْجًا وَلَا مَخْرَجًا.

الآية الحادية عشرة:

٣٦٨- ﴿وَالَّذِينَ يَبْنِعُونَ الْكُتُبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَابِتُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ...﴾ [النور: ٣٣].

تفسير الآية رقم ٣٦٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَالَّذِينَ﴾ : أي: والمالِكُ الَّذِينَ، وهو مُبتدأٌ وخبرُهُ ﴿فَكَابِتُهُمْ﴾.

﴿يَبْنِعُونَ﴾ : يَطْلُبُونَ.

﴿الْكُتُبَ﴾ : الْمَكْتُوبَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ فِي عِتْقِهِمْ.

﴿فَكَابِتُهُمْ﴾ : فَاكْتَبُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا فِي عِتْقِهِمْ.

﴿خَيْرًا﴾ : أي: صَلاَحًا فِي الدِّينِ وَكَسْبًا لِلْمَالِ.

﴿وَءَاتَوْهُمْ﴾ : أَعْطَوْهُمْ.

﴿مَالِ اللَّهِ﴾ : أي: الْمَالِ الَّذِي لِلَّهِ، أَوْ مِنْ اللَّهِ.

﴿ءَاتَاكُمْ﴾ : أَعْطَاكُمْ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَسْيَادَ مَالِكِي الْعَبِيدِ أَنْ يُكَاتِبُوا عَبِيدَهُمْ إِذَا طَلَبُوا مِنْهُمْ، فَيَتَّفِقُوا مَعَهُمْ عَلَى عَوْضٍ مُعَيَّنٍ يَدْفَعُهُ الْعَبِيدُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا دَفَعُوهُ عَتَقُوا، وَحِينَئِذٍ يُطْلِقُ الْأَسْيَادُ لِلْمَكَاتِبِينَ الْحُرِّيَّةَ فِي الْكَسْبِ، وَاشْتَرَطَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذَا الْأَمْرِ أَنْ يَعْلَمَ

الأسياذ في هؤلاء الطالين للكتابة الصلاح في الدين والقدره على اكتساب المال،
لئلا يزادوا بعثهم فسادا في الدين، أو يصبوا كلاً على الناس.

ثم أمر الله تعالى أن يعطى هؤلاء المكاتبون من مال الله تعالى الذي من به
على المأمورين، ليستعينوا به على التحرر من الرق.

ج- من فوائد الآيه:

- ١- حرص الإسلام على العتق، وذلك بمشروعيه العديد من وسائله.
- ٢- وجوب المكاتبه على السيد إذا طلبها العبد، بشرط أن يكون صالحاً في دينه
قائداً على الكسب.
- ٣- وجوب إعطائه من المال الذي كوتب عليه، أو من الزكاة ما يستعين به على
التحرر.
- ٤- مراعاة المصالح ودرء المفاسد في الأمور.

مِنْ آيَاتِ النِّكَاحِ

النَّوْعُ الْأَوَّلُ

الآيَةُ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ:

٣٦٩-٣٧٠- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِطَايِفَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٨-٣٩].

مِنْ آيَاتِ النِّكَاحِ

النِّكَاحُ فِي اللُّغَةِ: الْجَمَاعُ أَوْ الْعَقْدُ الَّذِي يُسْتَبَاحُ بِهِ، وَيَتَعَيَّنُ لِلْجَمَاعِ إِذَا قِيلَ: نَكَحَ زَوْجَتَهُ، وَلِلْعَقْدِ إِذَا قِيلَ: نَكَحَ بِنْتَ فُلَانٍ. وَفِي الشَّرْعِ: عَقْدٌ يُقْصَدُ بِهِ الْإِزْدِوَاجُ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ لِلِاسْتِمْتَاعِ وَالْعِشْرَةِ وَالْإِبْلَادِ.

وهو من سنن المرسلين المطلوبة، والعدول عنه تعقفاً خروجا عن هديهم وميلاً عن الصراط المستقيم، وفي صحيح البخاري وغيره عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(١).

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه

وفيه أيضًا عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ جاءوا إلى بيوته يسألون عن عبادته فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم -؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدُهم: أما أنا فإنني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «أنتم الذين قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأزقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مِنِّي»^(١).

وقد يجبُ النكاحُ أحياناً مثل أن يخشى على نفسه الوقوع في المحرم إذا لم يتزوج، لأنَّ ذرءَ المحرم واجبٌ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

والنكاح كما أنه امْتِثَالٌ لأمرِ الشريعة فهو استجابةٌ لمقتضى الطَّبيعَةِ؛ لما فيه من مُتَعَةِ النَّفْسِ، وقضاءِ الوَطْرِ، وحُصُولِ الأولاد الذين بهم قُرَةُ العَيْنِ وسُرُورُ القلب، وفيه من المصالح العظيمة ما أشار النبي ﷺ إليه في قوله: «فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج». وفيه أيضاً: تكثيرُ الأمة الذي هو أحدُ مصادِرِ قوتها وعزتها وهيئتها بين الأمم.

النَّوعُ الأوَّلُ: في حِكْمِ النِّكَاحِ وَالخِطْبَةِ، ومن يُطَلَّبُ نِكَاحَهَا.

= أغض للبصر وأحصن للفرج». وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح، رقم (٥٠٦٥)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم (١٤٠٠).

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم (٥٠٦٣)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم (١٤٠١).

تفسير الآيتين رقم ٣٦٩ - ٣٧٠ :

أ- تفسير الكلمات :

﴿وَلَقَدْ آرَسْنَا﴾: بعثنا بالوحي، وهذه الجملة مؤكدة باللام، وقد، والقسم المقدر المدلول عليه باللام.

﴿رُسُلًا﴾: جمع رسول، وهو: من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه.

﴿وَجَعَلْنَا﴾: صيرنا.

﴿أَزْوَاجًا﴾: جمع زوج، وهي المرأة المعقود عليها النكاح، وتذكير زوج للأُنثى أفصح من تأنيبه.

﴿وَذُرِّيَّةً﴾: أولادا.

﴿بِعَلامَةٍ﴾: بعلامة على صدقه كونه كانت أم شرعية.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بأمره الكوني أو الشرعي.

﴿أَجَلٍ﴾: غاية مقدرة بمدة.

﴿كِتَابٍ﴾: كتابة.

﴿يَمْحُوا﴾: يزيل.

﴿وَيُثَبِّتُ﴾: يثبت.

﴿أَمْ الْكِتَابِ﴾: أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ.

ب- المعنى الإجمالي:

يخبر الله تعالى خبيرا مؤكداً بأن الرسل السابقين لمحمد ﷺ كانوا على مثل

ما كان عليه، من أُمَّهُم كَانُوا يَتَزَوَّجُونَ وَهُمْ ذُرِّيَّةٌ، وَأَنَّهُمْ لَا يَتَمَكَّنُونَ مِنَ الْإِثْيَانِ بِالْآيَاتِ إِلَّا إِذَا قَضَى اللَّهُ ذَلِكَ لَهُمْ كَوْنًا أَوْ شَرْعًا، ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ حَادِثٍ مِنْ نَضْرٍ لِلرُّسُلِ أَوْ عُقُوبَةٍ لِمَخَالِفِيهِمْ لَهُ أَجَلٌ مُحَدَّدٌ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- لَهُ الْحُكْمُ الْمَطْلُوقُ فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، فَإِذَا أَسَاءَ الْعَبْدُ كُتِبَتْ سَيِّئَاتُهُ، فَإِذَا تَابَ مُحِيَّتٌ، وَلَكِنْ أَمَّ الْكِتَابِ الَّذِي إِلَيْهِ مَرْجِعُ الْكِتَابَةِ وَعَايَتُهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَتَغَيَّرُ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَتَيْنِ:

- ١- إِبْطَاتِ الرِّسَالَةِ السَّابِقَةِ.
- ٢- أَنَّ الرُّسُلَ بَشَرٌ تَلَحُّقُهُمُ الْخِصَائِصُ الْبَشَرِيَّةُ فَهُمْ ذَوُو آبَاءٍ وَأَوْلَادٍ.
- ٣- أَنَّ النِّكَاحَ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ.
- ٤- النَّدْبُ إِلَى النِّكَاحِ لِأَنَّهُ مِنْ سُنَنِ الرُّسُلِ.
- ٥- أَنَّ تَرَكَ النِّكَاحِ تَعَقُّفًا مُخَالَفٌ لِهَدْيِ الرُّسُلِ، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَتَيْنِ.
- ٦- أَنَّ الرُّسُلَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَأْتُوا بِالْآيَاتِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ.
- ٧- أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُقَدَّرٌ بِأَجَلِهِ، لَا يَتَقَدَّمُ عَنْهُ وَلَا يَتَأَخَّرُ بِاعْتِبَارِ مَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.
- ٨- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ الْحُكْمُ الْمَطْلُوقُ فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ.
- ٩- إِمْكَانُ وَقُوعِ النَّسْخِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.
- ١٠- أَنَّ مَا كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لَا يَتَغَيَّرُ.

الآية الثالثة والرابعة:

٣٧١-٣٧٢- ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتَعَفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ [النور: ٣٢-٣٣].

تفسير الآيتين رقم ٣٧١ - ٣٧٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَنْكِحُوا﴾: زَوْجُوا، وَالْخِطَابُ لِأَوْلِيَاءِ الْحَرَائِرِ وَسَادَةِ الْأَرْقَاءِ.

﴿الْأَيْمَىٰ﴾: جَمْعُ أَيْمٍ، وَهِيَ مَنْ لَا زَوْجَ لَهَا مِنْ بَكْرٍ أَوْ ثَيْبٍ.

﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: ذَوِي الصَّلَاحِ فِي أَدْيَانِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ.

﴿عِبَادِكُمْ﴾: ذُكُورِ مَمَالِكِكُمْ.

﴿وَأِمَائِكُمْ﴾: إِنَاثِ مَمَالِكِكُمْ.

﴿إِنْ يَكُونُوا﴾: أَي: الْمَرْوَجِينَ.

﴿فُقَرَاءَ﴾: قَلِيلِي الْمَالِ أَوْ عَادِمِيهِ.

﴿يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ﴾: يُوسِّعُ لَهُمْ فِي الرِّزْقِ، وَهُوَ مَجْزُومٌ جَوَابُ الشَّرْطِ.

﴿فَضْلِهِ﴾: عَطَايِهِ الْمُتَفَضَّلِ بِهِ.

﴿وَسِيعٌ﴾: عَظِيمُ الْجُودِ.

﴿وَلَيْسَتَعَفِيفَ﴾: لِيَطْلُبَ الْعِفَّةَ، وَهِيَ: الْبُعْدُ عَنِ الزَّنَا.

﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾: لا يُدْرِكُونَ نِكَاحًا لِفَقْرٍ أَوْ غَيْرِهِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَوْلِيَاءَ الْحَرَائِرِ وَسَادَاتِ الْأَرْقَاءِ أَنْ يُزَوِّجُوا مَنْ تَحْتَ وَلَايَتِهِمْ وَمَلَكَهِمْ إِذَا كَانَ الْخَاطِبُ كُفُوًا فِي دِينِهِ، وَلَا يَنْظُرُوا إِلَى الْمَالِ فَإِنَّ الْخَاطِبَ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَاللَّهُ تَعَالَى يُغْنِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، لِأَنَّهُ وَاسِعُ الْجُودِ وَالْعَطَاءِ.

ثم يوجّه الله الخطاب إلى مُرِيدِ النِّكَاحِ إِذَا كَانُوا فَقَرَاءَ لَا يَمْلِكُونَ مُؤَنَّتَهُ، فَيَأْمُرُهُمْ بِالْتَعَفُّفِ عَنِ الزَّوْنِ وَيُؤَمِّلُهُمُ الْغِنَى بِقَوْلِهِ: ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

ج- من فوائد الآيتين:

- ١- أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا تُزَوِّجُ نَفْسَهَا.
- ٢- أَنَّ الْوَلِيَّ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ النِّكَاحِ.
- ٣- تَحْرِيمُ عَضْلِ الْمَرْأَةِ عَنِ الزَّوْجِ إِذَا كَانَ الْخَاطِبُ كُفُوًا.
- ٤- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى السَّيِّدِ تَزْوِيجَ عَبِيدِهِ وَإِمَائِهِ إِذَا صَلَحُوا لِلنِّكَاحِ.
- ٥- أَنَّ الْمَرْجِعَ فِي تَزْوِيجِ الْمَمَالِكِ إِلَى سَيِّدِهِمْ.
- ٦- أَنَّهُ لَا يَصِحُّ نِكَاحُ الْعَبْدِ بَدُونِ إِذْنِ سَيِّدِهِ وَكَذَلِكَ الْأَمَةُ.
- ٧- أَنَّ النِّكَاحَ مِنْ أَسْبَابِ الْغِنَى.
- ٨- أَنَّ الْغِنَى مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ.
- ٩- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاسِعُ الْجُودِ عَلِيمٌ بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ وَغَيْرِهَا.

- ١٠- وَجُوبُ التَّعَفُّفِ عَلَى مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ النِّكَاحَ.
١١- أَنْ مَنْ تَعَفَّفَ فَهُوَ حَرِيٌّ بِأَنْ يُعْنِيَهُ اللَّهُ بِالزَّوْجِ.
١٢- ظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْفَقِيرِ أَنْ يَسْتَقْرِضَ لِتَزْوَجِ.

الآية الخامسة:

٣٧٣- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

تفسير الآية رقم ٣٧٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: مِنْ علاماته الدالة على قدرته ورحمته، و(مِنْ) للتبويض.

﴿خَلَقَ﴾: أوجد.

﴿أَنْفُسِكُمْ﴾: جنسكم.

﴿أَزْوَاجًا﴾: جمع زوج، وهي المرأة المعقود عليها النكاح، سُميت به لأنها تشفع زوجها، والشفع ضد الوتر.

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾: لتميلوا إليها باطمئنان.

﴿مَوَدَّةً﴾: خالص حب.

﴿وَرَحْمَةً﴾: رقة وعطفًا.

﴿لَآيَاتٍ﴾: لعلامات على قدرة الله ورحمته.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: يتدبرون بإعمال أفكارهم.

ب- المعنى الإجمالي:

آيات الله تعالى الدالة على ما له من الكمال في سلطانه وإنعامه كثيرة جدًا،

وَمِنْهَا تِلْكَ الْآيَةُ الَّتِي رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا الْعِبَادَ، حَيْثُ خَلَقَ لَهُمْ أَزْوَاجًا مِنْ جِنْسِهِمْ يَتَمَتَّعُونَ بِهِمْ وَيَسْكُنُوا إِلَيْهِمْ، وَأَلْقَى بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، يُحِبُّهَا وَيَعْطِفُ عَلَيْهَا، وَهِيَ كَذَلِكَ مُحِبَّةٌ وَتَعْطِفُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ لِمَا يَسْتَوْجِبُهُ هَذِهِ الْمَوَدَّةُ وَهَذِهِ الرَّحْمَةُ مِنْ كِمَالِ الْعِشْرَةِ، وَسَعَادَةِ الْحَيَاةِ، وَهَنَاءِ الْعَيْشِ، وَحُصُولِ الْأَوْلَادِ الَّذِينَ هُمْ زَهْرَةُ الْوَالِدِينَ وَمَدَادُ الْأُمَّةِ، وَلِهَذَا خَتَمَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وَهَذِهِ الْآيَاتُ كُلُّ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى النِّكَاحِ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَظِيمَةِ وَالْمَنَافِعِ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ، لَكِنْ لَا يَعْرِفُ هَذِهِ الْآيَاتُ إِلَّا مَنْ يَتَدَبَّرُ وَيُفَكِّرُ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا خَلَقَ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الزَّوْجَاتِ.
- ٢- أَنْ نِعْمَةَ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى كِمَالِ قُدْرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.
- ٣- أَنَّ الزَّوْجَةَ سَكَنٌ وَطُمَأْنِينَةٌ وَقَرَارٌ لَزَوْجِهَا.
- ٤- نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا جَعَلَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ.
- ٥- أَنَّهُ يَنْبَغِي إِحْسَانُ الْعِشْرَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ لِيَتَحَقَّقَ السُّكُونُ بَيْنَهُمَا وَالْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ.
- ٦- أَنَّ فِي النِّكَاحِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ دَالَّةٌ عَلَى كِمَالِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتِهِ.
- ٧- الْحَثُّ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ.
- ٨- أَنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مَا هُوَ خَفِيٌّ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا ذُو التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكِيرِ.

الآية السادسة:

٣٧٤- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾ [النساء: ١].

تفسير الآية رقم ٣٧٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿النَّاسُ﴾: البَشَرُ سُمُّوا بذلك لِإِنْسِ بَعْضِهِمْ بِيَعُضٍ، وَأَصْلُهُ: الْإِنْسَانُ فَحُذِفَتْ الْهَمْزَةُ لِلتَّخْفِيفِ.

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾: اتَّخَذُوا وَقَايَةَ مِنْ عَذَابِهِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَالرَّبُّ: الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ، وَرَبُّ الْعَالَمِينَ: خَالِقُهُمْ وَمَالِكُهُمْ وَمُدَبِّرُ أُمُورِهِمْ.

﴿نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾: شَخْصٍ وَاحِدٍ هُوَ آدَمُ.

﴿زَوْجَهَا﴾: أَي: حَوَاءَ.

﴿وَبَثَّ﴾: فَرَّقَ وَنَشَرَ.

﴿مِنْهُمَا﴾: مِنَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ وَزَوْجِهَا.

﴿كَثِيرًا﴾: صِفَةٌ لـ (رِجَالًا)، وَلَمْ يَقُلْ: كَثِيرَةٌ مُرَاعَاةً لِلْمَعْنَى، لِأَنَّ (رِجَالًا)

بمعنى عَدَدًا مِنَ الرِّجَالِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُوجِّهُ اللهُ تَعَالَى نِدَاءَهُ إِلَى النَّاسِ عُمُومًا - وَتَصْدِيرُ الْخِطَابِ بِالنِّدَاءِ دَلِيلٌ عَلَى الْأَهْمِيَّةِ، فَيَأْمُرُهُمْ بِتَقْوَاهُ مَبِينًا الْحَامِلَ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ: أَنَّهُ رَبُّهُمْ الْكَامِلُ فِي قُدْرَتِهِ

حَيْثُ خَلَقَهُمْ وَهَمَّ هَذَا الْجُمْ الْغَفِيرُ مِنْ شَخْصٍ وَاحِدٍ هُوَ آدَمُ، الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ زَوْجَتَهُ حَوَاءَ فَبَثَّ مِنْهَا مِنَ الْخَلْقِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَوَصَفُهُ الرِّجَالُ بِالْكَثْرَةِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ نِعْمَتَهُ تَعَالَى بِكَثْرَةِ الرِّجَالِ أَوْلَى مِنْهَا بِكَثْرَةِ النِّسَاءِ، لِأَنَّ الرِّجَالَ مَفْخَرَةٌ الْآبَاءِ الدَّائِدِينَ عَنِ الْحَمَى.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.
- ٢- أَهْمِيَّةُ التَّقْوَى وَعِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِهَا.
- ٣- إِثْبَاتُ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٤- كِمَالُ قُدْرَتِهِ بِخَلْقِ هَذَا الْبَشَرِ الْكَثِيرِ مِنْ شَخْصِينَ اثْنَيْنِ.
- ٥- نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ بِجَعْلِ الزَّوْجَةِ مِنْ جِنْسِ الزَّوْجِ.
- ٦- إِبْطَالُ نَظَرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِتَطَوُّرِ خَلْقَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيَوَانٍ إِلَى إِنْسَانٍ^(١).
- ٧- أَنَّ مِنْ فَوَائِدِ الزَّوْاجِ تَكْثِيرَ النَّسْلِ، وَهَذِهِ وَالْخَامِسَةُ مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٨- أَنَّ النِّسَاءَ أَقَلُّ شَأْنًا مِنَ الرِّجَالِ.

(١) راجع الفائدتين الثانية والثالثة من فوائد الآيات رقم (٣٥٢-٣٥٦). [المؤلف]

الآية السابعة:

٣٧٥- ﴿ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ... ﴾ [النحل: ٧٢].

تفسير الآية رقم ٣٧٥:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿ جَعَلَ ﴾ : صَيَّرَ.

﴿ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ : سَبَقَ تَفْسِيرُهُمَا.

﴿ بَنِينَ ﴾ : أَوْلَادًا ذَكَورًا.

﴿ وَحَفَدَةً ﴾ : أَوْلَادَ بَنِينَ، أَوْ الْحَفَدَةَ: الْحَدَمُ، لِأَنَّ الْبَنِينَ يُحَدِّمُونَ آبَاءَهُمْ فَيَكُونُ

عَطْفُ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ.

﴿ وَرَزَقَكُمْ ﴾ : أَعْطَاكُمْ.

﴿ الطَّيِّبَاتِ ﴾ : مَا يَطِيبُ أَكْلُهُ شَرَعًا وَذَوْقًا.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَزْوَاجِ الَّذِينَ مِنْ جِنْسِهِمْ، وَبِمَا وَهَبَ لَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَزْوَاجِ مِنَ الْبَنِينَ وَأَوْلَادِ الْبَنِينَ، الَّذِينَ هُمْ قُرَّةُ الْعَيْنِ، الْقَائِمُونَ بِخِدْمَةِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ، الْمَسَارِعُونَ فِي رِضَاهُمْ.

وَيُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الْأَزْوَاقِ الطَّيِّبَةِ شَرَعًا وَمَذَاقًا، فَهِيَ

حَلَالٌ لَهُمْ وَلَذِيذَةٌ فِي مَذَاقِهِمْ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ج- من فوائد الآيات:

- ١- نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا بِمَا جَعَلَ لَنَا مِنَ الْأَزْوَاجِ.
- ٢- أَنْ مِنْ أَهَمِّ أَغْرَاضِ النِّكَاحِ حُصُولَ الذَّرِّيَّةِ.
- ٣- أَنَّ الذُّكُورَ أَعْظَمُ شَأْنًا مِنَ النِّسَاءِ.
- ٤- أَنَّ مِنْ كِمَالِ نِعْمَةِ اللَّهِ بِالْأَوْلَادِ مُسَارَعَتُهُمْ فِي خِدْمَةِ آبَائِهِمْ.
- ٥- أَنَّ مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنْ رَزَقَهُمْ مِنْ كُلِّ لَذِيذٍ مُسْتَطَابٍ.
- ٦- أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَقِلُّ بِجَلْبِ الْخَيْرِ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ فِعْلُ الْأَسْبَابِ.

الآية الثامنة والتاسعة :

٣٧٦-٣٧٧- ﴿آتَاوَنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَدْرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ . [الشعراء: ١٦٥-١٦٦].

تفسير الآيتين رقم ٣٧٦ - ٣٧٧ :

أ- تفسير الكلمات :

﴿آتَاوَنَ﴾ : أُنْجِمَعُونَ، وَكُنِيَ عَنْهُ بِالْإِثْيَانِ لِاسْتِقْبَاحِ ذِكْرِهِ بِلَفْظِهِ، وَالْهَمْزَةُ لِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ.

﴿الذُّكْرَانَ﴾ : جَمْعُ ذَكَرٍ.

﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ : مِنَ النَّاسِ.

﴿وَتَدْرُونَ﴾ : تُتْرَكُونَ.

﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ : مَا خَلَقَ لِأَجْلِكُمْ.

﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ : مِنْ اللَّتَّبَعِيضِ، أَوْ بَيَانٍ لـ ﴿مَا خَلَقَ﴾ .

﴿بَلْ﴾ : لِلْإِضْرَابِ الْإِنْتِقَالِيِّ.

﴿عَادُونَ﴾ : مُتَجَاوِزُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ.

ب- المعنى الإجمالي :

بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى لُوطًا، وَهُوَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إِلَى قَوْمِهِ فِي قَرْيَةٍ تُسَمَّى سَدُومَ، وَكَانُوا مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ يَفْعَلُونَ الْفَاحِشَةَ الَّتِي لَمْ

يُسَبِّحُوا إِلَيْهَا وَهِيَ إِيْتَانُ الذُّكُورِ، فَوَبَّخَهُمْ نَبِيَّهُمْ مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَأْتُوا الذُّكُورَ الَّذِينَ لَمْ يُخْلَقُوا لِهَذَا الشَّأْنِ وَيَتْرُكُوا مَا خَلَقَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي هُنَّ مَحَلُّ الْحَرْثِ وَالْوِلَادَةِ، وَهَذَا وَصَفَهُم بِالْعُدْوَانِ بِالْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ وَصَفٌ لَازِمٌ لَهُمْ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَتَيْنِ:

- ١- تَحْرِيمُ إِيْتَانِ الذَّكَرِ.
- ٢- الْإِنْكَارُ عَلَى فَاعِلٍ ذَلِكَ.
- ٣- قُبْحُ هَذَا الْفِعْلِ.
- ٤- زِيَادَةُ قُبْحِهِ حَيْثُ فِيهِ الْعُدُولُ عَنِ الطَّيِّبِ إِلَى الْحَبِيثِ.
- ٥- وَصْفُ فَاعِلِهِ بِالْعُدْوَانِ.
- ٦- الْحَثُّ عَلَى النِّكَاحِ حَيْثُ إِنْ الْعُدُولَ عَنْهُ قَدْ يُؤَدِّي إِلَى الْفَاحِشَةِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْإِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٧- أَنَّ مَنْ عَدَلَ عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ إِلَى مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِيهِ فَهُوَ شَبِيهُهُ بِقَوْمِ لُوطَ.

الآية العاشرة:

٣٧٨- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنًا وَثُلَاثًا وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾ [النساء: ٣].

تفسير الآية رقم ٣٧٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿خِفْتُمْ﴾: من الخوف، أو بمعنى ظننتم.

﴿تُقْسِطُوا﴾: تعدلوا، والخطاب للأولياء.

﴿الْيَتَامَىٰ﴾: جمع يتيمة، وهي: من مات أبوها قبل بلوغها.

﴿فَانكِحُوا﴾: فتزوجوا، والجملة جواب الشرط (إن خفتهم).

﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾: ما أعجبكم واستحسنتموه.

﴿مَثْنًا﴾: اثنتين اثنتين.

﴿وَتُلَاثًا﴾: ثلاثاً ثلاثاً.

﴿وَرُبْعًا﴾: أربعاً أربعاً.

﴿فَوَاحِدَةً﴾: أي: فانكحوا واحدة فقط.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ﴾: أي: جامعوا ما ملكت.

﴿أَيْمَانُكُمْ﴾: جمع يمين، وهي إحدى اليدين، وعبر بها عن الذات لأن بها

يكون الأخذ والعطاء.

ب- المعنى الإجمالي:

لَمَّا كَانَتْ الِتِّيمَةُ فَاقِدَةً الْأَبَّ، وَرَبِمَا يَسْتَهِينُ بِهَا مِنْ يَسْتَهِينُ فَلَا يَبْدُلُ لَهَا مَا تَسْتَحِقُّ مِنْ مَهْرٍ وَنَفَقَةٍ، أَرْشَدَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- مِنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ ذَلِكَ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ مَا تَرَعَّبُ بِهِ نَفْسُهُ وَصَفًا وَعَدَدًا إِلَى أَرْبَعٍ، فَيَتَزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَإِنْ خَافَ أَنْ لَا يَعْدِلَ بَيْنَهُنَّ افْتَصَرَ عَلَى وَاحِدَةٍ، أَوْ تَسَرَّى مِنْ شَاءَ مِنَ الْإِمَاءِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْيَتَامَى.
- ٢- وَجُوبُ الْامْتِنَاعِ عَنِ نِكَاحِ الْيَتِيمَةِ إِذَا خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ بِوَاجِبِهَا مِنْ مَهْرٍ أَوْ غَيْرِهِ.
- ٣- كِمَالُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَيْثُ كَانَ فِيهَا مِنَ الْحَلَالِ مَا يُغْنِي عَنِ الْحَرَامِ.
- ٤- حُسْنُ تَعْلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ أَرْشَدَ إِلَى الطَّرِيقِ الْحَلَالِ حَيْثُ كَانَ التَّحْرِيمُ.
- ٥- جَوَازُ الزِّيَادَةِ عَلَى الْوَاحِدَةِ فِي النِّكَاحِ إِلَى أَرْبَعٍ.
- ٦- وَجُوبُ الْاِقْتِصَارِ عَلَى الْوَاحِدَةِ إِذَا خَافَ أَنْ لَا يَعْدِلَ بَيْنَهُنَّ.
- ٧- وَجُوبُ الْعَدْلِ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ.
- ٨- أَنَّهُ لَا تَجِبُ التَّسْوِيَةُ بَيْنَ الْإِمَاءِ فِي الْجَمَاعِ وَغَيْرِهِ.
- ٩- وَجُوبُ الْاِحْتِيَاظِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمِ.

الآية العادية عشرة:

٣٧٩- ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْبِضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعْلِنَنَّ بِأَعْقُبِرِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا... ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

تفسير الآية رقم ٣٧٩:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ ﴾: أي: النساءُ المطلقَاتُ، والطلاقُ: حلُّ قيدِ النكاحِ أو بعضِهِ

بغيرِ الفسخِ.

﴿ يَرْبِضْنَ ﴾: يَنْتَظِرْنَ، وهو خبرٌ بمعنى الأمرِ.

﴿ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾: الباءُ للتَّعَدِيَّةِ، وذكرَ الأنفُسِ لتوكيدِ الالتزامِ بذلكِ.

﴿ قُرُوءٍ ﴾: جمعُ قرءٍ يفتحُ القافِ أو ضمُّها، وهو الحيضُ بعدَ الطُّهرِ.

﴿ يَكْتُمْنَ ﴾: يُخْفَيْنَ.

﴿ أَرْحَامِهِنَّ ﴾: جمعُ رحمٍ، وهو وعاءُ الجنينِ في بطنِ أمِّه.

﴿ يُؤْمِنَنَّ ﴾: يُصَدِّقَنَّ مع القبولِ والإذعانِ لله تعالى.

﴿ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾: أي: يومِ القيامةِ، سُمِّيَ بذلكِ لأنَّهُ مُتَأَخِّرٌ ولا يومَ بعده.

﴿ وَيُعْلِنَنَّ ﴾: أَرَوَّجُهِنَّ الذينَ طَلَّقُوهُنَّ.

﴿ أَعْقُبِرِهِنَّ ﴾: أَوْلَى وَأَثْبَتُ حَقًّا.

﴿بَرِّدْهُنَّ﴾: بِإِزْجَاعِهِنَّ إِلَى عِصْمَتِهِمْ.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: أَي: فِي زَمَنِ التَّرْبُصِ.

﴿إِنْ أَرَادُوا﴾: فَصَدُّوا بِرَدِّهِنَّ.

﴿وَأَصْلُهَا﴾: تَوْفِيقًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ بِإِقَامَةِ الْوُدِّ وَالْعِشْرَةِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الزَّوْجَاتِ الْمُطَلَّقاتِ أَنْ يَنْتَظِرْنَ وَيَحْبِسْنَ أَنْفُسَهُنَّ عَنِ الزَّوْاجِ حَتَّى يَحْضُنَ ثَلَاثَ حِيضٍ كَامِلَةٍ، وَذَلِكَ لِتَمَكُّنِ الْأَزْوَاجِ مِنَ النَّظَرِ وَالتَّفْكِيرِ فِي إِزْجَاعِهِنَّ، فَإِذَا أَرَادُوا ذَلِكَ لِلإِصْلَاحِ فَلَا حَقَّ لِأَحَدٍ فِي مَنَعِهِمْ مِنْهُ، لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَلَمَّا كَانَتِ الْمُطَلَّقةُ قَدْ تُخْفِي حَمَلَهَا اسْتِعْجَالًا لِلتَّخْلِصِ مِنَ الْعِدَّةِ، بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِلْمُطَلَّقاتِ إِذَا كَانَ فِيهِنَّ حَمْلٌ أَنْ يَكْتُمْنَهُ إِنْ كَانَ لَدَيْهِنَّ إِيمَانٌ حَقِيقِيٌّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

١- وَجُوبُ الْعِدَّةِ عَلَى الْمُطَلَّقةِ (١).

٢- أَنَّ زَمَانَ الْعِدَّةِ ثَلَاثُ حِيضٍ (٢).

(١) يُسْتَنْبَتُ مِنْ ذَلِكَ: إِذَا طَلَّقَتِ الْمَرْأَةُ قَبْلَ الدُّخُولِ فَإِنَّهُ لَا عِدَّةَ عَلَيْهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾

[الأحزاب: ٤٩]. [المؤلف]

(٢) يُسْتَنْبَتُ مِنْ ذَلِكَ: الْحَامِلُ فَعِدَّتُهَا أَنْ تَضَعَ حَمَلَهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، وَيُسْتَنْبَتُ أَيْضًا: مِنْ لَا تَحِيضُ لِصِغَرِ أَوْ إِيَّاسِ فَعِدَّتُهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَلْتَمَسِي بَيْسَانَ مِنَ الْمَجِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضُنَّ﴾

[الطلاق: ٤]. [المؤلف]

- ٣- أن الحامل لا تعتد بالحيض.
- ٤- قبول قول المرأة في وجود حمل فيها أو نفيه.
- ٥- تحريم إحقاقها الحمل إن كان فيها.
- ٦- تحريم إلقاء المطلقة حملها استعجالاً لانقضاء العدة.
- ٧- أن للزوج مراجعة زوجته المطلقة ما دامت في العدة^(١).
- ٨- أن له مراجعتها، سواء رضيت بذلك هي وأولياؤها أم لا.
- ٩- أنه لا يملك حق المراجعة إلا إذا كان يريد الإصلاح.
- ١٠- تحريم خطبة المعتدة، لأنه اعتداء على حق زوجها.
- ١١- إثبات اليوم الآخر.
- ١٢- أن الإيан بالله واليوم الآخر سبب للاستقامة.

(١) يُسْتَشْنَى من ذلك إذا كَانَ الطلاق بائناً فإنه لا رجعة له عليها إلا بعقد جديد، إلا أن يكون الطلاق آخر ثلاث تطليقات، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره. [المؤلف]

الآية الثانية عشرة:

٣٨٠- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذَكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

تفسير الآية رقم ٣٨٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿جُنَاحٌ﴾: إثم.

﴿عَرَّضْتُمْ﴾: لمحضتم أي قلتم ما يفيد الرغبة فيهن من غير تصريح.

﴿خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾: بكسر الخاء: طلب التزوج بهن، والمراد بالنساء: البوائن من

أزواجهن بوفاتهن عنهن.

﴿أَكْنَنْتُمْ﴾: أضمرتم من غير تعريض لهن.

﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: في قلوبكم.

﴿سَتَذَكُرُونَهُنَّ﴾: سيكون لهن ذكر في قلوبكم، أو بين أهليكم وأصحابكم.

﴿لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ﴾: لا تعطوهن وعدا.

﴿سِرًّا﴾: أي: نكاحا مثل أن يقول: لك علي أن أنكحك.

﴿مَعْرُوفًا﴾: مقررًا من قبل الشرع غير منكّر، وهو التعريض.

﴿وَلَا تَعْرِضُوا﴾: أي: لا تمضوا، عبّر بالعزم عن الإمضاء لأنه لا إمضاء

إلا بعد عزم.

﴿عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾: أي: عَقْدِهِ، سُمِّيَ عُقْدَةً لَأَنَّهُ رَبطًا بَيْنَ المِراةِ وَرِوَجِها.

﴿يَبْلُغُ﴾: يَصِلُ.

﴿الْكُتُبُ﴾: أي: المَكْتُوبُ، والمرادُ بِهِ العِدَّةُ لِأَنَّها مَفْرُوضَةٌ.

﴿أَجَلُهُ﴾: غَايَتُهُ.

﴿وَأَعْلَمُوا﴾: أَيْقَنُوا.

﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: مَا فِي قُلُوبِكُمْ.

﴿فَأَحْذَرُوهُ﴾: أَحْذَرُوا مِنْ عِقَابِهِ.

﴿عَفْوٌ﴾: ذُو مَغْفِرَةٍ، وَهِيَ سِتْرُ الذَّنْبِ وَالتَّجَاوُزِ عَنْهُ.

﴿حَلِيمٌ﴾: ذُو حِلْمٍ وَهُوَ صِفَةٌ تَقْتَضِي تَأْجِيلَ العُقُوبَةِ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّها.

ب- المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى عِدَّةَ المِتْوَقِ عَنْها رِوَجُها بَيَّنَّ حَكْمَ خِطْبَتِها، فَبَيَّنَّ أَنَّها عَلى قَسمين: تَعْرِيطُ وَتَضْرِيحُ، فَأَمَّا التَّعْرِيطُ فَبَيَّنَّ أَنَّهُ لا إِثْمَ فِيهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ -سُبْحانَهُ- يَعلَمُ أَنَّ النّاسَ سَيَذْكَرُونَ هؤُلاءِ المَعْتَدَّاتِ إِما فِي نَفوسِهِم وَإِما فِيما بَينَهُم، فَرَخَّصَ لَهُم فِي التَّعْرِيطِ، وَأَمَّا التَّضْرِيحُ، وَهُوَ: وَعْدُها بِالنِّكَاحِ أَوْ طَلَبِ التَّزْوَاجِ بِها صَرِيحًا، فَقَدَّ نَهَى اللهُ عَنْهُ، وَأشارَ إِلى أَنَّهُ مُنْكَرٌ.

ثم نَهَى اللهُ -سُبْحانَهُ- عَنِ عَقْدِ النِّكَاحِ حَتَّى تَنْتَهِيَ العِدَّةُ وَحَدَرَ عِبادَهُ مِنْ أَنَّ يُضْمِرُوا فِي نَفوسِهِم ما لا يَرْضاهُ، وَحَتَمَ الآيَةَ بِما يَرغَبُ فِي الاسْتِغْفارِ ما دام المرءُ فِي مُهَلَّةٍ مِنَ العُقُوبَةِ اقْتِضاها حِلْمُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-.

ج- من فوائد الآية:

- ١- جواز التعريض بخطبة المعتدة من وفاة، ويلحق بها البائن غيرها.
- ٢- جواز إضمار الرجل في نفسه أن يتزوج المعتدة بعد فراغ عدتها.
- ٣- جواز ذكر الرجل أن له رغبة في نكاح المرأة المعتدة.
- ٤- تحريم التصريح بخطبة المعتدة، أو وعدّها بالتزوج بها.
- ٥- تحريم عقد النكاح على المرأة المعتدة، وحينئذ يكون باطلاً لقول النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها.
- ٦- رحمة الله تعالى بعباده حيث أباح لهم التعريض بخطبة البوائن، لعلمه أنهم سيذكروهن.
- ٧- علم الله تعالى بما يخفيه العبد في نفسه.
- ٨- وجوب الحذر من عقاب الله تعالى.
- ٩- إثبات اسمي الغفور والحليم لله تعالى.
- ١٠- إثبات ما تضمنناه من صفتي المغفرة والحلم لله تعالى.

(١) أخرجه البخاري تعليقا: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود، ومسلم: كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، رقم (١٧١٨).

النَّوعُ الثَّانِي

الآية الأولى:

٣٨١- ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنَ أَجْلِهِنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

النَّوعُ الثَّانِي: أَي مِنْ آيَاتِ النِّكَاحِ فِي شُرُوطِ النِّكَاحِ:

الشرط في اللغة: العلامةُ ومنه قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُظُنُّونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

أما في الاصطلاح فهو ما يُتَوَقَّفُ عليه صحَّةُ المشروطِ فيه، فيلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود.

ولما كان شرعُ الله تعالى مَبْنِيًّا على الحكمة، جعل - سبحانه - لأحكامه ضوابطاً لصِحَّتِهِ وفساده من الشُّرُوطِ والأَرْكَانِ والموانع، لتَسْتَقِيمَ أُمُورُ النَّاسِ على شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَتَتَّحِدُ الأُمَّةُ وَتَسْتَقِيمُ المِلَّةُ.

ومن ذلك عَقْدُ النِّكَاحِ، فقد جعل الله شُرُوطاً وَمَوَانِعَ سَيِّئِينَ مِنْهَا ما شاء الله مما سيأتي في الآيات.

تفسير الآية رقم ٣٨١:

أ- سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ:

أَنَّ أُخْتَ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - طَلَّقَهَا زَوْجَهَا، فَتَرَكَهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا ثُمَّ خَطَبَهَا فغَضِبَ مَعْقِلٌ وَقَالَ: لَا أَرْوِّجُكَ، فَنَزَلَتْ.

ب- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿طَلَّقْتُمْ﴾: فَارَقْتُمْ أَرْوَاجَكُمْ بِالطَّلَاقِ، وَهُوَ حِلُّ قَيْدِ النِّكَاحِ أَوْ بَعْضِهِ بغير الفسخ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ لَزَوْجَتِهِ: أَنْتِ طَالِقٌ.

﴿النِّسَاءُ﴾: أَي: الزَّوْجَاتُ.

﴿أَجَلَهُنَّ﴾: غَايَةُ عِدَّتِهِنَّ.

﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾: تَمْنَعُوهُنَّ، وَالخَطَابُ لِلأُولِيَاءِ هُنَا، وَفِي (طَلَّقْتُمْ) لِلأَزْوَاجِ.

﴿أَرْوَاجَهُنَّ﴾: أَي: مَنْ يُرِيدُ الزَّوْاجَ بِهِنَّ، سِوَاءِ كَانَ زَوْجَهَا الَّذِي طَلَّقَهَا

أَم زَوْجًا جَدِيدًا.

﴿تَرْضَوْنَ﴾: حَصَلَ الرِّضَا مِنْ كُلِّ مِنْهُمُ، أَي: الأَزْوَاجُ وَالْمَطْلَقَاتُ.

﴿بِالمَعْرُوفِ﴾: بِمَا يَقْرَهُ الشَّرْعُ وَالْعُرْفُ.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي: النَّهْيُ عَنِ الْعَضْلِ المَذْكُورِ.

﴿يُوعِظُ بِهِ﴾: يُذَكَّرُ بِهِ لِيَلِينَ القَلْبُ وَيَصْلِحُ العَمَلُ.

﴿يَوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهُ فِي رَقْمِ (٣٦) وَالغَرَضُ مِنْهُ الإِغْرَاءُ

بِتَرْكِ العَضْلِ.

﴿ذَلِكُمْ﴾: أي: وَعَظُّكُمْ وَاتِّعَازُكُمْ.

﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾: أَنْمَىٰ لِدِينِكُمْ وَأَخْلَاقِكُمْ.

﴿وَأَطْهَرُ﴾: أَنْقَىٰ مِنْ رِجْسِ الْمَعْصِيَةِ وَالظُّلْمِ.

﴿لَا نَعْلَمُونَ﴾: لَا تَدْرُونَ عَاقِبَةَ الْعَضْلِ.

ج- المعنى الإجمالي:

يَسْأَلُكَ بَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ مَسْأَلًا لَا يَنْبَغِي سُلُوكُهُ، فَيَتَحَكَّمُونَ فِيهِمْ وَلَا هُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّسَاءِ الْمَطْلُوقَاتِ فَيَمْنَعُوهُنَّ مِنَ التَّرْجُوحِ بِمَنْ طَلَّقَهُنَّ أَوْ غَيْرِهِ، وَهَذَا مَسْأَلٌ يَتَضَمَّنُ الظُّلْمَ لَهُنَّ، فَمِنْ ثُمَّ تَبَيَّنَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- الْأَوْلِيَاءَ أَنْ يَمْنَعُوهُنَّ إِذَا حَصَلَ الرِّضَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الْأَزْوَاجِ عَلَىٰ وَجْهِ لَا يُنْكَرُهُ الشَّرْعُ وَلَا الْعُرْفُ.

وَيَبَيِّنُ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ هَذَا النَّهْيُ مَوْعِظَةٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ مَا يَحْمِيهِ عَنِ مَخَالَفَتِهِ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ يَسْتَلْزِمُ طَاعَتَهُ، وَالْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَسْتَلْزِمُ الْعَمَلَ لَهُ وَالْحَذَرَ مِنْهُ.

وَبَيْنَ -سُبْحَانَهُ- أَنْ الْوَعْظَ وَالْإِتِّعَازَ بِذَلِكَ أَنْمَىٰ فِي إِيْمَانِ الْعَبْدِ وَأَطْهَرُ لَهُ مِنْ رِجْسِ الْعِصْيَانِ وَالظُّلْمِ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يَعْلَمُ مِنَ الْأُمُورِ وَنَتَائِجِهَا مَا لَا يَعْلَمُهُ الْمَخْلُوقُونَ.

د- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ مَنَعُ النِّسَاءِ مِنَ الزَّوْاجِ.
- ٢- أَنَّ لِلأَوْلِيَاءِ مَنَعَهَا إِذَا طَلَبَتِ التَّرْجُوحَ مِنْ لَيْسَ كُفُؤًا لَهَا شَرْعًا أَوْ عُرْفًا.

- ٣- أنه يُشترطُ لصِحَّةِ النِّكَاحِ رِضًا كُلِّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ.
- ٤- أن النِّكَاحَ لَا يَنْعَقِدُ إِلَّا بِوَلِيِّ، إِذْ لَوْ كَانَ يَنْعَقِدُ بِدُونِهِ مَا كَانَ لَمَنْعِ الْوَلِيِّ أَثْرٌ حَتَّى يَنْهَى عَنْهُ^(١).
- ٥- أن الإيمانَ باللهِ واليومِ الآخرِ مُقْتَضٍ لِلاتِّعَاطِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٦- أن الاتِّعَاطَ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى زِيَادَةٌ فِي الْإِيمَانِ وَطَهَارَةٌ مِنَ الرَّذَائِلِ.
- ٧- كَمَالُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٨- قُصُورُ عِلْمِ الْمَخْلُوقِ، حَتَّى صَارَ كَالْمَعْدُومِ بِالنِّسْبَةِ لِعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى.

(١) هكذا قرره كثير من أهل العلم، ويحتمل أن يكون المراد بالعَضَلِ المنع بالتَسَلُّطِ عليهن بحيث يحول الأولياءَ بَيْنَهُنَّ وبين النكاح بالقوة والتهديد، وإن لم يكن ذلك متوقعًا على عقد النكاح لهن، وحيث لا يكون في الآية دليل على اشتراطِ الْوَلِيِّ، والله -تعالى- أعلم. [المؤلف]

الآية الثانية:

٣٨٢- ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۗ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَتَّىٰ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا تُؤْمِنُ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۗ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَبَيْنَ أَيْتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

تفسير الآية رقم ٢٨٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾: لا تزوجوا، ومفعولها الثاني محذوف، والتقدير: ولا تنكحوا المشركين المؤمنات.

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾: الذين يشركون مع الله غيره.

﴿وَلَعَبْدٌ﴾: اللام لام الابتداء، وهي للتوكيد.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾: لو بلغ منتهى الاستحسان منكم لكماله، والواو هنا وصلية

لبيان الغاية، وليست شرطية فلا تحتاج إلى جواب.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: أي المشركون. وجملة (أولئك) تعليل للحكم المذكور.

﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾: يحثون الناس إلى عمل يوصلهم النار.

﴿الْجَنَّةِ﴾: الدار التي أعدّها الله للمتقين في الآخرة.

﴿وَالْمَغْفِرَةِ﴾: ستر الذنب والتجاوز عنه.

﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته.

﴿وَيَبِّئُ﴾: يُظْهِرُ.

﴿ءَايَاتِهِ﴾: بَرَاهِينِهِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَعَبَّظُونَ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

في هذه الآية الكريمة ينهى الله تعالى عباده أن يزوجوا المشركين بنساء مؤمنات، ولو كان الخاطب من هؤلاء المشركين مَوْضِعَ الْإِعْجَابِ فِي كَمَالِهِ الْخَلْقِيِّ وَالْخَلْقِيِّ وَالْمَالِي وَالْمِهْنِيِّ وَغَيْرِهَا.

وَيُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى حِكْمَةَ النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ خَيْرٌ مِنَ الْمُشْرِكِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ عَبْدُ اللهِ تَعَالَى قَائِمٌ بِأَمْرِهِ وَبِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ حَقُوقِ زَوْجَتِهِ، فَيُمْسِكُهَا بِمَعْرُوفٍ أَوْ يُفَارِقُهَا بِإِحْسَانٍ، ثُمَّ إِنْ اتَّصَلَهَا بِالْمُؤْمِنِ يُفِيدُهَا فِي دِينِهَا وَدُنْيَاهَا.

الثاني: أَنَّ أَوْلَثَكَ الْمُشْرِكِينَ يُضِلُّونَ مِنْ اتَّصَلُ بِهِمْ حَيْثُ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ بِأَقْوَاهُمْ وَأَحْوَاهُمْ مُحَادِّثِينَ لِلَّهِ تَعَالَى، حَيْثُ إِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِأَذْنِهِ، وَذَلِكَ بِمَا أَقَامَهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الدِّينِ الْمَوْصِلِ لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ ببيانِ مَنَّتِهِ الْعَظِيمَةِ، وَهِيَ: تَبْيِينُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لِيَتَذَكَّرُوا وَيَتَعَبَّظُوا.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

١- أن المرأة لا تزوج نفسها ولا غيرها.

- ٢- أن ولاية تزويجها للرجال.
- ٣- تحريم تزويج المشركين بالمؤمنات.
- ٤- أن المؤمن خَيْرٌ من المشرك، ولو فاقه بالجمال والكمال.
- ٥- أن قُرْبَانَ المشركِ خَطَرٌ عَظِيمٌ، لأنه يدْعُو إلى النار.
- ٦- أن الدَّعْوَةَ قد تكونُ بالمقال، وقد تكونُ بالحال.
- ٧- أن الله تعالى يدْعُو عباده إلى الجنةِ والمَغْفِرَةِ.
- ٨- مِنَّةُ الله تعالى على عِبَادِهِ ببيان آياته للناسِ لِيَتَّعِظُوا.
- ٩- أن التَّفَكِيرَ في آيات الله تعالى سببٌ للاتِّعَاضِ.

الآية الثالثة والرابعة:

٣٨٣-٣٨٤- ﴿فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَبِرِزْقِهِ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...﴾
[الطلاق: ٢-٣].

تفسير الآيتين رقم ٣٨٣ - ٣٨٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿بَلَغَنَّ﴾: وَصَلَنَّ، وَالضَّمِيرُ لِلْمُطَلَّقاتِ.

﴿أَجَلَهُنَّ﴾: غَايَةَ عِدَّتِهِنَّ.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: أَبْقُوهُنَّ بِمُرَاجَعَتِهِنَّ.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: أَي: مَا يُقَرُّهُ الشَّرْعُ وَالْعُرْفُ، وَالْبَاءُ لِلْمُصَاحِبَةِ.

﴿فَارِقُوهُنَّ﴾: اقْطَعُوا عِلَاقَةَ النِّكَاحِ بَيْنَكُمْ بِتَرْكِ مُرَاجَعَتِهِنَّ.

﴿ذَوَىٰ عَدْلٍ﴾: صَاحِبِي عَدْلٍ، وَالْعَدْلُ: اسْتِقَامَةُ الدِّينِ وَالْمَرْوَةِ.

﴿مِّنكُمْ﴾: أَي مِّنَ الْمُسْلِمِينَ.

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾: قُومُوا بِهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْكَمَالِ.

﴿لِلَّهِ﴾: أَي: مُخْلِصِينَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ فِي إِقَامَتِهَا.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أَي: مَا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِ الْإِمْسَاكِ وَالْفِرَاقِ وَالشَّهَادَةِ.

﴿يُوعِظُ بِهِ﴾: يُذَكَّرُ بِهِ لِيَلِينَ الْقَلْبُ وَيَصْلِحَ الْعَمَلُ.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي رَقْمِ (٣٧٩).

﴿يَتَّقِ اللَّهَ﴾: يَتَّخِذُ وَقَايَةً مِنْ عَذَابِهِ بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ.

﴿يَجْعَلُ﴾: يُصَيِّرُ لَهُ.

﴿مَخْرَجًا﴾: مَكَانَ خُرُوجٍ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ.

﴿وَبِرِزْقَةٍ﴾: يُعْطِيهِ مِنْ فَضْلِهِ.

﴿مِنْ حَيْثُ﴾: مِنْ جِهَةٍ.

﴿لَا يَحْتَسِبُ﴾: لَا يَكُونُ فِي حُسْبَانِهِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَزْوَاجَ الْمُطَلَّاقِينَ لَزَوْجَاتِهِمْ طَلَاقًا رَجْعِيًّا إِذَا بَلَغَتْ أَرْوَاجَهُمْ غَايَةَ عِدَّتِهِنَّ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُرَاجِعُوهُنَّ مُرَاجَعَةً يُفَرِّقُهَا الشَّرْعُ وَالْعُرْفُ، بِأَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِهَا الْعِشْرَةُ الْحَسَنَةُ، وَإِمَّا أَنْ يَسْتَمِرُّوا فِي مُفَارَقَتِهِنَّ فَلَا يُرَاجِعُوهُنَّ وَيَكُونُ ذَلِكَ بِمَعْرُوفٍ مِنْ غَيْرِ تَقْبِيحٍ وَلَا تَوْبِيخٍ.

ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- بِالْإِشْهَادِ عَلَى ذَلِكَ بِحَيْثُ يَكُونُ الشَّاهِدَانِ مِنْ ذَوِي الْعَدْلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَيَأْمُرُ -سُبْحَانَهُ- بِإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ وَلَا مِمَاطَلَةٍ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى بِأَمْتِثَالِ أَمْرِهِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذِهِ الْأَحْكَامَ إِنَّمَا يُوعِظُ بِهَا وَيَرْغَبُ مِنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ

واليوم الآخر، لأنه الذي يحمله إيمانه على تنفيذها، ثم بين -سبحانه- من فوائد التقوى أن الله تعالى يجعل لمن اتقاه محرّجاً من كل ضيقٍ ورزقاً من غير احتساب.

ج- من فوائد الآيتين:

- ١- جواز مراجعة المطلقة الرجعية عند انقضاء عدتها أو تركها، ومحل هذا ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة.
- ٢- أنه يجب على الزوج أن تكون مراجعته وعدمها بالمعروف.
- ٣- مشروعية الإشهاد على الرجعة والطلاق، ويُقاس على الإشهاد على الرجعة الإشهاد على عقد النكاح، وهذا محل الاستشهاد بالآيتين.
- ٤- اشتراط الإسلام والعدالة في الشاهدين.
- ٥- أنه لا مدخل للنساء في الشهادة على الرجعة والطلاق وكذلك عقد النكاح.
- ٦- وجوب الإخلاص لله تعالى في الشهادة.
- ٧- أن الإيمان بالله واليوم الآخر موجب للانتفاع بالمواعظ.
- ٨- أن قلة الانتفاع بالمواعظ من قلة الإيمان بالله واليوم الآخرة.
- ٩- الترغيب بتقوى الله -عز وجل-.
- ١٠- أن من ثمراتها جلب الأرزاق والخروج من كل ضيق.

النَّوعُ الثَّلَاثُ

الآية الأولى والثانية:

٣٨٥-٣٨٦- ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٣﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِمَّنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿﴾ [النساء: ٢٢-٢٣].

النَّوعُ الثَّلَاثُ: أَي مِنْ آيَاتِ النِّكَاحِ، وَيَتَضَمَّنُ الْمُحَرَّمَاتِ فِي النِّكَاحِ:

المحرمات في النكاح: كُلُّ امْرَأَةٍ يَحْرُمُ عَقْدُ النِّكَاحِ عَلَيْهَا.

والمُحَرَّمَاتُ فِي النِّكَاحِ قِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا: مُحَرَّمَاتُ دَائِمًا، وَالثَّانِي: مُحَرَّمَاتُ تَحْرِيمًا غَيْرَ دَائِمٍ، وَيُعَبَّرُ عَنْهَا بِ:

المُحَرَّمَاتُ إِلَى أَبَدٍ وَالمُحَرَّمَاتُ إِلَى أَمَدٍ.

وَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ أَنْوَاعٌ:

الأوَّلُ: مُحَرَّمَاتُ بِالنِّسْبِ، أَي: بِالقَرَابَةِ وَهُنَّ سَبْعٌ:

١- الأُمَّهَاتُ وَالجَدَّاتُ وَإِنْ عَلَوْنَ.

٢- البناتُ وبناتُ الأولادِ وإن نزلوا.

٣- الأخواتُ مُطلقًا^(١).

٤- العماتُ مُطلقًا، وهن أخواتُ الآباءِ والأجدادِ وإن علوا^(٢).

٥- الخالاتِ مُطلقًا، وهن أخواتُ الأمهاتِ والجداتِ وإن علونَ^(٣).

٦- بناتُ الإخوةِ مُطلقًا وإن نزلنَ.

٧- بناتُ الأخواتِ مُطلقًا وإن نزلنَ.

الثاني: مُحَرَّمَاتُ بِالرَّضَاعِ وَهِنَّ سَبْعٌ، نَظِيرُ الْمُحَرَّمَاتِ بِالنَّسَبِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»^(٤).

الثالث: مُحَرَّمَاتُ بِالصُّهْرِ وَهِنَّ قَرَابَةُ الزَّوْجَيْنِ وَهِنَّ أَرْبَعٌ:

١- أمهاتُ الزَّوجَاتِ وَجَدَاتُهُنَّ وَإِنْ عَلَوْنَ.

٢- زَوْجَاتُ الآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَإِنْ عَلَوْنَ.

٣- زَوَاجَاتُ الأَبْنَاءِ وَزَوْجَاتُ الأَوْلَادِ وَإِنْ نَزَلُوا.

وهذه الثلاثة - أمهات الزوجات، وزوجات الآباء، وزوجات الأبناء - يثبتُ

التَّحْرِيمُ فِيهِنَّ بِمُجَرَّدِ عَقْدِ النِّكَاحِ الصَّحِيحِ.

(١) يُرَادُ بِالْإِطْلَاقِ مَنْ كَانَ شَقِيقًا أَوْ مِنْ أَبٍ أَوْ مِنْ أُمٍّ. [المؤلف]

(٢) فَعَمَّةُ أَبِيكَ وَعَمَّةُ جَدِّكَ وَإِنْ عَلَا، وَعَمَّةُ أُمِّكَ وَعَمَّةُ جَدَّتِكَ وَإِنْ عَلَتْ عَمَّةٌ لَكَ. [المؤلف]

(٣) فَخَالَةُ أَبِيكَ وَخَالَةُ جَدِّكَ وَإِنْ عَلَا، وَخَالَةُ أُمِّكَ وَخَالَةُ جَدَّتِكَ وَإِنْ عَلَتْ خَالَةٌ لَكَ. [المؤلف]

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ الشَّهَادَةِ عَلَى الْأَنْسَابِ، وَالرِّضَاعِ الْمُسْتَفِيضِ، وَالْمَوْتِ

الْقَدِيمِ، رَقْمٌ (٢٦٤٥)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الرِّضَاعِ، بَابُ تَحْرِيمِ ابْنَةِ الْأَخِ مِنَ الرِّضَاعَةِ، رَقْمٌ (١٤٤٧).

٤- بَنَاتُ الزَّوْجَاتِ وَبَنَاتُ أَوْلَادِهِنَّ، وَإِنْ نَزَلُوا، وَهَوْلَاءُ لَا يَثْبُتُ التَّحْرِيمُ فِيهِنَّ إِلَّا إِذَا حَصَلَ وَطْءُ الزَّوْجَةِ بِنِكَاحٍ صَحِيحٍ.

والوطءُ بملكِ اليمينِ كالوطءِ في النكاحِ الصحيحِ، فمنَ وَطِئَ أُمَّتَهُ حَرَمَتْ عَلَى أَبِيهِ وَإِنْ عَلَا وَابْنَهُ وَإِنْ نَزَلَ.

والوطءُ بالشُّبُهَةِ كالوطءِ في النكاحِ الصحيحِ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، وَحَكَاهُ بَعْضُهُمْ إِجْمَاعًا.

والوطءُ بِزَنَا أَوْ لَوَاطِ لَا أَثْرَ لَهُ، فَلَوْ زَنَا بِامْرَأَةٍ لَمْ تَحْرُمَ عَلَى أَبِيهِ وَلَا ابْنَهُ، وَلَمْ تَحْرُمَ عَلَيْهِ أُمَّهَا وَلَا ابْنَتَهَا.

والقسم الثاني: المحرّماتُ تحريمًا غيرَ دائمٍ وهنَّ:

١- أُنْتُ زَوْجَتِهِ وَعَمَّتُهَا وَخَالَتُهَا مِنْ نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ، حَتَّى تَبِينَ زَوْجَتُهُ مِنْهُ.

٢- مَا زَادَ عَلَى الْأَرْبَعِ حَتَّى يَنْقُضَنَّ.

٣- الْمُسْلِمَةُ عَلَى الْكَافِرِ حَتَّى يُسْلِمَ.

٤- الْكَافِرَةُ عَلَى الْمُسْلِمِ حَتَّى تُسْلِمَ إِلَّا الْكِتَابِيَّةُ - الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ -.

٥- الْمَشْغُولَةُ بِعِدَّةٍ أَوْ اسْتِبْرَاءٍ لِغَيْرِهِ حَتَّى تَنْتَهِيَ.

٦- مُطَلَّقَتُهُ ثَلَاثًا حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ.

٧- الْأَمَةُ عَلَى الْحُرِّ حَتَّى تُعْتَقَ، إِلَّا إِذَا خَافَ الْعَنَتَ وَكَانَتْ مُؤْمِنَةً، وَلَمْ يَجِدْ

مَهْرَ حُرَّةٍ.

٨- الْمَمْلُوكَةُ عَلَى مَالِكِهَا حَتَّى يُخْرِجَهَا عَنْ مِلْكِهِ، لَكِنْ يَطْوُهَا بِمَلِكِ الْيَمِينِ.

٩- المَالِكَةُ عَلَى مَمْلُوكِهَا حَتَّى تُخْرِجَهُ عَنْ مِلْكِهَا.

١٠- الْمُحْرَمَةُ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ حَتَّى تَحِلَّ مِنْ إِحْرَامِهَا، وَكَذَلِكَ الْمُحْرِمُ لَا يَتَزَوَّجُ حَتَّى يَحِلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ.

١١- الزَّانِيَةُ حَتَّى تَتُوبَ، وَكَذَلِكَ الزَّانِي لَا يُزَوَّجُ حَتَّى يَتُوبَ.

تفسير الآيتين رقم ٣٨٥ - ٣٨٦ :

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ :

﴿وَلَا نَنْكِحُوا﴾: لَا تَتَزَوَّجُوا.

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَكَفَ﴾: قَدْ مَضَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْإِسْتِثْنَاءُ هُنَا مَنْقُطٌ، وَ(إِلَّا) بِمَعْنَى لَكِنْ.

﴿رَأَتْهُ﴾: أَي: نِكَاحُكُمْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ.

﴿كَانَ﴾: فِعْلٌ يُرَادُ بِهِ تَحْقِيقُ اتِّصَافِ اسْمِهِ بِخَبَرِهِ، وَهُوَ هُنَا مَسْلُوبٌ الدَّلَالَةِ عَلَى الزَّمَنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿فَنِجَسَتْهُ﴾: قَبِيحًا.

﴿وَمَقْتًا﴾: أَي: مَبْغُوضًا أَشَدَّ الْبُغْضِ، فَالْمَصْدَرُ هُنَا يُرَادُ بِهِ اسْمُ الْمَفْعُولِ.

﴿وَسَاءَ﴾: فِعْلٌ لِإِنْشَاءِ الدَّمِّ مِثْلَ: بِئْسَ.

﴿سَبِيلًا﴾: طَرِيقًا، وَجُمْلَةٌ (إِنْ كَانَ... إلخ) تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ.

﴿حُرِّمَتْ﴾: مُنِعَتْ، وَالْمُرَادُ: تَحْرِيمُ نِكَاحِهَا.

﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾: جَمْعُ أُمٍّ، وهي من وَلَدَتِ الشَّخْصَ، أو ولدت أحدًا من آباءه
أو أمهاته وإن علوا.

﴿وَبَنَاتِكُمْ﴾: جَمْعُ بِنْتٍ، وهي الأُنثَى من الأولادِ وأولادِ الأولادِ وإن نزلوا.

﴿وَأَخَوَاتِكُمْ﴾: جمعُ أُخْتٍ، وهي الأُنثَى من أولادِ الأب أو الأم.

﴿وَعَمَّاتِكُمْ﴾: جمعُ عَمَّةٍ، وهي أُخْتُ الأب أو الجد وإن علًا.

﴿وَوَحَلَاتِكُمْ﴾: جمعُ خَالَةٍ، وهي أُخْتُ الأُمِّ أو الجَدَّةِ وإن علَّت.

﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ﴾: كُلُّ أُنثَى من أولادِ الأخ أو أولادِ أولاده وإن نزلوا.

﴿وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾: كُلُّ أُنثَى من أولادِ الأخت أو أولادِ أولادها وإن نزلوا.

﴿وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرِّضْعَةِ﴾: كُلُّ أُنثَى أَرْضَعَتْهَا الأُمُّ أو زوجة الأب.

﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾: كُلُّ أُنثَى وَلَدَتِ الزَّوْجَةَ أو ولدت أحدًا من آباءها

أو أمهاتها وإن علوا.

﴿وَرَبَائِبِكُمْ﴾: جَمْعُ رَبِيبَةٍ، وهي الأُنثَى من أولادِ الزَّوْجَةِ أو أولادِ أولادها

وإن نزلوا.

﴿فِي حُجُورِكُمْ﴾: فِي بُيُوتِكُمْ تحت تَرْبِيَّتِكُمْ.

﴿مِّن نِّسَائِكُمْ﴾: من زَوَّجَاتِكُمْ.

﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: جَامِعْتُمُوهُنَّ.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: فلا إثم عليكم في نِكَاحِهِنَّ.

﴿وَحَلَائِلُ﴾ جمع حَلِيلَةٍ بمعنى مُحَلَّلَةٍ وهي الزوجة.

﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾: جمع صُلْبٍ، وهو: الظَّهْرُ، أي: الذين خُلِقُوا مِنْ مَائِكُمْ.

﴿تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾: تَضُمُوا بينهما في النِّكَاحِ.

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾: ما قد مَضَى في الجَاهِلِيَّةِ، والاستثناء هُنَا مُنْقَطِعٌ فَتَكُونُ إِلَّا بِمَعْنَى لَكِنْ.

﴿غَفُورًا﴾: ذُو مَغْفِرَةٍ، وَهِيَ سِتْرُ الذُّنُوبِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُ.

﴿رَحِيمًا﴾: ذُو رَحْمَةٍ، وَهِيَ صِفَةٌ تَقْتَضِي الإِنْعَامَ وَالإِحْسَانَ إِلَى الْمَرْحُومِ. وَالجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

ب- المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

فِي الآيَةِ الأُولَى يَنْهَى اللهُ تَعَالَى أَنْ يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ مَنْ تَزَوَّجَهَا أَبُوهُ وَإِنْ عَلَا، سِوَاءٌ حَصَلَ مَعَ ذَلِكَ وَطءٌ أَمْ لَا، وَبَيِّنُ - سُبْحَانَهُ - أَنْ ذَلِكَ مِنَ الفَوَاحِشِ المَمْقُوتَةِ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ النَّاسِ، إِذْ كَيْفَ يَسُوعُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً هِيَ شَبِيهَةٌ أُمِّهِ فِي حِلِّهَا لِأَبِيهِ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الصَّنِيعُ المَمْقُوتُ قَدْ جَرَى فِي الجَاهِلِيَّةِ بَيْنَ اللهِ أَنْ مَا ثَبَتَ مِنْ حُكْمِهِ فِي الإِسْلَامِ لَا يَنْسَحِبُ عَلَى مَا جَرَى فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَلَا يُؤَاخَذُ بِهِ مِنْ صِنْعِهِ حِينَئِذٍ.

وَفِي الآيَةِ الثَّانِيَةِ يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى المَحْرَمَاتِ فِي النِّكَاحِ، وَيُقَسِّمُهُنَّ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

القِسْمُ الأَوَّلُ: المَحْرَمَاتُ بِالنَّسَبِ أَي القَرَابَةِ وَهِنَّ سَبْعٌ: الأُمَّهَاتُ وَإِنْ عَلَوْنَ، وَالبَنَاتُ وَإِنْ نَزَلْنَ، وَالأَخَوَاتُ، وَالعَمَّاتُ، وَالحَالَاتُ، وَبناتُ الإِخْوَةِ، وَبناتُ الأَخَوَاتِ.

القسم الثاني: المُحَرَّمَاتُ بِالرِّضَاعِ، وَذَكَرَ اللهُ مِنْهُنَّ الْأُمَهَاتُ وَإِنْ عَلَوْنَ، وَالْأَخَوَاتُ، وَجَاءَتِ السُّنَّةُ بِبَيَانِ الْبَاقِي حَيْثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُحْرَمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يُحْرَمُ مِنَ النَّسَبِ»^(١).

القسم الثالث: المُحَرَّمَاتُ بِالصُّهْرِ، وَذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أُمَهَاتِ الزَّوْجَاتِ وَإِنْ عَلَوْنَ، وَبَنَاتِهِنَّ وَإِنْ نَزَلْنَ، وَزَوْجَاتُ الْأَبْنَاءِ وَإِنْ نَزَلُوا، وَذَكَرَ فِي الَّتِي قَبْلَهَا زَوْجَاتِ الْأَبَاءِ.

القسم الرابع: المُحَرَّمَاتُ بِالْجَمْعِ، فَلَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ مُطْلَقًا مِنْ نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ، وَالسُّنَّةُ بَيَّنَّتْ أَنَّهُ لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا.

ثُمَّ خَتَمَ اللهُ تَعَالَى الْآيَةَ بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَهَمَّا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ الدَّالَّانِ عَلَى ثُبُوتِ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَمِنْ آثَارِهِمَا: عَفُوهُ عَمَّا سَلَفَ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَتَيْنِ:

١- تَحْرِيمُ التَّزْوُجِ بِزَوْجَاتِ الْأَبَاءِ وَإِنْ عَلَوْا، سِوَاءَ دَخَلُوا بِهِنَّ أَمْ لَا.

٢- عَفُوُّ اللهِ تَعَالَى عَمَّا كَانَ مِنْ هَذَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

٣- أَنَّ التَّزْوُجَ بِهِنَّ مِنَ الْفَوَاحِشِ الْمَنْقُوتَةِ.

٤- أَنَّ فِي التَّزْوُجِ بِهِنَّ ثَلَاثَ مَفَاسِدٍ:

أ- ارْتِكَابُ الْفَاحِشَةِ.

(١) سبق تخريجه (ص: ٦٠٨).

ب- الوُقُوعُ فيما يُبغِضُهُ اللهُ.

ج- الانحرافُ عن السَّبِيلِ المُسْتَقِيمِ.

٥- أن التَزْوُجَ بهن أعظَمُ من الزَّنا، لأنَّ اللهُ وَصَفَهُ بِوَصْفِ زَانِدٍ على الزَّنا وهو المَقْتُ.

٦- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الأُمَّهاتِ وإن عَلَوْنَ.

٧- تَحْرِيمُ نِكَاحِ البناتِ وإن نَزَلْنَ.

٨- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الأَخواتِ، سواءَ كُنَّ شَقِيقَاتِ، أم من أبٍ أم من أُمِّ.

٩- تَحْرِيمُ نِكَاحِ العَمَّاتِ وإن عَلَوْنَ، سواءَ كُنَّ شَقِيقَاتِ أم من أبٍ أم من أُمِّ.

١٠- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الخَالَاتِ وإن عَلَوْنَ، سواءَ كُنَّ شَقِيقَاتِ أم من أبٍ أم من أُمِّ.

١١- تَحْرِيمُ نِكَاحِ بناتِ الإخوةِ وإن نَزَلْنَ، سواءَ كانَ الإخوةُ أشقاءَ أم من أبٍ أم من أُمِّ.

١٢- تَحْرِيمُ نِكَاحِ بناتِ الأَخواتِ وإن نَزَلْنَ، سواءَ كانتِ الأَخواتُ شَقِيقَاتِ أم من أبٍ أم من أُمِّ.

١٣- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الأُمَّهاتِ من الرِّضَاعِ.

١٤- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الأَخواتِ من الرِّضَاعِ، سواءَ كُنَّ شَقِيقَاتِ أم من أبٍ أم من أُمِّ.

١٥- تَحْرِيمُ نِكَاحِ أُمَّهاتِ الزَّوْجَاتِ وإن عَلَوْنَ، سواءَ دَخَلَ بالزَّوْجَةِ أم لا.

١٦- تَحْرِيمُ نِكَاحِ بناتِ الزَّوْجَةِ وإن نَزَلْنَ، بشرطِ أن يَدْخَلَ بالزَّوْجَةِ، أي: يُجامِعُها.

- ١٧- تَحْرِيمُ نِكَاحِ زَوْجَاتِ الْأَبْنَاءِ مِنَ الصُّلْبِ وَإِنْ نَزَلُوا، سِوَاءَ دَخَلُوا بِهِنَّ أُمَّ لَا.
- ١٨- تَحْرِيمُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ فِي النِّكَاحِ، سِوَاءَ كُنَّ أُخَوَاتٍ مِنْ نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ شَقِيقَاتٍ أُمَّ مِنْ أَبٍ أُمَّ مِنْ أُمَّ.
- ١٩- عَفْوُ اللَّهِ تَعَالَى عَمَّا كَانَ مِنَ الْجَمْعِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.
- ٢٠- إِثْبَاتُ اسْمِي (الْغُفُورِ وَالرَّحِيمِ) لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنْ صِفَتِي الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.

الآية الثالثة:

٣٨٧- ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا أَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُعْجَبْكُمْ وَلَا تُنْكَحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا تُعْجَبْكُمْ...﴾ [البقرة: ٢٢١].

تفسير الآية رقم ٣٨٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿نَنْكِحُوا﴾: بفتح الناء: تَزَوَّجُوا.

﴿الْمُشْرِكَةَ﴾: اللاتي يُشْرِكْنَ مع الله غيره في الربوبية أو غيرها.

﴿وَلَا أَمَةٌ﴾: لِرَقِيقَةٍ مَمْلُوكَةٍ أو لَأُنْثَى، لأن النساء إماء الله.

انظر الآية رقم (٣٨٢) في تفسير بقية الكلمات.

ب- المعنى الإجمالي:

يَنْهَى اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَزَوَّجُوا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَتَدْخُلَ فِي دِينِ اللهِ، وَيُرْعَبُ تَعَالَى فِي نِكَاحِ الْمُؤْمِنَاتِ مُبَيَّنًا أَنَّ الْمُؤْمِنَةَ خَيْرٌ مِنَ الْمُشْرِكَةِ، وَلَوْ كَانَتِ الْمُشْرِكَةُ مُحَلًّا لِإِعْجَابٍ فِي جَمَاهَا وَخُلُقِهَا وَحَسَبِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَيَنْهَى اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا أَنْ يُزَوَّجُوا أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَيَدْخُلُوا فِي دِينِ اللهِ، وَيُرْعَبُ تَعَالَى فِي تَزْوِيجِ الْمُؤْمِنِينَ مُبَيَّنًا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنَ الْمُشْرِكِ، وَلَوْ كَانَ الْمُشْرِكُ مُحَلًّا لِإِعْجَابٍ فِي خُلُقِهِ وَحَسَبِهِ وَمَالِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وقد سبق في تفسير الآية رقم (٣٨٢) بيان الحكمة في ذلك.

ج- من فوائد الآية:

- ١- تحريم نكاح المشركات على المؤمنين حتى يؤمنن، ويستثنى من ذلك الكتابيات لقوله تعالى في سورة المائدة في ذكر المحلل لنا من الطعام والنساء: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥].
- ٢- تحريم تزويج المشركين بالمؤمنات حتى يؤمنوا، وهاتان محل الاستشهاد بالآية.
- ٣- أن الرجل ولي نفسه في النكاح.
- ٤- أن المرأة لا تزوج نفسها.
- ٥- أن المؤمن خير من المشرك، ولو فاقه المشرك بالجمال والكمال.

الآية الرابعة:

٣٨٨- ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا...﴾ [المتحنة: ١٠].

تفسير الآية رقم ٣٨٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾: أي: المؤمنات المهاجرات.

﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾: فلا تردوهن.

﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾: أي: أزواجهن الكفار.

﴿لَا هُنَّ﴾ أي: لا المؤمنات.

﴿حِلٌّ لَهُمْ﴾: محلات لأزواجهن الكفار.

﴿وَأَاتُوهُنَّ﴾ أعطوا أزواج النساء اللاتي آمنن، والخطاب لأولياء أمور المسلمين.

﴿مَّا أَنْفَقُوا﴾: ما بذلوا من المهور.

ب- المعنى الإجمالي:

جرى الصلح بين النبي ﷺ وبين قريش في الحديبية على شروط، كان منها: أن من أتى إلى المسلمين من الكفار يرد إليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فكانت استثناء من عموم الصلح تمنع من رد المؤمنات المهاجرات إلى الكفار، ويبيّن الله تعالى الحكمة من التّهي وهي: أن المؤمنات لسن حلاً للكفار ولا الكفار يحلون لهن،

ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْرِمُوا لِأَزْوَاجِ أَوْلِيَّائِكَ الْمُهَاجِرَاتِ مَا أَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ مِنَ الْمَهْوَرِ عَوَضًا عَمَّا فَوَّتَهُ إِسْلَامُهُنَّ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ.

ج- من فوائد الآية:

- ١- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الْكَافِرِ الْمُسْلِمَةَ سِوَاءَ كَانَ كُفْرُهُ بِالشَّرْكِ أَوْ الْجُحُودِ أَوْ الْاِسْتِكْبَارِ.
- ٢- أَنْ النِّكَاحَ يَنْفَسِخُ بِإِسْلَامِ الزَّوْجَةِ إِذَا كَانَ زَوْجُهَا كَافِرًا.
- ٣- أَنْ النِّكَاحَ يَنْفَسِخُ بِرِدَّةِ الزَّوْجِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ الرِّدَّةِ تَرْكُ الصَّلَاةِ، فَإِذَا تَرَكَ الزَّوْجُ الصَّلَاةَ انْفَسَخَ نِكَاحُهُ.
- ٤- تَحْرِيمُ رَدِّ الْمُؤْمِنَاتِ الْمُهَاجِرَاتِ إِذْ تَبَيَّنَ إِيمَانُهُنَّ إِلَى بِلَادِ الْكُفَّارِ، سِوَاءَ كُنَّ مُتَزَوِّجَاتٍ أَمْ غَيْرَ مُتَزَوِّجَاتٍ.
- ٥- وَجُوبُ امْتِحَانِنَّ بِمَا يَظْهَرُ بِهِ صِدْقُ إِيمَانِنَّ.
- ٦- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يَرُدَّ مِنَ بَيْتِ الْمَالِ عَلَى أَزْوَاجِ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرَاتِ مَا أَنْفَقُوا مِنَ الْمَهْوَرِ.
- ٧- ظُهُورُ عَدَالَةِ الْإِسْلَامِ فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ.

الآية الخامسة:

٣٨٩- ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [المائدة:٥].

تفسير الآية رقم ٣٨٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿الْيَوْمَ﴾: أي: يوم نزول الآية.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾: أي: أحل الله لكم، الخطاب للمؤمنين.

﴿الطَّيِّبَاتُ﴾: ما طاب أكله شرعاً ومذاقاً.

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ﴾: أي: ذبائحهم، وهو مبتدأ وخبره ﴿حِلٌّ لَكُمْ﴾.

﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: أعطوه، والكتاب هنا: التوراة والإنجيل، والذين أُوتوه:

اليهود والنصارى.

﴿وَطَعَامُكُمْ﴾: أي: ذبائحكم.

﴿حِلٌّ﴾: أي: محلل.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: الحرائر العفيفات عن الزنا، وهو مبتدأ خبره محذوف

تقديره: حل.

﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾: أعطيتموهن.

﴿أَجْرَهُنَّ﴾: مَهْرُهُنَّ.

﴿مُحْصِنِينَ﴾: حَالٌ مِنَ الْوَاوِي فِي ﴿آتَيْتُمُوهُنَّ﴾، أَي: مُرِيدِينَ الْإِحْصَانَ وَهُوَ النِّكَاحُ بِعَقْدٍ صَاحِبٍ.

﴿غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾: غَيْرَ مُرِيدِينَ لِلسَّفَاحِ، وَهُوَ الزَّانَا.

﴿مُتَّخِذِي﴾: جَاعِلِي.

﴿أَخْدَانٍ﴾: جَمْعُ خَدَنٍ، وَهُوَ الصَّدِيقُ السَّرِيُّ عَلَى الْفَاحِشَةِ.

﴿بِالْإِيمَانِ﴾: أَي: بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ.

﴿حِطَّ﴾: بَطَلَ وَضَاعَ سُدَى.

﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: أَي: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

﴿الْحَسْرِينَ﴾: الْفَاقِدِينَ لِلرَّبْحِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا مَا أَحَلَّ مِنَ الْمَطْعُومَاتِ وَالْمَنْكُوحَاتِ.

أَمَّا الْمَطْعُومَاتُ فَبَيَّنَ أَنَّهُ أَحَلَّ لَنَا الطَّيِّبَاتِ الَّتِي يَطِيبُ أَكْلُهَا شَرْعًا وَمَذَاقًا، وَأَحَلَّ لَنَا مَا ذَكَاهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، كَمَا أَحَلَّ لَهُمْ مَا ذَكَّيْنَاهُ.

وَأَمَّا الْمَنْكُوحَاتُ فَبَيَّنَ أَنَّهُ أَحَلَّ لَنَا الْحَرَائِرَ الْعَفِيفَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَمِثْلَهُنَّ مِنَ الْيَهُودِيَّاتِ وَالنَّصْرَانِيَّاتِ بِشَرْطَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِالْمُهْرِ الشَّرْعِيِّ.

والثاني: أن يكون ذلك بعقد النكاح الصحيح دون السفاح والتخاذ
الأخذان.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى أَنْ مَنْ كَفَرَ بِالْإِيمَانِ فَعَمَلُهُ حَابِطٌ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ خَاسِرٌ
وَمَحَلٌّ ذَلِكَ إِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ
وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وَالْحِكْمَةُ مِنْ خَتْمِ الْآيَةِ بِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لثَلَايِتَوَهُمْ أَنْ تَزُوجَ الْمُسْلِمَ
بِالْكِتَابِيَّةِ يُنَجِّيَهَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ إِذَا مَاتَتْ عَلَى كُفْرِهَا.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- حَلُّ جَمِيعِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ.
- ٢- تَحْرِيمُ جَمِيعِ الْحَبِيثَاتِ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ.
- ٣- حَلُّ ذَبَائِحِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِلْمُسْلِمِينَ.
- ٤- تَحْرِيمُ ذَبَائِحِ غَيْرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.
- ٥- حَلُّ نِكَاحِ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.
- ٦- تَحْرِيمُ نِكَاحِ النِّسَاءِ مِنْ غَيْرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.
- ٧- تَحْرِيمُ نِكَاحِ غَيْرِ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.
- ٨- اشْتِرَاطُ الْمَهْرِ لِصِحَّةِ النِّكَاحِ.
- ٩- أَنَّ الْمَهْرَ مِلْكٌ لِلزَّوْجَةِ.

١٠- تَحْرِيمُ الزَّوْنَا وَاتِّخَاذِ الصَّدِيقَاتِ وَالأَصْدِقَاءِ لَلْمُتَعَةِ الْجُنْسِيَّةِ.

١١- أَنِ الكُفْرَ مُحِيطٌ لَلْأَعْمَالِ.

١٢- أَنِ الكَافِرَ لَا يُقْبَلُ لَهُ عَمَلٌ.

١٣- أَنِ الكُفْرَ خُسْرَانٌ فِي الآخِرَةِ، وَإِنْ رَبِحَ الكَافِرُ فِي الدُّنْيَا.

الآية السادسة:

٣٩٠- ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ...﴾ [النساء: ٢٤].

تفسير الآية رقم ٣٩٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: ذوات الأزواج، وهو بالرفع عطفًا على أمهاتكم في قوله:
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أمهاتكم﴾ أي: وحُرِّمَتْ عليكم المحصنات.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: أي: إلا ما ملكتم بالسبي.

﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾: أي: مكتوبه، وهو منصوبٌ على الإغراء، أي: الزموا كتاب الله،

والكتب: الفرض.

ب- المعنى الإجمالي:

يُحِبُّ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ حَرَّمَ عَلَيْنَا الْمُتَزَوِّجَاتِ مَا دُمْنَ فِي عِصْمَةِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْاِعْتِدَاءِ الصَّارِخِ عَلَى حُقُوقِ أَزْوَاجِهِنَّ، سِوَاءَ كَانُوا مُسْلِمِينَ أَمْ كُفَّارًا، وَاسْتَنْتَى اللهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ أَزْوَاجَ الْكُفَّارِ إِذَا سَبَّاهُنَّ الْمُسْلِمُونَ وَأَزْوَاجِهِنَّ فِي دَارِ الْحَرْبِ، فَإِنَّهُنَّ حَلَالٌ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ اسْتِبْرَائِهِنَّ.

هكذا بيَّنت السنة معنى هذه الآية، ثم ختم الله الآية بالحث على لزوم

فرائضه.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- تَحْرِيمُ ذَوَاتِ الْأَزْوَاجِ حَتَّى تَحْصَلَ الْبَيِّنَاتُ الْكَامِلَةُ مِنْ زَوْجِهَا، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْإِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٢- انْفِسَاخُ نِكَاحِ الْمَسِيَّةِ مِنْ زَوْجِهَا الْكَافِرِ، إِذَا كَانَ بَدَارِ الْحَرْبِ.
- ٣- وُجُوبُ التِّزَامِ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الآية السابعة:

٣٩١- ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ...﴾

[البقرة: ٢٣٥].

تفسير الآية رقم ٣٩١:

يُرْجَعُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى مَا كَتَبْتُ فِيهَا فِي الْآيَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ النَّوْعِ الْأَوَّلِ مِنَ النِّكَاحِ بِرَقْمِ (٣٨٠)، وَذُكِرَتْ هُنَا لِأَنَّهَا تَتَّصِفُ بِذِكْرِ نَوْعٍ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ إِلَى أَمَدٍ فَيُسْتَفَادُ مِنْهَا:

تَحْرِيمُ نِكَاحِ الْمُعْتَدَةِ مِنَ الْغَيْرِ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ الْعِدَّةُ.

الآية الثامنة:

٣٩٢- ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
[البقرة: ٢٣٠].

تفسير الآية رقم ٣٩٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: أي: طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ الَّتِي سَبَقَ مِنْهُ عَلَيْهَا طَلْقَتَانِ.

﴿مِنْ بَعْدُ﴾: مِنْ بَعْدِ طَلْقَتِهَا الثَّلَاثَةِ.

﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾: حَتَّى تَتَزَوَّجَ.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: أَي: الزَّوْجِ الثَّانِي.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: فَلَا إِثْمَ عَلَى الزَّوْجِ الْأَوَّلِ وَمُطَلَّقَتِهِ.

﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾: أَنْ يَرْجِعَ أَحَدُهُمَا إِلَى الثَّانِي بَعْدَ نِكَاحِ.

﴿إِنْ ظَنَّا﴾: إِنْ تَرَجَّحَ عِنْدَهُمَا.

﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾: أَحْكَامَ شَرِيعَتِهِ.

﴿وَتِلْكَ﴾: أَي: الْمَذْكُورَاتِ مِنْ هَذِهِ الْأَحْكَامِ.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: أَي: يَتَفَعَّلُونَ بِعِلْمِهِمْ، أَوْ يَعْلَمُونَ نَتَائِجَ مَخَالَفَةِ حُدُودِ اللَّهِ

تعالى.

ب- المعنى الإجمالي:

كان أهل الجاهلية يُطَلِّقُونَ المرأةَ عِدَّةَ مَرَاتٍ وَيُرَاجِعُونَهَا إِضْرَارًا بَهَا، فَشَرَعَ اللهُ تَعَالَى فِي الإِسْلَامِ أَنَّهُ لَا حَقَّ لِلزَّوْجِ فِي مُرَاجَعَةِ زَوْجَتِهِ الْمُطَلَّقةِ إِلا أَنْ يُرِيدَ الإِصْلَاحَ، وَقَيَّدَ العِدَّةَ الَّذِي فِيهِ الرَّجْعَةُ بِطَلْقَتَيْنِ فَقَالَ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وَقَالَ: ﴿الطَّلُوقُ مَرَّتَانٍ فإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنِ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وفي هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى أنه إذا طَلَّقَهَا بعد الثَّانِيَةِ فإنها لا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَتَزَوَّجَ زَوْجًا غَيْرَهُ، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ لَا بُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنْ جِمَاعٍ تَامٍّ، يَذُوقُ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ عُسَيْلَةَ الثَّانِي، ثُمَّ إِنْ طَلَّقَهَا الزَّوْجُ الثَّانِي أَوْ مَاتَ عَنْهَا وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَلَا جِنَاحَ عَلَى الأَوَّلِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، بِشَرَطِ أَنْ يَتَرَجَّحَ عِنْدَهُمَا القِيَامُ بِهَا أَوْ جَبَّ اللهُ عَلَيْهَا مِنَ العِشْرَةِ بَيْنَهُمَا وَغَيْرَهَا.

ثُمَّ حَتَمَ اللهُ تَعَالَى الآيَةَ بِأَنَّ هَذِهِ الحُدُودَ الَّتِي يَبِينُهَا اللهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِهَا أَهْلُ العِلْمِ، لِأَنَّ هُمْ أَهْلُ التَّدْبِيرِ وَالتَّفْكِيرِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ:

- ١- تَحْرِيمُ المُطَلَّقةِ ثَلَاثًا عَلَى مُطَلَّقِهَا حَتَّى تَتَزَوَّجَ بِغَيْرِهِ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُجَامِعَهَا الثَّانِي جِمَاعًا تَامًّا، يَذُوقُ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عُسَيْلَةَ الأُخْرَى.
- ٢- حُلُّ هَذِهِ المُطَلَّقةِ لِمُطَلَّقِهَا الأَوَّلِ إِذَا بَانَتْ مِنَ الثَّانِي.
- ٣- أَنَّهَا لَا تَحِلُّ لِزَوْجِهَا الأَوَّلِ إِلا بِشَرَطِ أَنْ يَتَرَجَّحَ عِنْدَهُمَا التَّمَكُّنُ مِنْ إِقَامَةِ حُدُودِ اللهِ.

- ٤ - أن أحكام الله تعالى حُدُودٌ تَقِي المرءَ من تَجَاوُزِهَا، دُخُولًا إِنْ كَانَتْ نَوَاهِي
وُخْرُوجًا إِنْ كَانَتْ أَوْامِرُ.
- ٥ - أن هذه الحُدُودَ لَا يَتَنَفَّعُ بِهَا إِلَّا ذُوو الْعِلْمِ، الَّذِينَ فَهَمُوا الْأُمُورَ عَلَى حَقَائِقِهَا.
- ٦ - نِعْمَةٌ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِبَيَانِ حُدُودِهِ حَتَّى لَا يَتَخَبَّطُوا فِي دِينِهِمْ.

الآية التاسعة إلى الثالثة عشرة:

٣٩٣-٣٩٦- ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ
 الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَنَيْتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ
 بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ
 غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
 مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْرِبُوا خَيْرٌ
 لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ
 وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ
 وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿النساء: ٢٥-٢٨﴾.]

تفسير الآيات رقم ٢٩٢ - ٢٩٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿لَمْ يَسْتَطِعْ﴾: لم يقدر.

﴿طَوْلًا﴾: غنى وسعة.

﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾: أَنْ يَتَزَوَّجَ، وَأَنْ وَالْفِعْلُ فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ مَنْصُوبٍ بِنَزْعِ
 الْخَافِضِ، وَالتَّقْدِيرُ: عَلَى أَنْ يَنْكِحَ.

﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾: الْحَرَائِرِ.

﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾: الْمَصَدِّقَاتِ بِمَا يَجِبُ التَّصَدِيقُ بِهِ مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِدْعَانِ.

﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: الفاءُ رَابِطَةٌ لِلجَوَابِ، والجائزُ والمجورور مُتَعَلِقَتُهُمَا محذوفٌ والتَّقْدِيرُ: فأنكِحُوا مما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.

﴿فَنَيْتِكُمْ﴾: إِمَائِكُمُ المَمْلُوكَاتِ.

﴿مِنْ بَعْضٍ﴾: أَي: مِنْ جِنْسِ بَعْضٍ لِأَنَّكُمْ مِنَ البَشَرِ.

﴿بِإِذْنٍ﴾: بِرِضَى.

﴿أَهْلِهِنَّ﴾: أَسْيَادِهِنَّ.

﴿وَأَتَوْهُنَّ﴾: أَعْطَوْهُنَّ.

﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مَهُورَهُنَّ.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: أَي: المَقْرُورِ شَرْعًا وَعُرْفًا بَدُونِ نَقْصٍ وَلَا مَطْلٍ.

﴿مُحْصَنَاتٍ﴾: عَفِيفَاتٍ عَنِ الزَّانَا، وَهِيَ حَالٌ مِنَ الهَاءِ فِي ﴿وَأَتَوْهُنَّ﴾.

﴿مُسْلَفَحَاتٍ﴾: مُرِيدَاتٍ لِلزَّانَا.

﴿أَخْدَانٍ﴾: جَمْعُ خَدِنٍ، وَهُوَ الصَّدِيقُ السَّرِيٌّ عَلَى الفَاحِشَةِ.

﴿أُحْصِنَ﴾: تَزَوَّجَنَ.

﴿بِفَحْشَةٍ﴾: بِزَنَا.

﴿المُحْصَنَاتِ﴾: الحَرَائِرِ.

﴿العَذَابِ﴾: العُقُوبَةُ عَلَى الزَّانَا وَهِيَ فِي الحَرَائِرِ جَلْدٌ مِئَّةٌ وَتَغْرِيْبٌ عَامٌ،

فَنِصْفُهَا فِي الإِمَاءِ خَمْسُونَ جَلْدَةً وَتَغْرِيْبٌ نِصْفِ عَامٍ، وَالرَّجْمُ لَا يَتَنَصَّفُ فَسَقَطَ فِي حَقِّ الإِمَاءِ.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: نِكَاحُ الإِمَاءِ لِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ نِكَاحَ الْحُرَّةِ.

﴿خَشِيَ﴾: خَافَ.

﴿أَلَعَنْتَ﴾: الْمَشَقَّةَ.

﴿تَصَبَّرُوا﴾: تَحَبَّسُوا أَنْفُسَكُمْ عَنْ نِكَاحِ الإِمَامِ مَعَ حِلِّهِ.

﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾: أي: مِنْ نِكَاحِ هُنَّ.

﴿يُرِيدُ﴾: أي: يَجِبُ.

﴿لِيُبَيِّنَ﴾: لِيُوضِّحَ، وَاللَّامُ لِتَبْيِينِ الْمَرَادِ، وَهِيَ زَائِدَةٌ إِعْرَابًا.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾: يُرْشِدُكُمْ وَيُوفِّقُكُمْ.

﴿سُنَّ﴾: طُرُقَ.

﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أي: سَابِقِيكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: يُوفِّقُكُمْ لِلتَّوْبَةِ وَيَقْبَلُهَا مِنْكُمْ.

﴿حَكِيمٌ﴾: حَاكِمٌ مُحْكَمٌ لِمَا صَنَعَهُ وَشَرَعَهُ.

﴿يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾: يَأْخُذُونَ بِالشَّهَوَاتِ، وَالْمَرَادُ بِالشَّهَوَاتِ: مَا خَالَفَ

الْحَقَّ.

﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾: أَنْ تَنْحَرِفُوا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

﴿عَظِيمًا﴾: بِالْغَالِظِ الْإِنْحِرَافِ.

﴿يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾: يُسَهِّلَ عَلَيْكُمْ شَرَائِعَهُ.

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ﴾: أَوْجَدَ اللهُ الْإِنْسَانَ.

﴿ضَعِيفًا﴾: حَالٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، نَاقِصَ الْقُوَّةِ، وَالْجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِمَا سَبَقَ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

أَحَلَّ اللهُ تَعَالَى لِلْحُرِّ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْحَرَائِرَ حَسْبَمَا مَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي الشَّرِيعَةِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْإِمَاءَ، لِأَنَّهُ إِذَا تَزَوَّجَ الْأُمَّةَ صَارَ أَوْلَادُهُ مِنْهَا مِلْكًا لِسَيِّدِهَا فَأَرَقَّ أَوْلَادُهُ وَأَذَلَّ نَفْسَهُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا فِي تَفْكِيرِهِ وَعِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَدْ لَا يَصْبِرُ عَنِ نِكَاحِ الْأُمَّةِ، أَحَلَّ اللهُ تَعَالَى لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْإِمَاءَ تَخْفِيفًا عَلَيْهِ بِشُرُوطِ ثَلَاثَةِ:

١- أَنْ يَكُونَ عَاجِزًا عَنِ مَهْرِ الْحَرَائِرِ الْمُؤْمِنَاتِ.

٢- أَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ مُؤْمِنَةً.

٣- أَنْ يَخْشَى الْمَشَقَّةَ بِتَرْكِ الزَّوْاجِ.

وَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الْحُكْمَ بِالْإِيمَانِ بِحَسَبِ مَا يَظْهَرُ لَنَا، أَمَّا مَا فِي الْقُلُوبِ فَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ، وَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ نَقْصَ الْإِمَاءِ بِالرِّقِّ لَا يُخْرِجُهُنَّ عَنِ كِرَامَةِ الْإِنْسَانِ، فَإِنْ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ، ثُمَّ بَيَّنَّ -سُبْحَانَهُ- أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي نِكَاحِ الْإِمَاءِ مِنْ إِذْنِ أَسْيَادِهِنَّ وَإِيتَائِهِنَّ مُهُورَهُنَّ عَلَى إِرَادَةِ النِّكَاحِ الصَّحِيحِ دُونَ السَّفَاحِ وَاتِّخَاذِ الْأَخْدَانِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ -سُبْحَانَهُ- عُقُوبَةَ الْإِمَاءِ إِذَا فَعَلْنَ الْفَاحِشَةَ بَعْدَ نِكَاحِهِنَّ أَنْ عَلَيْهِنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْحَرَائِرِ، وَبَيَّنَّ أَنْ الصَّبْرَ عَنِ نِكَاحِهِنَّ مَعَ حِلِّهِ خَيْرٌ مِنَ التَّزْوُجِ بِهِنَّ، وَخَتَمَ الْآيَةَ بِذِكْرِ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحَسَنِيَّةِ مُنَاسِبَيْنِ لِهَذَا الْحُكْمِ، وَهُمَا الْغُفُورُ

المُقْتَضَى للمغفرة والرحيمِ المقتضى للرحمة.

ثم ذكر -سبحانه- ما هو من مُقْتَضَى رَحْمَتِهِ، وهو مَحَبَّتُهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَنَا أَحْكَامَهُ الشَّرْعِيَّةَ، وَأَنْ يَهْدِينَا صِرَاطَ مَنْ قَبَلْنَا مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَالصَّالِحِينَ، وَأَنْ يُوفِّقَنَا لِلتَّوْبَةِ وَيَمُنَّ عَلَيْنَا بِقَبُولِهَا.

وَحَتَمَ الْآيَةَ بِذِكْرِ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَهُمَا: الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، لِيُظْهِرَ لَنَا أَنَّ مَا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ صَادِرٌ عَنْ عِلْمٍ تَامٍّ وَحُكْمٍ قَاهِرٍ وَحِكْمَةٍ بِالْعَةِ، فَتَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ وَتَلْتَزِمُهُ.

ثم كَرَّرَ -سبحانه- ذِكْرَ مَحَبَّتِهِ لِلتَّوْبَةِ عَلَيْنَا لِيُقَابِلَهُ بِذِكْرِ مَنْ يُرِيدُونَ لَنَا الْمَيْلَ الْعَظِيمَ عَنْ طَرِيقِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُمْ أَهْلُ الشَّهَوَاتِ الْهَائِثُونَ وَرَاءَ أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفِسَاقِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- جَوَازُ نِكَاحِ الْحُرِّ لِلْإِمَاءِ بِالشَّرْوَطِ الثَّلَاثَةِ السَّابِقَةِ.
- ٢- اشْتِرَاطُ إِذْنِ السَّيِّدِ لِصِحَّةِ نِكَاحِ أُمَّتِهِ.
- ٣- وَجُوبُ دَفْعِ الْمَهْرِ فِي نِكَاحِ الْأُمَّةِ بِالْمَعْرُوفِ بَدُونِ نَقْصٍ وَلَا مَطْلٍ.
- ٤- اشْتِرَاطُ نِيَّةِ الْعَقْدِ الصَّحِيحِ دُونَ السَّفَاحِ وَاتِّخَاذِ الْأَخْدَانِ.
- ٥- تَحْرِيمُ الزَّوْنِ وَاتِّخَاذِ الْأَخْدَانِ.
- ٦- وَجُوبُ حُدِّ الزَّوْنِ عَلَى الْأُمَّةِ إِذَا أُحْصِنَتْ.
- ٧- أَنْ حُدَّهَا نِصْفُ حُدِّ الْحُرَّةِ.

- ٨- أن الصبرَ عن نِكَاحِ الإِمَاءِ مع حِلِّهِ خَيْرٌ مِنَ الإِقْدَامِ عَلَيْهِ.
- ٩- إثباتُ اسمي الغُفُورِ الرَّحِيمِ لِه تَعَالَى مع مَا تَضَمَّنَاهُ مِنْ صِفَتِي المَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.
- ١٠- أن حِلَّ نِكَاحِ الإِمَاءِ فِي هذِهِ الحَالِ مِنْ مُقْتَضَى مَغْفِرَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ.
- ١١- نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا فِي بَيَانِهِ وَهَدَايَتِهِ وَتَوْبَتِهِ.
- ١٢- إثباتُ اسمي العَلِيمِ الحَكِيمِ لِه، وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنَ العِلْمِ وَالحُكْمِ وَالحِكْمَةِ.
- ١٣- أن مَا بَيَّنَّهُ اللهُ لَنَا وَحَكَمَ بِهِ صَادِرٌ عَنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا التَّسْلِيمُ بِهِ.
- ١٤- التَّنْبِيهُ عَنْ سُوءِ نِيَّةِ المُتَّبِعِينَ لِلشَّهَوَاتِ.
- ١٥- أن المُتَّبِعِينَ لِلشَّهَوَاتِ مِنَ الكِفَارِ وَالفَسَاقِ يَهْدِفُونَ إِلَى زَيْغِ المُؤْمِنِينَ عَنْ دِينِهِمْ.
- ١٦- وَجُوبُ الحَذَرِ مِنْ هؤُلَاءِ المُتَّبِعِينَ لِلشَّهَوَاتِ.
- ١٧- مَحَبَّتُهُ - سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِلتَّخْفِيفِ عَلَى عِبَادِهِ.
- ١٨- أن الإنسانَ خُلِقَ ضَعِيفًا، فَكَانَ مُقْتَضَى حِكْمَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ.
- ١٩- أن مَنْ عَجَزَ عَمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ انْتَقَلَ إِلَى بَدَلِهِ إِنْ كَانَ لَهُ بَدَلٌ، وَإِلَّا سَقَطَ عَنْهُ.

النَّوعُ الرَّابِعُ

الآيَةُ الْأُولَى:

٣٩٧- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾ [المائدة: ١].

النَّوعُ الرَّابِعُ: مِنْ أَنْوَاعِ آيَاتِ النِّكَاحِ وَيَتَضَمَّنُ الشَّرْطَ فِي النِّكَاحِ: الشَّرْطُ: جَمْعُ شَرْطٍ، وَهُوَ فِي اللُّغَةِ: الْعَلَامَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، أَي: عَلَامَاتُهَا. وَالشَّرْطُ عِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ: مَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِهِ الْعَدَمُ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِ الْوُجُودُ، وَشُرُوطُ النِّكَاحِ: مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا صِحَّتُهُ. وَالشَّرُوطُ فِي النِّكَاحِ: مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا لُزُومُهُ وَهِيَ: الْإِزَامُ أَحَدِ الرَّوَجَيْنِ الْآخَرَ مَا لَا يَلْزَمُهُ بِمُقْتَضَى الْعَقْدِ.

وهي ثلاثة أقسام:

الأوَّلُ: صَحِيحٌ يَجِبُ الْوَفَاءُ لِمَنْ اشْتَرَطَ لَهُ، فَإِنْ لَمْ يُوفَّ لَهُ بِهِ فَلَهُ الْفَسْخُ، وَهُوَ: كُلُّ شَرْطٍ لَا يَسْتَلْزِمُ وَقَوْعًا فِي مُحَرَّمٍ، مِثْلُ: أَنْ يَشْتَرِطَهَا جَمِيلَةً، أَوْ تَشْتَرِطَ عَلَيْهِ سَكَنًا مَعِينًا.

الثَّانِي: فَاسِدٌ يَحْرُمُ اشْتِرَاطُهُ وَالْوَفَاءُ بِهِ، وَلَا يَفْسُدُ بِهِ الْعَقْدُ، مِثْلُ: أَنْ تَشْتَرِطَ عَلَيْهِ طَلَاقَ زَوْجَتِهِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ، أَوْ يَشْتَرِطَ عَلَيْهَا أَنْ لَا تَصِلَ أَقَارِبَهَا.

الثَّالِثُ: فَاسِدٌ يَحْرُمُ اشْتِرَاطُهُ وَالْوَفَاءُ بِهِ، وَيَبْطُلُ بِهِ الْعَقْدُ، مِثْلُ: أَنْ تَشْتَرِطَ عَلَيْهِ أَنْ يُطَلِّقَهَا إِذَا جَامَعَهَا لِتَرْجِعَ إِلَى زَوْجِهَا الَّذِي بَانَتْ مِنْهُ بِالثَّلَاثِ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْم ٣٩٧ :

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ :

﴿ءَامَنُوا﴾ : صَدَقُوا بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ.

﴿أَوْفُوا﴾ : أَتَمُّوا وَأَكْمَلُوا.

﴿بِالْعُقُودِ﴾ : جَمَعَ عَقْدٍ، وَهُوَ: مَا يُبْرِمُهُ الْإِنْسَانُ مَعَ غَيْرِهِ مِنْ بَيْعٍ أَوْ إِجَارَةٍ

أَوْ نِكَاحٍ وَنَحْوِهِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ :

يُوجِّهُ اللهُ تَعَالَى النَّدَاءَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ، حَتَّى لَمْ يَكُنْ عَلَى الْقَبُولِ وَإِعْلَامًا
بَأَنَّ مَا يُوجِّهُهُ إِلَيْهِمْ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ الْإِيمَانِ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:
«إِذَا سَمِعْتَ اللهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فَارْزُقْهَا سَمْعَكَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ
أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ»^(١).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوفُوا بِالْعُقُودِ أَصْلًا
وَوَصْفًا، فَيَأْتُوا بِهَا كَامِلَةً مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ، وَهَذَا شَامِلٌ لِعُقُودِ الْبَيْعِ وَالْإِنكِاحِ
وغيرهما، ولأصل العقد وما تضمنته من الشروط لأن الشروط أوصاف فيه.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ :

١- وَجُوبُ الْوَفَاءِ بِالْعُقُودِ.

٢- وَجُوبُ الْوَفَاءِ بِمَا شَرَطَ فِيهَا مِنْ شُرُوطٍ صَحِيحَةٍ.

٣- وَجُوبُ الْوَفَاءِ بِمَا شَرَطَ فِي النِّكَاحِ مِنْ شُرُوطٍ صَحِيحَةٍ.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/١٣٠).

الآية الثانية:

٣٩٨- ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ

مُسْفِحِينَ﴾ [النساء: ٢٤].

تفسير الآية رقم ٣٩٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَحَلَّ﴾: فيها قراءة ثانٍ: أَحَلَّ بِضَمِّ الهمزة وكسْرِ الحاء، أي: أُبيح. وَأَحَلَّ بفتح الهمزة والحاء، أي: أباح، والمحلُّ لذلك هو الله تعالى.

﴿مَا وَرَاءَ﴾: ما سوى.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: المذكور من المحرمات.

﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾: أن تطلبوا النكاح.

﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾: الباء للعوض، أي: أحلَّ بشرطِ بذلِ العوض.

﴿مُحْصِنِينَ﴾: حال من الواو في (تبتغوا)، أي: مُريدين الإحصان، وهو النكاح

بعقدٍ صحيح.

﴿غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾: غير مُريدين للسفاح وهو الزنا.

ب- المعنى الإجمالي:

يبيِّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أحلَّ لنا من النساء ما عدا المذكورات،

بشرط أن نبتغي نكاحهنَّ بأموالنا بقصد النكاح الصحيح دون السفاح.

ج- من فوائد الآية:

- ١- حُلُّ مَنْ سِوَى الْمَذْكُورَاتِ مِنَ النِّسَاءِ.
- ٢- أَنْ الْأَصْلَ فِي النِّسَاءِ حُلُّ نِكَاحِهِنَّ إِلَّا مَا ثَبَتَ تَحْرِيمُهُ.
- ٣- أَنْ حُلَّ نِكَاحِ الْمَرْأَةِ مَشْرُوطٌ بِبَدْلِ الْمَالِ وَهُوَ الْمَهْرُ.
- ٤- أَنْ شَرْطَ خُلُوهِ مِنَ الْمَهْرِ بَاطِلٌ، وَهَلْ يَبْطُلُ بِهِ الْعَقْدُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ أَرْجَحُهُمَا الْبُطْلَانُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ بَذْلَهُ شَرْطًا لِلْحَلِّ.
- ٥- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الشُّغَارِ، وَهُوَ: أَنْ يُزَوِّجَهُ مُوَلِّيَّتُهُ عَلَى أَنْ يُزَوِّجَهُ مُوَلِّيَّتُهُ، وَلَا مَهْرَ بَيْنَهُمَا.
- ٦- تَحْرِيمُ نِكَاحِ التَّحْلِيلِ لِأَنَّهُ شَبِيهُ بِالْمُسَافَحَةِ، حَيْثُ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ الْإِحْصَانَ، بَلِ الْجَمَاعَ مَرَّةً وَاحِدَةً ثُمَّ الطَّلَاقَ.

الآية الثالثة:

٣٩٩- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

تفسير الآية رقم ٣٩٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿قُلْ﴾: الخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر، والحصر تخصيص الحكم بشيء دون غيره.

﴿حَرَّمَ﴾: منع.

﴿رَبِّي﴾: خالقي ومالك أمري.

﴿الْفَوَاحِشَ﴾: جمع فاحشة، وهي: ما عظم قبحه شرعاً وعرفاً كالزنا.

﴿ظَهَرَ﴾: بان بإعلانه.

﴿بَطَنَ﴾: خفي بإسْراره.

﴿وَالْإِثْمَ﴾: المعصية القاصرة على فاعلها.

﴿وَالْبَغْيَ﴾: العدوان على الغير.

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: حال من البغي لبيان الواقع، إذ كلُّ بغي فهو بغير حق.

﴿تُشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾: تجعلوا له شريكاً.

﴿سُلْطَانًا﴾: حجة، وهو لبيان الواقع، إذ كلُّ شرك بالله فليس فيه حجة.

﴿ عَلَى اللَّهِ ﴾ : عَلَى ذَاتِهِ أَوْ أَفْعَالِهِ أَوْ أَحْكَامِهِ .

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ :

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ ، وَلَا سِيَّامَا الَّذِينَ يُحَرِّمُونَ زِينَةَ اللَّهِ وَطَيِّبَاتِ رِزْقِهِ إِنْ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ ، بَلْ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ هِيَ هَذِهِ الْأُمُورُ الْخَمْسَةُ :

١- الْفَوَاحِشُ سِوَاءَ كَانَتْ عَلَانِيَةً أَمْ سِرًّا .

٢- الْمَعَاصِي الْقَاصِرَةُ عَلَى فَاعِلِهَا كَشُرْبِ الْخَمْرِ .

٣- الْمَعَاصِي الْمَتَضَمِّنَةُ لِلْبَغْيِ عَلَى النَّاسِ كَالسَّرِقَةِ .

٤- الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ فِي ذَاتِهِ أَوْ رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ أَلُوْهِيَّتِهِ أَوْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ .

٥- الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، سِوَاءَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِذَاتِهِ أَوْ أَفْعَالِهِ أَوْ أَحْكَامِهِ .

وَمَا عدا هَذِهِ الْخَمْسَةَ فَلَيْسَ بِحَرَامٍ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُحَرِّمَهُ ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ سِوَى هَذِهِ ، فَهُوَ تَفْصِيلٌ لِمَا أَجْمَلَ فِيهَا وَلَا يُخْرِجُ عَنْهَا .

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ :

١- أَنْ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

٢- تَحْرِيمُ الْفَوَاحِشِ ، سِوَاءَ كَانَتْ عَلَانِيَةً أَمْ سِرًّا .

٣- تَحْرِيمُ الْمَعَاصِي .

٤- تَحْرِيمُ الْعُدْوَانِ عَلَى الْغَيْرِ ، وَمِنْهُ : تَرْكُ الْوَفَاءِ بِالْعُقُودِ وَمَا شَرَطَ فِيهَا ، وَهَذَا مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ .

- ٥- أن البَغْيِ على الناسِ مِنَ الباطِلِ.
- ٦- تَحْرِيمُ الإِشْرَاقِ باللهِ تَعَالَى.
- ٧- أن الشَّرْكَ باللهِ لا يُمَكِّنُ أن يقومَ عليه بُرْهَانٌ.
- ٨- تَحْرِيمُ القَوْلِ على اللهِ بغيرِ عِلْمٍ.
- ٩- تَحْرِيمُ جميعِ البِدَعِ، لأنها قَوْلٌ على اللهِ بغيرِ عِلْمٍ.
- ١٠- تَحْرِيمُ الإِفْتَاءِ بغيرِ عِلْمٍ.

النَّوعُ الْخَامِسُ

٤٠٠ - ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٠].

النَّوعُ الْخَامِسُ مِنْ آيَاتِ النِّكَاحِ، وَيَتَضَمَّنُ حُكْمَ نِكَاحِ الْكُفَّارِ:

أَنَّكَاحَ الْكُفَّارِ مَا عَقَدُوهُ بَيْنَهُمْ حَالَ كُفْرِهِمْ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَى عُقُودِهِمْ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى عُقُودِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الصَّحَّةِ، وَوُقُوعِ الطَّلَاقِ، وَثُبُوتِ الْإِحْصَانِ، وَالْإِرْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَتَنْقَسِمُ عُقُودُهُمْ لِلنِّكَاحِ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ:

الأول: أَنْ يَكُونَ الْعَقْدُ صَاحِحًا فِي الْإِسْلَامِ، وَفِي مُعْتَقَدِهِمْ فَيُقْرُونَ عَلَيْهِ بِكُلِّ حَالٍ.

الثاني: أَنْ يَكُونَ فَاسِدًا فِي الْإِسْلَامِ صَاحِحًا فِي مُعْتَقَدِهِمْ، وَلَمْ يَرْتَفِعُوا إِلَيْنَا فَيُقْرُونَ عَلَيْهِ أَيْضًا.

الثالث: أَنْ يَكُونَ فَاسِدًا فِي الْإِسْلَامِ صَاحِحًا فِي مُعْتَقَدِهِمْ، وَيَرْتَفِعُوا إِلَيْنَا لِلْحُكْمِ فِيهِ، وَحِينَئِذٍ لَا يَحُلُّو مِنْ حَالِينَ:

إحداهما: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قَبْلَ عَقْدِهِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَعْقِدَهُ عَلَى حُكْمِ الْإِسْلَامِ.

الثانية: أَنْ يَكُونَ بَعْدَ عَقْدِهِ، فَإِنْ كَانَ مُقْتَضِي الْفَسَادِ قَائِمًا فَسَخْنَا النِّكَاحَ، مِثْلُ: أَنْ تَكُونَ الزَّوْجَةُ مِنْ مَحَارِمِهِ، وَإِنْ كَانَ مُقْتَضِيهِ قَدْ زَالَ أَقْرَرْنَاهُمْ، مِثْلُ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَزَوَّجَهَا فِي عِدَّةٍ انْقَضَتْ.

الرابع: أن يكون فاسدًا في الإسلام وفي مُعْتَقِدِهِمْ فلا يُقْرُونَ عليه إن كانوا ذَمِيَّينَ لأنهم يُلْزَمُونَ بأحكام الإسلام فيما يَعْتَقِدُونَ.

تفسير الآية رقم ٤٠٠:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿وَلَا تُنْسِكُوا﴾: لَا تَأْخُذُوا وَتَحْتَفِظُوا.

﴿بِعَصَمٍ﴾: جَمْعُ عِصْمَةٍ، والمرادُ بها العَقْدُ.

﴿الْكَافِرِ﴾: جَمْعُ كَافِرَةٍ، أي: الزَّوْجَاتُ الْكَافِرَاتُ.

﴿وَسْتَلُوا﴾: اطلُّوا.

﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾: مَا بَدَلْتُمْ مِنَ الْمَهْرِ.

﴿وَلِئَسْتَلُوا﴾: وَلِيَطْلُبِ الْكَافِرُ الَّذِينَ هَاجَرَتْ زَوَّجَاتُهُمْ.

﴿ذَلِكُمْ﴾: أي: مَا ذَكَرَ مِنَ الْأَحْكَامِ.

﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾: قِضَاؤُهُ الشَّرْعِيُّ.

﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾: يَقْضِي بِهِ بَيْنَكُمْ.

﴿حَكِيمٌ﴾: حَاكِمٌ ذُو حِكْمَةٍ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

في هذه الآية الكريمة ينهى الله تعالى المؤمنين الذين بَيَّيْتُتْ زَوَّجَاتُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ أَنْ يُبَيِّنُوا عَلَى نِكَاحِهِنَّ، وذلك لأن الكافرة غير الكتابية لا تحل للمسلم، ويبيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنْ لِهَوْلَاءِ الْأَزْوَاجِ أَنْ يَطْلُبُوا مَا أَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ مِنَ الْمُهْرِ مِمَّنْ تَزَوَّجَهُنَّ،

أَوْ مِنْ دَوْلَةِ الْكُفَّارِ، كَمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ أَنْ يَطْلُبُوا مَا أَنْفَقُوا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ
الْمُهَاجِرَاتِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ.

وَمِنْ أَجْلِ الْحَثِّ عَلَى الْإِتِّزَامِ بِهَذِهِ الْأَحْكَامِ حَتَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ بَيَانٍ أَنَّ مَا فِيهَا
فَهُوَ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَحْكُمُ بِهِ بَيْنَنَا بِمُقْتَضَى عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- صِحَّةُ أَنْكِحَةِ الْكُفَّارِ الْجَارِيَةِ بَيْنَهُمْ.
- ٢- تَحْرِيمُ الزَّوْجَةِ عَلَى زَوْجِهَا إِذَا أَسْلَمَ وَبَقِيَتْ عَلَى الْكُفْرِ.
- ٣- أَنْ لِيَزْوَجَهَا فِي هَذِهِ الْحَالِ طَلَبُ مَا أَنْفَقَ عَلَيْهَا إِذَا بَقِيَتْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ
الْمُعَاهِدَةِ^(١).
- ٤- تَحْرِيمُ الزَّوْجَةِ عَلَى زَوْجِهَا إِذَا أَسْلَمَتْ وَبَقِيَ عَلَى الْكُفْرِ.
- ٥- أَنْ لِلزَّوْجِ الْكَافِرِ طَلَبُ مَا أَنْفَقَ عَلَى زَوْجَتِهِ الْمُسْلِمَةِ إِذَا هَاجَرَتْ إِلَى بِلَدِ
إِسْلَامٍ مُعَاهِدَةٍ.
- ٦- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ بِحُكْمِهِ الْكَوْنِيِّ وَالشَّرْعِيِّ.
- ٧- إِثْبَاتُ اسْمِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنْ وَصْفِهِ تَعَالَى بِالْعَلِيمِ
وَالْحَكَمِ وَالْحِكْمَةِ.

(١) نَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ ابْنِ الْعَرَبِيِّ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ خَاصٌّ بِقَضِيَّةِ صَلْحِ الْحَدِيثِيِّ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ،
وَنَقَلَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: إِنَّمَا حَكَّمَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ بِذَلِكَ لِأَجْلِ مَا كَانَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْعَهْدِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. [المؤلف]

مِن آيَاتِ الصَّدَاقِ

الآية الأولى:

٤٠١ - ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا

مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

مِن آيَاتِ الصَّدَاقِ

الصَّدَاقُ: المَهْرُ: وهو ما تُعْطَاهُ الْمَرْأَةُ عِوَضًا عَنِ عَقْدِ النِّكَاحِ عَلَيْهَا.

وهو واجبٌ واختَلَفَ الْعُلَمَاءُ هل هو شَرْطٌ لِصِحَّةِ الْعَقْدِ؟ ظَاهِرُ النُّصُوصِ أَنَّهُ شَرْطٌ وَأَنْ شَرْطٌ إِسْقَاطُهُ يَمْنَعُ الصَّحَّةَ، وهو اختيارُ شيخِ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ وهو الصَّوَابُ لِأَنَّ فِي شَرْطِ إِبْطَالِهِ مَعْصِيَةً لِلَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾، ولأنَّ الله تَعَالَى قَيَّدَ الْحِلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، ولأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يَعْذِرِ الْفَقِيرَ الَّذِي لم يَجِدْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ حَتَّى أَلْزَمَهُ أَنْ يُعَلِّمَهَا مِنَ الْقُرْآنِ، ولأنَّ شَرْطَ إِسْقَاطِهِ يَجْعَلُ الْعَقْدَ شَبِيهًا بِالْهَبَةِ وَالتَّزْوِجَ بِالْهَبَةِ مِنْ خِصَائِصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والأفضلُ تَخْفِيفُهُ وَعَدَمُ الْمَغَالَاةِ فِيهِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَخْفِيفِ مَوْوَنَةِ النِّكَاحِ وَتَيْسِيرِهِ وهو مِنَ الْمَأْمُورَاتِ، وَمَا أَوْصَلَ إِلَى الْمَأْمُورِ بِهِ فَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ عَلَى أَرْبَعِ أَوْاقٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ

- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «عَلَى أَرْبَعِ أَوْاقٍ؟ كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ...» الْحَدِيثُ (١). وَالْأَوْقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا إِسْلَامِيًّا، فَمَجْمُوعُ الْأَوْاقِ الْأَرْبَعِ مِائَةٌ وَسِتُونَ دِرْهَمًا، وَهِيَ بِالرِّيَالِ السُّعُودِيِّ أَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ رِيَالًا وَأَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ رِيَالٍ (٤٤ $\frac{4}{5}$).

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ٤٠١:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿وَأَتُوا﴾: أَعْطُوا، وَالخِطَابُ لِلأَزْوَاجِ.

﴿النِّسَاءِ﴾: الإِنَاثُ الْمُتَزَوِّجَ بِهِنَّ.

﴿صَدُقْتِهِنَّ﴾: جَمَعَ صَدَقَةٌ وَهِيَ مَهْرُ النِّكَاحِ.

﴿نِخْلَةً﴾: عَطِيَّةٌ غَيْرُ مَبْخُوسَةٍ.

﴿طَبْنًا﴾: رَضِيحًا.

﴿لَكُمْ﴾: الخِطَابُ لِلأَزْوَاجِ.

﴿مِنَهُ﴾: أَي: مِنَ الصَّدَاقِ الدَّالُّ عَلَيْهِ ﴿صَدُقْتِهِنَّ﴾.

﴿فَكُلُّهُ﴾: جَوَابُ الشَّرْطِ، وَهُوَ أَمْرٌ بِمَعْنَى الإِبَاحَةِ.

﴿هَيْبَتًا﴾: حَالٌ مِنَ الهَاءِ فِي (كُلُّهُ): سَائِغًا.

﴿مَرِيئًا﴾: حَالٌ ثَانِيَةٌ: مَحْمُودٌ الْعَاقِبَةَ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب النكاح، باب نذب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها، رقم (١٤٢٤).

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَزْوَاجَ أَنْ يُعْطُوا الْمُهُورَ لَزَوْجَاتِهِمْ بِدُونِ نَقْصٍ أَوْ مِمَاطَلَةٍ، وَيَأْذُنُ لَهُمْ فِي أَخْذِ مَا تَطِيبُ بِهِ نَفْسُ الْمَرْأَةِ مِنَ الْمَهْرِ مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ وَلَا خَدِيعَةٍ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ سَائِعٌ لَهُمْ غَيْرُ آثِمِينَ بِهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ الْمَهْرِ فِي النِّكَاحِ.
- ٢- وَجُوبُ تَسْلِيمِهِ عَلَى الزَّوْجِ مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا مِمَاطَلَةٍ.
- ٣- أَنَّ الصَّدَاقَ مِلْكٌ لِلْمَرْأَةِ.
- ٤- أَنَّهُ يُجُوزُ لَهَا أَنْ تَسْمَحَ بِشَيْءٍ مِنْهُ لِلزَّوْجِ^(١).
- ٥- أَنَّهُ يُجُوزُ لِلزَّوْجِ أَخْذُ مَا تَسْمَحُ بِهِ مِنَ الْمَهْرِ.

(١) يُشْتَرَطُ لِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ يَصِحُّ تَبَرُّعُهُ. [المؤلف]

الآية الثانية:

٤٠٢ - ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ كِأَجْرِ الْوَسِيلَةِ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢٤].

تفسير الآية رقم ٤٠٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿اسْتَمْتَعْتُمْ﴾: تمتعتم، والتمتع: إدراك ما تهواه النفس وتستریح إليه.

﴿بِهِ﴾: الضمير راجع إلى (مَا) أي: فالشيء الذي تمتعتم به من جماع أو غيره.

﴿مِنْهُنَّ﴾: من النساء.

﴿فَاتُوهُنَّ﴾: فأعطوهن، والجُمْلَةُ خبرٌ (ما) قرنت بالفاء لشبهه بالشرط، والرابط محذوف، والتقدير: فآتوهن عليه.

﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مهرهن.

﴿فَرِيضَةً﴾: حال من ﴿أُجُورَهُنَّ﴾، بمعنى: مفروضة.

﴿وَلَا جُنَاحَ﴾: لا إثم.

﴿الْفَرِيضَةَ﴾: أي: المهر المفروض.

﴿عَلِيمًا﴾: ذا علم.

﴿حَكِيمًا﴾: ذا حكم وحكمة.

ب- المعنى الإجمالي:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَحَلَّ لَنَا مَا سِوَى الْمُحْرَمَاتِ بِالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ وَبَذَلِ
 الْمَهْرِ، ذَكَرَ عَقَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ مَتَى حَصَلَ الِاسْتِمْتَاعُ بِجِمَاعٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَوْلَيْكَ
 الْمُنْكَوحَاتِ فَإِنَّا مَأْمُورُونَ بِإِعْطَائِهِنَّ مُهْرَهُنَّ كَامِلَةً، وَإِذَا حَصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ
 تَرَاضٍ مِنَ الطَّرْفَيْنِ بِرَدِّ أَوْ إِسْقَاطِ أَوْ زِيَادَةٍ فَلَا إِثْمَ فِيهِ.

ثُمَّ حَتَمَ الْآيَةَ بِذِكْرِ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَهُمَا: الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ
 هَذِهِ الْأَحْكَامَ صَادِرَةٌ عَنْ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ مِمَّنْ لَهُ الْحُكْمُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَى.

ج- من فوائد الآية:

- ١- تَقَرَّرَ الْمَهْرُ كَامِلًا بِالِاسْتِمْتَاعِ بِالزَّوْجَةِ بِجِمَاعٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَقَصَى الْخُلَفَاءُ
 الرَّاشِدُونَ أَنَّ الْخُلُوةَ بِهَا كَالِاسْتِمْتَاعِ.
- ٢- وَجُوبُ تَسْلِيمِ الْمَهْرِ بِمُجَرَّدِ الِاسْتِمْتَاعِ، إِلَّا أَنْ يَمْنَعَ مِنْ ذَلِكَ شَرْطًا أَوْ عُرْفًا
 مُطَّرَدًا.
- ٣- جَوَازُ إِسْقَاطِ شَيْءٍ مِنَ الْمَهْرِ بَعْدَ اسْتِقْرَارِهِ.
- ٤- حِلُّ مَا أُسْقِطَ لِلزَّوْجِ.
- ٥- إِثْبَاتُ اسْمِي الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنْ وَصْفِهِ تَعَالَى بِالْعِلْمِ
 وَالْحُكْمِ وَالْحِكْمَةِ.

الآية الثالثة والرابعة:

٤٠٣-٤٠٤ - ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٦)
 وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٦-٢٣٧].

تفسير الآيتين رقم ٤٠٣ - ٤٠٤:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿لَا جُنَاحَ﴾: لا إثم.

﴿عَلَيْكُمْ﴾: أي: الأزواج.

﴿طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾: فَارَقْتُمْ أَزْوَاجَكُمْ بِحِلِّ قَيْدِ النِّكَاحِ.

﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾: ما مَصْدَرِيَّةٌ ظَرْفِيَّةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: زَمَنَ عَدَمِ مَسِّهِنَّ. وَفِي قِرَاءَةِ

(تَمَّاسُوهُنَّ) تَجَامِعُوهُنَّ.

﴿تَفْرِضُوا﴾: تَقْدِرُوا أَوْ تُوجِبُوا، وَهُوَ مُجْزِوٌّ عَطْفًا عَلَى ﴿تَمْسُوهُنَّ﴾.

﴿فَرِيضَةً﴾: مَهْرًا، وَهُوَ مَفْعُولٌ بِهِ.

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾: أَعْطَوْهُنَّ مَا يَتَمَتَّعْنَ بِهِ مِنْ كِسْوَةٍ أَوْ غَيْرِهَا.

﴿عَلَى الْمَوْسِعِ﴾: عَلَى الْعَنِيِّ، وَهُوَ خَيْرٌ مُقَدَّمٌ.

﴿قَدْرُهُ﴾: طَاقَتُهُ، وهو مبتدأ مؤخر.

﴿الْمُقْتَرِ﴾: الْفَقِيرِ.

﴿مَتَنًا﴾: مَصْدَرٌ عَامِلُهُ ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بِمَا يُقَرُّهُ الشَّرْعُ وَالْعُرْفُ.

﴿حَقًّا﴾: ثَابِتًا أَوْ وَاجِبًا، وهو مَصْدَرٌ عَامِلُهُ مَحذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: أَحَقُّهُ حَقًّا.

﴿فَرَضْتُمْ﴾: قَدَرْتُمْ أَوْ أَوْجَبْتُمْ، وَالجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ مِنْ

فَاعِلٍ ﴿طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾.

﴿فَصِيفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَحذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: فَلَهُنَّ، أَوْ: فَعَلَيْكُمْ.

﴿أَنْ يَعْفُونَ﴾: يَتَجَاوَزْنَ، أَي: الزَّوْجَاتُ عَنْ نِصْفِهِنَّ، فَالنُّونُ نُونُ النَّسْوَةِ

وَلَيْسَتْ لِلْإِعْرَابِ، وَالْوَاوُ لَامُ الْفِعْلِ وَلَيْسَتْ ضَمِيرًا.

﴿الَّذِي يَدِيهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾: أَي: عَقْدُهُ وَحَلُّهُ وَهُوَ الزَّوْجُ.

﴿تَعَفُّوْا﴾: تَتَجَاوَزُوا، وَالخَطَابُ لِمَنْ يَمْلِكُ الْعَفْوَ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالزَّوْجَاتِ.

﴿لِلتَّقْوَى﴾: لِاتِّخَاذِ الْوَقَايَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، لِأَنَّ عَفْوَ الْمَرْءِ عَنْ أَخِيهِ سَبَبٌ

لِعَفْوِ اللَّهِ عَنْهُ الَّذِي بِهِ الْوَقَايَةُ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿تَنَسُّوْا﴾: تَتَرَكُّوْا.

﴿الْفَضْلَ﴾: الْإِحْسَانَ.

﴿بَصِيرًا﴾: عَلِيمًا.

ب- المعنى الإجمالي:

يُيِّنُ اللهُ تَعَالَى فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ حَكَمَ تَطْلِيقِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ قَبْلَ الْمَسِيَسِ
وَمَا تَسْتَحِقُّهُ، فَيَبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يُطَلِّقَ زَوْجَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا.

أما ما تَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِ فَيَبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ لِذَلِكَ حَالَيْنِ:

الحال الأولي: أَنْ لَا يُسَمَّى لَهَا صَدَاقًا، أَي: أَنَّهُ يَعْقُدُ عَلَيْهَا وَلَا يُعَيِّنُ لَهَا صَدَاقًا،
فَفِي هَذِهِ الْحَالِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُمَتِّعَهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ بِالْمَعْرُوفِ، عَلَى الْغَنِيِّ بِقَدْرِ
طَاقَتِهِ، وَعَلَى الْفَقِيرِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ حَسَبًا يَفْتَضِيهِ الْعُرْفُ وَحَالُ الزَّوْجِ.

الحال الثانية: أَنْ يُسَمَّى لَهَا صَدَاقًا أَي أَنْ يَعْقَدَ عَلَيْهَا وَيُعَيِّنَ الصَّدَاقَ، فَفِي
هَذِهِ الْحَالِ يَجِبُ لَهَا نِصْفُ الْمَهْرِ إِلَّا أَنْ تَعْفُوَ عَنْهُ، فَيَرْجِعُ الْمَهْرُ كُلُّهُ إِلَى الزَّوْجِ، أَوْ يَعْفُوَ
الزَّوْجُ عَنْ نِصْفِهِ فَيَكُونُ كُلُّهُ لِلزَّوْجَةِ.

ثُمَّ رَغَبَ اللهُ تَعَالَى كَلًّا مِنَ الزَّوْجِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْ حَقِّهِ لِلآخِرِ، حَيْثُ يَبَيِّنُ أَنَّهُ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وَنَهَى أَنْ يَنْسَى كُلَّ مِنْهُمَا الْفَضْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ.

وَحَتَمَ اللهُ الْآيَةَ بَيَانًا أَنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا نَعْمَلُهُ لِنَحْذَرَ مِنْ مَخَالَفَتِهِ وَنَلْتَزِمَ بِأَمْرِهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَتَيْنِ:

- ١- جَوَازُ تَطْلِيقِ الْمَرْأَةِ قَبْلَ جَمَاعِهَا.
- ٢- وَجُوبُ الْمُتْعَةِ لَهَا إِذَا طَلَّقَهَا قَبْلَ ذَلِكَ وَلَمْ يُعَيِّنْ لَهَا صَدَاقًا.
- ٣- أَنَّ الْمُتْعَةَ تَكُونُ بِالْمَعْرُوفِ بِقَدْرِ يُسِرِّ الزَّوْجِ وَعُسْرِهِ.
- ٤- أَنَّ إِجْبَابَ ذَلِكَ مِنَ الْإِحْسَانِ، لِمَا فِيهِ مِنْ جَرِّ قَلْبِ الزَّوْجَةِ.

- ٥- حِكْمَةُ الشَّرِيعَةِ وَتَيْسِيرِهَا، حَيْثُ كَانَتِ الْمُتَعَةُ بِحَسَبِ حَالِ الزَّوْجِ.
- ٦- وَجُوبُ نِصْفِ الصَّدَاقِ الْمُعَيَّنِ لِلزَّوْجَةِ إِذَا طُلِّقَتْ قَبْلَ الْجَمَاعِ.
- ٧- جَوَازُ عَفْوِهَا عَنْهُ لِلزَّوْجِ فَيَكُونُ الْمَهْرُ كُلُّهُ لَهُ ^(١).
- ٨- جَوَازُ عَفْوِ الزَّوْجِ عَنْ نِصْفِهِ لِلزَّوْجَةِ فَيَكُونُ الْمَهْرُ كُلُّهُ لَهَا.
- ٩- أَنْ عَفَوْ أَحَدِهِمَا عَنْ حَقِّهِ أَفْضَلُ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى.
- ١٠- أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْسَى الْمَرْءُ الْفَضْلَ فَيَمُنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ صَلَّةً.
- ١١- إِحَاطَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِصَرَاحٍ وَعِلْمًا بِكُلِّ مَا نَعْمَلُ.

(١) يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْعَاقِبِيُّ يَمُنُّ بِصِحِّ تَبَرُّعِهِ. [المؤلف]

من آيات عشرة النساء

الآية الأولى:

٤٠٥- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

من آيات عشرة النساء

العشرة في اللغة: الاجتماع، ومنه سُميت القبيلة عشيرة، وقيل للصاحب: عشير.

وفي الاصطلاح: ما يكون بين الزوجين من الإلفة والمعاملة.

وإذا كان الزوجان يُريدان زوجية هنيئة فإن عليهما مراعاة الواجب والقيام به، والصبر على تقصير صاحبه فيه، لا سيما ما يأتي من قبل الزوجة لنقصان دينها وعقلها عن الرجل، ولهذا قال النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١)، وقال: «لَا يَفْرَكَ (أي يبغض) مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خلقًا رضِيَ منها آخر» رواه مسلم^(٢).

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (٣٣٣١)،

ومسلم: كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم (١٤٦٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم (٩٨).

تفسير الآية رقم ٤٠٥:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿ءَامَنُوا﴾: صَدَقُوا بِمَا يَجِبُ التَّصَدِيقُ بِهِ مَعَ الْقَبُولِ وَالِإِذْعَانَ.

﴿تَرِثُوا﴾: تَأْخُذُوا بِالْإِزْثِ بَعْدَ مَوْتِ أَقَارِبِكُمْ.

﴿النِّسَاءِ﴾: أَي: زَوَاجَاتِ أَقَارِبِكُمُ الْمَيِّتِينَ.

﴿كُرْهًا﴾: وَفِي قِرَاءَةِ بِضْمِ الْكَافِ (كُرْهًا): بِدُونِ رِضَا.

﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾: تَمْنَعُوهُنَّ.

﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾: أَعْطَيْتُمُوهُنَّ مِنَ الْمَهْرِ.

﴿بِفَاحِشَةٍ﴾: بِخِصْلَةٍ قَبِيحَةٍ مِنْ زِنَا أَوْ نُسُوزٍ.

﴿مُبَيِّنَةٍ﴾: بِكَسْرِ الْيَاءِ: مُظْهِرَةٌ لِسُوءِ خُلُقِهَا.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾: صَاحِبُوهُنَّ وَعَامِلُوهُنَّ.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بِمَا يُقَرُّهُ الشَّرْعُ وَالْعُرْفُ.

﴿كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾: أَبْغَضْتُمُوهُنَّ.

﴿فَعَسَى﴾: فِعْلٌ لِلرَّجَاءِ أَوْ الْإِشْفَاقِ، وَهُوَ هُنَا بِاعْتِبَارِ الْمَخَاطَبِ.

﴿وَيَجْعَلُ اللَّهُ﴾: يُصَيِّرُ اللَّهُ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل منهم ورث قريبه زوجته، فإن أعجبته تزوجها وإلا زوجها من شاء، فإن لم يكن لها خاطب تركها حتى تموت أو تفدي

نَفْسَهَا مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ نَاهِيًا عَنْهُ، ثُمَّ تَمَّ تَعَالَى اللهُ تَعَالَى الْأَزْوَاجَ أَنْ يَمْنَعُوا نِسَاءَهُمْ مَا يَجِبُ لَهُنَّ مِنَ الْحُقُوقِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَضَجِرْنَ مِنْ ذَلِكَ فَيَدْفَعْنَ بَعْضَ مُهُورِهِنَّ لِيَتَخَلَّصْنَ مِنَ الزَّوْجِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِسَبَبٍ مِنْهَا، حَيْثُ تُسَيِّئُ عَشْرَةَ زَوْجِهَا بِنُسُوزٍ أَوْ زِنَا، فَيُبَاحُ لَهُ عَضْلُهَا لِتَقْتَدِي مِنْهُ.

ثم أمر الله تعالى الأزواج أن يعاشروا زوجاتهم بالمعروف فيؤدوا ما لهن ويصبروا على أذاهن وتقصيرهن، وإذا حصل منهم كراهة لهن فلا يستعجلون بالفراق، فإن المرأة قد يكره الشيء فيصبر عليه حيث أمر بالصبر، فيجعل الله فيه خيرا كثيرا، فربما تتغير طباعها أو يرزق منها ولدا صالحا.

ج- من فوائد الآيات:

- ١- تحريم ميراث زوجات الأقارب مطلقا^(١).
- ٢- تحريم منع حقوق الزوجة لغرض إلجائها إلى الافتداء.
- ٣- جواز ذلك إذا أتت بفاحشة مبيّنة.
- ٤- وجوب معاشرة الزوجة بالمعروف.
- ٥- تحريم النُسُوزِ عليها.
- ٦- ترغيب الزوج في الصبر عليها إذا كرهها.
- ٧- أن الله تعالى قد يجعل في الصبر على المكروه خيرا كثيرا.

(١) تقييد ذلك بالإكراه في الآية، لأنه عن الواقع فلا مفهوم له. [المؤلف]

الآية الثانية:

٤٠٦ - ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[البقرة: ٢٢٨].

تفسير الآية رقم ٤٠٦:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿وَلَهُنَّ﴾: لِلزَّوْجَاتِ مِنَ الْحَقُوقِ.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بِمَا يُقَرُّهُ الشَّرْعُ وَالْعُرْفُ.

﴿دَرَجَةٌ﴾: مَرْتَبَةٌ أَعْلَى مِنَ الْقِيَامِ عَلَيْهِنَّ وَالْإِنْفَاقِ وَوُجُوبِ الطَّاعَةِ.

﴿عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ قَاهِرٌ.

﴿حَكِيمٌ﴾: حَاكِمٌ مُحْكِمٌ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْحُقُوقَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مُتَبَادِلَةٌ، فَكَمَا أَنَّ عَلَى الْمَرْأَةِ حَقًّا لَزَوْجِهَا، فَإِنَّ لَهَا أَيْضًا حَقًّا عَلَيْهِ إِلَّا أَنَّ حَقَّ الرَّجُلِ عَلَيْهَا أَعْظَمُ وَأَعْلَى لِأَنَّ عَلَيْهِ الرَّعَايَةَ وَالْكِفَايَةَ وَالْحِمَايَةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

ثُمَّ حَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَهُمَا: الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لِيَذْكَرَ كُلُّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ عِزَّةَ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتَهُ فَلَا يَتِمَادِيَا فِي الْعِصْيَانِ وَالْمُخَالَفَةِ.

ج- من فوائد الآية:

- ١- ثُبُوتُ عَدْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حُكْمِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ.
- ٢- أن للمرأةِ على زوجها حُقوقًا يَجِبُ عليه القيامُ بِهِنَّ.
- ٣- أن للزَّوجِ عليها حُقوقًا يَجِبُ عليها القيامُ بِهِنَّ.
- ٤- أن حَقَّ الزَّوْجِ عليها أَعْلَى لِمَالِهِ مِنَ الْوِلَايَةِ وَالرَّعَايَةِ وَوَجُوبِ الطَّاعَةِ.
- ٥- إثباتُ اسمي العَزِيزِ الْحَكِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى.
- ٦- إثباتُ ما تَضَمَّنَاهُ مِنْ وَصْفِهِ تَعَالَى بِالْعِزَّةِ وَالْحُكْمِ وَالْإِحْكَامِ.

الآية الثالثة:

٤٠٧- ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَتِلْكَ وَرُبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَقَ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

تفسير الآية رقم ٤٠٧:

أ- تفسير الكلمات:

سَبَقَ فِي الْآيَةِ رَقْمَ (٣٧٨) تَفْسِيرُ: خِفْتُمْ. تُفْسِطُوا. الْيَتَامَى. انْكِحُوا. طَابَ. مَثْنَى. ثَلَاثَ. رُبَاعَ. وَاحِدَةً. مَا مَلَكَتْ. أَيْمَانِكُمْ. فَليراجع هناك.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي: الْحُكْمُ الْمَذْكُورُ وَهُوَ الْاِقْتِصَارُ عَلَى نِكَاحِ وَاحِدَةٍ أَوْ مَلَكَ الْيَمِينِ.

﴿آذَقَ﴾: أَقْرَبَ.

﴿تَعُولُوا﴾: مَجُورُوا.

ب- المعنى الإجمالي:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يُبِيحُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَزَوَّجَ مَا طَابَ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَإِنْ خَافَ أَنْ لَا يَعْدِلَ بَيْنَهُنَّ فَلْيَقْتَصِرْ عَلَى نِكَاحِ وَاحِدَةٍ، أَوْ يَجَامِعَ مَا شَاءَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ مِنَ الْإِمَاءِ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَقْرَبَ إِلَى عَدَمِ الْوُقُوعِ فِي الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

١- جَوَازُ الزِّيَادَةِ فِي النِّكَاحِ عَلَى الْوَاحِدَةِ إِلَى أَرْبَعٍ.

- ٢- تَحْرِيْمُ الزِّيَادَةِ عَلَى الْوَاحِدَةِ إِذَا خَافَ أَنْ لَا يَعْدِلَ بَيْنَهُنَّ.
- ٣- وَجُوبُ الْعَدْلِ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْاِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٤- أَنْ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الْإِمَاءِ غَيْرُ وَاجِبَةٍ.
- ٥- وَجُوبُ الْاِحْتِيَاظِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْمُحَرَّمَ.

الآية الرابعة:

٤٠٨- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ [المائدة: ٨].

تفسير الآية رقم ٤٠٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ءَامَنُوا﴾: سبق تفسيرها في رقم (٣٧٨).

﴿قَوْمِينَ﴾: كثيري القيام أو التشديد للنسبة، أي: أقيموا الشهادة بالقسط، حتى يكون كأنه من صفاتكم اللازمة.
﴿لِلَّهِ﴾: اللام للتعليل.

﴿شُهَدَاءَ﴾: جمع شهيد أو شاهد، والشاهد: المخبر عما يعلم لغيره على غيره.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، وهو إعطاء كل ذي حق حقه.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يحملنكم.

﴿شَنَاٰنُ﴾: بغض.

﴿قَوْمٍ﴾: طائفة.

﴿عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْا﴾: على عدم العدل.

﴿هُوَ﴾: أي: العدل.

﴿لِلتَّقْوَى﴾: لِلوَقَايَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: اتَّخَذُوا وَقَايَةً مِنْ عَذَابِهِ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ وَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ.

﴿حَبِيرٌ﴾: ذُو خَبْرَةٍ، وَهِيَ الْعِلْمُ بِبَوَاطِنِ الْأُمُورِ وَجَمَلَةٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ

بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تَعْلِيلِيَّةٌ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُخْلِصُوا لِلَّهِ تَعَالَى فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ فَيَتَحَرَّوْا الْعَدْلَ فِيهَا بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْمَشْهُودِ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ، وَيُنْهَاهُمْ أَنْ يَحْمِلَهُمْ بَغْضَ أَقْوَامٍ عَلَى تَرْكِ الْعَدْلِ، ثُمَّ يَأْمُرُ تَعَالَى بِالْعَدْلِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ أَقْرَبُ لِلتَّوَقُّيِّ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ يَحْتِمُ الْآيَةَ بِالْأَمْرِ بِتَقْوَاهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِنَا ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا صَالِحِهَا وَسَيِّئِهَا.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- وَجُوبُ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي أَدَاءِ الشَّهَادَةِ.
- ٢- وَجُوبُ الْقِيَامِ بِالْعَدْلِ فِيهَا.
- ٣- تَحْرِيمُ تَرْكِ الْقِيَامِ بِالْعَدْلِ مِنْ أَجْلِ عِدَاوَةِ الْمَشْهُودِ لَهُ.
- ٤- وَجُوبُ الْعَدْلِ بَيْنَ الرِّوَجَاتِ، وَلَوْ مَعَ بَغْضِ إِحْدَاهُنَّ.
- ٥- أَنَّهُ لَا يَجِبُ الْعَدْلُ بَيْنَهُنَّ فِيمَا لَا يَسْتَطَاعُ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَنَحْوِهَا، وَهَاتَانِ الْفَائِدَتَانِ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.

- ٦- أن العَدْلَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى.
- ٧- مِرَاعَاةُ كُلِّ مَا كَانَ أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى.
- ٨- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى.
- ٩- إِحَاطَةُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَعْمَالِنَا كُلِّهَا سِرِّهَا وَعَلَنِهَا.

الآية الخامسة إلى الثامنة:

٤٠٩-٤١١- ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَنْفَرَا يَعْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعْتِهِ ؕ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿﴾ [النساء: ١٢٨-١٣٠].

تفسير الآيات رقم ٤٠٩ - ٤١١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ﴾: إن شريطة، امرأة: فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده: والتقدير: وإن خافت امرأة.

﴿خَافَتْ﴾: خشيته أو ظنت.

﴿بَعْلِهَا﴾: زوجها.

﴿نُشُوزًا﴾: ترفعا عند أداء حقوقها.

﴿إِعْرَاضًا﴾: صدودا عنها فلا يقوم بحقوقها.

﴿جُنَاحٌ﴾: إثم.

﴿عَلَيْهِمَا﴾: على المرأة الخائفة وبعليها.

﴿أَنْ يُصْلِحَا﴾: بضم الياء وكسر اللام، من أصلح، أي: قام بالإصلاح، وفي

قراءة: (يَصَالِحًا) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَاللَّامِ وَتَشْدِيدِ الصَّادِ الْمَفْتُوحَةِ، أَي: يَتَصَالَحًا، وَالضَّمِيرَ لِلْمَرْأَةِ وَبَعْلِهَا.

﴿صَلِحًا﴾: مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، وَالصَّلْحُ عَقْدٌ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى قَطْعِ النَّزَاعِ بَيْنَ الْحَضَمَيْنِ وَإِصْلَاحِ حَالِهِمَا.

﴿حَيْرٌ﴾: اسْمٌ مَعْنَى، أَوْ اسْمٌ تَفْضِيلٌ يَتَقَيَّدُ فِيهِ الْمَفْضَلُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الْمَقَامِ.

﴿وَأَحْضَرَتِ الْأَنْفُسُ﴾: جُعِلَتْ حَاضِرَةً، وَالْمَرَادُ: أَلْزِمَتْ.

﴿الشُّحُّ﴾: إِسْكَاتُ الْمَالِ مَعَ الْحِرْصِ عَلَى جَمْعِهِ.

﴿تُحْسِنُوا﴾: تَفْعَلُوا الْإِحْسَانَ، وَمِنْهُ: التَّنَازُلُ عَنْ بَعْضِ الْحَقُوقِ حِينَ الصُّلْحِ.

﴿وَتَتَّقُوا﴾: تَتَّخِذُوا وَقَايَةً مِنَ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ، وَمِنْهَا: تَرَكُ الْإِعْتِدَاءِ عَلَى

الْآخِرِينَ حِينَ الصُّلْحِ.

﴿حَيْرًا﴾: عَلِيمًا بِبَوَاطِنِ أُمُورِكُمْ.

﴿تَسْتَطِيعُوا﴾: تَقْدِرُوا.

﴿تَعْدُوا﴾: تُعْطُوا كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

﴿الِئْسَاءُ﴾: أَي: الزَّوْجَاتِ.

﴿حَرَضْتُمْ﴾: اجْتَهَدْتُمْ فِي الْوُصُولِ إِلَى مَطْلُوبِكُمْ.

﴿تَمِيلُوا﴾: تَنْحَرِفُوا.

﴿فَتَدْرُوهَا﴾: تَتْرُكُوهَا، أَي: الَّتِي مِلْتُمْ عَنْهَا.

﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾: الْكَافُ اسْمٌ بِمَعْنَى مِثْلِ، وَالْمُعَلَّقَةُ: مَنْ لَمْ يُقْبَلِ عَلَيْهَا زَوْجُهَا

ولم يُطَلَّقْهَا، فَلَيْسَتْ مُسْتَقَرَّةً عَلَى حَالٍ، فَأَشْبَهَتْ الْمَعْلَقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

﴿تُضْلِحُوا﴾: تَقَوْمُوا بِالْإِصْلَاحِ، فَتُرَاعَوْا الْعَدْلَ.

﴿وَتَتَّقُوا﴾: تَتَّخِذُوا وَقَايَةً مِنَ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ.

﴿عَفُورًا﴾: ذَا مَغْفِرَةٍ وَهِيَ: سِتْرُ الذَّنْبِ وَالتَّجَاوُزِ عَنْهُ.

﴿رَاحِمًا﴾: ذَا رَحْمَةٍ، وَهِيَ: صِفَةٌ تَقْتَضِي الْإِنْعَامَ وَالْإِحْسَانَ.

﴿وَإِنْ يَنْفَرَا﴾: أَي: الْمَرْأَةُ وَبَعْلُهَا بِطَلَاقٍ أَوْ فَسْخِخٍ.

﴿يُعِنَ﴾: يُعْطِي مَا بِهِ الْغِنَى.

﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾: مِنْ غِنَاهُ الْوَاسِعِ.

﴿وَاسِعًا﴾: عَظِيمَ الْغِنَى كَثِيرَهُ.

﴿حَكِيمًا﴾: ذَا حُكْمٍ وَحِكْمَةٍ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

لِهَا كَانَتْ الْحَيَاةُ الزَّوْجِيَّةُ يَعْتَرِيهَا مَا يُعَكِّرُ صَفْوَهَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، سِوَاءَ كَانَ مَنشَأُ ذَلِكَ مِنَ الزَّوْجِ أَوْ مِنَ الزَّوْجَةِ، جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ مُشْكَلَةٍ حَلًّا، وَلِكُلِّ حَادِثَةٍ حُكْمًا.

وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى حَلَّ الْمَشْكَلَةِ إِذَا كَانَ مَنشَأُهَا مِنَ

الزَّوْجِ.

فَإِذَا رَأَتْ الْمَرْأَةُ مِنْ زَوْجِهَا تَرْفَعًا عَلَيْهَا حِينَ يَقُومُ بِوَاجِبِهَا، أَوْ رَأَتْ مِنْهُ صُدُودًا عَنْهَا، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهَا وَلَا عَلَيْهِ فِي أَنْ يَقُومَا بَيْنَهُمَا بِصُلْحٍ يُؤَدِّي إِلَى صِلَاحِ

الحال، ولو بأن تَنَازَلَ عن بعض ما يجبُ لها من قَسَمٍ أو نَفَقَةٍ أو مَهْرٍ أو غير ذلك من حقوقها الخاصة.

وقد رَغِبَ اللهُ تَعَالَى في الصُّلْحِ في هذا أو غيره فقال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، وهذه الجملة مُخْتَصَرَةٌ جَامِعَةٌ نَافِعَةٌ يَنْبَغِي أن يَسْلُكَهَا كُلُّ مُتَخَاصِمِينَ، وأن يَدْعَا ما جُبِلَتِ النفوسُ عليه من الشُّحِّ وحبِّ الغلبَةِ، وَيَسْلُكَا طَرِيقَ الإِحْسَانِ والتَّقْوَى، فَإِنَّ اللهُ تَعَالَى خَيْرٌ بما يَقَعُ بَيْنَهُمَا فيجَازِي عليه.

ثم يَبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى حَالَ العَبْدِ وَقُصُورَهُ، وأنه لا يَسْتَطِيعُ أن يَقُومَ بِكَامِلِ العَدْلِ بين زَوْجَاتِهِ في المَحَبَّةِ والِانْبِسَاطِ إِلَيْهَا والسُرُورِ مَعَهَا، لما في ذلك من العُسْرِ أو التَّعَدُّرِ، ولكن عليه أن لا يَمِيلَ لِإِحْدَاهُمَا عن الأُخْرَى حتى يَدْعَ الأُخْرَى كالمُعَلَّقَةِ لا مُزَوَّجَةً ولا مُطَلَّقَةً.

ثم حَثَّ اللهُ تَعَالَى الزَّوْجَ على ما يُمَكِّنُهُ من الإِصْلَاحِ والتَّقْوَى، وأشار إلى أنه إن فَعَلَ ذلك غَفَرَ لَهُ ما مَضَى وَرَحِمَهُ فيما بَقِيَ.

وإذا لم يَمِكنِ إِصْلَاحُ الحَالِ ولم يَبْقَ إِلا التَّفَرُّقُ فَإِنَّ اللهُ تَعَالَى وَعَدَ وهو لا يَخْلِفُ المِيعَادَ أن يُغْنِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا من فَضْلِهِ، فَيُسِّرَ لَهَا زَوْجًا لا يَعُولُ وَيُسِّرَ لَهُ زَوْجَةً إِلَيْهَا يَمِيلُ.

ثم خَتَمَ اللهُ هَذَا الوَعْدَ بِذِكْرِ اسْمَيْنِ من أَسْمَائِهِ هُمَا: الوَاسِعُ الحَكِيمُ، لِيُطْمَئِنَّ كُلُّ مِنْهُمَا بِقِضَاءِ اللهُ تَعَالَى وَيَتَنَطَّرَ وَعَدَهُ.

ج- من فوائد الآية:

١- جواز المصالحة بين الزوجين إذا خيف النشور أو الصدود من الزوج.

- ٢- التَّرْغِيبُ فِي الصُّلْحِ.
- ٣- أَنْ الصُّلْحَ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ عِنْدَ النَّزَاعِ خَيْرٌ مِنَ الْمَطَالَبَةِ بِكَامِلِ الْحَقِّ.
- ٤- أَنَّ النُّفُوسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى الشُّحِّ وَالتَّمَسُّكِ بِكَامِلِ حَقِّهَا.
- ٥- أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُتَصَالِحِينَ أَنْ يَدْعَا الشُّحَّ.
- ٦- التَّرْغِيبُ فِي الْإِحْسَانِ وَالتَّقْوَى عِنْدَ الْمَصَالِحَةِ.
- ٧- عَمُومُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِكُلِّ مَا نَعْمَلُهُ.
- ٨- الْإِشَارَةُ إِلَى ضَعْفِ الْإِنْسَانِ وَعَجْزِهِ عَنِ الْعَدْلِ الْكَامِلِ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ.
- ٩- أَنَّهُ لَا لَوْمَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ يَجِبُ إِحْدَاهُنَّ أَوْ يَأْنَسُ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا.
- ١٠- تَحْرِيمُ الْمَيْلِ الْكَامِلِ إِلَى إِحْدَى الزَّوْجَاتِ.
- ١١- أَنَّ هَذَا الْمَيْلَ يَدْعُ الْأُخْرَى كَالْمُعَلَّقَةِ فِي قَلْبِهَا وَعَدَمَ اسْتِقْرَارِهَا.
- ١٢- التَّرْغِيبُ فِي إِصْلَاحِ الزَّوْجِ نَفْسُهُ وَتَقْوَاهُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ١٣- الْإِشَارَةُ إِلَى مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ إِيَّاهُ إِذَا أَصْلَحَ وَاتَّقَى.
- ١٤- إِثْبَاتُ اسْمِ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنْ صِفَتِي الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.
- ١٥- أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْفِرَاقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فَلَنْ يُضَيِّعَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.
- ١٦- وَعَدُّ اللَّهِ تَعَالَى بِإِغْنَاءِ كُلِّ مِنْهُمَا مِنْ فَضْلِهِ عِنْدَ الْفِرَاقِ.
- ١٧- إِثْبَاتُ اسْمِ الْوَاسِعِ الْحَكِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنْ صِفَةٍ.
- ١٨- إِثْبَاتُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، حَيْثُ جَبَرَ الزَّوْجَيْنِ عِنْدَ فِرَاقِهِمَا بِالْإِغْنَاءِ.

الآية الثامنة والتاسعة:

٤١٢-٤١٣- ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَلِحَتْ قَنِينَتُ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْ تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعَطَوْهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٣٤-٣٥].

تفسير الآيتين رقم ٤١٢ - ٤١٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿قَوَّامُونَ﴾: قائمون بالولاية والرعاية.

﴿بِمَا فَضَّلَ﴾: بما أعطى زيادةً، والباء للسببية.

﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾: بما أعطوا.

﴿أَلْصَلِحَتْ﴾: أي: فالنساء الصالحات ديناً وحلقاً.

﴿قَنِينَتُ﴾: مطيعات الله تعالى.

﴿حَفِظَتْ﴾: صائغات راعيَات.

﴿لِلْغَيْبِ﴾: لما غاب عن الناس من أسرار البيت وشؤون الزوج.

﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾: أي: بحفظ الله لهم.

﴿تَخَافُونَ﴾: تخشون أو تظنون.

- ﴿نُشُورُهُنَّ﴾: تَرْفَعُهُنَّ عَمَّا يَجِبُ لَكُمْ.
- ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: ذَكَّرُوهُنَّ بِمَا يُلِيْنُ قُلُوبَهُنَّ وَيُصْلِحُ أَعْمَالَهُنَّ.
- ﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ﴾: ائْتَرِكُوهُنَّ.
- ﴿الْمَضَاجِعُ﴾: مَوَاضِعُ الضُّجُوعِ، وَهِيَ فُرُشُ النُّوْمِ.
- ﴿أَطَعْنَاكُمْ﴾: انْقَدْنَا لَكُمْ.
- ﴿فَلَا نَبْعُوا﴾: فَلَا تَطْلُبُوا.
- ﴿سَكِيلاً﴾: طَرِيقاً.
- ﴿عَلِيّاً﴾: ذَا عُلُوٍّ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.
- ﴿كَبِيراً﴾: ذَا كِبَرِيَاءٍ وَعَظْمَةٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.
- ﴿خَفِيئَةً﴾: خَشِيئَةً أَوْ ظَنَّتُمْ، وَالخَطَابُ لَدَوِي السُّلْطَةِ مِنْ وُلاةِ الْأُمُورِ.
- ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: خِلَافَ بَيْنِهِمَا أَي: خِلَافاً بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ.
- ﴿فَأَبْعَثُوا﴾: فَأَرْسَلُوا.
- ﴿حَكَمًا﴾: رَجُلًا صَالِحًا لِلْحَكْمِ بَيْنَهُمَا عِلْمًا وَدِينًا.
- ﴿أَهْلِيهِ﴾: أَقَارِبِهِ.
- ﴿إِنْ يُرِيدَآ﴾: إِنْ يَقْصِدَا، أَي: الْحَكَمَانِ.
- ﴿وَاصْلِحَا﴾: قَطْعًا لِلنِّزَاعِ وَالشَّقَاقِ.
- ﴿يُوفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾: يَجْمَعُ اللَّهُ.

﴿بَيْنَهُمَا﴾: بين الحكَمَيْنِ فَتَّحَدَ كَلِمَتُهُمَا، أو بين الزوجين فيزُولُ شِقَاقَهُمَا.

﴿عَلِيمًا حَبِيرًا﴾: عَلِيمًا بِظَوَاهِرِ الْأُمُورِ وَبِوِطَانِهَا.

ب- المعنى الإجمالي:

في هاتين الآيتين يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى فَضْلَ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ، وَلَا سِيَّيَا الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ، فَيُبَيِّنُ أَنَّ لِلرِّجَالِ الْوِلَايَةَ وَالرِّعَايَةَ لِسَبَبَيْنِ:

الأول: مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ الرِّجَالَ مِنَ الْعَقْلِ وَالْحَزْمِ وَالْقُوَّةِ.

الثاني: مَا تَفَضَّلَ بِهِ الرِّجَالُ عَلَى النِّسَاءِ مِنَ الْإِنْفَاقِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، مِنْ مُهُورِهِنَّ وَكِفَايَتِيهِنَّ مِنَ الْحَاجَاتِ الْمَالِيَةِ الْأُخْرَى.

ثم بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى صِفَاتِ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ بِأَتَمِّ الْقَائِمَاتِ بِحَقِّ اللهِ تَعَالَى وَحُقُوقِ أَزْوَاجِهِنَّ، فَهُنَّ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ تَعَالَى.

ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى مَا يَعَامِلُ بِهِ الزَّوْجُ الْمَرْأَةَ عِنْدَ نُشُوزِهَا، وَأَنَّ لِذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتِبٍ:

المرتبة الأولى: أَنْ يَزْجُرَهَا وَيُخَوِّفَهَا بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

المرتبة الثانية: أَنْ يَهْجُرَهَا فِي الْمَضْجَعِ فَلَا يُجَامِعُهَا وَلَا يَنَامُ مَعَهَا فِي فِرَاشٍ.

المرتبة الثالثة: أَنْ يَضْرِبَهَا وَلَكِنَّهُ ضَرْبٌ غَيْرُ مُبْرِحٍ كَمَا بَيَّنَّتْهُ السُّنَّةُ.

فَإِنْ صَلَحَتْ حَالُهَا بَعْدَ ذَلِكَ حَرَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يُسِيءَ عَشْرَتَهَا بِتَوْبِيخٍ أَوْ تَذْكِيرٍ

لِمَا جَرَى مِنْهَا، وَخَتَمَ اللهُ تَعَالَى الْآيَةَ بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَهُمَا: الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ لِيَعْلَمَ

الزَّوْجُ أَنَّ فَوْقَهُ مِنْ لَهِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ فَيَحْذَرُ مِنَ الْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهَا.

وإذا لم تُجد هذه المراتب الثلاثُ بين الزوجين، وخيفَ الشقاقُ بينهما وعدمُ القيام بما يجب لكل واحد على الآخر، انتقل الأمر إلى سُلطةِ ولايةِ الأمور، فبيعتُ القاضي رَجُلَيْنِ صالحين للحكمِ بينهما بحيث يكونان عالِمين بأحوالهما وبما يلزم للحكومة، مؤثوقينِ أحدهما من أقاربِ الزَّوجِ والثاني من أقاربِ الزَّوْجَةِ يَحْكُمَانِ بما يريانِ من جمعٍ أو تفریقٍ، وقد رَغِبَ اللهُ تعالى هَذَيْنِ الحَكَمَيْنِ في النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ، وبَيَّنَّ أن نَتيجَتَهَا التَّوْفِيقُ على ما فيه الخير والصلاح.

ثم ختمَ اللهُ تعالى الآيةَ بذكرِ اسمين من أسمائِه، وهُمَا: العَلِيمُ الحَبِيرُ تحذيرًا لهذَيْنِ الحَكَمَيْنِ من سوء النية أو التصرف.

ج- من فوائِدِ الآيَتَيْنِ:

- ١- فَضْلُ الرَّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ.
- ٢- أن لِلرَّجَالِ الوَلَايَةَ والرَّعَايَةَ عَلَى النِّسَاءِ.
- ٣- بيانُ الحِكْمَةِ في ثبوت ذلك للرجال عليهن.
- ٤- أن المرأةَ الصَّالِحَةَ هي المَطِيعَةُ اللهُ الحَافِظَةُ للغَيْبِ.
- ٥- أن المرأةَ النَّاشِزَ تُعَامَلُ بما يَأْتِي على الترتيب:

أ- يَعْظُمُهَا زَوْجُهَا.

ب- يَهْجُرُهَا فِي المَضْجَعِ.

ج- يَضْرِبُهَا ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ.

د- يَبْعَثُ القَاضِي حَكَمَيْنِ يَنْظُرَانِ فِي الأَمْرِ.

- ٦- وجوب طاعة المرأة لزوجها بالمعروف.
- ٧- إذا أطاعته بعد النشوز حرم عليه لوؤها وتوبيخها.
- ٨- تحذير الزوج من التطاؤل عليها بعد الطاعة.
- ٩- إثبات اسمي العلي الكبير لله تعالى، وما تضمناه من صفة.
- ١٠- وجوب بعث حكّمين عند الشقاق بين الزوجين لينظرا في أمرهما.
- ١١- اشتراط كونها رجلين عدلين عارفين موثوقين من أهلي الزوجين.
- ١٢- ترغيب الحكّمين في إرادة الإصلاح.
- ١٣- نفوذ ما حكّما به من جمع بين الزوجين أو تفريق.
- ١٤- النتيجة الحميدة للحكم المراد به الإصلاح.
- ١٥- إثبات اسمي العليم الخبير لله تعالى، وما تضمناه من صفة.

من آيات الخلع

٤١٤- ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

من آيات الخلع

الخلع لغة: من خلع الثوب، أي: نزعهُ.
وفي الشرع: فراق الزوجة بعوضٍ يُسلم للزوج منها أو من غيرها.
وهو مكروهٌ أو محرّمٌ مع استقامة حال الزوجين وقيامهما بحُدودِ الله.
ويستحبُّ للزوج أن يُجيبُ إليه إذا كانت الزوجة تتأذى ببقائها معه.
ويجبُ عليه أن يُجيبَ إليه إن كانت تتصرَّرُ ببقائها معه، أو كان لخللٍ في عفتِهِ
ويُلزَمُ به إن امتنع.

ويُشترطُ لصحَّته رضا الزوج إلا أن يُكرهَ بحقُّ.

ويُشترطُ أيضًا رضا باذلِ عوضِهِ.

تفسير الآية رقم ٤١٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾: لا يجوزُ، والخطابُ للأزواجِ.

﴿آتَيْتُمُوهُنَّ﴾: أَعْطَيْتُمُوهُنَّ مِنْ مَهْرٍ أَوْ غَيْرِهِ.

﴿يَخَافَا﴾: يَخْشَا أَوْ يَظُنَّا، وَالضَّمِيرُ لِلزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ.

﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾: شَرَائِعُهُ الَّتِي أَوْجَبَهَا لِكُلِّ مِنْهُمَا عَلَى الْآخِرِ.

﴿خِفْتُمْ﴾: الْخِطَابُ لِلذَّوِيِّ السُّلْطَانِ مِنْ وُلاةِ الْأُمُورِ، أَوْ لِأَقْرَابِ الزَّوْجِينَ.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فَلَا إِثْمَ.

﴿عَلَيْهِمَا﴾: عَلَى الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ.

﴿أَفَدَّتْ بِهِ﴾: دَفَعَتْهُ فِدَاءً عَنِ الْبَقَاءِ مَعَهُ.

﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾: شَرَائِعُهُ.

﴿تَعْتَدُوهَا﴾: تَجَاوِزُهَا.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: جَمْعُ ظَالِمٍ وَهُوَ الْبَاخِسُ نَفْسَهُ حَقَّهَا بِاعْتِدَائِهِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِلزَّوْجِ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ زَوْجَاتِهِمْ شَيْئًا مِمَّا أَعْطَوْهُنَّ مِنْ مَهْرٍ أَوْ غَيْرِهِ بِإِجْأءٍ أَوْ إِكْرَاهٍ، أَمَّا مَا كَانَ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ فَلَا بَأْسَ بِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ طَبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَيْئًا مَرِيئًا﴾

[النساء: ٤].

ثُمَّ اسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ مَا إِذَا كَانَ لَا يُمَكِّنُ لِلزَّوْجِينَ أَنْ يَقُومَا بِمَا يَجِبُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا مَا تَفْتَدِي بِهِ نَفْسَهَا عَنِ الْبَقَاءِ مَعَهُ.

ثُمَّ خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ بِيَبَإَنَّ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْكَامَ حُدُودُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ مَنْ تَعَدَّى

حُدُودُهُ فَهُوَ الظَّالِمُ الَّذِي وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَبَخَسَ نَفْسَهُ حَقَّهَا.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- تَحْرِيمُ أَخْذِ الزَّوْجِ شَيْئًا مِمَّا أُعْطِيَ زَوْجَتَهُ بِغَيْرِ رِضَاهَا.
- ٢- تَحْرِيمُ إِجْتَائِهَا إِلَى الْخُلْعِ بِغَيْرِ حَقٍّ.
- ٣- جَوَازُ الْخُلْعِ إِذَا خِيفَ أَنْ لَا يَقُومَ الزَّوْجَانِ بِالْحَقُوقِ عَلَيْهَا.
- ٤- جَوَازُهُ حَيْثُ نَدَّ بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، وَقِيلَ: لَا يُجُوزُ بِأَكْثَرِ مِمَّا أُعْطَاهَا.
- ٥- تَحْرِيمُ الْخُلْعِ مَعَ اسْتِقَامَةِ الْحَالِ.
- ٦- أَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ حُدُودٌ، لِأَنَّهَا إِمَامُ مَأْمُورَاتٍ لَا تُتَجَاوَزُ أَوْ مَنَهَيَاتٍ لَا تُنْتَهَكُ.
- ٧- تَحْرِيمُ تَعَدِّي حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٨- تَحْرِيمُ الْبِدْعِ فِي الدِّينِ، لِأَنَّهَا تَعْدُ لِحُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٩- أَنَّ تَعَدِّي حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى ظُلْمٌ.

مِنْ آيَاتِ الطَّلَاقِ

الآية الأولى:

٤١٥- ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

مِنْ آيَاتِ الطَّلَاقِ

الطَّلَاقُ فِي اللُّغَةِ: اسْمٌ مَصْدَرٍ طَلَّقَ، أَي: جَعَلَ الشَّيْءَ طَلِيقًا مِنَ الْقَيْدِ.
 وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: فِرَاقُ الزَّوْجَةِ بِحِلٍّ قَيْدِ نِكَاحِهَا أَوْ بَعْضِهِ.
 وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- أَنَّ أَحْكَامَ التَّكْلِيفِ الْخَمْسَةَ تَأْتِي عَلَيْهِ.
 فَيَكُونُ مُبَاحًا إِذَا احْتِيَاجَ الزَّوْجِ إِلَيْهِ لِكِرَاهَةِ الْمَرَأَةِ وَنَحْوِهَا.
 وَيَكُونُ مُسْتَحَبًّا إِذَا احْتِيَاجَتِ الزَّوْجَةُ إِلَيْهِ لِكِرَاهَةِ الرَّجُلِ وَنَحْوِهَا.
 وَيَكُونُ حَرَامًا إِذَا كَانَ لِغَيْرِ الْعِدَّةِ أَوْ بَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ وَاحِدَةٍ.
 وَيَكُونُ وَاجِبًا إِذَا أَلْسَى الزَّوْجُ مِنْ زَوْجَتِهِ وَلَمْ يَرْجِعْ.
 وَيَكُونُ مَكْرُوهًا فِيهَا عَدَا ذَلِكَ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ٤١٥:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿الْتَبَى﴾: الْمُنْبَأُ بِالْوَحْيِ أَوْ الْمُنْبِيُّ غَيْرُهُ بِمَا أَوْحَى إِلَيْهِ.

﴿إِذَا طَلَقْتُمْ﴾: إِذَا أَرَدْتُمْ الطَّلَاقَ وَوَجَّهَ الْخِطَابَ بِصِغَةِ الْجَمْعِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِأَنَّهُ إِمَامٌ أُمَّتِهِ، وَالطَّلَاقُ فِرَاقُ الزَّوْجَةِ بِحِلِّ قَيْدِ نِكَاحِهَا أَوْ بَعْضِهِ.

﴿لِعِدَّتِهَا﴾: اللَّامُ لِلتَّوْقِيتِ، أَي: فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَسْتَقْبِلُ بِهِ عِدَّتَهَا الْمُعَيَّنَةَ، وَالْعِدَّةُ: تَرْبُصٌ مَحْدُودٌ شَرْعًا بِفِرْقَةِ نِكَاحٍ وَمَا أَحْلَقَ بِهِ.

﴿وَأَحْصُوا﴾: اضْبُطُّوا.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: اتَّخَذُوا وَقَايَةً مِنْ عَذَابِهِ، بِفَعْلٍ أَوْ أَمْرٍ وَاجْتِنَابٍ مَهِيهِ.

﴿رَبِّكُمْ﴾: خَالِقِكُمْ، وَمَالِكِكُمْ، وَمُدَبِّرِكُمْ بِحُكْمِهِ الْكَوْنِيِّ وَالشَّرْعِيِّ.

﴿يُؤْتِيَهُنَّ﴾: حَلَّ سُكْنَاهُنَّ عِنْدَكُمْ.

﴿بِفَحْشَةٍ﴾: بِخِصْلَةٍ قَبِيحَةٍ مِنْ زِنَا أَوْ غَيْرِهِ.

﴿مُيَنَّنَةً﴾: مُظْهِرَةً لِحَالِ الْمَرْأَةِ.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا رَقْمَ

(٤١٤).

﴿لَا تَدْرِي﴾: لَا تَعْلَمُ، وَالْخِطَابُ لِلزَّوْجِ.

﴿لَعَلَّ اللَّهَ﴾: لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ أَوْ التَّوَقُّعِ، وَجُمَلْتُهَا سَدَّتْ مَسَدًا مَفْعُولِي (تَدْرِي).

﴿يُحَدِّثُ﴾: يُوجِدُ.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: أي: بعد الرَّغْبَةِ عن المرأة.

﴿أَمْرًا﴾: شَأْنًا آخَرَ، وَهُوَ الرَّغْبَةُ فِيهَا.

ب- المعنى الإجمالي:

يُنَادِي اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بوصفِ النُّبُوَّةِ لِلإِيذَانِ بِأَنْ مَا يُوجِّهُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ صَادِرٌ عَنْ وَحْيِ اللهِ لَهُ، ثُمَّ يُوجِّهُهُ الْخَطَابَ إِلَى الْأُمَّةِ فَيَأْمُرُهُمْ إِذَا أَرَادُوا طَلَاقَ نِسَائِهِمْ أَنْ يُطَلِّقُوهُمْ لِعِدَّةٍ مُتَعَيَّنَةٍ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقَعَ الطَّلَاقُ وَهِيَ حَامِلٌ أَوْ فِي طَهْرٍ لَمْ يُجَامِعْهَا فِيهِ، فَإِنَّمَا حِينَئِذٍ تُشْرَعُ فِي عِدَّةٍ مُتَعَيَّنَةٍ، الْحَامِلُ تَبْتَدِئُ عِدَّةَ حَامِلٍ، وَالتِّي فِي طَهْرٍ لَمْ يُجَامِعْهَا فِيهِ تَبْتَدِئُ عِدَّةَ حَيْضٍ، أَمَا إِذَا طَلَّقَهَا حَائِضًا فَإِنَّمَا تَعْتَدُّ بِالْحَيْضَةِ الَّتِي طَلَّقَهَا فِيهَا، وَإِذَا طَلَّقَهَا فِي طَهْرٍ جَامِعَهَا فِيهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي هَلْ نَشَأَ مِنْ هَذَا الْجَمَاعِ حَمْلٌ فَتَعْتَدُّ بِهِ أَوْ لَمْ يَنْشَأَ فَتَعْتَدُّ بِالْحَيْضِ، فَلَمْ يُطَلِّقَهَا حِينَئِذٍ لِعِدَّةٍ مُتَعَيَّنَةٍ.

ثم يأمر الله تعالى بضبط العدة لا تلتبس، لأن الأمر خطير، ولهذا أعقبه بالأمر بالتقوي حيث قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾.

ثم نهي الأزواج أن يخرجوا النساء المطلقات من بيوتهن، ونهاهن أن يخرجن لأن بقاءهن بالبيوت أقرب للميل إليهن، وأيسر لإرجاعهن وأصون لهن، ولهذا بين الحكمة في قوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، واستثنى من ذلك ما إذا أتت المرأة بما يستقبح شرعاً أو عرفاً، فإنه لا حرج على الزوج في إخراجها حينئذ.

ثم بين - سبحانه - أن هذه الأحكام من شرائعه، وأن من تعداها فقد ظلم

نفسه.

ج- من فوائد الآية:

- ١- إثبات رسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٢- أن الخطاب الموجه إليه يشمل الأمة.
- ٣- إباحة الطلاق.
- ٤- وجوب كون الطلاق للعدّة، وذلك بأن يُطَلَّقَهَا حَامِلًا أو طَاهِرًا من غيرِ جَمَاعٍ.
- ٥- تحريم طلاق المرأة في طهرٍ جَامَعَهَا فيه إلا أن تَحْمِلَ.
- ٦- تحريم طلاق الحائضِ حَتَّى تَطْهَرَ إلا مَنْ لا عِدَّةَ عليها.
- ٧- وجوب العناية بالعدّة بضبطها.
- ٨- أن العناية بها من تقوى الله تعالى.
- ٩- أهميّة عقد النكاح.
- ١٠- تحريم إخراج المرأة من البيت بعد الطلاق حَتَّى تَنْتَهِيَ العِدَّةُ.
- ١١- تحريم خروجها من البيت بعد الطلاق حَتَّى تَنْتَهِيَ العِدَّةُ.
- ١٢- جواز إخراجها منه إذا أتت بها يُسْتَقْبَحُ شَرَعًا أو عُرْفًا.
- ١٣- أن شرائع الله تعالى حُدُودٌ لِكُونِهَا تُنْعَمُ مِنْ تَخْطِئِهَا وَتَعَدِّيِهَا.
- ١٤- أن تعدي حُدُودِ الله تعالى ظلمٌ للنفسِ.
- ١٥- أن نفس المرء أمانةٌ عنده يلزمه إحصان رعايتها.
- ١٦- أن الإنسان لا يعلم الغيب.
- ١٧- أن الأمور بيد الله تعالى يُجَدِّدُ مِنْهَا ما يَشَاءُ على ما تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ.

الآية الثانية:

٤١٦- ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً

... ﴿[البقرة: ٢٣٦].

تفسير الآية رقم ٤١٦:

أ- تفسير الكلمات:

﴿لَا جُنَاحَ﴾: لا إثم. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: الخطاب للأزواج.

﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾: ما مصدرية ظرفية، والتقدير: زمن عدم مسهن.

﴿تَمْسُوهُنَّ﴾: مجامعوهن، وفي قراءة: تمأسوهن.

﴿تَفْرِضُوا﴾: تقدروا. ﴿فَرِيضَةً﴾: أي: مهرا.

ب- المعنى الإجمالي:

لما كان الزوج قد يتحرج من طلاق زوجته قبل الدخول بها، وفرص المهر لها، بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه ليس على المرء حرَج في طلاق زوجته قبل أن يدخل بها وقبل أن يُقدَّر لها مهرها.

ج- من فوائد الآية:

١- جواز تطليق المرأة قبل جماعها وفرص الصداق لها.

٢- تيسير الشريعة الإسلامية.

٣- صحة النكاح بدون تسمية المهر.

مِن آيَاتِ التَّأْوِيلِ فِي الْكَلَامِ

الآية الأولى إلى الثامنة:

٤١٧-٤٢٤- ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ۝٨٢﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤
 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَفِيكَاءَ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ ۝٨٧ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي التُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩ فَنَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾
 [الصافات: ٨٣-٩٠].

التأويل في اللغة: مصدرٌ أوَّلٌ يُؤوِّلُ، من الأوَّلِ وهو الرجوعُ.

وتأويل الكلام: أن يريد به ما يخالف ظاهره مثل أن يقول: لأجلسن على
 الفراش، فيجلس على الأرض ويقول: نويت بالفراش الأرض.
 والتأويل له ثلاث حالات:

أحدها: أن يكون لدفع ظلم، فهذا جائزٌ مثل أن يكرهه ظالمٌ على الطلاق
 فيقول: زوجتي طالق، وينوي: طالق من وثاق.

وقد يكون واجباً مثل أن يكون وسيلةً لإيقاد معصومٍ من ظلم، كأن يسأل
 ظالمٌ: أين فلان. وهو يريد الاعتداء عليه، فتقول: ما عندنا منه علم. تريد: الذي
 عندنا منه علم، فتنوي بما: الذي.

الثانية: أن يكون لدفع حقٍّ أو إثبات باطلٍ، فهو حرامٌ، مثل أن يخلف على

إِنْكَارِ حَقِّ عَلَيْهِ مُتَأَوَّلًا، فيقول لِحُضْمِهِ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي لَكَ شَيْءٌ، وبنوي: الذي عندي لك شيء.

الثالثة: أن لا يكون لهذا ولا ذاك، فَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي جَوَازِهِ، وَالأُولَى أن لا يَفْعَلَهُ إِلا حَاجَةً أَوْ مَصْلَحَةً، لِأَنَّهُ إِذَا تَبَيَّنَ تَأْوِيلُهُ فِي الْكَلَامِ صَارَ غَيْرَ مَوْثُوقٍ بِهِ عِنْدَ النَّاسِ.

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ رَقْمَ ٤١٧ - ٤٢٤:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿مِنْ شَيْعِنِهِ﴾: مُوَافِقِيهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَالضَّمِيرُ لِنُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾: اللَّامُ لِلتَّوَكُّيدِ، وَإِبْرَاهِيمُ هُوَ: ابْنُ آزَرَ وَأَحَدُ أَوْلِي الْعِزْمِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ، تَزَوَّجَ سَارَةَ فَوَلَدَتْ لَهُ إِسْحَاقَ أَبَا يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبُ هُوَ إِسْرَائِيلُ أَبُو بَنِي إِسْرَائِيلِ.

وَتَسْرَى هَاجَرَ فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدَهُ الْأَكْبَرَ إِسْمَاعِيلَ أَبَا الْعَرَبِ، أَتَاهُ عَلَى كِبَرٍ فَاثْتَلَاهُ اللَّهُ فِيهِ بَيْلَاءٍ عَظِيمٍ حَيْثُ أَمَرَهُ بِدَبْحِهِ، وَقَدْ بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ، فَبَلَغَ حُبَّهُ فِي قَلْبِهِ مَبْلَغًا كَبِيرًا، وَلَكِنَّهُ قَدَّمَ طَاعَةَ مَوْلَاهُ عَلَى مَا يَهْوَاهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُ إِسْمَاعِيلُ ﴿١٠٤﴾ فَدَّ صَدَقَتِ الرَّيَاءُ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْبَلْتُوِّ الْمُنِينِ ﴿[الصفات: ١٠٣-١٠٦]﴾. اتَّخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى خَلِيلًا، وَهُوَ الْبَالِغُ فِي الْمَحَبَّةِ غَايَتَهَا.

أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَهْلِ بَابِلَ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَكَسَرَهَا وَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ فَانْتَصَرُوا لِأَهْلِهِمْ وَأَضْرَمُوا نَارًا عَظِيمَةً، فَالْقُوا إِبْرَاهِيمَ فِيهَا

لِيُحَرِّقُوهُ، ولكن الله قال لها: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنْهَا، وَأَبْطَلَ كَيْدَ الْمُعْتَدِينَ، فَكَانُوا هُمُ الْأَخْسَرِينَ الْأَسْفَلِينَ.

هاجر إلى الشام فَأَرْسَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ أَهْلِ حَرَّانَ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ، فَبَيَّنَ لَهُمْ بُطْلَانَ عِبَادَتِهَا بِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ وَقَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَأَعْلَنَ بَرَاءَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ وَأَنَّهُ لَا يَخَافُهَا وَلَا يَعْبُأُ بِهَا، تَوَقَّاهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فِي فَلَسْطِينَ، وَدُفِنَ فِي بَلَدِهَا (الخليل) لَكِنْ لَا يُعْلَمُ مَكَانَ قَبْرِهِ فِيهَا بِالتَّعْيِينِ.

﴿إِذَا جَاءَ﴾: ظَرْفٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: اذْكُرْ.

﴿سَلِيمٍ﴾: خَالِصٍ مِنَ الشَّرْكِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ.

﴿إِذَا قَالَ﴾: ظَرْفٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: اذْكُرْ، أَوْ هُوَ بَدَلٌ مِنَ الظَّرْفِ الْأَوَّلِ.

﴿مَاذَا﴾: مَا الَّذِي، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلإِنكَارِ أَوْ التَّحْقِيرِ.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: تَذَلُّونَ لَهُ بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّقَرُّبِ.

﴿أَيْفَاكَ﴾: أَكْذِبًا فَيَحَا، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ، وَالنَّصْبُ عَلَىٰ أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ

أَجَلِهِ، أَوْ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ عَامِلُهُ مَحذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: أَتَأْفِكُونَ إِفْكًَا.

﴿إِلَهَةً﴾: مَعْبُودَاتٍ، وَهُوَ مَفْعُولٌ بِهِ مُقَدَّمٌ لـ ﴿تُرِيدُونَ﴾.

﴿دُونَ اللَّهِ﴾: غَيْرِ اللَّهِ.

﴿تُرِيدُونَ﴾: تَقْصِدُونَ.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أَيُّ شَيْءٍ تَقْدُرُونَ اللهُ بِهِ، حَيْثُ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ،

أَوْ مَا ظَنُّكُمْ بِهِ أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ حَيْثُ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ.

﴿بَرَبِ الْعَالَمِينَ﴾: خَالِقِهِمُ الْمَالِكِ الْمُتَصَرِّفِ فِيهِمْ.

﴿فَنظَرَ﴾: أَي: رَأَى بِعَيْنِهِ كَالْمُفَكِّرِ، وَلِذَا تَعَدَّى بِ(فِي).

﴿فِي النُّجُومِ﴾: فِي أَفْقِ النُّجُومِ، وَهُوَ السَّمَاءُ مُوَهَّمًا قَوْمَهُ أَنَّهُ يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ،

أَوْ فِي النُّجُومِ نَفْسَهَا لِأَنَّهَا يُرِيدُهُ قَوْمَهُ.

﴿سَقِيمٌ﴾: أَي: ضَعِيفٌ.

﴿فَنَوَلُوا﴾: فَانصَرَفُوا.

﴿مُدْبِرِينَ﴾: مُؤَلِّهِ أَدْبَارَهُمْ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُنَوِّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ الْحَلِيلُ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالِدَعْوَةِ إِلَيْهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَا دَعَا إِلَيْهِ نُوحٌ أَوَّلُ رَسُولِ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فإِبْرَاهِيمُ الْحَلِيلُ مُوَافِقٌ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَدْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ الشُّرْكِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ، وَلَمْ تَأْخُذْهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْكَارِ عِبَادَةِ غَيْرِهِ لَوْمَةٌ لِأَيْمٍ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ ذَلِكَ قُرْبُ قَرِيبٍ أَوْ حَمِيَّةَ جَاهِلِيَّةٍ فَأَنْكَرَ عَلَى أَبِيهِ وَقَوْمِهِ عِبَادَةَ غَيْرِ اللَّهِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ ذَلِكَ زُورٌ وَبُهْتَانٌ، وَسَأَلَهُمْ مُؤَبِّخًا أَيُّ قَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَكُمْ وَقَدْ عَبَدْتُمْ مَعَهُ غَيْرَهُ، أَوْ: أَيُّ ظَنٍّ تَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ فَاعِلٌ بِكُمْ حِينَ تَلْقَوْنَهُ وَقَدْ عَبَدْتُمْ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَلَمَّا لَمْ يُفِدْ فَهَمَّ التَّوْبِيخِ عَزَمَ ﷺ عَلَى إِتْلَافِ آلِهَتِهِمْ فَكَسَرَهَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ، وَكَانَ قَوْمَهُ يَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ وَيَسْتَقْسِمُونَ فِيهَا فَيَجْعَلُونَ مِنْ تَحْرُكَاتِهَا دَلِيلًا عَلَى سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَوْ شِقَائِهِ، فَنَظَرَ ﷺ نَظْرَةً فِيهَا مُوَهَّمًا قَوْمَهُ أَنَّهُ يَرِيدُ بِذَلِكَ مَا يَرِيدُونَ، فَقَالَ: إِنِّي سَقِيمٌ -يَعْنِي ضَعِيفًا-، مُوَهَّمًا قَوْمَهُ أَنَّهُ اسْتَسْتَجَبَ

من نَظَرَهُ فِي النُّجُومِ أَنَّهُ مَرِيضٌ، فَاقْتَنَعُوا بِذَلِكَ وَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- أَنْ دِينَ الرَّسُلِ وَاحِدٌ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالِدَعْوَةِ إِلَيْهِ.
- ٢- فَضِيلَةُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.
- ٣- سَلَامَةُ قَلْبِهِ مِنَ الشُّرْكِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ.
- ٤- قُوَّتُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.
- ٥- إِنْكَارُهُ عَلَى أَبِيهِ وَقَوْمِهِ عِبَادَةَ غَيْرِ اللَّهِ.
- ٦- أَنْ دَعْوَى أُلُوهِيَّةٍ غَيْرِ اللَّهِ دَعْوَى إِفْكٍ وَبُهْتَانٍ.
- ٧- سَفَاهَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٨- أَنْ مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ فَمَا قَدَرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرَهُ.
- ٩- الْوَعِيدُ عَلَى مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى.
- ١٠- جَوَازُ التَّوْرِيَّةِ بِالْفِعْلِ، بِحَيْثُ يُرِيدُ بِهِ خِلَافَ مَا يَظْهَرُ مِنْهُ، لِقَوْلِهِ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾.
- ١١- جَوَازُ التَّوْرِيَّةِ بِالْقَوْلِ لِقَوْلِهِ: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وَهَاتَانِ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.

مِنْ آيَاتِ الرَّجْعَةِ

الآية الأولى:

٤٢٥- ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَيْسَ أَجَلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَنْجِدُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٣١﴾.

مِنْ آيَاتِ الرَّجْعَةِ

الرَّجْعَةُ فِي اللُّغَةِ: مِنَ الرَّجُوعِ، وَهُوَ: الْعُودُ إِلَى مَا فَارَقَهُ.

والمراد هنا: إعادة مُطَلَّقةٍ غَيْرِ بَائِنٍ إِلَى عِصْمَةِ النِّكَاحِ بِغَيْرِ عَقْدٍ.

وَتَحْصُلُ الرَّجْعَةُ بِالْقَوْلِ وَبِالْفِعْلِ.

وَتَحْصُلُ بِالْقَوْلِ بِكُلِّ لَفْظٍ يَدُلُّ عَلَيْهَا مِثْلُ: رَاجَعْتُ، وَارْتَجَعْتُ، وَرَدَدْتُ،

وَأَمْسَكْتُ وَنَحْوَهَا.

وَتَحْصُلُ بِالْفِعْلِ مَعَ النِّيَّةِ مِثْلُ أَنْ يُجَامِعَهَا بِنِيَّةِ الْمُرَاجَعَةِ.

وَيَسْتَحِقُّ الزَّوْجُ الرَّجْعَةَ بِشُرُوطٍ خَمْسَةٍ:

الأوَّلُ: أَنْ تَكُونَ الْفُرْقَةُ بِطَلَاقٍ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ فِي نِكَاحٍ صَحِيحٍ.

الثالث: أن يكون بَعْدَ الدُّخُولِ.

الرابع: أن يكون بلا عَوْضٍ.

الخامس: أن يكون قَبْلَ اسْتِكْمَالِ العَدَدِ.

تَفْسِيرُ الآيَةِ رَقْمَ ٤٢٥:

أ- تَفْسِيرُ الكَلِمَاتِ:

﴿ طَلَّقْتُمْ ﴾: الخِطَابُ لِلأَزْوَاجِ.

﴿النِّسَاءِ﴾: أَي: الزَّوْجَاتِ.

﴿أَجَلَهُنَّ﴾: مُنْتَهَى عِدَّتِهِنَّ.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: أَبْقُوهُنَّ بِمَرَاجِعَتِهِنَّ.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بِمَا يُقَرُّهُ الشَّرْعُ وَالْعُرْفُ، وَالبَاءُ لِلْمُصَاحَبَةِ.

﴿سَرَّحُوهُنَّ﴾: ائْرْكُوهُنَّ بِلا مَرَاجِعَةٍ.

﴿ضِرَارًا﴾: مُضَارَّةً بَيْنَ، وَهُوَ مَفْعُولٌ لِأَجَلِهِ.

﴿لِنَعْتَدُوا﴾: لِنَقْعُوا فِي العُدْوَانِ، وَاللَّامُ لِلعَاقِبَةِ.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي: الإِمْسَاكُ ضِرَارًا.

﴿ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾: بَخَسَهَا حَقَّهَا.

﴿وَلَا تَنْخِذُوا﴾: لَا تَجْعَلُوا.

﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾: وَحْيِهِ الْمُنزَّلِ عَلَى رَسُولِهِ.

﴿هُزُوا﴾: سُخْرِيَّةٌ، وهي مفعول ثانٍ لَتَتَّخِذُوا.

﴿وَأَذْكُرُوا﴾: تَذَكَّرُوا بِقُلُوبِكُمْ، وانطقوا بِالسِّتِّكُمْ.

﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: إِحْسَانَهُ.

﴿وَمَا أَنْزَلَ﴾: أَي: واذكروا ما أَنْزَلَ، وهو من عَطْفِ الحَاصِ على العام.

﴿الْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنِ، وهو بِمَعْنَى المَكْتُوبِ.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: الإِصَابَةَ فِي وَضْعِ الشَّيْءِ مَوْضِعَهُ.

﴿يُعِظُكُمْ﴾: يُذَكِّرُكُمْ بِمَا يُلِينُ قُلُوبَكُمْ وَيُصْلِحُ أَعْمَالَكُمْ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: اتَّخِذُوا وَقَايَةً مِنْ عَذَابِهِ بِطَاعَتِهِ.

﴿عَلِيمٌ﴾: ذُو عِلْمٍ، وَالْعِلْمُ إِذْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

ب- المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الأَزْوَاجَ أَنْ يَكُونَ فِرَاقُهُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ عَلَى وَجْهِ المَعْرُوفِ الَّذِي يُقَرُّهُ الشَّرْعُ، فَإِذَا بَلَغَتِ المَطْلُوقَةُ أَجَلَ عِدَّتِهَا فَإِمَّا أَنْ يُرَاجِعَهَا بِمَعْرُوفٍ أَوْ يَجْعَلَ تَسْرِيحَهُ إِيَّاهَا بِمَعْرُوفٍ، لَا يُسَبِّحُهَا وَلَا يُقَبِّحُهَا، وَكَانُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ إِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ المَرَأَةَ فَشَارَفَتِ انْقِضَاءَ عِدَّتِهَا رَاجِعَهَا الزَّوْجَ، لَا رَغْبَةً فِيهَا وَلَكِنْ إِضْرَارًا بِهَا وَاعْتِدَاءً عَلَيْهَا، فَنَهَى اللَّهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَيَبَيِّنُ أَنَّ ذَلِكَ ظُلْمٌ لِلنَّفْسِ، ثُمَّ نَهَى أَنْ يَتَّخِذَ المَرءُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا يَسْخَرُ بِهَا وَيُجَالِفُهَا، وَأَمْرٌ أَنْ يَذْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ خُصُوصًا فِيمَا أَنْزَلَهُ مِنَ الوَحْيِ المَتَّصِمِينَ لِلْحِكْمَةِ الَّتِي بِهَا صِلَاحُ النَّاسِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ.

ثم حَتَمَ الآية بالأمر بتَقْوَى الله -عزَّ وجلَّ- والحَذَرِ منه، حيثُ أَمَرَ أن يَعْلَمَ المرءُ أن الله تَعَالَى بكل شيءٍ عليمٌ.

ج- من فَوَائِدِ الآية:

١- جَوَازُ الطَّلَاقِ.

٢- أن للمُطَلَّقِ مُرَاجَعَةَ المُطَلَّقةِ ما دَامَتْ في العِدَّةِ وَهُوَ مُقَيَّدٌ بِهَا إذا كان الطَّلَاقُ غَيْرَ بَائِنٍ.

٣- أن لَهُ أن يُرَاجِعَ بَعْدَ طَهْرِهَا من الحِيضَةِ الثالِثةِ حَتَّى تَغْتَسِلَ.

٤- أنه يَجِبُ أن تَكُونَ المَرَاجَعَةُ أو المَفَارَقَةُ بالمَعْرُوفِ.

٥- تَحْرِيمُ المَرَاجَعَةِ بِقَصْدِ الإِضْرَارِ بِالمَرَأَةِ، وَلَا نَحْلُ لَهُ حِينَئِذٍ.

٦- أن قَصْدَ الإِضْرَارِ من العُدْوَانِ.

٧- أن المَعَاصِي والعُدْوَانَ ظَلَمٌ لِلنَّفْسِ.

٨- أن الرِّجْعِيَّةَ لَا تَبِينُ بِمُجَرِّدِ الطَّلَاقِ.

٩- تَحْرِيمُ اتِّخَاذِ آيَاتِ الله هُزُواً لَا تُصَدِّقُ أَخْبَارُهَا وَلَا تَمْتَضِي أَحْكَامُهَا.

١٠- وَجوبُ تَذَكُّرِ الإنسانِ لِنِعْمَةِ الله عَلَيْهِ ليقومَ بِشُكْرِهَا.

١١- أن ما أنزلَ اللهُ عَلَيْنَا من الوَحْيِ نِعْمَةٌ يَجِبُ ذِكْرُهَا لِشُكْرِهَا.

١٢- أن اللهُ تَعَالَى أنزَلَ ذلكَ لِيَكُونَ مَوْعِظَةً لَنَا عن مُخَالَفَتِهِ.

١٣- وَجوبُ تَقْوَى الله -عزَّ وجلَّ-.

١٤- وَجُوبُ الْعِلْمِ بِأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لِيَحْذَرَ الْعَبْدُ مِنْ مُحَالَفَتِهِ.

١٥- إِبْطَاتُ إِحَاطَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.

الآية الثانية:

٤٢٦- ﴿ فَإِذَا بَلَغَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ... ﴾ [الطلاق: ٢].

تفسير الآية رقم ٤٢٦:

تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ بِرَقْمِ (٣٨٣-٣٨٤) فَلْتَرَجِعْ هُنَاكَ.

ج- من فوائد الآية المتعلقة بهذا الباب:

- ١- جَوَازُ مُرَاجَعَةِ الْمُطَلَّقَةِ الرَّجْعِيَّةِ إِذَا انْتَهَتْ عِدَّتُهَا مَا لَمْ تَغْتَسِلْ مِنَ الْحَيْضَةِ
الثالثة.
- ٢- وَجُوبُ اتِّبَاعِ الْمَعْرُوفِ فِي الرَّجْعَةِ وَالْبَيِّنُونَ.
- ٣- مَشْرُوعِيَّةُ الْإِشْهَادِ عَلَى الرَّجْعَةِ.
- ٤- اشْتِرَاطُ كَوْنِ مَنْ يَشْهَدُ رَجُلَيْنِ.
- ٥- اشْتِرَاطُ الْإِسْلَامِ وَالْعَدَالَةِ فِيهِمَا.
- ٦- أَنَّ الرَّجْعِيَّةَ لَا تَبِينُ بِمُجَرَّدِ الطَّلَاقِ.

الآية الثالثة والرابعة:

٤٢٧-٤٢٨ - ﴿الطَّلُقَ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعْصِمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُعْصِمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٢٩-٢٣٠].

تفسير الآيتين رقم ٤٢٧ - ٤٢٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿الطَّلُقُ﴾: أي: فُرْقَةُ الزَّوْجَةِ الَّذِي يَمْلِكُ بِهِ الرَّجْعَةَ.

﴿مَرَّتَانٍ﴾: أي: مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

﴿فَإِمْسَاكٌ﴾: إِبْقَاءٌ لِلْمُطَلَّقَةِ بِمُرَاجَعَتِهَا، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ:

فَلَكُمْ إِمْسَاكٌ، أَوْ هُوَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: فَشَأْنُ هَذَا الطَّلَاقِ إِمْسَاكٌ.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: وَالبَاءُ لِلْمُصَاحِبَةِ بِهَا يُقْرَأُ الشَّرْعُ وَالعُرْفُ.

﴿تَسْرِيحٌ﴾: تَرْكٌ لِلْمُطَلَّقَةِ بِدُونِ مُرَاجَعَةٍ.

﴿بِإِحْسَانٍ﴾: بِصُنْعٍ جَمِيلٍ، وَالبَاءُ لِلْمُصَاحِبَةِ.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾: إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي رَقْمِ

(٤١٤) فَليرجع إليه.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ فَارَقَهَا بَعْدَ الْإِمْسَاكِ فِي الْمَرَّتَيْنِ.

﴿مِنْ بَعْدُ﴾: مِنْ بَعْدِ تَطْلِيقِهَا الثَّالِثَةِ.

﴿تَنْكِحَ﴾: تَنْزَوِّجَ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

كَانَ النَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُطَلِّقُونَ زَوْجَاتِهِمُ الْمَرَاتِ الْعَدِيدَةَ وَيُضَارُّوْنَ وَنَهْنُ، كَلِمًا طَلَّقَهَا فَشَارَفَتْ عَلَى انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا رَاجِعَهَا، فَتَبَقِيَ مُعَلَّقَةً لَا مَعَ زَوْجٍ تَسْعُدُ بِهِ وَلَا مُطْلَقَةً مِنْهُ فَتَسْعُدُ بِغَيْرِهِ، وَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أَنْزَلَ حَدًّا لِهَذَا التَّلَاعِبِ وَالْعَبَثِ بِالْحَقُوقِ.

فَيَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ أَنَّ الطَّلَاقَ الشَّرْعِيَّ أَنْ يَكُونَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَأَنْ لَهُ بَعْدَ الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ أَنْ يُمَضِيَ الطَّلَاقُ أَوْ يُرَاجَعَ فَإِذَا أَمْضَاهُ بَانَ مِنْهُ وَلَكِنَّهَا تَحِلُّ لَهُ بِالْعَقْدِ بَدُونِ نِكَاحِ زَوْجٍ غَيْرِهِ، وَإِنْ رَاجَعَهَا ثُمَّ طَلَّقَهَا الثَّالِثَةَ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَتَيْنِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا الْبَابِ:

- ١- أَنَّ الْمُرَاجَعَةَ إِنَّمَا يَمْلِكُهَا الزَّوْجُ فِي الطَّلَاقِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ، فَلَا رَجْعَةَ لَهُ بَعْدَ الثَّالِثَةِ.
- ٢- أَنَّ الزَّوْجَ لَا يَمْلِكُ الْمُرَاجَعَةَ إِذَا كَانَ الْفِرَاقُ بِعَوَضٍ.
- ٣- أَنَّ الْوَاجِبَ فِي الْمُرَاجَعَةِ أَنْ تَكُونَ بِمَعْرُوفٍ.

مِن آيَاتِ الْإِيْلَاءِ

٤٢٩-٤٣٠- ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٢٢٦-٢٢٧].

مِن آيَاتِ الْإِيْلَاءِ

الإيْلَاءُ فِي اللُّغَةِ: الْيَمِينُ.

وَفِي الْأَصْطِلَاحِ: حَلْفُ الزَّوْجِ عَلَى تَرْكِ جِمَاعِ زَوْجَتِهِ.

وَهُوَ مُحَرَّمٌ فِي مُدَّةٍ تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ أَوْ مُؤَبَّدَةً، لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِضْرَارِ بِالزَّوْجَةِ وَالتَّعَدِّيِّ عَلَى حُقُوقِهَا.

أَمَّا مَا دُونَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَجَائِزٌ إِذَا كَانَ لِلْمَصْلَحَةِ، كَتَأْدِيبِ الزَّوْجَةِ وَنَحْوِهِ، فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - آلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا فَاغْتَرَزَلَهُنَّ^(١).

وَإِذَا مَضَى عَلَى الزَّوْجِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ مِنْ إِيْلَائِهِ أُلْزِمَ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: الطَّلَاقُ أَوْ الْجِمَاعُ، فَإِن لَمْ يَفْعَلْ فَلِلْحَاكِمِ فَسْخُ نِكَاحِهِ مِنْ زَوْجَتِهِ بِطَلَبِهَا، وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلِمَهُ بِذَلِكَ قَبْلَ الْفَسْخِ لَعَلَّهُ يُتُوبُ فَيَرْجِعُ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الصُّومِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْهَلَالَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطَرُوا»، رَقْمُ (١٩١٠).

تفسير الآيتين رقم ٤٢٩ - ٤٣٠:

أ- تفسيرُ الكَلِمَاتِ:

﴿يُؤْلُونَ﴾: يَخْلِفُونَ.

﴿مِنْ نِسَائِهِمْ﴾: مِنْ زَوْجَاتِهِمْ، وَعُدَى الْفِعْلُ بـ(مِنْ) لَتَضَمَّنْهُ مَعْنَى الْبُعْدِ،
وَالْمَرَادُ بِالْإِيْلَاءِ مِنْهُنَّ: الْحَلْفُ عَلَى تَرْكِ جَمَاعِهِنَّ.

﴿تَرْيُضُ﴾: انْتِظَارٌ، وَهِيَ مَبْتَدَأُ خَبَرُهُ لِلذِّينِ.

﴿فَأَؤُ﴾: رَجَعُوا إِلَيْهِنَّ بِالْجَمَاعِ.

﴿عَفُورٌ﴾: ذُو مَغْفِرَةٍ، وَهِيَ: سِتْرُ الذَّنْبِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُ.

﴿رَحِيمٌ﴾: ذُو رَحْمَةٍ، وَهِيَ صِفَةٌ تَقْتَضِي الْإِحْسَانَ.

﴿عَزَمُوا﴾: نَقَدُوا.

﴿الطَّلَقَ﴾: فِرَاقَ نِسَائِهِمْ.

﴿سَمِيعٌ﴾: ذُو سَمْعٍ، وَهُوَ إِذْرَاكُ الصَّوْتِ وَإِجَابَةُ الدَّاعِي.

﴿عَلِيمٌ﴾: ذُو عِلْمٍ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

صَرَبَ اللهُ تَعَالَى حَدًّا لِلذِّينِ يَخْلِفُونَ عَلَى الْآلِ يُجَامِعُونَ نِسَاءَهُمْ، وَذَلِكَ بِأَنْ
يُنْظَرُوا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَقَطْ مِنْ حَلْفِهِمْ، ثُمَّ يُلْزَمُونَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَمْرَيْنِ إِذَا طَالَبَتِ
الْمَرْأَةُ، إِمَّا أَنْ يَرْجِعَ فِيْجَامِعُهَا وَإِمَّا أَنْ يُطَلِّقَهَا، وَقَدَّمَ اللهُ تَعَالَى الْفِيئَةَ عَلَى الطَّلَاقِ،

وختَمَهَا باسمين من أسمائه دَالِّينِ عَلَى المغفرة والرحمة إشارةً إلى أنها أَحَبُّ إلى الله تعالى من الطلاق الذي خَتَمَهُ باسمين فيهما معنى التَّهْدِيدِ وهما السميع العليم.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَتَيْنِ:

- ١- تَحْرِيمُ الْإِيْلَاءِ مِنَ الزَّوْجَةِ فِي مُدَّةٍ مُؤَبَّدَةٍ أَوْ زَائِدَةٍ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ.
- ٢- تَأْجِيلُ الْمُؤَلِّي أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ إِيْلَائِهِ.
- ٣- إِلْزَامُهُ بَعْدَهَا بِالْفَيْئَةِ أَوْ الطَّلَاقِ.
- ٤- أَنَّ الْفَيْئَةَ أَوْلَى مِنَ الطَّلَاقِ لِمَا فِيهَا مِنْ إِبْقَاءِ النِّكَاحِ.
- ٥- أَنَّهُ إِذَا فَاءَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ.
- ٦- إِثْبَاتُ اسْمِي الْغُفُورِ الرَّحِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنَ الصِّفَةِ.
- ٧- إِثْبَاتُ اسْمِي السَّمِيعِ الْعَلِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنَ الصِّفَةِ.

مِنْ آيَاتِ الظَّهَارِ

٤٣١-٤٣٤ - ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ ۝٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ تَوْعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿[المجادلة: ١-٤].

مِنْ آيَاتِ الظَّهَارِ

الظَّهَارُ فِي اللُّغَةِ: مِنَ الظَّهْرِ.

وفي الاصطلاح: تَشْبِيهُ زَوْجَتِهِ أَوْ بَعْضِهَا فِي التَّحْرِيمِ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ تَحْرِيمًا مُؤَبَّدًا أَوْ بَعْضِهَا.

وهو مُحْرَمٌ لِأَنَّهُ مُنْكَرٌ وَزُورٌ حَيْثُ شَبَّهَ أَحَلَّ الْأَشْيَاءَ مِنْهُ بِأَعْظَمِهَا تَحْرِيمًا.

وقد ذكر بعض العلماء أن الظَّهَارَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ طَلَاقٌ وَوَرَدَتْ فِيهِ آثَارٌ، لَكِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَّلَ ذَلِكَ الْحُكْمَ إِلَى هَذَا الْحُكْمِ الْعَادِلِ الْمُتَّصِمِنِ لِلْمَصْلَحَةِ، وَهُوَ: أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا تُطَلَّقُ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَجِبُ عَلَى الزَّوْجِ إِذَا عَادَ إِلَيْهَا أَنْ يُكْفِّرَ إِمَّا بِعِتْقِ رَقَبَةٍ قَبْلَ الْجِمَاعِ أَوْ بِصِيَامِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ قَبْلَ الْجِمَاعِ أَوْ بِإِطْعَامِ سِتِّينَ مَسْكِينًا

كما سيذكر في الآيات التالية:

تفسير الآيات رقم ٤٣١ - ٤٣٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿قَدْ سَمِعَ﴾: قَدْ أَحَاطَ بِسَمْعِهِ.

﴿الَّتِي تُجَدِّلُكَ﴾: تُنَازِعُكَ أَوْ تُرَاجِعُكَ، وهي: خَوْلَةٌ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ.

﴿فِي زَوْجِهَا﴾: فِي شَأْنِ زَوْجِهَا حِينَ ظَاهَرَ مِنْهَا، وهو: أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ.

﴿وَتَشْتَكِي﴾: تَرْفَعُ شَكْوَاهَا، وَالشَّكْوَى: إِظْهَارُ التَّوَجُّعِ مِنَ الْمَكْرُوهِ.

﴿مَخَاوِرُكُمْ﴾: تَرَاجَعَكُمْ الْكَلَامَ، وَجُمْلَةٌ ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾ اسْتِثْنَائِيَّةٌ لِتَأْكِيدِ مَا سَبَقَ

على حكاية الحال.

﴿سَمِيعٌ﴾: ذُو سَمْعٍ لِكُلِّ صَوْتٍ.

﴿بَصِيرٌ﴾: ذُو بَصَرٍ لِكُلِّ مَرْتَبٍ.

﴿الَّذِينَ يُظْهِرُونَ﴾: يُشَبِّهُونَ زَوْجَاتِهِمْ بِظُهُورِ أُمَّهَاتِهِمْ فِي التَّحْرِيمِ. وَالْمَوْصُولُ

بِصَلَّتِهِ مَبْتَدَأُ خَبْرُهُ جُمْلَةٌ ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْخَبْرُ مَحْدُوفًا،

وهذه الجملة استئنافية.

﴿مِنْ نِسَائِهِمْ﴾: مِنْ زَوْجَاتِهِمْ.

﴿إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ﴾: مَا أُمَّهَاتُهُمْ.

﴿وَأَيْتُهُمْ﴾: أَي: الْمُظَاهِرِينَ.

﴿مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ﴾: مُقَبَّحًا تَنَكَّرَهُ الْفِطْرُ وَالشَّرَائِعُ.

﴿وَزُورًا﴾: كَذِبًا مَّائِلًا عَنِ الصِّدْقِ وَالْقَبُولِ.

﴿لَعْفُوًّا﴾: لَدُو عَفْوٍ، وَهُوَ التَّجَاوُزُ عَمَّا لِلْعَافِي مِنْ حَقٍّ.

﴿عَفْوًّا﴾: دُو مَغْفِرَةٍ، وَهِيَ: سِتْرُ الذَّنْبِ وَالْعَفْوُ عَنْهُ.

﴿يَعُودُونَ﴾: يَرْجِعُونَ.

﴿لَمَّا قَالُوا﴾: أَي: إِلَى الَّذِي قَالُوا فَيُبْطَلُوهُ بِاسْتِحْلَالِ الزَّوْجَةِ.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: فَتَخْلِيصُ رَقَبَةٍ مِنَ الرِّقِّ، وَهُوَ مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ مَحذُوفٌ،

وَالتَّقْدِيرُ: فَعَلَيْهِمْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، وَالْجُمْلَةُ خَبْرُ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾.

﴿تَمَاسًا﴾: يَمَسُّ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بِالْجَمَاعِ أَوْ مَا دُونَهُ.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي: مَا ذَكَرَ مِنْ وَجوبِ الْاِعْتِاقِ.

﴿تَوْعُظُونَ بِهِ﴾: تُذَكِّرُونَ بِهِ لِتَلِينِ قُلُوبِكُمْ وَتَصْلَحِ أَعْمَالِكُمْ.

﴿خَيْرٌ﴾: دُو خِبْرَةٍ، وَهِيَ الْعِلْمُ بِبِوَاطِنِ الْأُمُورِ.

﴿لَمْ يَجِدْ﴾: أَي رَقَبَةً لَعَدَمِهَا أَوْ عَجْزِهِ عَنْ ثَمَنِهَا.

﴿فَصِيَامٌ﴾: أَي: فَعَلَيْهِ صِيَامٌ، فَهُوَ مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ مَحذُوفٌ.

﴿مَسْتَاعِبِينَ﴾: مُتَوَالِيَيْنَ لَا يُفْطِرُ فِيهِمَا إِلَّا لِعُذْرٍ.

﴿لَمْ يَسْتَطِعْ﴾: لَمْ يَقْدِرْ.

﴿فَأِطْعَامٌ﴾: أَي: فَعَلَيْهِ إِطْعَامٌ.

﴿مَسْكِينًا﴾: فقيرًا لا يجد كفايته وكفاية عائلته.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: ما ذُكِرَ من وجوب الصيام أو الإطعام.

﴿لِتُؤْمِنُوا﴾: لتصدقوا مع القبول والإذعان.

﴿وَتِلْكَ﴾: أي: ما ذُكِرَ من حكم الظهار وكفارتيه.

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: شرائعُه التي حدَّدها لعباده.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: للجاحدين لها والمستكبرين عنها.

﴿عَذَابٌ﴾: عقوبةٌ.

﴿الْأَيْمِ﴾: أي: مؤلِّم، والمؤلِّم: الموجع.

ب- المعنى الإجمالي:

كان الظهار في الجاهلية طلاقاً تبين به المرأة، فظاهر أوس بن الصامت، أخو عبادة بن الصامت، الأنصاري الحزرجي - رضي الله عنهما - من زوجته خولة بنت مالك بن نعلبة - رضي الله عنهما -، تلتقي به بالأب الثالث، فأرادها فأبت عليه حتى تأتي النبي ﷺ، فجاءت إلى النبي ﷺ وجعلت مُجادلُهُ والنبي ﷺ مجاورها، والله تعالى يسمع ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

فأخبر - سبحانه - أنه قد سمع قولها وشكواها ومخاورة النبي ﷺ لها، لأنه - سبحانه - محيط بكل شيء سمعاً وبصراً، ثم بين - سبحانه - أن أولئك الذين يظاهرون من نسائهم قد قالوا منكرًا من القول وزورًا، منكرًا حيث ألزموا أنفسهم أن يكون أحل النساء لهم مثل أشدهن حرمةً، وقالوا زورًا حيث أخبروا

أَنْ زَوَّجْتَهُمْ مِثْلَ أُمَّهَاتِهِمْ وَهَذَا كَذِبٌ، وَلَكِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- حَتَمَ الْآيَةَ بِأَسْمَائِينَ مِنْ أَسْمَائِهِ هُمَا: الْعَفْوُ الْعَفْوُ، تَرْغِيْبًا لِأَوْلَيْكَ الْمُظَاهِرِينَ بِطَلْبِ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةَ مِنْهُ عَمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ظَهَارِهِمْ مِنَ الْكُفَّارَةِ، وَأَنَّهَا ثَلَاثَةٌ أُمُورٍ عَلَى التَّرْتِيبِ:

أَحَدُهَا: عِتْقُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا.

الثَّانِي: صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ لِمَنْ لَمْ يَجِدْهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا.

الثَّلَاثُ: إِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا.

وَبَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ إِجْبَابَ هَذِهِ الْكُفَّارَةِ لِتَذْكَيرِ الْمَرْءِ وَتَحْقِيقِ إِيمَانِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي مَنْ كَفَرَ بِهَا فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

١- أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْقُرْآنِ يَكُونُ حِينَ أَنْزَلَهُ لِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾، وَهُوَ خَبْرٌ عَنْ شَيْءٍ سَابِقٍ.

٢- إِحَاطَةُ سَمْعِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يَقُولُ النَّاسُ.

٣- أَنَّ الْمُرَاجَعَةَ فِي الْكَلَامِ نَوْعٌ مِنَ الْمُجَادَلَةِ.

٤- أَنَّ الْاسْتِفْتَاءَ فِي شَأْنِ شَخْصٍ لَا يُعَدُّ مِنْ غِيْبَتِهِ.

٥- أَنَّ الشُّكُورَى إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا تُنَافِي الصَّبْرَ.

٦- حُسْنُ خُلُقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- ٧- إثبات اسمي السميع البصير لله تعالى، وما تَضَمَّنَاهُ من صِفَةٍ.
- ٨- تحريمُ ظهارِ الزوجِ من زوجته.
- ٩- قُبْحُ الظهارِ، لأن الله وَصَفَهُ بالمنكرِ والزورِ.
- ١٠- أن الحقائق لا تَتَغَيَّرُ بالأقوالِ، فالزوجةُ ليستْ بأُمٍّ وإن قيل عنها إنها كالأم.
- ١١- أن من أدبِ المناظرةِ أن يَبْدَأَ بِنَفِي دَعْوَى الحِصْمِ، ثم يُتْبِعُهُ بِإثباتِ قوله.
- ١٢- إثباتُ اسمي العفوِّ الغفورِ لله تعالى، وما تَضَمَّنَاهُ من صِفَةٍ.
- ١٣- تَرْغِيبُ المَظَاهِرِ بالتوبة.
- ١٤- أن الظَّهَارَ لا يَصِحُّ إلا من الزوجِ.
- ١٥- وجوبُ الكفَّارةِ على المَظَاهِرِ إذا عادَ من ظَهَارِهِ إلى ما قَبْلَهُ.
- ١٦- أن الكفَّارةَ على الترتيبِ الآتي:
- أ- عِتْقُ رَقَبَةٍ.
- ب- صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ.
- ج- إطعامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا.
- ١٧- وُجُوبُ تَقْدِيمِ الكفَّارةِ بالعِتْقِ والصِّيَامِ على المَاسَةِ، وفي وجوبِ تَقْدِيمِهَا في الإطعامِ خلافٌ.
- ١٨- وُجُوبُ استثنافِ الصَّوْمِ إِذَا أَخْلَلَ بالتَّابِعِ إِلَّا لِلعُدْرِ.
- ١٩- أنه لَوْ غَدَى المَسَاكِينَ أَوْ عَشَّاهُمْ لَأَجْزَأَهُ.

٢٠- أن إيجاب الكفارة تذكير من الله تعالى وموعظة.

٢١- أن من فوائده تحقيق الإيمان بالله ورسوله.

٢٢- أن شرائع الله تعالى حدوده.

٢٣- وعيد الكافرين بها بالعذاب الأليم.

٢٤- أن الله تعالى خير بكل ما يعمل العباد.

مِنْ آيَاتِ اللَّعَانِ

٤٣٥-٤٣٩ - ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحْدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ [النور: ٦-١٠].

مِنْ آيَاتِ اللَّعَانِ

اللَّعَانُ فِي اللَّغَةِ: مَصْدَرٌ لَاعَنَ يُلَاعِنُ، إِذَا تَبَادَلَ اللَّعْنُ مَعَ غَيْرِهِ، وَاللَّعْنُ: الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ.

وفي الاصطلاح: شَهَادَاتٌ مُؤَكَّدَاتٌ بِأَيِّانٍ وَمَقْرُونَةٌ بِلَعْنٍ أَوْ غَضَبٍ.

وَسَبَبُهُ: رَمَى الزَّوْجَ زَوْجَتَهُ بِالزَّنَا، فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَهُ ثَلَاثُ حَالَاتٍ:

الأولى: أَنْ يُقِيمَ بَيِّنَةً سَرِعِيَّةً بِذَلِكَ، فَيُقَامُ عَلَيْهَا حَدُّ الزَّنَا.

الثانية: أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ بَيِّنَةٌ وَلَكِنْ تُقَرُّ هِيَ بِذَلِكَ، فَيُقَامُ عَلَيْهَا حَدُّ الزَّنَا.

الثالثة: أَنْ يَكُونَ لَهُ بَيِّنَةٌ وَلَا إِقْرَارٌ، فَيُقَامُ عَلَيْهِ حَدُّ الْقَدْفِ إِلَّا أَنْ يُسْقِطَهُ

بِاللَّعَانِ.

وصِفَةُ اللَّعَانِ: أَنْ يَحْضُرَ الزَّوْجَانِ عِنْدَ الْحَاكِمِ أَوْ نَائِبِهِ، فَيَقُولُ الزَّوْجُ أَرْبَعُ

مرات: أشهدُ بالله لقد زنتُ زَوْجَتِي، وَيَعِينُهَا بِاسْمِهَا أَوْ وَصْفِهَا أَوْ الْإِشَارَةِ إِلَيْهَا، ويقولُ في الخَامِسَةِ: وَأَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيَّ إِنْ كُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ.

وتقولُ الزَّوْجَةُ أَرْبَعَ مَرَاتٍ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لِمِنَ الْكَاذِبِينَ فِيمَا رَمَانِي بِهِ مِنَ الزَّنَا، وتقولُ في الخَامِسَةِ: وَأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيَّ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ.

فإذا تم ذلك سَقَطَ عَنْهُ حَدُّ الْقَذْفِ وَسَقَطَ عَنْهَا حَدُّ الزَّنَا، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ تَحْرِيمًا مُؤَبَّدًا.

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ رَقْمَ ٤٣٥ - ٤٣٩:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿رَمُون﴾: يَقْذِفُونَ بِالزَّنَا.

﴿أَزْوَاجَهُمْ﴾: أَي: زَوْجَاتِهِمْ.

﴿وَلَمْ يَكُنْ﴾: وَلَمْ يُوجَدْ.

﴿شُهَدَاءُ﴾: جَمْعُ شَاهِدٍ، أَي: شَاهِدٌ بَزَنَّا زَوْجَاتِهِمْ.

﴿بِاللَّهِ﴾: أَي: مَقْرُونَةٌ بِاللَّهِ، وَهُوَ قَسَمٌ.

﴿الصَّادِقِينَ﴾: الشَّاهِدِينَ بِمَا يُطَابِقُ الْوَاقِعَ.

﴿وَالْخَامِسَةَ﴾: أَي: وَالشَّهَادَةَ الْخَامِسَةَ.

﴿لَعْنَتَ اللَّهِ﴾: طَرَدَ اللَّهُ إِلَيْهَا وَإِبْعَادَهُ عَنْ رَحْمَتِهِ.

﴿الْكَاذِبِينَ﴾: الشَّاهِدِينَ بِمَا يُخَالِفُ الْوَاقِعَ.

﴿وَيَدْرَأُ﴾: يَدْفَعُ.

﴿عَنَّا﴾: عن الزوجة.

﴿الْعَذَابَ﴾: العُقُوبَةُ، وهي حَدُّ الزَّانَا.

﴿أَنْ تَشْهَدَ﴾: أي: شَهَادَتُهَا، وهي فَاعِلٌ ﴿وَيَذَرُوا﴾.

﴿وَالْخَيْسَةَ﴾: بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى ﴿أَزْبَعَ شَهَدَاتٍ﴾.

﴿غَضَبَ اللَّهِ﴾: الغَضْبُ صِفَةٌ تَقْتَضِي الانْتِقَامَ مِنَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِ.

﴿إِنْ كَانَ﴾: أي: الزوج.

﴿الصَّادِقِينَ﴾: الشَّاهِدِينَ بِمَا يُطَابِقُ الوَاقِعَ، أي: فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّانَا.

﴿وَتَوَلَّوْا﴾: شَرَطِيَّةٌ، وهي حَرْفُ امْتِنَاعٍ لوجودِ، وَجَوَائِهَا مَحْدُوفٌ.

﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾: تَفْضُلُهُ بِزِيَادَةِ العَطَاءِ.

﴿وَرَحْمَتُهُ﴾: الرَّحْمَةُ صِفَةٌ تَقْتَضِي الإِحْسَانَ لِلْمَرْحُومِ.

﴿تَوَابٌ﴾: كَثِيرُ التَّوْبَةِ، وهي مِنَ العَبْدِ: الرَّجُوعُ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى طَاعَتِهِ،

وَمِنَ اللَّهِ تَعَالَى: قَبُولُهُ لَهَا.

﴿حَكِيمٌ﴾: ذُو حُكْمٍ وَحِكْمَةٍ، وهي وَضْعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ.

ب- المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

مِنَ حِمَايَةِ الإِسْلَامِ لِلأَعْرَاضِ وَذَبِّهِ عَنْهَا: أَنْ مَن قَدَفَ مُحْصَنًا بِالزَّانَا وَلَمْ يَأْتِ

بأربعة رجالٍ يَشْهَدُونَ عَلَى المَقْدُوفِ بِمَا قَالَ القَاضِي، فَإِنَّهُ يُجْلَدُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً،

وَلَا تُقْبَلُ لَهُ شَهَادَةٌ أَبَدًا، وَيَكُونُ فَاسِقًا.

وَيُسْتَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ الزَّوْجِ إِذَا قَذَفَ زَوْجَتَهُ، لَأَنَّهُ يَبْعُدُ غَايَةَ الْبُعْدِ أَنْ يَقْذِفَهَا بِهَا لَمْ يَكُنْ، لِأَنَّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ عَارًا كَمَا عَلَيْهَا، وَهَذَا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ لَهُ حُكْمًا خَاصًّا.

ففي هذه الآية الكريمة يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنَّ الزَّوْجَ إِذَا قَذَفَ زَوْجَتَهُ بِالزَّنَا وَلَمْ يَأْتِ بِبَيِّنَةٍ، فَإِنَّهُ يَشْهَدُ لِنَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ أَنَّهُ صَادِقٌ فِيهَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنَا، لِتَكُونَ كُلُّ شَهَادَةٍ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ، ثُمَّ يَحْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ فِي الْخَامِسَةِ بِأَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ كَاذِبًا، وَحِينَئِذٍ يَتَّبِعُ عَلَيْهَا حَدُّ الزَّنَا، إِلَّا أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ أَنَّهُ كَاذِبٌ لِتَكُونَ كُلُّ شَهَادَةٍ دَافِعَةً لِمَا يُقَابِلُهَا مِنْ شَهَادَاتِ زَوْجِهَا، وَتَحْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهَا فِي الْخَامِسَةِ بِأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ صَادِقًا فِيهَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنَا.

وَإِنَّمَا خُصَّتْ بِالغَضَبِ وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ اللَّعْنَةِ، لِأَنَّهَا أَقْرَبُ إِلَى الْكُذْبِ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ مِنْ زَوْجِهَا فَتَكُونُ عُقُوبَتُهَا أَعْظَمَ.

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عِقَابَ ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ لَا فَضْلُهُ عَلَيْنَا وَرَحْمَتُهُ مَا شَرَعَ لَنَا مِثْلَ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الْعَادِلَةِ الْمَخْفَفَةِ لِلْأَلَامِ الْمُنْمِيَةِ لِلْأَمَالِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ بِمَا يَدُلُّ عَلَىٰ تَوْبَتِهِ وَحِكْمَتِهِ لِيَكُونَ حَافِظًا لِلزَّوْجَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَلَى التَّوْبَةِ إِلَيْهِ، لِيَنَالَ بِذَلِكَ تَوْبَتَهُ فَإِنَّهُ حَكِيمٌ يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا اللَّائِقَةِ بِهَا.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

١- أَنَّ الزَّوْجَ إِذَا قَذَفَ زَوْجَتَهُ بِالزَّنَا كُفِّرَ الْبَيِّنَةَ بِذَلِكَ.

٢- أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَيِّنَةٌ أُجْرِيَ اللَّعَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ.

٣- أَنَّ اللَّعَانَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِقَذْفِ الزَّوْجَةِ خَاصَّةً.

- ٤- أنه يُبَدَأُ بِشَهَادَاتِ الزَّوْجِ.
- ٥- أنه لا بُدَّ من تَكَرُّرِ الشَّهَادَاتِ مِنْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ.
- ٦- أنه لا بُدَّ أن تَكُونَ مَقْرُونَةً بِالْيَمِينِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ.
- ٧- يَقُولُ الزَّوْجُ فِي الْخَامِسَةِ: أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ.
- ٨- تَقُولُ الزَّوْجَةُ فِي الْخَامِسَةِ: أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ.
- ٩- وَجُوبُ حَدِّ الزَّانَا عَلَى الزَّوْجَةِ إِذَا لَمْ تُكَذِّبِ الزَّوْجَ بِالشَّهَادَاتِ الْمَذْكُورَةِ.
- ١٠- أَنَّ مَشْرُوعِيَّةَ التَّلَاعُنِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ.
- ١١- تَرْغِيبُ الْمُتَلَاعِنِينَ بِالتَّوْبَةِ.
- ١٢- أَنَّهُ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَرَحْمَتُهُ لَكَانَ الْهَلَاكُ.
- ١٣- إِثْبَاتُ اسْمِ التَّوَابِ الْحَكِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنْ صِفَةٍ.

من آيات العدد

الآية الأولى:

٤٤٠ - ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَهُنَّ وَسَرَحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾
[الأحزاب: ٤٩].

من آيات العدد

العِدَّةُ لُغَةً: مِنَ الْعَدَدِ.

واصْطِلَاحًا: تَرْبُصٌ مَحْدُودٌ شَرْعًا مِنْ زَوْجَةٍ فَارَقَهَا زَوْجُهَا أَوْ مَوْطُوءَةٍ، وَيُشْتَرَطُ لَوْجُوبِ الْعِدَّةِ عَلَى مَنْ فَارَقَهَا زَوْجُهَا فِي الْحَيَاةِ.

الأوَّلُ: أَنْ يَكُونَ النِّكَاحُ غَيْرَ بَاطِلٍ^(١).

الثَّانِي: أَنْ يَحْضَلَ وَطْءٌ أَوْ خَلْوَةٌ يَمِّنُ يُوَلَّدُ لِمِثْلِهِ بِمِثْلِهِ^(٢).

وَيُشْتَرَطُ لِلْخَلْوَةِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِأَنَّ الزَّوْجِيَّةَ مَوْجُودَةٌ، وَيُشْتَرَطُ لَوْجُوبِ الْعِدَّةِ عَلَى مَنْ فَارَقَهَا زَوْجُهَا بِالْمَوْتِ شَرْطٌ وَاحِدٌ: أَنْ يَكُونَ النِّكَاحُ غَيْرَ بَاطِلٍ^(٣).

(١) الباطل من النكاح: ما لا خلاف في فساده كنيكاح المعتدة حال تحريمه. والفاسد: ما اختلف العلماء في فساده كالنكاح بلا شهود وفيه العدة كالصحيح. [المؤلف]

(٢) الذي يولد لمثله: من تم له عشر سنين، والتي يولد لمثلها: من تم لها تسع سنين. [المؤلف]

(٣) الباطل من النكاح: ما لا خلاف في فساده كنيكاح المعتدة حال تحريمه. [المؤلف]

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رِقْم ٤٤٠:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿ءَامِنُوا﴾: أَقْرُوا بِمَا يَجِبُ الْإِيْمَانُ بِهِ، مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ.

﴿نَكَحْتُمْ﴾: عَقَدْتُمْ عَقْدَ النِّكَاحِ.

﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾: أَي: النِّسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ، وَالتَّقْيِيدُ بِهِ بِنَاءٌ عَلَى الْغَالِبِ،

فَلَا مَفْهُومَ لَهُ.

﴿طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾: فَارْقَتُمُوهُنَّ بِطَلَاقٍ، وَهُوَ: حُلُّ عَقْدِ النِّكَاحِ بِلَفْظٍ: «طَلَّقْتُ»،

أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهَا.

﴿تَمَسَّوهُنَّ﴾: تَجَامَعُوهُنَّ.

﴿مِنْ عِدَّةٍ﴾: مِنْ تَرْبُصٍ يَنْتَظِرْنَ انْتِهَاءَهُ، وَهِيَ مُبْتَدَأٌ مُؤَكَّدٌ بِـ ﴿مِنْ﴾ الزَّائِدَةِ

إِعْرَابًا، وَخَبْرُهُ مُقَدَّمٌ، وَهُوَ ﴿لَكُمْ﴾.

﴿تَعَدُّوْنَهَا﴾: تَسْتَوْفُونَهَا.

﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾: أَعْطَوْهُنَّ مَا يَتِمَّتَعْنَ بِهِ مِنَ الْمَالِ.

﴿وَسَرَّحُوهُنَّ﴾: خَلَّوْا سَبِيلَهُنَّ.

﴿سَرَّاحًا﴾: اسْمٌ مُصَدَّرِ الْفِعْلِ قَبْلَهُ، مُنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ مُؤَكَّدٌ

لَهَا قَبْلَهُ.

﴿جَمِيلًا﴾: حَسَنًا لَا يَحْضُلُ بِهِ كَسْرُ قُلُوبِهِنَّ وَتَشْوِيَهُ سُمْعَتِهِنَّ.

ب- المعنى الإجمالي:

يُنَادِي اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لِقَبُولِهِمْ، وَأَشَدَّ اهْتِمَامًا بِهَا يُوجِّهُهُمْ إِلَيْهِ، فَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ مَنْ عَقَدَ عَلَى امْرَأَةٍ ثُمَّ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يُجَامِعَهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ عَلَيْهَا عِدَّةٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ بَيْنَهُمَا عِلَاقَةٌ يَثْبُتُ بِهَا حَقُّ لِلزَّوْجِ فِي الْعِدَّةِ.

وَالْعِدَّةُ مِنْ حِكْمَتِهَا حِمَايَةٌ حَقُّ الزَّوْجِ وَفَسْحِ الْمَجَالِ لَهُ فِي الْمَرَاجَعَةِ.

ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى هَذَا الْمَطْلُوقَ بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُمْتَعَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ، وَهُوَ نِصْفُ الْمَهْرِ، إِنْ كَانَ مُقَدَّرًا، أَوْ مَا يَتَسَرَّرُ لِلزَّوْجِ بِقَدْرِ حَالِهِ، إِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَهْرُ مُقَدَّرًا.

الْأَمْرُ الثَّانِي: أَنْ يُحَلِّيَ سَبِيلَهَا حِينَئِذٍ عَلَى وَجْهِ جَمِيلٍ، لَا تَثْرِيْبَ فِيهِ؛ لِيَحْصُلَ لَهَا بِذَلِكَ جَبْرٌ قَلْبِيًّا بِالْمَالِ وَالْخُلُقِ الْجَمِيلِ.

ج- من فوائد الآية:

- ١- أَنْ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَحُسْنِ الدَّعْوَةِ أَنْ يُوَاجَهَ الْمُخَاطَبُ بِمَا يَكُونُ أَدْعَى لِقَبُولِهِ.
- ٢- أَنْ الطَّلَاقَ لَا يَقَعُ إِلَّا بَعْدَ النِّكَاحِ.
- ٣- جَوَازُ الطَّلَاقِ قَبْلَ الْجِمَاعِ.
- ٤- أَنَّهُ لَا عِدَّةَ فِي الطَّلَاقِ قَبْلَ الْجِمَاعِ.
- ٥- وَجُوبُ الْعِدَّةِ فِي الطَّلَاقِ بَعْدَ الْجِمَاعِ، وَالْحَقُّ الصَّحَابَةَ الْخُلُوةَ بِالْجِمَاعِ.
- ٦- أَنَّ الْعِدَّةَ حَقٌّ لِلزَّوْجِ، أَيْ وَاجِبَةٌ لِحَقِّهِ.

- ٧- أَنْ مِنْ شَأْنِ الزَّوْجِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِالْعِدَّةِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿تَعَدُّوْنَهَا﴾.
- ٨- وَجُوبُ تَمْتِيعِ الْمَطْلُوقَةِ قَبْلَ الدُّخُولِ إِذَا بِنَصْفِ الْمَهْرِ، إِنْ كَانَ مُقَدَّرًا، أَوْ بِحَسَبِ حَالِ الزَّوْجِ، إِنْ لَمْ يُقَدَّرْ.
- ٩- وَجُوبُ تَخْلِيَةِ سَبِيلِهَا حَيْثُ نَزَّ عَلَى الْوَجْهِ الْجَمِيلِ.

الآية الثانية:

٤٤١ - ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

تفسير الآية رقم ٤٤١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾: تُقبض أزواجهم بالموت.

﴿وَيَذُرُونَ﴾: يتركون.

﴿أَزْوَاجًا﴾: جمع (زوج) أي نساء تزوجوهن. والزَّوْجُ في الأصلِ القَرِينُ، ويُقالُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَفِيهِ لُغَةٌ ضَعِيفَةٌ بِالْفَرْقِ بَيْنَهُمَا، فَيُقَالُ لِلْمَرْأَةِ (زَوْجَةٌ)، واعتمدها الفرضيون ذرءاً للالتباس.

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: ينتظرن، واجملة خبر ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾، والرَّابِطُ محذوفٌ، والتقدير: بعدهم، وهي خبرٌ بمعنى الأمر.

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: جمع شهر، وهو ما بين الهلالين.

﴿وَعَشْرًا﴾: أي عشر ليالٍ، والتعبيرُ بالليالي عن الأيام أو بالعكس شائعٌ في اللغة العربية.

﴿أَجَلَهُنَّ﴾: غاية ترَبُّصِهِنَّ.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فَلَا إِثْمَ.

﴿جُنَاحَ﴾: الْخِطَابُ لِلرِّجَالِ.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بِمَا أَقَرَّهُ الشَّرْعُ وَالْعُرْفُ مِنْ لِبَاسٍ وَغَيْرِهِ.

﴿خَيْرٌ﴾: ذُو خَبْرَةٍ، وَهِيَ الْعِلْمُ بِبِوَاطِنِ الْأُمُورِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

لَمَّا كَانَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ حُقُوقٌ تَتَعَلَّقُ بِالْحَيَاةِ، وَأُخْرَى بَعْدَ الْمَوْتِ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَلْزِمُ الزَّوْجَةَ بَعْدَ وِفَاةِ زَوْجِهَا، فَأَوْجِبَ عَلَيْهَا أَنْ تَنْتَظِرَ بِنَفْسِهَا، فَتَحْبِسَهَا عَنِ الزَّوْاجِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ مِنْ وِفَاتِهِ، وَالْمُرَادُ بِالْأَشْهُرِ: الْأَشْهُرُ الْهَلَالِيَّةُ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى مَوَاقِيتَ لِلنَّاسِ.

ثُمَّ أَبَاحَ اللَّهُ هُنَّ بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ أَنْ يَفْعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مَا شِئْنَ مِمَّا يَقْرَهُ الشَّرْعُ وَالْعُرْفُ مِنْ لِبَاسٍ وَغَيْرِهِ، وَوَجَّهَ الْخِطَابَ لِلرِّجَالِ لِأَنَّهُمْ الْقَوَامُونَ عَلَيْهِنَّ؛ تَنْبِيْهَا عَلَى مَسْئُولِيَّتِهِمْ عَنْهُنَّ.

ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ بِبَيَانِ إِحْاطَةِ عِلْمِهِ بِكُلِّ مَا نَعْمَلُ تَحْذِيرًا مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ طَاعَتِهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

١- وَجُوبُ اعْتِدَادِ مَنْ تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةِ أَيَّامٍ، وَيُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ الْحَامِلُ.

٢- إِنَّ الْعِدَّةَ وَاجِبَةٌ عَلَيْهَا، سِوَاءِ دَخَلِ بِهَا أَمَّ لَا، وَسِوَاءِ كَانَتْ صَغِيرَةً أَمْ كَبِيرَةً.

- ٣- وَجُوبُ اجْتِنَابِهَا كُلِّ مَا يُرَغَّبُ فِي نِكَاحِهَا.
- ٤- وَجُوبُ مُرَاعَاتِهَا الْمَعْرُوفَ فِيهَا تَفْعَلُهُ بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا مِنْ لِبَاسٍ وَغَيْرِهِ.
- ٥- تَنْبِيهُ الرَّجَالِ عَلَى مَسْئُولِيَّتِهِمْ عَنِ النِّسَاءِ لِإِرَاعُوهُنَّ.
- ٦- بَيَانُ إِحَاطَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلِيمًا بِكُلِّ مَا نَعْمَلُ.
- ٧- وَجُوبُ الْحَذَرِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

الآية الثالثة:

٤٤٢- ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

تفسير الآية رقم ٤٤٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾: النساء اللاتي فارقهن أزواجهن بطلاق.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: ينتظرن بها بالحبس عن طلب النكاح.

﴿قُرُوءٍ﴾: جمع (قرء) بفتح القاف، وهو الحيضة.

﴿أَنْ يَكْتُمْنَ﴾: أن يحفين.

﴿أَرْحَامِهِنَّ﴾: جمع (رحم)، وهو مقر الجنين في بطن أمه.

﴿إِنْ كُنَّ﴾: أي: المطلقات، والجملة شرطية، وجواب الشرط محذوف، وقيل:

لا يحتاج في مثل هذا التركيب إلى جواب؛ للاستغناء عنه، فلا يحتاج لتقدير.

﴿يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ﴾: يصدقن به مع القبول والإذعان لأحكامه.

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: يوم القيامة، ووصف بالآخر؛ لأنه لا انتقال منه إلى غيره.

ب- المعنى الإجمالي:

يأمر الله تعالى النساء المطلقات أن ينتظرن بأنفسهن فيحبسنها عن طلب

النكاح مدة ثلاث حيض؛ استبراء لأرحامهن، وفسحا للمجال أمام أزواجهن؛

لعلهم يرجعونهن.

وَلَمَّا كَانَتْ الْمَطْلُوقَةُ قَدْ تَتَعَجَّلُ الْعِدَّةَ وَهِيَ حَامِلٌ فَتَكْتُمُ الْحَمْلَ وَتَدَّعِي
 انْقِضَاءَ الْعِدَّةِ حَذَرًا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ، وَبَيَّنَّ أَنَّ كِتْمَانَهَا لِلْحَمْلِ مُنَافٍ لِكَمَالِ
 إِيمَانِهَا بِاللَّهِ لِمَا فِيهِ مِنْ تَغْيِيرِ حُدُودِهِ، وَمُنَافٍ لِكَمَالِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الَّذِي هُوَ
 يَوْمُ الْجَزَاءِ لِمَا فِيهِ مِنْ عَدَمِ الْمَبَالَاةِ بَعْدَايِهِ.

ج- من فوائد الآية:

- ١- وَجُوبُ اعْتِدَادِ الْمَطْلُوقَةِ بِثَلَاثِ حِيضٍ، وَيُسْتَسْتَنَى مِنْ ذَلِكَ الْحَامِلُ، وَمَنْ لَا تَحِيضُ
 لِصِغَرٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَغَيْرِ الْمُدْخُولِ بِهَا أَوْ الْمُحْلُوقِ بِهَا.
- ٢- أَنَّ الْحَامِلَ لَا تَعْتَدُّ بِالْحِيضِ.
- ٣- تَحْرِيمُ كِتْمَانِ الْمَرْأَةِ الْمَطْلُوقَةِ حَمْلَهَا.
- ٤- أَنَّ كِتْمَانَهَا ذَلِكَ اعْتِدَاءٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى الْكُونِيَّ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾،
 وَالشَّرْعِيَّ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ﴾.
- ٥- أَنَّهُ مُنَافٍ لِكَمَالِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.
- ٦- عِظْمُ حُقُوقِ النِّكَاحِ.

الآية الرابعة والخامسة:

٤٤٣-٤٤٤ - ﴿وَالَّتِي بَيِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأَوْلَتْ الْأَحْمَالَ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَنْقِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَنْقِ اللَّهُ يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا ﴿[الطلاق: ٤-٥]﴾.

تفسير الآيتين رقم ٤٤٣ - ٤٤٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿بَيِّنَ﴾: يَنْقِطِعُ رَجَاؤُهُنَّ.

﴿مِنَ الْمَحِيضِ﴾: أَي مِنَ الْحَيْضِ، فَهُوَ مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ.

﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾: مِنْ زَوَّجَاتِكُمْ، وَالْمَرَادُ الْمَطْلَقَاتُ، حُذِفَتِ الصِّفَةُ لِلْعِلْمِ بِهَا.

﴿إِنْ أَرْبَبْتُمْ﴾: إِنْ شَكَّكْتُمْ فِي حُكْمِهِنَّ.

﴿فَعِدَّتُهُنَّ﴾: اسْمٌ مِنَ الْعِدَدِ، أَي فَعَدَدُ الْأَيَّامِ الَّتِي تَرَبَّصُهَا، وَهِيَ مُبْتَدَأٌ

خَبَرُهَا: ﴿ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّتِي بَيِّنَ﴾.

﴿لَمْ يَحِضْنَ﴾: لَمْ يَأْتِهِنَّ الْحَيْضُ قَطُّ.

﴿وَأَوْلَتْ﴾: صَاحِبَاتُ، وَهِيَ مُبْتَدَأٌ.

﴿الْأَحْمَالَ﴾: جَمْعُ (حَمْلٍ)، بِمَعْنَى مَحْمُولٍ، وَهُوَ الْجَيْنِيُّ فِي الرَّحِمِ.

﴿أَجْلُهُنَّ﴾: غَايَةُ عِدَّتِهِنَّ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ ثَانٍ، خَبَرُهُ ﴿أَنْ يَضَعْنَ﴾، وَهِيَ خَبَرُ

قَوْلِهِ: ﴿وَأَوْلَتْ﴾.

﴿حَمَلَهُنَّ﴾: الجَيْنِ الَّذِي فِي الرَّحِمِ، وَهُوَ مُفْرَدٌ مُضَافٌ فَيَعُمُّ كُلَّ مَا فِي الرَّحِمِ مِنْ وَاحِدٍ أَوْ مَتَعَدِّدٍ.

﴿بِنَقِ اللَّهِ﴾: يَتَّخِذُ وَقَايَةً مِنْ عَذَابِهِ بِفِعْلِ أَوْ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: مِنْ شَأْنِهِ، وَهُوَ مُفْرَدٌ مُضَافٌ فَيَعُمُّ.

﴿يُسْرًا﴾: سُهُولَةً.

﴿ذَلِكَ﴾: أَيُّ مَا ذَكَرَ مِنَ الْأَحْكَامِ.

﴿يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾: يَمْحُو صَغَائِرَ ذُنُوبِهِ.

﴿وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا﴾: يُكْثِرُ لَهُ الثَّوَابَ عَلَى صَالِحِ أَعْمَالِهِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مُدَّةَ الْحَامِلِ، وَمَنْ لَا تَحِيضُ، وَالْآيِسَةَ، فَيَبَيِّنُ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ عِدَّةَ الْآيِسَاتِ مِنَ الْمَحِيضِ، لِكِبَرٍ أَوْ مَرَضٍ، لَا يُرْجَى بَعْدَهُ عَوْدُ الْحَيْضِ، أَوْ يُعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يَعُودَ كَمَا لَوْ اسْتُؤْصِلَ الرَّحِمُ بِعَمَلِيَّةٍ؛ فَإِنَّ عِدَّتَهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، بَدَلًا عَنْ ثَلَاثِ حَيْضٍ فَيَمَنُّ تَحِيضُ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الْحَيْضَ فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً.

وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَبْتَدِئْ بِهِنَّ الْحَيْضُ تَكُونُ عِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

أَمَّا الْحَوَامِلُ فَيَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ عِدَّتَهُنَّ تَنْتَهِي بِوَضْعِ الْحَمْلِ كُلِّهِ، وَاحِدًا كَانَ أَوْ مَتَعَدَّدًا، طَالَتِ الْمُدَّةُ أَمْ قَصُرَتْ، سِوَاءِ كَانَتِ الْعِدَّةُ مِنْ مُفَارَقَةِ حَيَاةٍ، أَوْ مُفَارَقَةِ مَوْتٍ؛ لِأَنَّ سُبُعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ تُؤْفَى عَنْهَا زَوْجُهَا وَهِيَ حَامِلٌ فَوَضَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ

بأربعين ليلةً، فأذن لها النبي ﷺ أن تتزوج قبل أن تمضي عليها أربعة أشهر وعشر^(١).

وبيّن الله في هاتين الآيتين أنّ ما ذكره تعالى من الأحكام من أمره الذي أنزله إلينا فعلينا قبوله والتزامه.

وحتّ الله تعالى على التقوى ببيان شيءٍ من فوائدها، فبيّن من ذلك:

١- تيسير الأمور تيسيراً حسياً؛ بحيث تُدلل له الصعوبات، وتيسيراً قلبياً؛ بحيث يسهل عليه شأنها.

٢- تكفير السيئات.

٣- تعظيم الثوبات.

ج- من فوائد الآيتين:

١- أن عدة الآيسة من الحيض، والتي لم تحض؛ لصغير أو غيره، ثلاثة أشهر.

٢- أنه ليس المقصود من العدة العلم ببراءة الرحم فقط، بل هناك حكم آخرى، كمرعاة حق الزوج.

٣- بيان نعمة الله تعالى بتعليمنا ما نرتاب في حكمه.

٤- أن عدة الحامل تنتهي بوضع جميع الحمل بكل حال.

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب «وأولت الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن» ومن ينق الله يجعل لهن من أمره يسراً»، رقم (٤٩٠٩)، ومسلم: كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل، رقم (١٤٨٥).

- ٥- التَّوْبَةُ فِي تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .
- ٦- أَنَّ مِنْ فَوَائِدِهَا تَيْسِيرَ الْأُمُورِ، وَتَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ، وَعِظَمَ الْأُجُورِ.
- ٧- أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى نَازِلٌ مِنْهُ.
- ٨- عُلُوُّ اللَّهِ تَعَالَى بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.

الآية السادسة إلى التاسعة:

٤٤٥-٤٤٧- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُعِي الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج: ٥-٧].

تفسير الآيات رقم ٤٤٥ - ٤٤٧:

أ- تفسير الكلمات:

﴿النَّاسُ﴾: أصله الأناس، فحذفت الهمزة تخفيفاً، وهم بنو آدم، وقيل: منكرو البعث خاصة.

﴿رَيْبٍ﴾: شك.

﴿الْبَعْثِ﴾: الإحياء بعد الموت.

﴿فإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾: أوجدناكم والجمله جواب الشرط في قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، ووجه ارتباطها به الاستدلال بالقدرة على المبدأ على القدرة على الإعادة.

﴿مِنْ تُرَابٍ﴾: التراب معروف، وابتداء خلق الإنسان منه باعتبار أبيه آدم.

﴿نُطْفَةٍ﴾: ماء صاف، والمراد به مني الرجل.

- ﴿عَلَقَةٍ﴾: دَمٌ غَلِيظٌ كَالْعَلَقَةِ الْمَعْرُوفَةِ يَعْلُقُ بِالرَّحِمِ.
- ﴿مُضْغَةٍ﴾: قِطْعَةٌ لَحْمٍ بِقَدْرِ مَا يُمَضَّغُ، أَي يُعْلَكُ.
- ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾: مُمَيَّزَةٌ الْأَعْضَاءِ مِنْ يَدِ وَرَجْلِ وَنَحْوِهِمَا.
- ﴿لِنَبِيِّنَ لَكُمْ﴾: لِنُظْهِرَ لَكُمْ قُدْرَتَنَا. وَاللَّامُ لِلتَّلْعِيلِ، وَمُتَعَلِّقُهَا مُحْدُوفٌ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: أَخْبَرْنَاكُمْ لِنَبِيِّنَ لَكُمْ.
- ﴿وَنُقِرُّ﴾: نُبْقِي، وَهُوَ بِالرَّفْعِ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ.
- ﴿الْأَرْحَامِ﴾: جَمْعُ رَحِمٍ وَهُوَ مَقَرُّ الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ.
- ﴿أَجَلٍ﴾: غَايَةٌ.
- ﴿مُسَمًّى﴾: مُعَيَّنٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.
- ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾: نُخْرِجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ.
- ﴿طِفْلاً﴾: وَوَلَدًا صَغِيرًا.
- ﴿لِتَبْلُغُوا﴾: لِتَصِلُوا، وَاللَّامُ لِلتَّلْعِيلِ، وَمُتَعَلِّقُهَا مُحْدُوفٌ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: ثُمَّ نَعْمَرُكُمْ لِتَبْلُغُوا.
- ﴿أَشَدَّكُمْ﴾: غَايَةَ قُوَّتِكُمْ.
- ﴿يُنَوِّفُ﴾: يُقْبِضُ بِمَوْتِهِ.
- ﴿أَزْدَلِ الْعُمْرِ﴾: أَرْذَلُهُ وَأَنْقَصَهُ.
- ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ﴾: لِكَيْلَا يُدْرِكَ، وَاللَّامُ لِلْعَاقِبَةِ، وَ(كِي) مُصَدَّرِيَّةٌ، وَ(يَعْلَمُ) مَنْصُوبٌ بِهَا.

﴿وَتَرَى﴾: تُبْصِر، وَالْخِطَابُ فِيهَا لِكُلِّ مَنْ يَعْقِلُهُ.

﴿هَامِدَةٌ﴾: يَابِسَةٌ لَيْسَ فِيهِ خَضِرَاءٌ.

﴿الْمَاءُ﴾: الْمَطَرُ.

﴿أَهْمَزَتْ﴾: تَحَرَّكَتْ نَبَاتَاتُهَا يَمِينًا وَشِمَالًا؛ لِقِيَامِهَا حَيَّةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ هَامِدَةً.

﴿وَرَبَّتْ﴾: نَمَتْ وَزَادَتْ.

﴿وَأَنْبَتَتْ﴾: أَخْرَجَتْ نَبَاتًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿زَوْجٍ﴾: صِنْفٍ.

﴿بِهَيْجٍ﴾: سَارًا لِحُسْنِ مَنْظَرِهِ وَذِكَاةٍ رَائِحَتِهِ.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي مَا بَيَّنَّاهُ مِنْ خَلْقِكُمْ، وَمَا تَرَوْنَهُ مِنْ حَيَاةِ الْأَرْضِ.

﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِمَحْدُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: لِتُؤْمِنُوا بِأَنَّ اللَّهَ.

﴿هُوَ الْحَقُّ﴾: هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَصْدُرُ عَنْهُ إِلَّا الْحَقُّ.

﴿يُعْجِبُ الْمَوْتَى﴾: يَرُدُّ إِلَيْهِمُ الْحَيَاةَ.

﴿قَدِيرٌ﴾: ذُو قُدْرَةٍ، وَهِيَ صِفَةٌ يَتِمَكَّنُ بِهَا الْفَاعِلُ مِنَ الْفِعْلِ بِدُونِ عَجْزٍ.

﴿السَّاعَةَ﴾: الْوَقْتَ الرَّهِيْبَ الَّذِي وُعِدْتُمْ بِهِ.

﴿ءَاتِيَةٌ﴾: وَاقِعَةٌ.

﴿لَا رَيْبَ﴾: لَا شَكَّ، وَالْجُمْلَةُ خَيْرِيَّةٌ لِفِظًا وَمَعْنَى، وَقِيلَ: خَبْرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ.

﴿يَبْعَثُ﴾: يُخْرِجُ أَحْيَاءً.

﴿الْقُبُورِ﴾: جَمْعُ قَبْرٍ، وَهُوَ مَدْفَنُ الْمَوْتَى.

ب- المعنى الإجمالي:

من رحمة الله تعالى بعباده أنه يُقيّم لهم الأدلة والبراهين على وجوه متنوعة؛ ليُقرّوا بما يُنكره طغائهم من أمور الغيب، ولما كان الإيمان بالبعث له أثر كبير في إيمان العبد وإدعائه لله تعالى كَرَّرَ اللهُ تعالى الأدلة عليه، وقرنه بالإيمان به في آيات عديدة.

وفي هذه الآيات الكريبات يُنادي اللهُ تعالى الناس، وبالأخص من ارتأبوا في البعث؛ ليبيّن لهم إمكان ذلك، ببرهانين قطعيين:

أحدهما: ابتداء الخلق، حيث كان من التراب الذي خلق منه آدم أبو البشر، ثم كان من النطفة التي خلق منها بنوه، ثم تطوّرت هذه النطفة في الرحم، فكانت قطعة من دم على شكل علقة عالقة في الرحم، ثم تطوّرت هذه العلقة إلى جسم صغير بمقدار المضغّة، مميزة أعضاؤه باعتبار النهائية، وغير مميزة باعتبار البداية^(١).

الثاني: أنّ الأرض تراها يابسة ليس فيها نبات، فإذا نزل المطر عليها أصبحت مخضرة قد أنبتت من كل زوج بهيج، فإذا أمكن إعادة الحياة إلى هذه الأرض الميتة الهامدة أفلا يُمكن إعادة الحياة إلى الأجسام الميتة؟

ثم أخبر اللهُ تعالى أنه يُقرّ في الأرحام ما يشاء إلى غاية معلومة مقدّرة عند الله تعالى غالبها تسعة أشهر، ثم يُخرج هذه الأجنة من بطون الأمهات لدار التكليف أطفالاً، ثم يؤخّرهم ليلبغوا كامل قوتهم، ومن الناس من يتوفاه اللهُ تعالى قبل

(١) وقيل: مخلقة وغير مخلقة باعتبار المضغّة في الابتداء والانتهاء؛ لأنّها تشتمل على الجسم. [المؤلف]

أَنْ يَكُونَ شَيْخًا؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى كَامِلُ السُّلْطَانِ وَالتَّدْبِيرِ فِي خَلْقِهِ، وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَبْقَى حَتَّى يَضْعُفَ فِي جِسْمِهِ وَعَقْلِهِ فَيُرَدُّ إِلَى أَنْقَاصِ العُمُرِ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الطِّفْلِ الَّذِي لَا يُمَيِّزُ وَيَنْسَى مَا كَانَ يَعْمَلُهُ مِنْ قَبْلُ.

ثم ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى البُرْهَانَ الثَّانِي عَلَى إِحْيَاءِ المَوْتَى.

ثم بَيَّنَّ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الحَقُّ، هُوَ الحَقُّ فِي ذَاتِهِ، هُوَ الحَقُّ فِي صِفَاتِهِ، هُوَ الحَقُّ فِي أفعالِهِ، هُوَ الحَقُّ فِي أَلوهِيَّتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ إِحْيَاءِ المَوْتَى وَقِيَامِ السَّاعَةِ، وَبَعَثِ أَصْحَابِ القُبُورِ، فَإِنَّهُ واقِعٌ لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ بِهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ:

- ١- تَمَامُ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ بِتَوْضِيحِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمُ الإِيمَانَ بِهِ.
- ٢- كَمَالُ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَى الخَلْقِ ابْتِدَاءً وَإِعَادَةً.
- ٣- كَمَالُ حِكْمَتِهِ بِتَطْوِيرِ الخَلْقِ حَتَّى الكَمَالِ.
- ٤- صِحَّةُ الاستِدْلَالِ بِالقِيَاسِ.
- ٥- أَنَّ الجَنِينَ إِذَا كَانَ فِي طَوْرِ المِضْغَةِ فَقَدْ يَكُونُ مُخْلَقًا وَقَدْ يَكُونُ غَيْرَ مُخْلَقٍ، وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ العِلْمِ أَنَّهُ إِذَا سَقَطَ الجَنِينُ مُخْلَقًا انْقَضَتْ بِهِ العِدَّةُ، وَهَذَا مَحَلُّ الاستِشْهَادِ بِالآيَاتِ.
- ٦- إِثْبَاتُ المِشِيئَةِ لِلَّهِ تَعَالَى.
- ٧- أَنَّ غَايَةَ الحَمْلِ مَعْلُومَةٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مُقَدَّرَةٌ عِنْدَهُ.

- ٨- تَطْوِيرُ الْإِنْسَانِ بَعْدَ وِلَادَتِهِ مِنَ الطُّفُولَةِ إِلَى بُلُوغِ الْأَشُدِّ، ثُمَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُتَوَفَّى، وَمِنْهُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ.
- ٩- بَيَانُ ضَعْفِ الْمَرْءِ وَنَقْصِهِ حَيْثُ كَانَتْ حَيَاتُهُ مَحْفُوفَةً بِنَقْصَيْنِ.
- ١٠- سُقُوطُ التَّكْلِيفِ عَمَّنْ بَلَغَ مِنَ السَّنِّ قَدْرًا يَسْقُطُ بِهِ تَمْيِيزُهُ.
- ١١- تَمَامُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِنزَالِ الْمَطَرِ وَإِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِهِ.
- ١٢- بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْحَقُّ.
- ١٣- إِثْبَاتُ إِحْيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْمَوْتَى.
- ١٤- عُمُومُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.
- ١٥- وَجُوبُ الْإِيمَانِ بِقِيَامِ السَّاعَةِ؛ لِأَنَّهُ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ.
- ١٦- وَجُوبُ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ.

الآية التاسعة والعاشرة:

٤٤٨-٤٤٩- ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

تفسير الآيتين رقم ٤٤٨ - ٤٤٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿ وَوَصَّيْنَا ﴾: أبلغنا بما يهتّم به.

﴿ الْإِنْسَانَ ﴾: الواحد من بني آدم، و(أل) إمّا للجنس وإمّا للاستغراق.

﴿ بِوَالِدَيْهِ ﴾: أمه وأبيه.

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ﴾: نقلته في بطنها، والجملة للتعليل.

﴿ وَهْنًا ﴾: ضعفًا، ونصب على أنه مفعول مطلق، أي: حمل وهن. أو حال،

أي: ذات وهن.

﴿ عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾: على ضعفٍ آخر، فتضاعف الوهن عليها.

﴿ وَفِصْلَهُ ﴾: فصله عن أمه بفطمه عن الرضاع.

﴿ فِي عَامَيْنِ ﴾: في سنتين، أي: في تمامهما.

﴿ أَنْ اشْكُرْ ﴾: أن اعترف بالجميل بقولك وفعلك، وأن إمّا مصدرية

ومصدر الفعل بعدها مفعول (وصينا)، وإمّا مفسرة لمعنى الموصى به.

﴿الْمَصِيرُ﴾: الْمَرْجِعُ بِالْمَوْتِ، ثُمَّ الْبَعْثُ وَالْجَزَاءُ.

﴿جَهْدَاكَ﴾: بَدَلًا طَاقَتِهِمَا، وَالضَّمِيرُ الْفَاعِلُ لِلْوَالِدَيْنِ.

﴿تُشْرِكْ بِي﴾: تُجْعَلُ شَرِيكًا مَعِي.

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: بَيَانٌ لِلْوَاقِعِ لِتَبْكِيَتِ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ

مَا لَا يَقُومُ عَلَيْهِ عِلْمٌ.

﴿فَلَا تَطْعَمُهُمَا﴾: فَلَا تَتَقَدَّرُ لَهُمَا.

﴿وَصَاحِبُهُمَا﴾: عَامِلُهُمَا مُصَاحِبَةً بِدُونِ بُعْدٍ.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾: فِي شُؤُونِ الدُّنْيَا مِنْ نَفَقَةٍ وَغَيْرِهَا.

﴿مَعْرُوفًا﴾: أَيُّ: صَحَابًا مَعْرُوفًا.

﴿سَبِيلَ﴾: طَرِيقَ.

﴿أَنَابَ﴾: رَجَعَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ.

﴿مَرَجِعِكُمْ﴾: مَرَدُّكُمْ بِالْمَوْتِ، ثُمَّ الْبَعْثُ وَالْجَزَاءُ.

﴿فَأُنَبِّئُكُمْ﴾: فَأُخْبِرُكُمْ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَوْصَى الْإِنْسَانَ بِأُمَّهِ وَأَبِيهِ وَيُبَيِّنُ تَعَالَى عِلَّةَ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ

بِمَا جَرَى لِلْأُمَّ مِنْهُ حِينَ الْحَمْلِ مِنَ الضَّعْفِ فَوْقَ الضَّعْفِ، فَكُلُّ وَقْتٍ يَمْضِي

عَلَيْهَا أَثْنَاءَهُ تَزْدَادُ فِيهِ ضَعْفًا، فَإِذَا وَضَعْتَهُ مِنْ بَطْنِهَا جَاءَ دَوْرُ حَمَلِهِ فِي يَدِهَا

وَحَجْرِهَا وَمَلَا زَمَتِهِ لِلْإِرْضَاعِ وَالْقِيَامِ بِشُؤُونِهِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى مَا وَصَّى بِهِ، وَهُوَ شُكْرُهُ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ مِنْ تَسْخِيرِ
الْوَالِدَيْنِ لِلْوَلَدِ، وَشُكْرِ الْوَالِدَيْنِ عَلَى مَا قَامَا بِهِ مِنَ الْحَنَانِ وَالرَّأْفَةِ وَالتَّرَبُّيَّةِ، وَيُخْتَمُ
الآيَةَ بَبَيَانِ أَنَّ الْمَصِيرَ إِلَيْهِ وَحْدَهُ فَيُجَازِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّ.

وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَجِبُ لِلْوَالِدَيْنِ مِنَ الشُّكْرِ، وَمِنْهُ: طَاعَتُهُمَا، نَهَى عَنِ
طَاعَتِهِمَا فِيمَا يَأْمُرَانِ بِهِ مِنَ الشَّرِكِ بِاللَّهِ، وَإِنْ بَدَلَا الْجُهْدَ فِي ذَلِكَ وَحَاوَلَا أَشَدَّ
الْمُحَاوَلَةَ؛ لِأَنَّ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى مُقَدَّمٌ عَلَى حَقِّهِمَا، وَلَكِنَّ شُرَكَهُمَا وَأَمْرَهُمَا الْوَلَدَ
بِالشَّرِكِ لَا يُسْقِطُ حَقَّهُمَا مِنَ الْبِرِّ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْوَلَدَ أَنْ يَتَّبِعَ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ وَالِدَيْهِ
أَوْ غَيْرِهِمَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَوْصَلُ إِلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي بِهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
ثُمَّ خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى بَبَيَانِ أَنَّ الْمَرْجِعَ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ.
ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَتَيْنِ:

- ١- بَيَانُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِهَا أَوْصَى بِهِ الْوَلَدَ لِوَالِدَيْهِ.
 - ٢- بَيَانُ عِلَّةِ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ بِذِكْرِ حَالِ الْأُمِّ حِينَ الْحَمْلِ وَالرَّضَاعِ.
 - ٣- أَنَّ حَقَّ الْأُمِّ أَعْظَمُ مِنْ حَقِّ الْأَبِ.
 - ٤- حُسْنُ تَعْلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ قَرَنَ الْحُكْمَ بِعِلَّتِهِ.
وَلقَرَنَ الْحُكْمَ بِالْعِلَّةِ فَوَائِدُ:
- الْأُولَى: إِظْهَارُ سُمُو الشَّرِيعَةِ حَيْثُ تَرَبُّطُ الْأَحْكَامِ بِعِلَلِهَا.
الثَّانِيَّةُ: زِيَادَةُ الْاطْمِئْنَانِ إِلَى الْحُكْمِ.

- الثالثة: حثُّ المُكَلَّفِ على تَنْفِيذِهِ بِفِعْلِهِ إِنْ كَانَ أَمْرًا، وَاجْتِنَابِهِ إِنْ كَانَ نَهْيًا.
- الرابعة: سُموْلُ الحُكْمِ لِمَا شَارَكَ المَذْكَورَ فِي العِلَّةِ.
- ٥- أَنْ الأُمَّ لَا بُدَّ أَنْ يَلْحَقَهَا الضَّعْفُ أَثناءَ الحَمْلِ.
- ٦- أَنْ مُدَّةَ الرِّضَاعِ تُتَّهَي بِعَامِنٍ.
- ٧- وَجُوبُ شُكْرِ اللهِ تَعَالَى وَتَقْدِيمُ شُكْرِهِ عَلَى شُكْرِ غَيْرِهِ.
- ٨- وَجُوبُ شُكْرِ الوَالِدَيْنِ.
- ٩- عِظْمُ حَقِّ الوَالِدَيْنِ حَيْثُ قَرَنَ شُكْرُهُمَا بِشُكْرِ اللهِ.
- ١٠- أَنْ مَرَجَعَ الخَلْقِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ شُؤْنِهِمْ.
- ١١- تَحْرِيمُ طَاعَةِ الوَالِدَيْنِ فِي الإِشْرَاكِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى قِيَاسِهِ كُلُّ مَعْصِيَةٍ إِذْ لَا طَاعَةَ لِخَلْقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ.
- ١٢- أَنْ كُفْرَ الوَالِدَيْنِ لَا يُسْقِطُ حَقَّهُمَا مِنَ البِرِّ.
- ١٣- سُمُو هَذِهِ الشَّرِيعَةِ بِتَبَعِضِ الأَحْكَامِ حَسَبَ مُقْتَضِيَاتِهَا، فَالْوَالِدَانِ لَهَا حَقُّ البِرِّ وَإِنْ كَانَا كَافِرَيْنِ، وَالقَرِيبُ لَهُ حَقُّ القَرَابَةِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، وَالمُسْلِمُ الفَاسِقُ يُحِبُّ لِإِسْلَامِهِ وَيُكْرَهُ لِفِسْقِهِ.
- ١٤- وَجُوبُ اتِّبَاعِ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ.
- ١٥- يُمَكِّنُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ أَنْ الطِّفْلَ يَتَّبِعَ فِي الدِّينِ خَيْرَ الأبَوَيْنِ؛ لِأَنَّهُ لَا إِرَادَةَ لَهُ، وَأَنَّ اللهُ تَعَالَى يُرِيدُ شَرْعًا اتِّبَاعَ المُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ.

١٦- أن مَرَجِعَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ.

١٧- إِبْتِثَاتُ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

١٨- إِحَاطَةُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِكُلِّ مَا نَعْمَلُ.

الآية الحادية عشرة والثانية عشرة:

٤٥٠-٤٥١- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا
وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي
بُئْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ
سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿﴾ [الأحقاف: ١٥-١٦].

تفسير الآيتين رقم ٤٥٠ - ٤٥١:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿إِحْسَانًا﴾: مَصْدَرٌ عَامِلُهُ مُحَذُوفٌ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِمَا إِحْسَانًا.

﴿حَمَلَتْهُ﴾: نَقَلَتْهُ فِي بَطْنِهَا، وَالْجُمْلَةُ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿كُرْهًا﴾: مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَي: ذَاتَ كُرْهِ. أَي: مَشَقَّةٍ.

﴿أَشُدَّهُ﴾: غَايَةَ قُوَّتِهِ.

﴿أَوْزِعْنِي﴾: أَلْهَمْنِي.

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾: أَعْتَرَفُ بِهَا بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَالنَّعْمَةُ: الْإِحْسَانُ، وَأَنْ وَمَا بَعْدَهَا فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِـ (أَوْزِعَ).

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ﴾: مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾.

﴿صَالِحًا﴾: أَي: عَمَلًا صَالِحًا، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مَا جَمَعَ بَيْنَ الْإِحْلَاصِ لِلَّهِ

تَعَالَى وَالتَّبَاعَةِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿تَرْضَهُ﴾: تُقَرُّهُ وَتَقْبَلُهُ.

﴿وَأَصْلِحْ لِي﴾: اجْعَلْ صَلاَحًا لِي، وَاللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿ذُرِّيَّتِي﴾: نَسْلِي مِنَ الْأَوْلَادِ وَأَوْلَادِهِمْ.

﴿ثَبَّتْ إِلَيْكَ﴾: رَجَعَتْ إِلَيْكَ بِالطَّاعَةِ وَاجْتِنَابِ الْمَعْصِيَةِ.

﴿الْمُسْلِمِينَ﴾: الْمُتَقَادِرِينَ لِلَّهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

﴿أَوْلَيْتِكَ﴾: أَي: الْقَائِلُونَ مَا ذَكَرَ. وَجُمِعَ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِنْسَانِ: الْجِنْسَ.

﴿تَنْقَبَلُ﴾: تَرْضَى.

﴿أَحْسَنَ﴾: قِيلَ: إِنَّمَا بِمَعْنَى حَسَنٍ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمَعْنَى: تَنْقَبَلُ عَنْهُمْ، فَتَجْزِيهِمْ

أَحْسَنَ جَزَاءٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ كَمَا فِي آيَاتِ أُخْرَى.

﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾: أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَهِيَ فِي مَوْضِعِ رَفَعِ خَبْرٍ مُبْتَدَأٍ مَحْدُوفٍ،

وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: هُمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ.

﴿وَعَدَ الصِّدْقِ﴾: مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ بِعَامِلٍ مَحْدُوفٍ، وَالصِّدْقُ: مُطَابَقَةُ

الشَّيْءِ لِلْوَاقِعِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ وَصَّى الْإِنْسَانَ أَنْ يُحْسِنَ لِوَالِدَيْهِ، وَيُبَيِّنُ عِلَّةَ ذَلِكَ بِمَا جَرَى

عَلَى الْأُمِّ مِنَ الْمَشَقَّةِ حَالَ الْحَمْلِ وَحَالَ الْوَضْعِ، وَأَنَّ مُدَّةَ حَمْلِهِ وَرَضَاعِهِ ثَلَاثُونَ

شَهْرًا، مِنْهَا سِتَّةٌ لِأَقْلِ الْحَمْلِ وَالْبَاقِي كَمَا فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامِنِ﴾.

ثُمَّ يُبَيِّنُ اللَّهُ -تَعَالَى- حَالَ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ الْقَائِمِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِوَالِدَيْهِ، أَنَّهُ

إذا استكمل قوته العقلية والجسمية وبلغ أربعين سنة، ازداد تذكرًا ورُجوعًا إلى الله تعالى، فسأل الله أن يلهمه شكر نعمته عليه وعلى والديه، ويوفقه للعمل الصالح المقبول، وأن يصلح له في ذريته، فيقوموا بما يجب عليهم لله ولهُ، ويحتم الآية بذكر توبة هذا الموفق واستسلامه لله تعالى.

وفي الآية التي تليها يحبرُ الله تعالى أنه يتقبل عن هذا وأمثاله فيجزئهم أحسن الجزاء فيما عملوه من الأعمال الصالحة، ويعفو عن سيئاتهم في ضمن أهل الجنة الذين وعدوا وعد الصدق من لا يخلف الميعاد.

ج- من فوائد الآيتين:

- ١- بيان رحمة الله تعالى بما أوصى به الولد لوالديه.
 - ٢- وجوب الإحسان إلى الوالدين.
 - ٣- بيان علة ذلك بذكر حال الأم أثناء الحمل والوضع والرضاع.
 - ٤- أن حق الأم أعظم من حق الأب.
 - ٥- حُسن تعليم الله تعالى حيث قرن الحكم بعلمته، وتقدم فوائد ذلك قريبًا.
 - ٦- أن الأم لا بُدَّ أن تلحقها المشقة أثناء الحمل والوضع.
 - ٧- أن أقل مدة للحمل الذي يعيش فيه المولود ستة أشهر.
- وبيان ذلك بالآية التي قبلها حيث ذكر الله تعالى أن فصاله في عامين، وفي هذه الآية ذكر أن حملهُ وفصاله ثلاثون شهرًا، فإذا أسقطنا مدة الفصال عامين بقي الحمل ستة أشهر، وهذا وجه الاستشهاد بالآيتين.

- ٨- رُجُوعُ الْإِنْسَانِ إِلَى رَبِّهِ عِنْدَ كِبَرِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ.
- ٩- ضَرُورَةُ الْإِنْسَانِ إِلَى شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ١٠- أَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى الْوَالِدَيْنِ نِعْمَةٌ عَلَى الْوَالِدِ تَتَطَلَّبُ الشُّكْرَ مِنْهُ.
- ١١- ضَرُورَةُ سُؤَالِ الْإِنْسَانِ رَبَّهُ أَنْ يُوفِّقَهُ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَرْضَاهُ.
- ١٢- مَشْرُوعِيَّةُ الدُّعَاءِ بِصَلَاحِ الدُّرِّيَّةِ.
- ١٣- مَشْرُوعِيَّةُ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِظْهَارُ الْاسْتِسْلَامِ لَهُ.
- ١٤- بَيَانُ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْقَبُولِ مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ.
- ١٥- أَنَّ جَزَاءَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْأَعْمَالِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَعْمَالِ نَفْسِهَا، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرٍ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ.
- ١٦- أَنَّ هَذَا التَّائِبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.
- ١٧- الْاطْمِئْنَانُ بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ وَعْدُ صِدْقٍ لَا يُخْلَفُ.

مِنْ آيَاتِ الرِّضَاعِ

الآيَةُ الْأُولَى:

٤٥٢- ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّيْلِ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِمَّنْ أَرْضَعْتُمْ ﴾ [النساء: ٢٣].

مِنْ آيَاتِ الرِّضَاعِ

الرِّضَاعُ فِي اللُّغَةِ: مَصُّ اللَّبَنِ مِنَ الثَدِيِّ.

وفي الاصطلاح: تَعَدِّي الطِّفْلِ بِاللَّبَنِ سِوَاءَ عَنِ طَرِيقِ مَصِّ الثَدِيِّ أَوْ شُرْبِهِ مِنْ إِنَاءٍ أَوْ خَلَطِهِ بِطَعَامٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

وَيُثَبِّتُ بِهِ مِنْ أَحْكَامِ النَّسَبِ أَرْبَعَةٌ أَحْكَامٌ:

١- تَحْرِيمُ النِّكَاحِ تَحْرِيماً مُؤَبَّداً، فَيَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ^(١).

(١) المحرمات بالنسب سبع:

- ١- الأُمُّ وَإِنْ عَلَتْ كَالجَدَّةِ مِنْ قِبَلِ الأُمِّ أَوْ مِنْ قِبَلِ الأب.
- ٢- البِنْتُ وَإِنْ نَزَلَتْ، سِوَاءَ مِنْ بَنَاتِ الأَبْنَاءِ أَوْ مِنْ بَنَاتِ البنات.
- ٣- الأُخْتُ سَقِيقَةٌ كَانَتْ أُمٌّ لِأَبِ أُمِّ الأُمِّ.
- ٤- العَمَّةُ وَإِنْ عَلَتْ، كَعَمَّةِ الأبِ أَوْ الأُمِّ أَوْ الجَدَّةِ أَوْ الجَدَّةِ.
- ٥- الخَالَاتُ كَذَلِكَ.
- ٦- بِنْتُ الأَخِ وَإِنْ نَزَلَتْ، كِبِنْتِ ابْنِ الأَخِ، وَبِنْتِ بِنْتِ الأَخِ سَقِيقًا كَانَتْ أُمٌّ لِأَبِ أُمِّ الأُمِّ.
- ٧- بِنْتُ الأُخْتِ كَذَلِكَ. [المؤلف]

٢- ثُبُوتُ الْمُحْرَمِيَّةِ.

٣- جَوَازُ النَّظَرِ إِلَى مَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ الْمَحَارِمُ.

٤- جَوَازُ الْخُلُوءَةِ، وَهَذَا فَرَعَانِ عَنِ ثُبُوتِ الْمُحْرَمِيَّةِ.

وَتَثَبَّتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ لِلْمُرْتَضِعِ وَقُرُوعِهِ مَعَ الْمُرْضَعَةِ وَصَاحِبِ اللَّبَنِ.

فَمَنْ رَضَعَ مِنْ امْرَأَةٍ صَارَ ابْنًا لَهَا وَلَمَنْ يُنْسَبُ لَبْنُهَا لَهُ مِنْ زَوْجٍ أَوْ سَيِّدٍ أَوْ وَاطِئٍ شُبُهَةً، وَصَارَ أَوْلَادُهَا مِنْ ذُكُورٍ أَوْ إِنَاثٍ إِخْوَةً لَهُ، وَكَذَلِكَ أَوْلَادُ مَنْ يُنْسَبُ لَبْنُهَا لَهُ مِنْ امْرَأَةٍ أُخْرَى.

وَلَا تَثَبَّتْ أَحْكَامُ الرَّضَاعِ لِأَقَارِبِ الْمُرْتَضِعِ سِوَى قُرُوعِهِ فَتَحَلُّ أُخْتِهِ الَّتِي رَضَعَ مِنْ أُمَّهَا لِأَبِيهِ مِنَ النَّسَبِ، وَتَحَلُّ أُمِّهِ مِنَ الرَّضَاعِ لِأَخِيهِ مِنَ النَّسَبِ. وَلَا تَثَبَّتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ إِلَّا بِشُرُوطٍ:

الأول: أَنْ يَكُونَ مِنَ لَبَنِ أَدَمِيَّةٍ، فَلَوْ ارْتَضَعَ طِفْلَانِ لَبَنَ شَاةٍ لَمْ يَكُونَا أَخَوَيْنِ.

الثاني: أَنْ يَكُونَ الرَّضَاعُ فِي مُدَّةِ الرَّضَاعِ، وَهِيَ إِلَى حَوْلَيْنِ مِنْ وِلَادَتِهِ، أَوْ إِلَى فِطَامِهِ سِوَا رَادٍ عَنِ الْحَوْلَيْنِ أُمَّ نَقَصَ.

الثالث: أَنْ يَكُونَ خَمْسُ رَضَعَاتٍ فَأَكْثَرَ.

تَفْسِيرُ الْآيَةِ رَقْمَ ٤٥٢:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿ حُرِّمَتْ ﴾: حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَالتَّحْرِيمُ: الْمَنْعُ. وَالْمُرَادُ هُنَا: تَحْرِيمُ النِّكَاحِ.

﴿ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾: جَمْعُ أُمٍّ، وَهِيَ مَنْ لَهَا عَلَيْكَ وِلَادَةٌ مِنْ أُمٍّ أَوْ جَدَّةٍ.

﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ : جَمْعُ بِنْتٍ، وهي: الأُنثَى من أَوْلَادِكَ أو أَوْلَادِ أَوْلَادِكَ.

﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ : جَمْعُ أُخْتٍ، وهي: الأُنثَى مِنْ أَوْلَادِ أَبِيكَ أو أَوْلَادِ أُمِّكَ.

﴿وَعَمَّتُكُمْ﴾ : جَمْعُ عَمَّةٍ، وهي: أُخْتُ أَبِيكَ أو جَدَّكَ وَإِنْ عَلَا.

﴿وَحَلَائِكُمْ﴾ : جَمْعُ خَالَةٍ، وهي: أُخْتُ أُمِّكَ أو جَدَّتِكَ وَإِنْ عَلَتْ.

﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ﴾ : كُلُّ أُنْثَى من أَوْلَادِ أَخِيكَ وَإِنْ نَزَلُوا، سواءً كَانَ شَقِيقًا

أُمِّ لَابٍ أُمِّ لَأُمِّ.

﴿وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ : كُلُّ أُنْثَى من أَوْلَادِ أُخْتِكَ وَإِنْ نَزَلُوا، سواءً كَانَتْ

شَقِيقَةً أُمِّ لَابٍ أُمِّ لَأُمِّ.

﴿أَرْضَعْتُمْ﴾ : أَي: رَضَعْتُمْ مِنْ لَبَنِهِنَّ.

﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ﴾ : كُلُّ أُنْثَى رَضَعَتْ مِنْ لَبَنِ أُمِّكَ أو مِنْ لَبَنِ

امرأةٍ يُنْسَبُ لَبْنُهَا لِأَبِيكَ، و(مِنْ) لِلسَّبَبِيَّةِ.

ب- المعنى الإجمالي:

في هذه الآية الكريمة بين الله تعالى أكثر المحرمات بالنكاح، وقد تقدّم

الكلام عليها مُستوفى رقم ٤٢ و ٤٣ من مقرر السنة الثانية الثانوية.

والغرض من ذكرها هنا بيان تأثير الرضاع في تحريم النكاح حيث قال:

(وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة)، وقد بين النبي ﷺ أن كل

ما يحرم من النسب يحرم نظيره من الرضاعة، حيث قال -عليه الصلاة والسلام-:

«يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النِّسْبِ»^(١).

(١) سبق تخريجه (ص: ٦٠٨).

ج- من فوائد الآية:

- ١- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الْأُمَّهَاتِ وَإِنْ عَلَوْنَ.
- ٢- تَحْرِيمُ نِكَاحِ بَنَاتِ وَإِنْ نَزَلْنَ.
- ٣- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الْأَخَوَاتِ شَقِيقَاتٍ كُنَّ أُمَّ لَأَبٍ أُمَّ لَأُمٍّ.
- ٤- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الْعَمَّاتِ شَقِيقَاتٍ كُنَّ أُمَّ لَأَبٍ أُمَّ لَأُمٍّ.
- ٥- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الْحَالَاتِ شَقِيقَاتٍ كُنَّ أُمَّ لَأَبٍ أُمَّ لَأُمٍّ.
- ٦- تَحْرِيمُ نِكَاحِ بَنَاتِ الْأَخِ شَقِيقًا كَانَ أُمَّ لَأَبٍ أُمَّ لَأُمٍّ.
- ٧- تَحْرِيمُ نِكَاحِ بَنَاتِ الْأُخْتِ شَقِيقَةً كَانَتْ أُمَّ لَأَبٍ أُمَّ لَأُمٍّ.
- ٨- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الْأُمَّهَاتِ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَإِنْ عَلَوْنَ.
- ٩- تَحْرِيمُ نِكَاحِ الْأَخَوَاتِ مِنَ الرَّضَاعَةِ شَقِيقَاتٍ كُنَّ^(١) أُمَّ لَأَبٍ^(٢) أُمَّ لَأُمٍّ^(٣).
- ١٠- أَنْ لِلرَّضَاعِ تَأْثِيرًا فِي تَحْرِيمِ النِّكَاحِ.
- ١١- أَنْ الْمُرْضِعَةَ لَا تُسَمَّى أُمَّ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ تُقَيَّدُ بِالرَّضَاعَةِ.
- ١٢- أَنْ الْأُمَّ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ لَا تَدْخُلُ فِيهَا الْأُمُّ مِنَ الرَّضَاعَةِ.
- ١٣- أَنْ الْأُخْتِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ لَا تَدْخُلُ فِيهَا الْأُخْتُ مِنَ الرَّضَاعَةِ.

(١) اللاتي رَضَعْنَ مِنْ لَبَنِ أُمَّكَ الْمُنْسُوبِ لِأَبِيكَ. [المؤلف]

(٢) اللاتي رَضَعْنَ مِنْ لَبَنِ امْرَأَةٍ غَيْرِ أُمَّكَ يُنْسَبُ لِبَنَاتِهَا لِأَبِيكَ. [المؤلف]

(٣) اللاتي رَضَعْنَ مِنْ لَبَنِ أُمَّكَ غَيْرِ الْمُنْسُوبِ لِأَبِيكَ. [المؤلف]

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بِمَا عُرِفَ شَرْعًا وَعَادَةً.

﴿لَا تُكَلِّفُ﴾: لَا تُلْزِمُ.

﴿وَسَعَهَا﴾: طَاقَتَهَا.

﴿لَا تُضَاكِرَ﴾: بِفَتْحِ الرَّاءِ الْمَشْدَدَةِ؛ لِأَنَّ (لَا) نَاهِيَةٌ، وَبِضْمِّ الرَّاءِ الْمَشْدَدَةِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ (لَا) نَافِيَةٌ وَ(تَضَار) صَالِحٌ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ، فَعَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ الْإِضْرَارُ مِنَ الْوَالِدَةِ، وَعَلَى الثَّانِي يَكُونُ مِنْ غَيْرِهَا عَلَيْهَا.

وَالْإِضْرَارُ: الْإِحْطَاقُ الضَّرَرِ بِالْغَيْرِ تَعَمُّدًا.

﴿بَوْلِدِهَا﴾: الْبَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ وَتَحْتَمِلُ الظَّرْفِيَّةَ.

الوارث: أَي: وَارِثُ الْمَوْلُودِ.

﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾: أَي: ذَلِكَ الْمَذْكُورُ مِنَ الرِّزْقِ وَالْكِسْوَةِ بِالْمَعْرُوفِ.

﴿أَرَادَا﴾: أَي: الْوَالِدَةُ وَالْمَوْلُودُ.

﴿فَصَالًا﴾: فَصَلًا لِلرَّضِيعِ عَنِ الرَّضَاعِ بِفِطَامِهِ.

﴿عَنْ تَرَايَ﴾: عَنِ رِضَا مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا.

﴿وَتَشَاوَرَ﴾: تَرَاجَعَ فِي الرَّأْيِ لِلْوُصُولِ إِلَى الْأَصْلَحِ.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فَلَا إِثْمَ.

﴿أَرَدْتُمْ﴾: سِئْتُمْ.

﴿تَسْتَرْضِعُونَ أَوْلَادَكُمْ﴾: تَطْلُبُونَ لَهُمْ رِضَاعًا مِنْ امْرَأَةٍ أُخْرَى.

﴿سَلَّمْتُمْ﴾ : دَفَعْتُمْ.

﴿مَاءَ آئِيْتُمْ﴾ : مَا أَرَدْتُمْ إِيْتَاءَهُ.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ : بِمَا يُقَرُّهُ الشَّرْعُ وَالْعَادَةُ دُونَ مَطْلٍ أَوْ نَقْصٍ.

﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ﴾ : اتَّخَذُوا وَقَايَةً مِنْ عِقَابِهِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ تَهْيِهِ.

﴿بَصِيرٌ﴾ : عَلِيمٌ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْوَالِدَاتِ سِوَاءَ كُنَّ زَوْجَاتٍ أَوْ غَيْرَ زَوْجَاتٍ أَنْ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ، وَالْإِضَافَةُ لِحَمْلِهِنَّ عَلَى تَنْفِيذِ هَذَا الْأَمْرِ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ إِنْ أَرَدْنَ إِتْمَامَ الرِّضَاعَةِ.

وَيَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ مِنْ زَوْجٍ أَوْ غَيْرِهِ أَنْ يَقُومَ بِإِطْعَامِ هَذِهِ الْمُرْضِعَةِ وَكِسْوَتِهَا، فَإِنْ كَانَتْ زَوْجَةً تَحِبُّ لَهَا النِّفْقَةَ صَارَ لِإِطْعَامِهَا وَكِسْوَتِهَا سَبَابٌ، وَإِلَّا كَانَ لَهَا سَبَبٌ وَاحِدٌ.

وَيَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ ذَلِكَ الْإِطْعَامُ وَالْكِسْوَةُ يَكُونُ بِالْمَعْرُوفِ بِدُونِ مُمَاطَلَةٍ وَلَا نَقْصٍ وَلَا إِزَامٍ لِلْبَازِلِ بِمَا لَا تَتَّسِعُ لَهُ حَالُهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَى وَسْعِهَا لِكَمَالِ رَحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تَقَعَ الْمَضَارَّةُ بَيْنَ الْوَالِدَيْنِ وَالرِّضِيعِ، فَلَا تُضَارُّ الْأُمُّ وَلَدَهَا وَلَا غَيْرُهَا بِهِ، وَكَذَلِكَ الْمَوْلُودُ لَا يُضَارُّ وَلَدَهُ وَلَا غَيْرُهُ بِهِ.

وَيُيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ وَارِثَ الطِّفْلِ عَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَى وَالِدِهِ حَيْثُ إِنَّهُ سَيَنْتَفِعُ بِمَالِهِ إِنْ بَقِيَ بَعْدَهُ.

و لما كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ مُؤَدِّنًا بِأَنَّ فِي الْأَمْرِ سَعَةً، يَبَيِّنُ أَنَّهُ مَتَى حَصَلَ اتِّفَاقٌ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَالْمَوْلُودِ لَهُ صَادِرٌ عَنِ رِضَا مِنْهُمَا وَنَظَرٌ فِيهَا هُوَ أَصْلَحُ لِلطِّفْلِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا فِي فِطَامِهِ قَبْلَ تَمَامِ الْحَوْلَيْنِ، وَأَنَّهُ لَا جُنَاحَ كَذَلِكَ فِي طَلَبِ إِرْضَاعِ الطِّفْلِ مِنْ مُرْضِعَةٍ أُخْرَى بِشَرَطِ أَنْ تُسَلِّمَ الْمُرْضِعَةُ مَا قُدِّرَ لَهَا مِنْ أُجْرَةٍ.

ثُمَّ خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ بِالْأَمْرِ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَبَيَانَ إِحْاطَتِهِ بِمَا نَعْمَلُ تَعْظِيمًا لِشَأْنِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ وَحَثًّا عَلَى التَّزَامُهَا وَتَحْذِيرًا مِنْ مُخَالَفَتِهَا.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

- ١- أَمْرُ الْوَالِدَاتِ بِإِرْضَاعِ أَوْلَادِهِنَّ.
- ٢- أَنَّ لَبْنَ الْأُمِّ أَنْفَعُ لِلطِّفْلِ مِنْ غَيْرِهِ.
- ٣- أَنَّ مُدَّةَ الرَّضَاعَةِ التَّامَّةِ حَوْلَانٌ مِنَ الْوِلَادَةِ، وَيَتَفَرَّغُ عَلَيْهَا أَنَّ الرَّضَاعَ بَعْدَهُمَا لَا أَثَرَ لَهُ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ، وَقِيلَ: الْعِبْرَةُ بِالْفِطَامِ، فَمَتَى فُطِمَ وَلَوْ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ فَلَا أَثَرَ لِلرَّضَاعِ، وَمَتَى لَمْ يُفْطَمِ فَالرَّضَاعُ مُعْتَبَرٌ وَلَوْ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ.
- ٤- وَجُوبُ إِطْعَامِ الْمُرْضِعَةِ وَكِسْوَتِهَا عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ.
- ٥- أَنَّ الْإِطْعَامَ وَالْكِسْوَةَ بِالْمَعْرُوفِ، فَلَا غُلُوءَ وَلَا تَقْصِيرَ.
- ٦- أَنَّهُمَا بِحَسَبِ وَسْعِ الْمَوْلُودِ لَهُ.

- ٧- تَحْرِيمُ مُضَارَّةِ الْأُمِّ بَوْلِدِهَا.
- ٨- تَحْرِيمُ مُضَارَّةِ الْمَوْلُودِ لَهُ بِوَلَدِهِ.
- ٩- وَجُوبُ إِطْعَامِ الْمُرْضِعَةِ وَكِسْوَتِهَا عَلَى وَارِثِ الطِّفْلِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبٌ.
- ١٠- أَنْ الْإِرْثَ سَبَبٌ لِإِجَابِ النَّفَقَةِ عَلَى الْوَارِثِ.
- ١١- انْفِرَادُ الْأَبِ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى وَلَدِهِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ وَارِثٌ غَيْرُهُ.
- ١٢- جَوَازُ فَطْمِ الرِّضِيعِ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ، بِشَرْطِ رِضَا وَالِدَيْهِ وَتَشَاوُرِهِمَا لِلنَّظَرِ فِي الْأَصْلَحِ لَهُ.
- ١٣- عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِالطِّفْلِ.
- ١٤- أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ أَعْظَمُ مِنْ رَحْمَةِ الْوَالِدَيْنِ.
- ١٥- أَنَّ الْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا مَسْئُولَانِ عَنْ أَطْفَالِهِمَا.
- ١٦- جَوَازُ الْعُدُولِ إِلَى مُرْضِعَةٍ غَيْرِ الْأُمِّ، وَالْأُولَى خِلَافُهُ إِلَّا لِعُدْرِ كَمَا يُفِيدُهُ أَوَّلُ الْآيَةِ.
- ١٧- وَجُوبُ تَسْلِيمِ مَا التَزَمَ بِهِ الْوَالِدُ لِلْمُرْضِعَةِ.
- ١٨- وَجُوبُ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ١٩- التَّحْذِيرُ مِنْ مُحَالَفَتِهِ.
- ٢٠- إِحَاطَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلِيمًا بِكُلِّ مَا نَعْمَلُ.

مِنْ آيَاتِ النَّفَقَاتِ

النَّوعُ الْأَوَّلُ

الآيَةُ الْأُولَى إِلَى السَّادِسَةِ:

٤٥٤-٤٥٨ - ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَا آخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾﴾ [البقرة: ١-٥].

مِنْ آيَاتِ النَّفَقَاتِ

النَّفَقَاتُ: جَمْعُ نَفَقَةٍ، وَتُطَلَّقُ عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَهُوَ: بَذْلُ الْمَالِ، وَعَلَى الْمُنْفِقِ وَهُوَ الْمَالُ.

والتَّفَقُّةُ فِي اصْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ: كِفَايَةُ مَنْ يَمُونُهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْكِسْوَةِ وَالْمَسْكَنِ.

وَأَسْبَابُ وُجُوبِهَا ثَلَاثَةٌ: النِّكَاحُ وَالْقَرَابَةُ وَالْمِلْكُ.

فَأَمَّا النِّكَاحُ فَتَجِبُ فِيهِ النَّفَقَةُ لِلزَّوْجَةِ عَلَى زَوْجِهَا بِمُجَرَّدِ الْعَقْدِ مَعَ التَّمَكُّنِ مِنَ الْاِسْتِمْتَاعِ وَعَدَمِ النُّشُوزِ.

وَأَمَّا الْقَرَابَةُ فَتَجِبُ بِهَا النَّفَقَةُ لِلْقَرِيبِ عَلَى قَرِيبِهِ بِشُرُوطٍ:

الأول: أَنْ يَكُونَ الْمُنْفِقُ عَلَيْهِ مُحْتَاجًا لِلنَّفَقَةِ.

الثاني: أن يكون المنفق قَادِرًا عَلَيْهَا.

الثالث: أن يكون وَارِثًا لِلْمُنْفِقِ عَلَيْهِ.

وأما الملك: فَتَجِبُ بِهِ النَّفَقَةُ لِلْمَمْلُوكِ عَلَى مَالِكِهِ سِوَاءٍ كَانَ الْمَمْلُوكُ أَدَمِيًّا أَمْ غَيْرِهِ.

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: يَتَّصِفُ الْإِنْفَاقُ بِالسَّبَبِ الْأَوَّلِ وَهُوَ النَّكَاحُ.

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ رَقْمَ ٤٥٤ - ٤٥٨:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿الَّذِي﴾: حُرُوفٌ هِجَائِيَّةٌ ضُمَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى وَجْهِ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِتَدُلَّ عَلَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ.

﴿ذَلِكَ﴾: الْمَشَارُ إِلَى الْقُرْآنِ، أُشِيرَ إِلَيْهِ بِالْبُعْدِ لِعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ.

﴿الَّذِي كَتَبَ﴾: أَي: الْمَكْتُوبُ وَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَفِي الصُّحُفِ الَّتِي بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ وَفِي الْمَصَاحِفِ الَّتِي بِأَيْدِي النَّاسِ.

﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾: لَا شَكَّ فِيهِ، وَالْجُمْلَةُ خَيْرِيَّةٌ وَهِيَ خَيْرُ قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ الَّذِي كَتَبَ﴾.

﴿هُدًى﴾: مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَي: دَالًّا مُرْشِدًا.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: لِلْمُتَّخِذِينَ وَقَايَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ وَتَرَكَ

مَا نَهَى عَنْهُ.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يُصَدِّقُونَ.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: بِمَا غَابَ عَنْهُمْ مِمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ.

﴿وَيُقِيمُونَ﴾: يَفْعَلُونَ عَلَى وَجْهِ الاسْتِقَامَةِ وَالْكَمَالِ.

﴿الصَّلَاةَ﴾: الْعِبَادَةُ الْمَعْرُوفَةُ.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: مِمَّا أُعْطِينَاهُمْ، وَ(مِنْ) لِلتَّبَيُّنِ أَوْ التَّبَعِيضِ.

﴿يُفْقُونَ﴾: يُبْذَلُونَ.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: يُصَدِّقُونَ مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ، وَالْعَطْفُ هُنَا لِتَغَايِرِ الصِّفَاتِ

لَا الْأَشْخَاصِ.

﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: أَيُّ: الْقُرْآنُ.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْكِتَابَ السَّابِقَةَ.

﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾: يَوْمِ الْبَعْثِ وَمَا فِيهِ وَمَا بَعْدَهُ.

﴿يُوقِنُونَ﴾: يُصَدِّقُونَ تَصَدِيقًا لَا مَرِيَةَ فِيهِ.

﴿عَلَى هُدًى﴾: عَلَى عِلْمٍ وَرَشْدٍ.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: الْحَاصِلُونَ عَلَى الْمَطْلُوبِ النَّاجُونَ مِنَ الْمَرْهُوبِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

افتتح الله تعالى هذه الآيات بحروفٍ هجائيةٍ هي الألف واللام والميم، وقد اختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- في هذه الحروف، وأقرب الأقوال فيها أن هذه الحروف ليس لها معنى في ذاتها؛ لأن القرآن نزل بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، وهذه الحروف ليس لها معنى في اللسانِ العربيِّ إلا أنه لا بُدَّ لها من حكمة، وأقرب ما قيل في ذلك: أنها إظهارٌ إعجازِ القرآن حيث جاء بهذه الأساليب التي لا نظير لها في اللغة

مع كمالِ البلاغةِ وحُسنِ اللَّفْظِ، ثم إن هذا القرآنَ الَّذِي أَعْجَزَ الْعَرَبَ بل الإنسَ والجنَّ جَمِيعًا عن مُعَارَضَتِهِ لا يُخْرِجُ عن الحروفِ التي يُرَكَّبُونَ كَلِمَاتِهِمْ منها، ولهذا قُلَّ أن تُجَدَّ سُورَةٌ مُبْتَدَأَةٌ بهذه الحروفِ إلا يَلِيهَا القَوْلُ عن القرآنِ أو ما هُوَ من خِصَائِصِهِ كالإخبارِ بِالْغَيْبِ.

ثم أَثْنَى اللهُ تَعَالَى على هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بِأَنَّهُ كِتَابٌ حَقٌّ لا يَنْبَغِي أن يكون فيه شيءٌ من الرِّيبِ، لكن لا يَهْتَدِي به إلا مَنْ اتَّصَفَ بِالصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ، وهي: تَقْوَى اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - والإيمانُ بما أُخْبِرَ بِهِ مِنَ الْغَيْبِ عن أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ، وَالْإِيمَانُ بما أُنزِلَ إلى النَّبِيِّ ﷺ إِيْمَانًا يَقْتَضِي الْقَبُولَ وَالْإِدْعَانَ، وَالْإِيمَانُ بما أُنزِلَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِهِمَا، وَالْإِيْقَانُ بِالْآخِرَةِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ثم يَحْتَمُّ اللهُ تَعَالَى هذه الآياتِ بِيَانِ حَالِ أَوْلِيائِكَ الْمُتَّصِفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ أَتَمًّا على عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَرَشْدٍ مِنْ عَقِيدَتِهِمْ وَعَمَلِهِمْ، وَأَتَمًّا هُمُ النَّاجُونَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، الْحَائِزُونَ على كُلِّ مَطْلُوبٍ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- بِيَانُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.
- ٢- عُلُوُّ مَرْتَبَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ أَشْرَفُ الْكَلَامِ.
- ٣- أن القرآنَ كما هو مَتْلُوفٌ فهو مَكْتُوبٌ.
- ٤- أن القرآنَ حَقٌّ لا مكانَ لِلرِّيبِ فيه.

- ٥- أن القرآن لا يَهْتَدِي به إلا الْمُتَّقُونَ.
- ٦- أن من صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ:
- أ- الإيمانُ بِالْغَيْبِ.
- ب- إقامةُ الصَّلَاةِ.
- ج- إنْفَاقُ المَالِ، وَدُخُلُ فِيهِ الْإِنْفَاقُ عَلَى الزَّوْجَةِ وَالْأَقْرَبِ وَالْمَالِيكُ، وَهَذَا مَحَلُّ الاسْتِشْهَادِ بِالآيَاتِ.
- د- الإيمانُ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.
- هـ- الإيمانُ بِمَا أُنزِلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلُ.
- والفَرْقُ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِمَا أُنزِلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِهِ أَنْ الْإِيمَانَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ يَتَّصِفُ بِالتَّزَامِ شَرِيْعَتِهِ، وَالْإِيمَانَ بِمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِهِ لَا يَتَّصِفُ بِالتَّزَامِ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرَائِعِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].
- و- الإيقانُ بِالْآخِرَةِ.
- ٧- فَضِيلَةُ هَذِهِ الصِّفَاتِ مَعَ وُجُوبِهَا.
- ٨- أَنْ التَّقْوَى سَبَبٌ لِلْإِهْتِدَاءِ بِالْقُرْآنِ عِلْمًا وَعَمَلًا.
- ٩- أَنْ التَّقْوَى سَبَبٌ لِلْفَلَاحِ.
- ١٠- أَنْ مَنْ تَبَعَ غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلَيْسَ لَهُ هُدًى وَلا فَلَاحٌ.

الآية السادسة:

٤٥٩- ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ حَسِبْتُمْ فَانَدَيْتُمْ حَفِظْتُ لَهُمُ اللَّعِيبَ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْنِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوا لَهُمْ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿[النساء: ٣٤].

تفسير الآية رقم ٤٥٩:

أ- تفسير الكلمات:

﴿قَوَّامُونَ﴾: قائمون بالولاية والرعاية، وصيغة المبالغة للنسبة.

﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾: بما أعطى زيادة، والباء للسببية، و (ما) مصدرية.

﴿بَعْضَهُمْ﴾: أي: الرجال، وعبر عنهم بالبعض؛ لأنهم من جنس النساء في

البشرية.

﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾: بما بذلوا، وأعاد الجار والمجرور؛ لأن كلا من السببين

صالح للاستقلال.

﴿فَالَّذِينَ حَسِبْتُمْ فَانَدَيْتُمْ﴾: فالنساء الصالحات.

﴿وَاللَّيْنِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ﴾: مدييات لطاعة الله تعالى.

﴿حَفِظْتُ لَهُمُ اللَّعِيبَ﴾: صائغات راعيات.

﴿لِلَّعِيبِ﴾: لما غاب عن الناس من أسرار الزوج وشؤون البيت.

﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِ(حافظات)، والبَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ، و(إِما) مَصْدَرِيَّةٌ،
والتَّقْدِيرُ: بِحِفْظِ اللَّهِ لَهُنَّ.

﴿تَخَافُونَ﴾: تَخْشَوْنَ أَوْ تَتَّقُونَ.

﴿نُشُوزُهُنَّ﴾: تَرْفَعُهُنَّ عَمَّا يَجِبُ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ.

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: ذَكَّرُوهُنَّ بِمَا يَلِدُنَّ قُلُوبَهُنَّ وَيُصْلِحُهُنَّ.

﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ﴾: ائْتَرَكُوهُنَّ بِقَصْدِ الإِعْرَاضِ.

﴿الْمَصَاجِعُ﴾: مَوَاضِعُ الضُّجُوعِ، وَهِيَ فُرُشُ النَّوْمِ.

﴿أَطَعْنَاكُمْ﴾: انْقَدْنَا لَكُمْ.

﴿فَلَا تَبْغُوا﴾: فَلَا تَطْلُبُوا.

﴿سَبِيلًا﴾: طَرِيقًا.

﴿عَلِيًّا﴾: ذَا عُلُوٍّ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.

﴿كَبِيرًا﴾: ذَا كِبَرِيَاءٍ وَعَظْمَةٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.

ب- المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

في هذه الآية الكريمة يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى خَبْرًا يُرَادُ بِهِ تَنْفِيذُ مُقْتَضَاهُ، بِأَنَّ لِلرِّجَالِ
الْوِلَايَةَ وَالرُّعَايَةَ عَلَى النِّسَاءِ وَلَا سِيَّامَا الأَزْوَاجَ مَعَ زَوْجَاتِهِمْ وَذَلِكَ لِسَبَبِيَّةِ:

الأول: مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ الرِّجَالَ مِنَ العَقْلِ وَالْحَزْمِ وَالقُوَّةِ.

الثاني: مَا يَقُومُ بِهِ الرِّجَالُ مِنَ النِّفَقَةِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَيْهِنَّ.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى أَنْ النِّسَاءَ قِسْمَانِ: صَالِحَاتٌ يَقْمَنَ بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى الَّتِي مِنْهَا طَاعَةُ أَزْوَاجِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَيَحْفَظْنَ أَسْرَارَ أَزْوَاجِهِنَّ وَيُؤْتِينَ بِحِفْظِ اللهِ لِهِنَّ.
وَالْقِسْمُ الثَّانِي: مَنْ يَخَافُ نُشُوزَهُنَّ وَتَرَكَ الْقِيَامَ بِمَا عَلَيْهِنَّ مِنْ حَقُوقِ الزَّوْجِ، وَقَدْ أَرْشَدَ اللهُ تَعَالَى إِلَى ثَلَاثِ طُرُقٍ فِي إِصْلَاحِهِنَّ:

الأولى: الموعظة بما يلدن قلوبهن ويصلح أحوالهن.

الثانية: الهجر في الفراش، فلا ينام معها ولا يجامعها.

الثالثة: الضرب الذي يحصل به المقصود بدون أن يكون مبرحاً.

فإذا استقامت الحال وقمن بما يجب عليهن من حقوق الأزواج، فلا حق لهم في اتخاذ سبيل إلى لوم الزوجات فيما جرى منهن أو إساءة عشرتهن من جراء ذلك.

ثم ختم الله تعالى الآية باسمين من أسمائه دالين على علوه وكبريائه تحذيراً للأزواج من أن يعلو بعضهم على بعض، ليذكروا من له الكبرياء والعظمة وهو الله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.

ج- من فوائد الآية:

١- علو مرتبة الرجال على النساء، والمراد الجنس فلا يمنع أن يكون في النساء من هي أكمل من بعض الرجال.

٢- أن للرجال الولاية على النساء، فعليهم مراعاة هذه الولاية.

٣- بيان الحكمة في علو مرتبة الرجال وولايتهم.

- ٤- أن الإنفاق على النساء من شؤون الرجال، وهذه محل الاستشهاد بالآية.
- ٥- أن من صفات المرأة الصالحة أن تكون مطيعة لله حافظة للغيب بما حفظ الله.
- ٦- أن للرجل ضرب امرأته على النشوز إذا لم تنفع فيها الموعدة والهجر.
- ٧- وجوب طاعة المرأة زوجها بالمعروف.
- ٨- تحريم التطاول على الزوجة إذا قامت بما يجب عليها.
- ٩- تحذير الزوج من ذلك.
- ١٠- إثبات اسمي العلي والكبير لله تعالى وما تضمناه من صفة.

الآية السابعة:

٤٦٠ - ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨].

تفسير الآية رقم ٤٦٠:

أ- تفسير الكلمات:

يُرْجَعُ فِي تَفْسِيرِهَا إِلَى الْآيَةِ رَقْمَ (٤٤٢) إِلَّا فِي الْكَلِمَاتِ التَّالِيَةِ:

﴿وَبِعَوْلِهِنَّ﴾: أَرْوَاجِهِنَّ الَّذِينَ طَلَّقُوهُنَّ.

﴿أَحَقُّ﴾: أَثْبَتُ وَأَوْلَى.

﴿بِرَدِّهِنَّ﴾: بِإِزْجَاعِهِنَّ إِلَى عِصْمَتِهِمْ.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: فِي زَمَنِ التَّرَبُّصِ.

﴿أَرَادُوا﴾: قَصَدُوا، أَي: الْأَرْوَاجِ.

﴿إِصْلَاحًا﴾: تَوْفِيقًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ بِالْعِشْرَةِ الْحَسَنَةِ.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُطَلَّقَاتِ أَنْ يَنْتَظِرْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ فَيَحْبِسْنَهَا عَنْ طَلْبِ النِّكَاحِ مُدَّةَ ثَلَاثِ حِيضٍ، اسْتِبْرَاءً لِأَرْحَامِهِنَّ وَفَسْحًا لِلْمَجَالِ أَمَامَ أَرْوَاجِهِنَّ لَعَلَّهُمْ يَرَاجِعُونَهُنَّ.

ولما كانت المطلقة قد تتعجل العدة وهي حامل فتكتم الحمل وتدعي انقضاء العدة، حذرها الله تعالى بالنهي عن كتمان الحمل وبيان أنه منافع لكمال الإيمان بالله واليوم الآخر، لما فيه من تغيير أحكام الله تعالى والتعرض لعقابه في اليوم الآخر. ثم بين الله تعالى أن أزواج هؤلاء المطلقات أحق بهن من غيرهم؛ لأنهم بعولتهن لكن بشرط أن يريدوا الإصلاح برجعتهن.

ج- من فوائد الآية:

- ١- وجوب اعتداد المطلقة بثلاث حيض، ويستثنى من ذلك ما ذكر في الآية رقم (٣).
- ٢- أن الحيض لا تنقضي بها عدة الحامل.
- ٣- تحريم كتم المطلقة حملها.
- ٤- أن كتمها ذلك منافع لكمال الإيمان بالله واليوم الآخر.
- ٥- أن المعتدة من طلاق رجعي في حكم الزوجة لقوله: ﴿ويعولهن﴾.
- ٦- وجوب الإنفاق لها على زوجها حيثئذ، وهذه محل الاستشهاد بالآية.
- ٧- أن للمطلق طلاقاً رجعيًا مراجعة زوجته في العدة ولو كرهت.
- ٨- أن ذلك مشروط بإرادته الإصلاح.

الآية الثامنة والتاسعة:

٤٦١-٤٦٢- ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيْقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَسُدِّضُوا لَهُنَّ أُخْرَىٰ ۗ ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٦-٧].

تفسير الآية رقم ٤٦١ - ٤٦٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾: اتَّخَذُوا لَهُنَّ مَسْكِنًا، وَالضَّمِيرُ لِلْمُطَلَّقاتِ.

﴿مِنْ حَيْثُ﴾: مِنْ مَكَانٍ.

﴿سَكَنْتُمْ﴾: حَلَلْتُمْ.

﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾: مِنْ سَعَتِكُمْ.

﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾: لَا تَفْعَلُوا مَا تَقْصِدُونَ بِهِ الإِضْرَارَ بِهِنَّ، وَالْحِطَابُ لِلأَزْوَاجِ.

﴿لِضَيْقُوا﴾: اللامُ لِلعَاقِبَةِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿كُنَّ﴾: أَي: الْمُطَلَّقاتِ.

﴿أُولَاتٍ حَمِلٍ﴾: صَاحِبَاتُ حَمْلٍ وَهُوَ الْجَنِينُ فِي البَطْنِ.

﴿فَأَنْفِقُوا﴾: فَاذْذُلُوا النِّفْقَةَ.

﴿يَضَعْنَ﴾: يُلْقِينَ.

﴿حَمَلَهُنَّ﴾: أي: محمُوهُنَّ، وهو مُفْرَدٌ مُضَافٌ، فَيَعْمُ جَمِيعَ مَنْ فِي الْبَطْنِ.
 ﴿أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾: أي: لِأَجْلِكُمْ، وَمَفْعُولٌ ﴿أَرْضَعْنَ﴾ مَحْدُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ:
 أَرْضَعْنَ أَوْلَادَكُمْ.

﴿فَاتَوْهُنَّ﴾: فَأَعْطُوهُنَّ.

﴿أُجْرَهُنَّ﴾: أُجْرَةٌ إِرْضَاعِيَّةٌ.

﴿وَأْتَمَرُوا﴾: تَشَاوَرُوا.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: الْبَاءُ لِلْمُصَاحِبَةِ وَالْمَعْرُوفِ مَا يُقْرَهُ الشَّرْعُ وَالْعَادَةُ.

﴿تَعَاَسَرْتُمْ﴾: عَاسَرَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَلَمْ يَرْضَ بِقَوْلِهِ.

﴿لَهُ﴾: لِلطُّفْلِ، وَاللَّامُ لِلتَّعْدِيَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِلْأَبِ.

﴿لِيُنْفِقَ﴾: اللَّامُ لِلْأَمْرِ، لِيَبْدَلَ النِّفْقَةَ.

﴿ذُو سَعَةٍ﴾: ذُو غِنَى.

﴿قَدِرَ عَلَيْهِ﴾: ضَيَّقَ عَلَيْهِ.

﴿رِزْقُهُ﴾: عَطَاؤُهُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ.

﴿لَا يُكَلِّفُ﴾: لَا يُلْزِمُ.

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ﴾: السَّيْنُ لِلتَّنْفِيسِ، وَتُفِيدُ مُحَقِّقِ الشَّيْءِ وَقُرْبِهِ.

﴿عُسْرٍ﴾: ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ.

﴿يُسْرًا﴾: سَعَةً وَسُهُولَةً.

ب- المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُطَلَّقِينَ أَنْ يُسْكِنُوا الْمُطَلَّقاتِ مِنْ حَيْثُما سَكَنُوا بِحَسَبِ حَالِهِمْ وَأَنْ يَتَحَاشَوْا مُضَارَتَهُنَّ بِالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِنَّ فَيُلْجِئُوهُنَّ إِلَى الخُرُوجِ، أَمَا النِّفْقَةُ فَلَا تَجِبُ عَلَى الأزْوَاجِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمُطَلَّقاتُ حَواِمِلُ فَتَجِبُ النِّفْقَةُ لَهُنَّ؛ لِأَنَّ بِهَا تَعْدِيَةُ الجَيْنِ إِلَى أَنْ يَضَعْنَ جَمِيعَ الحَمْلِ، وَبَعْدَ الوَضْعِ يَأْتِي مَوْضِعُ الإِرْضَاعِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لَهُ حَالَيْنِ:

الحال الأولى: أَنْ تَقُومَ الأُمُّ بِإِرْضَاعِ الطُّفْلِ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ أَحَقُّ بِوَلَدِهَا وَتَجِبُ لَهَا الأُجْرَةُ فَتَشَاوِرُ مَعَ الزَّوْجِ فِي تَقْدِيرِهَا بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ تَرَاضَوْا فَذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَرَاضُوا فَهِيَ

الحال الثانية: أَنْ لَا تَقُومَ الأُمُّ بِإِرْضَاعِهِ، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ أَنْ يُيسِّرَ لَهُ مَنْ يُرِضِعُهُ عَنِ قُرْبٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى مِقْدَارَ النِّفْقَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ أَنَّهَا بِحَسَبِ حَالِ الزَّوْجِ، فَعَلَى المُوَسِّرِ قَدْرَهُ وَعَلَى الفَقِيرِ قَدْرَهُ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿مِمَّا آتَتْهُ اللَّهُ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا لَوْمَ عَلَيْهِ فِي قِلَّةِ النِّفْقَةِ.

ثُمَّ خَتَمَ -سُبْحَانَهُ- الآيَةَ بِبَيَانِ القَاعِدَةِ العَامَّةِ فِي شَرِيْعَتِهِ الَّتِي يَقْتَضِيهَا رَحْمَتُهُ، وَهِيَ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ نَفْسًا بِأَكْثَرِ مِمَّا أُعْطَاهَا وَوَعَدَ أَنَّهُ سَيُعَيِّرُ الحَالَ مِنَ العُسْرِ إِلَى اليُسْرِ، فَلِلَّهِ الحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الآيَتَيْنِ:

١- وَجُوبُ إِسْكَانِ الْمُطَلَّقةِ حَيْثُ سَكَنَ زَوْجُهَا.

- ٢- أن ذَلِكَ بِحَسَبِ حَالِ الزَّوْجِ.
- ٣- تَحْرِيمُ مُضَارَّتِهِنَّ بِالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِنَّ حَالَ السُّكْنَى.
- ٤- عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ.
- ٥- وَجُوبُ إِئْتِاقِ الزَّوْجِ عَلَى مُطَلَّقَتِهِ إِنْ كَانَتْ حَامِلًا، وَهَذَا فِي الْبَائِنِ، أَمَّا الرَّجْعِيَّةُ فَيَجِبُ الْإِنْفَاقُ عَلَيْهَا بِكُلِّ حَالٍ.
- ٦- وَجُوبُ أَجْرَةِ الرَّضَاعِ لَهَا إِذَا قَامَتْ بِإِرْضَاعِ الطِّفْلِ.
- ٧- اخْتِصَاصُ الْأَبِ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى وَلَدِهِ.
- ٨- الْأَمْرُ بِالتَّشَاوُرِ فِي تَحْدِيدِ أَجْرَةِ الرَّضَاعِ بِالْمَعْرُوفِ.
- ٩- أَنَّ الْمُطَلَّقةَ إِذَا وَضَعَتْ لَا يَلْزَمُهَا إِرْضَاعُ طِفْلِهَا، وَمَحَلُّ ذَلِكَ مَا لَمْ يَضْطَرَّ إِلَيْهَا.
- ١٠- أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَتَّفِقِ الْأَبُ وَالْمُطَلَّقةُ عَلَى الْإِرْضَاعِ أَرْضَعَتْهُ امْرَأَةٌ أُخْرَى.
- ١١- وَعَدُّ اللَّهِ تَعَالَى بِتَيْسِيرِ مُرْضِعَةِ هَذَا الطِّفْلِ.
- ١٢- الْإِشَارَةُ إِلَى تَفْضِيلِ لَبَنِ الْأُمِّ، ثُمَّ لَبَنِ أَدَمِيَّةٍ أُخْرَى، خِلَافًا لِمَا يَسْلُكُهُ بَعْضُ الْمُتَرْفِينِ.
- ١٣- أَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي الْإِنْفَاقِ حَالِ الزَّوْجِ، فَعَلَى الْغَنِيِّ نَفَقَةٌ غَنِيٌّ، وَعَلَى الْفَقِيرِ نَفَقَةٌ فَاقِيرٌ وَلَا عِبْرَةَ بِحَالِ الزَّوْجَةِ.
- ١٤- الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ فِي رَبْطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِعِلَلِهَا.
- ١٥- الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ فِي انْقِسَامِ النَّاسِ إِلَى غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ.

- ١٦- رَفَعُ اللهُ تَعَالَى الْحَرْجَ عَنِ عِبَادِهِ، حَيْثُ لَمْ يُكَلِّفْهُمْ بِهَا لَا يَسْتَطِيعُونَ.
- ١٧- أَنْ مَنْ قَامَ بِهَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ أَبَدَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِالْعُسْرِ يُسْرًا.
- ١٨- أَنْ مَقَالِيدَ الْأُمُورِ بِيَدِ اللهِ تَعَالَى.

النوع الثاني

الآية الأولى إلى السابعة:

٤٦٣-٤٦٨- ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بُدِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِنَّمَا تَعْرِضَنَّهُمْ لِيَتَّعَىٰ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْلُوبُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَاقٍ تَنحَنُ نَزْفُهُمْ وَإِنَّا لَكُمُ إِذَا قُلْتُمْ إِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٢٦-٣١].

النوع الثاني: أي: من أنواع النفقة، ويتضمن نفقة الأقارب والمماليك.

تفسير الآيات رقم ٤٦٣-٤٦٨:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَتِذَا﴾: أعط، والخطاب موجه لكل من يصح خطابه.

﴿ذَا الْقُرْبَى﴾: صاحب القرابة.

﴿حَقَّهُ﴾: واجبه عليك.

﴿وَالْمِسْكِينَ﴾: الفقير.

﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: المسافر الذي انقطع به السفر.

﴿السَّبِيلِ﴾: الطريق، سُمي المسافر ابناً له؛ لأنه ملازم له.

﴿وَلَا تُبَدِّرْ﴾: لَا تُبَدِّدِ الْمَالَ بِغَيْرِ وَجْهِهِ.

﴿تَبْذِيرًا﴾: مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لِلتَّبْذِيرِ.

﴿كَانُوا﴾: فِعْلٌ بِصِيغَةِ الْمَاضِي، وَالْمُرَادُ بِهِ الْحَدِيثُ دُونَ مُمْلَا حَظَّةِ الزَّمَنِ.

﴿إِخْوَانَ﴾: أَشْبَاهَهُ.

﴿الشَّيَاطِينَ﴾: جَمْعُ شَيْطَانٍ، وَهُمْ: مَرَدَّةُ الْجِنِّ.

﴿لِرَبِّهِ﴾: لِخَالِقِهِ وَمُدَبِّرِهِ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿كُفُورًا﴾: عَظِيمَ الْكُفْرِ.

﴿وَأِمَّا﴾: أَصْلُهُ: إِنْ مَا. فَهُوَ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةُ مُدْغَمَةٌ بِ (مَا) الْمُؤَكَّدَةُ.

﴿تُعْرَضْنَ عَنْهُمْ﴾: تَتَرَكُّنَهُمْ بِدُونِ عَطَاءٍ.

﴿أَتِعَاءَ رَحْمَةٍ﴾: طَلَبَ رَحْمَةٍ.

﴿تَرْجُوهَا﴾: تُؤَمِّلُ حُصُولَهَا.

﴿مَيْسُورًا﴾: ذَا يُسْرٍ لَا عُنْفَ فِيهِ.

﴿مَغْلُولَةً﴾: مُقَيَّدَةً بِالْغُلِّ.

﴿إِلَى عُنُقِكَ﴾: إِلَى رَقَبَتِكَ، وَالْمُرَادُ: لَا تَمْتَنِعْ يَدَكَ عَنِ الْإِنْفَاقِ.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾: لَا تَمُدَّهَا.

﴿كُلُّ أَلْبَسِطٍ﴾: غَايَةَ الْمَدِّ، وَالْمُرَادُ: لَا تُبَالِغْ فِي النَّفَقَةِ.

﴿فَنَقَعْدُ﴾: فَتَبْقَى، وَعَبَّرَ عَنْهُ بِالْقُعُودِ لِعَجْزِ الْبَخِيلِ عَنِ النَّهْوِضِ إِلَى مَقَامِ

الْكُرْمَاءِ، وَعَجْزِ الْمُسْرِفِ عَنِ النَّهْوِضِ إِلَى مَقَامِ الْحُكْمَاءِ.

﴿مَلُومًا﴾: مُؤْتَبَأً لِبُخْلِكَ وَإِسْرَافِكَ.

﴿تَحْسُورًا﴾: مَقْطُوعًا مِنَ الْمَالِ لِإِسْرَافِكَ فِي بَدْلِهِ، وَعَنِ اللُّحُوقِ بِالْكَرْمَاءِ

لِبُخْلِكَ بِهِ.

﴿يَسْطُ﴾: يَوْسَعُ.

﴿الرِّزْقَ﴾: الْعَطَاءَ.

﴿بِعِبَادِهِ﴾: جَمْعُ عَبْدٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: الْمُتَدَلِّلُ لِحُكْمِ اللَّهِ الْكَوْنِيِّ، فَهِيَ الْعُبُودِيَّةُ

الْعَامَّةُ.

﴿خَيْرًا﴾: عَالِمًا بِبِوَاتِنِ أُمُورِهِمْ.

﴿بَصِيرًا﴾: مُبْصِرًا لِأَفْعَالِهِمْ.

﴿أَوْلَادِكُمْ﴾: جَمْعٌ وَلَدٍ بِمَعْنَى مَوْلُودٍ، وَيَشْمَلُ الْابْنَ وَالْبِنْتَ.

﴿خَشِيَّةَ﴾: خَوْفَ، مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ.

﴿إِمْلَاقٍ﴾: فَقْرٍ.

﴿تَرْزُقُهُمْ﴾: نَعُطِيهِمْ.

﴿خِطَاةً﴾: إِثْمًا.

﴿كَبِيرًا﴾: عَظِيمًا.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

فِي الْآيَةِ الْأُولَى يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ أَنْ يَقُومَ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقُوقِ

الْقُرْبَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ، وَيَنْهَى أَنْ يَتَخَبَّطَ فِي ذَلِكَ فَيُعْطَى مِنْ هُنَا وَهَنَّا

بدون تأملٍ ولا نظرٍ هل وقع الإيتاء موقعه؛ لأن ذلك تبذيرٌ.

وفي الآية الثانية يُحذّرُ اللهُ تعالى من التبذير، مُبينًا أنه يلحقُ صاحبه بمماثلةِ الشياطين لما فيه من السفه والخروج عن الاستقامة وكفر النعمة بسوء التصرف بها.

وفي الآية الثالثة يأمرُ اللهُ تعالى بالقولِ الميسورِ إذا أعرَضَ الإنسان عن إتيان هؤلاء لسببٍ يرجو به رحمةَ ربه فلا يجمعُ لهم بين الحرمانِ وغلظِ القول، فلو طلبَ القريبُ مالا ليستعين به على معصيةِ الله فلا يُعطيه، ولكن يقولُ له قولًا ميسورًا، وكذلك لو علمَ أن الفقيرَ وابن السبيلِ يسألانِ الناسَ أموالَهُم تكثرًا ولم يُعطهما فليقلُ هُم قولًا ميسورًا. وليبدلِ النصيحةَ للجميع.

وفي الآية الرابعة يُرشدُ اللهُ تعالى إلى ما ينبغي أن يكونَ عليه الإنفاقُ فينهي عن طرفينِ مذمومينِ هما: البخلُ والإسرافُ، ويبيِّنُ سوءَ عاقبتيهما أن الإنسانَ يقعُ في اللومِ والانقطاع.

وفي الآية الخامسة يبيِّنُ اللهُ تعالى كمالَ ربوبيّته، وأن أمورَ العبادِ بيده، فمنهم من يوسعُ له في رزقه، ومنهم من يضيقُ عليه حسبَ ما تقتضيه حكمتُه، فهو -سبحانه- البصيرُ بعباده، العليمُ ببواطنِ أمورِهِم فليس البخلُ السببُ لزيادةِ المالِ، ولا الإنفاقُ بالعدلِ السببُ لضيقه.

وفي الآية السادسة ينهى اللهُ تعالى عن قتلِ البينينِ والبناتِ خوفًا من الفقرِ على ما كانوا يفعلونه في الجاهلية خوفًا من ذلك، فالقيدُ لحكايةِ الواقعِ وليس شرطًا في الحكمِ ويبيِّنُ أن الرزقَ ليس على الآباءِ، ولكنه -سبحانه- هو الذي يرزقُهُم

وَيَرْزُقُ الْآبَاءَ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود:٦]. فلا مُسَوِّغَ لِقَتْلِهِمْ حِينَئِذٍ إِلَّا الْجَهْلُ وَالظُّلْمُ، ثُمَّ يَحْتَمُ الْآيَةُ بَيَانِ أَنْ قَتْلَهُمْ إِثْمٌ كَبِيرٌ يَجِبُ الْحَذَرُ مِنْهُ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- وَجُوبُ الْقِيَامِ بِحَقِّ الْقَرِيبِ، وَمَنْهُ الْإِنْفَاقُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ.
- ٢- وَجُوبُ الْقِيَامِ بِحَقِّ الْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ بِدَفْعِ ضَرُورَتَيْهِمَا.
- ٣- وَجُوبُ اتِّبَاعِ الْحِكْمَةِ فِي بَدَلِ الْمَالِ وَالتَّصَرُّفِ فِيهِ.
- ٤- تَحْرِيمُ التَّبَذِيرِ فِي صَرْفِ الْمَالِ.
- ٥- التَّحْذِيرُ مِنْهُ بَيَانِ أَنَّ الْمُبْذِرِينَ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ.
- ٦- أَنَّ مِنْ طَبِيعَةِ الشَّيْطَانِ الْكُفْرَ بِرَبِّهِ.
- ٧- جَوَازُ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْقَرِيبِ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ لَطَلْبِ مَا فِيهِ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ.
- ٨- فِي حَالِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ بِذَلِكَ يَقُولُ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا.
- ٩- تَحْرِيمُ الْبُخْلِ وَالْإِسْرَافِ فِي بَدَلِ الْمَالِ.
- ١٠- أَنَّ الْبُخْلَ وَالْإِسْرَافَ سَبَبَانِ لِلْوَمِّ وَالْأَنْحِسَارِ.
- ١١- كَمَا أَنَّ رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى بِتَصَرُّفِهِ كَمَا يَشَاءُ بِخَلْقِهِ.
- ١٢- أَنَّ مَقَادِيرَ الْأَرْزَاقِ بِيَدِهِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ.
- ١٣- أَنَّ الْبُخْلَ لَيْسَ هُوَ السَّبَبُ لِكَثْرَةِ الْمَالِ.

- ١٤- أن الإنفاق حسب الشرع ليس هو السبب لقلّة المال.
- ١٥- أن الخلق عبيد لله تعالى.
- ١٦- أن الله تعالى بصيرٌ بهم، عليهم بيّواطنِ أمورهم.
- ١٧- تحريم قتل الأولاد البينين والبنات.
- ١٨- أن حرمة النفس أعظم من حرمة المال.
- ١٩- أن قتل الأولاد لحوف الفقر جهل وظلم؛ لأن رزقهم ورزق آبائهم على الله تعالى.
- ٢٠- أن قتلهم من كبائر الذنوب.

الآية السابعة إلى العادية عشرة:

٤٦٩-٤٧٢- ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
 الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
 بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا
 فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
 رِشَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا
 ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ
 عَلِيمًا ﴿النساء: ٣٦-٣٩﴾.

تفسير الآيات رقم ٤٦٩ - ٤٧٢:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: تَذَلَّلُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ حُبَّةً وَتَعْظِيمًا.

﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ﴾: لَا تَجْعَلُوا مَعَهُ شَرِيكًا فِي الْعِبَادَةِ.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾: الْأُمُّ وَالْأَبُ، وَمُتَعَلِّقُ الْجَارِ مَحْدُوفٌ تَقْدِيرُهُ: أَحْسِنُوا.

﴿إِحْسَانًا﴾: بِرًّا، بِالْمَالِ وَالْبَدَنِ.

﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: وَبِصَاحِبِ الْقَرَابَةِ، وَهُوَ وَمَا بَعْدَهُ مَعْطُوفٌ عَلَى

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾، أَي: وَأَحْسِنُوا بِذِي الْقُرْبَىٰ... إلخ.

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: جَمْعُ يَتِيمٍ، وَهُوَ مَنْ مَاتَ أَبُوهُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: جَمْعُ مَسْكِينٍ، وَهُوَ مَنْ لَا يَجِدُ نَفَقَةً تَكْفِيهِ وَعَائِلَتِهِ.

﴿وَالْجَارِ﴾: الْقَرِيبُ مِنْكَ فِي الْمَسْكَنِ.

﴿ذِي الْقُرْبَى﴾: صَاحِبِ الْقَرَابَةِ.

﴿الْجُنْبِ﴾: الْبَعِيدِ الَّذِي لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ.

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾: الْمَصَاحِبُ الَّذِي يَكُونُ إِلَى جَنْبِكَ كَالصَّدِيقِ

وَالرَّفِيقِ فِي السَّفَرِ.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ (٤٦٣).

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: مَا مَلَكَتُمُوهُ مِنْ إِنْسَانٍ أَوْ بَهِيمَةٍ، وَأَصَافَ الْمَلِكَ

إِلَى الْيَمِينِ؛ لِأَنَّهَا الْأَخَذُ وَالْعَطَاءُ.

﴿كَانَ﴾: فِعْلٌ نَاسِخٌ مَسْلُوبٌ الدَّلَالَةُ عَلَى الزَّمَنِ هُنَا، إِذِ الْمُرَادُ بِهِ بَيَانُ

اتِّصَافِ الْمُبْتَدَأِ بِالْخَبَرِ.

﴿مُخْتَالًا﴾: مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ لِتَخَيُّلِهِ كَمَا لَا فِيهَا.

﴿فَخُورًا﴾: مَا دَحَا نَفْسَهُ تَرْفَعًا عَلَى غَيْرِهِ، فَالِاخْتِيَالُ بِالنَّفْسِ وَالْفَخْرُ

بِاللِّسَانِ.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾: يُمَسِّكُونَ عَنِ بَدْلِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ بَدْلُهُ مِنْ مَالٍ أَوْ غَيْرِهِ،

وَالْمَوْصُولُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُحذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: هُمُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ، وَجَاءَ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ

مِرَاعَاةً لِمَعْنَى (مَنْ).

﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ﴾: يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ.

﴿وَيَكْتُمُونَ﴾: يُخْفُونَ.

﴿ءَاتَاهُمُ اللَّهُ﴾: أَعْطَاهُمْ.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: مِنْ عَطَائِهِ الْمُتَفَضَّلِ بِهِ عَلَيْهِمْ.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: هَيَّأْنَا.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: لِلجَّاحِدِينَ، شَرَعَ اللهُ بِتَكْذِيبِهِ أَوْ كِتْمَانِهِ أَوْ الِاسْتِكْبَارِ عَنْهُ،

وهو اسمٌ ظاهرٌ في موضعِ الضميرِ.

﴿عَذَابًا﴾: عِقَابًا.

﴿مُهِينًا﴾: مُوقِعًا فِي الْهَوَانِ وَالذُّلِّ.

﴿يُنْفِقُونَ﴾: يَبْذُلُونَ.

﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾: لِأَجْلِ رُؤْيَا النَّاسِ لَهُمْ لِيَمْدَحُوهُمْ، وَنُصِبَ عَلَى أَنَّهُ

مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ.

﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: لَا يُصَدِّقُونَ تَصَدِيقًا يَحْمِلُهُمْ عَلَى الْقَبُولِ وَالْإِثْقَادِ.

﴿بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَصِفَ بِذَلِكَ لِتَأْخُرِهِ وَلَا يَوْمَ بَعْدَهُ، وَخُصَّ

بِالذِّكْرِ مَعَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يَوْمُ الْجَزَاءِ الْحَامِلِ عَلَى الْعَمَلِ.

﴿الشَّيْطَانُ﴾: إِبْلِيسُ، مُشْتَقٌّ مِنْ شَطَنَ إِذَا بَعَدَ لِبُعْدِهِ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ بِلَعْنِهِ، هُوَ

أَبُو الْجَنِّ وَليْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، خُلِقَ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، فَفَسَقَ عَنْ

أَمْرِ رَبِّهِ، وَخَضَعَتِ الْمَلَائِكَةُ لِأَمْرِ اللهِ.

﴿قَرِينًا﴾: صَاحِبًا مُلَازِمًا.

﴿فَسَاءَ﴾: فِعْلٌ ذَمٌّ قُرِنَ بِالْفَاءِ لَوْقُوعِهِ جَوَابًا لِلشَّرْطِ، وَفَاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ مُفَسَّرٌ
بِالتَّمْيِيزِ (قَرِينًا)، وَالْمَخْصُوصُ مُحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: هُوَ.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾: مَا الَّذِي عَلَيْهِمْ. وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ.

﴿لَوْ آمَنُوا﴾: لَوْ مَصْدَرِيَّةٌ فِيحْوَلٌ مَا بَعْدَهَا إِلَى مَصْدَرٍ مَجْرُورٍ بـ(في)،
والتَّقْدِيرُ: وَمَاذَا عَلَيْهِمْ فِي إِيمَانِهِمْ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ شَرْطِيَّةً حُذِفَ جَوَابُهَا لِلدَّلَالَةِ
مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنْ لَوْ الْمَصْدَرِيَّةُ لَا تَقَعُ غَالِبًا إِلَّا بَعْدَ مَا يُفِيدُ التَّمْنِيَّ.

﴿رَزَقَهُمْ﴾: أَعْطَاهُمْ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾: فِعْلٌ نَاسِخٌ مَسْلُوبٌ الدَّلَالَةُ عَلَى الزَّمَانِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ؛ لِأَنَّ
الْمُرَادَ إِثْبَاتَ خَبَرِهَا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ دَائِمٍ لَا فِي الْمَاضِي فَقَطْ.

﴿بِهِمْ عَلِيمًا﴾: أَي: وَبَغَيْرِهِمْ، وَجَاءَ بِصِغَةِ الْحَضَرِ لَزِيَادَةِ تَحذِيرِهِمْ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

فِي الْآيَةِ الْأُولَى يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنْ يَعْبُدُوهُ عَلَى وَجْهِ الْإِخْلَاصِ لَهُ
فَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا لَا نَبِيًّا وَلَا وَلِيًّا وَلَا مَلَكًا وَلَا زَعِيمًا وَلَا مَنْ دُونَهُمْ؛ لِأَنَّهُ وَحْدَهُ
الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، كَمَا أَنَّهُ وَحْدَهُ الرَّبُّ الْخَالِقُ الْكَامِلُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَيَأْمُرُ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى مُسْتَحَقِّهِ مِنَ الْوَالِدِينَ، وَالْقَرَابَاتِ، وَالْأَيْتَامِ،
وَالْفُقَرَاءِ، وَالْجِيرَانِ الْأَقْرَابِ أَوْ الْأَبْعَادِ، وَالْأَصْحَابِ، وَالْمَسَافِرِينَ، وَالْمَمْلُوكِينَ
مِنَ الْآدَمِيِّينَ وَالْبَهَائِمِ.

وَيُحْتَمَلُ الْآيَةُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّحذِيرِ مِنَ التَّعَاطُفِ بِالْقَلْبِ وَالْقَوْلِ، حَيْثُ يَبَيِّنُ أَنَّهُ
لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا.

وفي الآية الثانية والثالثة يبين الله تعالى من صفات من لا يحبهم بأنهم في الإنفاق على طرفي نقيض كلاهما مذموم:

أحدهما: أهل البخل الذين اتخذوه طريقا، ودعوا الناس إليه وأظهروا أنفسهم مظهر الفقراء، فأخفوا بأقوالهم وتصرفاتهم ما أعطاهم الله من فضله لئلا يتعلت الناس بهم، ويحتم الآية بالتحذير مما أعدّه للكافرين من العذاب المهين.

الثاني: أهل الإسراف والرياء الذين يُنفقون أموالهم مُراءاة للناس لا إخلاصا لله تعالى ولا ترقبا لثوابه؛ لأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولكن كان الشيطان لهم قريبا يأمرهم بما فيه شقاؤهم وضياع أموالهم ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾.

وفي الآية الرابعة يوبخهم الله تعالى على ترك الإيمان به وباليوم الآخر والإنفاق مما رزقهم، فأى شيء عليهم في ذلك؟ لا شيء عليهم، بل لهم الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

ويحتم الله تعالى الآية بما فيه تحذيرهم حيث بين إحاطته بهم علما، فيجازيهم على أعمالهم بما تقتضيه حكمته البالغة.

ج- من فوائد الآيات:

- ١- وجوب عبادة الله تعالى.
- ٢- تحريم الشرك به.
- ٣- وجوب الإحسان إلى الوالدين والأقارب، ومن الإحسان إليهم القيام بما يحتاجونه من النفقة، وهذه محل الاستشهاد بالآيات.

- ٤- وَجُوبُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَمَنْ ذُكِرَ بَعْدَهُمْ.
- ٥- وَجُوبُ نَفَقَةِ الْمَمْلُوكِ مِنَ الْأَدَمِيِّينَ وَالْبَهَائِمِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْإِحْسَانِ.
- ٦- أَنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُخْتَالَ الْفُخُورَ.
- ٧- تَحْرِيمُ الْخِيَلِ وَالْفَخْرِ.
- ٨- إِثْبَاتُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ، وَإِلَّا لَمَا كَانَ فَائِدَةً لِنَفْيِ الْمَحَبَّةِ عَنِ الْمُخْتَالِ الْفُخُورِ.
- ٩- جَوَازُ التَّحَدُّثِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ خِيَلَاءٍ وَلَا فَخْرٍ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].
- ١٠- ذَمُّ الْبُخْلِ.
- ١١- ذَمُّ أَمْرِ النَّاسِ بِهِ.
- ١٢- ذَمُّ كَيْفَانِ مَا تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْعَبْدِ.
- ١٣- أَنَّ الْبُخْلَ وَالْأَمْرَ بِهِ وَكَيْفَانِ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَعْمَالِ الْكَافِرِينَ.
- ١٤- إِثْبَاتُ الْجَزَاءِ وَالْعِقَابِ.
- ١٥- أَنَّ أَصْحَابَ الْخِيَلِ وَالْفَخْرِ يُهَانُونَ بِالْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ١٦- تَحْرِيمُ الْإِنْفَاقِ رِيَاءً وَسُمْعَةً.
- ١٧- أَنَّ ذَلِكَ مُقَارِنٌ لِانْتِفَاءِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَوْ تَقْصِيهِ.
- ١٨- أَنَّ الْمُرَاةَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ حَيْثُ يَقْتَرِنُ بِالْإِنْسَانِ.
- ١٩- الْحَثُّ عَلَى الْاسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ.

- ٢٠- تَوْبِيخُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ.
٢١- الإِشَارَةُ إِلَى بِلَاهَتِهِ وَسَفْهِهِ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمْ مَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّيرِ.
٢٢- تَهْدِيدُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ وَيُنْفِقْ.
٢٣- ثُبُوتُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى.
٢٤- أَنَّ الْبُخْلَ بِهَا أَمَرَ اللَّهُ بِإِنْفَاقِهِ لَا وَجْهَ لَهُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَفَضِّلُ بِهِ.

مِنْ آيَاتِ الْحَضَانَةِ

الآية الأولى إلى السادسة:

٤٧٣-٤٧٧- ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ
 ٣٣ ذُرِّيَّةً بَعْضُهُا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ
 لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
 وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا
 لَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
 وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا
 قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٧].

مِنْ آيَاتِ الْحَضَانَةِ

الحَضَانَةُ لُغَةً: اسْمُ مَصْدَرٍ، حَضَنَ الشَّيْءَ إِذَا جَعَلَهُ فِي حُضْنِهِ، وَالْحُضْنُ: الصَّدْرُ وَالْعَضْدَانِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَأَصْطِلَاحًا: حِفْظُ الْقُصَارِ عَمَّا يَضُرُّهُمْ وَالْقِيَامُ بِمَصَالِحِهِمْ، وَهِيَ وَاجِبَةٌ؛ لِأَنَّهَا مِنَ الرَّعَايَةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري: كتاب العتق، باب كراهية التناول على الرقيق، رقم (٢٥٥٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم (١٨٢٩).

وأولى الناس بها الأمُّ ثم الأب، واختلف العلماء في ترتيب الأُولَى اختلافاً كثيراً، وأقرب الأقوال في ذلك ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -، وقد نظّم في هذين البيتين:

وَقَدَّمَ الْأَقْرَبَ ثُمَّ الْأُنثَى وَإِنْ يَكُونَا ذَكَرًا أَوْ أُنثَى
فَأَقْرَبُ عَنِ فِي جِهَةٍ وَقَدَّمَ أَبُوَّةٌ إِنْ لَجِهَاتٍ تَنْتَمِي

وحاصلها أنه يُقدّم الأقرب سواء كان من جهة الأمِّ أم من جهة الأب، فيقدّم الأب على أمِّ الأمِّ فإن تساووا في القرب وكان أحدهما ذكراً والآخر أنثى قدّمت الأنثى فتقدّم الأمُّ على الأب، وإن تساووا في القرب وكانوا إناثاً أو ذكوراً في جهة واحدة أقرع بينهما، فيقرع بين العمين وكذلك بين العمّتين، ويقرع بين الحالين، وكذلك بين الحالّتين، والأظهر تقديم من يدي بأبوين، فيقدّم العمُّ الشقيق والحال الشقيق على الذي من الأب.

وإن تساووا في القرب وكانوا إناثاً أو ذكوراً في جهتين قدّم من في جهة الأب، فيقدّم العمُّ على الحال، وكذلك العمّة على الحالّة.

قال ابن القيم^(١): «فهذا الضابطُ يُمكنُ به حصرُ جميعِ مسائلِ هذا البابِ وجريها على القياسِ الشرعيِّ، واطّرادها وموافقتها لأصولِ الشرعِ، مع كونه مقتضى الدليل، وسلامته من التناقض».

ويشترط في الحاضن ستة شروط:

١ - التكليف بأن يكون بالغاً عاقلاً؛ لأن من دون ذلك يحتاج لمن يحضنه.

- ٢- الحرّية؛ لأن الرقيق مشغول لسيدّه.
- ٣- الإسلام إن كان المحضون مسلمًا؛ لأنه لا ولاية لكافرٍ على مسلمٍ.
- ٤- العدالة؛ لأن الفاسق غير مأمونٍ على الولاية.
- ٥- القدرة على القيام بواجب الحضانة؛ لأن العاجز لا يفيد.
- ٦- قيامه بواجب الحضانة؛ لأن مقصود الحضانة يفوت بتفريط المهمل، ولهذا كان من القواعد في هذا الباب أن المحضون لا يقرب بيد من لا يصونه ويصلحه.

تفسير الآيات رقم ٤٧٣ - ٤٧٧؛

أ- تفسير الكلمات:

﴿اصْطَفَى﴾: اختار.

﴿ءَادَمَ﴾: أبا البشر خلقه الله تعالى بيده من تراب، جعله طينًا حتى صار صلصالًا كالفخار، فسواه بشرًا سويًا، وعلمه أسماء كل شيء، وأمر الملائكة فسجدوا له وأسكنه وزوجه حواء الجنة ثم أهبطهما إلى الأرض بما جرى منهما من الأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن قربها لحكمة بالغة، فبث الله تعالى منهما ذريتهما في الأرض رجالًا كثيرًا ونساءً وجعل منهم الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، وأوحى إليه من الشريعة ما به الصلاح.

﴿وَنُوحًا﴾: الأب الثاني للبشر، وأول رسول بعثه الله تعالى إلى بني آدم حين اختلف الناس بعد آدم، وكان بينهما عشرة قرون، بقي في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى دين الله تعالى، فلم يزدتهم ذلك إلا فرارًا، فأوحى الله تعالى إليه

أَنْ يَصْنَعَ سَفِينَةً عَظِيمَةً يَحْمِلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ
وَكَانُوا قَلِيلًا، فَلَمَّا أَدْنَى اللَّهُ تَعَالَى بِهَلَاكِ قَوْمِهِ فَتَحَ أَبْوَابَ السَّمَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
بِالْمَطَرِ الْعَزِيزِ، وَفَجَّرَ الْأَرْضَ عُيُونًا حَتَّى فَارَ التَّنُورُ، فَالْتَقَتْ مِيَاهُ السَّمَاءِ بِمِيَاهِ
الْأَرْضِ حَتَّى عَلَا الْمَاءُ قِمَمَ الْجِبَالِ وَهَلَكَ النَّاسُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نُوحٌ وَأَصْحَابُ
السَّفِينَةِ، وَلَمْ يَكُنْ نَسْلُ لِبَنِي آدَمَ إِلَّا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ
الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿﴾ [الصفات: ٧٧-٧٩]

﴿وَأَلِ إِبْرَاهِيمَ﴾: أَهْلُ بَيْتِهِ، وَإِبْرَاهِيمُ هُوَ: ابْنُ آزَرَ وَأَحَدُ الْحَلِيلَيْنِ وَأَفْضَلُ
أَوْلِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، تَزَوَّجَ سَارَةَ وَوُلِدَ لَهُ
مِنْهَا إِسْحَاقُ أَبُو يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبُ هُوَ إِسْرَائِيلُ أَبُو بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَتَسْرَى هَاجَرَ فَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا ابْنُهُ الْأَكْبَرُ إِسْمَاعِيلُ أَبُو الْعَرَبِ الَّذِينَ مِنْهُمْ
خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَفْضَلُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَأَسْكَنَهُ هُوَ وَأُمُّهُ أَرْضَ مَكَّةَ، وَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ
السَّعْيُ ابْتَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بَيْلَاءَ مُبِينٍ حَيْثُ أَمَرَهُ بِذَبْحِهِ فَاثْتَمَلَ أَمْرَ رَبِّهِ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ
مِنَ الْمَحَبَّةِ الْعَظِيمَةِ هَذَا الْابْنِ الْوَحِيدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمْنَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾
وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقَتْ الرُّبِّيَّةُ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ إِنَّ هَذَا
هُوَ الْبَلْتَوُ الْمُبِينُ ﴿﴾ [الصفات: ١٠٣-١٠٦].

أَرْسَلَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَهْلِ بَابِلَ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ فَكَسَّرَهَا فَجَعَلَهَا
جُذَاءً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ، فَأَضْرَمُوا لَهُ النَّارَ لِيُحَرِّقُوهُ فِيهَا انْتِصَارًا لِأَهْلِهِمْ، وَلَمَّا أَلْقَوْهُ
فِيهَا قَالَ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ
إِبْرَاهِيمَ ﴿﴾ [الأنبياء: ٦٩] فَأَنْجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ وَأَبْطَلَ كَيْدَ الْكَافِرِينَ، فَكَانُوا هُمُ
الْأَخْسَرِينَ الْأَسْفَلِينَ.

وَأَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَهْلِ حَرَّانَ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالْقَمَرَ وَالشَّمْسَ
فَحَاجَّهُمْ فِي عِبَادَتِهَا، وَبَيَّنَ لَهُمْ بُطْلَانَهَا، فَكَانَتْ لَهُ الْحُجَّةُ عَلَيْهِم بِالْبَرَاهِينِ
الْقَاطِعَةِ، وَأَعْلَنَ أَنَّهُ لَا يَعْْبَأُ بِهَذِهِ الْأَهْثَةِ وَلَا يَخَافُهَا تَحْدِيًّا لَهُمْ وَإِظْهَارًا لِقُوَّتِهِ فِي دِينِهِ،
ثَوَّقَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَلَدَةِ الْحَلِيلِ فِي فَلَسْطِينَ لَكِن لَا يُعْلَمُ مَكَانُ قَبْرِهِ فِيهَا
عَلَى التَّعْيِينِ.

﴿وَأَلَّ عِمْرَانَ﴾: أَهْلُ بَيْتِهِ، وَعِمْرَانُ الْمُرَادُ بِهِ: أَبُو مَرْيَمَ يُؤَيِّدُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ

قَالَتْ أَمْرَأْتُ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران: ٣٥].

﴿الْعَلَمِينَ﴾: بَقِيَّةُ الْخَلْقِ.

﴿ذُرِّيَّةٌ﴾: فِعْلِيَّةٌ مِنْ ذَرَأَ بِمَعْنَى: خَلَقَ، قُلِبَتْ هَمْزُهُ يَاءً لِلتَّخْفِيفِ، قَالَ فِي

الْقَامُوسِ: الذُّرِّيَّةُ مُثَلَّثَةُ النَّسْلِ الثَّقَلَيْنِ اه^(١). وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْبَدَلِ أَوْ الْحَالِ مِنْ
آلِ.

﴿إِذْ قَالَتْ﴾: مَنْصُوبٌ بِمَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: اذْكُرْ.

﴿أَمْرَأْتُ عِمْرَانَ﴾: زَوْجَ عِمْرَانَ.

﴿نَذَرْتُ﴾: أَوْجَبْتُ.

﴿لَكَ﴾: اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ فَتُفِيدُ الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ.

﴿مَا فِي بَطْنِي﴾: أَي: الْحَمْلُ.

﴿مُحَرَّرًا﴾: مُخْلِصًا مِنْ اسْتِخْدَامِهِ فِي غَيْرِ مَا نَذَرْتُهُ لَكَ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى

الْحَالِ مِنْ ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾.

(١) القاموس المحيط مادة (ذراً).

﴿فَتَقَبَّلَ﴾: فَخَذُ عَلَى وَجْهِ الرِّضَاءِ.

﴿إِنَّكَ...﴾ الخ: الْجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِطَلْبِ الْقَبُولِ.

﴿فَلَمَّا وَصَعَتْهَا﴾: الضَّمِيرُ الظَّاهِرُ لِلْحَمَلِ الَّذِي فِي بَطْنِهَا، وَأَنْتَ بَاعْتِبَارِ الْوَاقِعِ حَيْثُ ظَهَرَ أَنْثَى.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾: اسْمٌ تَفْضِيلِي، أَي: أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ.

﴿بِمَا وَصَعَتْ﴾: بِسُكُونِ التَّاءِ، وَعَلَيْهِ تَكُونُ جُمْلَةٌ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَعَتْ﴾ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَبِضْمِ التَّاءِ وَعَلَيْهِ تَكُونُ الْجُمْلَةُ مِنْ كَلَامِهَا.

وَعَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ فَائِدَةُ الْجُمْلَةِ تَفْخِيمُ شَأْنِ مَا وَصَعَتْ وَبَيَانُ أَنْ قَوْلِهَا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَصَعْتُهَا أَنْثَى﴾ لِلْإِعْتِدَارِ لَا لِلْإِعْلَامِ.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾: أَي لَا يُشْبِهُهَا فِي الْخِلْقَةِ وَالْجِبْلَةِ، فَهِيَ أَنْقَصُ مِنْهُ، وَالْجُمْلَةُ مِنْ تِمَّةِ الْإِعْتِدَارِ.

﴿سَمَّيْتُهَا﴾: جَعَلْتِ اسْمَهَا، وَالاسْمُ مِنَ السِّمَةِ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ؛ لِأَنَّهُ عِلْمٌ عَلَى مُسَمَّاهُ.

﴿مَرِيَمَ﴾: قِيلَ إِنْ مَعْنَاهَا فِي لُغَتِهِمْ: الْعَابِدَةُ.

﴿أُعِيدُهَا﴾: أَسْأَلُ لَهَا الْعَوْدَ وَهُوَ الْعِصْمَةُ.

﴿وَوَدُّرَيْتَهَا﴾: نَسَلُهَا.

﴿الشَّيْطَانِ﴾: مَنْ شَطَنَ إِذَا بَعُدَ، لِبُعْدِهِ عَنِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَ(ال) فِيهِ لِلْجِنْسِ.

﴿الرَّجِيمِ﴾: من الرِّجْمِ، وهو الرَّمْيُ بِالْحِجَارَةِ، أي مَطْرُودٌ أَشَدَّ الطَّرْدِ، كَالَّذِي يُرْمَى بِالْحِجَارَةِ.

﴿فَنَقَّبَلَهَا﴾: رَضِيَهَا. أَوْ اسْتَقْبَلَهَا.

﴿بِقَبُولٍ﴾: مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ قُرِنَتْ بِهِ الْبَاءُ لِلتَّوَكِيدِ، أَي: تَقَبَّلَهَا تَقَبُّلاً.

﴿وَأُنْبِئَهَا﴾: نَبَّأَهَا وَرَبَّأَهَا.

﴿نَبَاتًا﴾: مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ.

﴿حَسَنًا﴾: تَامًّا بِكَامِلِ الْخِلْقَةِ وَالْأَخْلَاقِ.

﴿وَكَفَّلَهَا﴾: جَعَلَ لَهَا كَافِلًا، أَي حَافِظًا قَائِمًا بِمَصَالِحِهَا.

﴿زَكَاةً﴾: أَحَدُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَزَوْجُ أُخْتِ مَرْيَمَ.

﴿كُلَّمَا﴾: أَدَاةُ شَرْطٍ وَتَكَرَّرٍ.

﴿الْمِحْرَابِ﴾: الْمَكَانُ الْمُعَدُّ لِلصَّلَاةِ.

﴿رِزْقًا﴾: طَعَامًا، قِيلَ إِنَّهُ فَآكِهَةٌ فِي غَيْرِ حِينِهَا.

﴿أَنِّي لَأَكْفُرُ﴾: مِنْ أَيْنَ لَكَ.

﴿رِزْقًا﴾: يَعْطِي.

﴿بِعَبْرٍ حِسَابٍ﴾: بِغَيْرِ حَضْرٍ فَلَا حَدَّ لِرِزْقِهِ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

فِي الْآيَةِ الْأُولَى يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ وَنُوحًا الْأَبَّ الثَّانِي لِلْبَشَرِ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَدْخُلُ فِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-

وآلِ عِمْرَانَ، وَيَدْخُلُ فِيهِمْ عِيسَى وَأُمُّهُ مَرْيَمُ، وَهَذَا كَالْتَمَهِيدِ لِمَا سَيُذَكَّرُ مِنْ قِصَّةِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

وفي الآية الثانية يُبَيِّنُ اللهُ - جَلَّ ذِكْرُهُ - أَنَّ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَهَذَا يَشْمَلُ التَّشَابُهَ فِي الدِّينِ وَالِاتِّصَالَ فِي النَّسَبِ، وَيُخْتِمُ الْآيَةَ بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِمَا السَّمِيعُ لِلْأَصْوَاتِ الْمُجِيبِ لِلدَّعَوَاتِ، الْعَلِيمُ بِكُلِّ مَا كَانَ وَمَا هُوَ آتٍ.

وفي الآية الثالثة وما بَعْدَهَا يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى قِصَّةَ زَوْجِ عِمْرَانَ أَبِي مَرْيَمَ حِينَ نَذَرَتْ لَهِ تَعَالَى، أَنْ تَجْعَلَ مَا فِي بَطْنِهَا مُفَرَّغًا لَطَاعَةَ اللهِ تَعَالَى، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: وَلِخِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَسَأَلَتِ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهَا مُتَوَسِّلَةً إِلَيْهِ بِاسْمِهِ السَّمِيعِ وَاسْمِهِ الْعَلِيمِ، وَكَانَتْ تَظُنُّ أَنْ يَكُونَ حَمَلَهَا ذَكَرًا، وَلَكِنَّهُ كَانَ أُنْثَى، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا اعْتَذَرَتْ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِأَنَّهَا وَضَعَتْ أُنْثَى، وَهِيَ أَنْقَصُ مِنَ الذَّكَرِ فَلَنْ يَتِمَّ لَهَا مَا قَصَدَتْهُ فِي نَذْرِهَا وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ، وَمَاذَا سَيَكُونُ مِنْ شَأْنِهَا، وَاخْتَارَتْ لَهَا اسْمَ مَرْيَمَ، وَسَأَلَتِ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَعْصِمَهَا وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهَا فَتَقَبَّلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْمَوْلُودَةَ، وَأَكْمَلَ خَلْقَهَا وَخُلِقَتْهَا، وَهِيَ لَهَا مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَنْ يَقُومُ بِكِفَالَتِهَا هَيَأُهَا لَهَا زَوْجٌ أُخْتِهَا زَكَرِيَّا أَحَدُ الْأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ، وَكَانَتْ عَلَى جَانِبِ كَبِيرٍ مِنَ الْعِبَادَةِ اتَّخَذَتْ مَكَانًا لِلصَّلَاةِ، فَكَانَ رِزْقُهَا يَأْتِيهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى بِدُونِ وَاسِطَةٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، فَكَلَّمَهَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا فَوَجَدَ عِنْدَهَا ذَلِكَ سَأَلَهَا مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا مِنْ يَأْتِيهَا بِهِ مِنَ النَّاسِ، فَتَخَبَّرَهُ بِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَهُوَ اللهُ تَعَالَى الَّذِي لَا حَظَرَ لِرِزْقِهِ بِجَهَةٍ وَلَا عَدَدٍ، فَهُوَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَمَنْ يَتَّقِ اللهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.

ج- من فوائد الآيات:

- ١- بُبُوتُ التَّفَاضُلِ بَيْنَ الخَلْقِ.
- ٢- فَضْلُ آدَمَ وَنُوحَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ.
- ٣- أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَضْطَفِي مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ.
- ٤- أَنَّ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ ذُرِّيَّةٌ مُرْتَبِطَةٌ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ نَسَبًا وَدِينًا.
- ٥- إِثْبَاتُ اسْمِي السَّمِيعِ وَالْعَلِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنْ صِفَةٍ.
- ٦- التَّنْوِيهِ بِفَضْلِ مَرْيَمَ وَأُمَّهَا.
- ٧- الِاعْتِنَاءُ بِالْمَسَاجِدِ.
- ٨- جَوَازُ النَّذْرِ بِالْمَجْهُولِ.
- ٩- أَنَّ المَعْوَلَ فِي طَاعَةِ اللهِ عَلَى القَبُولِ.
- ١٠- التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ فِي الدُّعَاءِ.
- ١١- فَضِيلَةُ امْرَأَةِ عِمْرَانَ بِاعْتِدَارِهَا إِلَى رَبِّهَا حِينَ كَانَ الحَمْلُ أُنْثَى.
- ١٢- إِثْبَاتُ كِمَالِ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى.
- ١٣- عُمُومُ عِلْمِهِ تَعَالَى بِالْجُزْئِيَّاتِ.
- ١٤- بُبُوتُ الفَرْقِ شَرْعًا وَقَدْرًا بَيْنَ الذَّكْرِ وَالْأُنْثَى.
- ١٥- اخْتِيَارُ الاسْمِ الأَكْمَلِ لِلْمَوْلُودِ.
- ١٦- تَسْمِيَةُ المَوْلُودِ حِينَ يُوَلَّدُ.

- ١٧- إِعَادَةُ الْوَالِدِ وَلَكَدُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.
- ١٨- خُطُورَةُ الشَّيْطَانِ عَلَى بَنِي آدَمَ.
- ١٩- أَنَّ الشَّيْطَانَ مَطْرُودٌ مُبَعَدٌ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٢٠- تَفَضُّلُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَرْيَمَ وَأُمَّهَا بِالْقَبُولِ.
- ٢١- كَمَالُ مَرْيَمَ خِلْقَةً وَخُلُقًا.
- ٢٢- تَيْسِيرُ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ يَقُومُ بِحَضَانَتِهَا.
- ٢٣- أَنَّ مِنْ كَمَالِ الْحَضَانَةِ أَنْ يَكُونَ الْحَاضِنُ ذَا كِفَايَةٍ فِي وِلَايَتِهِ، وَهَاتَانِ الْفَائِدَتَانِ مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.
- ٢٤- إِثْبَاتُ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَهِيَ: كُلُّ أَمْرٍ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ يُظْهِرُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدِ مُتَّبِعِي الرَّسُولِ، تَكْرِيماً لَهُ أَوْ تَأْيِيداً لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْكَرَامَةُ مِنْ مُعْجَزَاتِ الرَّسُولِ الْمَتَّبُوعِ.
- ٢٥- إِكْرَامُ اللَّهِ تَعَالَى لِمَرْيَمَ.
- ٢٦- جَوَازُ اتِّخَاذِ مَكَانٍ خَاصٍّ لِلصَّلَاةِ.
- ٢٧- كَمَالُ يَقِينِ مَرْيَمَ.
- ٢٨- إِثْبَاتُ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٢٩- بَيَانُ فَضْلِهِ تَعَالَى بِالرِّزْقِ وَالْعَطَاءِ.
- ٣٠- أَنَّ رِزْقَ اللَّهِ تَعَالَى لَا حَدَّ لَهُ.

من آيات الجنائيات

الآية الأولى والثانية:

٤٧٨-٤٧٩- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٣٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿﴾ [النساء: ٢٩-٣٠].

من آيات الجنائيات

الجنائيات: جمع جنائية، وهي لغة: التعدي. والمراد بها هنا: التعدي على البدن بما يوجب قصاصاً أو مالا.

وهي حرام لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿﴾ [الأعراف: ٣٤].

ولقول النبي ﷺ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ»^(١).

وقد قسم الفقهاء الجنائيات هنا إلى ثلاثة أقسام: عمد، وشبه عمد، وخطأ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم (١٧٤٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارا»، رقم (٦٦).

فَالْعَمْدُ: أَنْ يَقْصِدَ آدَمِيًّا مَعْصُومًا يَعْلَمُهُ كَذَلِكَ فَيَقْتُلُهُ بِشَيْءٍ يُؤَدِّي إِلَى مَوْتِهِ
غَالِبًا.

وَشِبْهُ الْعَمْدِ: أَنْ يَقْصِدَ آدَمِيًّا مَعْصُومًا يَعْلَمُهُ كَذَلِكَ فَيَقْتُلُهُ بِشَيْءٍ لَا يُؤَدِّي
إِلَى مَوْتِهِ غَالِبًا.

وَالْحَطَأُ: أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا يُبَاحُ فِعْلُهُ فَيُصِيبُ آدَمِيًّا مَعْصُومًا.

مِثَالُ الْعَمْدِ: أَنْ يَرْمِيَهُ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ.

وَمِثَالُ شِبْهِ الْعَمْدِ: أَنْ يَرْمِيَهُ بِحَجَرٍ صَغِيرٍ.

وَمِثَالُ الْحَطَأِ: أَنْ يَرْمِيَ صَيْدًا فَيُصِيبُ آدَمِيًّا.

فَفِي الْعَمْدِ الْقِصَاصُ أَوْ الدِّيَةُ الْمُغْلَظَةُ عَلَى الْجَانِيِ وَلَا كَفَّارَةٌ.

وَفِي شِبْهِ الْعَمْدِ الْكَفَّارَةُ عَلَى الْقَاتِلِ وَالدِّيَةُ الْمُغْلَظَةُ عَلَى عَاقِلَتِهِ وَلَا قِصَاصَ.

وَفِي الْحَطَأِ: الْكَفَّارَةُ عَلَى الْقَاتِلِ وَالدِّيَةُ الْمُخَفَّفَةُ عَلَى عَاقِلَتِهِ وَلَا قِصَاصَ.

وَسِيَاتُ شَيْءٍ مِنْ التَّفَاصِيلِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ رَقْمَ ٤٧٨ - ٤٧٩:

أ- تَفْسِيرُ الْكَلِمَاتِ:

﴿ءَامِنُوا﴾: صَدَّقُوا بِمَا يَجِبُ التَّصَدِيقُ بِهِ مَعَ الْقَبُولِ وَالِإِذْعَانَ.

﴿لَا تَأْكُلُوا﴾: لَا تَدَاوُلُوا، وَحَصَّ الْأَكْلَ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَى مَا يُتَّقَعُ فِيهِ بِالْمَالِ.

﴿أَمْوَالِكُمْ﴾: أَمْوَالُ بَعْضِكُمْ مَعَ بَعْضٍ.

﴿بِالْبَاطِلِ﴾: بِالطَّرِيقِ الْبَاطِلِ، وَهُوَ: مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ خِلَافُ الْحَقِّ.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾: أي: مُدَاوِلَتِكُمْ الْأَمْوَالَ بَيْنَكُمْ، وَالْإِسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ فَ(إِلَّا) بِمَعْنَى لَكِنْ.

﴿تَجَرَّةً﴾: مُعَاوَضَةٌ بِالْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ خُصَّتْ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ تَدَاوُلِ الْأَمْوَالِ بِهَا.

﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾: عَنِ اقْتِنَاعٍ وَإِقْرَارٍ مِنَ الطَّرَفَيْنِ.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾: لَا تُهْلِكُوا.

﴿أَنْفُسَكُمْ﴾: أَي: ذَوَاتِكُمْ أَوْ إِخْوَانِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَنْفُسِكُمْ.

﴿كَانَ﴾: فِعْلٌ نَاسِخٌ مُجَرَّدٌ عَنِ الزَّمَانِ هُنَا، وَالغَرَضُ مِنْهُ: تَحْقِيقُ اتِّصَافِ الْأَسْمِ بِالْخَيْرِ.

﴿رَحِيمًا﴾: ذَا رَحْمَةٍ، وَهِيَ: صِفَةٌ كَمَا لِ تَقْتَضِي الْإِحْسَانَ إِلَى الْمَرْحُومِ بِإِيصَالِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ وَدَفْعِ الشَّرِّ عَنْهُ.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي مَا سَبَقَ مِنْ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ وَقَتْلِ الْأَنْفُسِ.

﴿عُدْوَانًا﴾: تَجَاوُزًا إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ عَنْ قَصْدٍ.

﴿وَطُلْمًا﴾: جُورًا بِغَيْرِ حَقٍّ.

﴿نُضْلِيهِ نَارًا﴾: نُمِسُّهُ إِيَّاهَا حَتَّى تَحْرَقَهُ.

﴿ذَلِكَ﴾: أَي إِضْلَاؤُهُ النَّارَ.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾: إِظْهَارٌ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ لِلتَّعْظِيمِ وَغَرَسَ الْمَهَابَةَ فِي الْقُلُوبِ.

﴿يَسِيرًا﴾: سَهْلًا.

ب- المعنى الإجمالي:

في الآية الأولى يُنادي الله تعالى المؤمنين تَنبِيْهَا هُمْ لما يُلقى عليهم وَيُحَاطِبُهُمْ بوصف الإيمان، تَنشِيْطًا هُمْ على قَبُولِ ما يُحَاطِبُهُمْ والتَزَامُهُ، فَيَنْهَاهُمْ عن انْتِهَآكِ الأَمْوَآلِ بَتَدَاوُلِهَا بَيْنَهُمْ على وَجِهٍ لا يُبِيحُهُ الشَّرْعُ كَالرِّبَا والسَّرِقَةِ والغِشِّ والمُقَامَرَةِ وغير ذلك، أما ما يَتَدَاوُلُونَهُ من الأَمْوَآلِ بَيْنَهُمْ على وَجِهٍ المُعَاوَضَةِ الصَّادِرَةِ عن تَرَاضٍ مِنْهُمْ، فلا نَهْيٍ فِيهِ لِدَعَاءِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَانْتِفَاءِ الضَّرْرِ وَالظُّلْمِ.

وَيَنْهَاهُمْ كَذَلِكَ عن انْتِهَآكِ الأَنْفُسِ بِقَتْلِ الْإِنْسَانِ أو نَفْسِ أَخِيهِ الَّذِي هُوَ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ، وَيُحْتَمُّ اللهُ الْآيَةَ بِمَا يَدُلُّ على أَنَّ النَّهْيَ عن ذَلِكَ من مُقْتَضَى رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، حَتَّى لا يَقَعَ بَيْنَهُمْ من أَجْلِ هَذَا الانْتِهَآكِ عَدَاوَةٌ وَفِتْنٌ تُكَدِّرُ عَلَيْهِمْ صَفْوَ حَيَاتِهِمْ، وَتَشْغَلُهُمْ عن مُهِمَّاتِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

وفي الآية الثَّانِيَةِ يَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى مَنْ تَجَرَّأَ على ذَلِكَ مُتَعَدِّيًا ظَالِمًا أَنْ يُصَلِّيَهُ نَارًا تَحْرَقُهُ، وَيُبَيِّنُ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ -سُبْحَانَهُ- وَذَلِكَ لِتِمَامِ عَدْلِهِ وَكَمَالِ سُلْطَانِهِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَتَيْنِ:

- ١- تَحْرِيمُ أَكْلِ الأَمْوَآلِ بِغَيْرِ حَقٍّ.
- ٢- جَوَازُ الاتِّجَارِ بَيْنَ النَّاسِ فِي حُدُودِ الشَّرِيعَةِ.
- ٣- اشْتِرَاطُ التَّرَاضِي بَيْنَ الْمُتَعَاقِدِينَ.
- ٤- بُطْلَانُ الْعَقْدِ مع إِكْرَاهِ أَحَدِ الْمُتَعَاقِدِينَ.

- ٥- مَحْرِمٌ قَتْلِ النَّفْسِ سِوَاءِ نَفْسِ الْقَاتِلِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ النَّفُوسِ الْمُحْتَرَمَةِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ
الاسْتِشْهَادِ بِالآيَتَيْنِ.
- ٦- تَعْظِيمُ حُرْمَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ.
- ٧- أَنْ اخْتِرَامَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ الْإِيَانِ.
- ٨- أَنْ مَحْرِمَ الْأَعْتِدَاءِ عَلَيْهَا مِنْ مُقْتَضِيَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ.
- ٩- إِثْبَاتُ صِفَةِ الرَّحْمَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا يَقْتَضِيهِ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ.
- ١٠- الْوَعِيدُ بِالنَّارِ لِمَنْ انْتَهَكَ حُرْمَةَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ عُدْوَانًا وَظُلْمًا.
- ١١- أَنْ الْعُقُوبَةَ بِذَلِكَ يَسِيرَةٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِكَمَالِ عَدْلِهِ وَسُلْطَانِهِ.
- ١٢- أَنَّهُ لَا عُقُوبَةَ عَلَى مَنْ انْتَهَكَ حُرْمَةَ الْأَمْوَالِ وَالنُّفُوسِ بِغَيْرِ قَصْدٍ، لَكِنَّ عَلَيْهِ
الضَّمَانَ لِلْأَدَمِيِّ وَالْكَفَّارَةَ فِي قَتْلِ النَّفْسِ.
- تَنْبِيْهُ: مَحَلُّ الْاسْتِشْهَادِ بِالآيَتَيْنِ فِي الْفَوَائِدِ رَقْمًا: ٥، ٦، ٧، ٨، ١٠.

الآية الثالثة والرابعة:

٤٨٠-٤٨١- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿النساء: ٩٢-٩٣﴾.

تفسير الآيتين رقم ٤٨٠ - ٤٨١:

أ- تفسير الكلمات:

﴿أَنْ يَقْتُلَ﴾: أَنْ يُتْلَفَ بِإِزْهَاقِ النَّفْسِ، وَ(أَنْ) وَمَا بَعْدَهَا فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ اسْمٌ كَانَ.

﴿إِلَّا خَطَاً﴾: إِلَّا عَنِ غَيْرِ قَصْدٍ، كَأَنْ يُرِيدُ غَيْرَهُ فَيُصِيبُهُ أَوْ يَقْصِدُهُ بِشَيْءٍ لَا يَقْتُلُ غَالِبًا، وَالِاسْتِثْنَاءُ هُنَا مَنْقَطِعٌ، فـ(إِلَّا) بِمَعْنَى لَكِنْ.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: فَتَخْلِيصُهَا مِنَ الرَّقِّ بِإِعْتَاقِهَا، وَ(تَحْرِيرُ) مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مُحْدُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: فَعَلِيهِ تَحْرِيرٌ، وَالْجُمْلَةُ جَوَابُ الشَّرْطِ (مَنْ).

﴿وَدِيَةٌ﴾: بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى (تَحْرِيرِ)، وَالدِّيَةُ: الْمَالُ الْمَدْفُوعُ عَوَضًا عَنِ الْجِنَايَةِ عَلَى النَّفْسِ أَوْ الْبَدَنِ مُقَدَّرًا بِالشَّرْعِ.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: مُؤَدَاةٌ.

﴿أَهْلِيهِ﴾: وَرَثَتِهِ.

﴿يَصَدَّقُوا﴾: يَتَصَدَّقُوا بِالْعَفْوِ عَنْهَا.

﴿فَإِنْ كَانَتْ﴾: أَي: الْقَتِيلُ.

﴿عَدُوٌّ﴾: ذِي عَدَاوَةٍ، وَهُمْ الْكُفَّارُ، وَالْعَدُوُّ مُفْرَدٌ يَسْتَوِي فِيهِ الْجَمَاعَةُ وَالْوَاحِدُ.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: أَي: الْقَتِيلُ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (كَانَ).

﴿فَتَحْرِيْرٌ﴾: أَي: فَعَلَى الْقَاتِلِ تَحْرِيْرٌ، وَالْجُمْلَةُ جَوَابُ الشَّرْطِ (فَإِنْ كَانَ).

﴿مِيثَاقٌ﴾: عَهْدٌ أَنْ لَا يَعْتَدُوا وَلَا يُعْتَدَى عَلَيْهِمْ.

﴿فَدِيَةٌ﴾: أَي: فَعَلَى الْقَاتِلِ دِيَةٌ.

﴿لَمْ يَجِدْ﴾: لَمْ يَجِدِ الرَّقَبَةَ أَوْ ثَمَنَهَا.

﴿فَصِيَامٌ﴾: أَي: فَعَلَيْهِ صِيَامٌ، وَالصَّوْمُ فِي اللُّغَةِ: الْإِمْسَاكُ، وَفِي الشَّرْعِ:

التَّعَبُّدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِتَرْكِ الْمَفْطَرَاتِ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

﴿شَهْرَيْنِ﴾: تَثْنِيَّةُ شَهْرٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْهَلَالَيْنِ.

﴿مُتَنَابِعِينَ﴾: يَتَّبِعُ بَعْضُهُمَا بَعْضًا، بِحَيْثُ لَا يُفْطِرُ فِيهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ.

﴿تَوْبَةً﴾: مَفْعُولٌ لَهُ، أَي: شَرَعَ ذَلِكَ تَوْبَةً.

وَالتَّوْبَةُ مِنَ الْعَبْدِ: الرُّجُوعُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى طَاعَتِهِ، وَمِنَ اللَّهِ: تَوْفِيقُ الْعَبْدِ

لِلتَّوْبَةِ أَوْ قَبُولِهَا مِنْهُ.

- ﴿عَلِيمًا﴾: ذَا عِلْمٍ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ.
- ﴿حَكِيمًا﴾: ذَا حِكْمٍ وَحِكْمَةٍ، فَلَهُ الْحُكْمُ فِي عِبَادِهِ كَوْنًا وَشَرْعًا، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ.
- وَالْحُكْمُ: إِبْتِاطُ الشَّيْءِ وَالْقَضَاءُ بِهِ.
- وَالْحِكْمَةُ: إِنْتِقَانُ الشَّيْءِ وَوَضْعُهُ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ.
- ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ﴾: أَي: إِنْسَانٌ يَقْتُلُ.
- ﴿مُؤْمِنًا﴾: مُصَدِّقًا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ التَّصْدِيقُ بِهِ مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ.
- ﴿مُتَعَمِّدًا﴾: قَاصِدًا قَتْلَهُ.
- ﴿فَجَزَاؤُهُ﴾: فَمُكَافَأَتُهُ عَلَى هَذَا.
- ﴿جَهَنَّمَ﴾: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، وَسُمِّيَتْ بِهِ لِقَعْرِهَا وَظَلْمَتِهَا وَكَلَاخَتِهَا
- ﴿تَكَادُ تَمِيرُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨].
- ﴿خَلِيدًا فِيهَا﴾: مَاكِثًا فِيهَا.
- ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أَحَلَّ عَلَيْهِ غَضَبَهُ.
- ﴿وَلَعَنَهُ﴾: طَرَدَهُ وَأَبْعَدَهُ عَنِ رَحْمَتِهِ.
- ﴿وَأَعَدَّ لَهُ﴾: هَيَأَّ لَهُ.
- ﴿عَذَابًا﴾: عُقُوبَةً.
- ﴿عَظِيمًا﴾: ذَا عِظْمٍ فِي شِدَّتِهِ وَدَوَامِهِ.

ب- المعنى الإجمالي:

في الآية الأولى يبين الله تعالى أنه لا يليق بمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن أبداً، ولا يمكن أن يقع منه ذلك وهو مؤمن، إلا أن يكون خطأً، ثم بين تعالى ما يجب في قتل الخطأ، وقسم القَتِيل إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون مؤمناً من قوم مؤمنين، فأوجب الله فيه شيئين:

أحدهما: الكفارة، وهي: عتق رقبة مؤمنة.

الثاني: دية تُسَلَّم إلى ورثة القَتِيل إلا أن يعفوا عنها، ولم يذكر الله تعالى قدرها ولا جنسها ولا من يُسَلَّمها، لكن النبي ﷺ بين ذلك بإذن ربه وهي مئة من الإبل تُسَلَّمها عاقلة القاتل^(١).

القسم الثاني: أن يكون القَتِيل مؤمناً من قوم كفار لا عهد بيننا وبينهم، فأوجب الله تعالى فيه شيئاً واحداً وهي الكفارة لكونه معصوماً دون الدية، لئلا يتقوى بها الأعداء على المسلمين.

القسم الثالث: أن يكون القَتِيل غير مؤمن، لكنه من قوم بيننا وبينهم عهد فأوجب الله تعالى فيه شيئين:

أحدهما: دية تُسَلَّم إلى ورثة القَتِيل، ولم يذكر الله تعالى مقدارها ولا جنسها ولا من يُسَلَّمها، وقد اختلف العلماء فيها، والمشهور من مذهب الإمام أحمد أن دية أهل الكتاب على النصف من دية المسلمين ودية غيرهم ثمانمائة درهم إسلامي^(٢)،

(١) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب، رقم (٣٨٤٥).

(٢) انظر: المغني (٨/٣٩٩).

والله أعلم.

الثاني: الكفارة وهي: عتق رقبته مؤمنة.

ثم بين الله تعالى أن من لم يجد رقبة، إما لفقره وإما لعدم الرقاب فعليه صيام شهرين متتابعين.

وبين أن الزام القاتل بالكفارة مع خطئه توبة من الله تعالى عليه.

ثم ختم الآية ببيان علمه وحكمته تعالى ليعلم العباد أن ما شرعه لعباده فقد صدر عن علم تام وحكمة بالغة.

وفي الآية الثانية يبين الله تعالى عقوبة من قتل مؤمناً متعمداً في أربع عقوبات

عظيمة:

١- الخلود في النار

٢- غضب الله عليه.

٣- لعنه إياه

٤- العذاب العظيم الذي أعد له.

ج- من فوائد الآيتين:

١- أنه لا يليق بمؤمن أن يتعمد قتل أخيه المؤمن.

٢- أنه لا يمكن أن يقع القتل منه حين يقع وهو مؤمن إلا أن يكون خطأ.

٣- أن الواجب بقتل المؤمن خطأ شيان: الكفارة والدية.

٤- أن الكفارة عتق رقبته مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين.

٥- وجوب التسابع في صيام الشهرين، فإن أفطر يوماً بدون عذر استأنف الصيام

من جديد.

- ٦- أنه لا إطعام في هذه الكفارة؛ لأن الله تعالى لم يذكره فمتى عجز عن صيام الشهرين سقطت.
- ٧- وجوب إيصال الدية إلى مستحقيها.
- ٨- جواز العفو عن الدية لكن يشترط أن يكون العافي أهلاً للتبرع.
- ٩- التبرع في العفو عنها؛ لأن الله جعله صدقة، لكنه مقيّد بما إذا كان في العفو إصلاح لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].
- ١٠- سقوط الدية إذا كان المستحقون لها كفاراً حربيين.
- ١١- وجوب الدية والكفارة إذا كان القاتل من قوم معاهدين.
- ١٢- تعظيم شأن القتل حيث يؤخذ بالخطأ فيه.
- ١٣- أن إيجاب الكفارة يقتل الخطأ من توبة الله تعالى على القاتل.
- ١٤- إثبات اسمي العليم والحكيم لله تعالى وما تضمناه من صفة.
- ١٥- تغليظ العقوبة في قتل المؤمن عمداً، وسبق بياؤها في المعنى الإجمالي.
- ١٦- إثبات الغضب حقيقة لله تعالى، وهو من صفاته الفعلية.

تَمَات:

الأولى: اختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- في الجمع بين هذه الآية الدالة على خلود قاتل المؤمن عمداً في النار وبين النصوص الدالة على أن المؤمن لا يخلد في النار، وقاتل المؤمن عمداً لا يخرج من الإيمان بالكلية لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْمُرَادُ بِالْخُلُودِ الْمُكْثُ الطَّوِيلِ لَا الدَّائِمِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلْأَثَافِي: خَوَالِدٌ، لَطُولِ مُكْثِهَا لَا لِدَوَامِهَا، وَلَا يَرِدُ عَلَى هَذَا مَا ذُكِرَ لِلْكَافِرِينَ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَهُ بِالتَّأْيِيدِ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فِي سُورَةِ النَّسَاءِ رَقْم ١٦٩، وَفِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ رَقْم ٦٥، وَفِي سُورَةِ الْجَنِّ رَقْم ٢٣.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانٌ اسْتِحْقَاقِهِ لِهَذِهِ الْعُقُوبَةِ بِهَذَا السَّبَبِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَقَعَ بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَسْبَابَ قَدْ يَعْتَرِضُهَا مَوَانِعٌ تُبْطِلُهَا سِوَاءَ كَانَتْ تِلْكَ الْأَسْبَابُ شَرْعِيَّةً أَمْ قَدْرِيَّةً، أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَرَابَةَ سَبَبٌ لِلْإِرْثِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْهَا الْمِيرَاثُ، فَقَدْ يَكُونُ فِي الْقَرِيبِ مَانِعٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الْإِرْثِ، وَهَكَذَا نَقُولُ هُنَا: الْقَتْلُ سَبَبٌ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ لَكِنْ هُنَاكَ مَانِعٌ يَمْنَعُ مِنْهُ وَهُوَ الْإِيمَانُ وَإِنْ قَلَّ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: قَتْلُ الْمُؤْمِنِ عَمْدًا مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ، وَهَذِهِ الْكَبِيرَةُ الْعَظِيمَةُ قَدْ نَعِصَفُ بِالْقَاتِلِ حَتَّى يُخْرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ كُلُّهُ فَتَكُونُ عَاقِبَتُهَا الْكُفْرُ الْمَوْجِبُ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ. وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا»^(١)، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ، الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ»^(٢).

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: هَذِهِ الْآيَةُ فِيمَنْ قَتَلَ الْمُؤْمِنَ عَمْدًا مُسْتَحِلًّا لِقَتْلِهِ؛ لِأَنَّ اسْتِحْلَالَ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ كُفْرٌ مُوجِبٌ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ، وَهَذَا قَوْلٌ ضَعِيفٌ؛

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الدِّيَاتِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، رَقْم (٦٨٦٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الدِّيَاتِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، رَقْم (٦٨٦٣).

لأنه يَسْتَلْزِمُ مَحْدُورَيْنِ:

أحدهما: تَعْلِيْقُ الْحُكْمِ بِوَصْفٍ لَمْ يُذَكَّرْ فِي النَّصِّ وَهُوَ الاسْتِحْلَالُ.

الثاني: إِلْغَاءُ الْوَصْفِ الَّذِي رُتِّبَ الْحُكْمُ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقَتْلُ.

ولأن استحلال قتل المؤمن كُفْرٌ مُوجِبٌ لِلخُلُودِ فِي النَّارِ سِوَاءِ قَتْلِهِ أَمْ لَمْ يَقْتُلْهُ.

وقال بعضُ العُلَمَاءِ: هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ نُصُوصِ الْوَعِيدِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا التَّحْذِيرُ وَالتَّنْفِيْزُ، فَنَأْخُذُ بِمَا تَقْتَضِيهِ مِنَ الْحَذَرِ وَالنُّفُورِ، وَنُقَوِّضُ ظَاهِرَ الْوَعِيدِ فِيهَا إِلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ أَمْرَيْنِ مَحْدُورَيْنِ:

أحدهما: أَنْ فِي نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا لَا يُعْلَمُ ظَاهِرُهُ، وَهُوَ خِلَافُ الْبَيَانِ وَالْهُدَى الَّذِي بُعِثَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: تَهَاوُنُ النُّفُوسِ بِمَا جَاءَ بِهِ التَّحْذِيرُ بِذَلِكَ الْوَعِيدِ.

الثانية: اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- هَلْ لِلْقَاتِلِ عَمْدًا تَوْبَةً؟

وَالصَّحِيحُ أَنْ لَهُ تَوْبَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَتَابَ فَقَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ^(١).

وَإِذَا تَابَ الْقَاتِلُ تَوْبَةً نَّصُوحًا وَأَبْرَأَ نَفْسَهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُؤَوِّي عَنْهُ حَقَّ الْقَاتِلِ مِنْ تَمَامِ تَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَكُونَ لِلذَّنْبِ أَثَرٌ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٧٠)، ومسلم: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم (٢٧٦٦).

الثالثة: اختلف العلماء - رحمهم الله تعالى - في القاتل إذا مات من غير توبة، هل يكون داخلاً في مشيئة الله تعالى بالمغفرة أو لا بُدَّ من عقوبته؟

والصحيح في ذلك التفصيل، وذلك أن قتل العمد يتعلّق به ثلاثة حقوق:

الحق الأول: لله تعالى، وهذا داخِلٌ تحت مشيئة الله تعالى؛ لأن القتل دون الشرك فيدخُل في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

الحق الثاني: للمقتول، وهذا لا بُدَّ من استيفائه من القاتل؛ لأنه حق آدمي، فيؤخذ من حسنات القاتل للمقتول بقدر مظلمته لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا ذرهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فبنت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحته عليه، ثم طرح في النار». رواه مسلم (١).

الحق الثالث: لأولياء المقتول وهم ورثته، وهذا لا بُدَّ من استيفائه أيضاً من القاتل؛ لأنه حق آدمي لقوله تعالى في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْعَأْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَأْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقول النبي ﷺ: «من قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يودي وإما أن يقاد». متفق عليه واللفظ للبخاري (٢).

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم (١١٢)، ومسلم: كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، رقم (١٣٥٥).

الآيتين الخامسة والسادسة:

٤٨٢-٤٨٣- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْخُرِّ بِالْحُرِّ
وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِغَاءُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ
بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٨-١٧٩﴾.

تفسير الآيتين رقم ٤٨٢ - ٤٨٣:

أ- تفسير الكلمات:

﴿كُنِبَ﴾: فُرِضَ، وَالَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى.

﴿الْقِصَاصُ﴾: فِعْلُكُمْ بِالْجَانِي كَمَا فَعَلَ.

﴿فِي الْقَتْلِ﴾: فِي شَأْنِ الْقَتْلِ، أَي: الْمُقْتُولِينَ عَمْدًا، وَقِيلَ: (فِي) لِلْسَّبَبِيَّةِ، أَي:

بِسَبَبِ الْقَتْلِ.

﴿الْحُرُّ﴾: الْمُتَحَرِّرُ مِنْ مَلِكِ الْغَيْرِ.

﴿بِالْحُرِّ﴾: الْبَاءُ لِلْبَدَلِيَّةِ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْدُوفٍ تَقْدِيرُهُ: مَقْتُولٌ.

﴿وَالْعَبْدُ﴾: الْمَمْلُوكُ لِلْغَيْرِ، وَهُوَ الرَّقِيقُ.

﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ﴾: سُومِحَ لَهُ، وَالضَّمِيرُ لِمَنْ (مَنْ) الْعَائِدَةُ عَلَى الْقَاتِلِ، وَالْعَافِي

وَارِثُ الْمَقْتُولِ.

﴿مِنْ أَخِيهِ﴾: أَي: مِنَ الْمَقْتُولِ.

﴿شَيْءٌ﴾: أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْقِصَاصِ، وَهِيَ نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ، فَتَعَمُّ الْقَلِيلَ

وَالكَثِيرَ.

﴿فَاتَّبَاعٌ﴾: فَطَلَبٌ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ الْخَبْرُ. وَالتَّقْدِيرُ: فَعَلَى الْعَافِي اتِّبَاعٌ.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بِالْمَقَرِّ شَرْعًا وَعُرْفًا.

﴿وَأَدَاءٌ﴾: إِيْصَالٌ.

﴿إِلَيْهِ﴾: إِلَى الْعَافِي.

﴿بِإِحْسَانٍ﴾: بِإِتْمَامٍ بِلَا مَطْلٍ.

﴿ذَلِكَ﴾: مَا ذُكِرَ مِنْ إِقْرَارِ الْعَفْوِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ.

﴿تَخْفِيفٌ﴾: تَسْهِيلٌ تَنْدَفِعُ بِهِ الْمَشَقَّةُ.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: أَي: مِنْ اللَّهِ تَكْمُلُ بِهَا الْمَصَالِحُ.

﴿أَعَدَدَى﴾: قَامَ بِالْعُدْوَانِ عَلَى الْقَاتِلِ.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: أَي: الْعَفْوِ.

﴿عَذَابٌ﴾: عُقُوبَةٌ.

﴿أَيْمٌ﴾: مُؤَلِّمٌ، أَي: مُوجِعٌ.

﴿حَيَوَةٌ﴾: بَقَاءٌ.

﴿يَتَأُولَى﴾: أَصْحَابٍ.

﴿الْأَلْبَابِ﴾: الْعُقُولِ.

﴿لَمَلَكُكُمْ﴾: لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ.

﴿تَتَّقُونَ﴾: تَوْقُونَ الْقَتْلَ مَخَافَةَ الْقَصَاصِ.

ب- المعنى الإجمالي:

في الآية الأولى يُخبرُ اللهُ تعالى أنه فرَضَ على عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْقَصَاصَ فِي الْقَتْلِ بَحَيْثُ يَفْعَلُ بِالْقَاتِلِ كَمَا فَعَلَ بِالْمَقْتُولِ، ثُمَّ بَيَّنَّ -سُبْحَانَهُ- مَنْ يَكُونُ بَيْنَهُمُ الْقَصَاصُ فَقَالَ: ﴿الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى﴾، ثُمَّ أَشَارَ اللهُ تَعَالَى إِلَى جَوَازِ الْعَفْوِ عَنِ الْقَصَاصِ إِلَى الدِّيَةِ، وَأَنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ يَلْزَمُ الْعَافِي أَنْ يُطَالِبَ الْقَاتِلَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَعْرُوفِ، بِحَيْثُ لَا يُعْتَفَى وَلَا يَمُنُّ عَلَيْهِ، وَيَلْزَمُ الْقَاتِلَ كَذَلِكَ أَنْ يُوَصَّلَ الدِّيَةَ إِلَى وَرَثَةِ الْمَقْتُولِ تَامَّةً بِلَا نَقْصٍ وَلَا مُتَمَاطَلَةٍ.

وَيُبَيِّنُ تَعَالَى أَنْ هَذَا الْحُكْمَ تَخْفِيفٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ حَيْثُ لَمْ يُلْزِمَهُمْ بِالْقَصَاصِ وَرَحْمَةً تَكْمُلُ بِهَا مَصَالِحُهُمْ حَيْثُ أَبَاحَ لَهُمْ أَخْذَ الدِّيَةِ.

ولما كان العفو قد لا يُزيلُ أثرَ الضَّغِينَةِ خُصُوصًا مِمَّنْ لَمْ يَعْفُ، تَوَعَّدَ اللهُ تَعَالَى مَنْ اعْتَدَى عَلَى الْقَاتِلِ بَعْدَ الْعَفْوِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

وفي الآية الثانية يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى مَا يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ السُّفَهَاءِ مِنْ أَنَّ الْقَصَاصَ زِيَادَةٌ فِي إِتْلَافِ النُّفُوسِ، فَيُخَاطَبُ تَعَالَى ذَوِي الْعُقُولِ مُبَيِّنًا أَنَّ فِي الْقَصَاصِ الْحَيَاةَ الْكَامِلَةَ، حَيْثُ إِنْ الْقَاتِلُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مَقْتُولٌ تَوَقَّى الْقَتْلَ فَلَمْ يُقَدِّمْ عَلَيْهِ خَوْفًا مِنَ الْقَصَاصِ.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَتَيْنِ:

- ١- وَجُوبُ تَنْفِيذِ الْقَصَاصِ إِذَا لَمْ يُعْفَ عَنْهُ.
- ٢- أَنْ تَنْفِيذُهُ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ الْإِيمَانِ.
- ٣- أَهْمِيَّةُ تَنْفِيذِهِ حَيْثُ صَدَرَ الْحُكْمُ بِهِ بِالنَّدَاءِ الْمَوْجَّهٍ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ.

- ٤- أن الحرَّ يُقتل بالحرِّ، وهل يُقتل بالعبدِ؟ فيه خلافٌ، والراجحُ نعمٌ، واختاره شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ.
- ٥- أن العبدَ يُقتل بالعبدِ ولو كان أعلى قيمةً من المقتولِ، ويُقتل بالحرِّ أيضاً؛ لأن الحرَّ أعلى منه.
- ٦- أن الأثني تُقتل بالأثني، وتُقتل بالرجلِ أيضاً؛ لأنه أكملُ منها، وهل يُقتل الرجلُ بها؟ فيه خلافٌ والراجحُ نعمٌ، وهو المشهورُ من المذاهب الأربعة؛ لأن النبي ﷺ قتل رجلاً يهودياً بجمارية^(١).
- ٧- أن المسلمَ يُقتل بالمسلمِ، وهل يُقتل بالكافرِ الذميِّ؟ فيه خلافٌ والراجحُ لا، وهو مذهبُ الجمهورِ لقوله ﷺ: «لا يُقتل مسلمٌ بكافرٍ»^(٢).
- ٨- أن الولدَ يُقتل بوالديه، وهل يُقتل الوالدُ بولدهِ؟ فيه خلافٌ.
- ٩- جوازُ العفوِ عن القصاصِ.
- ١٠- أن عفوَ بعضِ الورثةِ مُسقطٌ للقصاصِ وإن كرهه الآخرون.
- ١١- أن فاعلَ الكبيرةِ لا يُخرجُ من الإيمانِ لقوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾، فهو مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، أو مؤمنٌ بإيمانه، فأسقُ بكبيرتهِ.
- ١٢- أن وجوبَ القصاصِ من رَحمةِ الله تعالى لعبادهِ، لما فيه من المصالحِ العظيمةِ.
- ١٣- أنه متى كان في العفوِ عنه مفسدةٌ كان القصاصُ أولى.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الديات، باب قتل الرجل بالمرأة، رقم (٦٨٨٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم (١١١).

- ١٤- أن القاتِل يُقْتَلُ بِمِثْلِ ما قُتِلَ به القَتِيلُ؛ لأنه من تمامِ القِصاصِ.
- ١٥- أن الدِّيَةَ في قَتْلِ العَمْدِ على القاتِلِ.
- ١٦- أن الحِيارَ بَيْنَها وبين القِصاصِ لأولياءِ المَقْتُولِ لا للقاتِلِ.
- ١٧- وُجوبُ سُلوكِ المَعْرُوفِ في مطالبةِ القاتِلِ بها.
- ١٨- أنه يَجِبُ على القاتِلِ إيصالُ الدِّيَةِ إلى أهلِها بإحسانِ.
- ١٩- ظُهُورُ نِعْمَةِ الله تَعَالَى علينا بالتَّخْفِيفِ حيثُ كان القِصاصُ واجِبًا على أهلِ التَّوْرَةِ ومُخَيَّرًا فيه لنا.
- ٢٠- مَحْرِمُ العُدوانِ بعد العَفْوِ عن القِصاصِ، سواءً من أولياءِ القاتِلِ على المَقْتُولِ أو بالعكسِ.
- ٢١- إثباتُ الجَزاءِ على الأَعْمالِ.
- ٢٢- أن في القِصاصِ إثباتُ الأَمَنِ والاستِقْرارِ.
- ٢٣- أن القِصاصَ ما تَشْهَدُ العُقُولُ بِحُسْنِهِ.
- ٢٤- تَسْفِيهِ عُقُولِ مَنْ أَبْطَلُوا القِصاصَ بِحُجَّةٍ أنه زيادَةٌ في القَتْلِ.
- ٢٥- أنه لا يَصِلُ إلى مَعْرِفَةِ حِكمِ الشَّرِيعَةِ إلا دَوُو العُقُولِ السَّلِيمَةِ.

الآية السابعة:

٤٨٤- ﴿وَكُنَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ
بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

[المائدة: ٤٥].

تفسير الآية رقم ٤٨٤:

أ- تفسير الكلمات:

﴿وَكُنَبْنَا﴾: فرَضْنَا.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: عَلَى الْيَهُودِ.

﴿فِيهَا﴾: التَّوْرَةَ.

﴿بِالنَّفْسِ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِمَحْدُوفٍ خَبَرٍ إِنَّ تَقْدِيرُهُ: تُقْتَلُ، والبَاءُ لِلْبَدَلِيَّةِ.

﴿وَالْجُرُوحَ﴾: جَمْعُ جُرْحٍ، وَهُوَ: شَقُّ الْجِلْدِ. وَفِي (الْجُرُوحِ) قِرَاءَتَانِ: النَّصْبُ

عَطْفًا عَلَى ﴿النَّفْسِ﴾ اسْمِ (أَنَّ)، وَالرَّفْعُ عَلَى أَنَّهَا مُبْتَدَأٌ.

﴿قِصَاصٌ﴾: مُقَاصَّةٌ يُؤْخَذُ فِيهَا الْجَانِي بِمِثْلِ مَا فَعَلَ.

﴿تَصَدَّقَ بِهِ﴾: أَي: بِالْقِصَاصِ فَعَفَا عَنِ الْجَانِي.

﴿كَفَّارَةٌ لَهُ﴾: أَي: لِلْمُتَصَدِّقِ وَالْكَفَّارَةُ: سِتْرُ الذَّنْبِ بِمَا جَعَلَ عَدْلًا لَهُ

من الحسنات.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ﴾ : مَنْ لَمْ يُنْفِذِ الْحُكْمَ قَانِعًا بِهِ .

﴿هُمْ﴾ : ضَمِيرٌ فَضْلٍ ، فَائِدَتُهُ : التَّوَكِيدُ وَالْحَضْرُ وَبَيَانُ أَنَّ مَا بَعْدَهُ خَبْرٌ لَا صِفَةً .

﴿الظَّالِمُونَ﴾ : الْمُعْتَدُونَ .

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ :

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ فَرَضَ عَلَى الْيَهُودِ فِي التَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى مُوسَى الْقَصَاصَ فِي النَّفْسِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْجُرُوحِ ، فَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ ، وَفِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى اعْتِبَارِ الْمِثَالَةِ بِمَا يَقْتَضِيهِ حُكْمُ الْبَاءِ الْبَدَلِيَّةِ وَبِالْقِيَاسِ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ .

وَيَبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ مَنْ تَصَدَّقَ بِالْقِصَاصِ فَاسْقَطَتْهُ عَمَّنْ وَجَبَ عَلَيْهِ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَهُوَ ظَالِمٌ ، وَأَكَّدَ ظُلْمَهُ بِالْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ وَبِضَمِيرِ الْفَضْلِ .

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- ١- أَنَّ الْقِصَاصَ فِي النَّفُوسِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْجُرُوحِ مَشْرُوعٌ فِي الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ .
- ٢- أَنَّهُ يُشْتَرَطُ لِلْقِصَاصِ فِي الْأَعْضَاءِ الْمِثَالَةُ فِي الْاسْمِ وَالْمَوْضِعِ .
- ٣- ثُبُوتُ الْقِصَاصِ فِي الْجُرُوحِ .
- ٤- أَنَّهُ يُشْتَرَطُ لِلْقِصَاصِ فِيهَا إِمْكَانُ الْأَسْتِيفَاءِ بِلَا حَيْفٍ .
- ٥- التَّرْغِيبُ فِي الْعَفْوِ عَنِ الْقِصَاصِ .

- ٦- أن العَفْوَ عَنْهُ مِنَ الصَّدَقَةِ.
- ٧- أن العَفْوَ كَفَّارَةٌ عَنِ الذَّنْبِ.
- ٨- وَجُوبُ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى.
- ٩- أن مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُوَ ظَالِمٌ.

الآية الثامنة:

٤٨٥- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

تفسير الآية رقم ٤٨٥:

أ- تفسير الكلمات:

﴿تَقْتُلُوا﴾: تُتْلَفُوا.

﴿النَّفْس﴾: أي: الإنسان.

﴿حَرَّمَ اللَّهُ﴾: مَنَعَ قَتْلَهَا، أَوْ جَعَلَهَا مُحَرَّمَةً.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: بِمَا أَحَقَّهُ الشَّرْعُ وَأَثَبَتْهُ.

﴿مَظْلُومًا﴾: مُعْتَدَى عَلَيْهِ.

﴿لَوْلِيهِ﴾: لِوَارِثِهِ.

﴿سُلْطٰنًا﴾: سُلْطَةٌ شَرْعِيَّةٌ لِقَتْلِهِ قَصَاصًا.

﴿فَلَا يَسْرِفُ﴾: فَلَا يَتَجَاوَزُ الْحَدَّ.

﴿فِي الْقَتْلِ﴾: أَي: قَتْلِ الْقَاتِلِ حِينَ الْقَصَاصِ مِنْهُ.

﴿إِنَّهُ﴾: أَي: الْوَلِيُّ.

﴿مَنْصُورًا﴾: مُعَانًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى شَرْعًا وَقَدْرًا.

ب- المعنى الإجمالي:

في هذه الآية ينهى الله تعالى عن قتل النفس المعصومة، وهي: نفس المؤمن والذمي والمعاهد والمستأمن، إلا أن يكون ذلك بحق بأن يحصل منها ما يبيح القتل من زنى في إحصانٍ أو غيره.

وبين الله تعالى أن من قُتل مظلوماً فإن الله تعالى قد جعل لوليِّه الوارث له سلطة قتله قصاصاً، ولما كان وليُّ المقتول لحنقه على القاتل قد يتجاوز الحد في قتله بالتمثيل به أو غير ذلك، نهأه الله تعالى أن يسرف في القصاص، وذلك لأن الله تعالى قد نصره بما هيأه له شرعاً وقدراً من التمكن من قتله، فلا ينبغي أن يسرف مع هذا النصر بتمثيل في القاتل أو قتل غيره بجريمته.

ج- من فوائد الآية:

- ١- تحريم قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق.
- ٢- أن الحق في القصاص لأولياء المقتول.
- ٣- أن من قتل بغير حق فلا أولياءه القصاص.
- ٤- أن المتولي للقصاص أولياء المقتول، وهو مفيد بما إذا كانوا يُحسنونه، وذكر أهل العلم أنه لا يستوفى إلا بحضرة السلطان أو نائبه.
- ٥- تحريم العدوان في القصاص.
- ٦- بيان عدل الله تعالى بنصرة المظلوم.

الآية التاسعة إلى الثالثة عشرة:

٤٨٦-٤٨٩- ﴿ وَحَزَوْا سَيِّئَةَ سَيِّئَةٍ مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمِنَ أَنْصَرٍ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عِزِّ الْأُمُورِ ﴿ الشورى: ٤٠-٤٣ ﴾ .

تفسير الآيات رقم ٤٨٦ - ٤٨٩ :

أ- تفسير الكلمات:

﴿ وَحَزَوْا ﴾ : مكافأة.

﴿ سَيِّئَةٍ ﴾ : ما يسوء الشخص بالعدوان عليه أو بغيره.

﴿ مِّثْلَهَا ﴾ : مماثلة لها كميةً وكيفيةً.

﴿ عَفَا ﴾ : ترك المُواخِذَةَ بالسَّيِّئَةِ.

﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ : سلك سبيل الصَّلاح في عَفْوِهِ.

﴿ فَأَجْرُهُ ﴾ : فتوَابُ عَمَلِهِ.

﴿ الظَّالِمِينَ ﴾ : المعتدين.

﴿ وَلَمِنَ ﴾ : اللام لامُ الابتداء، و(مَن) مَوْصُولَةٌ أو شَرْطِيَّةٌ.

﴿ أَنْصَرَ ﴾ : انتقم من ظالمه أو طلب النُّصْرَةَ وهي العَوْنُ.

﴿ ظُلْمِهِ ﴾ : ظلم غيره إيَّاه، فهو مَصْدَرٌ مُضَافٌ للمفعول.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: أي: المنتصرون بعد ظلمهم، جمع مُرَاعَاةٍ لِمَعْنَى (مَنْ).

﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾: مِنْ طَرِيقٍ إِلَى ذَمِّهِمْ أَوْ لَوْمِهِمْ، وَ(مَنْ) زَائِدٌ إِعْرَابًا مُفِيدٌ لِلتَّوَكُّيدِ.

﴿يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾: يَعْتَدُونَ عَلَيْهِمْ.

﴿وَيَبْغُونَ﴾: يَتَطَاوَلُونَ بِالْعُلُوِّ وَالْفَسَادِ.

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحذُوفٍ: أَي: بِغَيًّا بَغَيْرِ الْحَقِّ، وَهِيَ صِفَةٌ كَاشِفَةٌ؛

لَأَنَّ الْبَغْيَ لَا يَكُونُ إِلَّا كَذَلِكَ فَلَا مَفْهُومَ لَهَا.

﴿عَذَابٌ﴾: عُقُوبَةٌ.

﴿أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ.

﴿وَلَمَنْ﴾: اللَّامُ لَامُ الْقَسَمِ، وَ(مَنْ) شَرْطِيَّةٌ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ

عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

﴿صَبْرٌ﴾: حَبَسَ نَفْسَهُ عَنِ الْإِنْتِقَامِ مِنْ ظَالِمِهِ.

﴿وَعَفْرٌ﴾: سَتَرَ عَلَى ظَالِمِهِ مَعَ التَّجَاوُزِ عَنْهُ.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: أَي: مَا ذُكِرَ مِنَ الصَّبْرِ وَالْعَفْرِ.

﴿عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: الْجَدُّ فِيهَا، وَالْأُمُورُ: الشُّؤُونُ.

ب- الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

فِي الْآيَةِ الْأُولَى يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ جَزَاءَ السَّيِّئَةِ يَكُونُ بِمِثْلِهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ؛

لَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْعَدْلُ وَيُنْدَبُ فِيهَا إِلَى الْفَضْلِ وَهُوَ الْعَفْوُ الْمَتَّصِمُنُ لِلْإِصْلَاحِ، مُبَيِّنًا

أَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَمَا أَعْظَمَ ذَلِكَ الْأَجْرَ مِنَ الرَّبِّ الْكَرِيمِ، وَيَحْتَمُّ اللَّهُ تَعَالَى بَيَانَ الْعِلَّةِ مِنَ الْمُجَازَاةِ بِالْمَثَلِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَهُوَ شَامِلٌ لِمَنْ ابْتَدَأَ بِالْعُدْوَانِ أَوْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْمُجَازَاةِ عَلَيْهِ.

وفي الآية الثانية والثالثة يُبَيِّنُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى لَوْمٍ أَوْ ذَمٍّ مَنْ انْتَصَرَ لِنَفْسِهِ مِنْ ظَالِمِهِ بَعْدَ أَنْ يَتَحَقَّقَ أَنَّهُ مَظْلُومٌ؛ لِأَنَّهُ انْتَصَرَ لِنَفْسِهِ بِحَقٍّ وَجَازَى ظَالِمَهُ بِالْعَدْلِ، وَإِنَّمَا سَبِيلُ اللَّوْمِ وَالذَّمِّ عَلَى مَنْ اعْتَدَى عَلَى النَّاسِ وَتَطَاوَلَ بِالْعُلُوِّ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّهُ غَيَّرَ مُحَقَّقٌ فِي ذَلِكَ، فَهِيَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ فِي الْآخِرَةِ.

وفي الآية الرَّابِعَةَ يُقَسِّمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْ الصَّبْرَ عَنِ الْإِنْتِقَامِ وَعُغْرَانَ الرَّلَاتِ مِنْ عَزَائِمِ الْأُمُورِ الَّتِي يُحْمَدُ عَلَيْهَا الْقَائِمُ بِهَا.

ج- مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- جَوَازُ مُكَافَأَةِ السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا، سِوَاءَ كَانَتْ قَوْلِيَّةً أَمْ فِعْلِيَّةً.
- ٢- جَوَازُ الْقَصَاصِ مِنَ الْجَنَائِي بِمِثْلِ مَا جَنَى بِهِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَضَ رَأْسَ يَهُودِيٍّ بَيْنَ حَجْرَيْنِ قِصَاصًا لِحَاكِيَةِ رَضِ الْيَهُودِيِّ رَأْسَهَا بَيْنَ حَجْرَيْنِ^(١).
- ٣- تَحْرِيمُ الْعُدْوَانِ فِي الْقِصَاصِ.
- ٤- النَّدْبُ إِلَى الْعَفْوِ عَنِ الْجَنَائِي إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ إِصْلَاحٌ.
- ٥- عِظْمُ ثَوَابِ الْعَافِي بِهَذَا الشَّرْطِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب الإشارة في الطلاق والأموار، رقم (٥٢٩٥)، ومسلم: كتاب القسامة، باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره، رقم (١٦٧٢).

- ٦- عَدَمُ التَّرْغِيبِ فِي العَفْوِ إِذَا تَصَمَّنَ فَسَادًا، كاسْتِمْرَارِ الجَانِي فِي جِنَايَتِهِ وَتَهَاوُنِ غَيْرِهِ بِهَا.
- ٧- إِثْبَاتُ المَحَبَّةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَهِيَ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ تَلِيْقُ بِهِ.
- ٨- التَّحْذِيرُ مِنَ الظُّلْمِ.
- ٩- مَحَبَّةُ اللهِ تَعَالَى لِلْعَدْلِ.
- ١٠- جَوَازُ انْتِصَارِ المَظْلُومِ لِنَفْسِهِ مِنْ ظَالِمِهِ.
- ١١- أَنْ سَرَايَةَ القِصَاصِ غَيْرُ مَضْمُونَةٍ إِذَا لَمْ يَكُن فِيهِ اعْتِدَاءٌ.
- ١٢- أَنْ سَرَايَةَ الجِنَايَةِ مَضْمُونَةٌ فِي النَفْسِ فَمَا دُونَهَا.
- ١٣- التَّحْذِيرُ مِنَ الظُّلْمِ وَالبَغْيِ.
- ١٤- إِثْبَاتُ الجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَالِ.
- ١٥- النَّدْبُ إِلَى الصَّبْرِ وَالمَغْفِرَةِ لِلْمَظَالِمِ.
- ١٦- أَنْ الصَّبْرَ وَالمَغْفِرَةَ مِنْ عَزَائِمِ الأُمُورِ.

الآية الثالثة عشرة:

٤٩٠- ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْرُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْرِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

تفسير الآية رقم ٤٩٠:

أ- تفسير الكلمات:

﴿لَا يَسْتَوِي﴾: لا يتساوى.

﴿الْخَيْرُ﴾: الرديء.

﴿وَالطَّيِّبُ﴾: الجيد الحسن.

﴿أَعْجَبَكَ﴾: بلغ منك الإعجاب.

﴿كَثْرَةُ الْخَيْرِ﴾: زيادة كميته على الطيب.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: اتخذوا وقاية من عذابه بطاعته.

﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾: أصحاب العقول.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿تُفْلِحُونَ﴾: تدركون المطلوب، وتسلمون من المرهوب.

وإلى هنا انتهى ما أردنا كتابته على مُقَرَّرِ التَّفْسِيرِ فِي الْمَعَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ
تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِرُوحِهِ مُقَرَّبًا إِلَيْهِ نَافِعًا لِعِبَادِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتْلُونَ كِتَابَهُ
حَقًّا تِلَاوَتِهِ لَفْظًا وَمَعْنَى وَعَقِيدَةً وَعَمَلًا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

تَمَّ بِقَلَمِ الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مُحَمَّدِ الصَّالِحِ الْعُثَيْمِيِّ فِي الْخَامِسِ مِنْ شَهْرِ مُحَرَّمِ
سَنَةِ ١٣٩٩ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِينَ وَأَلْفٍ هِجْرِيَّةٍ.

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٦.....	٢٣-٢٢- [مريم: ٥٤-٥٥]	٥	المقدمة
٥٩.....	٢٨-٢٤- [مريم: ٥٩-٦٣]	٥	نبذة مختصرة عن فضيلة الشيخ العلامة محمد بن
٦٣.....	٣٠-٢٩- [الماعون: ٤-٥]	٧	صالح العثيمين
٦٤.....	التَّوَعُّ الثَّانِي:	١٥.....	صورة من المخطوط
٦٤.....	٣١- [النساء: ١٠٣]	١٧.....	سورة الفاتحة
٦٦.....	٣٢- [الإسراء: ٧٨]	١٧.....	٧-١- [الفاتحة: ١-٧]
٦٨.....	٣٤-٣٣- [الروم: ١٧-١٨]	مِن آيَاتِ الطَّهَارَةِ	
٧٠.....	٣٥- [طه: ١٤]	٢٣.....	التَّوَعُّ الْأَوَّلُ:
٧٢.....	٣٧-٣٦- [المائدة: ٥٧-٥٨]	٢٣.....	١٠-٨- [الفرقان: ٤٨-٥٠]
٧٥.....	٣٩-٣٨- [الأعراف: ٣١-٣٢]	٢٧.....	١١- [الزمر: ٢١]
٧٩.....	٤٠- [لقمان: ١٨]	٣٠.....	التَّوَعُّ الثَّانِي:
٨١.....	٤١- [الحج: ٢٦]	٣٠.....	١٢- [البقرة: ٢٩]
٨٤.....	٤٢- [البقرة: ١٤٤]	٣٢.....	١٣-١٤- [سبأ: ١٢-١٣]
٨٧.....	٤٣- [البقرة: ١١٥]	٣٦.....	التَّوَعُّ الثَّالِثُ:
٩٠.....	التَّوَعُّ الثَّالِثُ:	٣٦.....	١٥-١٦- [التوبة: ١٠٧-١٠٨]
٩٠.....	٤٤- [البقرة: ٢٣٨]	٤١.....	التَّوَعُّ الرَّابِعُ:
٩٢.....	٤٥- [المزمل: ٢٠]	٤١.....	١٧- [المائدة: ٦]
٩٧.....	٤٦- [الحج: ٧٧]	٤٧.....	التَّوَعُّ الْخَامِسُ:
٩٩.....	٤٧- [التغابن: ١٦]	٤٧.....	١٨- [الأنعام: ١٤٥]
١٠٢.....	التَّوَعُّ الرَّابِعُ:	مِن آيَاتِ الصَّلَاةِ	
١٠٢.....	٤٨-٥٦- [الحاقة: ٤٤-٥٢]	٥١.....	التَّوَعُّ الْأَوَّلُ:
١٠٦.....	٥٧-٦١- [الأعلى: ١-٥]	٥١.....	١٩-٢٠- [الأنعام: ٧١-٧٢]
١٠٩.....	التَّوَعُّ الْخَامِسُ:	٥٤.....	٢١- [طه: ١٣٢]

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٦٥.....	النَّوْعُ الثَّلَاثَ عَشَرَ:	١٠٩.....	٧٢-٦٢- [المؤمنون: ١-١١]
١٦٥.....	١٢١-١٢٢- [فصلت: ٣٧-٣٨]	١١٣.....	النَّوْعُ السَّادِسُ:
١٦٨.....	١٢٣- [الإسراء: ٥٩]	١١٣.....	٧٣- [النساء: ١٠٣]
١٧١.....	١٢٤-١٢٦- [الطور: ٤٤-٤٦]	١١٥.....	النَّوْعُ السَّابِعُ:
١٧٣.....	النَّوْعُ الرَّابِعَ عَشَرَ:	١١٥.....	٧٤- [البقرة: ٢٨٦]
١٧٣.....	١٢٧-١٢٩- [الروم: ٤٨-٥٠]	١٢٠.....	النَّوْعُ الثَّامِنُ:
١٧٧.....	١٣٠-١٣١- [النمل: ٦٢-٦٣]	١٢٠.....	٧٥-٩١- [المعارج: ١٩-٣٥]
١٨٠.....	النَّوْعُ الْخَامِسَ عَشَرَ:	١٢٦.....	٩٢- [الزمر: ٩]
١٨٠.....	١٣٢-١٣٦- [المؤمنون: ١٢-١٦]	١٢٨.....	٩٣-٩٥- [السجدة: ١٥-١٧]
١٨٤.....	١٣٧-١٤٧- [الشعراء: ٧٥-٨٥]	١٣١.....	النَّوْعُ التَّاسِعُ:
١٨٨.....	١٤٨- [الإسراء: ٨٢]	١٣١.....	٩٦-٩٩- [البقرة: ٤٠-٤٣]
١٩٠.....	١٤٩-١٥٠- [النحل: ٦٨-٦٩]	١٣٥.....	١٠٠-١٠٢- [النور: ٣٦-٣٨]
١٩٣.....	١٥١- [آل عمران: ١٨٥]	١٣٩.....	١٠٣- [الحجرات: ١٣]
١٩٥.....	١٥٢- [الأعراف: ٢٦]	١٤٢.....	النَّوْعُ الْعَاشِرُ:
١٩٨.....	١٥٣- [التوبة: ٨٤]	١٤٢.....	١٠٤-١٠٥- [الحج: ٧٧-٧٨]
٢٠٠.....	١٥٤-١٥٨- [المائدة: ٢٧-٣١]	١٤٧.....	١٠٦- [النساء: ١٠١]
٢٠٦.....	١٥٩-١٦٢- [المرسلات: ٢٥-٢٨]	١٤٩.....	١٠٧- [النساء: ١٠٢]
٢٠٨.....	١٦٣-١٦٩- [عبس: ١٧-٢٣]	١٥٣.....	النَّوْعُ الْحَادِي عَشَرَ:
٢١١.....	١٧٠-١٧٢- [البقرة: ١٥٥-١٥٧]	١٥٣.....	١٠٨-١١٢- [النحل: ١٢٠-١٢٤]
	مِنْ آيَاتِ الرِّكَائِةِ	١٥٧.....	١١٣-١١٥- [الجمعة: ٩-١١]
٢١٤.....	النَّوْعُ الْأَوَّلُ:	١٦١.....	النَّوْعُ الثَّانِي عَشَرَ:
٢١٤.....	١٧٣- [النور: ٥٦]	١٦١.....	١١٦-١١٧- [الأعلى: ١٤-١٥]
٢١٧.....	١٧٤-١٧٥- [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨]	١٦٣.....	١١٨-١٢٠- [الكوثر: ١-٣]

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
١٧٦- [الأنعام: ١٤١]	٢٢١	١٩٦-١٩٥- [آل عمران: ٩٦-٩٧]	٢٦٩
١٧٧-١٧٨- [التوبة: ٣٤-٣٥]	٢٢٤	١٩٧- [التوبة: ٢٨]	٢٧٤
النَّوْعُ الثَّانِي:	٢٢٨	١٩٨-٢٠١- [الحج: ٢٦-٢٩]	٢٧٧
١٧٩-١٨٠- [الأعلى: ١٤-١٥]	٢٢٨	٢٠٢-٢٠٣- [البقرة: ١٩٥-١٩٦]	٢٨٢
النَّوْعُ الثَّلَاثُ:	٢٣٠	النَّوْعُ الثَّانِي:	٢٨٨
١٨١- [التوبة: ١٠٣]	٢٣٠	٢٠٤- [البقرة: ١٩٧]	٢٨٨
١٨٢- [التوبة: ٥]	٢٣٣	٢٠٥-٢٠٧- [المائدة: ٩٤-٩٦]	٢٩١
١٨٣- [الروم: ٣٩]	٢٣٥	النَّوْعُ الثَّلَاثُ:	٢٩٨
١٨٤- [النساء: ٥]	٢٣٧	٢٠٨-٢١٣- [البقرة: ١٩٨-٢٠٣]	٢٩٨
النَّوْعُ الرَّابِعُ:	٢٣٩	٢١٤- [البقرة: ١٥٨]	٣٠٧
١٨٥- [التوبة: ٦٠]	٢٣٩	من آيات الأضحية	
١٨٦- [آل عمران: ٨٥]	٢٤٣	٢١٥-٢١٦- [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]	٣١٠
من آيات الصيام		٢١٧-٢١٨- [الحج: ٣٤-٣٥]	٣١٣
النَّوْعُ الأوَّلُ:	٢٤٥	من آيات الجهاد	
١٨٧- [البقرة: ١٨٩]	٢٤٥	النَّوْعُ الأوَّلُ:	٣١٧
١٨٨-١٩١- [البقرة: ١٨٣-١٨٦]	٢٥١	٢١٩- [التوبة: ٧٣]، [التحريم: ٩]	٣١٧
النَّوْعُ الثَّانِي:	٢٥٨	٢٢٠- [التوبة: ١٢٣]	٣٢١
١٩٢- [البقرة: ١٨٧]	٢٥٨	٢٢١- [النساء: ١٠٤]	٣٢٣
من آيات الاعتكاف		٢٢٢- [الأنفال: ٦٠]	٣٢٥
١٩٣- [البقرة: ١٢٥]	٢٦٢	٢٢٣-٢٢٦- [محمد: ٣٥-٣٨]	٣٢٨
١٩٤- [البقرة: ١٨٧]	٢٦٧	النَّوْعُ الثَّانِي:	٣٣٣
من آيات الحج		٢٢٧-٢٢٩- [الأنفال: ٤٥-٤٧]	٣٣٣
النَّوْعُ الأوَّلُ:	٢٦٩	٢٣٠-٢٣١- [الأنفال: ١٥-١٦]	٣٣٧

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٠١.....	٢٦٢- [المائدة: ١]	٣٤٠.....	٢٣٤- [محمد: ٧-٩]
٤٠٤.....	٢٦٣- [الإسراء: ٣٤-٣٥]	٣٤٢.....	٢٣٧- [محمد: ٤-٦]
٤٠٦.....	٢٦٥- [البقرة: ١٧٧]	٣٤٦.....	٢٣٨- [الأنفال: ٤١]
٤١٢.....	٢٦٦- [الأنعام: ١٥٣]	٣٥٠.....	التَّوْعُ الثَّلَاثُ:
٤١٥.....	التَّوْعُ الرَّابِعُ:	٣٥٠.....	٢٣٩- [التوبة: ٦-٧]
٤١٥.....	٢٦٧- [الأنفال: ٢٧-٢٨]	٣٥٤.....	٢٤١- [التوبة: ٤]
٤١٨.....	٢٦٩- [التوبة: ١١٩]	٣٥٦.....	٢٤٢- [الأنفال: ٥٨]
٤١٩.....	التَّوْعُ الْخَامِسُ:	٣٥٨.....	٢٤٣- [التوبة: ٢٩]
٤١٩.....	٢٧٠- [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]	من آيات البيع	
٤٢٤.....	٢٧٢- [آل عمران: ١٣٠-١٣٢]	٣٦٢.....	التَّوْعُ الْأَوَّلُ:
٤٢٧.....	٢٧٥- [البقرة: ٢٧٥-٢٧٦]	٣٦٢.....	٢٤٤- [البقرة: ٢٧٥]
٤٣٠.....	٢٧٧- [الروم: ٣٩]	٣٦٦.....	٢٤٥- [النساء: ٢٩-٣٠]
٤٣٢.....	التَّوْعُ السَّادِسُ:	٣٧٠.....	٢٤٧- [النساء: ٥]
٤٣٢.....	٢٧٨- [البقرة: ٢٨٣]	٣٧٣.....	٢٤٨- [النحل: ٧٥]
من آيات الرهن والضمان والكفالة		٣٧٧.....	٢٤٩- [الإسراء: ٣٤]
٤٤٠.....	٢٧٩- [البقرة: ٢٨٣]	٣٧٩.....	٢٥٠- [البقرة: ٢١٩]
٤٤٤.....	٢٨٠- [يوسف: ٧٠-٧٢]	٣٨٣.....	٢٥١- [المائدة: ٩٠-٩٢]
٤٤٧.....	٢٨٣- [يوسف: ٦٦]	٣٨٨.....	التَّوْعُ الثَّانِي:
من آيات القرض والعارية		٣٨٨.....	٢٥٤- [النور: ٣٦-٣٨]
٤٤٩.....	٢٨٤- [البقرة: ١٩٥]	٣٩٣.....	٢٥٧- [المنافقون: ٩]
٤٥١.....	٢٨٥- [الماعون: ٤-٧]	٣٩٥.....	٢٥٨- [الجمعة: ٩-١١]
من آيات الصحل والجوار		٣٩٩.....	٢٦١- [المائدة: ٢]
٤٥٣.....	٢٨٩- [النساء: ١١٤]	٤٠١.....	التَّوْعُ الثَّلَاثُ:

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٢٩٠- [النساء: ١٢٨]	٤٥٦	٣٢٧- [النساء: ١٠]	٥١٤
٢٩١- [الأنفال: ١]	٤٥٩	٣٢٨-٣٣٣- [المطففين: ١-٦]	٥١٦
٢٩٥-٢٩٢- [النساء: ٣٦-٣٩]	٤٦١	من آيات حفظ الأمانات ومنها الوديعة	
من آيات الحجر		٣٣٤- [النساء: ٥٨]	٥١٩
٢٩٧-٢٩٦- [البقرة: ٢٨٠-٢٨١]	٤٦٧	٣٣٥- [التوبة: ٩١]	٥٢٢
٢٩٨- [الأنعام: ١٥٢]	٤٧١	من آيات الجعالة	
٢٩٩- [البقرة: ٢٨٢]	٤٧٤	٣٣٦- [يوسف: ٧٢]	٥٢٤
٣٠٠- [النساء: ٦]	٤٧٦	من آيات الهبة	
من آيات الوكالة		٣٣٧-٣٣٨- [النمل: ٣٥-٣٦]	٥٢٦
٣٠١-٣٠٢- [الكهف: ١٩-٢٠]	٤٧٩	٣٣٩- [النساء: ٤]	٥٢٩
٣٠٣- [الأعراف: ١٤٣]	٤٨٣	من آيات الوصية	
من آيات الشركة		٣٤٠- [يس: ١٢]	٥٣١
٣٠٤-٣١١- [طه: ٢٥-٣٢]	٤٨٥	٣٤١-٣٤٣- [البقرة: ١٨٠-١٨٢]	٥٣٣
٣١٢- [النساء: ١٢]	٤٨٨	من آيات الموارث	
٣١٣- [البقرة: ٢٢٠]	٤٩١	النَّوْعُ الْأَوَّلُ:	٥٣٧
٣١٤-٣١٨- [ص: ٢١-٢٥]	٤٩٤	٣٤٤- [النساء: ٣٣]	٥٣٧
من آيات الإجارة		٣٤٥- [الأحزاب: ٦]	٥٤١
٣١٩- [القصص: ٢٦]	٥٠١	٣٤٦- [النساء: ٧]	٥٤٤
٣٢٠- [الكهف: ٧٧]	٥٠٣	النَّوْعُ الثَّانِي:	٥٤٦
٣٢١- [الطلاق: ٦]	٥٠٥	٣٤٧-٣٥٠- [النساء: ١١-١٤]	٥٤٦
٣٢٢-٣٢٤- [ص: ٨٦-٨٨]	٥٠٨	٣٥١- [النساء: ١٧٦]	٥٥٧
من آيات الظلم الشامل لغصب المال		٣٥٢-٣٥٦- [المؤمنون: ١٢-١٦]	٥٦١
٣٢٥-٣٢٦- [الشورى: ٤١-٤٢]	٥١٠	٣٥٧- [البقرة: ٢٢٨]	٥٦٥

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
من آيات العتق		٣٩٠- [النساء: ٢٤].....	٦٢٤
٣٥٨-٣٦٧ [البلد: ١١-٢٠].....	٥٦٧	٣٩١- [البقرة: ٢٣٥].....	٦٢٦
٣٦٨- [النور: ٣٣].....	٥٧٢	٣٩٢- [البقرة: ٢٣٠].....	٦٢٧
من آيات النكاح		٣٩٣-٣٩٦ [النساء: ٢٥-٢٨].....	٦٣٠
النَّوْعُ الْأَوَّلُ:		التَّوْعُ الرَّابِعُ:	٦٣٦
٣٦٩-٣٧٠ [الرعد: ٣٨-٣٩].....	٥٧٤	٣٩٧- [المائدة: ١].....	٦٣٦
٣٧١-٣٧٢ [النور: ٣٢-٣٣].....	٥٧٨	٣٩٨- [النساء: ٢٤].....	٦٣٨
٣٧٣- [الروم: ٢١].....	٥٨١	٣٩٩- [الأعراف: ٣٣].....	٦٤٠
٣٧٤- [النساء: ١].....	٥٨٣	التَّوْعُ الْخَامِسُ:	٦٤٣
٣٧٥- [النحل: ٧٢].....	٥٨٥	٤٠٠- [المتحنة: ١٠].....	٦٤٣
٣٧٦-٣٧٧ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦].....	٥٨٧	من آيات الصداق	
٣٧٨- [النساء: ٣].....	٥٨٩	٤٠١- [النساء: ٤].....	٦٤٦
٣٧٩- [البقرة: ٢٢٨].....	٥٩١	٤٠٢- [النساء: ٢٤].....	٦٤٩
٣٨٠- [البقرة: ٢٣٥].....	٥٩٤	٤٠٣-٤٠٤ [البقرة: ٢٣٦-٢٣٧].....	٦٥١
التَّوْعُ الثَّانِي:		من آيات عشرة النساء	
٣٨١- [البقرة: ٢٣٢].....	٥٩٧	٤٠٥- [النساء: ١٩].....	٦٥٥
٣٨٢- [البقرة: ٢٢١].....	٦٠١	٤٠٦- [البقرة: ٢٢٨].....	٦٥٨
٣٨٣-٣٨٤ [الطلاق: ٢-٣].....	٦٠٤	٤٠٧- [النساء: ٣].....	٦٦٠
التَّوْعُ الثَّلَاثُ:		٤٠٨- [المائدة: ٨].....	٦٦٢
٣٨٥-٣٨٦ [النساء: ٢٢-٢٣].....	٦٠٧	٤٠٩-٤١١ [النساء: ١٢٨-١٣٠].....	٦٦٥
٣٨٧- [البقرة: ٢٢١].....	٦١٦	٤١٢-٤١٣ [النساء: ٣٤-٣٥].....	٦٧٠
٣٨٨- [المتحنة: ١٠].....	٦١٨	من آيات الخلع	
٣٨٩- [المائدة: ٥].....	٦٢٠	٤١٤- [البقرة: ٢٢٩].....	٦٧٥

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	من آيات الرضاع		من آيات الطلاق
٧٣٩.....	٤٥٢- [النساء: ٢٣]	٦٧٨.....	٤١٥- [الطلاق: ١]
٧٤٣.....	٤٥٣- [البقرة: ٢٣٣]	٦٨٢.....	٤١٦- [البقرة: ٢٣٦]
	من آيات النفقات		من آيات التاويل في الحلف
٧٤٨.....	التَّوَعُّ الْأَوَّلُ:	٦٨٣.....	٤١٧-٤٢٤- [الصافات: ٨٣-٩٠]
٧٤٨.....	٤٥٤-٤٥٨- [البقرة: ١-٥]		من آيات الرجعة
٧٥٣.....	٤٥٩- [النساء: ٣٤]	٦٨٨.....	٤٢٥- [البقرة: ٢٣١]
٧٥٧.....	٤٦٠- [البقرة: ٢٢٨]	٦٩٣.....	٤٢٦- [الطلاق: ٢]
٧٥٩.....	٤٦١-٤٦٢- [الطلاق: ٦-٧]	٦٩٤.....	٤٢٧-٤٢٨- [البقرة: ٢٢٩-٢٣٠]
٧٦٤.....	التَّوَعُّ الثَّانِي:		من آيات الإيلاء
٧٦٤.....	٤٦٣-٤٦٨- [الإسراء: ٢٦-٣١]	٦٩٦.....	٤٢٩-٤٣٠- [البقرة: ٢٢٦-٢٢٧]
٧٧٠.....	٤٦٩-٤٧٢- [النساء: ٣٦-٣٩]		من آيات الظهار
	من آيات الحضائفة	٦٩٩.....	٤٣١-٤٣٤- [المجادلة: ١-٤]
٧٧٧.....	٤٧٣-٤٧٧- [آل عمران: ٣٣-٣٧]		من آيات اللعان
	من آيات الجنائيات	٧٠٦.....	٤٣٥-٤٣٩- [النور: ٦-١٠]
٧٨٧.....	٤٧٨-٤٧٩- [النساء: ٢٩-٣٠]		من آيات العدد
٧٩٢.....	٤٨٠-٤٨١- [النساء: ٩٢-٩٣]	٧١١.....	٤٤٠- [الأحزاب: ٤٩]
٨٠١.....	٤٨٢-٤٨٣- [البقرة: ١٧٨-١٧٩]	٧١٥.....	٤٤١- [البقرة: ٢٣٤]
٨٠٦.....	٤٨٤- [المائدة: ٤٥]	٧١٨.....	٤٤٢- [البقرة: ٢٢٨]
٨٠٩.....	٤٨٥- [الإسراء: ٣٣]	٧٢٠.....	٤٤٣-٤٤٤- [الطلاق: ٤-٥]
٨١١.....	٤٨٦-٤٨٩- [الشورى: ٤٠-٤٣]	٧٢٤.....	٤٤٥-٤٤٧- [الحج: ٥-٧]
٨١٥.....	٤٩٠- [المائدة: ١٠٠]	٧٣٠.....	٤٤٨-٤٤٩- [لقمان: ١٤-١٥]
٨١٧.....	الفهرس	٧٣٥.....	٤٥٠-٤٥١- [الأحقاف: ١٥-١٦]